

نفسه

مفاتيح الدرر

تأليف

الحاج ميرزا سيد علي الحائري الطهراني

المعروف باب الفقه

الناشر

الشيخ محمد الآخوندی

صاحب

مطبعة الكائنات

بازار سلطانی طهران

الجزء الحادي عشر

مِنْ كِتَابِ النَّفْسِ

الْمُسَمَّى بِمَقْنِيَاتِ الدَّرَجَاتِ

تأليف

الحاج ميرسيد علي الحائري الطهراني

اعلى الله مقامه

المعروف بالملفيسية

الناشر

الشيخ محمد الآخوندي
مدیر

دار الكتب الامامية

بازار سلطاني - طهران

قطعة الجيدى بظهران

ش ۱۳۲۹ هـ

Shiabooks.net



كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نزل القرآن نوراً و سراجاً و قمراً منيراً . والصلاة والسلام على رسوله الذي انزل عليه الكتاب بيانا للناس و هدى و موعظة للمتقين ، و على آله الطيبين ثانی الثقلين . ولعنة الله على أعدائهم أجمعين . و بعد فقد بذل علماء الاسلام قديماً و حديثاً جهدهم في تفسير علوم القرآن و تبیین لغاته و مشكلاته ، فقرئوا ألفاظه و بینوا حقائقه من مجازه ، و جمع جمعوا أحكامه و بینوا حلاله و حرامه ، و طائفة كشفوا عن تأويلاته قناعه ؛ و كيفما كان ما و صلوا الا الى مبلغ علمهم و منتهى هممهم ، و أنى لهم الوصول الى حقائق التنزيل و دقائق التأويل ؟ لان القرآن هو النور الذي أنزله الله على قلب حبيبه محمد صلى الله عليه و آله . الا أن المتمسكين بولاء أهل بيت الوحي المستضيئين بنور علمهم المأمورين بالتمسك بهم في حديث الثقلين قد اغترفوا من بحار علوم أهل بيت النبي غرماً و غاصوا فيها و اقتنوا منها درراً .

وهاهي المقتنيات الدرر ، قد اقتناها علم من الاعلام ثمرة الشجرة الطيبة و النخبة من السلالة الطاهرة : « الحاج الميرسيد على الحائري » تغمده الله بغفرانه ، و اوتي كتابه هذا يمينه ، قد اقتنى من الدرر أغلاها و من الفرر أسناها فحقيق أن يتنافس المتنافسون في الاستفادة منها .

وقد وفق الله تلميذه المستضيء بنور علمه المقتفى أثره : الحاج ميرزا عبدالحسين المعروف بهخسنيان لبذل الجهد باحياء هذا السفر الجليل القيم . هذا ومن الله سبحانه على عبده الزاكي صاحب الهمة القعساء و ارومة الفضل : الحاج محمود الكاشاني ؛ فأ نعم عليه و شرفه باعطاء نفقة طبع الكتاب خدمة للدين و اتحافاً للطيفة و الده السعيد الحاج محمد حسين الكاشاني طيب الله رمسه ، و ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

و نشكر جميل مساعي الشاب الفاضل الاريب السيد الكاظم الموسوي المياموي حيث بذل جل أوقاته لمقابلة اجزاء الكتاب مع نسخة الاصل و تخريج الايات المتنورة في ثناياه و اسناد ما يهم من رواياته و بعض الاصلاح فيه . و نسأل الله تعالى أن يوفقنا لاتمامه بمحمد و آله .

اعوذ بالله من الشيطان الرجيم

سورة الرحمن

وتسمى عروس القرآن مكّية . وقيل : مدنيّة .

قال رسول الله ﷺ : من قرأ سورة الرحمن رحم الله ضعفه و أدى شكرها

أنعم الله عليه .

قال أبو بصير عن الصادق عليه السلام قال : لاتدعوا قراءة الرحمن والقيام بها فانّها لا تقرأ في قلوب المنافقين و تأتي ربّها يوم القيامة في صورة آدمي في أحسن صورة وأطيب ريح حتّى تقف من الله موقفاً لا يكون أحد أقرب إلى قرب الله منها فيقول لها : من الذى كان يقوم بك في الحياة الدنيا ويد من من قرأك ؟ فتقول : يارب فلان و فلان و فلان فيبيضّ وجوههم فيقول لهم : اشفعوا فيمن أحببتهم فيشفعون حتّى لا يبقى لهم غاية ولا أحد يشفعون له فيقول : لهم ادخلوا الجنة و اسكنوا فيها حيث شئتم . ختم الله السورة باسمه وافتتح هذه السورة باسمه .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرحمن (١) علم القرآن (٢) خلق الانسان (٣) علمه البيان (٤) الشمس والقمر بحسبان (٥) والنجم والشجر يسجدان (٦) والسماء رفعها ووضع الميزان (٧) الا تطفوافي الميزان (٧) واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان (٩) والارض وضعها للانام (١٠) فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام (١١) والحب ذو العصف والريحان (١٢) فبأى الاء ربكما تكذبان (١٣) .

[الرحمن] مبتدأ وما بعده خبره أي الذي له الرحمة الشاملة ووسعت رحمته كل شيء وفي الدعاء : رحمان الدنيا ورحيم الآخرة لأنه عم الرزق في الدنيا وخص المؤمنين بالعمو في الآخرة ، والرحمة الجنة والعطف ، ومنه الرحم للانعطاف وهو بالنسبة إلى الله إرادة الخير والإنعاف بالإيجاد أو لا وبالهداية إلى الايمان وأسباب السعادة ثانياً وهذه السورة مطرزة بطراز اسم الرحمن . ولما كان القرآن أعظم النعم شأننا وإنه مدار جميع السعادات كما قال وَاللَّهِ أَكْبَرُ : أشرف أمتي حملة القرآن أي ملازمو قراءته وأصحاب الليل وقال وَاللَّهِ أَكْبَرُ : خيركم من تعلم القرآن وعلمه ، في القرآن جميع حقائق الكتب السماوية .

وكان تعليمه من آثار الرحمة فقال : [علم القرآن] بواسطة جبرئيل وبواسطة محمد غيره من الأمة وكما علم آدم الأسماء كلها فنخصّ محمداً وأُمَّته بخاصة مثله [خلق الانسان علمه البيان] أي أنشأه على ما هو عليه من القوى الظاهرة والباطنة والبيان هو التعبير عما في الضمير والكشف عن الشيء .

والمراد بالإِنسان آدم عن ابن عباس ، فعلى هذا معنى علمه البيان أي أسماء كل شيء واللغات كلها قال الصادق : البيان الاسم الأعظم الذي علم به كل شيء .

وقيل : المراد من الإنسان محمد ﷺ علمه البيان أى علم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة [الشمس والقمر بحسبان] مبتدأ وخبر والحسبان بالضم مصدر بمعنى الحساب كالغفران والرجحان يقال : حسبه عدّة وباب نصر وبالكسر فبمعنى الظن من باب حسب بالكسر والمعنى يجريان بحساب مقدر في بروجهما و منازلهما بحيث ينتظم بذلك الجريان أمور الكائنات السفلية ويحصل اختلاف الفصول والأوقات فالسنة القمرية ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوماً والشمسية ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً وربع يوم أو أقلّ وكلمة «يجريان» محذوف لدلالة الكلام عليه . والفرض في الآية بيان النعم وخصمها بالذكر لما فيهما من المنافع الكثيرة للناس من الضوء والضياء ونضج الثمار إلى غير ذلك .

[والنجم والشجر يسجدان] النجم النبات الذي ينجم و يطلع من الأرض ولاساق له مثل القرع ونحوه والشجر الذي له ساق وقيل : كلّ نابت إذا ترك حتى يبرز و انقطع فليس شجراً وكلّ شيء يبرز ولايقطع من سنته فهو شجر «يسجدان» أي ينقادان لله تعالى فيما يريد بهما طبعاً انقياد الساجد أو يسجد ظلّهما كما في قوله تعالى : «تفياً ظلاله عن اليمين والشمائل سجداً لله»^(١) وليس لنا علم بكيفية سجودهما كما أنه لانفقه تسبيح الأشياء فذكر سبحانه في مقابلة النعمتين السماويتين اللتين هما الشمس والقمر نعمتين أرضيتين وهما النجم والشجر وهما أصل الرزق للحيوان .

وقيل : أراد بالنجم نجم السماء وهو موحد والمراد جميع النجوم والشجر يسجدان لله بكرة وعشياً . ويجوز أن يكون المعنى أن كلّ جسم له ظلّ فهو خاضع وخضوعه دلالة على الحدوث و إثبات المحدث المدبّر له .

[والسما رفعها] فوق الأرض انتصابه بمحذوف يفسره المذكور أي خلقها مرفوعة محلاً كما هو المحسوس [و وضع الميزان] وشرع العدل أو آلة الوزن للتوصل لكلّ ذي حقّ حقه حتى ينتظم به أمر العالم وإذا كان الميزان بمعنى العدل وبه قامت السماوات والأرض فالميزان هو القرآن وإذا كان بمعنى الآلة فبه يحصل التسوية والتعديل في الحقوق من أخذهم وإعطائهم .

وقوله : [أن لاتطغوا في الميزان] أشدّ مناسبة في معنى الآلة وأن ناصبة ولانافية ولام العلة مقدّرة متعلّقة بوضع الميزان أي وضعه لئلاّ تعتدوا الاّ نصاب ، والطغيان مجاوزة الحدّ فمن قال : المراد من الميزان في الآية العدل فطغيانه الجور ومن قال : إنه الآلة فطغيانه البخس والنقص .

[و أقيموا الوزن بالقسط] أي اجعلوا أوزانكم مستقيماً به وراعوا المعدلة في جميع أفعالكم وأقوالكم [ولا تخسروا الميزان] و الخسر والاختسار النقص أي لاتنقصوا الموزون والاقامة باليد والقسط بالقلب والتكرار في لفظ الميزان تشديداً للوصيّة والحثّ على العدل . قيل : إنّ مالك بن دينار دخل على جار له احتضر فقال : يا مالك جيلان من نار بين يديّ اكلّف الصعود عليهما قال مالك : فسألت أهله فقالوا : كان له مكيلان يكيل بأحد هما ويكتال بالأخر .

[والأرض وضعها للأنام] أي خفّضها مدحوة على الماء ومبسوطة لمنافع الخلق . و الأنام جمع لا واحد له من لفظه بمعنى الخلق فهي كالمهاد لهم يتقلّبون عليها وقيل : الأنام كلّ ذي روح لأنّه ينام وقيل : من ونم الذباب همس وعبر عن الأرض بالوضع لما عبّر عن السماء بالرفع .

[فيها فاكهة] في الأرض ما يتفكّه به من ألوان الثمار من الأشجار وتنكير الفاكهة تشعر باختلاف الأنواع [والنخل ذات الأكمّ] الكمّ وعاء الثمرة وغلفها قبل التفتّق أي النخيل التي صاحبات الكمّ والكمّ كلّ ما يكتم ويغطّي فيه ممّا ينتفع به من ليف وجمار وكفري والجمار شحم النخل وكلّها ينتفع بها .

[والحبّ ذو العصف] والعصف هو ورق الزرع أو اليابس منه كالقطن أي وحبوب ينتفع بها وبورقها [والريحان] يعني الرزق بلغة حمير أو ماله من الرائحة من النبات أو الريحان المعروف وهو الشاهسفرم وقيل : الريحان مالمساقه رائحة طيبة كما لورقه مثل الآس ، والورد لورقه رائحة فقط كالياسمين والجورى يقال : راح الشىء يريحه إذا وجد ريحه في الحديث من قتل نفساً معاهدة لم يرح رائحة الجنّة والريحان في الأصل ريوحان كفعيلان من روح قلبت الواو يا وأدغم ثمّ خفّف بحذف عين الفعل كما في ميّت .

[فبأي آلاء ربكماتكذب بان] الخطاب للثقلين أي الجن والإنس المدلول عليهما قوله : «لأنام» لعمومه لهما وسينطق به قوله : «أيها الثقلان»، وأيضاً قوله : خلق الإنسان وخلق الجن إشعار بأن الخطاب لهما جميعاً والآلاء النعم الظاهرة والباطنة واحدها آلى وقيل : الآلاء النعم الظاهرة والنعم هي الباطنة والصواب أنهما من الألفاظ المترادفة كالأسود والليوث ، والفلك والسفن .

روي عن جابر بن عبد الله قال : قرأ علينا رسول الله سورة الرحمن حتى ختمها فقال : مالي أراكم سكوتاً ؟ الجن كانوا أحسن منكم ردّاً ما قرأت عليهم هذه الآية مرة «فبأي آلاء ربكماتكذب بان» إلا قالوا : ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد وفي الآية دلالة على أن الجن مكلفون وزعمت الحشوية أنهم مضطرون إلى أفعالهم وأنهم ليسوا بمكلفين والدليل على أنهم مكلفون ما في القرآن من ذم الشياطين ولعنهم وذكر ما أعد الله لهم من العذاب وهذه الأمور لا يحصل إلا لمن خالف الله وخالف الأمر والنهي وارتكب الكبائر مع تمكنه من أن لا يفعل ذلك .

خلق الإنسان من صلصال كالفخار (١٤) وخلق الجن من مارج من نار (١٥)
فبأي آلاء ربكماتكذب بان (١٦) رب المشرقين ورب المغربين (١٧) فبأي آلاء ربكماتكذب بان (١٨) مرج البحرين يلتقيان (١٩) بينهما برزخ لا يبغيان (٢٠)
فبأي آلاء ربكماتكذب بان (٢١) يخرج منها اللؤلؤ والمرجان (٢٢) فبأي آلاء ربكماتكذب بان (٢٣) وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام (٢٤)
فبأي آلاء ربكماتكذب بان (٢٥) كل من عليها فان (٢٦) ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام (٢٧) فبأي آلاء ربكماتكذب بان (٢٨) يسأله من في السموات والأرض كل يوم هو في شأن (٢٩) فبأي آلاء ربكماتكذب بان (٣٠) سنفرغ لكم أيه الثقلان (٣١) فبأي آلاء ربكماتكذب بان (٣٢) .

قوله : [خلق الإنسان من صلصال كالفخار] من طين يابس كالفخار في النار بحيث إذا تمسّه يتصلصل وله صوت وصلصلة يسمع من يبسه والفخار الخزف والطين المطبوخ بالنار وتشبيهه بالفخار لصوته من يبسه إذا نقر ولأنه أجوف .

[وخلق الجن من مارج] الجن أو الجن أو إبليس والمرج هو المختلط بعضه ببعض من اللهب الأحمر والأصفر والأخضر الذي يعلو النار إذا وقئت

من مرج القوم إذا اختلط واضطرب فمعنى « من مارج » أي من لهب مختلط [من نار]
 بيان لما رج قيل : خلق الجن من مارج من نار والملائكة من نورها والشياطين من دخانها
 وقال بعضهم : خلقوا من النار التي بين الكله الرقيقة وبين السماء وفيها يكون البرق وقيل :
 المارج النار المخلوطة الممتزجة بالهواء فحينئذ الجن من عنصر النار والهواء والإنسان
 من عنصر التراب والماء وهو الطين .

[فبأي آلاء ربكما تكذبان] مما أفاض عليكم من سوابغ النعم .

[رب المشرقين ورب المغربين] خير مبتدأ محذوف أي الذي أصنع هذه الأفاعيل
 البديعة رب مشرقى الصيف والشتاء ومغربيها وذلك مثل قولك في وصف ملك عظيم : له
 المشرق والمغرب ؛ فإنه يفهم منه أن له ما بينهما أيضاً ، وأحد المشرقين هو الذي تطلع منه
 الشمس في أطول يوم السنة والثاني الذي تطلع منه في أقصر يوم من السنة وبينهما مائة
 وثمانون مشرقاً بعدد أيام السنة وكذا الكلام في المغربين وقيل : أحد المشرقين للشمس
 والثاني للقمر وكذا المغربان والمراد من قولهم : ما بين المشرق والمغرب ميلة يعني
 لأهل المشرق وهو أن تجعل مغرب الصيف على يمينك ومشرق الشتاء على يسارك فتكون
 مستقبل القبلة .

القمي روى عن الصادق عليه السلام أن المشرقين رسول الله وأمير المؤمنين ، والمغربين
 الحسن والحسين .

[فبأي آلاء ربكما تكذبان] و في ذلك من اختلاف المشارق فوائد لا تحصى
 من اعتدال الهواء و تغيير الفصول و حدوث ما يناسب في كل فصل في وقته .

[مرج البحرين] مرجت الدابة إذا أرسلتها للرعي والمعنى أرسل البحر الملح
 والبحر العذب وتطرق المالح في العذب والعذب في المالح حال كونهما متجاورين
 ويتماس سطوحهما و [يلتقيان] كدجلة مثلاً تدخل البحر فتشقه فيجري في خلال البحر
 فراسخ لا يتغير طعمها .

[بينهما برزخ] وحاجز من قدرة الله [لا يبغيان] لا يبغي أحدهما على الآخر
 بالمازجة وإبطال الخاصية مع أن شأنهما الاختلاط على الفور بل يبغيان زماناً يسيراً

وقيل : المراد من البحرين بحر السماء وبحر الأرض فإن في السماء بحراً يمسكه الله بقدرته ينزل منه المطر فيلتقيان في كل سنة وبينهما حاجز يمنع بحر السماء من النزول وبحر الأرض من الصعود وينزل من بحر السماء المطر وقيل : إنهما بحر فارس وبحر الروم فإن آخر طرف هذا يتصل بآخر طرف ذاك والبرزخ بينهما الجزائر .

[فبأي آلاء ربكما تكذبان] وليس من البحرين من الفوائد شيء يقبل التكذيب .

[يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان] اللؤلؤ كبر الدر والمرجان صغاره أو المرجان الخرز الأحمر المشهور يقال : يلقى الجن في البحر وفي خريدة العجائب: اللؤلؤ يكون في بحر هند وفارس والمرجان ينبت في البحر كالشجر وإذا كلس المرجان عقد الزبيق فمنه أبيض ومنه أحمر ومنه أسود وهو يقوي البصر كحلاً وينشف رطوبة العين . واعلم أنه إن أريد بالبحرين بحر فارس و بحر الروم فلا حاجة في قوله : «منهما» إلى التأويل إذ اللؤلؤ والمرجان بمعنييه يخرجان منهما وقال بعضهم : يخرج من الأجاج من المواضع التي يقع فيها المياه العذبة من الأنهار فيناسب إسناد ذلك إليهما وهذا مشهور عند الغواصين .

[فبأي آلاء ربكما تكذبان] لأن الجواهر الثمينة من نعماء الله لخلقها حيث يتحلون بها قال ابن عباس وجماعة : إن تكون هذه الآلي في البحر بنزول المطر لأن الصدف تفتح أفواهاها للمطر فتكون الأصداف كالأرحام للنطف ولذلك أن السنة إذا أجدبت قلت الأصداف وهزات الحيتان فضمير منهما للبحرين باعتبار الجنس .

وقيل : البحران علي وفاطمة والبرزخ النبي ويخرج منهما الحسن والحسين عليهما السلام قال صاحب روح البيان : وعن الصادق : علي وفاطمة بحران عميقان لا يبغيان أحدهما علي صاحبه يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان الحسن والحسين و في المجمع أيضاً ذكر هذه الرواية عن سعيد بن جبير وسلمان الفارسي وسفيان الثوري .

وقيل : هما الدنيا والآخرة والبرزخ القبر وقيل : الحياة والممات ، والأجل البرزخ . وقال بعض أهل التأويل : الخوف والرجاء ويخرج منها الورع والتقوى . وقال ابن عطا :

بين العبد والربّ بحران عميقان : أحدهما بحر النجاة وهو الدّين والقرآن وبحر الهلاك وهو الدنيا ومن اعتمصم بجبل الله نجى ومن ركن إلى الدنيا هلك و ردى .

[وله الجوار المنشآت] اللام لام الملك أو لام الاستحسان والتعجب مثل قوله :
 لله أبوك والله درك والجوار بكسر الراء أصله الجوّاريّ بالياء جمع جارية بمعنى السفن
 أقيمت الصفة مقام الموصوف وسميت السفينة جارية لأنّ شأنها الجري في البحر وإن
 كانت واقفة في الساحل كما تسمى المملوكة أيضاً جارية لأنّ شأنها الجري والسعي في
 حوائج سيدها ، والمراد بالمنشآت المرفوعات الشرع يقال : أنشأه إذا رفعه أو مرفوعات
 على الماء أو المنشآت معناها المصنوعات وقرىء منشآت بكسر الشين أي تنشيء الموج
 بصدرها [في البحر كالأعلام] جمع علم وهو الجبل الشاهق لأنّ السفن في البحر
 كالجبال في البرّ .

[فبأيّ آلاء ربكم تكذّبان] من خلق موادّ السفن والإرشاد إلى أخذها ونفعها
 وحصول التجارات والمعاملات المفيدة بسببها .

[كلّ من عليها فان] الهاء كناية عن غير مذكور وهو الأرض كقولهم : ما بين
 لايتها وهم في المدينة وإنما جاز ذلك لكونه معلوماً أي كلّ من على الأرض من حيوان
 فهو هالك ويفنون . ولما نزلت هذه الآية قالت الملائكة : هلكت بنو آدم فلمّا نزلت
 ذلك نفس ذائقة الموت،^(١) أيقنوا بهلاك أنفسهم فإن لهم أرواحاً وأجساماً لطيفة وأرواحهم
 ليست مجرّدة عن تلك الأجسام اللطيفة فهم ذوات الأنفس .

[ويبقى وجهه ربك] أي الباقي ذاته ومنه قولهم : كرّم الله وجهه أي ذاته والوجه
 العضو المعروف استعير للذات لأنّه أشرف الأعضاء ومجمع أغلب المشاعر وموضع السجود
 ويجوز أن يكون الوجه بمعنى القصد فحينئذ المعنى كلّ من عليها من الثقلين وما اكتسبوه
 من الأعمال هالك إلا ما توجهوا به جهة الله وعملوه ابتغاء مرضاته وعلى هذا المعنى قال
 الشيخ أكبر - وهو من علماء العامّة - إنّ الضمير في وجهه راجع إلى الشيء .

[ذوالجلال والإكرام] صفة وجه أي ذوالاستغناء المطلق والعظمة في ذاته وصفاته

وفي الحديث أظنوا ياذا الجلال والإكرام ؛ الإلظاظ اللزوم والإلحاح وعنه عنه أنه مرّ برجل وهو يعليّ ويقول : ياذا الجلال والإكرام قال : استجيب لك الدعاء ؛ فالدعاء بهاتين الكلمتين مرجو الإجابة .

[فبأي آلاء ربكماتكذبان] فإن قيل: أي نعمة في الإفناء؟ فالجواب أن النعمة التسوية بين الحقّ فيه وإنه وصلة إلى الثواب وتصل بين الصواب والعمل بالفناء ليفعل الطاعة لحسنها فيستحقّ الثواب ولو عجل الثواب لصار الإنسان ملجئاً إلى العمل ولم يستحقّ الثواب .

[يسأله من في السماوات والأرض] يسألونه حوائجهم و الرزق و المغفرة كما أن أهل السماء أيضاً يسألونه في وجوداتهم حدوثاً وبقاءً وسائر أحوالهم سؤالاً مستمرّاً بلسان الحال والمقال فإن الخلق كافة من حيث حقائقهم الممكنة بمعزل من استحقاق الوجود وما يتفرّع عليه من الكمالات بالمرّة بحيث لو انقطع ما بينهم وبين العناية الإلهية من علائق اللطف لم يشمّوا رائحة الوجود أصلاً فهم مستمرّون في كلّ آن على السؤال .

[كلّ يوم هو في شأن] أي كلّ وقت من الأوقات والمراد بطن الزمان في الحقيقة وهو اليوم الإلهي الذي هو الآن وهو غير منقسم في شأن من الأشؤون من الإعطاء والمنع والفقر والغنى ويأتي بأحوال منها ويذهب بأحوال منها من العزّة والذلّة والصحة والمرض ونحو ذلك حسب ما يقتضيه الحكمة البالغة وفي الحديث من شأنه أن يغفر ذنباً ويفرّج كرباً ويرفع قوماً ويضع قوماً وسوق المقادير إلى المواقيت قال عنه : إنّ الربّ لينظر إلى عباده كلّ يوم ثلاثمائة وستين نظرة يبدى ويعيد وذلك من حبّه خلقه وعن عينه إنّ الدهر كلّه عند الله يومان أحدهما اليوم الذي هو مدّة الدنيا فشأنه فيه الأمر والنهي ، الإماتة والإحياء ، والآخرة يوم القيامة فشأنه فيه الجزاء والحساب و الثواب والعقاب قيل : نزلت الآية في اليهود حين قالوا : إنّ الله لا يقضي يوم السبت شيئاً فردّ عليهم .

[فبأي آلاء ربكماتكذبان] مع مشاهدتكم من الإيجادات من كنتم العدم إلى

الوجود .

[سنفرغ لكم] وهذا الكلام مستعار من قول المهدي لصاحبه مثل قولهم : سأفرغ لك أي سأتجرّد لعقوبتك و أقصد والخطاب للمجرمين من الطائفتين وحاصل المعنى أن عند انتهاء الشؤون نجازيكم ولا يبقى إلا الشان واحد وهو جزاؤكم [أيها الثقلان] وإن الجنّ والانس جعلاً أثقلاً أي محمولة على الأرض وجعل ما سواهما كالعلاوة أو لرزاة آرائهما أولاً نهما مثقلان بالتكليف أو لعظم قدرهما في الأرض كما في الحديث إنني تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي .

[فبأي آلاء ربكم تكذبان] التي من جملتها البيان والبيّنة بأمر سيلقونه يوم القيامة للتحذير عما يؤدي إلى سوء الحساب وإن في التحذير عنهما نعمة عظيمة .

يامعشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السماوات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان (٣٣) فبأي آلاء ربكم تكذبان (٣٤) يرسل عليكم ماشواظ من نار ونحاس فلا تنتصران (٣٥) فبأي آلاء ربكم تكذبان (٣٦) فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان (٣٧) فبأي آلاء ربكم تكذبان (٣٨) فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان (٣٩) فبأي آلاء ربكم تكذبان (٤٠) يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والاقدام (٤١) فبأي آلاء ربكم تكذبان (٤٢) هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون (٤٣) يطوفون بينها وبين حميم آن (٤٤) فبأي الاء ربكم تكذبان (٤٥) .

المعنى : [يامعشر الجنّ والانس] خوطباً باسم جنسهما والمعشر الجماعة العظيمة سميت به لبلوغه غاية الكثرة فإن العشر العدد الكامل الكثير الذي لا عدد بعده إلا بتركيبه بما فيه من الآحاد نقول : أحد عشر وعشرون وثلاثون أي اثنتا عشرات وثلاث عشرات ولذا سمّي العدد الكثير معشراً كأنه قيل : محلّ العشر الذي هو الكثير الكاملة وتقديم الجنّ في الذكّر لتقدّم خلقه والانس على الجنّ في قوله : « قل لئن اجتمعت الانس والجنّ^(١) لفضله . إن قدرتم على الجواز والخروج والخصوص من جوانب السماوات والأرض هاربين من الله فارين من حكمه .

[فأنفذوا] و اخرجوا منها و أخلصوا أنفسكم من عقابي [لاتنفذون] ولاتقدرون على النفوذ [إلا بسلطان] وبقوة وأنتم بمعزل عن القدرة روي أن الملائكة تحيط بجميع الخلائق فيهرب الإنس والجن فلا يأتون وجهاً إلا وجدوا الملائكة أحاطت فيقول الملائكة لهم ذلك فكما لا يقدر أحد على الفرار يوم القيامة كذلك لا يقدر في الدنيا فيدركه الموت .

[فبأي آلاء ربكما تكذبان] من التنبيه والتحذير والعفو مع كمال القدرة على العقوبة .

[يرسل عليكم شواظ من نار] هو لهب خالص لادخان فيه أودخان النار وحرها كما في القاموس وذلك حين يساق إلى المحشر عن ابن عباس ، أي يرسل عليكم لهب خالص بلا دخان و يسوقكم إلى المحشر عن ابن عباس . و التنوين فيها للتفخيم والتشديد [ونحاس] صفر مذاب يصب على رؤوسهم وقيل : دخان عن ابن عباس [فلا تنتصران] أي لا يمنعان من ذلك العذاب .

[فبأي آلاء ربكما تكذبان] من بيان عاقبة الكفر والشرك والمعاصي وأي نعمة أكمل من تحذير الإنسان مما يؤول أمره إلى مثل هذا العذاب .

[فإذا انشقت السماء] وانصدعت يوم القيامة وانفك بعضها من بعض لقيام الساعة أوصارت أبواباً لنزول الملائكة كقوله : « يوم تشقق السماء بالغمام و نزل الملائكة تنزيلاً ، ^(١) [فكانت وردة] أي فصارت السماء كوردة حمراء في اللون وهي الزهرة المعروفة التي تشم أو هو الفرس الأبيض الذي يضرب إلى الحمرة فتصير السماء كالورد في لونها . ثم يجري [كالدهان] خبر ثان لكأن وهو جمع دهن أو اسم لما يدّهن به كالإدام لما يؤتمد به أي تذوب وتجري كذوبان الدهن وجريه وجواب إذا محذوف تقديره لرأيت أمراً هائلاً عظيماً .

روي مسعدة بن صدقة عن كليب قال : كنا عند أبي عبد الله فأنشأ يحدثنا فقال : إذا كان يوم القيامة جمع الله العباد في صعيد واحد ويوحى إلى السماء الدنيا أن

اهبطي بمن فيك فيهبط أهل السماء الدنيا بمثلي من في الأرض من الملائكة والجن والإانس ثم يهبط أهل السماء الثانية بمثل الجميع مرتين فلا يزالون كذلك حتى يهبط أهل السماوات السبع فينظر الجن والإانس فإذا قد أحاط بهم سبعة أطواق من الملائكة .

وقيل : الدهان الأديم الأحمر وجمعه أدهنة وقيل : هو عكر الزيت يتلون ألواناً أحياناً قال الفراء : شبه سبحانه تلوّن السماء بالدهان أي تتلون السماء مثل تلوّن الورد من الخيل ، والفرس الورد يكون في الشتاء أحمر لونه و في الربيع أصفر و في الشتاء^(١) أغبر فكذلك السماء فشبّهها في اختلاف ألوانها بالفرس الورد .

[فبأي آلاء ربكما تكذبان] مع عظم شأن الآلاء .

[فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان] أي يوم انشقاق السماء حسب ما ذكر لا يسأل عن ذنبه لأنهم يعرفون بسيماهم فلا يحتاج في تمييز المذنب عن غيره إلى أن يسأل عن دينه وذلك أول ما يخرجون من قبورهم و يحشرون إلى الموقف فوجاً فوجاً و لا ينا في ذلك مع قوله سبحانه « فوركب لنساءنهم أجمعين^(٢) » وذلك في موقف الحساب و المناقشة و مواقف القيامة كثيرة قال ابن عباس : لا يسألهم هل عليهم كذا و كذا فإنه أعلم منهم ولكن يسألهم بم عملتم كذا و كذا وعنه أيضاً لا يسألون سؤال تحقيق وإنما يسألون سؤال تفریع و أراد بالجان الجن كما يقال : تميم و يراد ولده و طائفته .

[فبأي آلاء ربكما تكذبان] و الإخبار بما يزرع الإنسان من الشر هو النعمة و إن الانتقام من الأعداء نعمة على الأحاب و لذا ورد الحمد عقيب العقوبة كما قال : « فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين^(٣) » .

[يعرف المجرمون بسيماهم] السيماء بالقصر والمد العلامة و الجملة استئناف يجري مجرى التعليل لعدم السؤال أي لا يحتاج إلى السؤال لأنهم يعرفون بسواد الوجوه و زرقة العيون و ما يعلوهم من الكأبة و الحزن كما يعرف الصالحون بأضداد ذلك .

(١) كذا في الاصل .

(٢) الحجر : ٩٢ .

(٣) الانعام : ٤٥ .

[فيؤخذ بالنواصي والأقدام] الناصية مقدم الرأس ولعل المراد شعرها يأخذ الملائكة بشعور مقدم رؤسهم وأقدامهم أو يؤخذ بجمع نواصيهم وأقدامهم في سلسلة من وراء ظهورهم فيقذفونهم في النار .

[فبأي آلاء ربكما تكذبان] من الزواجر .

[هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون] أي يقال لهم ذلك بطريق التوبيخ [يطوفون بينها] أي يدورون بين النار [وبين حميم آن] أي ماء بالغ في الحرارة أقصاها يصب عليهم أو يسقون منه يدورون من النار إلى الحميم ومن الحميم إلى النار من أنى يأتي آن مثل قضى يقضى قاض وقيل : معنى « الآن » الحاضر وفي تفسير علي بن إبراهيم أي لها أنين من شدة حرها . يسלט عليهم الجوع فيؤتى بهم إلى الزقوم الذي طلعبها كرووس الشياطين فأكلوا منها من شدة الجوع فأخذت في حلوقهم فاستغاثوا بالماء فأتوا به من الحميم فإذا قرّبوه إلى وجوههم تناثر لحم وجوههم ويشربون من الحميم فتغلي أجوافهم ويخرج جميع ما فيها ثم يلقى عليهم الجوع فمرة يذهب بهم إلى الحميم و مرة إلى الزقوم وهكذا .

قال كعب الأحبار : إن واديًا من أودية جهنم يجتمع فيه صديد أهل النار فينطق بهم في الأغلال فيغمسون فيه حتى يخلع أوصالهم ثم يخرجون منه وقد أحدث الله لهم خلقاً جديداً فيلقون في النار .

[فبأي آلاء ربكما تكذبان] من هذه المواظف النافعة التي توجب بعثاً وحثاً على فعل ما يستحق به الثواب وتحفظاً عما يستلزم العذاب .

ولمن خاف مقام ربه جنتان (٤٦) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٤٧) ذواتا
افنان (٤٨) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٤٩) فيها عينان تجريان (٥٠) فبأي آلاء
ربكما تكذبان (٥١) فيهما من كل فاكهة زوجان (٥٢) فبأي آلاء ربكما تكذبان
(٥٣) متكئين على فرش بطائنها من استبرق وجنا الجنة دان (٥٤) فبأي
آلاء ربكما تكذبان (٥٥) فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن انس قبلهم ولا
جان (٥٦) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٥٧) كأنهن الياقوت والمرجان (٥٨)
فبأي آلاء ربكما تكذبان (٥٩) هل جزاء الاحسان الا الاحسان (٦٠)
فبأي آلاء ربكما تكذبان (٦١) .

المقام اسم مكان ولكن ليس لله مكان ، ومقامه تعالى موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب كما قال : « يوم يقوم الناس لرب العالمين »^(١) والإضافة للاختصاص الملكي إذ لا ملك يومئذ إلا الله ويدخل في عموم الآية من يهيم بالمعصية فيذكر الله فيدعها من مخافة الله [جنّتان] جنّة للخائف الإنسيّ و جنّة للخائف الجنّيّ فإنّ الخطاب للفريقين لكنّ الأصوب أن يكون المعنى كلّ أحد منهما جنّتان جنّة لعقيدته و أخرى لعلمه أو جنّة لفعل الطاعات وأخرى لتترك المعاصي أو جنّة يثاب بها وأخرى يتفضّل بها عليه .

[فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان] وقوله : « مقام ربّه » أي مقام شهود ربّه « فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان » من نعمة الفناء في الله ونعمة البقاء بالله وبهذا المعنى كما يقول لعائشة حين يغيب عن حسّه : كلفيني ، للتبليغ والإرشاد .

[ذواتا أفنان] صفة اجنّتان وما بينهما اعتراض بينهما و تنبيه على أنّ تكذيب كلّ من الموصوف والصفة موجب للإنكار والتوبيخ وذواتا ثنية ذات بمعنى صاحبة وأصلها ذويه مؤنثة ذوي و في ثنيتها لغتان الردّ على الأصل و هو ذواتا و الثنية على اللفظ فيقال : ذاتا والأفنان جمع فنّ أي من الأشجار والثمار أو جمع فنن و هو الغصن المستقيم طولاً ويشعب من فروع الشجر كأنه قيل : ذواتا أشجار وأغصان وأظلال وأثمار و على معنى الفنّ أيضاً يستقيم المعنى قال الشاعر :

و من كلّ أفنان اللذاذة والصبأ * لهوت به و العيش أخضر ناضر

[فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان] وليس فيها شيء يقبل التكذيب .

[فيهما عينان تجريان] صفة أخري لجنّتان أي في الجنّتين عينان تجريان من جبل من مسك قال ابن عبّاس : تجريان من الماء الزلال : أحدهما التسنيم و الأخرى السلسبيل قيل : و تجريان لمن كانت عيناه في الدنيا تجريان من مخافة الله .

[فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان * فيهما من كلّ فاكهة زوجان] صنفان و ضربان متشا كلان كشفا كل الذكر و الأنثى كالرطب واليا بس فلذلك سماهما زوجين ضرب

معروف عندهم و ضرب من شكله غريب لم يعرفوه في الدنيا .

[متكئين] حال لأهل الجنّتين أي قاعدين كالمملوك جلسة راحة معتمدين [على فرش] جمع فراش وهو ما يبسط و يستمهد للجلوس والنوم [بطائنها من استبرق] قرىء بحذف الألف و كسر النون و قرىء باسكان النون و كسر الألف و قطعها و البطانة من الثوب ضدّ الظهارة و الاستبرق ما غلظ من الديباج من البريق وهو الإضاءة و قيل : من البرقة وهو اجتماع ألوان فإذا كان بطائنها كذلك فما ظنك بظواهرها ؟ لأنّ الظهارة في الملبوس أشرف وأعلى و قيل : ظواهرها من سندس أو من نور .

[و جنى الجنّتين دان] جنى اسم بمعنى المجنى كالقبض بمعنى المقبوض ودان من الدنو وهو القرب أي ما يتجنّى من أشجارها قريب يناله القائم و القاعد و المضطجع تدنو الشجرة حتّى يجتنىها وليّ الله بل قيل : إنّ تلك الثمار يقع في الفم بلا أخذ .

[فبأي آلاء ربكما تكذّبان] من هذه الآلاء اللذيذة الباقية .

[فيهنّ قاصرات الطرف] في الجنان أو في الفرش قاصرات الطرف من إضافة الفاعل إلى منصوبه و متعلّق القصر و هو قوله : « على أزواجهنّ » محذوف للدلالة عليه و المعنى نساء يقصرن أبصارهنّ على أزواجهنّ لا تبصرن إلى غيرهم و تقول كلّ منهنّ لزوجها : وعزة ربّي ما أرى في الجنّه شيئاً أحسن منك فالحمد لله الذي جعلك زوجي و جعلني زوجك و قيل : معنى « قاصرات الطرف » هو أن يقصر الطرف عنها من ضوء نورها أو المعنى إنهنّ من الحياء و الدلال و الغنج عيونهنّ مقصورة وليست في غاية الانفتاح حتّى يستلزم شيئاً في الجملة في العين .

[لم يطمثهنّ إنس قبلهم ولا جان] طمّث المرأة إذا افتضّتها الرجل بالتدمية و أخذ بكارتها فالطمث الجماع المؤدّي إلى خروج دم البكر ثمّ أطلق على كلّ جماع طمّث وإن لم يكن معه دم و في القاموس الطمّث المسّ و المعنى لم يمسّهنّ أحد من الإنس ولا أحد من الجنّ و هذا دليل على أنّ الجنّ يطمثون كما يطمث الإنس و حاصل المعنى أنّ الحور التي جعلت للمؤمنين الخائفين من الله لم تنلها يد الإنس قبل ذلك و

التي جعلت للمؤمنين من الجن كذلك لم تنلها يد الجن قبل ذلك .
 و في الآية دلالة على وقوع الطمث للجن في الدنيا ولكن ليس لهم ماء كما الماء للإنسان بل لهم هواء بدل الماء و به يحصل العلوق في أرحام إنناهم وهذا يستدعي أن لا تصلح المناكحة بين الإنس والجن وكذا العكس هذا قول الجمهور من المفسرين . وقال الشعبي والكلبي "هن من نساء الدنيا أي لم يجامعن" بعيد النشأة الثانية أحد سواء كن في الدنيا ثيبات أو أبكاراً .

[فبأي آلاء ربكما تكذبان] من هذه النعم التي هي لتمتع نفوسكم .
 [كأنهن الياقوت والمرجان] صفة لقاصرات الطرف قد سبق بيان المرجان وأما الياقوت فهو حجر صلب شديد اليبس رزين صاف منه أحمر و أبيض و أصفر و أخضر و أزرق و لا تعمل فيه النار لقلّة دهنيتها ولا يثقب غالباً لغلظته رطوبته ولا تعمل فيه المبارد لصلابته سيما الأحمر منه وبعده الأصفر أصبر على النار من سائر أصنافه وأما الأخضر منه فلا صبر له على النار و في الطب أنفعها وأغلاها الرمانى وهو الذي يشابه النار في لونه قيل : ومن تختّم بهذه الأوصاف أمن من الطاعون و إن عمّ الناس وأمن أيضاً من الصاعقة والغرق ومن حمل شيئاً منها أو تختّم به كان معظماً عند الناس وجيهاً عند الملوك و أكل معجون الياقوت يدفع ضرر السم ويزيد في القوة قال الشاعر :

و بقاء السمندر في لهب الذ * ار مزيل فضيلة الياقوت
 و بالجملة شبههن سبحانه بالياقوت في حمرة الوجنة والمرجان صغار الدر في بياض البشرة وصفائها فان صغار الدر أنصح بياضاً من كباره .

[فبأي آلاء ربكما تكذبان * هل جزاء الإحسان إلا الإحسان] «هل» يجيء على أربعة أوجه : الأول بمعنى قد كقوله تعالى : «هل أتى على الإنسان (١)» والثاني بمعنى الأمر نحو قوله (٢) : «هل أنتم منتهون» أي فاتتهوا والثالث بمعنى الاستفهام كقوله تعالى : «فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً (٣)» والرابع بمعنى «ما» الجحد كما في هذه

(١) الدهر : ١٠ .

(٢) المائدة : ٩٤ .

(٣) الاعراف : ٤٣ .

الآية ما جزاء الإحسان في العمل إلا الإحسان في الثواب روي أنه قرأ رسول الله ﷺ جزء الإحسان، إنخ، ثم قال: هل تدرون ما قال ربكم: قالوا: الله ورسوله أعلم قال ﷺ: يقول هل جزاء من أنعمت عليه بمعرفتي بقوله توحيدى إلا أن أسكنه جنّتي وحظيرة قدسي برحمتي .

حكى أن ذالنون المصرى رأى عجوزاً كافرة تنفق الحبوب للطيور وقت الشتاء فقال: إنه لا يقبل من الأجنبي فقالت: أفعلى قبل أولم يقبل ثم إنه رآها في حرم الكعبة فقالت: يا ذالنون أحسن إلى نعمة الإسلام بقضة من الحب. قال بعض الأكارب: الإحسان الأ نعم ولا يخص مثل المطر والرياح والشمس والقمر .

روي أن العبد إذا قال: لا إله إلا الله بشروطها أتت هذه الكلمة إلى صحيفة فلا تمر على خطيئة إلا محتاحتى تجد حسنة مثلها فتجلس إلى جنبها . وعن أبي ذر الغفارى قال: قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار فقال ﷺ: إذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة فإنها بعشر أمثالها فقلت: يا رسول الله لا إله إلا الله من الحسنات؟ فقال ﷺ: هي أحسن الحسنات .

[فباي آلاء ربكما تكذبان] من نعمه الواصلة في الدنيا والآخرة .

و من دونهما جنتان (٦٤) فباي آلاء ربكما تكذبان (٦٣) مدهامتان (٦٤)
 فباي آلاء ربكما تكذبان (٦٥) فيهما عينان نضاختان (٦٦) فباي آلاء ربكما
 تكذبان (٦٧) فيهما فاكهة ونخل ورمان (٦٨) فباي آلاء ربكما تكذبان (٦٩)
 فيهن خيرات حسان (٧٠) فباي آلاء ربكما تكذبان (٧١) حور مقصورات في
 الخيام (٧٢) فباي آلاء ربكما تكذبان (٧٣) لم يطمئنهن انس قبلهم ولا جان (٧٤)
 فباي آلاء ربكما تكذبان (٧٥) متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان (٧٦)
 فباي آلاء ربكما تكذبان (٧٧) تبارك اسم ربك ذي الجلال والاکرام (٧٨) .

[ومن دونهما جنتان] مبتدأ وخبر أي ومن دون تينك الجنة الموعودتين
 للخائفين جنتان أخريان لمن دونهم من أصحاب اليمين فالخائفون قسمان: المقرّبون
 وأصحاب اليمين وهم دون المقرّبين بحسب الفضائل العلمية والعملية فدون بمعنى الأدنى
 مرتبة ومنزلة لا بمعنى غير فالجنتان الأوليان أفضل من الأخريين لفضل المقرّبين على

الأبرار وقيل : دون ليس من الدنائة بل من الدنوء وهو القرب أي ومن دون هاتين الجننتين إلى العرش أقرب إليه ، وحمل بعض المفسرين على معنى الغير قالوا : و لكل رجل وامرأة من أهل الجنة أربع جنان في الجهات الأربع ليتضاعف له السرور بالتنقل من جنة إلى جنة .

[فبأي آلاء ربكما تكذبان] مما ذكر من الجنات .

[مدهامتان] صفة لجنستان ادھام الشيء يدھام ادھيماماً فهو مدهام أسود والأدھم الأسود فقوله : « مدهامتان » أي علا لونهما سواد ودهمة من شدة الخضرة والري وإن شئت قلت : خضراوان تضربا إلى السواد من شدة الخضرة .

[فبأي آلاء ربكما تكذبان] حيث تمتع أبصاركم بخضرة هاتين الجننتين .

[فيهما عينان نضاختان] نضح الماء اشتد فورانه من ينبوعه أي في الجننتين عينان فوارتان بالماء لا ينقطعان وهذا يدل على فضل الجننتين الأوليين على الآخرين لأنه قال سبحانه في الأوليين : يجريان ، وفي الأخيرتين : نضاختان ، والنضح دون الجري .

[فبأي آلاء ربكما تكذبان] من الصفاء والري .

[فيهما فاكهة ونخل ورمان] عطف الأخيرين على فاكهة كعطف جبرئيل وميكائيل على الملائكة بياناً لفضلهما فإن ثمرة النخل فاكهة قال ابن عباس : نخل الجنة جذوعها زمرّد أخضر و كريها ذهب أحمر وسعفها كسوة لأهل الجنة منها حللهم وثمرها كالدلاء أشدّ بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد ليس له عجم كلّمّا نزعت وقطعت ثمرة عادت فكأنّها أخرى و أنهارها يجري من غير أخذود وقال علي أمير المؤمنين عليه السلام : ما من حبة من الرمان تقيم في جوف مؤمن إلا أنارت قلبه وأخرجت شيطان الوسوسة منه أربعين يوماً . قيل : وأجوده الكبار الحلو المليس وأظن أن معنى الحلو المليس ما يغلب حلاوته على طعم حموضته وهو حارّ رطب يلين الصدر ويجلو المعدة وينفع من الخفقان ويزيد في الباءة ، و ثمرة النخل فاكهة وغذاء والرمان

فاكهة و رواء . في الكافي عن الصادق عليه السلام : الفاكهة مائة و عشرون لوناً سيدها الرمان .

في الفقيه عن الصادق عليه السلام : «الخيرات الحسان» من نساء أهل الدنيا وهن أجمل من حور العين . القمي قال : جوار نابتات على شط الكوثر كلما أخذت منها واحدة نبتت أخرى قال الصادق عليه السلام : في قول الرجل : جزاك خيراً يعني به أن خيراً نهر في الجنة مخرجه من الكوثر والكوثر مخرجه من ساق العرش عليه منازل الأوصياء وشيعتهم وعلى حافتي ذلك النهر جوار نابتات سمين باسم ذلك النهر وذلك قوله تعالى : « فيهن خيرات حسان ، فإذا قال الرجل لصاحبه : جزاك الله خيراً فأئماً المعنى رزقك الله تلك المنازل التي أعدّها الله لصفوته .

[فبأي آلاء ربكما تكذبان] حيث هيساً لكم ما به تلتذون من الفواكه .
 [فيهن خيرات حسان] و خيرات مخففة من خيرات جمع خيرة لأن خير الذي بمعنى أخير لا يجمع ولا يقال : خيرون ولا خيرات ، ومعنى خيرات منتخبات ومصطفيات وليس فيهن ما يشينهن من القبائح والعاهات لازربات وطمّاحات ولا طوافات ولا متشوّفات [حسان] أي حسان الخلق والخلق و في الحديث لو أن امرأة من نساء أهل الجنة أطلعت على السماوات والأرض لأضاعت ما بينهما ولملأت ما بينهما ربحاً ولعصابتها على رأسها خير من الدنيا وما فيها ولو أن حوراء بزقت في بحر لعذب ذلك البحر من عذوبة ريقها ويقلن : نحن الناعمات فلا نبأس ، الراضيات فلا نسخط والخالدات فلا نبيد قيل : المراد من خيرات الحوراء وقيل : المؤمنات .

[فبأي آلاء ربكما تكذبان] وقد أنعم عليكم بما تستمتعون من هذه النساء .

[حور مقصورات في الخيام] بدل من خيرات جمع حوراء وهي البيضاء أو شديدة سواد العين قصرن في خدورهن لا يظهرن لغير المحارم وإن لم تكن الجنة دار التكليف . والخيام جمع خيمة وهي القبّة المضروبة على الأعواد ولا تشبه خيام الدنيا إلا بالاسم لأن الخيمة من خيامهن درّة مجوّفة عرضها ستون ميلاً في كلّ زاوية منها أهلون ما

يرون إلا حين يطوف عليهم المؤمنون والمعنى إنهن مستورات في الحجال ويصف الله جواري جنانه التي خلقهن لخدمة أوليائه وألبسهن لباس نوره وأجلسهن على سرير أنفسه في حجال قدسه و ضرب عليهن خيام الدر و ينتظرن أزواجهن .

[فبأي آلاء ربكما تكذبان] وقد خلق من النعم ماهي مقصورة لكم .

[لم يطمثن إنس قبلهم ولا جان] كالذي مر نظيره والأول في أزواج المقر بين

وهذا في أزواج الأبرار أو التكرار زيادة التشويق والرغبة [فبأي آلاء ربكما تكذبان] مع أنها ليست كنعم الدنيا إذ قد يطمث المرأة في الدنيا فيالها من طيب وصالها و براعة جمالها فالعقول فيها حيارى والقلوب سُكاري .

[متسكنين على رفرف خضر] حال صاحبه المؤمنون ، رفرف اسم جمع واحده

رفرفة أو اسم جنس ضرب من البسط أو الوسائد أو هو ما تدلى من الأسرة أو ضرب من الثياب تتخذ منه المجالس و تبسط وفضول الفرش والرقيق من الديباج خضر جمع أخضر أحد الألوان نعت لرفرف .

[و عبقرى] عطف على رفرف والمراد الجنس قيل : عبقر موضع كثير الحسن

وقرية نباتها في غاية الحسن والعبقرى ضرب من البسط و موضع للحسن ينسب إليه كل نادر من إنسان وحيوان و ثوب ، جعل مثلاً لفرش أهل الجنة وفي التكملة عبقراسم موضع يصنع فيه الوشى كانت العرب إذا رأت شيئاً عجبياً نسبته إليه فخاطبهم الله على عادتهم وقيل : عبقر اسم رجل كان بمكة يتخذ الزرابي ويجيدها فنسب إليه كل شيء جيد «حسان» جمع حسن حملاً على المعنى ، وقيل : الرفرف فراش في الجنة إذا استقر عليه المؤمن طاربه من فرحه وشوقه يميناً وشمالاً وحيثما يريد المؤمن .

وروي في حديث المعراج أن رسول الله لما بلغ سدره المنتهى جاءه الرفرف فتناوله

من جبرئيل وطاربه نحو العرش فقال رَبِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إنه طاربي يخفضني ويرفعني حتى وقف

بي على ربي ولما حان الانصراف تناوله فطاربه خفضاً ورفعاً يهوي به حتى أداه إلى

جبرئيل فالرفرف خادم في الجنة للمؤمنين مختص بخواص الأمور .

[فبأي آلاء ربكما تكذبان] وقد هيأ لكم ما تتكئون عليه .

[تبارك اسم ربك] تنزيه وثبوت لجلاله تعالى لما ذكر في السورة من آياته
الفائضة على المؤمنين وارتفع شأنه عن جحد نعمائه وتكذيبها وهذا الموضع
مما أُريد فيه بالاسم المسمى أو المراد الاسم فإذا كان الاسم حاله
كذلك بالتبعية فكيف المسمى؟ [ذي الجلال والإكرام]
والعظمة والكبرياء ويكرم أولياءه بهذه الكرامات
وقيل : معنى الآية فاطلبوا البركة في كل
شيء بذكر اسمه و انطقوا بيا ذالجلال
و الإكرام و داوموا عليه



سورة الواقعة

مكّية إلا آية مدنيّة وهي « وتجعلون رزقكم أنكم تكذّبون » .
 عن أبيّ بن كعب قال : قال رسول الله : من قرأ سورة الواقعة كتب الله له من الغافلين .

و روي أن عثمان بن عفّان دخل على عبد الله بن مسعود يعوده في مرضه الذي مات فيه فقال : ما تشمتكي قال : ذنوبي قال : ما تشهّي قال : رحمة ربي قال : أفلاتدعو الطبيب ؟ قال : الطبيب أمرضني قال : أفلا تأمر بعطائك ؟ قال : منعتميه و أنا محتاج إليه و تعظنيه و أنا مستغن عنه ؟ قال : يكون لبناتك قال : لاحتاجة لهنّ فيه فقد أمرتهنّ أن يقرأن سورة الواقعة فانّي سمعت رسول الله يقول : من قرأ سورة الواقعة كلّ ليلة لم تصبه فاقة أبداً .

و روى العياشيّ بالإسناد عن زيد الشحام عن الباقر عليه السلام قال : من قرأ الواقعة قبل أن ينام لقي الله ووجهه كالقمر ليلة البدر .
 عن أبي بصير عن الصادق عليه السلام قال : من قرأ الواقعة في كلّ ليلة الجمعة أحبّه الله وحبّبه إلى الناس ولم ير في الدنيا بوساً أبداً و لا فقراً و لا آفة من آفات الدنيا و كان من رفقاء أمير المؤمنين عليه السلام . تمام الخبر .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إذا وقعت الواقعة (١) ليس لوقعتها كاذبة (٢) خافضة رافعة (٣) إذا رحبت الأرض رجاً (٤) وبست الجبال بساً (٥) فكانت هباءً منبثاً (٦) وكنتم أزواجاً ثلاثة (٧) فأصحاب الميمين ما أصحاب الميمين (٨) و أصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة (٩) والسابقون السابقون (١٠) أولئك المقربون (١١) في جنات النعيم (١٢) ثلثة من الأولين (١٣) وقليل من الآخرين (١٤) على سرر موضونة (١٥) متكئين عليها متقابلين (١٦) .

الظرف منصوب بفعل محذوف تقديره اذ كروا حين وقوع الحادثة والقيامة وهي الصحيحة عند النفخة الأخيرة يكون من الأحوال ما لا يفي به المقال سماها واقعة مع أن دلالة اسم الفاعل على الحال لتحقق وقوعها .

[إذا وقعت الواقعة] الهائلة [ليس لوقعتها كاذبة] يكنى عن الحرب بالوقعة وكل أمر شديد يعبر عنه بذلك قيل : سميت القيامة بالواقعة لصونها أي لا يكون عند وقوعها نفس تكذب على الله ويفتري بالشريك والولد والإنكار للقيامة إذ ليس لمجيئها كذب ويقع صدقاً إذ كل نفس حينئذ مؤمنة صادقة وقيل : كاذبة مصدر كالعاقبة بمعنى التكذيب .

[خافضة] أي القيامة خافضة لأقوام [رافعة] لآخرين وهو تقرير لعظمة ذلك اليوم فإن الوقائع العظام يرتفع فيها أناس إلى مراتب ويتضع أناس وتقدم الخفض على الرفع للتشديد في التهويل وإن القيامة يخفض أقواماً كانوا مرتفعين في الدنيا ويرفع أقواماً كانوا متضعين فيها بسبب تقواهم لأن جماعة يؤتي بهم بالذلة والأغلال والسلاسل وجماعة بالمراكب والحلي والحلل .

[إذا رحبت الأرض رجاً] الرج تحريك الشيء واضطرابه أي يحصل الخفض

والرفع إذا حرّكت الأرض تحريكاً شديداً بحيث يهدم ما كان عليها من جبل وبناء ولا تسكن زلزلتها حتى تلقى جميع ما في بطنها على ظهرها .

[و بسّت الجبال بسّاً] أي فتتت حتى صارت كالسويق الملتوت من بسّ السويق إذا التته والمعنى مأخوذ من بسّ الغنم إذا أُسيقت من أمانها .

[فكانت] أي فصارت بسبب ذلك [هباءً] غباراً والغبار ما يسطع من سنايا الخيل والذي يرى من شعاع الكوّة وما ذرته الريح من الأوزان [منبثّاً] منشراً متفرقاً وفي التفسير إن الله يبعث ريحاً من تحت الجنة فتحمل الأرض والجبال وتضرب بعضها ببعض ولا يزال كذلك حتى تصير غباراً ويسقط ذلك الغبار على وجوه الكفار وذلك قوله تعالى : « وجوه يومئذ عليها غبرة » .

[و كنتم أزواجاً] والخطاب للأمة الحاضرة و الأمم السالفة لكن للحاضرة وقع

الخطاب تغليباً « أزواجاً » أي أصنافاً [ثلاثة] صنفان في الجنة وواحد في النار .

[فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة] تقسيم

للأزواج الثلاثة « فأصحاب الميمنة » مبتدئ و خبر ما أصحاب الميمنة على أن ماء

الاستفهامية مبتدئ ثان وما بعده خبره أي شيء هم في حالهم والمراد تعجب السامع

من شأن الفريقين في الفخامة والعظمة نحو زيد وأي زيد فهم أهل المنزلة السيئة و

أصحاب المشأمة هم أصحاب المنزلة الدنيئة أخذنا من التيامن باليامن وتشؤمهم بالشمائل

كما يقول : فلان منسي باليمين والشمال إذا أوصفته بالرفعة والضعفة أو الذين يؤتون

صحائفهم بأيمانهم والذين يؤتون صحائفهم بشمائلهم أو الذين يكونون يوم القيامة

على يمين العرش فيأخذون طريق الجنة والذين يكونون على شمال العرش فيجيء بهم

إلى النار .

[والسابقون السابقون] هم القسم الثالث من الأزواج الثلاثة وأصل السبق التقدم

في السير ثم تجوز به في غيره من التقدم والجملة مبتدأ وخبر مثل قوله : « أنا أبو النجم

وشعري شعري » أو السابقون الأوّل مبتدأ والثاني تأكيد له كرّر تعظيماً لهم و

الخبر جملة « أولئك المقربون » وقيل : التقدير السابقون ما السابقون فحذف « ما » لدلالة

ما قبله عليه والمراد بالسيف الذين سبقوا إلى الايمان والطاعة من غير توان وحازوا الكمالات الدينية والفضائل اليقينية .

[أولئك] الموصوفون بذلك النعت الجليل [المقرَّبون] درجاتهم وعلت مراتبهم ورفعت إلى حظائر القدس نفوسهم [في جنّات النعيم] أي كائنين في جنّات النعيم متعلق بالمقرَّبون .

وقد قيل في السابقين : المراد السابقين إلى الايمان أو الهجرة وقيل : إلى الصلوات الخمس عن عليّ عليه السلام وقيل : إلى الجهاد وقيل : إلى التوبة وأعمال البرّ وإلى كلّ ما دعا الله إليه وعن أبي جعفر عليه السلام قال : السابقون أربعة ابن آدم المقتول و سابق في أمة موسى وهو جزيل مؤمن آل فرعون وسابق أمة عيسى وهو حبيب النجار صاحب أنطاكية والسابق في أمة محمد عليّ بن أبي طالب وقال كعب : هم أهل القرآن المتوجّون يوم القيامة فإنّهم كادوا أن يكونوا أنبياء إلا أنّهم لا يوحى إليهم والمراد بأهل القرآن الملازمون لقراءته والعاملون به وقيل : الناس ثلاثة : فرجل ابتكر الخير في حداثة سنّته ثمّ داوم عليه حتّى خرج من الدنيا فهو السابق المقرَّب ، ورجل ابتكر عمره بالذنب طول الغفلة ثمّ تراجع بتوبة فهذا صاحب اليمين ورجل ابتكر شرّاً في حداثة سنّته ثمّ لم يزل عليه حتّى خرج من الدنيا فهذا صاحب الشمال .

[ثلثة من الأوّلين] أي هم جماعة كثيرة العدد من الأوّلين من الأمم الماضية [وقليل من الآخرين] من أمة محمّد لأنّ من سبق إلى إجابة نبينا قليل بالإضافة إلى من سبق إلى إجابة الأنبياء قبله ولا يخالفه قوله والله أعلم : إنّ أمتي يكثرون سائر الأمم أي يغلبونهم فإنّ أكثرية سابقي الأمم السالفة من سابقي هذه الأمة لا تمنع أكثرية تابعي هؤلاء من تابعي أولئك مثل أن يكون سابقو أمة السابقه ألفين و تابعوهم ألف المجموع ثلاثة آلاف و يكون سابقو هذه الأمة ألفاً و تابعوهم ثلاثة آلاف فالمجموع أربعة آلاف فرضاً وهذا المجموع أكثر من من المجموع الأوّل و في الحديث أنا أكثر الناس تبعاً يوم القيامة .

[على سرر موضونة] حال أخرى من المقرَّبين والسرر جمع سرير ، المشبكة

بالدرّ والياقوت المنسوجة المتواصلة من الوضن وهو نسج الدرع واستعير لكلّ نسج محكم .

[متّكئين عليها متقابلين] أي مستقرّين على سرر متّكئين عليها وقاعدین قعود الملك متقابلين لا ينظر بعضهم من أقباء بعض وهو وصف لهم بحسن العشرة و تهذيب الأخلاق والآداب .

يطوف عليهم ولدان مخلدون (١٧) باكواب و اباريق و كاس من معين (١٨) لا يصدعون عنها و لا ينزفون (١٩) و فاكهة مما يتخيرون (٢٠) و لحم طير مما يشتهون (٢١) و حور عين (٢٢) كما مثال اللؤلؤ المكنون (٢٣) جزاء بما كانوا يعملون (٢٤) لا يسمعون فيها لغوا و لاتا ئيما (٢٥) الا قبيلا سلاما سلاما (٢٦) .

[يطوف عليهم] أي يدو رحولهم للخدمة حال الشرب و غيره [ولدان] جمع وليد و خدمة الوليد أمتع من خدمة الكبير [مخلدون] أي مبقون أبدأ على شكل الولدان و طراوتهم لأنهم خلقوا للبقاء لا للفناء قيل في الأسئلة المفخمة : هؤلاء هل يدخلون تحت قوله تعالى : « كل نفس ذائقة الموت »^(١) ؟ فالجواب أنّهم لا يموتون فيها بل يلقي بين النفختين نوم و قيل : هم أولاد أهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابون عليها ولا سيئات فيعاقبون : ليها و قيل : أولاد الكفار خدام أهل الجنة ، و قيل في معنى « مخلدون » : مقرطون و الخلد القلادة و السوار و القرط لأنهم في حدّ الوصافة .

[بأكواب] من الذهب و الجواهر لاعرى لها و لاخراطيم الواسعة الرأس و لايعوق الشارب منها عائق عن شرب من أيّ موضع أراد منها [وأباريق] جمع إبريق وهو الذي له عروة و خرطوم و قيل : هي عجميّة معرّبة آبريز أو الكوب للماء و الإبريق للغسل و الكأس للشرب من الخمر .

[وكأس من معين] من خمر جارية من العيون و الكأس القدح إذا كان فيها شراب و إلا فهو قدح و معنى الماء إذا جرى فهو فعيل بمعنى فاعل أو المعنى ظاهرة تراها العيون في الأنهار فيكون بمعنى المفعول من المعاينة من عانه إذا شخصه و أفراد الكأس و جمع

الأكواب والأباريق لأنّ العادة جرت على تعدّد الأواني والشرب يكون بكأس واحدة [لا يصدّعون عنها] الصدع شقّ في الأجسام الصلبة كالزجاج والحديد ومنه الصداع وهو الانشقاق في الرأس من الوجع أي لا ينالهم بسبب شوبها صداع كما ينالهم ذلك من خمر الدنيا [ولا ينزفون] أي لا يسكرون ولا تذهب عقولهم أو المراد لا ينفد شرايهم فالنفاد إمّا للعقل أو للشراب .

[وفاكهة مما يتخيرون] يأخذون خيره وأفضله من ألوانها وهو عطف على قوله : « بأكواب » أي يطوف عليهم ولدان بفاكهة ثمّ ذكر اللحم الذي هو سيّد الإدام .

[ولحم طير مما يشتهون] أي يتناولون من لحوم الطير مشويّاً أو مطبوخاً بما يشتهون منها على حسب ميلهم وإرادتهم لا أنّهم مضطرونّ وكارهون بل مشتهون .
[و حور عين] عطف على ولدان أو مبتدأ محذوف الخبر أي ولهم حور عين و حور جمع حوراء وهي الشديدة بياض العين والشديدة سوادها وعين جمع عيناء وهي الواسعة الحدقة الحسننة [كأمثال اللؤلؤ المكنون] صفة لحور ، مثل الدرّ المصون في الصدف لم تمسه الأيدي .

[جزاء بما كانوا يعملون] مفعول له أي يفعل بهم ذلك جزاء بأعمالهم في الدنيا و يروى أنّ عقد ياقوتها يضحك في نحرها و في رجليها نعلان شراكهما من لؤلؤ تصوّتان بالتسبيح على كلّ حوراء سبعون حلّة ليست منها حلّة على لون الأخرى وسبعون لوناً من الطيب ليس منها لون على لون الآخر لكلّ امرأة سبعون سريراً من ياقوت أحمر منسوجة بالدرّ على كلّ سرير سبعون فراشاً بطائنها من إستبرق و فوق السبعين فراشاً سبعون أريكة لكلّ امرأة منهنّ سبعون وصيفة بيد كلّ وصيفة صفحتان من ذهب فيها لون من طعام يجد لا آخر لقمة منه لذّة لا يجدها لأولها ويعطي أزواجها مثل ذلك على سرير من ياقوت أحمر عليه سوارات من ذهب موشح بالجواهر .

[لا يسمعون فيها لغواً] أي باطلاً واللغو السقط من الكلام وما لا يعتدّ به وما يرد من الكلام لا عن رويّة وفكر واللغاصوت العصافير ونحوها من الطيور [ولا تأثيماً] أي لا

يقال لهم : أئتمتم والإثم اسم للأفعال البعيدة عن الثواب .
 [إلاً قِيلاً سلاماً سلاماً] والاستثناء منقطع أي لكنهم يسمعون فيها قولاً سلاماً
 سلاماً أي سماعهم السلام فيسلمون سلاماً بعد سلام ولا يسمع كل من المسلم والمسلم
 عليه إلا سلام الآخر بدءاً ورداً المشتغل على السلامة من الزوال والنقائص .
 سلام من الرحمن نحو جنبه * فإن سلامي لا يليق ببابه

وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين (٢٧) في صدر مخضود (٢٨) وطلح منضود
 (٢٩) وظل ممدود (٣٠) و ماء مسكوب (٣١) و فاكهة كثيرة (٣٢) لامقطوعة
 ولاممنوعة (٣٣) وفرش مرفوعة (٣٤) انا انشأناهن انشاء (٣٥) فجعلناهن ابارا (٣٦)
 عربا اترابا (٣٧) لأصحاب اليمين (٣٨) ثلثة من الاولين (٣٩) وثلثة من الاخرين (٤٠).
 شروع في تفصيل ما أجمل في التقسيم بعد بيان شؤون السابقين فقال :

[وأصحاب اليمين] مبتدئه وخبره جملة قوله : [ما أصحاب اليمين] أي لاتدري
 مالهم من الخير بسبب كوامل محاسنهم [في سدر] أي هم في سدر [مخضود] غير ذي
 شوك ليس كسدر الدنيا كأنه خضد و نزع عنه شوكه أو المعنى تثني أغصانه لكثرة
 حمله من حصد الغصن إذا نساها والسدر شجر النبق ثمر معروف عند العرب محبوب و
 يستظل به فجعل ذلك مثلاً بظل أهل الدنيا ونعيمها .

[وطلح منضود] قد نضد حمله وتراكب بعضه على بعض من أسفله إلى أعلاه ليست
 له سوق بارزة وهو شجر الموز وهو شجرله أوراق كبار وظل بارد وقيل : هو أم غيلان
 له أنوار كثيرة منتظمة طيبة الرائحة تقصد العرب منه النزهة وإن كان لا يؤكل منه شيء
 قال مجاهد : كان لأهل الطائف واد معجب فيه الطلح والسدر وقالوا : يا ليت لنا في الجنة
 مثل هذا الوادي ! فنزلت هذه الآية .

[و ظل ممدود] ممتد لا ينقص ولا يتفاوت مثل ما بين الطلوعين و في الحديث : في
 الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام ولا يقطعها ويمكن أن يراد من معنى الظل
 الحفظ يقول : فلان في ظل فلان أي كنفه وحفظه ويمكن أن يكون المراد من الظل
 الراحة كما في قوله تعالى : « و ندخلهم ظلاً ظليلاً ^(١) » لأنه إنما يجلس المرء في

الظلّ للاستراحة .

[وماء مسكوب] أي يصبّ أينما شاءوا وكيفما أرادوا بلا تعب ومسكوب سائل تجري على الأرض من غيراً خدود .

[وفاكهة كثيرة] بحسب الأنواع والأجناس [لا مقطوعة] في وقت من الأوقات كفواكه الدنيا [ولا ممنوعة] عن تناولها بوجه من الوجوه من العبد والشوك أوحائط يمنع عن التناوش .

[وفرش مرفوعة] أي رفيعة القدر أو مرتفعة وارتفاعها كما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام أو مرفوعة على الأسرة وقيل : الكناية عن النساء رفعت عن نساء الدنيا جمالاً وشأناً في الحديث الولد للفراش وحينئذ ارتفاعها كونهنّ على الأرائك بقرينة قوله : [إنا أنشأناهنّ] إنشاء [وعلى المعنى الأول لدلالة ذكر الفرش التي هي المضاجع عليهنّ والمعنى ابتدأنا خلقهنّ ابتداءً من غير ولادة و في الحديث هنّ اللواتي قبضن في الدنيا عجائز شمطاً رمصاً شميظاً جمع شمطاء والشمط بياض شعر الرأس يخالطه سواد ورمص جمع رمصاء والرمص بالتحريك و سخ يجتمع في المطوق جعلهنّ الله بعد الكبر أتراباً على ميلاد واحد كلّما أتاهاهنّ أزواجهنّ وجدوهنّ أبكاراً فلما سمعت عايشة ذلك فقالت : وا وجعاه فقال وَاللَّهِ لَعَلَّيْ : ليس هناك وجع .

[فجعلناهنّ أبكاراً] بعد أن كنّ عجائز أبكاراً أي عذارى ، جمع بكر والمصدر البكرة بالفتح والبكرة أول النهار لتقدّمها علي سائر أوقات النهار وسميت التي لم تفتض بكاراً اعتباراً بالشيب لتقدّمها عليها .

[عرباً أتراباً] جمع عروب كرسل جمع رسول أي تميّن محبستها لزوجها بشكل و غنج وحسن تعرّبه بمحبة زوجها وقيل : كلامهم عربيّ أتراباً جمع تربأي مستويات في السنّ واللذة في سنّ ثلاث وثلاثين سنة و كذا أزواجهنّ والقامة ستون ذراعاً في سبعة أذرع على قامة أبيهم آدم و في الحديث إنّ الرجل ليقضّ في الغداة سبعين عذراء ثمّ ينشئنّ الله أبكاراً قال وَاللَّهِ لَعَلَّيْ : إنّ الرجل من أهل الجنة ليتزوج خمسمائة حوراء وأربعة آلاف ثيب وثمانية آلاف بكر يعانق كلّ واحدة منهنّ مقدار عمره في الدنيا وأدنى

أهل الجنة الذي له ثمانون ألف خادم واثنان وسبعون زوجة وينصب له قبة من الجواهر كما بين الجابية إلى صنعا ، والجابية بلد بالشام .

[لأصحاب اليمين] متعلق بأنشأنا [ثلثة من الأولين وثلثة من الآخرين] أي هم أمة من الأولين وأمة من الآخرين وقيل : المراد من الثلثين أمة محمد ﷺ وعلى هذا القول الثلاثة الأولى المقدمون في التقوى والتابعون بإحسان و من يجري مجراهم وأما الذين أنزل منهم في العمل فهم الثلاثة الأخيرين روي أنه ﷺ قال : إني لا أرجو أن يكونوا شطر أهل الجنة ثم تلا : « ثلثة من الأولين وثلثة من الآخرين » قال الحسن البصري : رأيت سبعين بدرية كانوا فيما أحل الله لهم أزهد منكم فيما حرم الله عليكم و كانوا بالبلاء أشد منكم فرحاً بالرخاء لو رأيتموهم قلتهم : مجانين ولورأوا خياركم قالوا : مالهؤلاء من خلاق ولورأوا أشراركم حكموا بأنهم لا يؤمنون بيوم الحساب إن عرض عليهم الحلال من المال تركوه خوفاً من فسادهم قلوبهم انتهى .

و أصحاب الشمال ما أصحاب الشمال (٤١) في سموم و حميم (٤٢) و ظل من يحموم (٤٣) لا بارد ولا كريم (٤٤) انهم كانوا قبل ذلك مترفين (٤٥) وكانوا يصرون على الحنث العظيم (٤٦) وكانوا يقولون أنذا متنا و كما ترابا و عظاما انا لمبعوثون (٤٧) او آباؤنا الاولون (٤٨) قل ان الاولين و الآخرين (٤٩) لمجموعون الى ميقات يوم معلوم (٥٠) ثم انكم ايها الضالون المكذبون (٥١) لاكلون من شجر من قوم (٥٢) فما آتون منها البطون (٥٣) فشاربون عليه من الحميم (٥٤) فشاربون شرب الهيم (٥٥) هذا نزلهم يوم الدين (٥٦) .

[و أصحاب الشمال] شروع في تفصيل أحوالهم وهم الكفار لقوله تعالى : « و الذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة عليهم نار مؤصدة » [ما أصحاب الشمال] أي لاتدري مالهم من شدة الحال يوم القيامة .

[في سموم و حميم] أي هم في حر نار ينفذ في المسام و ثقوب البدن و السموم الريح الحارة يكون غالباً في النهار و الحرور الريح الحارة يكون بالليل و الحميم الماء المتناهي في الحرارة و الفور .

قوله : [وظل من يحموم] من دخان أسود بهيم يقول العرب أسود يحموم إذا كان

شديد السواد [لابارد] كسائر الظلال [ولا كريم] ولا نافع من أذى الحر لمن يأوي إليه نفى بذلك ما أوهم الظل من الاسترواح ، وفي الآية تهكم بأصحاب المشأمة أنهم لا يستأهلون للظل البارد .

[إنهم كانوا قبل ذلك مترفين] تليل لابتلائهم ، ترف أي تنعم ، وأترفته النعمة أطغته أي إنهم كانوا قبل ذلك مما ذكر من سوء العذاب شغلوا أنفسهم بالنعم وتركوا الواجبات طلباً لراحة أبدانهم منهمكين في الشهوات .

[و كانوا يصرون على الحنث العظيم] أي الذنب العظيم الذي هو الشرك ومنه بلغ الغلام الحنث أي وقت المأخذة بالذنب وحنث في يمينه خلاف بر فيها وقيل : الحنث هنا الكذب لأنهم كانوا مع شركهم يحلفون بالله لا يبعث الله من يموت .

[و كانوا يقولون] لغاية جهلهم وعتوهم : [أنذا متنا وكناتراباً وعظماً] بعد الموت وكان أعضاءنا من اللحم والجلد تراباً وبعضها عظماً وتقديم التراب على العظام للاستبعاد [أننا لمبعوثون] أي لا يكون البعث لنا [أو آباؤنا الأولون] الواو للعطف على الضمير في مبعوثون و مرجع المعنى أننا وآباءنا لا نبعث بعد تلك الحالة .

[قل] يا محمد ردأ لهم : [إن الأولين والآخرين] من الأمم الذين من جملتهم أنتم وآباؤكم [لمجموعون] بعد الموت [إلى ميقات يوم معلوم] والتعدية بإلى ضمن فيه معنى السوق معلوم عند الله وقته والإضافة بمعنى من كخاتم فضة و الميقات هو الوقت المضروب للشيء ينتهي عنده أو يتبدء منه والميقات قد يستعار للمكان ومنه مواقيت الإحرام للحدود المعينة .

[ثم إنكم] و ثم للتراخي زماناً أو رتبة الخطاب لأهل مكة وأمثالهم [أيها الضالون] عن الهداية والصواب [المكذَّبون] بآيات الله والبعث [لآكلون] بعد الجمع والبعث [من شجر من زقوم] من الأواى لابتداء الغاية والثانية بيانية أي مبتدئون الأكل من شجر هو الزقوم تخرج من فعر جهنم .

[فما لئون منها البطون] أي تملئون بطونكم منها من شدة الجوع أو بالقسر ولا يكتفي منكم بالأكل بل لابد وملزمون بأن تملؤوا منها بطونكم .

[فشاربون عليه] أي على أكل الزقوم وعقبيه بلارث لعطشكم الغالب [من الحميم * فشاربون شرب الهيم] الماء الحارّ الشديد في الحرارة ولا يكون شربكم شرباً معتاداً بل مثل الإبل التي بها الهيام وهو داء يصيبها يشبه الاستسقاء فتشرب ولا تروي حتى أن تموت .

[هذا نزلهم يوم الدين] أي الذي ذكر من الزقوم و الحميم رزقهم المعد لهم كالنزل الذي يعدّ للضيف تكريمة له [يوم الدين] أي يوم الجزاء .

نحن خلقناكم فلولا تصدقون (٥٧) أفرايتم ما تمنون (٥٨) انتم تخلقونه ام نحن الخالقون (٥٩) نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين (٦٠) على ان نبدل امثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون (٦١) و لقد علمتم ان نشأة الاولى فلولا لا تذكرون (٦٢) أفرايتم ما تحرثون (٦٣) انتم تزرعونها ام نحن الزارعون (٦٤) لو نشاء لجعلنا حطاماً فظلمتم تفكّهون (٦٥) انا لمغرمون (٦٦) بل نحن محرمون (٦٧) أفرايتم الماء الذي تشربون (٦٨) انتم انزلتموه من المزن ام نحن المنزلون (٦٩) او نشاء جعلناه اجاجاً فلولا تشكرون (٧٠) أفرايتم النار التي تورون (٧١) انتم انشأتم شجرتها ام نحن المنشئون (٧٢) نحن جعلناها تذكرة و متاعاً للمقوين (٧٣) فسبح باسم ربك العظيم (٧٤) .

[نحن خلقناكم] فهلاً تصدقون على الإعادة فإن من قدر على الإبداء قدر على الإعادة واعلم أن الله تعالى إذا أخبر عن نفسه بلفظ الجمع يشير به إلى ذاته وصفاته وأسمائه كما قال : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ^(١) » ، وإذا أخبر عن نفسه بلفظ المفرد يشير به إلى ذاته المطلقة كما قال : « إني أنا الله رب العالمين ^(٢) » ، هذا إذا كان المخبر هو الله و أمّا إذا كان العبد فينبغي أن يقول : أنت يارب لا أنتم لا يهام الشرك المنافي لتوحيد القائل ولذا يقال : أشهد أن لا إله إلا الله ليدل على شهادته بخصوصه .

[أفرايتم ما تمنون] أي أخبروني ما تقذفونه في أرحام النساء من النطف و ما تمنون مفعول الأول يقال : أمنى الرجل يمني و منيت الشيء إذا قضيته و سمّي المنى منياً لأن الخلق منه يقضي .

(١) يوسف : ١٢ و ٦٣ .

(٢) القصص : ٣٠ .

[أ أنتم تخلقونه] أي تقدرونه و تصورونه بشراً وهذه الجملة الاستفهامية مفعول ثانٍ [أم نحن الخالقون] له من غير دخل شيء فيه و أم قيل : منقطعة لأن ما بعدها جملة و المعنى بل نحن الخالقون و الاستفهام للتقرير و قيل : متصلة و مجيء الخالقون بعد نحن بطريق التأكيد لا بطريق الخبرية .

[نحن قدرنا بينكم الموت] وقتنا موت كل أحد بوقت معين حسبما تقتضيه الحكمة [و ما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم] أي لا يغلبنا أحد على أن نذهبكم و نأتي مكانكم بأشباهكم من الخلق و قادرين على ذلك .

[و ننشئكم فيما لا تعلمون] من الخلق و الأطوار و لنسا عاجزين عن خلق أمثالكم بدلاً منكم أو تغيير صوركم إلى غير ها كما فعلنا بمن قبلكم من القردة و الخنازير كاليهود و الآية تشعر إلى الوعيد و إنشائهم من خلق لا يعلمونها من الألوان و الأشكال و في الحديث إن أهل الجنة جرد مرد و إن الجهنمي ضرسته مثل أحد ، أما تخاف أن يجعلك من القردة و الخنازير و أنت تقرأ كل صباح و مساء في ذم اليهود بقوله تعالى : « يجر فون الكلم من بعد مواضعه » تعني بذلك ما غيروا حكم الله في الزنا من الرجم إلى أربعين جلدة و كذا غيروا حكم القود من القتل إلى الدية حتى كثر القتل فيهم ؟ و أنت يا شر اليهود غيرت أحكاماً فاستعدّ جواباً .

[و لقد علمتم النشأة] أي الخلقة [الأولى] هي خلقتهم من نطفة ثم من علقة أو فطرة آدم من التراب [فلو لا تذكرون] فهلاً تتذكرون أن من قدر عليها قدر على غيرها فإنها أقل صنفاً لحصول المواد و سبق المثل .

[أفأرأيتم ما تحرثون] أخبر وني ما تبذرونه من الحب و تعملون في الأرض بالسقي و نحوه و الحرث إلقاء البذر في الأرض [أنتم تزرعونها] و تردونه نباتاً يربو و ينمو [أم نحن الزارعون] المنبثون لأنتم ، و الزرع الإنبات و ذلك بالأمر الإلهية دون البشرية و لذا نسب الحرث إليهم و نفى عنهم الزرع و نسبه إلى نفسه ، و في الحديث : لا يقولن أحدكم : زرعت و ليقبل : حرثت فإن الزارع هو الله .

[لو نشاء] لوللماضي و إن دخل على المضارع و لذا لا يجزمه فهو شرط غير جازم

أي لو أردنا [لجعلناه] أي الزرع بمعنى المزروع [حطاماً] الحطم كسر الشيء مثل الهشم و يستعمل في كل كسر متناه المعنى يابساً متكسراً متفتتاً بعدما أبتناه .
 [فظلمتم] أي فصرتم بسبب ذلك [تفكّهون] أي تتعجبون من سوء حاله أثر ما شاهدتموه على أحسن ما يكون و تندمون علي ما فعلتم فيه و أنفقتم عليه أو تندمون على ما أصبتم لأجله من المعاصي فتحدثون فيه و التفكّه التنقل بصنوف الفاكهة و يستعار للتنقل بالحديث و قريء تفكّنون بالنون و التفكّن التعجّب و التندّم [إننا لمغرمون] حال من فاعل تفكّهون أي قائلين : إننا ملزمون بغرامة ما أنفقنا أو المعنى إننا مهلكون بهلاك رزقنا [بل نحن محرومون] لاجدّ و لانصيب لنا و حرمان رزقنا ولو كنّا مجدودين لما فسد علينا هذا .

روي عن أنس بن مالك قال : مرّ رسول الله بأرض الأنصار فقال : ما يمنعكم من الحرث ؟ قالوا : الجدوبة قال : أفلا تعقلون فإن الله يقول : أنا الزارع إن شئت زرعت بالماء و إن شئت زرعت بالريح و إن شئت زرعت بالبذر ثم تلا وَاللَّهُ يَسْتَلِمْ أفرايتم ما تحرثون الآية .
 و في الحديث إشارة إلى أن الله هو الذي يعطي و يمنع بأسباب و غيرها فالتوحيد هو أن يعتقد أن التأثير من الله لا من غيره كالكوكب و في الحديث ما سنة بأمطر من أخرى و لكن إذا عمل قوم بالمعاصي حوّل الله ذلك إلى غيرهم فإذا عصوا جميعاً صرف الله ذلك إلى الفيافي ^(١) و البحار .

[أفرايتم الماء الذي تشربون] أخبروني الماء الذي تشربون عذباً فراتاً [ما أنتم أنزلتموه من المزن] السحاب إذا السحاب الأبيض و ماؤه أعذب [أم نحن المنزلون] له بقدرتنا .

[لو نشاء جعلناه أجاجاً] ملحاً زعافاً لا يمكن شربه و حذف اللام هينامع إثباتها في الشرطيّة الأولى لتقدّم أمر المطعوم على المشروب و الوعيد يفقد المطعوم أصعب من من الوعيد بالمشروب فإن المشروب إنما يحتاج إليه تبعاً للمطعوم [فلو لا تشكرون] فهلاً تشكرون بتوحيد منعه و إطاعة أمره ؟

و عن ابن عباس إنَّ تحت العرش بجرأ تنزل منه أرزاق الحيوانات يوحي الله إليه فيمطر ماشاء من سماء إلى سماء حتى ينتهي إلى سماء الدنيا و يوحي إلى سماء الدنيا أن غر بليه فتغربه فليس من قطرة تقطر إلا و معها ملك يضعها موضعها و لاتنزل قطرة إلا بكيل معلوم إلا ماكان من يوم الطوفان فإنه نزل بغير كيل ووزن وكان صلى الله عليه وآله يكشف رأسه عند عند نزول المطر ويقول : حديث عهد بربّه .

[أفرأيتم النار التي تورون] أي أخبروني النار التي تخرجونها بسبب قدح الزناد أو بسبب قدح آخر و تشعلونها و العرب تقدح بعودين تحك أحدهما على الآخر يسمون الأ على الزند و الأسفل الزندة شبهوهما بالفحل و الطروقة [ءأنتم أنشأتم شجرتها] التي منها الزناد و هي المرخ و العفار [أم نحن المذنبون] لها بقدرتنا .

[نحن جعلناها تذكرة] استيناف لبيان منافعها أي جعلنا نار الزناد تبصرة في أمر البعث فإنَّ أمر البعث ليس أبداع من إخراج النار من الشجر الرطب و هو حجة على منكري عذاب القبر حيث تضمن النار ما لا يحرق ظاهره لكنَّ النار حاصله و مؤثره لكنَّ الأثر غير بين أو المعنى أن هذه تذكرة لما أوعدوا به من نار جهنم لينظروا إليها و يتذكروا [و متاعاً للمقوين] أي بلغة و منفعة للمسافرين و الذين ينزلون القواء بالفتح و هو القفر الخالي من العمارة و تخصيصهم بذلك لأنهم أحوج إليها لأن المقيمين في العمارة ليسوا بمضطربين إلى الاقتداح و عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله : إن أدنى أهل النار عذاباً الذي يجعل له نعلان يغلي منهما دماغه في رأسه .

[فسبح باسم ربك العظيم] أي أحدث التنزيه لربك و نزّهه عما لا يليق به و قيل : معناه قل : سبحان ربّي العظيم فقد صحّ عن النبي صلى الله عليه وآله أنه لما نزلت هذه الآية قال : اجعلوا هذا الذكر في ركوعكم و الباء للاستعانة و قيل : المراد هنا تلاوة القرآن و شرف عبده بأن أمرهم بالتسبيح ليظهروا أنفسهم بتسبيحه تعالى .

فلا أقسم بمواقع النجوم (٧٥) .

أي فأقسم و لامزيدة للتأكيد و تقوية الكلام كقوله : « لئلا يعلم أهل الكتاب » و يجوز أن يكون ردّاً لما يقوله الكفار في القرآن من أنه سحر و شعر و كهانة ثم

استأنف القسم ، و مواقع النجوم قيل : مطالعها ومساقطها وقيل : انكدارها و انتشارها يوم القيامة و قيل : هي الأنواء التي كان أهل الجاهلية إذا أمطروا قالوا : أمطرتنا بنوء كذا قال الباقر والصادق عليهما السلام : إن مواقع النجوم رجومها للشياطين و كان المشركون يقسمون بها فحينئذ «لا» نافية فقال سبحانه : فلا أقسم بها . قرىء بموقع ، أي عظم أمر من يحلف بها .

في الفقيه عن الصادق عليه السلام المراد به اليمين بالبراءة من الأئمة عليهم السلام يحلف بها الرجل إن ذلك عند الله عظيم وقيل : المعنى أقسم بنزول القرآن فإنه نزل نجماً نجماً متفرقاً عن ابن عباس .

و انه لقسم لو تعلمون عظيم (٧٦) انه لقرآن كريم (٧٧) في كتاب مكنون (٧٨) لا يمسه الا المطهرون (٧٩) تنزيل من رب العالمين (٨٠) افبهذا الحديث انتم مدهنون (٨١) و تجعلون رزقكم انكم تكذبون (٨٢) فلولا اذا بلغت الحلقوم (٨٣) وانتم حينئذ تنظرون (٨٤) ونحن اقرب اليه منكم و لكن لا تبصرون (٨٥) فلولا ان كنتم غير مدينين (٨٦) ترجعونها ان كنتم صادقين (٨٧) .

[و إنه] أي القسم المذكور [لقسم] لوعلمتم بمبوجه لعظمتوه و جواب القسم قوله : [إنه لقرآن كريم] وهذه الجملة و هو قوله : « و إنه لقسم » اعتراض بين القسم و جوابه أي الكتاب الكريم كثير النفع في صلاح المعاش و المعاد أو كريم عند الله و دال على مكارم الأخلاق و شرائف الأفعال أو كريم بسبب نزوله من عند كريم إلى أكرم الخلق .

[في كتاب مكنون] و مصون عن غير المقر بين إذ لا يطلع عليه من سواهم لأنه مستنسخ في اللوح المحفوظ [لا يمسه إلا المطهرون] إما صفة أخرى للكتاب فحينئذ المراد بالمطهرين الملائكة المنزهون عن أضرار الأوزار أو صفة للقرآن فيكون نفيًا بمعنى النهي أي لا ينبغي أن يمسه إلا من كان على طهارة من الأذناس كالحدث و الجنابة و النفي بمعنى النهي مثل قوله عليه السلام : المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه أي لا ينبغي له أن يظلمه أو يسلمه إلى من يظلمه و قيل : (والقائل و القول كلاهما ضعيفان وهو مجاز

ابن فضيل من العامة قال : (المراد من الطهارة ههنا التوحيد يعني إن غير الموحد لا يجوز أن يمسه .

[تنزيل من رب العالمين] صفة أخرى للقرآن مصدر بمعنى المفعول أي منزل مثل الخلق بمعنى المخلوق .

[أفبهذا الحديث] الذي ذكرت صفاته و هو القرآن [أنتم] يا أهل مكة [تدهنون] أي مكذبون أو أي متهاونون به و الإدهان عبارة عن المداراة والملاينة وترك الحد و الاستحغار و في الآية دلالة على حدوث القرآن .

[و تجعلون رزقكم أنكم تكذبون] قال ابن عباس : أصاب الناس عطش في بعض أسفاره ﷺ فدعافسوا ، فسمع رجلا يقول : مطرنا بنوء كذا فنزلت الآية و قيل : المعنى تجعلون حظكم من القرآن و شكر رزقكم الذي رزقكم بالكذب بالقرآن وكان رسول الله ﷺ يقول : لو حبس الله القطر عن أمّتي عشر سنين ثم أنزل لأصبحت طائفة تقول : سقينا بنوء كذا . قال ﷺ أخوف ما أخاف على أمّتي حيف الأئمة و التكذيب بالقدر و الإيمان بالنجوم .

و في الحديث ثلاث من أمر الجاهليّة : الطعن في الأنساب و النياحة و الأنواء فالطعن معروف و النياحة البكاء على الميت مع تعديد محاسنه و الأنواء جمع نوء المنازل الثماني والعشرون للقمر . والعرب كانت تعتقد أن الأمطار و الخير من الأنواء و آثارها و الصحيح أن الأنواء النجوم التي يسقط واحد منها في جانب المغرب وقت طلوع الفجر و يطلع رقيه في جانب المشرق من ساعته . و بالجملة فللمؤمن أن يعتقد أن الخير بأمر الله و بيده و الأفلاك و الأنجم مسخّرات بأمره إن أراد كان و إن لم يشأ لم يكن . [فلولاً إذا بلغت الحلقوم] للتخصيص لإظهار عجزهم قيل : الحلقوم مجرى النفس و البلعوم مجرى الطعام أي فهلاً إذا بلغت النفس أي الروح الحلقوم و تداعت إلى الخروج والضمير كناية عن غير مذكور للدلالة [و أنتم حينئذ تنظرون] و الحال أنتم أيها الحاضرون حول صاحبها تنظرون إلى ما هو فيه من غمرات الموت و لكم تعطف عليه و لكم رغبة في إنجائه من الموت تردون روح ميّتكم إلى مقرّها .

[و نحن أقرب إليه] أي إلى المحتضر قدرة و علماً و تصرّفاً [منكم] حيث لا تعرفون حاله إلا ما تشاهدونه من آثار الشدّة ولا تقدرون على دفع أدنى شيء منها ونحن المتولّون لتفاصيل أحواله و يقبض روحه [و لكن لا تبصرون] كنه ما يجري عليه والمراد هنا البصيرة لا البصر .

[فلولا إن كنتم غير مدينين] يعني هلاً إن كنتم غير مر بوبين وغير مملوكين أذلاء من دان السلطان رعيتته إذا استبعدهم و ساسهم أو غير مجزيين .

[ترجعونها] أي تردّون النفس إلى مقرّها و تردّون روح ميتكم إلى بدنه من الرجوع و هو الردّ والمحضض عليه بلولا الأولى و الثانية مكرّرة للتأكيد و حاصل المعنى إن كنتم غير مر بوبين و غير مصدّقين بخلقنا أيّاكم فهلاً ترجعون النفس إلى مقرّها عند بلوغها الحلقوم [إن كنتم صادق] في اعتقادكم .

فأما إن كان من المقرّبين (٨٨) فروح وريحان و جنة نعيم (٨٩) وأما إن كان من المكذّبين الضالّين (٩٤) فنزل من حميم (٩٤) و تصليّة جحيم (٩٤) إن هذا هو الحق اليقين (٩٥) فسبح باسم ربك العظيم (٩٦) .

[فأما إن كان من المقرّبين] أمّا في الكلام لتفصيل الجمل و شرح الأزواج الثلاثة المذكورة في أوّل السورة مثل قولك جاءني القوم فأما زيد فأكرّمته وأمّا عدرو فأهنّته أي إن كان المتوفّي وذلك المحتضر الذي بلغت روحه الحلقوم من المقرّبين عند الله و هم السابقون وأجلّ الأزواج الثلاثة .

[فروح] أي فله استراحة و رحمة [وريحان] يعني الرزق في الجنّة و قيل : هو الريحان المشموم من رباحين الجنّة يؤتى بها عند الموت فيشمّه ثم يقبض روحه ، و قيل : الروح النجاة من النار والريحان الدخول في الجنّة ، و قيل : روح في القبر و هو الهواء الذي تستلذّه النفس و يزيد عنها المكروه وريحان في القيامة [وجنة نعيم] أي ذات تنعم .

[و أمّا إن كان من أصحاب اليمين] و استعير اليمين للتيمنّ و السعادة [فسلام لك من أصحاب اليمين] أي إن كان المتوفّي من أصحاب اليمن و البركة فسلام لك

بأصحاب المين من إخوانك المؤمنين والملائكة ولك البشارة منهم بالسلامة من العذاب قال الفراء : فسلام لك إنك من أصحاب اليمين فخذف إنك فيكون السلام إشارة له بأنه من أهل الجنة وإلا ل قيل عليك .

[و أما إن كان من المكذبين الضالين] وهم أصحاب الشمال وهم الذين كذبوا بالبعث و ضلّوا عن التوحيد والهداية [فنزل] فله نزل كائن [من حميم] تشرب بعد أكل الزقوم [و تصلية جحيم] و إدخال في النار و قيل : إقامة فيها و مقاساة لألوان عذابها و قيل : ذلك ما يجده في القبر من سموم النار .

[إن هذا] الذي ذكر في هذه السورة الكريمة [لهو الحقّ اليقين] حقّ الخبر اليقين الواقع و لا يطرء علي هذا الأمر التبدّل والتغيّر و إضافة العلم و الحقّ إلى اليقين إضافة الشيء إلى مرادفه كما فعلوا في العطف التفسيري [فسبح باسم ربك العظيم] الفاء لترتيب التسبيح فسبح يا محمد و نزه ربك عما لا يليق به من الأمور التي من جملتها التكذيب بآياته الناطقة و الإشراف به و أعرض عما لا يليق من كلّ الأمور و لمّا نزل هذه الآية قال ﷺ : اجعلوها في ركوعكم فلمّا نزل سبّح اسم

ربك الأعلى قال : اجعلوها في سجودكم

تمت السورة بعون الله



سورة الحديد

﴿مدنية﴾

العرباض بن سارية قال : إن النبي ﷺ كان يقرأ المسبّحات قبل أن يرقد ويقول : إن فيهن آية أفضل من ألف آية .

وعن جابر الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام قال : من قرأ المسبّحات كلّها قبل أن ينام لم يمت حتّى يدرك القائم عليه السلام وإن مات كان في جوار رسول الله .

الحسين بن أبي العلاء عن أبي عبد الله قال : من قرأ سورة الحديد والمجادلة في صلاة فريضة أدمنها ^(١) لم يعذب به الله حتّى يموت أبداً ولا يرى في نفسه ولا في أهله سوءاً أبداً ولا خصاصة في بدنه .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سبح لله ما في السماوات الارض و هو العزيز الحكيم (١) له ملك
السماوات والارض يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير (٢) هو الاول والآخر
والظاهر والباطن و هو بكل شيء عليهم (٣) هو الذى خلق السماوات و
الارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الارض و ما يخرج
منها و ما ينزل من السماء و ما يعرج فيها و هو معكم اينما كنتم والله بما
تعملون بصير (٤) له ملك السماوات والارض والى الله ترجع الامور (٥)
يولج الليل و النهار و يولج النهار فى الليل و هو عليهم بذات الصدور (٦).

التسبيح تنزيه الله تعالى اعتقاداً و قولاً و عملاً و عملاً يليق بجنابه بدأ الله بالمصدر
في الإسراء لأنه الأصل ثم بالماضي في هذه السورة و الحشر والصف لأن الماضي أسبق
الزمانين ثم بالمستقبل في الجمعة و التغابن ثم بالأمر في الأعلى استيعاباً لهذه الكلمة
من جميع جهاتها و تعليم العباد استمرار التسبيح منهم في جميع الأزمنة و الكونيات من
لدى أخرجها من العدم إلى الوجود مسبحة في الأزمنة و لا يختص تسبيحها بوقت دون
وقت و في الحديث أفضل الكلام أربع : سبحان الله و الحمد لله و لا إله إلا الله و الله أكبر
و سبح متعدّ بنفسه كما في قوله : « و تسبحوه » فاللام في لله إمّا مزيدة للتأكيد كما
في نصحت له و شكرت له أو للتعليل أي فعل التسبيح و أحدثه خالصاً لوجهه .

[سبح لله ما في السماوات والأرض] و المراد جميع الخلق من حيوان و جماد و
نبات و غيره و عبّر بما تغليباً للأكثر و الجماد ميتة في نظر المحجوب حتى في نفس
الأمر لا ميت لأن الجماد مدبر حي والمدبر حي وليس من شرط الحي أن يحس لأن
الإحساس والحواس أمر معقول زائد على الحياة و إنهما من شرط الإدراك و العلم و
قد يحس الشيء و قد لا يحس أمّا ترى صاحب الأكلة و الجذام إذا أكل واستعمل ممّا

يغيب به إحساسه كيف يقطع عضوه و لا يحسّ به مع أنّه حيّ ليس بميتٍ » و إن من شيء إلا يسبح بحمده، لأنّ وجود الشيء دالّة على تنزيهه تعالى فضلاً عن أمور زائدة .

[وهو العزيز الحكيم] الغالب بقدرته وسلطانه الحكيم في أفعاله ، و رد حديث أن كلّ شيء من الجماد و الحيوان يسمع عذاب القبر إلا الثقلين يدلّ على أنّ السماوات والأرض بجميع أجزائهما و ما فيهما من الملك و الشمس و القمر و النجوم و الجن و الإنس و الحيوان و النبات و الجماد لها حياة و فهم .

[له ملك السماوات والأرض] أي التصرف الكلّيّ [يحيي ويميت] جعل الشيء ميّتاً و جعل الميّت حياً مثل النطفة و البيض [و هو على كلّ شيء] من الأشياء [قدير] تامّ القدرة فإنّ الصيغة للمبالغة .

[هو الأوّل] السابق على سائر الموجودات بالذات و الصفات لأنّه مبدؤها و المراد بالسبق و الأوّلية هو الذاتيّ لا الزمانيّ فإنّ الزمان من جملة الحوادث أيضاً [و الآخر] الباقي بعد فنائها حقيقة [و الظاهر] وجود الأشياء دلائله الواضحة [و الباطن] حقيقة فلا يحوم العقل حول إدراك كنهه و ليس يعرف الله إلا الله و تلك الباطنيّة سواء في الدنيا و الآخرة .

[و هو بكلّ شيء عليم] من الظاهر و الخفيّ تامّ العلم بكلّ شيء جليّ و خفيّ و يمكن أن يكون معنى هو الأوّل أي الذي تبتدئه منه الأسباب و الآخر الذي تنتهي إليه المسببات و الظاهر أي الغالب على كلّ شيء و الباطن أي العالم بباطن كلّ شيء .

و احتجّ كثير من أهل التحقيق في إثبات أنّ الإله واحد بقوله تعالى : [هو الأوّل] و قالوا : الأوّل هو الفرد السابق و لهذا لوقال : أحد أوّل مملوك اشتريته فهو حرّ ثمّ اشترى عبدين لم يعتق لأنّ شرط كونه الأوّل حصول الفردية و هنالم يحصل فلو اشترى بعد ذلك عبداً واحداً لم يعتق لأنّ شرط الأوّلية كونه سابقاً و هننا لم يحصل مع أنّ الشرط في كونه أوّلاً أن يكون فرداً فكانت الآية دالّة على أنّ صانع العالم واحد

فرد و الأول الذي لم يسبقه شيء في الوجود فهو تعالى شأنه نفى القدم عن كل أول بأوليته ونفى البقاعن كل آخر بأخريته .

وقال بعض علماء الكلام : المراد من الآية مبالغة في نفي التشبيه لأن كل من كان أولاً لا يكون آخراً وكل من كان ظاهراً لا يكون باطناً فأخبر سبحانه أنه الأول الآخر الظاهر الباطن ليعلم أنه لا يشبه شيئاً من المخلوقات والمصنوعات وأوضح المعاني قوله : « هو الأول » إنه سبحانه كان ولم يكن صورالعوالم كما قال صلى الله عليه وآله : كان الله ولم يكن معه شيء .

وقال بعض المجربين : إن من قرأ بعد صلاة ركعتين خمساً وأربعين مرة « هو الأول و الآخر و الظاهر و الباطن و هو بكل شيء عليم » حصل له ماطلبه .

[هو الذي خلق السماوات و الأرض] بقدرته [في ستة أيام] أولها الأحد و آخرها الجمعة و هذه المدة ليشهد الملائكة بحدوثها ويعلموا سنة التدريج في الأمور و اختلف في أن الأيام من أيام الدنيا أو الآخرة كما وقع اختلاف في الأربعين التي خمّر الله فيها طينة آدم عليه السلام [ثم استوى على العرش] استولى بالتدبير على أمور أراد خلقه و نظمه و قيل : معنى « استوى » قصد و عمد .

[يعلم ما يلج في الأرض و ما يخرج منها] أي يعلم ما يدخل في الأرض ويستمر فيها و يعلم ما يخرج من الأرض من أنواع النبات و الحيوان و الجماد لا يخفى عليه شيء منها .

قال أهل التأويل : يعلم سبحانه ما يلج في أرض قلب المؤمن من النية و الإخلاص و التوحيد و في أرض قلب الكافر من الشكّ و الشرك و ما يخرج منها بحسب حالهم و الصحيح أن العلم محيط بتمام العوالم و قلب الكافر و المؤمن أيضاً جزء من العالم .

[و ما ينزل من السماء] كالكتب و الملائكة و الأفضية و الصواعق و الأمطار [و ما يخرج فيها] كالملائكة الذين يكتبون الأعمال و الأرواح السعيدة .

[و هو معكم أينما كنتم] في الأرض و هو تمثيل لإحاطة علمه و في الحديث أفضل إيمان المرء أن يعلم أن الله معه حيث كان قال موسى عليه السلام : أين أجرك يا

ربّ؟ قال : يا موسى إذا قصدت إليّ فقد وصلت إليّ .

[والله بما تعملون بصير] فيجازيكم عليه ثواباً و عقاباً .

[له ملك السماوات و الأرض] تكرر للتأكيد و تمهيد لقوله تعالى : [و إلى الله ترجع الأمور] و التأكيد في قوله : « له ملك السماوات » الأوّل متعلّق بالابتداء و الثاني بالإعادة و لذا قرن بالأوّل « يحيي ويميت » و بالثاني ما يكون في الآخرة من ردّ الخلق إليه .

[يولج الليل في النهار] الإيلاج الإدخال حتّى يصير النهار أطول ما يكون خمس عشر ساعة و الليل أقصر ما يكون تسع ساعات [ويولج النهار في الليل] باختلاف الفصول و مطالع الشمس و مغاربها حتّى يصير الليل أطول ما يكون خمس عشرة ساعة و النهار أقصر ما يكون تسع ساعات قال الشاعر :

فالشّمس بالقوس أمست و هي نازلة * إن لم تزرني و بالجوزاء إن زارا

[و هو عليهم بذات الصدور] أي بمكنوناتها من الأسرار و المعتقدات و هو بيان لإحاطة علمه تعالى بما يضمرونه في نياتهم بعد بيان إحاطته بأعمالهم قال ابن عباس : اسم الله الأعظم في أوّل سورة الحديد في ست آيات من أوّلها و تعليقها على المفاتل في الصفّ نافع جدّاً كما في فتح الرحمن .

آمنوا بالله و رسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم و أنفقوا لهم أجر كبير (٧) .

[آمنوا بالله و رسوله و أنفقوا ممّا جعلكم مستخلفين فيه] جعلكم الله خلفاء في ذلك المال بالتصرّف فيه من غير أن تملكوه حقيقة لأنّ يدكم يد العارية على الحقيقة و في الآية أمر و ترغيب في الإنفاق أو المعنى جعلكم خلفاء من قبلكم فيما كان بأيديهم بتوريثه إليّاكم و سينتقل منكم إلى من بعدكم فلا تبخلوا به قيل : إنّ الآية نزلت في غزوة ذي العشرة و هي غزوة تبوك [فالذين آمنوا منكم و أنفقوا] حسبما أمر وابه [لهم] بسبب ذلك [أجر كبير] وله عشر أمثالها إذا أتى بحسنة قال وَالَّذِينَ : حكاية عن الله أنفق أنفق عليك و قال وَالَّذِينَ : لانوك فيوكى عليك (١) .

و مالكم لاتؤمنون بالله و الرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم و قدأخذ
 ميثاقكم ان كنتم مؤمنين (٨) هوالذى ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم
 من الظلمات الى النور و ان الله بكم لرفوف رحيم (٩) و مالكم ان تنفقوا
 فى سبيل الله ولله ميراث السماوات و الارض لايستوى منكم من انفق من
 قبل الفتح و قاتل او ائتكم اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد و قاتلوا و كلا
 وعدالله الحسنى والله بما تعملون خبير (١٠) .

[و مالكم لاتؤمنون بالله] أي أي شيء ثبت لكم وحصل حالكونكم غيرمؤمنين
 و ما سبب عدم إيمانكم بالله ؟ [والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم] توبيخ لهم بأنه أي
 عذر لكم في ترك الإيمان والنبى ينبهكم عليه بالحجج والآيات ؟
 [و قد أخذ ميثاقكم] و الميثاق عقد يؤكّد بيمين و عهد أي قد أخذالله ميثاقكم
 بالإيمان من قبل دعوة الرسول أيأاكم و ذلك بما أودع الله قلوبكم من دلالات العقل
 الموصلة إلى معرفة التوحيد أو المراد من الميثاق العهد المأخوذبوم الذرحين أخرجهم من
 من صلب آدم في صورة الذرّ و هي النمل الصغير [إن كنتم مؤمنين] إن دتم على ما
 بدأنتم به و مصدّقين بحق لأنّ الآن تمت الحجّة و لزمتمك الحجّة بالأدلة السمعيّة
 و العقليّة .

[هو الذي ينزل] بواسطة جبرئيل عَلَيْهِ السَّلَام [على عبده] المطلق محمد ﷺ
 [آيات بينات] واضحات من الأمر و النهي والحلال و الحرام [ليخرجكم] الله [من
 الظلمات إلى النور] من ظلمات الجهل و الشرك إلى معرفة اليقين و التوحيد [و إن الله
 بكم لرفوف رحيم] حيث يهديكم لسعادة الدارين بإرسال الرسل وإنزال الكتب .

[و مالكم لا تنفقوا في سبيل الله] و أي شيء لكم من أن لا تنفقوا فيما هو قرابة
 إلى الله و هوله في الحقيقة و إنّما أنتم خلفاؤه في صرفه إلى ما عينه من المصارف [ولله
 ميراث السماوات و الأرض] و الحال أنّه لايبقى لكم منها شيء بل تبقى كلّها له بعد
 فناء الخلق فإنفاقها بحيث تستخلف عوضاً يبقى و هو الثواب كان أولى من الإمساك و نسب
 نفسه إلى الوارث من حيث إنّ الأموال صائرة إليه و الميراث ما ترك الإنسان فخطابهم

بما يعرفون بينهم ، قال عيسى عليه السلام : قلب كل إنسان حيث ماله فاجعلوا أموالكم في السماء يكن قلوبهم في السماء .

[لا يستوي منكم] يا معشر المؤمنين [من أنفق قبل الفتح] أي فتح مكة الذي أزال الهجرة [وقاتل] العدو تحت لواء رسول الله وقسيم «من أنفق» محذوف لوضوحه أي بعد الفتح وفي «أنفق» إشارة إلى إنفاق المال وفي «قاتل» إشارة إلى إنفاق النفس . [أولئك] المنفقون المقاتلون قبل الفتح [أعظم درجة] و أرفع منزلة عند الله [من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا] وقد صرح والله أعلم أيضاً بفضل الأولين بقوله : لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصفه والمدّ قيل : ملء كفي الإنسان المعتدل إذا ملأهما ومدّ يده بهما وبهسمي مدّاً وقد جرت مراراً أن هذا المقدار مساو مع الوزن المعروف الذي يقال له : المدّ .

[وكلاً وعد الله الحسنى] أي كل واحد من الفريقين وعدهم الله المثوبة الحسنى وهي الجنة لكن الدرجات متفاوتة [والله بما تعلمون خبير] بظواهره و بواطنه فيجازيكم بحسب نيّاتكم وإخلاصكم .

من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له و له اجر كريم (١١)
 يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبايمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم
 (١٢) يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فاتمسوا نوراً فضرب بينهم بسورله باب باطنه فيه الرحمة و ظاهره من قبله العذاب (١٣) ألم تكن معكم قالوا بلى و لكنكم فتنتهم انفسكم و تربصتم و ارتبتم و غرتكم الاماني حتى جاء امر الله و غرکم بالله الغرور (١٤) فالיום لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم و بسئ المصير (١٥) .

ثم حث سبحانه على الإنفاق فقال :

[من ذا الذي] قيل : من مبتدأ و « ذا » خبره و « الذي » بدله قال الطبرسي : إن الصحيح أن يكون « ذا » مبتدأ و الذي يقرض الله صفته و من خبر المبتدأ قدّم

عليه لما فيه من معنى الاستفهام والإقراض إعطاء العين على وجه يطلب بدله و المعنى كأنه قيل : أيقرض أحد مالا طيباً فيعطيه الله عوضه أضعافاً من فضله من السبع إلى السبعين إلى السبعمائة؟ وإنما قلنا بمعنى الاستفهام لأن قوله : « فيضاعضه له » والفاء إنما تنصب فعلاً مردوداً على فعل مستفهم عنه و ههنا السؤال لم يقع عن القرض بل عن فاعله . [وله أجر كريم] أي و ذلك الأجر كريم حسن مرضي في نفسه . روي أنه لما نزلت الآية جعل أبو الدحداح يتصدق بنصف ماله من كل شيء له حتى أنه خلع إحدى نعليه قال بعضهم : سأل الله القرض منهم ولو كانوا يمكن لهم أن يخرجوا من وجودهم لخرجوا قبل سؤاله فضلاً عن المال فإن العبد و ما يملكه لمولاه ، في الحديث : عبدي استطعمتك فلم تطعمني .

و في الإنفاق يكون عشر شرائط : الأول أن يكون من الحلال . و الثاني أن يكون من أطيب ماله دون الرديء . و الثالث أن يتصدق و يحب المال . و الرابع أن يعطيه و هو يرجو الحياة و هو صحيح يأمل العيش . الخامس يخشى الفقر . السادس أن يضعه في الأخل الأوج الأولى بأخذه . السابع أن يكتمه ما أمكن . الثامن أن لا يتبعها المن و الأذى . التاسع أن يقصد به وجه الله . العاشر أن يستحقر ما يعطي فالصدقة لا بد وأن تكون موصوفة بهذه الصفات العشرة و في المرفوع : النافلة هدية العبد إلى ربه فليحسن أحدكم هديته و ليطيبها .

[يوم ترى المؤمنين و المؤمنات] الظرف منصوب بإضمار أذكر تفخيماً لذلك اليوم أي اذكر يوم رؤيتهم يوم القيامة على الصراط أو غيره [يسعى نورهم] حال من مفعول ترى أي نور إيمانهم و طاعاتهم و معنى السعي المشي السريع دون العدو . يستعمل أيضاً للجد في الأمر خيراً كان أو شراً و أكثر استعماله في الأفعال المحمودة [بين أيديهم و بإيمانهم] جمع يمين و المراد جهة اليمين قيل : يكون النور بين أيديهم و في جهة إيمانهم [و عن شمائلهم] إلا أن ذكر الشمائل مضمرة و ذلك النور دليلهم إلى الجنة و المراد بالنور الضياء الذي يروونه و يمررون فيه إن المؤمن يضيء له نور كما بين عدن إلى صنعاء و دون ذلك و دون ذلك حتى أن من المؤمنين من لا يضيء له نوره إلا في موضع

قدميه ، قال عبدالله بن مسعود : و يعطون نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من نوره على قدر الجبل و أدناهم نوراً نوره على إبهامه يطفى مرة و يتقد أخرى و يقول لهم الملائكة : [بشرا كم اليوم جنات] أي الذي تبشرون به اليوم جنات و دخولها و حذف المضاف [تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك] صفة للجنات أنتم دائمون فيها و ما ذكر [هو الفوز العظيم] الذي لا غاية و راءه .

[يوم يقول المنافقون و المنافقات] بدل من «يوم ترى» فذكر سبحانه حال المنافقين في ذلك اليوم يقولون : [للذين آمنوا] ظاهراً و باطناً [انظرونا] أي انظرونا يقولون ذلك لما أن المؤمنين يسرع بهم إلى الجنة كالبروق الخاطفة على ركاب تزف بهم وهؤلاء مشاة إن المعنى من انظرونا استقبلونا نستضيء بأنواركم و إن النظر بمعنى الإظهار لا يتعدى بنفسه و إنما يتعدى بإلى فيكون المعنى اجعلوا نظركم إلينا لكن بمعنى النظرة و الإمهال أليق .

[نقتبس من نوركم] و الاقتباس التناول من الشعلة أي نأخذ من نوركم قبساً سراجاً و شعلة لأنهم كانوا يستضيئون بنور المؤمنين فإذا سبقهم المؤمنون و وصلوا إلى مكانهم بقوا هؤلاء في الظلمة فيقولون : انظرونا نقتبس ، وهيئات! أين الثريامن يدالمتناول ؟ [قيل ارجعوا و راءكم] طرداً و تهكماً لهم و القول من جهة الملائكة أو المؤمنين ارجعوا إلى الموقف [فالتمسوا نوراً] و اطلبوا هناك فإنه من ثمة يقتبس النور أو فارجعوا إلى الدنيا لأن النور بالإيمان يحصل في الدنيا و ههنا ليس دار التحصيل بل دار الجزاء فيرجعون فلا يجدون نوراً .

[فضرب بينهم بسور] و قد ضرب بين المؤمنين و بينهم و حيل بينهم حائط بين الجنة و النار و لما كان البناء مما يحتاج إلى ضرب باليد و نحوها من الآلات عبس عنه بالضرب مثل قولهم : ضرب الخيمة لضرب أوتادها بالمطرقة و بالجملة هو سورين أهل الجنة و النار يقف عليه أصحاب الأعراف يشرفون على أهل الجنة و أهل النار و هو السور الذي يذبح عليه الموت بمرى الفريقين [له باب] أي لذلك السور و الحائط و المانع باب يدخل فيه المؤمن فيكون السور بينهم باعتبار حاله الثانية بعد الدخول لآحين الضرب

[باطنه] باطن السور أو باطن الباب فيه الرحمة لأنه يلي الجنة [و ظاهره من قبله] ومن جهته وعنده [العذاب] لأنه يلي النار ، و بالجملة إن المؤمنين يسبقونهم و يدخلون الجنة و المنافقين يجعلون إلى النار و بينهم السور المذكور . في الحديث : بيت المقدس أرض المحشر و المنشر .

[ينادونهم] أي ينادي المنافقون المؤمنين : [ألم نكن معكم] في الدنيا يريدون به ما كانوا يوافقون مع المؤمنين في الأمور الظاهرة كالمنافقة و الموارثة و الصلاة [قالوا بلى] كنتم معنا بحسب الظاهر [و لكنكم فتنتم أنفسكم] محنتموها بالنفاق و أهلكتموها إضافة الفتنة إلى النفس إضافة الميل و الشهوة و إلى الشيطان في قوله : « لا يفتننكم الشيطان ، إضافة الوسوسة .

[و ترتبتم] و انتظرتهم بالمؤمنين الدوائر و بمحمد صلى الله عليه وآله الموت و هو وصف قبيح ، إن انتظار موت وسائل الخير و وسائل الحق من أعظم الجرم و القباحة [و ارتبتم] و شككتهم في النبوة أو في غد اليوم الموعود [و غرتمكم الأماني] الفاسدة التي من جعلتها انعكاس أمر الإسلام ، جمع أمنية أباطيل الدنيا [حتى جاء أمر الله] أي الموت [و غرتمكم بالله] الكريم [الغرور] أي الشيطان غرتمكم بحلمه تعالى و إمهاله و قيل : الغرور الدنيا قال قتادة : ما زال أهل الدنيا على خدعة من الشيطان حتى قذفوا في النار و الغرور مبالغة و هو كل ما يغر الإنسان من مال و جاه و شهوة و شيطان و فسّر بالشيطان لأنه أخبث الغارين .

[فالיום لا يؤخذ منكم] أيها المنافقون [فدية] فداء تدفعون به العذاب عن أنفسكم و الفداء ما يحفظ الإنسان عن النابذة أي لا يؤخذ منكم دية و لانفس أخرى مكان أنفسكم [و لا من الذين كفروا] ظاهراً و باطناً فالناس ثلاثة أقسام : مؤمن ظاهراً و باطناً و هو المخلص و مؤمن ظاهراً لا باطناً و هو المنافق و كافر ظاهراً و باطناً .

[ما أوأكم النار] مرجعكم جهنم لا ترجعون إلى غيرها أبداً [هي] أي النار [مولاكم] تتصرف فيكم تصرف المولى في عبده أو هي أولى بكم فالمولى مشتق من الأولى [و بس المصير] والمرجع .

ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله و ما نزل من الحق و لا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقتست قلوبهم فكثير منهم فاسقون (١٦) اعلموا أن الله يحيى الارض بعد موتها قدينا لكم الايات لعلمكم تعقلون (١٧) ان المصدقين و المصدقات و اقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعف لهم و لهم أجر كريم (١٨) و الذين آمنوا بالله ورسوله اولئك هم الصديقون و الشهداء عند ربهم لهم اجرهم و نورهم و الذين كفروا و كذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم (١٩) اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب و لهو و زينة و تفاخر بينكم و تكاثر فى الاموال و الاولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً و فى الآخرة عذاب شديد و مغفرة من الله و رضوان و ما الحياة الدنيا الا متاع الغرور (٢٠).

من أنى الأمر يأتي أنياً إذا جاء أنه أى وقته و حان حينه و أدرك أى ألم يجيء وقت أن تخشع قلوبهم لذكره و يسارعوا إلى طاعة بالامتثال من غير توان و لا فتور . قوله تعالى : [و ما نزل من الحق] أى القرآن و هو عطف على ذكر الله فإن كان المراد من الذكر القرآن أيضاً فالعطف لتغاير العنوانين و تفسيري كما فى قوله : « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم و إذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً ^(١) ، و معنى الخشوع فى الآية فى قوله : « أن تخشع » الانقياد التام و أو امره و نواهيه روي أن المؤمنين كانوا مجددين بمكة فلما هاجروا أصابوا الرزق و النعمة فصبروا عما كانوا عليه من الخشوع فنزلت الآية و عن ابن مسعود ما كان بين إسلامنا و بين أن عوتبنا بهذه الآية أربع سنين و قيل : ظهر بين الأصحاب من المزاح و المضاحك فنزلت الآية : « ألم يأن للذين آمنوا الآية » و قيل : إن هذه الآية قرئت بين قوم من أهل اليمامة فبكوا بكاء شديداً فقال بعض الأصحاب : هكذا كنا و قد قست قلوبنا .

[و لا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل] عطف على تخشع و المراد النهي عن مماثلة أهل الكتاب فيما حكى عنهم بقوله : [فطال عليهم الأمد] أى الأجل و الزمان أو الأعمار و الآمال و زالت عنهم الروعة التي كانت تأتيهم من التوراة و الإنجيل

إذا سمعوهما [فقت قلوبهم] و القسوة غلظة القلب و إنما تحصل من اتباع الشهوة و الصفة لا يجتمعان [و كثير منهم فاسقون] و خارجون عن حدود دينهم رافضون لما في كتبهم بالكلية .

و فيه إشارة إلى أن عدم الخشوع في أول الأمر يفضي إلى الفسق في آخر الأمر . قال عيسى بن مريم عليه السلام : لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فتفسد قلوبكم و القلب القاسي بعيد من الله و لا تنظروا في ذنوب العباد كأنكم أرباب و انظروا في ذنوبكم كأنكم عبيد فانما الناس رجالن مبتلى و معافى فارحموا أهل البلاء و احمدا الله على العافية انتهى .

[و اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها] تمثيل لإحياء القلوب القاسية بالذكر و التلاوة بإحياء الأرض الميتة بالغيث للترغيب في الخشوع و التحذير عن القساوة و بيان لمنكر في البعث أي كما أن الله يحيي الأرض بعد يبسها و وجودها كذلك يحيي الأموات بعد بلاها و محو صورتها [قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون] كي تعقلوا و تعلموا بموجبها و كان استماع آية « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم » سبباً لتوبة فضيل بن عياض و مجاورته في الحرم و قصته معروفة ، و كذلك ابن المبارك و كان منهمكاً في الشرب و ضرب العود ، بينما هو في هذه الحالة إذ سمع قارئاً يقرأ هذه الآية فتاب و رجع عما كان عليه و آل أمره إلى ما آل لكن و تعيها اذُن و اعية .

و عن مالك بن دينار و هو أحد الزهاد الثمانية أنه سئل عن سبب توبته فقال : إنني كنت شرطيّاً و كنت منهمكاً على شرب الخمر ثم اشتريت جارية جميلة و وقعت في عيني أحسن موقع فولدت لي بنتاً فشغفت بها فلما دبّت على الأرض ازدادت في قلبي حباً و ألفتني و ألفتها فلما تم لها سنتان ماتت فأكدمني الحزن عليها لكنني تجلّدت خوفاً من أن يصيبني غضب من الله فلما كانت ليلة النصف من شعبان و كانت ليلة جمعة بت ممتلئاً من الخمر و لم أصل صلاة العشاء فرأيت كأن أهل القبور قد خرجوا و حشر الخلائق و أنا معهم فسمعت حسّاً من ورائي فإذا أنا بتنين عظيم أعظم ما يكون أسود قد فتح فاه مسرعاً نحوي فمررت بين يديه هارباً فرعاً مرعوباً فمررت في طريقي بشيخ نقي .

الثياب طيب الرائحة فسلمت عليه فرد علي السلام فقلت له : أجرني فقال : أنا ضعيف و هذا أقوى مني و ما أقدر عليه و لكن مر و اسرع فلعل الله سبب لك ما ينجيك منه فوليت هارباً على وجهي وصعدت على شرف من شرف القيامة فأشرفت على طبقات النيران فنظرت إلى أهلها فكدت أهوي فيها من فزع التنين وهو في طلبي فصاح بي صائح: ارجع فلست من أهلها فاطمأنت إلى قوله و رجعت و رجعت التنين في طلبي فأتيت الشيخ فقلت : يا شيخ سألتك بالله أن تخبرني من هذا التنين فبكى الشيخ و قال : أنا ضعيف و لكن سر إلى هذا الجبل فإن فيه و دائع للمسلمين فإن كان لك فيه وديعة فستنصرك فنظرت إلى جبل فيه كوى و ستور معلقة و على كل كوة مصراعان من الذهب مكللان بالدر فلما نظرت إلى الجبل هربت إليه و التنين من ورائي حتى إذا قربت منه صاح بعض الملائكة: ارفعوا الستور و افتحوا المصاريع فلعل لهذا البائس فيكم وديعة تجيره من عدوه و إذا الستور قد رفعت فأشرف علي أطفال بوجوه كالأقمار و قرب التنين مني فتحيّرت في أمري فصاح بعض الأطفال: و يحكم أشرفوا كلكم فقد قرب منه فأشرفوا فوجاً بعد فوج فإذا بابنتي التي ماتت فلما رأته بكيت و قالت : أبي والله ثم دنت و مدت يدها الشمال فتعلقت بها فولّي هارباً ثم اجلسني وقعدت في حجري و قالت يا أبت : ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ، فبكيت و قلت : يا بنيّه و أنتم تعرفون القرآن ؟ فقالت : يا أبت نحن أعرف به منكم قلت : فأخبريني عن التنين قالت : ذلك عمك السوء قويته قلت : و من الشيخ الذي مررت به؟ قالت : ذلك عمك الصالح أضعفته حتى لم يكن له طاقة بعمك السوء قلت : و ما تصنعون في هذا الجبل؟ قالت : نحن أطفال المسلمين قد أسكننا فيه إلى أن تقوم القيامة ننتظركم تقدمون علينا فنشفع لكم فانتهت فرعاً فلما أصبحت فارقت ما كنت عليه و تبت إلى ربي انتهى .

[إن المصدّقين و المصدّقات] أي المتصدّقين و المتصدّقات [وأقرضوا الله قرضاً حسناً] عطف على الصلة من حيث المعنى أي إن الناس الذين تصدّقوا و تصدّقن و أقرضوا و أقرض الله و المراد من الحسن التصدّق من الطيب عن طيبة النفس و خلوص النية .

وروى مسلم عن جابر أنه قال : شهدت مع رسول الله ﷺ صلاة العيد فبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغير أذان ولا إقامة فلما فرغ ﷺ من الصلاة قام متوكِّئاً على بلال فأمر بتقوى الله وحث على طاعته ووعظ الناس ثم مضى ﷺ إلى النساء فوعظهن وذكَّرن فقال : تصدقن فإن أكثر كن حطب جهنم قالت امرأة : لم يارسول الله ؟ فقال : لا تكن تكثرن الشكاية وتكفرن العشير أي الزوج فجعلن يتصدقن من حليهن و يلقين في ثوب بلال حتى اجتمع فيه شيء كثير فسّمه على فقراء المسلمين انتهى .

[يضاعف لهم] أي ثواب التصدق يضاعف لهم [و لهم أجر كريم] و هو رضى الله .
 [و الذين آمنوا بالله ورسوله] كافة و هو مبتدئ [أولئك] مبتدئ ثان [هم] مبتدئ ثالث خبره [الصدّيقون و الشهداء] أي أولئك [عند ربهم] بمنزلة الصدّيقين و الشهداء المشهورين في علو المرتبة و رفعة المحل قيل : الشهداء على ثلاث درجات الدرجة الأولى الشهيدان الصفيين وهو أكبرهم درجة ثم كل من قضى و مات بقارعة أو بليّة و هي الدرجة الثانية مثل الغرق و الحرق و الهالك في الهدم و المطعون و المبطون و الغريب و الميسته في نفاسها و الميسته بالوضع و الميسته يوم الجمعة و ليلة الجمعة و الميسته على الطهارة ، و الدرجة الثالثة ما نطقت به هذه الآية العامة للمؤمنين و قال بعضهم في معنى الآية : هم المبالغون في الصدق حيث آمنوا و صدقوا بجميع ما أخبر سبحانه و أخبر رسوله .

[لهم أجرهم و نورهم] مبتدئ و خبر أي لهم أجرهم و ثواب طاعاتهم مثل ثواب الصدّيقين و الشهداء الذين معروفون بالفضيلة و الكمال و قد حذف أداة التشبيه تنبيهاً على قوة المماثلة و بلوغها حدّ الاتحاد ، و حاصل المعنى أن المؤمن المصدّقين بآيات الله لهم من الأجر و النور ما للصدّيقين و للشهداء . قال بعض أهل التحقيق : لا يكون الأجر إلا مكتسباً فإن أعطيت ما هو خارج عن الكسب فهو نور و هبات و لا يقال له «أجر» و لهذا قال سبحانه : «لهم أجرهم و نورهم» فإن أجرهم ما اكتسبوه و نورهم ما وهبه الله لهم بالتفضل .

[و الذين كفروا و كذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم] الموصوفون بهذه

الصفات القبيحة أصحاب النار و ملازموها بحيث لا يفارقونها أبداً وفيه دليل على أن الخلود في النار مخصوص بالكافر و المراد بالكفر الكفر بالله في مقابلة الإيمان بالله و بالتكذيب ما بأيدي الرسل في مقابلة تصديق الرسل .

[اعلّموا أنّما الحياة الدنيا] فكلّ ما قبل الموت تسمّى دنياً و كلّ ما تأخّر عنه أخرى [لعب] أي عمل باطل تتعبون فيه أنفسكم إمتاع اللاعب [ولهو] تشغلون أنفسكم بها عمّا يهمّكم من أعمال الآخرة [وزينة] تزوّنون بها من الملابس والمراكب و المنازل الحسنة [و تفاخر بينكم] بالأنسب و الأحساب و يعبر عن كلّ نفيس بالفاخر [و تكاثر في الأموال و الأولاد] بالعدد و تطاولون بها على الناس .

فالحياة في الدنيا و أمورها لعب كعب الصبيان وزينة كزينة النسوان و تفاخر كتفاخر الأقران و تكاثر كتكاثر الدهقان ولذائذها تجمع في ستة أشياء مطعوم ومشروب و ملبوس و مشموم و مر كوب و منكوح فأكبر طعامها العسل و هو ريق ذبابة ، وأكبر شرابها الماء و يستوي فيه جميع الحيوان ، و أكبر الملبوس الديباج وهو نسج دودة ، و أكبر المشموم المسك ، و هو دم ظبية ، و أكبر المر كوب الفرس و عليها يقتل الرجال ، و أكبر المنكوح النساء و هو مبال في مبال ، هذه اللذائذ أنفع أم ركعتان ؟

[كمثل غيث] أي هي صفاتها شبيهة بغيث و الغيث مطر يحتاج إليه يغيث الناس من الجذب عند قلة المياه فهو مخصوص بالمطر النافع بخلاف المطر فإنه عامّ [أعجب الكفار نباته] الكفار الحرّاث يقول العرب للزراع : كافر لأنّه يستر بذره بتراب الأرض و الكفر في اللغة التغطية و لهذا يسمّى الكافر كافراً لأنّه يغطّي الحقّ بالباطل و الكفر القبر يسترها الناس ، و في الحديث : أهل الكفور أهل القبور و الليل كافر لستره الأشخاص « نباته » أي النبات الحاصل من الغيث والمراد الكافرون بالله لأنّهم أشدّ إعجاباً بزينة الدنيا .

[ثمّ يهيج] أي يجفّ بعد خضرته و نضارته و الهائجة أرض يبس بقلها أو اصفرّ [فتراه مصفراً] بعد ما رأيتّه موقناً ناضراً و إنّما لم يقل : فيصفرّ إيداناً بأنّ اصفراره مقارن لجفافه .

[ثم يكون حطاماً] فيصير ذلك الزرع منكسراً و الحطم الكسر المتفاني و المقصود التحقير لأُمور الدنيا و زينتها و بيان أنها خيالية باطلة لاحقيقة لها و تمثيل لحال الدنيا في سرعة تقضيها و فخر الإنسان على مثل هذا الشيء إنما هو من جهله بحقيقته [و في الآخرة عذاب شديد] لمن أقبل عليها و لم يطلب بها الآخرة .

[و مغفرة] عظيمة كائنة [من الله ورضوان] لا يقدر قدره لمن أعرض عنها و قصد بها الآخرة و إذا كان كذلك فنية الحسنة تجعل المباح طاعة كما قيل : إن من استقامت سريره و صلحت نيته أدرك جميع ما تمنى في الأعمال الصالحة ، في الحديث : من نام على طهارة و في عزمه أنه يقوم من الليل فأخذ الله بنفسه إلى الصباح كتب الله له قيام ليلة فالدنيا من هذه الجهة حسنة نافعة مفيدة للعاقل و من ذمها فقد عقر أمه لأن الأُنكاد و الشرور التي ينسبها الناس إلى الدنيا ليس هو فعلها و إنما هو فعل أولادها فإن الشر فعل المكلف لأفعل الدنيا وهي مطيئة العبد؛ عليها يبلغ الخير و بها ينجو من الشر فمن لم يستوف حقه من الدنيا بهذه الكيفية كان غاشياً لنفسه .

[و ما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور] أي كالمَتَاع الذي يتخذ من نحو الزجاج و الخزف مما يسرع فناؤه و يميل الطبع أول ما رآه فالعمل للحياة الدنيا متاع الغرور .

سابقوا إلى مغفرة من ربكم و جنة عرضها كعرض السماء و الأرض أعدت للذين آمنوا بالله و رسله ذلك فضل الله يؤتيه من شاء و الله ذو الفضل العظيم (٢١) ما أصاب من مصيبة في الأرض و لافي أنفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير (٢٢) لكيلا تأسوا على ما فاتكم و لا تفرحوا بما آتاكم و الله لا يحب كل مختال فخور (٢٣) الذين يبخلون و يامرون الناس بالبخل و من يتول فان الله هو الغني الحميد (٢٤) لقد ارسلنا رسلنا بالبينات و انزلنا معهم الكتاب و الميزان ليقوم الناس بالقسط و انزلنا الحديد فيه باس شديد و منافع للناس و ليعلم الله من ينصره و رسله بالغيب ان الله قوي عزيز (٢٥) .

ثم رغب سبحانه في السياق إلى الجنة فقال :

[سابقوا] أي سارعوا مسارعة السابقين لأقربهم في المضمار [إلى مغفرة] عظيمة

كائنة [من ربكم] أي إلى أسبابها وموجباتها مثل الأعمال الصالحة و الاستغفار كما قال وَاللَّهُ شَكِيحٌ : اللهم إنني أسألك عزائم مغفرتك أي توفقني للأعمال التي تغفر لصاحبها لامحالة أي محتوماتها، و تلك الأسباب والموجبات منحصرة كاتباع شريعة النبي وَاللَّهُ شَكِيحٌ وأمرنا سبحانه بالإسراع إلى هذا الأمر على وجه المبالغة فإن صيغة المفاعلة للمبالغة وأمرنا بالإسراع لقلّة عمر الدنيا وطريق الإسراع في مرتبة الطبيعة و الجسمانيّات الامتثال بالأوامر و الاجتناب على النواهي .

و في مرتبة النفس تزكيتها عن الأخلاق الرذيلة كالكبر و الرياء و العجب و الغضب و الحسد و حبّ الجاه و المال و تحليتها بالأخلاق المحمودة كالتواضع و الإخلاص و الحلم و الصبر على الشدائد و الرضى و التسليم و في مرتبة الروح بتحصيل معرفة الله و اليقين .

[و جنّة عرضها كعرض السماء و الأرض] أي كعرض سبع سماوات و سبع أرضين و إذا كان عرضها كذلك فيكف بطولها فإن طول كل شيء أكثر من عرضه في الغاية ، و تقديم المغفرة في الآية لتقديم التخلية على التحلية [أعدت] و هيئت [للذين آمنوا بالله ورسله] فيه دليل على أن الجنّة مخلوقة بالفعل و الإيمان بالرسول و العمل بكتابتهم .

[ذلك] الذي وعد بالمغفرة و الجنّة [فضل الله] و عطاؤه [يؤتبه] تفضيلاً و إحساناً [من يشاء] إيتائه إياه مع وجود القابليّة و قبولهم [والله ذو الفضل العظيم] و في الآية إشارة على أنه سبحانه يجزي و يعطي الدائم الباقي على القليل و لو اقتصر في الجزاء على قدر ما يستحق بالأعمال كان عدلاً منه لكنّه يفضل بالزيادة على أنه سبحانه لو لم يدعنا إلى الطاعة و لم يبين لنا الطريق الموصل إلى السعادة لما اهتدينا فذلك كلّه من فضل الله .

في الحديث قال النبي وَاللَّهُ شَكِيحٌ : خرج من عندي خليلي جبرئيل آنفاً فقال : يا محمد و الذي بعثك بالحق إن عبداً من عباد الله عبد الله خمسمائة سنة على رأس جبل يحيط به بحر فأخرج الله له عيناً عذبة في أسفل الجبل و شجرة رمان كلّ يوم تخرج رمانه

فإذا أمسى نزل و أصاب من الوضوء و أخذ تلك الرمان فأكلها ثم قام للصلاة فسأل ربه أن يقبض روحه ساجداً و أن لا يجعل للأرض وللشيء على جسده سبيلاً حتى يبعثه الله و هو ساجد ففعل و نحن نمرّ عليه إذا هبطنا و إذا عرجنا وهو على حاله في السجود .
 قال جبرئيل : و نحن نجد في العلم أنه يبعث يوم القيامة فيوقف بين يدي الله فيقول له الرب : أدخلوا عبدي الجنة برحمتي فيقول العبد : بل بعملتي فيقول الله : فإيسوا عبدي بنعمتي عليه و بعمله فتؤخذ نعمة البصر قد أحاطت بعبادة خمسمائة سنة و هبت عليه النعم الباقية بالعبادة في مقابلتها فيقول الله : أدخلوا عبدي النار فيجبرّ إلى النار فينادي ويقول : برحمتك أدخلني الجنة فيقول الله : ردّوه إليّ فيوقف بين يديه فيقول : عبدي من خلقك ولم تك شيئاً ؟ فيقول : أنت ياربّ فيقول : أكان ذلك بعملك أو برحمتي ؟ فيقول : بل برحمتك فيقول : من قوّاك على عبادتي خمسمائة سنة ؟ فيقول : أنت يا ربّ فيقول : من أنزلك في جبل وسط البحر و أخرج الماء العذب من بين المالح و أخرج لك رمانة كلّ ليلة و سألتني أن أقبضك ساجداً من فعل ذلك كلّك بك ؟ فيقول : أنت فقال : ذلك كلّك برحمتي و برحمتي أدخلك الجنة الباقية انتهى .

[ما أصاب من مصيبة في الأرض] ما نافية أصاب السهم إذا وصل إلى المرّي ثم استعير بالحادثة و النائبة أي ما حدث من حادثة كائنة في الأرض كجذب و آفة في الزروع و غيرها [ولا في أنفسكم] كمرض و موت و خوف عدوّ و جوع [إلا في كتاب] مكتوبة مثبتة في علم الله أو في اللوح المحفوظ [من قبل أن نبرأها] و قبل أن نخلق النفوس ليستدلّ ملائكته به على علمه تعالى و الآية صريحة على أن جميع الحوادث الأرضية قبل دخولها في الوجود و كذا جميع أعمال الخلق مكتوبة في اللوح و يعرف الملائكة حلمه سبحانه فإِنَّه تعالى مع علمه أنهم يقومون على المعاصي خلقهم و رزقهم و أمهلهم و فيها دليل على أنه عالم بالأشياء قبل وقوعها لأنّ إثباتها في الكتاب محال .
 [إن في ذلك] أي إثباتها في كتاب مع كثرتها [على الله يسير] متعلّق بقوله :

« يسير » .

[لكيلا تأسوا] أخبرناكم بإثباتها كي لا يحصل لكم الحزن و الأام [على ما

فاتكم [من نعم الدنيا يقال : أسى على مصيبة أي حزن] ولا تفرحوا بما آتاكم [وأعطاكم فإن من علم أن كلاً من المصيبة و النعمة مقدر يذهب ما قدر فواته و يأتي ما قدر إتيانه لا محالة لا يعظم جزعه على ما فات و لا فرحه بما هو آت ، قيل لبزرجمهر : أيها الحكيم مالك لا تحزن على ما فات و لا تفرح بما هو آت ؟ قال : لأن الفات لا يتلافى بالعبرة والآتي لا يستدام بالحبرة أي بالسرور .

و المراد من الآية نفي الأسى المانع لأمر الله و الفرح الموجب للبطر و الاختيال و لذا عقب بقوله : [والله لا يحب كل مختال فخور] فإن من فرح بالحظوظ الدنيوية اختال و افتخر بها لا محالة و المختال المعجب المتكبر من تخيل فضيلة تتراعى للإنسان من نفسه و منها يتأول لفظ الخيل لما قيل : إنه لا يركب أحد فرساً إلا وجد في نفسه نخرة كأن الخضراء له عرشت و الغبراء باسمه فرشت و كسرى حامل غاشيته وقيصر راعي ماشيته و إسكندر قهرمان حاشيته .

و في الآية إشارة إلى أنه يلزم أن يثبت الإنسان على حال في السراء و الضراء فإن كان لا بد له من فرح فليفرح شكراً لا بطراً و إن كان لا بد من حزن فليحزن صبراً على بلائه لا ضجراً .

قال قتبية بن سعيد دخلت على أحياء العرب فإذا أنا بفضاء مملو من الإبل الميتمة بحيث لا تحصى و رأيت شخصاً على تل يغزل صوفاً فسألته فقال : كانت باسمي فارتجعها من أعطاها و ما سرني أنها لي في مباركةا و ما حزني أنها خرجت من ملكي . و مثل هذا يكون دأب الصالحين ولا يجري عليهم أحلام التلوين و الاضطراب في اليقين بل لصاحب المال مصيبتان : يسلب عن كله و يسأل عن كله .

[الذين يبخلون و يأمرؤن الناس بالبخل] بدل من كل مختال فإن المتكبر بالمال يرضن به غالباً و يأمر غيره به و البخل إمساك المقتنيات عما يحق إخراجها فيه و في الحديث : أربعة لا يجدون ريح الجنة و إن ريحها ليوحد في مسيرة خمسمائة عام : البخيل و المنان و مدهن الخمر و العاق للوالدين .

[و من يتول] و يعرض عن الإنفاق و لا يخرج من ماله حق الله [فإن الله هو

الغنيّ [عنه و عن إنفاقه [الحميد] المحمود في ذاته مستغن عن إقبال الخلق إليه و إيدبارهم .

[لقد أرسلنا رسلنا] أي الملائكة إلى الأنبياء إلى الأمم وهو الأظهر [بالبينات] و الحجج الواضحة [و أنزلنا معهم الكتاب] و أنزلنا مع الرسل جنس الكتب لتكميل القوة النظرية و العملية فالنزول مع الكتاب شأن الملائكة و الإنزال إليهم شأن الأنبياء [و الميزان ليقوم الناس بالقسط] ليعاملوا بينهم بالعدل إيفاء و استيفاء قيل : المراد من الميزان و إنزاله إنزال أسبابه و إلا فالميزان من مصنوعات البشر وقيل : المراد نفس الميزان . روي أن جبرئيل عليه السلام نزل بالميزان نفسه فدفعه إلى نوح عليه السلام و قال : قومك يزوابه حتى يعدلوا في الحقوق .

قال الغزاليّ : إنّ هذا الميزان هو ميزان معرفة الله و معرفة كتبه و رسله ليتعلّم الإنسان من أنبيائه و ليس المراد ما يوزن به البرّ و الشّعير و لعلّ دليله قوله : « شهد الله أنّه لا إله إلا هو و الملائكة و أوّلوا العلم قائماً بالقسط^(١) » أي مقيماً للعدل في جميع أموره فإذا كان الله قائماً بالعدل في جميع الأمور كان الواجب على العباد أن يقوموا به أيضاً . وقال غير الغزاليّ : ما الدليل على العدل عن الظاهر؟ بل المراد من الميزان هو هذا الميزان المعروف .

[و أنزلنا الحديد] قيل : نزل آدم من الجنة معه خمسة أشياء من حديد : السندان و الثاني الكلبتان و الثالث الميعة - أصله موقعة ما يحدثون به و قد وقعت به بالميعة فهو وقيع حدّته بها - و الرابع المطرقة وهي آلة الضرب من الحديد و الخامس الإبرة وهي مسلّة الحديد و في الحديث إنّ الله أنزل أربع بركات من السماء إلى الأرض أنزل الحديد و النار و الملح و عن ابن عباس ثلاثة أشياء نزلت مع آدم الحجر الأسود و كان أشدّ بياضاً من الثلج و عصا موسى و كانت من أسّ الجنة طولها عشرة أذرع و الحديد و قيل : المراد و أنزلنا الحديد أي خلقنا كقوله : « و أنزل لكم من الأنعام » و ذلك أنّ أوامره و أحكامه تنزل من السماء و قيل : أصل الحديد ماء و هو منزل

من السماء .

[فيه بأس شديد] وهو القتال و الدفاع به و زو قوّة شديدة و يحفظكم من أذى الموزي بالدفع به [و منافع للناس] كالسكين و الفأس و المسحاة و مامن صنعة إلا و الحديد آلتها .

[و ليعلم الله من ينصره و رسله] كأنّه قيل : ليستعملوه و ليعلم الله علماً يتعلّق به الجزاء و إلا فهو عالم بمن يعمله في جهاد دينه و مقاتلة أعداء دينه و من يعمل الحديد لإزهاق أرواح المؤمنين و يستعمله في الشرّ [بالغيب] حال من فاعل ينصر أي غائبين عنه أي ينصرونه و لا يبصرونه و إنما يحمد و يثاب من أطاع بالغيب من غير معاينة للمطاع أو حال من مفعول ينصر أي حال كونه تعالى غير مرئيّ لهم .

[إن الله قويّ عزيز] على إهلاك من أراد إهلاكه غالب لا يفتقر إلى نصره الغير و استعمال القوّة في حقّ الله بمعنى القدرة و هي الصفة التي تتمكّن الحيّ من الفعل و تر كة بالإرادة .

قال بعض أهل الأوراد : إنّ ذكر القويّ له خاصيّة ظهور القوّة في الوجود و ما تلاه زوهمّة ضعيفة إلا وجدته القوّة و لا ذو جسم ضعيف إلا كان له ذلك و لو ذكره مظلوم بقصد إهلاك الظالم ألف مرّة كان له ذلك و كذلك خاصيّة اسم العزيز و جود الغنى فمن ذكره أربعين يوماً في كلّ يوم أربعين مرّة أعانه الله و أعزّه . و في الأربعين الإدرسيّة يا عزيز المنيع الغالب على أمره فلا شيء يعادله قال السهرورديّ : من قرأه سبعة أيّام متواليات كلّ يوم ألفاً أهلك خصمه إذا كان الخصم بغير حقّ و إن ذكره في وجه العسكر سبعين مرّة و يشير إليهم بيده فإنتهم ينهزمون .

و لقد أرسلنا نوحاً و ابراهيم و جعلنا في ذريتهما النبوة و الكتاب

فمنهم مهتد و كثير منهم فاسقون (٢٦) .

[و لقد أرسلنا نوحاً] اللام للقسم أي و بالله قد بعثنا نوحاً إلى قومه و هم بنو قابيل و نوح يقال له : آدم الثاني [و ابراهيم] إلى قومه أيضاً و هم نمرود و من تبعه ذكراً و الله بالرسالة تشریفاً لهما و لأنّهما أبوان للأنبيا و من أوّل الرسل فالبشر كلّهم

من ولد نوح و العرب و العبرانيون كلهم من ولد إبراهيم .
 [وجعلنا في ذريتهما] و في نسلهما [النبوة و الكتاب] بأن استنبأنا بعض
 أولادهما و أوحينا إليهم الكتب مثل هود و صالح و موسى و هارون و داود [فمنهم] أي
 فمن ذرية هذين الصنفين أو من المرسل إليهم [مهتد] إلى طريق الحق [و كثير منهم
 فاسقون] و خارجون عن طاعة الله .

ثم قفينا على آثارهم برسلنا و قفينا بعيسى بن مريم و آتيناها الانجيل
 وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رافة ورحمة و رهبانية ابتدعوها ما كتبناها
 عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فاتينا الذين آمنوا
 منهم اجرهم و كثير منهم فاسقون (٢٧) يا ايها الذين امنوا اتقوا الله و
 امنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته و يجعل لكم نورا تمشون به و يفر
 لكم والله غفور رحيم (٢٨) لئلا يعلم اهل الكتاب الا يقدررون على شيء
 من فضل الله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم(٢٩).

قوله : [ثم قفينا] أي ثم أرسلنا و أتبعنا على آثار نوح و إبراهيم ومن عاصرها
 و بعد عصرهما من الرسل مثل هود و صالح فإنيهما بعد نوح و مثل إسماعيل و إسحاق
 و يعقوب فإنيهم بعد إبراهيم و بالجملة أرسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى إلى عيسى
 و الآثار جمع إثر بالكسر تقول : خرجت على إثره أي عقبه .

قال الحريري : يقال شفعت الرسول بأخر أي جعلتها اثمين فإذا بعثت بالثالث
 فوجه الكلام أن يقال : عززت بثالث أي قويت كما قال سبحانه « و عززنا بثالث (١) »
 فمعنى قوله : « و قفينا بعيسى بن مريم » أي آتينا بعيسى بعد الرسل فأول أنبياء
 بني إسرائيل موسى و آخرهم عيسى .

[و آتيناها الانجيل] دفعة واحدة [وجعلنا في قلوب] المؤمنين [الذين اتبعوه]
 أي اتبعوا عيسى في دينه كالحواريين و أتباعهم [رافة] و هي اللين [و رحمة] و هي
 الشفقة كما كان الصحابة رحماء بينهم حتى كانوا أذلة على المؤمنين و كان أهل الانجيل

قد أمروا في الإنجيل بالصفح والإعراض عن مكافاة الناس على الأذى و كانوا متوادين متحابين بينهم و صفوا بالرحمة خلاف اليهود الذين و صفوا بالقسوة .

[و رهبانية ابتدعوها] و رهبانية منصوب بفعل مضمّر يفسره الظاهر أي أتباع عيسى ابتدعوا الترهيب و حملوا أنفسهم على هذا الأمر و استحدثوها بينهم و الرهبانية المبالغه في العبادة بمواصله الصوم و لبس المسوح و ترك أكل اللحم و الامتناع عن المطاعم اللذيذة و الملابس الفاخرة و المناكح و التعبّد في الغيران و الرهبة المخافة مع الحزن و الاضطراب و رهبان فعلان من رهب كخشيان من خشبي .

و قرىء بضمّ الراء كالرهبان جمع راهب و ركبان جمع راكب و الرهبان لما كان اسماً لطائفة مخصوصة صار بمنزلة العلم و إن كان جمعاً في نفسه و التحقق بالنصاري و أعراف فقيل : رهباني كما يقال : أعرابي و أنصاري .

و سبب ابتداعها أنّ الجبارة ظهرها على المؤمنين بعد رفع عيسى ﷺ فقاتلوا حتّى لم يبق منهم إلا قليل فخافوا أن يفتتنوا في دينهم فاختاروا الرهبانية في قلوب الجبال فارتب بدينهم مخلصين أنفسهم للعبادة منتظرين البعثة النبوية التي وعدّها عيسى لهم كما قال تعالى : « و مبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد (١) » .

و روي أنّ الله لما أغرق فرعون و جنوده استأذن الذين كانوا آمنوا من السحرة موسى ﷺ في الرجوع إلى الأهل و المال بمصر فأذن لهم و دعا لهم فترهبوا في رؤوس الجبال فكانوا أوّل من ترهب و بقيت طائفة منهم مع موسى ﷺ حتّى توفاه الله ثم انقطعت الرهبانية بعدهم حتّى ابتدعها بعد ذلك أصحاب المسيح ﷺ .

[ما كتبناها عليهم] ما فرضنا الرهبانية عليهم في كتابهم و لا على لسان رسولهم [إلا ابتغاء رضوان الله] استثناء منقطع أي مارعوا جميعاً حقّ رعايتها بسبب التثليث و القول بالاتحاد والكفر بمحمّد ﷺ و عدم تصديق النبي العربي و نحوها قال ﷺ : من آمن بي و صدقني فقد رعاها حقّ رعايتها و من لم يؤمن بي فأولئك هم الهالكون .

وقال الزجاج: الاستثناء في قوله: «إلا ابتغاء» استثناء متصل تقديره ما فرضناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله و لكن الصحيح أننا ما فرضنا الرهبانية عليهم لكن هم ابتدعوا ذلك و ألزموا أنفسهم ذلك التطوع و دخلوا عليه فلزمهم تمامه كما أن الإنسان إذا جعل على نفسه صوماً لم يعرض عليه لزمه أن يتمه فقوله: «فمارعوها حق رعايتها» على ضربين أحدهما أن يكونوا قصرّوا فيما ألزموه أنفسهم و الثاني و هو الأجود أن يكونوا حين بعث النبي فلم يؤمنوا به كانوا تاركين طاعة الله فما رعوا تلك الرهبانية و دليل قوة هذا المعنى قوله:

[فآتيننا الذين آمنوا منهم أجرهم] أي من العيسيين إيماناً برسول الله لأن عدم تصديق محمد يلزمه تكذيب عيسى لأنه بشر به ﷺ فالذين عملوا منهم و صدقوا بما يجب عليهم أعطيناهم ما يحسن و يليق لهم من الأجر .

[و كثير منهم فاسقون] أي من العيسيين خارجون عن حدّ الإيمان روي أن نفراً من الصحابة أخذهم الخوف والخشية حتى أراد بعضهم أن يعتزل عن النساء والإقامة على رؤوس الجبال و ترك الأكل و الشرب اللذيد و بعضهم الخصاء فنهاهم ﷺ عن ذلك كله و قال : لارهبانية في الإسلام و رهبانية أمّتي في المسجد .

قال بعض أهل التحقيق : إنّ الكامل من الرجال من سدّ باب الابتداع و لم يزد في التكليف حكماً واحداً و لا يجعل ورده و ذكره غير ما ورد في الكتاب و السنّة فيكون حينئذ ممثلاً لامخترعاً و قد شاهدنا بعض الناس متسرّعين إلى بعض النوافل مثل وضع الخواتم العديدة في أصابعهم لكنهم متكاسلون عن القيام بحقوق الواجبات و لا يقومون بفرض واحد على وجهه .

[يا أيّها الذين آمنوا] بالرسول المتقدّمه [اتقوا الله] فيما نهاكم عنه [و آمنوا برسوله] يعني محمداً و في إطلاقه إيدان بأنه علم فرد الرسالة لا يذهب الوهم إلى غيره [يؤتكم كفلين] نصيبين و أجرين و الكفل الحظّ الذي فيه الكفالة كأنه تكفل بأمره نصيباً لا يمانكم بمن تقدّم من الأنبياء و نصيباً لا يمانكم بمحمد ﷺ .

[و يجعل لكم نوراً تمشون به] يوم القيامة حسبما نطق به قوله تعالى : « يسعى

نورهم بين أيديهم و بأيمانهم ، و هو الضياء الذي تمشون به تلى الصراط [ويغفر لكم]
ما أسلفتم من الكفر و المعاصي [والله غفور رحيم] مبالغ في المغفرة و الرحمة .

[لئلا يعلم أهل الكتاب] لامزيدة مؤكدة مثل قوله ^(١) : « ما منعك أن لاتسجد ،
و إنما يحسن إدخال مثل هذا اللام المزيدة في كلام أو اخره أو أوائله جحد وتقدير
الكلام إن تتقوا الله و تؤمنوا بالله و رسله يؤتكم كذا و كذا ليعلم الذين لم يسلموا من
أهل الكتاب [أن لا يقدر على شيء من فضل الله] أن هي المخففة و الاسم ضمير الشأن
و المعنى أن الذين لم يؤمنوا لا أجر لهم و لا نصيب من فضل الله .

[و إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء] فأتى المؤمن من أجرين و حاصل ليعلموا
أنهم لا ينالوا شيئاً من الفضل و الكفيلين و المغفرة و لا يتمكّنون من نيله حيث لم يأتوا
بشرطه الذي هو الإيمان بمحمد ﷺ و إن الفضل بيده سبحانه و لا يعطيه إلا لمن
آمن به و قيل : إن المراد من فضل الله هنا النبوة أي ليعلم أهل الكتاب أنهم

لا يقدر على نبوة الأنبياء و لاعلى صرفها عمّن شاء الله أن يخصه

بها فيصرفونها عن محمد إلى من يحبونه

[والله ذو الفضل العظيم] تمت السورة



سورة المجادلة

من قرأها كتب من حزب الله يوم القيامة .
هي اثنتان و عشرون آية مدنيّة أو إلا آية منها .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قد سمع الله قول التي تجادل في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير (١) الذين يظاهرون من نساءهم ما هن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللاتي ولدنهم و لدهم و انهم ليقولون منكرا من القول وزورا و ان الله لعفو غفور (٢) و الذين يظاهرون من نساءهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير (٣) فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب اليم (٤) ان الذين يحادون الله ورسوله كذبوا كما كذب الذين من قبلهم و قد انزلنا آيات بينات وللكافرين عذاب مهين (٥) .

سمع مجاز مرسل عن أجاب بعلاقة السببية ، والمجادلة المفاوضة على سبيل الجدل و المبالغة من جدلت الجبل أي أحكمت فتله و المراد هنا المكالمة بالخشونة و المعنى قد أجاب الله دعاء المرأة التي تكلمك في حق زوجها و تستفتي في شأن زوجها في ظهارها إياها .

[و تشتكي إلى الله] و الشكاية و الشكاة و الشكوى إظهار البث و المكروه و الشكوة سقاء صغير يجعل فيه الماء و هو استعارة كقولك : بثت له ما في و عائي و نفضت ما في جراحي إذا ظهرت ما في قبلك .

نزلت في خولة بنت ثعلب بن مالك الخزرجية و زوجها أوس بن الصامت أخو عبادة روي أنها كانت حسنة البدن رآها أوس و هي تصلي فاشتبهى موافقتها فلمّا سلّمت راودها و أبت و كان به خفة فغضب عليها و قال : أنت عليّ كظهر أمّي و كان أوّل ظهار وقع في الإسلام ثمّ ندم على ما قال : و كان الظهار والإبلاء من طلاق الجاهلية فقال

لها : ما أظنك إلا وقد حرمت عليّ فشقّ ذلك عليها فأتمت رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله إن زوجي أوس أبوولدي وابن عمّي وأحبّ الناس إليّ ظاهر منّي وما ذكر طلاقاً وقد ندم على فعله فهل من شيء يجمعني وإيّاه؟ وذكرت تفاني أهلها وأنّ لها صببية صغاراً وقالت : إن ضممتهم إليّ جاعوا وإن ضممتهم إلى أبيهم ضاعوا فقال النبي ﷺ : أظنّ أنّك حرمت عليه فجعلت تراجع رسول الله ﷺ مقالته الأولى وكرّر ﷺ مقالته عليها فقالت : أشكو إلى الله مما لقيت من زوجي حال فاقتي وحدثي وقد طالت معه صحبتي ونفضت له بطني وصرت عقيماً لا ألد بعد وكانت في كلّ ذلك ترفع رأسها إلى السماء استنزالاً للأمر الإلهي حتّى نزل جبرئيل بهذه الآيات الأربع قبولاً لشكواها فكانت سبباً لظهور حكم الظهار و«قد» تدخل على ماضٍ متوقّع .

[والله يسمع تحاور كما] أي يعلم تخاطبكما والمحاورة رجوع الكلام من الحور بمعنى الرجوع ومنه في الدعاء نعوذ بالله من الحور بعد الكور أي من الرجوع إلى النقصان بعد وصول الزيادة أو إلى الوحشة بعد الأُنس و ذلك التحوار لأنّ المرأة تراجع الرسول في طلب التحليل و الرسول لا يحكم به و يدافعها بجواب ينبيء عن التوقف و ترقّب الوحي .

[إن الله سميع بصير] قال صاحب تفسير روح البيان : إنّ هذه المرأة هي التي وعظت عمر بن الخطاب في أيام خلافته وهو راكب على حمار في طريق و الناس معه فاستوقفته ووعظته فقالت : يا عمر قد كنت تدعى عميراً ثمّ قيل لك : عمر ثمّ قيل لك : أمير المؤمنين فاتق الله يا عمر فإنّه من أيقن الموت خاف الفوت و من أيقن الحساب خاف العذاب فقيل لعمر : أتقف لهذا المعجوز هذا الوقوف الطويل؟ فقال عمر : هي خولة سمع الله قولها من سبع سماوات و لا يسمع كلامها عمر؟ .

قال بعض أهل التحقيق : من أكبر الذنوب أن يقول الرجل لأخيه : اتق الله ولا تفعل كذا فيقول في جوابه : عليك نفسك . والإنسان لا يستغني عن تنبيهه وإيقاظه وينبغي أن يكون الإنسان كالنحل يأخذ من النبات الطيب والأزهار المعطرة ثمّ يخرجها عسلاً فيه شفاء من كلّ داء و شمعاً و ضياءً لنفسه قال الشاعر :

المرء لولا عرفه فهو الدمى^١ و المسك لولا عرفه فهو الدم
العرف الأوّل بضم العين بمعنى المعروف و الثاني بمعنى الرائحة و الدمى جمع
دمية الصور المنقّشة من الرخام و العاج و في زماننا يقال له المجسّمة .

[و الذين يظهرون منكم] أيها المؤمنون فلا يلحق بهم الذمّي لأنّه ليس
من أهل الكفارة من النساء ، و الظهار مصدر ظاهر الرجل أي قال لزوجته : أنت عليّ^٢
كظهر أمّي و يعبر عن البطن بالظهر و كنيّ عن البطن بالظهر الذي هو عمود البطن
لمراعاة الأدب في الكلام لئلا يذكر ما يقارب الفرج والمعنى إنّ الذين يقولون لنسائهم :
أنتنّ كظهور أمّهاتنا .

[ماهنّ أمّهاتهم] يعني ما اللواتي تجعلوهنّ من الزوجات كالأُمّهات بأُمّهاتهم
[إن أمّهاتهم إلا اللاتي ولدنهم] إن نافية بمعنى ما أمّهاتهم في الحقيقة إلا اللاتي جمع التي
أي النساء اللاتي ولدن المظاهرين فلا تشبه بهنّ في الحرمة إلا من ألحقها الشرع بهنّ من أزواج
النبيّ و مثل المرضعات و منكوحات الآباء لكرامتهنّ فدخلن بذلك في حكم الأُمّهات
و لكنّ الزوجات فأبعد شيء من الأُمومة .

[و إنهم] أي إنّ المظاهرين منكم [ليقولون منكراً من القول] عند الشرع
و العقل و الطبع لأنّ الزوجة ليست بالأُمّ و لا بمنّ ألحقه الشرع بالأُمومة فهذا التشبيه
منكر غير معروف مطلقاً [و زوراً] و باطلاً و كذباً منحرفاً عن الحقّ ، و الزور بالتحريك
الميل و يقال للكذب : زور بالضمّ لكونه مائلاً عن الحقّ . فإن قلت : قوله : أنت عليّ^٣
كظهر أمّي إنشاء لتحريم الاستمتاع بها و ليس بخبر و الإنشاء لا يوصف بالكذب قلنا :
هذا من قبيل إطلاق السبب على المسبّب لأنّ هذا الإنشاء يتضمّن إلحاق المحلّة بالأُمّ^٤
المحرّمة و هذا الإلحاق مناف لمقتضى الزوجيّة فيكون كاذباً لا محالة و في الحديث قال
رسول الله : ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا : بلى يا رسول الله قال : الإشراف بالله و عقوق
الوالدين و كان متسكناً وقال : ألو قول الزور و شهادة الزور فما زال يقولها حتّى قلنا :
لا يسكت .

[و إن الله لعفوٌ غفور] أي مبالغ في العفو و المغفرة لما سلف إمّا على الإطلاق

على مذهب الأشاعرة أو بالمتاب عنه على مذهب الاعتزال .
 [و الذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة] أي الذين يقولون ذلك القول المنكر ثم يعودون إلى ما قالوا ، اللأم و إلى يتعاقبان كثيراً نحو يهدي للحق و إلى الحق و المراد إذا عادوا إلى ما قالوا بالتدارك قال ابن عباس : العود في الآية المراد الندم فقال : معناه يندمون و يرجعون إلى الألفة و قال الفراء : المعنى يرجعون عما قالوا يقال : عاد لما فعل أي رجع و نقض ما فعل و يحتمل أن يقال : عاد لما فعل يريد فعله مرة أخرى و هو أن يكرر لفظ الظهار عن أبي العالية واحتج بأن لفظ العود يدل على تكرير القول وردّه أبو علي الفارسي ليس هذا كما ادعوا لأن العود قد يكون إلى شيء لم يكن عليه قبل وقد سميت الآخرة معاداً ولم يكن فيها أحد ثم صار إليها . و قال الأخفش : تقدير الآية « و الذين يظاهرون من نسائهم فتحرير رقبة لما قالوا » ثم يعودون إلى نسائهم و عليهم تحرير الرقبة لما نطقوا به و قال : التقديم و التأخير كثير في التنزيل .

و أما ما ذهب إليه أئمة الهدى من آل محمد عليهم السلام فهو أن المراد بالعود إرادة الوطي و نقض القول الذي قاله فعلية تحرير رقبة قبل الوطي فإن الوطي لا يجوز إلا بعد الكفارة كما قال سبحانه : « من قبل أن يتماسا » أي من قبل أن يجامعا والتحرير هو أن يجعل الرقبة المملوكة حرة بالعتق بأن يقول المالك لمن تملكه : أنت حر . و بالجملة فالنكاح باق و حرمة الوطي أيضاً باق ما لم يكفر و تزول بالتكفير .

[ذلكم] أي الحكم بالكفارة أيها المومنون [توعظون به] الوعظ زجر يقترن بتخويف أي تزجرون به من ارتكاب المنكر المذكور فإن الغرامات مزاجر من تعاطي الجنايات و التباعد عن الباطل فيحصل من هذا الحكم التدارك للمظاهر و لغير المظاهر الاجتناب عن ارتكاب مثله [و الله بما تعملون خبير] من قليل و كثير فيجازيكم بها .
 [فمن لم يجد] المظاهر ولا يتمكن من تحرير الرقبة بأن كان فقيراً وقت التكفير [فصيام شهرين] عليه [متتابعين] ليس فيها رمضان ولا الأيام المحرمة صومها كالعيدين بحيث لا يفعل يوماً عن يوم و لاشهرأ عن شهر بالافطار و المتتابع عند أكثر الفقهاء و قال

أصحابنا الإمامية : إنه إذا صام شهراً و من الثاني شيئاً ولو يوماً واحداً ثم أفطر لغير عذر فقد أخطأ إلا أنه يبني عليه و لا يلزمه الاستيناف وإن أفطر قبل ذلك استأنف ومضى بدأ بالصوم و صام بعض ذلك ثم وجد الرقبة لا يلزمه الرجوع إلى التحرير و إن رجع كان أفضل و قال قوم : إنه يلزمه الرجوع إلى العتق .

[فمن لم يستطع فأطعم ستين مسكيناً] أي من لم يطق الصوم لعلّة أو كبير فعليه إطعام ستين مسكيناً والمسكين - و يفتح ميمه - من لاشيء له أو له ما لا يكفيه وأسكنه الفقر أي قلّل حرّ كته ، لكلّ مسكين نصف صاع عند أصحابنا و هو مدّان فإن لم يقدر فمدّ هذا إذا كان حرّاً و أمّا إذا كان المظاهر عبداً فعليه الصوم إلا إذا أمكنه المولى عن ثمن الرقبة فحينئذ لا يجوز له الصوم .

[ذلك] البيان و التعليم [لتؤمنوا بالله و رسوله] و تعملوا بحكمه و ترفضوا ما كنتم عليه في جاهليّتكم .

[و تلك] إشارة إلى الأحكام المذكورة [حدود الله] التي لا يجوز تعدّيها وتجاوزها و الحدّ الحاجز بين الشيثين اللذين يمنع اختلاط أحدهما بالآخر [وللكافرين] الذين لا يقبلون الحدود [عذاب أليم] .

[إن الذين يحادّون الله ورسوله] أي يشاققونهما ويعادونهما ويكونون في حدّ غير حدّهما و في شقّ غير شقّهما وقيل : المحادّة مفاعلة من لفظ الحديد و المراد المقابلة سواء كان في ذلك حديد حقيقة أو كان ذلك مخالفة شديدة شبيهة بالخصومة بالحديد و يضعون حدوداً غير حدودهما قال صاحب تفسير روح البيان : كالأمراء السوء اللذين وضعوا أموراً خلاف ما حدّه الشرع و سموها القانون .

[كبتوا] أي أخزوا و صرعوا منكوساً و ذلّوا و العبارة تصلح أن يكون دعاء عليهم و إخباراً عما سيكون و أتى بالماضي لتحققه أي سيكبتون [كما كبت الذين من قبلهم] من كفّار الأمم الماضية [و قد أنزلنا آيات بينات] حال من و او الجمع في كبتوا أي و الحال إننا قد أنزلنا آيات واضحات فيما فعلنا بمن حادّ الله من قبلهم من الأمم . فإن قيل : إنّ الإنزال نقل الشيء من الأعلى إلى الأسفل و الآيات التي هي

من الكلام من الأعراض القارّة فكيف قال : أنزلنا ؟ فالمراد : أنزل ما يتلقّف من الله و يرسل إلى عباده مثل جبرئيل فيسند الأنزال إليها مجازاً فكونها المقصودة منه ويصدق على الآيات لفظ النزول لأنّها نازلة من السماء .

[وللكافرين] بالآيات [عذاب مهين] يذهب بغيرهم من الإهانة الحاصلة بالعذاب .
 يوم يبعثهم الله جميعاً فينبئهم بما عملوا احصه الله و نسوه و الله
 على كل شيء شهيد (٦) ألم تر ان الله يعلم ما فى السماوات و ما فى
 الارض ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم و لخمسة الا هو سادسهم و لا
 أدنى من ذلك و لا اكثر الا هو معهم اينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم
 القيامة ان الله بكل شيء عليم (٧) ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم
 يعودون لما نهوا عنه و يتناجون بالاثم و العدوان و معصيت الرسول و اذا
 جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله و يقولون فى انفسهم لولا يعذبنا الله بما
 نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير (٨) يا ايها الذين آمنوا اذا
 تناجيتهم فلا تتناجوا بالاثم و العدوان و معصيت الرسول و تناجوا بالبر
 و التقوى و اتقوا الله الذى اليه تحشرون (٩) انما النجوى من الشيطان
 ليحزن الذين آمنوا و ليس بضارهم شيئاً الا باذن الله و على الله فليتوكل
 المؤمنون (١٠) .

يوم منصوب باذ كر المقدر تهويلاً له و المراد يوم القيامة أي يحييهم بعد
 الموت للجزاء [جميعاً] كلّمهم فيكون تأكيداً للضمير أوحالاً أي مجتمعين [فينبئهم
 بما عملوا] من القبايح بيان صدورها أو بتصويرها فى تلك النشئة بما يليق بها من
 الصور البهائلة على رؤوس الأشهاد تشهيراً لحالهم [أحصاه الله] كأنه قيل : كيف ينبئهم
 بأعمالهم و هي أعراض فانية متلاشية ؟ فقيل : أحصاه الله و أحاط بها عدداً و حفظاً لم يفتر
 عن علمه شيء و الإحصاء مأخوذ من لفظ الحصى إذ أصله العدد بآحاد الحصى للتقوي
 على الضبط [و نسوه] أي و الحال أنّهم قد نسوه لكثرتهم أولتها و منهم حين ارتكبوه
 [والله على كل شيء شهيد] لا يغيب عنه أمر من الأمور و الشهود بمعنى الحضور و المراد
 بالحضور حضور العلمي لا الحضور الجسمي .

[ألم تر أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض] بيان على شمول شهوده تعالى و الهمة للإنكار الذي مقرّر للرؤية والمعنى ألم تعلم علماً يقينياً بمرتبة المشاهدة والرؤية أنه تعالى يعلم ما في السماوات وما في الأرض من الموجودات قال ابن عباس : إنها نزلت في ربيعة و حبيب ابني عمرو و صفوان بن أمية كانوا يتحدّثون فقال أحدهم : أترى الله يعلم ما نقول : فقال الآخر : يعلم بعضاً و قال الثالث : إن كان يعلم بعضاً فهو يعلم كلّاً لأنّ من علم بعضاً بغير سبب فقد علمها كلّها فنزلت الآية .

[ما يكون من نجوى ثلاثة] « ما » نافية و يكون تامّة بمعنى يقع و يوجد و نجوى فاعله و هو مصدر بمعنى التناجي كالشكوى يقال : نجاه نجوى أي سارّه كناهجه المناجاة و النجوى السرّ الذي يكتم و أصله أن تخلو في نجوة و مرتفع من الأرض منفصل بارتفاعه عمّا حوله كأنّ المتناجي بنجوة من الأرض لئلاّ يطلع عليه أحد و المعنى أنه ما يتسارّ ثلاثة [إلا هو] تعالى [رابعهم] أي جاعلهم أربعة من حيث يشاركهم في الاطلاع عليها [ولا خمسة] أي ولا نجوى خمسة نفر [إلا هو سادسهم] ثمّ عمّم الحكم فقال : [ولا أدنى من ذلك] أي أقلّ ممّا ذكر لا الاثنين و الواحد فإنّ الواحد أيضاً يناجي نفسه [و لا أكثر] كالستّة و ما فوقها [إلا هو معهم] بالعلم و الإحاطة [أين ما كانوا] وفي أيّ مكان و لو كانوا تحت الأرض ثمّ إنّ هذه المعية مع المؤمن و الكافر لكن له سبحانه معية اللطف و التقرب ببعض عباده المخصوصين بالفيض .

[ثمّ ينسبها بما عملوا] و يخبرهم أعمالهم في الدنيا [يوم القيامة إن الله بكلّ شيء عليم] لأنّ نسبة ذاته المفيضة للعلم إلى الكلّ سواء .

[ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثمّ يعودون لما نهوا عنه] نزلت في اليهود و المنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم و يتخلّفون ثلاثة و خمسة و يتغامزون بأعينهم إذا رأوا المؤمنين يريدون أن يغيضوهم فنهاهم رسول الله ثمّ عادوا لمثل فعلهم و الخطاب للرسول و الهمة للتعجب من حالهم [بالآثم و العدوان و معصية الرسول] عطف على قوله : « يعودون » داخل في حكمه و بيان لما نهوا عنه أي بما هو إثم في نفسه و عدوان للمؤمنين و تواس بمعصية الرسول و العدوان و المعصية خلاف الطاعة .

[و إذا جاءوك] أهل النجوى [حيوك] و التحية في الأصل مصدر حيأك على الإخبار من الحياة فمعنى حيأك الله جعل لك حياة ثم استعمل للدعاء ثم غلب في الإطلاق عَلَيْهِ السَّلَامُ [بما لم يحيك به الله] أي بشيء لم يقع من الله أن يحيك به فكانوا يقولون : السام عليك و السام بلغتهم الموت أو القتل بالسيف و هم يوهمون أنهم يقولون : السلام عليك و كان وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ يُرَدُّ عَلَيْهِمْ «عليكم» بدون الواو .

[و يقولون في أنفسهم] أي فيما بينهم إذا خرجوا من عندك : [لولا يعدنا بنا الله بما نقول] أي هلا يعدنا بنا الله و يغضب علينا بجرأتنا علي الدعاء بالشر عليه لو كان نبياً حقاً [حسبهم جهنم يصلونها] أي كافيهم جهنم في التعذيب من حسبه إذا كفاه يصلونها و يقاسون حرها و إن لم يعجل تعذيبهم لحكمة [فبئس المصير] و المقر ، والفاء في فبئس لما فيه من معنى التعقيب .

[يا أيها الذين آمنوا] بالسنتهم وقلوبهم [إذا تناجيتهم] في أنديةكم وخلواتكم [فلا تتناجوا بالإثم و العدون] كما يفعله المنافقون و اليهود [و تناجوا بالبر و التقوى] و ما يتضمن خير المؤمنين و ذكر الله و قراءة القرآن و إصلاح الناس .

[و اتقوا الله الذي إليه تحشرون] و المضاف محذوف أي اتقوا عذاب الله و ما يفضي إلي سخطه [إنما النجوى] المعهودة التي هي التناجي بالإثم بقرينة ليحزن [من الشيطان] لا من غيره لأنه المزبئ لها فكأنها منه [ليحزن للذين آمنوا] و الحزن بضم الحاء بعده السكون متعد من الباب الأول و الحزن بفتح الحين لازماً من الباب الرابع و الحزن و الحزن خشونة في الأرض و خشونة في النفس لما يحصل فيها من الغم و يضادّه الفرح فاله معنى أن النجوى الممنوعة من الشيطان ليجمع قلوب المؤمنين محزونة و يشوش قلوبهم و يتوهمون أنه تصيبهم نكبة أو أمر موحش ، و في الحديث إذا كنتم ثلاثة فلا يناج اثنان دون صاحبهما فإن ذلك يحزنه .

[و ليس] أي الشيطان أو التناجي [بضارتهم] بالذي يضر المؤمنين [شيئاً] من الأشياء [إلا باذن الله] أي بمشيئته و إرادته أو بعلمه و إن كان يوجب الحزن للمؤمنين لكن إذا سلمت عاقبته لا يكون ضرراً في الحقيقة و هذه نكبة كلامية أصولية

إذ الضرر إذا كانت عاقبته الثواب لا يكون ضرراً في الحقيقة و النفع إذا كانت عاقبته العذاب لا يكون نفعاً مثل الجهاد لأن سبب الجهاد أمره تعالى و هو يلحقهم الآلام و الأمراض عقيب ذلك لكن هذا ليس بضر بل نفع لهم وقيل : إن الآية المراد بها الأحلام التي يراها الإنسان في نومه فيحزنه .

روي أن فاطمة عليها السلام رأت كأن الحسن و الحسين عليهما السلام أكلوا من أطيب جزور بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله إليهما فماتا فلما أصبحت سألت النبي صلى الله عليه وآله و سألت هو جبرئيل و جبرئيل ملك الرؤيا فقال : لا علم لي به فعلم صلى الله عليه وآله أنه من الشيطان .

[و على الله فليتوكل المؤمنون] و الشيطان يناجي النفس الأمارة و ينزيب لها القبائح و المعارضات ليقع القلب و الروح في الاضطراب و الحزن للتقاعد عما أمره الله و ينقطع عن السير فليكن العبد على المعالجة دائماً بتفويض الأمور إليه و يشتغل بما هو عليه .

قوله : يا ايها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم و اذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم و الذين اتوا العلم درجات و الله بما تعملون خبير (١١) يا ايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم و أظهر فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم (١٢) ءاشفقتهم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فاذلهم تفلحوا و تاب الله عليكم فاقموا الصلاة و آتوا الزكاة و اطيعوا الله و رسوله و الله خبير بما تعملون (١٣) ألم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم و لا منهم و يحلفون على الله الكذب و هم يعلمون (١٤) اعد الله لهم عذاباً شديداً انهم ساء ما كانوا يعملون (١٥) .

[يا أيها الذين آمنوا] يعني المخلصين [إذا قيل لكم] من أي قائل كان من إخوانكم توسعوا و لينفسح بعضكم عن بعض و لاتتضاموا [في المجالس] متعلق بقيل أو بقوله « تفسحوا » و الصحيح الثاني لأن البيهقي صرح في تاج المصادر بأن التفسح يعدى بفي [فافسحوا] فتوسعوا [يفسح الله لكم] فيما تريدون من المكان و الصدر و الرزق و القبر فإن الجزء من جنس العمل و الآية عامة في كل مجلس خيراجتمع

فيه المؤمنون سواء كان مجلس الرسول ﷺ و كانوا يتضامون تنافساً في القرب منه أو مجلس الذكر أو الجمعة و في الحديث : لا يقيم أحدكم الرجل من مكانه ومجلسه ثم يخلفه فيه و لكن تفسحوا و توسعوا .

روي إن رجلاً من الفقراء دخل المسجد و أراد أن يجلس بجانب واحد من الأغنياء فلما قرب منه قبض الغني إليه ثوبه فرأى النبي ﷺ ذلك فقال للغني : خشيت أن يعديه غناك أو يعديك فقره .

[وإذا قيل انشزوا] يقال : نشز الرجل إذا ارتفع عن مكانه و كذلك النشز بفتحين المكان المرتفع من الأرض و المعنى إذا قيل : لكم قوموا للتوسعة على المقبلين و لمن جاء بعدكم [فانشزوا] و ارتفعوا و قوموا و لا تتثاقلوا عن القيام و توسعوا لآخوانكم لضرورة داعية إليه أو للتجيب و المواساة و في الحديث أنه ﷺ كان يكرم أهل بدر فأقبلت جماعة منهم فلم يوسعوا لهم فقال ﷺ : قم يا فلان و يا فلان فأقام ﷺ من المجلس بعدد المقبلين من أهل بدر فتغامز به المنافقون أنه ليس من العدل يقيم أحداً من مجلسه و شق ذلك على من أقيم من مجلسه و عرف رسول الله الكراهة في وجوههم فأنزل الله الآية .

[يرفع الله الذين آمنوا منكم] جواب لأمر أي من فعل ذلك طاعة للأمر يرفعهم الله بالنصر و الإبواء إلى غرف الجنان في الآخرة لأن من تواضع رفعه الله و من تكبر وضعه .

[و الذين أتوا العلم] أي و يرفع العلماء منهم خاصة و هو من عطف الخاص على العام للدلالة على طبقاتهم [درجات] أي مراتب مرتفعة بسبب ما جمعوا من العلم و العمل و العمل مع العلم لا يدرك شأوه العمل العاري عن العلم و إن كان العامل في غاية الصلاح قال ابن عباس : تم الكلام عند قوله : « منكم » و ينتصب هو الذين أتوا العلم ، بفعل مضمّر تقديره و يرفعهم درجات أي إلى درجات أو رفع درجات أو على الحالية أي ذوي درجات .

[والله بما تعملون خير] عالم لا يخفى عليه شيء و العمل لا يبدؤ و أن يكون

حسبما قرره الشارع و بينه العلماء الربانيون و هم الأئمة الاثنا عشر لأنهم أهل البيت و أهل البيت أدري بما في البيت و للعلماء إطلاقات كما قالوا : نحن العلماء و شيعتنا المتعلمون و الباقي همج رعاغ فالمتعبد بغير طريقتهم و من غير علمهم كحمار الطاحونة يدور و لا يقطع المسافة و العالم من شأنه أن يجمع مع علمه العمل و كل علم لم يوطد بعمل فالى ذل يصير العلماء أيضاً لهم درجات من الشرف في الزيادة و النقصان .

[يا أيها الذين آمنوا] خالصاً [إذا ناجيتم الرسول فقدّموا بين يدي نجواكم صدقة] و كالمثوه سراً في بعض شؤونكم فقدّموا قبل أن تساروه صدقة للفقراء و أراد بذلك تعظيم الرسول و أن يكون ذلك سبباً لأن يتصدّقوا فيوجروا عليه فلمّا نهوا عن المناجاة حتّى يتصدّقواضنّ كثير من الناس فلم يناجيه أحد إلا عليّ بن أبي طالب فإنّه عليه السلام كان له دينار فباعه بعشرة دراهم و ناجى رسول الله عشر نجوات .

و قال بعض أهل التفسير : و كان ذلك الحكم عشر ليال أو أقلّ و نسخت بآية « أشفقتم أن تقدّموا » الآية .

و بالإسناد إلى مجاهد قال : قال عليّ : إنّ في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي و لا يعمل بها بعدي و هي آية النجوى و في الخصال عنه عليه السلام في احتجاجه على أبي بكر قال : فأشرك بالله أنت الذي قدّم بين يدي نجواه لرسول الله صدقة فناجاه و عاتب الله قوماً بقوله : « أشفقتم الآية » أم أنا ؟ فقال أبو بكر : بل أنت و بالجملة نزلت الآية حين أكثر الناس عليه السؤال حتّى أساموه و أمّلوهم فأمرهم الله بتقديم الصدقة للفقراء عند المناجاة فكفّ الناس أمّا الفقير فلعسرته و أمّا الغنيّ فلشحمته ثمّ نسخت بقوله : « أشفقتم » و هو وإن كان متصلاً به تلاوة لكنّه مترخ عنه نزولاً .

[ذلك خير لكم] أي ذلك التصدّق أنفع لكم من الإمساك [و أظهر] لأنفسكم من درن البخل الناشي من حبّ الدنيا و هذا يشعر بالندب لكن قوله : « فإن لم تجدوا فإنّ الله غفور رحيم » منبىء عن الوجوب لأنّه ترخيص لمن لم يجد فهو غفور لهم و رحيم بهم .

[« أشفقتم أن تقدّموا بين يدي نجواكم صدقات »] والمعنى أوقفتم الفقير ؟

و المفعول محذوف و أفرد الصدقة أو "لأ" لكفاية شيء منها و جمع ثانياً نظراً إلى كثرة التناسل و المناجى [فإزلم تفعلوا] و شقّ عليكم ذلك [و تاب الله عليكم] بأن رخص لكم في أن لاتعلموه و أسقط عنكم تقديم الصدقة و « إز » في الآية فيها معنى الظرفية أي إنكم تركتم ذلك فيما مضى و تجاوز الله عنكم فتداركوه بما تؤمرون به بعد هذا فإن فرطتم فيما أمرتم به من تقديم الصدقات :

[فأقيموا الصلاة و آتوا الزكاة] و تداركوه بالمواظبة على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة المفروضة [و أطيعوا الله و رسوله] في سائر الأوامر [والله خير بما تعملون] من الأعمال الظاهرة و الباطنة و في تخصيص الصلاة و الزكاة بالذكر إشارة إلى إنافه قدرهما و علو شأنهما فإن الصلاة رئيس الأعمال البدنية و بها يتحقق صورة العبودية و معناها و هي منح العباد و العبودية من الخضوع و الذلة و التكبير و التهليل و الركوع و السجود و الصلاة على النبي ﷺ و من تركها فهو محروم من تمام هذه الكيفية الجامعة و الويل لتاركها و إن الزكاة أم الأعمال المالية بها يطهر القلب من دنس البخل فإنها هي المطهرة و بها ينمو المال في الدنيا لأنه سبحانه يمحق الربا و يربي الصدقات .

[ألم تر إلى الذين تولوا قوماً غضب الله إليهم] تعجيب من حال المنافقين الذين يتخذون اليهود أولياء و يناصحونهم و يتحايبون إليهم بالمعاشرة أي ألم تنظر إلى هؤلاء الذين يتولون من الموالاة لامن الأعراس أي والوا قوماً غضب الله عليهم و هم اليهود كما ينبيه عن هذا المعنى قوله : « من لعنه الله و غضب عليه » و الغضب حركة للنفس مبدؤها إرادة الانتقام و هو بالنسبة إليه تعالى تقيض الرضا [ما هم منكم] أي المتولين لمن غضب الله عليه منكم [و لامنهم] أي و ليسوا من القوم المغضوب عليهم لأنهم منافقون مذنبون و إن كانوا كفاراً في الواقع لكنهم ليسوا من اليهود .

[و يحلفون على الكذب] أي يحلفون و الله إننا لمسلمون و يدعون الإسلام و هو عطف على تولوا [و هم يعملون] أي هم في يمينهم عاملون بكذب حلفهم فإن الحلف على ما يعلم أنه كذب في غاية القبح و الآية نزلت حين ما كان ﷺ في حجرة

من حجراته فقال : يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار و ينظر بعين شيطان فدخل
عبدالله بن نبيل - كجعفر بتقديم النون على الباء الموحدة - وكان اللعين أزرق فقال عَلَيْهِ
وَاللَّهِ له على مَ تشتمني أنت وأصحابك ؟ فحلف بالله ما فعل فقال عَلَيْهِ
وَاللَّهِ فعلت فانطلق بأصحابه
فحلفوا بالله ماسبوه فنزلت الآية انتهى .

[أعد الله لهم] بسبب ذلك التولي و النفاق [عذاباً شديداً] و تنكير العذاب
يشعر بشدته [إنهم ساء ما كانوا يعملون] أي تمرّوا على هذا العمل السيئ و اعتادوا
و يستفاد معنى الاعتماد و التمرين من « كان » الدالة على الزمان الماضي أي ذلك كان
دأبهم و بس العمل عملهم و هو النفاق و موالاته أعداء الله .

اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين (١٦) لن
تغنى عنهم أموالهم ولا اولادهم من الله شيئاً اولئك اصحاب النارهم فيها
خالدون (١٧) يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم و يحسبون
أنهم على شيء الا انهم هم الكاذبون (١٨) استحوذ عليهم الشيطان فانساهم
ذكر الله اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون (١٩)
ان الذين يحادون الله و رسوله اولئك في الاذلين (٢٠) كتب الله لاغلبين
أناورسلي ان الله قوى عزيز (٢١) لاتجد قوما يؤمنون بالله و اليوم الآخر
يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او اخوانهم او عشيرتهم اولئك
كتب في قلوبهم الايمان و ايدهم بروح منه و يدخلهم جنات تجري من
تحتها الانهار خالدين فيها رضى الله عنهم و رضوا عنه اولئك حزب الله
الا ان حزب الله هم المفلحون (٢٢) .

[اتخذوا ايمانهم] الكاذبة الفاجرة التي يحلفون بها عند الحاجة [جنة] وهي
الترس الذي يجنّ صاحبه ويستتره ، وقاية و سترة على أكاذيبهم و يحفظ نفوسهم و أموالهم
[فصدوا] أي منعوا الناس و صرفوهم [عن سبيل الله] أي عن دين الله و تثبيط من لقوا
عن الدخول في الإسلام [فلهم] بسبب كفرهم و صدّهم [العذاب مهين] مخزٍ بين أهل
أهل المحشر و قوله : « عذاب مهين » وعيدتان بوصف آخر لأنّ العذاب الأوّل موصوف
بالشدّة و الثاني بالخزي قيل : الأوّل عذاب القبر و هذا عذاب الآخرة .

[لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله] أي من عذابه [شيئاً] قليلاً ، من الإغناء وإزادخلوا النار لا تنفعهم أموالهم التي صانوها وأولادهم الذين ربّوهم فإنّ يوم القيامة يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون [أو لك] الموصوفون بهذه الصفات القبيحة [أصحاب النار] وما لازموا [هم فيها خالدون] لا يخرجون منها أبداً و تقديم ضميرهم لتقوية الإسناد و رعاية الفاصلة لا للحصر لخلود غير المنافقين فيها أيضاً من الكفار .

[يوم يبعثهم الله جميعاً] أي اذ كر يوم يجمعهم الله [فيحلفون] في ذلك اليوم [له] أي لله على أنّهم مسلمون مخلصون كما قالوا : « والله ربّنا ما كنّا مشركين » [كما يحلفون لكم] في الدنيا .

[و تحسبون أنّهم] بتلك الأيمان الكاذبة [على شيء] مصدره الحسبان ويقارب الحسبان الظنّ و لكنّ الظنّ هو أن يخطر النقيضان بباله فيغلب أحدهما الآخر و الحسبان هو أن يحكم لأحد النقيضين من غير أن يخطر الآخر بباله [ألا إنّهم هم الكاذبون] المبالغون في الكذب حيث تجاسروا على الكذب بين يدي علام الغيوب والمراد من حرف التنبيه في قوله تعالى : « ألا إنّهم » بيان و تنبيه على توغّلهم في النفاق موتاً و حياة .

[استحوذ عليهم الشيطان] من حذت الإبل إذا استوليت عليها و جمعتها و سقتها سوقاً عنيفاً أي ملكهم الشيطان لطاعتهم له في كلّ ما يريد منهم [فأنساهم ذكر الله] أي كان بالاستيلاء سبباً لنسيان الله فلم يذكروه بقلوبهم و لا بألسنتهم [أو لك] المنافقون [حزب الشيطان] و جنوده و أعوانه و الحزب الفريق الذي يجمعه مذهب واحد [ألا إنّ حزب الشيطان هم الخاسرون] الموصوفون بالخسران حيث فوّتوا على أنفسهم النعيم المقيم .

قال بعض المشائخ : علامة استحوّاز الشيطان على العبد أن يشغله بعمارة ظاهره من المآكل و الملابس و يشغل قلبه عن القيام لشكرها و يشغل لسانه بالكذب عن ذكر ربّه و سمعه عن الحقّ بسماع اللهو و متى ما احتجّب القلب عن التذكّر صار وطن إبليس و جنوده .

[إن الذين يحادون الله ورسوله] أي يعادونهما ويتعدون حدودهما [أولئك في الأذنين] أي إنهم في جملة من هو أذلّ خلق الله لأنّ ذلّة أحد المتخاصمين على مقدار عزّة الأخرى وحيث كانت عزّة الله غير متناهية كانت ذلّة من يحادّه كذلك وذلك بالسبي والقتل في الدنيا وعذاب النار في الآخرة .

[كتب الله] أي قضى وأثبت في اللوح [لأغلبنّ أناورسلي] ولما جرى الكلام مجرى القسم بقوله « كتب الله » فأورد الكلام كجواب القسم بقوله : « لأغلبنّ » و المراد بالغلبة الحجّة والسيف أو بالعاقبة لأنّهم الفائزون بالعاقبة الحميدة وسبب نزول الآية أنّ عبد الله بن أبيّ بن سلول رئيس المنافقين قال : أتظنّون الروم والفراس كبعض القرى التي غلبتم عليها ؟ والله إنهم لأكثر عدداً وأشدّ بطشاً من أن تظنّوا فيهم ذلك فنزل الآية .

[إن الله قويّ عزيز] تعليل للغلبة ، قويّ في نصرة أوليائه لا يغلب عليه في مراده . فإن قلت : إذا كان الله قوياً غالباً فما وجه انهزام المسلمين في بعض الأحيان مع أنّه وعد النصره ؟

فالجواب أنّه لو شدّد المحنة على الكافر والباطل في جميع الأوقات و أزا لها عن المؤمنين في جميع الأوقات لحصل العلم الضروريّ بأنّ الإيمان حقّ و ماسواه باطل و لو كان كذلك لبطل التكليف والثواب والعقاب فلهذه الحكمة تارة يسلّط المحنة على المؤمنين و أخرى على الكافرين لتكون الشبهات باقية و المكلف يدفعها بواسطة النظر في الدلائل .

قوله : [لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر] الخطاب للنبيّ ﷺ وأولئك أحد و المراد بنفي الوجدان نفي المودة أي إنّ الإيمان يفسد بمودة الكفار ولا يصدر من كامل الإيمان هذا الأمر و من أخلص توحيد لا يأنس إلى أعداء الله و إلى مبتدع ولا يجالسه و لا يؤاكله و يظهر من نفسه العداوة و من داهن مبتدعاً سلبه الله التوفيق نعم إذا كانت المعاشرة مع الكفار بسبب هدايته أو بسبب معاملة مشروعة فحينئذ غير ممنوعة بل في بعض الموارد لازمة والمودة المحرّمة هي إرادة منافع الكفار ديناً و دنيماً مع كونه كافراً .

[و لو كانوا آباءهم أو أبناءهم [أي و لو كان من حادّ الله آباء المودّين أو أبناء المودّين [أو إخوانهم [المودّين [أو عشيرتهم [والعشيرة أهل الرجل الذين يتكثّر بهم و يصيرون بمنزلة العدد الكامل و ذلك أنّ العشرة هو العدد الكامل و حاصل المعنى أنّ المؤمن المتصلّب في الدين لا يوالي هؤلاء الأقارب بعد أن كانوا محادّين الله ورسوله فكيف بغيرهم كما أنّ أمير المؤمنين عليّاً و حمزة و عبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب قتلوا يوم بدر عتبة و شيبة إبني ربيعة و الوليد بن عتبة و كانوا من عشيرتهم و قرابتهم .

[أو لئلك [إشارة إلى الذين لا يوادّونهم [كتب [الله [في قلوبهم الإيمان [أي أثبتته فيها [و أيدهم [وقوّاهم [بروح منه [و هو نور القرآن والدين أو المراد النصر على العدو [ويدخلهم [في الآخرة [جنّات تجري من تحتها الأنهار [الأربعة من الماء والعسل و اللبن و الخمر [خالدين فيها [مؤبّدين لا يقرب منهم زوال

كما قال ﷺ : ينادي مناد إنّ لكم أن تصحّوا فلا تسقموا

أبدأ وإنّ لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدأ وإنّ لكم أن تسبوا

فلا تهزموا أبدأ وإنّ لكم أن تنقموا فلا تياسوا [رضي

الله عنهم [و الرضى ترك السخط [و رضوانه [

بالكرامات [أو لئلك حزب الله [لا حزب

الشیطان [ألا إنّ حزب الله هم

المفلحون [الناجون من المكاره

تمّت السورة بحمد الله



سورة الحشر

﴿مدنية﴾

فضلها: أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ من قرأ الحشر لم يبق جنّة ولا نار ولا عرش ولا كرسيّ ولا حجاب ولا السماوات السبع ولا الأرضون السبع والهواء والرياح والطيور والشجر والدوابّ والشمس والقمر والملائكة إلا صلّوا عليه واستغفروا له وإن مات في يومه أو ليلته مات شهيداً .

و عن أبي سعيد المكاري عن الصادق عليه السلام من قرأ إذا أمسى الرحمن والحشر وكل الله بداره ملكاً شاهراً سيفه حتى يصبح .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سبح لله ما في السماوات وما في الارض وهو العزيز الحكيم (١)
هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظنتم
أن يخرجوا و ظنوا أنهم ما نعتهم حصونهم من الله فاتتهم الله من حيث
لم يحتسبوا ففقد في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم و ايدى
المؤمنين فاعتبروا يا اولى الابصار (٢) و لولا ان كتب الله عليهم الجلاء
لعذبهم فى الدنيا و لهم فى الآخرة عذاب النار (٣) ذلك بانهم شاقوا الله
و رسوله و من يشاق الله فان الله شديد العقاب (٤) ما قطعتم من لينة او تركتموها
قائمة على اصولها فبأذن الله و ليخزي الفاسقين (٥).

[سبح لله] التسبيح تبعيد الله عن ما لا يليق به و تطهير عما لا ينبغي بشأن الألوهية
و لا بد أن يكون بالجنان و اللسان و الحال و الأول اعتقاد العبد بتعالیه عن الشريك
فحينئذ يلزم المعتقد مثل التوحيد و التعظيم و الثاني القول بما يدل على تعاليه مثل
التكبير و التهليل و الثالث دلالة المصنوعات على أن صانعها متصف بنعوت الجلال
متقدس عن المكان و بهذا البيان يعمّ تسبيح كل الموجودات شاءوا أم أبوا .

[و هو العزيز الحكيم] الغالب على أمره الحكيم في أفعاله .

[هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب] يعني يهود بني النضير من
ديارهم بأن سلط الله المؤمنين عليهم و أمر نبيّه باخراجهم من حصونهم و أوطانهم . النزول:
نزلت في إجلاء بني النضير فمنهم من خرج إلى خيبر و منهم من خرج إلى الشام .

و ذلك أن النبي ﷺ لما دخل المدينة صالحه بنو النضير وهم رهط من اليهود
أولاد هارون على أن لا يقاتلوه و لا يقاتلوا معه فقبلوا ﷺ ذلك منهم فلمّا غزا ﷺ
بدرًا و ظهر على المشركين قالوا : والله إنّه النبي الذي وجدنا نعته في التوراة لا تردّه

راية فلما غزا غزوة أحد و هزم المسلمون ارتابوا و نقضوا العهد فركب كعب بن الأشرف في أربعين راكباً من اليهود إلى مكة و حالفوا قريشاً على أن يكون كلمتهم واحدة على محمد ﷺ ثم دخل أبو سفيان في أربعين فارساً و دخلوا البيت و أخذ بعضهم على بعض الميثاق بين الأستار و الكعبة ثم رجع كعب و أصحابه إلى المدينة و نزل جبرئيل فأخبر النبي بما تعاهد عليه كعب و أبو سفيان .

و في بعض الأخبار أنه ﷺ ذهب إلى بني النضير في نفر من أصحابه دون العشرة في أمرية فقالوا : يا أبا القاسم نعم حتى تطعم و ترجع بحاجتك و كان ﷺ جالساً إلى جنب جدار من بيوتهم فخلا بعضهم ببعض و قالوا : إنكم لن تجدوا الرجل على مثل هذه الحالة فهل من رجل يعلمو على هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيريحنا منه فقال أحد ساداتهم وهو عمرو بن حجاج : أنا لذلك فقال الآخرون منهم : لا تفعلوا والله ليخبرن بما همتم به إنه لنقض للعهد فلما صعد الرجل ليلقي الصخرة أتاه ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم فقام و رجع مسرعاً إلى المدينة و بعث محمد بن مسلمة إلى بني النضير أن اخرجوا من بلدي و كانوا ساكنين في قرية زاهرة من أعمال المدينة و قال ﷺ لا تساكنوني بها و لقد هممتم بما هممتم من الغدر فأرسل إليهم المنافقون أن أقيموا في حصونكم فإننا نمدكم فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ إنما لانخرج من ديارنا فافعل ما بدا لك و كان المتولي أمر ذلك سيد بني النضير حي بن أخطب فسار ﷺ مع المؤمنين حتى نزل بهم . و باقي القصة معروفة . و المراد من الخارجين الذين كفروا في الآية هؤلاء [لأول الحشر] اللام تعلق بأخرج قيل : كان ذلك أول حشرهم إلى أرض الشام ثم تحشر الناس يوم القيامة إلى أرض الشام أيضاً في القيامة و ذلك الحشر الثاني قال ابن عباس : قال لهم النبي : اخرجوا قالوا : إلى أين ؟ قال : إلى أرض المحشر و قيل : معناه لأول الجلاء لأنهم كانوا أول من أجلي من أهل الكتاب من جزيرة العرب ثم أجلي إخوانهم من اليهود و قيل : إنما قيل : « لأول الحشر » لأن الله فتح على نبيّه في أول ما قاتلهم . [ماظنتم] أيها المسلمون [أن يخرجوا] من ديارهم بهذا الذلّ و الهوان لوثاقتهم حصونهم [و ظنوا] هؤلاء اليهود ظناً قوياً بمنزلة اليقين [أنهم ما منعتم حصونهم

من الله] و المراد من الحصن كل موضع لا يوصل إلى جوفه و لذا يقال : درع حصينة أي ظننوا أن حصونهم تمنعهم عن بأس الله تقديم الخبر المدلالة على فرط وثوقهم بحصانتهما و تقديم المسند يفيد حصر المسند إليه على المسند فإن معنى قائم زيدان زيدا مقصور على القيام لا يتجاوزه إلى القعود .

[فأتاهم الله] أي أتاهم أمره [من حيث لم يحسبوا] و لم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الأشرف على يد أخيه الرضاعي بأمر رسول الله [وقذف في قلوبهم الرعب] القذف الرمي البعيد و المراد هنا الإلقاء وإثباته و ركزه و الرعب خوف يملأ القلب فيغيّر العقل و يشوش الرأي و يفرق التدبير أي أثبت و ملأ قلوبهم هذا النوع من الخوف .

[يخربون بيوتهم بأيديهم و أيدي المؤمنين] كانوا يخربون و يهدمون بيوتهم بأيديهم من داخل ليهزموا و لئلا يكون للمؤمنين و يخربها المؤمنون من خارج ليصلوا إليهم و إزالة لتحصنهم و إضراراً بهم و توسيعاً لمجال القتال و إسناد هذا إليهم مع أنه يقول : [و أيدي المؤمنين] لما أنهم السبب فيه فكأنهم أمرهم بالتخريب .

[فاعتبروا يا أولي الأبصار] و الأبواب اتعظوا بما جرى عليهم و اتقوا مباشرة ما يؤدي إليه عن مثل هذه الأمور من الكفر و الاعتبار مأخوذ من العبور وهو المجاوزة من شيء إلى شيء و سمي أهل التعبير في الرؤيا لأن صاحبه ينتقل من المتخيل إلى المعقول و سميت الألفاظ عبارات لأنها تنقل المعاني من لسان القائل إلى عقل المستمع و يقال : السعيد من اعتبر بغيره لأنه ينتقل عقله من حال ذلك الغير إلى حال نفسه .

[ولولا أن كتب الله] حكم [عليهم] بني النضير [الجلاء] الخروج من أوطانهم و لولا امتناعية و ما بعدها مبتدء و أن مخففة اسمها ضمير الشأن أي و لولا كتاب الله عليهم الجلاء في علمه أو في لوحه المحفوظ [لعذبهم في الدنيا] بالقتل و السبي كما فعل بني قريظة .

[و لهم في الآخرة عذاب النار] استيناف و غير متعلق بجواب لولا إذ لو كان معطوفاً عليه لزم أن ينجو من عذاب الآخرة أيضاً لأن لولا يقتضي انتقاء الجزاء لحصول

الشرط لكن جملة مستأنفة و بيان أنهم إن نجوا من عذاب الدنيا بكتابة الجلاء لانجاة لهم من عذاب الآخرة .

[ذلك بأنهم] أي ما حاق لهم و سيحقيق بسبب أنهم [شاقوا الله و رسوله] و خالفوا أمرهما و المشاققة كون الإنسان في شقّ و طرفه في شقّ [و من يشاقّ الله] كائناً من كان [فإنّ الله شديد العقاب] له يحذف العائد فليحذر المؤمنون من المخالفة مطلقاً و المشاققة مع الرسول المنازعة في حكمة أمره و نهيه .

[ما قطعتم من لينة] ما شرطية نصب بقطعتم و اللينة فعلة نحو حنطة من اللون على أنّ أصلها «لونة» فياؤها مقلوبة عن واو لكسرة ما قبلها نحو ريمة و قيمة و يجمع على ألوان و هي ضروب النخل و قيل : من اللين و يجمع على أليان و هي النخلة الكريمة بكونها قريبة من الأرض و الطيبة الثمرة فقوله : « ما قطعتم من لينة » أي من نخلة كريمة ناعمة .

[أوتر كتموها قائمة] الضمير راجع لما و تانيثه لتفسيره باللينة قائمة [على أصولها] كما كانت من غير أن تتعرضوا لها [فباين الله] أي قطعها و تركها بأمر الله فلا جناح عليكم و في كلّ من القطع و الترك حكمة .

[وليخزي الفاسقين] وليذلّ اليهود الخارجين عن إطاعة المسلمين و حصول ضرب من الاستخفاف لهم لأنهم إذا رأوا المؤمنين يتحكّمون في أموالهم كيف ما شاءوا من القطع و الترك يتضاعفون حسرة و يزدادون غيظاً .

و سبب النزول أنّ رسول الله ﷺ حين أمر أن تقطع نخيلهم و تحرق قالت بنو النضير : يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد في الأرض فما بال قطع النخيل و إحراقها ؟ و كان في أنفس المؤمنين أيضاً من ذلك شيء فنزلت الآية . وفي شرح مسلم للنووي أنّ أنواع التمر مائة و عشرون و قيل : أنواع التمر بلغت مائة و بضعاً و ثلاثين .

و نقل أنّ عالم فاس محمد بن غازي أرسل إلى عالم سلجماسة إبراهيم بن هلال يسأله عن حصر أنواع التمر بتلك البلدة فأرسل إليه جملاً أو جملين من كلّ نوع تمر

واحدة و أرسل إليه هذا ما يتعلّق به علم الفقير « وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها ،
و أحسن أنواعها العجوة والصيحانيّ والبرنيّ ، و البرنيّ فارسيّ معرّب أي ثمر مبارك
و أصله «بر نيك» انتهى .

[و ما أفاء الله على رسوله] في تفسير روح البيان في الآية بيان حال ما أخضعنا
أموالهم و ما موصولة و يجوز أن تكون شرطية أي و ما جعله الله فيئاً لرسوله و أرجعه
إليه و جعله عائداً إليه و في معنى العود والإرجاع إشعار بأنّ ما كان في يدهم بغير حقّ
لعدم إيمانهم فرجعه الله إلى مستحقّه لأنّه تعالى خلق الناس لعبادته وخلق ما خلق
ليتوسّلوا به إلى طاعته فمن خرج عن عبوديّته فليس له حقّ لكن لما كان هذا الحكم
يوجب الهرج و المرح فيكون موجبه بإذن النبيّ و الوليّ و يجوز أن يكون معنى « ما
أفاء الله » أي صيّره له فالعود على هذا المعنى أن يتحوّل الشيء إلى غيره بأمر و إن لم
يكن ذلك التحوّل مسبوqاً بالحصول له و كلمة « على » في الآية يؤيد هذا المعنى .

قال المطرّزي في مغرب اللغة : إنّ الفرق بين الغنيمة والفية و النفل أنّ الغنيمة
ما نيل من أهل الشرك عنوة و الحرب قائمة و حكمها أن تخمّس و سائرها بعد الخمس
للغانمين خاصّة . و الفية ما نيل منهم بعد ما تضع الحرب أوزارها و تصير الدار دار
الإسلام و حكمه أن يكون لكافة المسلمين و لا يخمّس و النفل ما ينقله الغازي أي
يعطاه زائداً على سهمه و هو أن يقول الإمام : من قتل قتيلاً من أهل الشرك فله سلبه أو
قال : للسريّة ما أصبتم فلکم ربه أو نصفه و لا يخمّس .

قوله تعالى : و ما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل
و لاركاب و لكن الله يسلطرسله على من يشاء والله على كل شيء قدير (٦)
ما افاء الله رسوله من أهل القرى فلله و للرسول و لذى القربى و اليتامى
و المساكين و ابن السبيل كيلا يكون دولة بين الاغنياء عنكم و ما آتاكم
الرسول فخذوه و ما نهكم عنه فانتهوا و اتقوا الله ان الله شديد العقاب (٧)
للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم و اموالهم يبتغون فضلا من

الله و رضوانا و ينصرون الله و رسوله اولئك هم الصادقون (٨) والذين تبوءوا الدار و الايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم و لا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا و يؤثرون على انفسهم و لو كان بهم خصاصة و من يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون (٩) و الذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان و لاتجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم (١٠) .

المعنى : الفيه ردّما كان للمشركين على المسلمين بتملك الله إياهم ذلك على شرط فيه ، و أفاته عليه أي رددته عليه .

الغزول : قال ابن عباس : الآية نزلت في أموال كفّار أهل القرى و هم بنو النضير و قريظة و هما بالمدينة و فدك و هي من المدينة علي ثلاثة أميال و خيبر و قرى عرينة و ينبع جعلها لرسوله يحكم فيها ما أراد و أخبر أنّها له كلّها فقال أناس : فهلاّ قسمها فنزلت الآية « و ما أفاء الله على رسوله منهم » و قيل : الآية الأولى بيان أموال بني النضير خاصة لقوله : « و ما أفاء الله على رسوله منهم الآية » و الآية الثانية بيان الأموال التي أصيب من غير قتال و قيل : إنّهما واحد و الآية الثانية بيان قسم المال الذي ذكر الله في الآية الأولى .

و بالجملة بين كيفية أموال بني النضير فقال :

[و ما أفاء الله على رسوله] من اليهود الذين أجلاهم و إن كان الحكم سارياً في جميع الكفار الذين حكمهم حكمهم [و ما أوجفتم عليه من خيل و لراكب] الإيجاف في الخيل و الإيضاع في الإبل و ما نافية أي لم تسيروا إليها على خيل و إبل و إنّما كانت ناحية من المدينة مشيتم إليها مشياً و الركاب الإبل التي يحمل القوم و «من» زائدة بعد النفي أي « ما أوجفتم خيلاً » و هو جماعة الأفراس لا واحده و قيل : واحده خائل لأنّ راكمه يختال و يتكبّر من تخيّل فضيلة تتراعى للإنسان من نفسه لما قيل : إنّه لا يركب أحد فرساً إلاّ وجد في نفسه نخوة و الخيل يستعمل للأفراس و الفرسان نحو يا خيل الله اركبي فهذا للفرسان و قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : عفوت لكم عن صدقة الخيل يعني الأفراس و الفرسان يرى المنامات كبني آدم و لاطحال له و هو مثل لسرعة و حر كته و البعير لا مراهة له

انتهى . و حاصل المعنى أنكم ما قطعتم لها شقة بعيدة و لا لقيتم مشقة شديدة ، و ما كان فيهم راكب إلا النبي ﷺ و كان راكباً حماره مخطوماً بليف و قيل : كان ﷺ راكباً جملاً فافتمتها صلحاً من غير أن يجري بينهما مسابقة .

[و لكن الله يسلط رسله على من يشاء] و قد سلط النبي ﷺ على هؤلاء تسليطاً غير معتاد من غير أن تقتحموا مطابق الحروب فحينئذ لاحق لكم في أموالهم و الأمر فيه مفوض إليه بصيغة حيث يشاء و لا تقسم قسمة الغنائم التي قوتل عليها و أخذت عنوة و قهراً و ذلك لأنهم طلبوا القسمة كخبير فنزلت لبيان هذا الأمر .
[و الله على كل شيء قدير] فيفعل ما أراد بقدرته .

قوله : [ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى] بيان للأول و لذلك لم يعطف عليه و يعينه سبحانه أنه للرسول و أهل بيته خاصة من غير أن يكون للمقاتلين حق .
[فله و للرسول] و ذكر الله التعظيم و التبرك و هو راجع إلى النبي ﷺ [و لذي القربى و اليتامى و المساكين و ابن السبيل] في الكافي عن أمير المؤمنين عليه السلام نحن و الله الذين عنى الله بذي القربى الذين قرنهم بنفسه و نبيه و اليتامى و المساكين منّا خاصة و لم يجعل لنا سهماً في الصدقة أكرم الله نبيه و أكرمنا أن يطعمنا الأوساخ مما في أيدي الناس و معنى الآية و لذي قربي الرسول و يتامى ذريته و مساكينهم و أبناء سبيلهم من بني هاشم .

و روي عن الصادق عليه السلام أنه قال : نحن قوم فرض الله طاعتنا و لنا الأنفال و لنا صفو المال يعني ما كان يصطفى لرسول الله من فراه الدواب و حسان الجوارى و الدرّة الثمينة و الشيء الذي لا نظير له .

ثم بين سبحانه لم فعل ذلك فقال : [كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم] و قرىء تكون بالتاء و رفع دولة و الدولة اسم للشيء الذي يتداوله القوم بينهم يكون لهذا مرة و المعنى لئلا يكون الفيء متداولاً بين الرؤساء منكم يعمل فيه كما كان يعمل في الجاهلية فإن الرؤساء منهم كانوا يستأثرون بالغنيمة و يقولون من عزّ بزّ و من غلب سلب فيجعلون الاستقلال منوطاً بالغلبة على الأموال فكل من غلب على شيء يستقل به مثل كليب بن

وائل و نظرائه .

[و ما آتاكم الرسول فخذوه] ما موصولة أي ما أعطاكم الرسول أيها المؤمنون من الفيء فخذوه و ما أمركم به فاعملوه [و ما نهاكم] عن أخذه و فعله [فانتهاوا] عنه و امتنعوا منه [و اتقوا الله] في مخالفته والتقوا الله [إن الله شديد العقاب] فيعاقب من يخالف أمره و نهيه .

والآية دالة و صريحة بأن اتباع أوامره و ترك نواهيه واجب سواء كان أصولاً اعتقادية أو فرداً عملية يجب التمسك به و كلما فعله والتقوا الله بأمر الله و قد قسم والتقوا الله أموال خيبر و من عليهم في رقابهم و أجلى بني النضير و بني قينقاع و أعطاهم شيئاً من المال و قتل رجال بني قريظة و سبى ذراريهم و نساءهم و قسم أموالهم على المهاجرين و من على أهل مكة و قد جعل الله تدبير الأمة إليه و إلى الذي نص النبي بخلافته بع. ده .

[للفقراء المهاجرين] الذين هاجروا من مكة إلى المدينة و من دار الكفر إلى دار الإسلام [الذين أخرجوا من ديارهم و أموالهم يبتغون فضلاً من الله و رضواناً] يطلبون بذلك رضى الله و نصرته دينه و رسوله و قوله : « للفقراء » قيل : بدل من لذي القربى قال الزجاج بيّن سبحانه من المساكين الذين لهم الحق فقال : « للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم و أموالهم » و هذا الإبدال الذي جعلوه من قوله : « لذي القربى » لئلا يلزم دخول الرسول في زمرة الفقراء لأنه يوهم الذمّ و النقصان و إذالم يصحّ تسمية الرسول فقيراً فلا أن لا يصحّ تسميته تعالى فقيراً أولى و منعوا الإبدال من الله و رسوله فحينئذ على الإبدال خصّ بأموال بني النضير من الفيء و لو كان المراد عدم الإبدال فالمراد غنائم خيبر حيث قسم للمهاجرين و لم يقسم الأتصار و إن كان المعنى لرسول الله لأنّ الإبدال على ظاهر اللفظ من خلاف الواجب في تعظيم الله و رسوله . و قوله : « الذين أخرجوا » حيث اضطروهم كفّار مكة إلى الخروج و أخذوا أموالهم و كانوا مائة فخرجوا منها و إلا فهم هاجروا باختيارهم حباً لله و رسوله و اختار و الإسلام على ما كانوا فيه من الشدة حتى كان الرجل يعصب الحجر على بطنه ليقيم

صلبه من الجوع و كان الرجل يتخذ حفيرة في الشتاء ماله دار غيرها وكان وَاللَّهُ يَبْشُرُ الصعاليك من المهاجرين بالنور التام يوم القيامة و يقول : يدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم و ذلك مقدار خمسمائة عام .

[و ينصرون الله و رسوله] عطف على يبتغون أي ناوين نصرة الله باعلاء دينه و نصرة رسوله و أي نصرة [أولئك] المهاجرون [هم الصادقون] الراسخون في الصدق كأن الصدق مقصور عليهم .

ثم مدح سبحانه الأنصار حتى طابت عن الفياء أنفسهم فقال : [و الذين تبوءوا الدار] يعني المدينة و هي دار الهجرة [و الإيمان] مدحهم الله بخلوص الإيمان و لزوم دار الهجرة تبوء في مكان أي اتخذ مسكناً و عطف الإيمان على الدار في المعنى لأن الإيمان ليس بمكان يتبوءه و المراد و آثروا الإيمان [من قبلهم] قيل : المراد من قبل قدم المهاجرين عليهم و قيل : تقدير الآية « و الذين تبوءوا الدار » من قبل المهاجرين لأن الأنصار لم يؤمنوا قبل المهاجرين و الذي قال : معنى الآية قبل إيمان المهاجرين المراد منهم أصحاب ليلة العقبة و هم سبعون رجلاً بايعوا النبي وَاللَّهُ يَبْشُرُ على حرب الأبيض و الأحمر .

و الأنصار بنو الأوس و الخزرج ابني حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان ابن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عامر بن شالح و هو أصل العرب العرباء و من الأنصار غسان اسم ماء نزل عليه قوم من ولد الأزد فشرّبوا منه فنسبوا إليه و عطف الإيمان على التبوء على تنزيل الحال منزلة المحل أو المعنى آثروا الإيمان كما ذكرنا و ذلك مثل قوله : « علفتها تبناً و ماء بارداً » .

[يحبسون من هاجر إليهم] يوصف الأنصار أي يحبسون من هاجر إليهم لمحببتهم الإيمان [و لا يجدون في صدورهم] و نفوسهم [حاجة] مما أوتوا المهاجرون من الفياء أي إن نفوسهم لم تبتغ ما أوتوا و لم تطمع إلى شيء منه يحتاج إليه ولم يحسدوا باقتصاصهم الفياء من أموال بني النضير .

[و يؤثرون] أي يقدمون المهاجرين [على أنفسهم] بأموالهم و منازلهم [ولو كان بهم خصاصة] أي فقر و حاجة و لم يكن إيثارهم عن غنى و الخصاصة خلّة و حاجة و أصلها خصاص البيت و هي فرجه شبه حالة فقرهم بيت ذي فرج و هو من القصب و الشجر و ذلك يرى من ذلك البيت الخلّة و الفرجة .

و كان ﷺ قسم أموال بني النضير على المهاجرين و لم يعط الأنصار إلا ثلاثة نفر محتاجين أبادجانة سماك بن خرشة و سهل بن حنيف و الحارث بن الصمة و قيل : لم يعط إلا رجلين لأنّ الحارث قتل في بئر معونة و قال ﷺ لهم : إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم و دياركم و شاركتموهم في هذه الغنيمة و إن شئتم كانت لكم دياركم و أموالكم و لم يقسم لكم شيء من الغنيمة فقالت الأنصار : بل نقسم لهم من أموالنا و ديارنا و نؤثرهم بالغنيمة و لانشاركهم فيها فنزلت الآية « و يؤثرون » الآية و لمّا أعطى المهاجرين أمرهم ﷺ بردّ ما كان للأَنْصار لاستغنائهم عنهم و لأنّهم لم يكونوا ملكوهم و إنّما كانوا دفعوا لهم النخيل لينفعوا بشمرها .

روي عن أنس إنّهُ قال : أهدى لرجل من الأنصار رأس شاة و كان مجهوداً فوجّه به إلى جاره زاعماً أنّه أحوج إليه منه فوجّه جاره أيضاً إلى آخر فلم يزل لبعث به واحد إلى آخر حتّى تداول ذلك الرأس سبعة بيوت إلى أن رجع إلى المجهود الأوّل .

قال حذيفة العدويّ : انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عمّ لي و معي شيء من المال و أنا أقول : إن كان به رمق سقيته فاذاً أنا به فقلت : أسقيك ؟ فأشار برأسه أن نعم فاذاً برجل يقول : آه آه فأشار إليّ ابن عمّي أن انطلق إليه فاذاً هو هشام بن العاص ، فقلت : أسقيك ؟ قال : نعم فسمع آخر يقول : آه آه ! فأشار هشام أن انطلق إليه فجمت إليه فاذاً هو قدمات فرجعت إلى هشام فاذاً هو قدمات فرجعت إلى ابن عمّي فاذاً هو قدمات .

و الصحيح إنّ الآية نزلت في حقّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام في الأُمالي عن النبيّ ﷺ أنّه جاء إليه رجل و شكّا إليه الجوع فبعث رسول الله إلى بيوت أزواجه فقلن : ما عندنا إلا الماء فقال رسول الله : من لهذا الرجل الليلة فقال عليّ بن أبي طالب عليه السلام : أناله يا رسول الله فأتى فاطمة و قال : لها ما عندك يا ابنة رسول الله ؟ فقالت : ما عندنا

إلا قوت العشية لكننا نؤثر ضيفنا فقال : ابنة محمد نومي الصبية و أطفئ السراج فلما أصبح عليّ عليه السلام غدا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره الخبر فلم يبرح حتى أنزل الله « و يؤثرون على أنفسهم ، الآية .

و عن أمير المؤمنين في الاحتجاج إنه قال للقوم بعد موت عمر بن الخطاب في حديث عد المناقب : نشدتكم بالله هل فيكم أحد نزلت فيه هذه الآية غيري ؟ قالوا : لا . [و من يوق شح نفسه] الشح بخل مع الحرص في مقابلة السخاء و في مقابلة الجود البخل و الجود و البخل يتطرق إليهما الاكتساب بطريق العادة بخلاف الشح و السخاء لأنهما غريزتان و كل سخى جواد و ليس كل جواد سخياً و من يوق بالملكات و الرياضيات من الإطاعة ينزّم نفسه و حرصه على إمساك المال [فأولئك هم المفلحون] الفائزون بكل مطلوب الناجون من كل مكروه .

[و الذين جاءوا من بعدهم] هم الذين هاجروا بعدما قوى الإسلام جاءوا إلى المدينة أو المراد التابعون باحسان وهم الذين اتبعوا النبي بعد الفريقين ويشمل حال المؤمنين إلى يوم القيامة كما في الحديث مثل أمّتي كالمطر لا يدري أوّله خير أم آخره [يقولون] خير للموصل لمن تقدّمهم من المؤمنين يدعون لهم قائلين : [ربنا اغفر لنا و لإخواننا الذين سبقونا بالإيمان] يستغفرون لأنفسهم و لمن سبقهم بالإيمان .

[و لا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا] أي حقداً و عداوة لأحد من المؤمنين و يعصمنا ربنا من إرادة سوء المؤمنين لأن من أبغض مؤمناً و أراد به سوء لأجل إيمانه فهو كافر و إذا كان بغضة لغير ذلك فهو فاسق [ربنا إنك رؤوف رحيم] متعطف على العباد منعم عليهم و في الآية دلالة على أن الترحم و الاستغفار مستحب على المؤمنين الآخرين للسابقين منهم لاسيما لآبائهم و لمن علّمهم أمور دينهم .

فائدة الغلالة اسم لما يلبس بين الشعار و الدثار ، والغلّ و الغلول تدرّع الحقد و يستعار الغلالة للدرع كما يستعار الدرع قال الشاعر :

لا تعجبوا من بلى غلالته * قد زرّ أزراره على القمر

قوله تعالى : ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لآخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وإن قوتلتهم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون (١١) لئن أخرجوا لا يخرجون معهم و لئن قوتلوا لا ينصرونهم و لئن نصرهم ليوان الأدبار ثم لا ينصرون (١٢) لانتم أشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون (١٣) لا يقاتلونكم جميعاً الا في قرية محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً و قلوبهم شتى ذلك بانهم قوم لا يعقلون (١٤) كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا و بال امرهم ولهم عذاب اليم (١٥) .

لما وصف الله المهاجرين و الأنصار و التابعين لهم عقب ذلك بذكر المنافقين و الهمزة استفهام للتعجب عن حال المنافقين و الكافرين [ألم] تنظر و تعلم [إلي الذين نافقوا] من أهل المدينة النفق الطريق النافذ و منه نافقاء اليربوع و هو الدخول من باب و الخروج من باب [يقولون لآخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب] و المراد بالآخوان بنو النضير و باخوانهم توافقهم في الكفر و صداقتهم و موالاتهم : [لئن أخرجتم] اللام موطئة للقسم أي والله لئن أخرجتم أيها الإخوان دياركم و قراكم قسراً باخراج محمد إيناكم منها [لنخرجن] البتة [معكم] و نذهب في صحبتكم أينما ذهبتم و هو جواب للقسم و جواب الشرط مضمرة و لما كان جواب القسم و جواب الشرط متماثلين اقتصر على جواب القسم .

[و لا نطيع فيكم أحداً] أي في شأنكم لا نطيع أحداً يمنعنا من الخروج معكم أبداً [و إن قوتلتهم] أي قاتلكم محمد و أصحابه حذف منه اللام الموطئة [لننصرنكم] أي لنعاونكم على عدوكم [والله يشهد إنهم لكاذبون] في مواعيدكم المؤكدة بالآيمان الفاجرة .

[لئن أخرجوا] قهراً [لا يخرجون معكم] تكذيب لهم في أقوالهم [و لئن قوتلوا] لا ينصرونهم [و كان الأمر كذلك] فإن ابن أبي و أصحابه أرسلوا إلى بني النضير و ذلك سرّاً أن لا يخرجوا من دياركم و أقيموا في حصونكم فإن معي ألفين من قومي

وغيرهم من العرب فطمع بنو النضير فيما قاله اللعين فقال أحد سادات بني النضير : وهو سلام بن مشكين لحيّ بن أخطب الذي كان هو المتولّي لأمر بني النضير : والله يا حيّ إنّ قول ابن أبيّ لباطل و إنّما يريد أن يورثك في الهلكة حتّى تحارب محمداً فيجلس في بيته و يتركك فقال حيّ : تأبى نفسي إلاّ عداوة محمّد و إلاّ قتاله فقال سلام : فهو والله جلاؤنا من أرضنا و زهاب أموالنا و سبي ذراريّنا فكان ماكان .

[و لئن نصرهم] فرضاً [ليولنّ الأديبار] فراراً و انهزاماً و تولية الأديبار كناية عن الانهزام [ثمّ لا ينصرون] أي لا يكون النصر للمنافقين و لا ينفعهم نفاقهم .
[لأنتم] يا معشر المسلمين [أشدّ رهبة في صدورهم من الله] أي إنّ خوف المنافقين منكم أشدّ من خوفهم من الله لأنهم يشاهدونكم و يعرفونكم و لا يعرفون الله . و حاصل المعنى أنّهم يظهرون لكم في العلانية خوف الله و أنّهم أهيب في قلوبهم من الله فإن قلت : كأنّهم كانوا يرهبون من الله حتّى يكون رهبتهم منكم أشدّ قلنا : إنّ رهبتهم في السرّ منكم أشدّ من رهبتهم من الله التي يظهرونها لكم و ذلك لأنّهم كانوا يظهرون رهبة شديدة من الله .

[ذلك بأنهم قوم لا يفقهون] الحقّ و لا يعلمون عظمة الله و ذلك إشارة إلى ما ذكر من كون رهبتهم منكم أشدّ و العبد هو الذي لا يخاف إلاّ من مولاه و لا يراقب إلاّ إياه و لا يلتفت إلى ما سواه .

[و لا يقاتلونكم] معاشر المؤمنين جميع [إلاّ في قرى محصّنة] أي إنّهم لا يبرزون لحربكم و إنّما يقاتلونكم متحصّنين بالقرى [أو من وراء جدر] أي يرمونكم من وراء الجدران بالنبل و الحجر . و القرى جمع قرية و هي مجتمع الناس للتوطن .

[بأسهم بينهم شديد] استيناف سيق لبيان أنّ ما ذكر من رهبتهم ليس لضعفهم و جنبهم في أنفسهم و هم بالنسبة إلى أقرانهم أقوياء و إنّما جنبهم و ضعفهم بالنسبة إليكم بما قذف الله في قلوبهم من الرعب و إذا أراد الله نصرة قوم استأسدأرتهم و إذا أراد الله قهر قوم استرنب أسدهم و وصف البأس بالشدة للمبالغة .

[تنحسبهم] يا محمّد [جميعاً] متفقين ذوي السعة [و قلوبهم شتى] و الحال أنّ

قلوبهم متفرقة و في الآية تشجيع لقلوب المؤمنين على قتالهم و أهل الباطل متفرقون
أبدأ و إن اجتمعوا بالأبدان و توافقوا بالظواهر لأن الله يقول : « تحسبهم ،
[ذلك بأنهم] أي ما ذكر من تشتت قلوبهم بسبب أنهم [قوم لا يعقلون] لا
شيئاً حتى يعرفوا الحق من عدم العقل والفقه و هو مذموم في القرآن بموجب هذه الآية
و مما نسب إلى أمير المؤمنين قوله : و إن العقل عقلان : فمسموع و مطبوع .

و لا ينفع مطبوع إذا لم يك مسموع * كما لا تنفع الشمس و نور العين ممنوع
قال علي بن عبيدة : العقل ملك و الخصال رعيّة فاذا ضعف عن القيام عليها وصل
الخلل إليها فسمع هذا الكلام أعرابي فقال : هذا الكلام يقطر عسله : و كل شيء
إذا أكثر رخص إلا العقل فإنه إذا أكثر غلا : و قال أعرابي : لو صور العقل لأظلمت معه
الشمس و لو صور الحق لأضاء معه الليل و غاية قوة العقل أن يتسلّم لأمر الشرع
لأنّ الذي وضع الأشياء أعرف بمواضعها .

قوله : [كمثّل الذين من قبلهم] خبر مبتدئ محذوف تقديره مثله أي مثل المذكورين
من المنافقين و اليهود كمثّل المشركين الذين قتلوا قبلهم بيدد لأنّ البدر كانت قبل غزاة
بني النضير بستة أشهر أو سنة أو كمثّل بني قينقاع لأنهم أخرجوا قبل بني النضير إلى
الشام و لم يدبر الحول عليهم حتى هلكوا .

[ذاقوا و بال أمرهم] الوبل و الوابل المطر الثقيل و طرعاة الثقل يقال : للأمر
الذي يخاف ضرره و بال أي ذاقوا سوء عاقبة كفرهم و هو عذاب القتل و الأسر بيدد
[و لهم] في الآخرة [عذاب أليم] مولم لا يقادر قدره حيث يكون ما في الدنيا بالنسبة
إليه كالذوق بالنسبة إلى الأكل .

قوله : كمثّل الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني برىء
منك انى اخاف الله رب العالمين (١٦) فكان عاقبتهما انهما فى النار خالددين
فيها و ذلك جزاء الظالمين (١٧) يا ايها الذين امنوا اتقوا الله و لتنظر
نفس ما قدمت لغد و اتقوا الله ان الله خبير بما تعملون (١٨) و لاتكونوا
كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون (١٩) لا يستوى أصحاب
النار و اصحاب الجنة اصحاب الجنة هم الفائزون (٢٠) .

أي مثل المنافقين في غرورهم لبني النضير وخذلانهم إياهم] كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر [والمراد من قول الشيطان مجاز عن الإغواء والإغراء فإن أريد بالإنسان الجنس فالمراد من قوله: [قال إنني بريء منك] يكون يوم القيامة كما ينبيه عنه قوله: [إنني أخاف الله رب العالمين] وإن أريد من الإنسان الإنسان المعهود وهو أبو جهل - كما قيل في بعض التفاسير - فقوله: « اكفر » أي دُم على الكفر وذلك يوم بدر حين قال لهم: « لا غالب لكم اليوم من الناس وإنني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إنني بريء منكم إنني أرى ما لا ترون إنني أخاف^(١) » لأن أصحاب أبي جهل لما قاتلوا يوم بدر ونصر الله محمداً بأمداد الملائكة رأى إبليس جبرئيل مع محمد فخافه فتبرء اللعين منهم وانهمزم .

وقال بعض أهل التفسير: إن المراد بالإنسان في الآية المذكورة برصيصة الراهب من بني إسرائيل في زمان القترة عن ابن عباس قال: إنّه كان في بني إسرائيل عابداً اسمه برصيصة عبد الله في صومعة سبعين سنة وقيل: مائتين وخمسين سنة حتى كان يؤتى بالمجانين والمرضى فيعودهم فيبرءون على يده وكان يحسده إبليس غاية وقد عجز عن إغوائه فأوتي يوماً بامرأة في شرف قد جنت وكان لها إخوة فأتوه بها فكانت عنده فلم يزل به الشيطان يزيّن له حتى وقع عليها فحملت فلما استبان حملها أخاف الراهب من الشناعة فقتلها ودفنها فلما فعل ذلك ذهب الشيطان حتى لقي إختها فأخبرهم بالذي فعل الراهب وأنه دفنها في مكان كذا حتى بلغ الخبر إلى ملكهم فسار الملك والناس فاستنزلوه فأقرّ لهم بالذي فعل فأمر به فصلب فلما وقع على خشبته تمثّل له الشيطان وقال: أنا الذي أقيمتك في هذا فهل أنت مطيعي في ما أقول لك أخلصك مما أنت فيه؟ قال: نعم قال: اسجد لي سجدة واحدة فقال: كيف أسجد لك وأنا على هذه الحالة؟ فقال: أكتفي منك بالإيمان فأومأ له بالسجود فكفر بالله وقتل فهو قوله: « كمثل الشيطان إذا قال للإنسان اكفر » انتهى .

[فكان عاقبتهمَا أَنهما في النار خالدین فیها و ذلك جزاء الظالمین] أي صار عاقبة الفريقین من الداعی و المدعوّ و من المنافقین و اليهود أَنهما معدّبان في النار و ذلك جزاؤهم .

[يا أيّها الذین آمنوا] إيماناً خالصاً [اتقوا الله] و تحرّزوا عن العصیان بالطاعة و تجنّبوا عن الكفر بالشکر و توقّوا عن النسيان بالذکر [و لتنظر نفس ما قدّمت لغد] ما استفهامیة أي أيّ شيء قدّمت من الأعمال لیوم القيامة و عبّر عن یوم القيامة بالغد لدنوّه لأنّ كلّ آت قريب سمّاه بالیوم الذی یلی یومک تقریباً له أو لأنّ الدنیا زمانها کیوم و الآخرة کغده .

[و اتقوا الله] تکریر للتأکید في شأن التقوی و الأوّل في أداء الواجبات والثانی في ترك المحرّمات كما يؤذّن به الوعيد بقوله : [إنّ الله خبیر بما تعملون] و التقوی هو التجنّب عن كلّ ما يؤثم من فعل و ترك و وقایة النفس في الدنیا عن ترتّب الضرر في الآخرة و تقوی العامة عن ضرر الأفعال و تقوی الخاصة عن ضرر الصفات من الأخلاق و تقوی أخصّ الخواصّ عن جمیع ما سوى الله .

قال مالك بن دينار : دخلت جبانة البصرة فإزاً أنا بسعدون المجنون فقلت له : كيف حالک ؟ فقال كيف حال من أصبح و أمسى يريد سفرأ بعيداً بلا أهبة ، و تقدّم على ربّ عدل حاکم بين العباد ثمّ بکی بکاء شديداً قلت : ما يبکیک ؟ قال : أبکاني قلّة الزاد و بعد المسافة و العقبة الکؤود فقلت : إنّ الناس يزعمون أنّک مجنون فقال : و أنت اغتررت بقولهم مالي جنّة و لكن حبّ مولاي قد خالط قلبي و جرى بين لحمي ودمي فأنا من حبه هائم ثمّ قال : يا مالك کن من الناس خائباً ، و ارض بالله صاحباً ، قلبّ الناس كيف شئت تجدهم عقارباً .

[و لا تكونوا] أيّها المؤمنون [كالذین] المراد بالموصول اليهود و المنافقین المعهودین أو الجنس کائناً من کان من الکفّار [نسوا الله] فيه حذف المضاف أي نسوا حقّ الله و ترکوا أداء حقّ الله من الطاعات [فأنساهم] بسبب ذلك [أنفسهم] أي جعلهم ناسين لأنفسهم حتّى يتدارکوا بالاعتذار و التوبة و هذا الإساءة مجازاتهم بسبب

إقدامهم على ترك طاعة الله و نسيانهم ذكر الله .

[أولئك] الناسون المخذولون بالإِنساء [هم الفاسقون] الخارجون عن طريق الطاعة و «هم» يفيد معنى شدة الخروج عن الطاعة بل عن الإيمان و الإنسان العاقل لا بدّ وأن يراعي حقّ ربوبيّة الله و مراعاة حطّ شخصه كي لا يحرم السعادة لأنّ المنسي محروم لامحالة .

[لا يستوي أصحاب النار] الذين نسوا الله و استحقّوا النار ، و النار مع اللام من أسماء جهنّم في تعبير القرآن كالساعة للقيامة و جاء في الشعر أيضاً :

الجنّة الدار فاعلم إن عملت بما * يرضي الإله و إن فرطت فالنار
هما محلّان ما للناس غير هما * فانظر لنفسك ماذا أنت تختار

و يقال : أصحاب النار و أصحاب الجنّة فباعتبار الصحبة الأبدية و الاقتران الدائم و الصحبة في الأصل اقتران الشيء بالشيء في زمان مما قلّ أو كثر و لا يقال للعصاة المؤمنيين أصحاب النار قوله : [و أصحاب الجنّة] الذين اتقوا المعاصي أي لا يستوون [أصحاب الجنّة هم الفائزون] بيان لكيفيّة عدم الاستواء بين الفريقين هم أهل الكرامة و أصحاب النار أهل الهوان فنسب الله الناس بتذكير سوء حال أهل النار و حسن حال أهل الجنّة للاحتراز عن الغفلة .

قال النبي ﷺ : إنّ أهون أهل النار عذاباً و أخفّهم من له شراكان و نعلان من النار و يغلي منها دماغه كما يغلي المرجل ما يرى إنّ أحداً أشدّ منه عذاباً و كان بعض العارفين ليلة يردّد قوله : « و جنّة ترضها السماوات و الأرض ^(١) » و يبكي ف قيل له : قد أبكتك ما تبكي عند مثلها ؟ فقال : فما ينفعني عرضها إذا لم يكن لي فيها موضع قدم .

قوله : لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيتنه خاشعاً متصدعاً من خشية الله و تلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون (٢١) هو الله الذي لا اله هو عالم الغيب و الشهادة هو الرحمن الرحيم (٢٢) هو الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان

الله عما يشركون (٢٣) هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى
يسبح له ما فى السماوات و الارض و هو العزيز الحكيم (٢٤) .

[لو أنزلنا هذا القرآن] العظيم الشأن المنطوي على فنون القوارع قال ابن عباس : إن السماء أطبّ من ثقل الألواح لمّا وضع الله عليها في وقت موسى فبعث الله لكلّ حرف منها ملكاً فلم يطيقوا حملها فخففها على موسى وكذلك الإنجيل على عيسى و الفرقان على محمّد ثمّ إنّهُ لا يلزم في الإشارة وجود حملة المشار إليه إي الأبعاض المترتبة وجوداً بل يكفي وجود بعض الإشارة حقيقة و وجود بعض حكماً و يحتمل أن يكون المشار إليه هنا الآية السابقة من قوله : « يا أيّها الذين آمنوا ، إنيخ ، فإنّ لفظ القرآن كما يطلق على المجموع يطلق على البعض منه حقيقة بالاشتراك أو باللغة أو مجازاً بالعلاقة فيكون التذكير باعتبار تذكير المشار إليه .

[على جبل] من الجبال وهي ستّة آلاف وستمائة و ثلاثة و سبعون جبلاً سوى التلول كما في زهرة الرياض .

[لرأيتّه خاشعاً] يا من شأنه الرؤية أو لرأيتّه يا محمّد مع أنّ شأن الجبل القسوة و الصلابة خاضعاً ذليلاً و الفرق بين الخشوع و الخضوع أنّ الخشوع انقياد الباطن للحقّ و الخضوع انقياد الظاهر له و قيل : الخضوع في البلدان و الخشوع في الصوت و البصر و أكثر ما يستعمل في القلب بسبب ضراعة القلب [متصدّعاً من خشية الله] أي متشقّقاً من أن يعصيه فيعاقبه و الصدع شقّ في الأجسام الصلبة كالزجاج و الحديد و الصخر و المراد علو شأن تأثير القرآن لما فيه من المواظ و توبيخ الإنسان على عدم تخشّعه و قسوة قلبه عند تلاوته .

و حاصل المعنى أنّه لو ركّب في الجبل عقل و شعور كما ركّب فيكم أيّها الناس ثمّ أنزل عليه القرآن و وعد و واعد كما وعدتم و أوعدتم لخشع و تصدّع من خشية الله و أنتم لا تنفعلون و هذا البيان مثل قولك لمن تعظه و لا تنجع فيه وعظك : لو كانت هذا الحجر لأثر فيه .

[و تلك الأمثال] إشارة إلى هذا المثل و إلى أمثاله في مواضع القرآن و المثل

حقيقة عريضة في القول المشهور السائر و يستعار لكل أمر غريب [نضربها للناس] و نبينها لهم [لعلهم يتفكرون] فيما ينفعهم و يتذكرون به قال النبي ﷺ : أعطوا أعينكم حظها من العبادة قالوا : ما حظها من العبادة قال : النظر في المصحف و التفكير فيه و الاعتبار عند عجائبه .

قال بعض العلماء : من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو و من لم يكن سكوته تفكيراً فهو سهو و من لم يكن نظره عبرة فهو لهو و التفكير إما أن يكون في الخالق أو الخلق و الأول إما في ذاته أو في صفاته أو في أفعاله أما في ذاته فممنوع لأنه لا يعرف الله إلا الله إلا أن يكون التفكير في ذاته باعتبار عظمته و جلاله من حيث وجود الواجب و امتناع الممكن و الصمدية التي هي الاستغناء عن الكل و أما في صفاته فهو فيها باعتبار كمالها بحيث يحيط علمه بجميع المعلومات و قدرته بجميع الأشياء و نحو ذلك و أما في أفعاله فهو فيها بحسب شمولها و وقوعها على الوحة الأتم كل يوم هو في شأن و الثاني إما أن يكون فيما كان من العلويات و السفليات أو فيما سيكون من أهوال القيامة و أهوال الآخرة إلى أبد الآباد مثل أن يتفكر في وعد الله بالثواب فيتولد منه الرغبة في الطاعة و إما في وعيد الله بالعقاب فيتولد منه الرهبة من المعصية و إما في تفريط نفسه في جنب الله فيتولد منه الندامة و التوبة .

[هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب و الشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله لا إله إلا هو الملك] في سورة الحشر خواص بعض أسماء الحسنی و كلمة « هو » في أصل وضعه كناية عن المفرد المذكر الغائب و كثيراً ما يكنى به عن من لا يتصور فيه الذكورة و الأنوثة كما هو ههنا فإنه راجع إلى الله و هو مبتدئ و خبره لفظة الله أي هو المعبود بالحق المسمى بالله الدال على جلال الذات و كمال الصفات فبهذا التعبير لا يلزم أن يتحد المبتدئ و الخبر بأن يكون التقدير الله الله حتى لا يصح الحمل فحصل التباين الاعتباري أو « الله » بدل من هو الموصول مع صلته خبر المبتدئ أو « هو » إشارة إلى الشأن والله مبتدئ و « الذي لا إله إلا هو » خبر و الجملة خبر ضمير الشأن و « إله » مبني على الفتح مرفوع المحل على الابتداء و « لا » لنفي الجنس أي جنس المعبود بالحق لتعدد

الآلهة الباطلة و « إلهو » مرفوع على البدلية من محل المنفي أو من ضمير الخبر المقدر للا و المقدر موجود أو ممكن .

[الملك] بفتح الميم و كسر اللام هو المتصرف بالأمر و النهي في الجمهور و ذلك يختص بسياسة الناطقين و لهذا يقال : « ملك الناس » و لا يقال : ملك الأشياء و الأنبياء و الأوصياء عبيد الملك على حسب الحقيقة لأنهم مستغنون عن غيره تعالى و احتياج الناس كلهم إليهم في حياتهم العاجلة و الآجلة فهم الملوك في العالم العرضي و إلا فلا ملك للعبد قيل : و خاصية اسم الملك صفاء القلب فمن واظب عليه وقت الزوال كل يوم مائة مرة صفا قلبه و زال كدره و من قرأه بعد الفجر مائة و إحدى و عشرين مرة أغناه الله من فضله .

[القدوس] هو من صيغ المبالغة من القدس و هو النزاهة و الطهارة أي البليغ في النزاهة عما يوجب نقصاناً و هو بالعبري قديسا و حقيقة القدس الاعتلاء عن قبول التغيير و روح القدس جبرئيل لأنه عَلَيْهِ السَّلَام ينزل بما يطهر به نفوسنا من الفيض الإلهي و القرآن و الحكمة و بيت المقدس لأنه يتطهر فيه من الذنوب ، قال السهروردي : من قرأه كل يوم ألف مرة في خلوة أربعين يوماً شمله بما يريد .

[السلام] أي ذو السلامة من كل آفة و نقص و عجز هو مصدر بمعنى السلامة و صف به للمبالغة نحو زيد عدل فما ورد من قوله ﷺ : أنت السلام معناه أنت الذي سلم من كل عيب و نقص و منك السلام أي الذي يعطي السلامة و إليك السلام أي يرجع السلامة إليك و كل من عليها فان و خاصية هذا الاسم صرف الآلام و المصائب و إذا قرئ على مريض مائة و إحدى عشرة مرة برى أو خفف عنه ما لم يحضر أجله .

[المؤمن] و الإيمان التصديق بوحدانية الله و هو تعالى موحد نفسه بقوله : « شهد الله أنه لا إله إلا هو » و قيل : المعنى واحب الأمن و الطمأنينة للنفوس بعدم ظلمه في أمور لأن الإنسان في أصل فطرته عرضة للأخطار مثل المرض و الجوع و العطش و المحرقة و المغرقة و الجارحة و الكاسرة و لم يؤمنه من هذه المخاوف إلا الذي أعد له الأسباب الدافعة له مثل الأطعمة و أعدّها لجوعه و الأشربة لعطشه و نحو ذلك فهو تعالى آمنه ثم خوفه الأعظم من هلاك الآخرة و لا يحصنه منه إلا كلمة التوحيد و الله هادي به

إليها حيث قال : لا إله إلا الله حصني فمن دخله أمن من عذابي فلا آمن في العالم إلا وهو مستفاد من أسباب هو متفرد بخلقها وأحق العباد بهذا الاسم من كان سبباً لأمن الخلق من عذاب الله بالهداية إلى طريق الله والإرشاد إلى سبيل النجاة وبهذا المعنى أشار والله المستودع بقوله : إنكم تنهافتون في النار تنهافت الفراش وأنا آخذ بحجزكم .

فإن قيل : هو الذي خلق أسباب الخوف فكيف ينسب إليه الأمن ؟ فالجواب أن الخوف تارة للعبد من معاصيه فهو المسبب على نفسه الخوف وقد حذره تعالى عن العصيان فالعبد أوجب على نفسه الخوف وتارة يكون الخوف من عظمتة تعالى وذلك أمر حسن له وأما الأمن فمنه تعالى وكونه تعالى مخوفاً لا يمنع كونه مؤمناً كما أن كونه مذنباً لم يمنع كونه معزاً ، انتهى .

[المهيمن] قيل : عد هذا الاسم من أسماءه التي علت لعل معناها عن مجاري الاشتقاق فلا يعلم تأويله إلا الله وقال بعضهم : المبالغ في الصيانة عن المضار من قولهم : هيمن الطائر إذا نشر جناحه على فرخه حماية له ويؤول معناه إلى الرقيب الحافظ وقيل : معناه الشاهد ومنه قوله تعالى : « ومهيماً عليه » وقيل : مفعول من الأمن وأصله مؤامن بهمزتين قلبت الهمزة الثانية ياء لكرهه اجتماعهما فصار مؤيمن ثم صيرت الأولى هاء كما قالوا في أراق الماء والدم : هراقه فيكون حينئذ بمعنى المؤمن .

حكى أن ابن قتيبة لما قال في المهيمن : إنه مصغر من مؤمن والأصل مؤيمن فأبدلت الهمزة هاء قيل له : هذا يقرب من الكفر فليستق الله قائله لأن فيه ترك التعظيم وقد قيل : إنه من أسماء الله في الكتب القديمة وقيل : إن خاصية هذا الاسم الإشراف على البواطن والأسرار ومن قرأ مائة مرة بعد الغسل والصلاة في خلوة بجمع خاطر نال مانوى و نافذ للنسيان .

[العزير] الغالب في حكمه أو من عزّ عزاره إذا قلّ والمراد عديم المثل وخاصية هذا الاسم الغنى والعزّ صورة أو معنى فمن ذكره أربعين يوماً في كل يوم أربعين مرة أعزّه الله ولم يحوجه إلى أحد ، وفي الأربعين الإدريسية يا عزيز المنيع الغالب على أمره فلا شيء يعادله من قرأ سبعة أيام متواليات كل يوم ألفاً أهلك خصمه وإن ذكره في

وجه العسكر سبعين مرة و يشير إليهم بيده فإنتهم ينهزمون .
 [الجبّار] الذي قهر خلقه أو أصلح حالهم و سمّي الذين يدعون أن الله يكره
 العباد على للماصي في عرف المتكلمين بالمجبّرة وفي قول المتقدمين : جبريّة و في وصف
 الله بالجبّار على أنّه يجبر الناس على ما هو المصلحة لهم من مرض أو موت و بعث و فقر
 و نحوها و خاصيّة هذا الاسم الحفظ من ظلم الجبابرة يذكر عشر صباحاً و مساءً إحدى
 و عشرين مرّة .

[المتكبّر] الذي تكبّر عن كلّ ما يوجب حاجة و نقصاناً أي إنّهُ المبالغ في
 الكبرياء و العظمة أقصى المراتب و الذي تكبّر عن كلّ ما يوجب حاجة و نقصاناً و صيغة
 التفعّل للتكليف بما لم يكن فإذا قيل : تكبّر و تسخّي دلّ على أنّه يرى و يظهر الكبر
 و السخاء و ليس بكبير و لاسخّي و التكليف بما لم يكن لما كان على الله مستحيلاً حمل
 على لازمه و هو كمال الكبر و منه ترحّمت على إبراهيم بمعنى رحمة كمال الرحمة
 و الفرق بين المتكبّر أن المتكبّر عام لإظهار الكبر الحقّ كما وصف الله و لإظهار
 الكبر الباطل كما في قوله : « سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير
 الحقّ » و الاستكبار إظهار الكبرياء باطلاً كما في حقّ إبليس استكبر .

فإن قيل : إنّ التكبّر صفة ذمّ فكيف جعل من أسماء الله ؟

فالجواب أنّ التكبّر هو الامتناع عن الانقياد فلهذا كان مذموماً في حقّ الخلق
 و هو صفة مدح في حقّ الله لأنّه يفيد الاستغناء و المتكبّر هو الذي يرى غيره حقيراً
 بالنسبة إلى شخصه و هذا المعنى لا يتصور إلاّ الله فهو المتكبّر و خاصيّة هذا الاسم ظهور
 الخير و البركة .

[سبحانه الله عمّا يشركون] تنزيه له تعالى عن إشراكهم أي سبحوا الله تسبيحاً

و تنزيهه عمّا يشركه الكفّار به من المخلوقات .

[هو الله الخالق] المقدّر للأشياء على مقتضى حكمته و معنى الحقّ التقدير يقال :

خلق النعل إذا قدرها وسواها بمقياس و خاصيّة هذا الاسم إذا ذكر في جوف الليل
 ساعة فما فوقها يتنوّر قلب الذاكر و يذكر لجمع الضايغ و الغايب خمسة آلاف مرّة .

[الباري، المصور] الموجد للأشياء حالكون الأشياء بريئة من التفاوت والنقصان بحيث لا يجوز أن يزيد عليها أو ينقص منها على حسب ما يقتضيه المصلحة مثل أن يكون اللازم من السماوات أن تكون في الخلقة عالية و الأرض سافلة المصور لصور الأشياء بالشكل المخصوص و مميزها عن غيرها وقوله **وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** : خلق الله آدم على صورته أراد بالصورة ما خص الإنسان به و لورجع الضمير إليه تعالى فمن قبيل إضافة التشريف مثل بيت الله و ناقة الله لأعلى سبيل التشبيه و البعضية تعالى شأنه عن الصورة و الصورة الإلهية عبارة عن الصفات السبع المرتبة و هي الحياة و العلم و الإرادة و القدرة و السمع و البصر و الكلام و آدم مظهر هذه الصفات بالفعل دون سائر الموجودات .

بالجملة فقد يظن أن هذه الأسماء مترادفة و الكل يرجع إلى معنى و ليس كذلك بل « الخالق » في الأسماء المقدر على وجه الحكمة « الباري » الموجد على ذلك التقدير « و المصور » المبدع لأشكال المحدثات بحيث يترتب عليها خواصها و كل ما يخرج من العدم إلى الوجود يقتدر إلى التقدير أولاً و إلى الإيجاد على وفق التقدير ثانياً و إلى التصوير بعد الإيجاد ثالثاً فقدّم سبحانه ذكر الخالق على الباري لأن الإرادة و التقدير متقدمة على تأثير القدرة وقدّم الباري على المصور لأن إيجاد الذات متقدم على إيجاد الصفات و لوأنه تعالى يوجه الأشياء بتمامها أقل من طرفة عين إذا أراد لكن صورة الترتيب كما وصف الله نفسه تعالى .

[له الأسماء الحسنى] لدلالاتها على المعاني الحسنة و الحسنى تفضيل الأحسن مؤنثاً كالعليا في تأنيث الألى إذ لا نسبة لأسمائه إالى غير الأسماء كما لانسبة لذاته المتعالية إلى زوات الغير و تعدد الأسماء لا يدل على تعدد المسمى كما أن الواحد يسمى أباً من وجه وجداً من وجه و خالاً من وجه و عالماً من وجه و طبيياً من وجه .

وقيل : إن أسماء الله أربعة آلاف اسم ألف منها في القرآن و الأخبار و ألف في التوراة و ألف في الإنجيل و ألف في الزبور قال رسول الله في دعائه : أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب فعلى هذا كون أسماء الحسنى تسعة و تسعين - على ما قيل - بالظن إلى الأشهر

الأشرف .

قال بعض أهل الذكر : إن من السرّ المكتوم في الأسماء أن يأخذ حروف الأسماء مثل قولك : الكبير المتعال و لا يأخذ الألف و اللام بل يأخذ كبير متعال و ينظر كم لها من العدد بالجمل الكبير فتذكر ذلك العدد في خلوة بالشرائط المعتبرة عند أهل الذكر من الطهارة و أمثالها لا يزيد عن العدد و لا ينقص لأنّ العدد في الذكر بالأسماء كأسنان المفتاح و إنهما إذا زادت أو نقصت لا تفتح الباب فإنّه يستجاب لك و هو الكبريت الأحمر فضنّ الدرّ و أفهم السرّ .

و اعلم أن إطلاق الاسم على الله توقيفيّ عند الأكثر و لا يصحّ إطلاقه إلا بعد أن كان و اردأ في القرآن أو الحديث الصحيح و قيل : كلّ لفظ دلّ على جلاله الله و يليق به جائز الإطلاق و الإفلا و استدّلوا بقوله تعالى : « و لله الأسماء الحسنی فادعوه بها » فكلّ اسم دلّ على هذه المعاني كان اسماً حسناً و إنّه لافائدة في الألفاظ إلا رعاية المعاني فإذا كانت المعاني صحيحة كان المنع من إطلاق اللفظ المقيد غير لائق .

[يسبّح له ما في السماوات و الأرض] ينطق بتمنّزّه عن جميع النقائص الأشياء إمّا نطقاً و بياناً و إمّا برهاناً و خلقاً لأنّ وجود كلّ موجود ينطق في عالم الصورة أو المعنى على قدرته لأنّ ذلك الموجود شاهد قدرته .

[هو العزيز الحكيم] الغالب على أمره الحكيم العالم بحقيقة الأشياء على ماهي عليه و هي أنفس المعارف و أكثرها خيراً كما قال : « و من يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً^(١) » و الإنسان إذا حصل له الحكمة لا ينبغي له أن يفخر بذاته بل بصفاته و لا ينبغي أن يمدح نفسه إلا على مصلحة دينه و الفخر بالذات لا يكون إلا لله و هذا كما قال سبحانه : « قل إنّما أنا بشر مثلكم^(٢) » لكنّ الترتّب و المزايا بالأوصاف ولذا ذكر سبحانه شرف التربة و الوصف بقوله : « يوحي إليّ » و قال عليه السلام : أنا سيّد ولد آدم و لا فخر أي لا افتخر عليكم بالسيادة و إنّما أفتخر بالعبودية فإذا كان هذا كلام

(١) البقرة : ٢٦٩ .

(٢) الكهف : ١١١ .

النبي ﷺ وهو أكمل الكاملين في الإمكان فكيف يجوز أن يمدح الناقص نفسه فمدحه لنفسه سمّ قاتل ينبيء عن العجب و شهادة الزور لجهله بمقامه عند الله هل هو مقبول أو مردود .

فائدة اعلم أنّ الحكمة الشريعة المحمّديّة هي الحكمة الكاملة التي نحن مأمورون بامتثالها و إنّما الأولى لنا أن نسكت عن أمور يدقّ عن أفهامنا من العلوم الغامضة في علم الكلام مثلاً مثل أن الصفات الثابتة هل هي موجودات بوجودات مستقلة غير وجوده أو لا و مثل أن الوجود هل هو واحد والله سبحانه هو ذلك الوجود و سائر الموجودات مظاهر له و لا وجود لها بالاستقلال أوله وجود زائد على ذاته واجب لها مقتضية هي إيتاء و أمثال هذه المباحث و أنّ ما أبهم علمه فالأدب فيه السكوت بعد الإيمان بالقرآن و الحديث فإنّ المرء لا يسأل إلا عن علم لزمه في إقامة الطاعة لمولاه بل لا يجوز أن يناظر أحد في ذات الله بل في صفاته المتعالية عن القياس .

و في الحديث إنّ هلاك هذه الأمة إذا نطقوا في ربّهم و إنّ ذلك من أشرط الساعة فإنّه ﷺ يخرّ ساجداً متى ما سمع ما يتعالى عنه ربّ العزّة و لا يجيب السائل عن ذلك إلا بمثل ما جاء به القرآن في آخر سورة الحشر من ذكر أفعاله و صفاته و لا يدقّ الكلام فيه تدقيقاً فإنّ ذلك من الشيطان و ضرر ذلك و فساد أكثر من نفعه حتّى قيل : إنّ ما في فرق الإسلاميّة أسوأ حالاً من المتكلمين لأنهم ادّعوا معرفة الله بالعقل على حسب ما أعطاهم نظرهم القاصر و الحقّ منزّه عن أن يدرك أو يعلم بأوصاف خلقه عقلاً كان أو علماً فإنّ الله ما جعل الحواسّ الظاهرة و الباطنة طريقاً إلا إلى معرفة المحسوسات و العقل بلاشكّ منها فلا يدرك الحقّ بها لأنّه تعالى ليس بمحسوس و لا بمعلوم معقول و طريق المعرفة من طريق ما بيّنه القرآن و الرسل .

و الفاضل محمد الشهرستاني صاحب كتاب الملل و النحل كان من كبار المتكلمين و فحولهم وله مباحث كثيرة في علم الكلام حتّى قيل في حقّه : لم يسبق إليه سواه ثمّ انتهى إلى العجز و تحيّر في الذات حتّى رجع إلى مذهب العجائز فقال : عليكم بدين العجائز فإنّه أسنى الجوائز و أنشد :

لقد طفت في تلك المعاهد كلها * وسيّرت طرفي بين تلك المعالم
 فلم أر إلا واضعاً كفّ حائر * على ذقن أو قارعاً سنّ نادم
 أتيت بيوتاً لم تنل من ظهورها * و أبوابها عن فرع مثلك سدّت
 و الوجه الأصح أن يعتقد العبد الدين الذي جاء به محمد ﷺ و دعا إليه و لا
 يدخل إليه شيئاً من نظر عقله لا في تنزيهه و لا في تشبيهه بل يؤمن بكل آية جاءت في
 القرآن في ذاته و صفاته تعالى و بكل علمه إلى الله و هذا هو الطريق الصحيح و على
 ذلك كانت الصحابة و السالفون الصالحون و من طلب غير ذلك كان على خطر في المآل
 لأنّ فهم مثل هذه الأمور عسر لأننا نرى أنّ العقلاء اختلفوا في الله و في الأدلة و وقع
 بينهم اختلاف كثير في مثل هذا الأمر فالمتعزليّ يخالف الأشعريّ بل يكفّره و بالعكس
 و هم يخالفون الحكماء و بالعكس و كل طائفة تجهل الأخرى و تكفّرها فعلم أنّ سبب
 ذلك هو اختلاف نظرهم و رأينا الأنبياء لم يختلف منهم اثنان في الله قطّ و كلّ دعوا
 إليه تعالى على باب واحد و كان اختلافهم في الفروع و ذلك بحكم الله في فصولها كما
 قال الله : « شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً و الذي أوحيانا إليك و ما وصّينا به
 إبراهيم و موسى و عيسى أن أقيموا الدين و لا تتفرّقوا فيه ^(١) » فقلوه « و لا تتفرّقوا »
 دليل على اجتماعهم على أمر واحد في الأصول و اختلاف الفروع لا يضرّ .

هذا آخر كلام الشيخ صدر الدين في رسالته المعمولة وصيّة للطالين و عظة للراغبين .

و في عين المعاني قال ﷺ : سألت جبرئيل عن اسم الله الأعظم فقال : عليك بأخر
 الحشر فاكثر قراءته فأعدت عليه فأعاد عليّ .

و عن أبي أمامة يقول : قال رسول الله : من قرأ خواتيم الحشر في ليل أو نهار

فقبض ذلك اليوم أو الليلة فقد استوجب الجنة و في رواية من قرء

سورة الحشر فان مات في يومه أو ليلته مات شهيداً

أي يثاب ثواب الشهادة على مرتبته و

للشهادة مراتب. تمت السورة بعون الله

سورة الممتحنة

﴿مدنية﴾

و سميت سورة المودّة .

أبو حمزة الثماليّ عن عليّ بن الحسين قال : من قرأ هذه الصورة في فرائضه و نوافله امتحن الله قلبه للإيمان و نورّ بصره و لا يصيبه فقر و لاجنون . افتتح سبحانه هذه السورة بذكر تحريم موالاتهم و أيجاب معاداتهم .

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوى و عدوكم اولياء تلقون اليهم بالموودة و قد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول و اياكم ان تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلى و ابتغاء مرضاتى تسرون اليهم بالموودة و انا اعلم بما اخفيتم و ما اعلنتم و من يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل (١) ان تثقفوكم يكونوا لكم اعداء و يبسطوا اليكم ايديهم و السنتهم بالسوء و دواو تكفرون (٢) لن تنفعكم ارحامكم و لا اولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير (٣) قد كانت لكم اسوة حسنة فى ابراهيم و الذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم و مما تعبدون من دون الله كفرنا بكم و بداييننا و بينكم العداوة و البغضاء ابدآحتى تؤمنوا بالله وحده الا قول ابراهيم لايه لاستغفرن لك و ما املك لك من الله من شىء ربنا عليك توكلنا و اليك انبنا و اليك المصير (٤) ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا و اغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم (٥) .

سميت السورة ممتحنة لقوله : « يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن » فأضيفت السورة إليها .

[يا أيها الذين آمنوا] نزلت الآية في حاطب بن أبي بلتعة العبسي - بالحاء المهملة - و كان حاطب يبيع الطعام و كان من المهاجرين و أصل القصة أنه لما تجهز النبي ﷺ لغزوة الفتح في السنة الثامنة من الهجرة كتب حاطب إلى أهل مكة إن رسول الله ﷺ يريدكم فخذوا حذركم فإنه توجه إليكم في جيش كالليل و أرسل الكتاب مع امرأة يقال لها «سارة» و أعطها عشرة دنانير و بردة و توجهت إلى مكة معها كتاب حاطب .

فنزل جبرئيل وأخبره ﷺ فبعث النبي ﷺ علياً وعماراً وطلحة والزبير والمقداد وأبا مرثد وقال : انطلقوا حتى تأتوا خاخ موضع بين الحرمين فإن بها ظعينة - و الظعينة المرأة مادامت في اليهودج وإذا لم تكن في اليهودج فهي المرأة - معها كتاب حاطب فخذوه منها و خلّوها فإن أبت فاضربوا عنقها فادر كوها ثمّة فجحدت فسلّ عليّ ﷺ سيفه فاخرجته من عقاصها .

(و روي أن رسول الله ﷺ آمن جميع الناس يوم فتح مكة إلا أربعة هي أحدهم فأمر بقتلها) .

فاستحضر حاطباً فقال : ما حملك على هذا ؟ فقال : يا رسول الله ما كفرت منذ أسلمت ولا غشيتك مذ نصحتك و لكنني كنت امرءاً حليفاً مع قريش ولم أكن منهم ، ومن معك من المهاجرين كان لهم فيهم قرابات يحمون أهاليهم و أموالهم و ليس لي من يحميني فأردت أن آخذ عندهم يداً و لم أفعله كفرةً و ارتداداً عن ديني و قد علمت أن كتابي لا يغني عنهم شيئاً فصدّقه رسول الله و قبل عنده و قال ﷺ : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم و إن حاطب ادّعى لعمله الفاسد تأويلاً فقبل منه و العذر عند كرام الناس مقبول أنتهـي .

قوله : « يا أيها الذين آمنوا » خاطب سبحانه المؤمنين و نهاهم أن يتخذوا الكافرين أولياء يوالونهم ويستنصرون بهم وينصرونهم [تلقون إليهم بالموودة] الودّ تمنّي كون الشيء و محبته و يستعمل في كلّ من المعنيين أي توصلون محبتكم بالمكاتبة و الهدية و نحوها من الأسباب المقتضية للمودة و الباعزائدة مثل « بأيديكم إلى التهلكة » [و قد كفروا بما جاءكم من الحقّ] حال من فاعل « يلقون » و الحق القرآن أودين الاسلام أو النبيّ .

[بخرجون الرسول و إياكم] حال من فاعل كفروا أي مخرجين الرسول و إياكم من مكة و المضارع لاستحضار الصورة [ان تؤمنوا بالله ربكم] تعليل للإخراج أي لعلّة إيمانكم بالله خالقكم و مدبركم [إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي و ابتغاء مرضاتي] أي لاتتولّوا أعدائي إن كنتم أوليائي و تبتغون مرضاتي و تجاهدون في سبيلي

لأنكم إن كنتم خرجتم عن أوطانكم لأجل هذين الأمرين فلا ينبغي معهم التصادق .
و المرادة مصدر كالرضى .

[تسرون إليهم بالموودة] استيناف وارد على جهة التوبيخ كأنهم سألوا ماذا صدر
عنا؟ فقيل : تلقون إليهم بالموودة سرّاً [و أنا أعلم] حال من فاعل « تسرون » ، [بما
أخفيتم و ما أعلنتم] من موودة الأعداء .

[و من يفعله منكم] و يتخذ المنهي عنه [فقد ضلّ سواء السبيل] و أخطأ طريق
الحقّ و الصواب و « من » من إضافة الصفة إلى الموصوف .

[إن يثقفوكم] و الثقف الحذق في إدراك الشيء أي إن يتمكنوا منكم و يظفروا
بكم [يكونوا لكم أعداء] يرتبوا عليكم ما يقتضي عداوتهم إبتاءكم و لا ينفعكم إلقاء الموودة
إليهم [و يبسطوا] و يطيلوا [إليكم أيديهم و ألسنتهم بالسوء] و بما يضرّكم من
القتل و الأسر و الشتم .

[و دّوا لو تكفرون] كلمة لو مصدرية بمعنى أن و تمنّوا إرتدادكم و كونكم
مثلهم كقوله : « و لن ترضى عنك اليهود و لا النصارى حتّى تتبّع ملّتهم » .

[لن تنفعكم أرحامكم] الرحم في الأصل وعاء الولد في بطن أمّه فاستعير الرحم
للقرابة لكونهم خارجين من رحم واحدة [و لا أولادكم] الذين يوالون المشركين
لأجلهم و يتقرّبون إليهم محاماة عليهم .

[يوم القيامة] يوم يفرّ المرء من أخيه بجلب نفع أو دفع ضرّ و الظرف متعلّق
لقوله : « لن ينفعكم » فيوقف عليه ثمّ يبتدء بما بعده [يفصل بينكم] و يفرق بين
الوالد و الولد بما يعتريكم من أهوال القيامة و يدخل أهل طاعته الجنة و أهل
معصيته النار . [و الله بما تعملون بصير] فيجازيكم بحسبه .

[قد كانت لكم] أيّها المؤمنون [أسوة حسنة] الأسوة كالقدوة هي الحالة
التي يكون الإنسان عليها في اتّباع غيره حسناً كان أو قبيحاً و أسوة اسم كانت و لكم
خبرها [في إبراهيم و الذين معه] أي من أصحابه من المؤمنين ولي بك أسوة أي اقتداء

في سنتك و أقوالك و أفعالك و قيل : المراد من الذين مع إبراهيم الأنبياء الذين كانوا قريباً من عصره لأنه لم يرد أن إبراهيم كان له أتباع مؤمنون في مكافحة نمرود حتى قيل : إنه عليه السلام قال لسارة حين رحل بها إلي الشام مهاجراً بلاد نمرود: ما على الأرض من يعبد الله غيري و غيرك .

[إذ قالوا لقومهم] الكفار: [إننا برءاء منكم] جمع بريء أي برءاء منكم كظريف و ظرفاء [و مما تعبدون من دون الله] من الأصنام أظهروا البراءة أولاً منهم مبالغة و ثانياً من عملهم الشرك و حاصل الآية هلا فعلتم كما فعل إبراهيم حيث تبرء من عمه و قومه لكفرهم [كفرنا بكم] أي بدينكم على إضمار المضاف [و بدايننا] أي ظهر ظهور بيننا و البادية كل مكان يبدو ما يعق و يعرض فيه و بيننا ظرف لبدا [و بينكم العداوة و البغضاء أبداً] أي هذا دائماً معكم لأنتركه و قد حصل بيننا و بينكم العداوة [حتى] غاية لبدا [تؤمنوا بالله وحده] و تتركوا ما أنتم عليه من الشرك فتنقلب العداوة حينئذ الولاية و المقت مقة و الوحشة اللفة .

[إلا قول إبراهيم لأبيه لا أستغفرن لك] أي اقتدوا و تأسسوا بإبراهيم في كل أموره إلا في هذا القول فلا تقتدوا به فيه فإنه إنما استغفر لأبيه عن موعده و عدها إياه بالإيمان فلما تبين له أنه عدو لله تبرء منه قال الحسن : و إنما تبين له ذلك عند موت أبيه و لولم يستثن ذلك لظن أنه يجوز الاستغفار للكفار مطلقاً من غير موعده بالإيمان منهم فنهوا لمن يقتدوا به في هذا خاصة و قيل : كان آزر ينافق إبراهيم و يريه أنه مسلم فيستغفر له و حاصل معنى الكلام والاستثناء أن استغفار إبراهيم لأبيه لا يحملنكم على أن تتأسبوا به و تستغفرون للكفار فذلك ممنوع لكم و أمّا استغفاره فكان لهذه الجهة ظناً منه أنه مسلم أو سيسلم .

[و ما أملك لك من الله من شيء] بقية قول إبراهيم أي أستغفر لك و ليس في قدرتي دفع العذاب عنك إن لم تؤمن [ربنا عليك توكلنا] اعتمدنا [و إليك أنبنا] و رجعنا [و إليك المصير] و الرجوع في الآخرة و تقديم الجار و المجرور لقص الإناة و التوكل عليه .

[ربنا لا تجعلنا فتنه للذين كفروا] من بقية كلام إبراهيم ومن معه أي لا تسلطهم علينا فيفتنوننا بعذاب لانطقه فالفتنة بمعنى المفتون أو المعنى لا تقتر علينا الرزق و تبسط عليهم فيظنوا أننا على الباطل [و اغفر لنا] ما فرط منا من التقصير [ربنا] تكرير النداء للمبالغة في التضرع فيكون لاحقاً بما قبله كما عليه السجاوندي حيث وضع علامة الوقف الجائز على ربنا و تلك العلامة الجيم و قيل : ربنا استيناف لما بعده توسلاً إلى إثبات العزة والحكمة [إنك أنت العزيز الحكيم] الغالب في أمره الحكيم في أفعاله.

قوله تعالى : لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة لمن كان يرجو الله و اليوم الآخر و من يتول فان الله هو الغني الحميد (٦) عسى الله ان يجعل بينكم و بين الذين عاديتهم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم (٧) لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم و تقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين (٨) انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين و اخرجوكم من دياركم و ظاهروا على اخراجكم ان تولوهم و من يتولهم فاولئك هم الظالمون (٩) .

تكرير للمبالغة في الحث على الاتساء بإبراهيم ومن معه من الأنبياء أو أمر الاتساء في الآية السابقة بالقول وفي هذه الآية في الفعل و قيل : في الأولى التأسسي به في العداوة مع الكفار وفي الثانية في الخوف و الخشية من الله لتناولوا ثواب ما نالوا [لمن كان يرجو الله و اليوم الآخر] بالإيمان به تعالى و التصديق بالقيامة و وقوعها و الرجاء و الخوف و توقع محبوب و خوف مكروه عن أمارات مظنونة و الرجاء أيضاً يستعمل في الخوف مجازاً .

[و من يتول فإن الله هو الغني الحميد] أي و من يعرض عند الاقتداء بهم في التبري عن الكفار و الاهم فإن الله مستغن عن خلقه و مستحق للحمد في ذاته و في الحديث القدسي من صحاح الأحاديث يا عبادي لو أن أولكم و آخركم و إنسكم و جنسكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً و إذا كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً يا عبادي لو أن أولكم و آخركم

وإنسكم و جنسكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك من عندي إلا كما ينقص المخيط إذا دخل البحر يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله و من وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه .
 [عسى الله أن يجعل بينكم و بين الذين عاديتهم منهم] أي من أقاربكم المشركين و عسى و لعل في القرآن وعد من الله و تذكرة ليكون الإنسان منه على رجاء لا بمعنى أنه تعالى راج . قوله : [مودّة] بأن يوافقواكم في الدين و قد أنجز وعده حين أتاح لهم الفتح فأسلم منهم جمع و كانوا أعداء أشدّ العداوة و وقع بينهم التحابب و التصافي [والله قدير] مبالغ في القدرة [والله غفور رحيم] فيغفر لمن أسلم من المشركين أو غفور لما فرط منكم في موالاته أعداء الله بشرط إيمانكم و في الحديث من نظر إلى أخيه المؤمن مودّة لم يكن في قلبه إحنة لم يطرف حتّى يغفر الله له ما تقدّم من ذنبه .

[لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلواكم في الدين] أي لا ينهاكم الله عن مودّة الذين لم يقاتلواكم و عاهدواكم على ترك القتال و لم يقاتلواكم على الدين [و لم يخرجواكم من دياركم أن تبرّوهم] بدل الاشتغال عن الموصول و برّهم أن تعاملوهم بالعدل [و تقسطوا إليهم] أي تعدلوا فيما بينكم و بينهم من الوفاء بالعهد .

و قيل : إن المسلمين استأذنوا النبي في أن يبرّوا إلى أقربائهم من المشركين و يحسنوا إليهم و ذلك قبل أن يؤمروا بقتال جميع المشركين فنزلت هذه الآية و هي منسوخة بقوله : « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ^(١) » و قيل : إنّه عنى بالذين لم يقاتلواكم من آمن من أهل مكّة و لم يهاجروا و قيل : هي عامّة في كل من كان بهذه الصفة . و الذي عليه الإجماع أن برّ الرجل من يشاء قرابة كان أو غير قرابة ليس بمحرّم و إنّما الخلاف في إعطائهم الزكاة و الفطرة و الكفّارات و حاصل الكلام أنّكم غير منهيّين عن أن تبرّوا الذين لم يقاتلواكم .

[إن الله يحبّ المقسطين] العادلين و قيل : المعنى : إن الله يحبّ الذين يجعلون لقراباتهم قسطاً ممّا في بيوتهم من المطعومات و قيل : إن قوله : « لا ينهاكم الله ، الآية »

نزلت في قوم من خزاعة كانوا معاهدين مع رسول الله و لم يقصدوا بالمسلمين بسوء و ما نصرؤا أعداء النبي فنزلت الآية فيهم و القسط إذا كان بمعنى الجور فالإقسط بمعنى إزالة الظلم و الهمزة للسلب مثل أشكيتة ، و من أزال الظلم اتصف بالعدل .

[إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين] و إطفاء نوره [و أخرجوكم من دياركم] و هم عتاة مكة و جبابرتهم [و ظاهرؤا على إخراجكم] و عاونؤا الجبابرة في إخراجكم [أن تولؤهم] بدل من الموصول أي إنما ينهاكم عن أن تتولؤهم .
[و من يتولؤهم] و يتوادهم [فأولئك هم الظالمون] لوضعهم الولاية في موضع العداوة بتعريض أنفسهم للعذاب و أورد كلمة الحصر تغليظاً و لكن المبررة غير الموالاة و الموالاة للكافر غير جائز إجماعاً و المبررة أيضاً لغير المقاتل و للمقاتل غير جائزة .

قوله تعالى : يا ايها الذين آمنؤا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن فان علمتوهن مومنات فلا ترجعهن الى الكفار لاهن حل لهم ولا هم يحلون لهن و آتوهن ما انفقوا ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا آتيتهن اجورهن و لا تمسكوا بعصم الكوافر و اسئلؤا ما انفقتهم و ليسئلؤا ما انفقؤا ذلكم حكم الله يحكم بينكم و الله عليم حكيم (١٠) و ان فاتكم شىء من ازواجكم الى الكفار فعاقبتهم فاتؤا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقؤا و اتقؤا الله الذى انتم به مؤمنون (١١) .

النزول : قال ابن عباس : صالح رسول الله ﷺ بالحديبية مشركي قريش على أن من أتاه من أهل مكة رده عليهم و من أتى من أصحاب رسول الله فهو لهم و لم يردوه و كتبوا بذلك كتاباً و ختموا عليه كما سبق شرحه فجاءت سبيعة بنت الحرث الأسلمية مسلمة بعد الفراغ من الكتاب و النبي بعد بالحديبية فأقبل زوجها رجل من بني محزوم و كان كافراً فقال : يا محمد أردد إلي امرأتي فانك قد شرطت لنا أن ترد علينا من أتاك منا و هذه طينة الكتاب لم تجف بعد و فنزلت الآية « يا أيها الذين آمنؤا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات » من دار الكفر إلى دار الإسلام « فامتحنوهن » .

قال ابن عباس : امتحانهن أن يستحلفن أنها ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة عن أرض إلى أرض ولا التماس دنياً و ما خرجت إلا حباً لله و لرسوله فاستحلفها رسول الله

فحلفت بالله الذي لا إله إلا هو على ذلك فأعطى رسول الله ﷺ زوجها مهرها و ما أنفق عليها و لم يردّها عليه فكان رسول الله يردّ من جاءه من الرجال و يحبس من جاءه من النساء إذا امتحنّ و يعطي أزواجهنّ مهورهنّ انتهى .

المعنى : [إذا جاءكم المؤمنات] و لعلّ التسمية بالمؤمنات لكونهنّ كذلك في علم الله و ذلك لا ينافي الامتحان لغيره [مهاجرات] حال من المؤمنات [فامتحنوهنّ] و اختبروهنّ أنّ قلوبهنّ موافقة للسانهنّ في الإيمان [الله أعلم بايمانهنّ] منكم و الجملة اعتراض .

[فإن علمتوهنّ] بعد الامتحان [مؤمنات] العلم الذي يمكنكم تحصيله وهو الظنّ الغالب بالحلف و ظهور الأمارات و إنمّا سمّاها علماً إشعاراً بأنّه جار مجرى العلم في وجوب العمل به ففي علمتوهنّ استعارة تبعيّة [فلا ترجعوهنّ إلى الكفّار] ولا تردّوهنّ إلى أزواجهنّ الكفرة .

[لاهنّ حلّ لهم و لاهمّ يحلّون لهنّ] تعليل للنهي عن ردّهنّ إليهم لأنّه لا تحلّ مؤمنة لكافر لشرف الإيمان و لا يجوز أن ينكح كافر مسلمة .

[و آتوهم ما أنفقوا] و أعطوا أزواجهنّ مثل ما دفعوا إليهنّ من المهور و الشرط في الحديبية إنّما كان للرجال دون النساء لضعف النساء عن الدفع عن أنفسهنّ و عجزهنّ لكنّ المقيمة منهنّ على شركها مردودة عليهم و في الآية إيذان بأنّ الولي كائناً من كان لا يجوز له تزويج مؤمنة له و لاية عليها بمبتدع في الدين بحيث تفضي بدعته إلى الكفر فضلاً عن الكافر .

اقول : و لعلّ أن يكون بعض المتصوّفة من أهل زماننا داخلًا في هذا الحكم لأنّ بعضهم يدّعون القطبيّة العظمى و بسبب هذا العنوان يغيّرون بعض الفروع و العبادات إلى ما لا ينبغي فعله أو تركه و ليست البدعة إلاّ أمثال هذه الأمور و لاشكّ أنّ القطبيّة لا يحصل إلاّ لمن جعله الله قطباً لمدار أمر العالم و ذلك مختصّ بالنبيّ و الولي المنصوص عليه من قبل النبيّ خاصّة فادّعاهم هذا الأمر ليس إلاّ كذباً محضاً و خارجاً عن الحكمة الإلهية و يؤول إلى تحريف الدين و تأسيس أمور محرّفة عن وضعها

وهذه هي البدعة بل من أشرط الساعة لأن القيامة من أشرطها أن يتغير أحوال كل طائفة عاماً فعاماً شهراً فشهراً أسبوعاً فأسبوعاً يوماً فيوماً لا يزال هذا التغير إلى انقراض الأختيار ولا يقوم الساعة إلا على الأشرار .

و في الحديث ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون يأخذون بسنته و يقتدون بأمره ثم إنها تخلف من بعدهم خلوفاً يقولون ما لا يفعلون و يفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن و من جاهدكم بلسانه فهو مؤمن و من جاهدكم بقلبه فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : يذهب الصالحون الأول فالأول ويبقى حثالة كحثة الشعير والتمر لا يبالي بهم الله وأول التغير في الأمراء ثم في العلماء ثم في الفقراء ففي كل طائفة أهل هدى وأهل هوى فكن من أهل الهدى ولا تكن من أهل الهوى أو المشبهين لهم فإن من تشبه بقوم فهو منهم و من كثر سواد قوم فهو منهم و في الحديث من أحب قوماً على فعلهم حشر في زمرتهم و حوسب بحسابهم و إن لم يعمل بعملهم انتهى .

قوله : [ولا جناح عليكم] هذا هو الحكم الثالث يقال : جنحت السفينة أي مالت إلى أحد جانبيها و الإثم المائل بالإنسان عن الحق سمي جناحاً استعارة [أن تنكحوهن] أي تنكحوا المهاجرات و تنزوهن و إن كانت لهن أزواج كفار من أهل الحرب فإن إسلامهن حال بينهن و بين أزواجهن الكفار [إذا آتيتوهن أجورهن] إذا ظرفية أو شرطية جوابها محذوف دل عليه ما تقدمها شرط إيتاء المهر في نكاحهن إيداناً بأن ما أعطي أزواجهن لا تقوم مقام المهر لأن ظاهر النظم يقتضي إيتاءهن إيتاء إلى الأزواج و إيتاء إليهن على سبيل المهر .

[ولا تمسكوا بعصم الكوافر] هذا هو الحكم الرابع أي لا تمسكوا بنكاح الكافرات و أصل العصمة المنع و سمي النكاح عصمة لأن المنكوحه تكون في حبال الزوج و عصمته و في هذا دلالة على أنه لا يجوز العقد على الكافرة سواء كانت حربية أو ذميمة لأنه عام في الكوافر جمع كافرة و ليس لأحد أن يخص الآية بعابدة الوثن لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب و الكوافر طائفتان من النساء طائفة قعدت

عن الهجرة و ثبتت على الكفر في دار الحرب ارتدت عن الهجرة و لحقت بأزواجها الكفار و حاصل المعنى لا يكن بينكم و بين المشركات و الكافرات علقه زوجية .

قال بعض أهل التفسير من العامة : المراد بالعصمة هنا النكاح بمعنى من كانت له زوجة كافرة بمكة أو ارتدت و رجعت إلى مكة لا يعدها من نسائه فيكون بيان حكم اللاتي بقين في دار الكفر وما أسلمن و لا هاجرن بعد الإسلام أزواجهن و هجرتهم .

قال الحقي : هي المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر فيكون قوله : « ولا تمسكوا » بمقابلة قوله : « إذا جاءكم المؤمنات » أي حكم اللاتي أسلمن و هاجرن هذا و حكم المسلمات اللاتي ارتدن و خرجن من دار الإسلام إلى دار الكفر هذا .

قوله : [و أسألوا ما أنفقتم] هذا هو الحكم الخامس أي و أسألوا الكفار أيها المؤمنون من مهور نسائكم اللاحقات بالكفار أي إذا ارتدت امرأة أحدكم و لحقت بدار الحرب فأسألوا ما أنفقتم لها ممن تزوجها [و ليسألوا] أي الكفار منكم ما أنفقوا من مهور نسائهم المهاجرات إليكم أي يسأل كل كافر أسلمت امرأته و هاجرت إلينا ممن تزوجها من مهرها .

[ذلكم] الذي ذكر في هذه الآية من الأحكام [حكم الله يحكم بينكم] مستأنف للتأكيد [والله عليم حكيم] قيل : كان في صدر الإسلام تكون المسلمة تحت الكافر و الكافرة تحت المسلم فنسخته هذه الآية .

ولما نزلت هذه الآية آمن المؤمنون بحكم الله وأدوا ما أمروا به من نفقات المشركين على نسائهم و أبى المشركون أن يقرّوا بحكم الله فيما أمرهم به من أداء نفقات المسلمين فنزل [و إن فاتكم شيء من أزواجكم] أي و إن سبقكم و أتلف منكم شيء من أزواجكم و المراد من الأزواج الزوجات و فاتكم شيء قلّ أو أكثر من مهور أزواجكم [فعاقبتهم] من العقبة وهي المناوئة و المعنى فجاءت نوبتكم و عقبتم من أداء المهر مثل أن هاجرت امرأة الكافر مسلمة إلى المسلمين و لزمهم أداء مهرها إلى زوجها الكافر بعد أن فاءت امرأة المسلم إلى الكفار [فأتوا الذين ذهبوا أزواجهم مثل ما أنفقوا] أي من المهاجرة التي تزوجتموها و لا تؤنوا زوجها الكافر أي إن فاءت امرأة مسلم إلى الكفار

ولم يعط الكفار مهرها فإذا هاجرت امرأة كافر إلى المسلمين وجب على المسلمين أن يسطوا المسلم الذي فاءت امرأته إلى الكفار مثل مهرز وجته الفائته من مهر هذه المهاجرة ليكون كالعوض لمهرز وجته الفائته و لا يجوز لهم أن يعطوا مهر هذه المهاجرة زوجها الكافر الأولي .

و إنما عبّر سبحانه بالمعاقبة لأنه شبه ما حكم به على المسلمين و الكافرين من أداء هؤلاء مهور نساء أولئك تارة و أداء أولئك مهور نساء هؤلاء أخرى بأمر يتعاقبون فيه مثل النوبة كما يتعاقب في الركوب .

[و اتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون] لا غيره فإن الإيمان به يقتضي التقوى منه .

يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبائعنك على ان لا يشركن بالله شيئاً و لا يسرقن و لا يزني و لا يقتلن اولادهن و لا ياتين ببهتان يفتريه بين ايديهن و ارجلهن و لا يعصينك في معروف فبائعهن و استغفر لهن الله ان الله غفور رحيم (١٤) يا ايها الذين امنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم و يئسوا من الاخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور (١٤) .

[يا أيها النبي] نداء تشریف و تعظيم [إذ جاءك المؤمنات يبائعنك] مبايعات و قاصدات للبيعة . نزلت يوم الفتح فإنه عَلَيْهِ السَّلَامُ لما فرغ من بيعة الرجال شرع في بيعة النساء سميت البيعة لأن المبايع يبيع نفسه بالجنة و من عادة الناس حين المبايعة بعد أن يضع أحد المتبايعين يده على يد الآخر ليكون معاملتهم محكمة فمبايعة الأمة رسولهم التزام طاعته و المعاونة له و مبايعة الرسول إيّاهم الوعد بالثواب و القيام بمصالحهم إن كانوا ثابتين على المعاهدة .

[على أن لا يشركن بالله شيئاً] من الأشياء من الإشراف و لا يتخذون إلهاً غير الله [و لا يسرقن] و السرقة أخذ ماليس له أخذه في الخفاء أي لا يأخذن مال أحد بغير حق [و لا يزني] الزنا وطئ المرأة من غير طريق مشروع [و لا يقتلن أولادهن] أريد به و أد البنات و دفنهن أحياء خوف الفقر و العار و في تفسير أبي الليث : و لا يشرين دواء فيسقطن حملهن .

[ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهنّ وأرجلهنّ] البهتان الكذب الذي يبهت المكذوب عليه و يدهشه فيكون أقبح أنواع الكذب ثمّ وصفه بكونه مقترى مبالغه في الكذب و الافتراء الاختلاق فري فلان كذباً إذا خلقه بين أيديهنّ وأرجلهنّ ظرف متعلق بفعل تقديره يوجد بين أيديهنّ .

و حاصل المعنى لا يلحقن بأزواجهنّ غير أولادهنّ . قال الفراء : كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها : هذا ولدي منك فذلك البهتان المقترى بين أيديهنّ وأرجلهنّ وذلك أن الولد إذا وضعته الأمّ سقط بين يديها ورجليها وليس المراد نهيهنّ من أن يأتين بولد من الزنا فينسبهنّ إلى الأزواج لأنّ الشرط ينهي الزنا قد تقدّم . وقيل : معنى الآية في البهتان الذي نهين عنه قذف المحصنات و الكذب على الناس و إضافة الأولاد على الأزواج باطلاً .

[ولا يعصينك في معروف] و لا يخالفنك فيما تأمرهنّ به وتنهاهنّ عنه و كلّ ما وافق في طاعة الله و رسوله فعلاً أو تركاً فهو معروف و المعروف خلاف المنكر مثل أن لا يتركن الواجبات مثل الصلاة و الصوم و لا يرتكبن المنكرات مثل المحرمات حتّى النياحة و تمزيق الثوب و حلق الشعر في المصيبة و نتفه و نشره و خمس الوجه ، و أن تحدث المرأة الرجال إلاّ ذارحم محرّم و أن تخلو برجل غير محرّم و أمثاله و الآية شاملة لكلّ و تخصيص الأمور المذكورة المعدودة بالذكر في حقهنّ لكثرة وقوعها فيما بينهنّ و لتقدّم الأقباح على ما هو أدنى قبحاً منه .

[فبايعهنّ] جواب لإذا و هو العامل فيه أي فبايعهنّ إذا قبلن هذه الشروط و ما لم يذكر من الشروط في المبايعه كالصلاة و الزكاة و غيرها فذلك أمر منطبق مفهوم من قوله : « ولا يعصينك في معروف » .

[و استغفر لهنّ الله ان الله غفور رحيم] فيغفر لهنّ إذا و فين بما بايعن عليه قال بعض أهل التحقيق : إنّه تعالى غافر لأنّه يزيل معصيتك عن ديوانك و غفور لأنّه ينسى الملائكة أفعالك السوء و غفار لأنّه ينسيك أيضاً ذنبك كيلا تستحي .

روي أنه ﷺ لما فرغ من بيعة الرجال جلس على الصفا و شرع في بيعة النساء و دعا بقدرح من ماء فغمس فيه يده الشريف ثم غمس أيديهن فجاءت هندة بنت عتبة امرأة أبي سفيان متنكرة خوفاً من رسول الله ﷺ أن يعرفها لما صنعت به حمزة يوم أحد من المثلة .

فلما قال ﷺ : أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئاً رفعت هندة رأسها فقالت : والله لقد عبدنا الأصنام و إنك لتأخذ علينا أمراً ما رأيناك أخذته على الرجال تباع الرجال على الإسلام و الجهاد فلما قال ﷺ : « ولا يسرقن » قالت : إن أباسفيان رجل شحيح و إنني أصبت من ماله هنت أي شيئاً يسيراً فما أدري أيحل لي ؟ فقال أبوسفيان : ما أصبت فهو لك حلال فضحك ﷺ و قال : أنت هندة ؟ فقالت : نعم فاعف عما سلف يا نبي الله عفا الله عنك .

فقال : « ولا يزنين » فقالت : و هل تزني الحرّة ؟ .

فقال ﷺ : « ولا يقتلن أولادهن » فقالت : ربينا هم صغاراً وقتلتهن كباراً فأنتم و هم أعلم ، وكان ابنها حنظلة بن أبي سفيان قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسّم رسول الله ﷺ .

فقال : « ولا يأتين بيهتان » فقالت : إن البهتان لأمر قبيح .

فقال : « ولا يعصينك في معروف » فقالت : والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا

أن نعصيك .

و روي أنه ﷺ بايعهن و بين يديه و أيديهن ثوب قطري ضرب من البرد و يأخذ بطرف منه و يأخذن بالطرف الآخر توقياً عن مساس أيدي الأجنبيات .

و روي أنه جلس على الصفا و معه عمر أسفل منه و هو ﷺ يشترط عليهن

البيعة و عمر يصافهن و في رواية : إن عمر كان يبائع النساء بأمره و يبلغهن عنه و قيل :

إنه ﷺ كلّفت امرأة و قفت على الصفا بايعتهن و هي أئمة أخت خديجة خالة

الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء سلام الله عليها و الأظهر الأشهر الفدح و الغمس و كيف

يجوز مصافحة عمر مع الأجنبيات وهو أعلى حالاً من كل وجه و أولى ؟ انتهى .

ثمَّ خاطب سبحانه المؤمنين فقال : [يا أيها الذين آمنوا لا تتولّوا قوماً غضب الله عليهم] أي لا تتولّوا اليهود و قيل : المراد نوع الكفار لأنَّ كلَّهم مغضوب عليهم لارحمة لهم من الرحمة الأخرى وكان بعض فقهاء المؤمنين يوا صلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم فعلى هذا يكون المراد في الآية اليهود كما صرّح تعالى « و غضب الله عليهم وجعل منهم القردة والخنازير ^(١) » والقوم الرجال ويدخل فيه النساء تبعاً لأنَّ قوم كلِّ نبيٍّ رجال ونساء .

[قد يسّوا من الآخرة] قطعوا الطمع من ثواب الآخرة و ينبغي أن يقطعوا طمعهم عن ثواب الآخرة لعنادهم الرسول المنعوت في التوراة أي إنهم أهل الكتاب يؤمنون بالقيامة لكنهم لمّا أصروا على كفرهم عناداً و حسداً لا بدّ و أن يياسوا من ثوابها .

[كما يسّ الكفار من أصحاب القبور] أي كما يسّ من السعادة و أيقن الذين ما توامنهم لأنهم لمّا ماتوا وقفوا على حقيقة الحال و شاهدوا حرمانهم من الثواب و ابتلاءهم بالعذاب و قيل : معنى الآية كما يسّ كفار العرب من أن يحيي أهل القبور أبداً لأنهم ما كانوا يعتقدون بالبعث و قيل : يعني يريد أنهم يسّوا مثل ياسهم بعد دفن موتاهم منهم و قيل : « من » في الآية تبينيّة فخينئذ يكون ياسهم مثل ياس الكفار المقبورين وذلك لأنَّ الكافر إذا وُضع في قبره أثناء ملك شديد الانتهاز ثم يسّاله : من ربك و مادريك و من نبيك ؟ فيقول : ما أدري فيقول الملك : أبعدك الله انظر إلى منزلتك من النار فيدعو الكافر بالويل و الثبور ثمَّ

يفتح له باب الجنّة فيقول : هذا لمن آمن بالله فلو كنت

آمنت بربك نزلت الجنّة فيكون حسرة عليه

و تنقطع رجاءه و يياس من خير

الجنّة فذلك يأسه

تمت السورة بعون الله

سورة الصف

﴿مدنية﴾

وتسمى سورة الحواريين وسورة عيسى .

أبي بن كعب عن النبي ﷺ من قرأ سورة عيسى كان عيسى مستغفراً له مادام في الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه .

و عن أبي بصير عن الباقر عليه السلام قال : من أدمن قراءة سورة الصف في فرائضه و نوافله صفه الله مع ملائكته وأنبيائه .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سبح لله ما في السماوات وما في الارض و هو العزيز الحكيم (١) يا ايها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون (٢) كبرمتا عند الله ان تقولوا مالا تفعلون (٣) ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيل الله صفا كأنهم بنيان مرصوص (٤) واذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون اني رسول الله اليكم فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين (٥) .

نزهة ما في السماوات من العلويات الفاعلة وما في الأرض من السفليات القابلة آفاقاً وأنفساً وسبحه جميع الأشياء من غير فرق بين موجود و موجود كما قال : « و إن من شيء إلا ويسبح بحمده »^(١) [وهو العزيز] الغالب على أمره [الحكيم] في أفعاله و كل شيء هو يسبحه طوعاً أو كرهاً حتى الكافر لأن وجوده دال على وجوده ولاحكيم على الإطلاق غيره ولذا يجب تسبيحه ومن أراد أن يصفوله تسبيحه فليصف عن آثار نفسه قلبه ومن أراد أن يصفوله في الجنة عيشه فليصف عن أضرار الهوى دينه .

[يا أيها الذين آمنوا] إيماناً رسمياً [لم تقولون مالا تفعلون] روي أن المسلمين قالوا : لو علمنا أحب الأعمال إلى الله لبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا فلما نزل الجهاد كرهوه فنزلت الآية تعبيراً لهم بترك الوفاء ولم مركبة من اللام الجارة وما الاستفهامية قد حذف ألفها لكثرة استعمالها معاً كما في عمّ وفيم أي لأي شيء تقولون نفعل مالا تفعلون من الخير والمعروف ؟ ومدار التعبير والتوبيخ في الحقيقة عدم فعلهم وإنما وجهه إلى قولهم تنبيهاً على أن المنكر ليس ترك الخير الموعود فقط بل الوعد به أيضاً منكر ولوقيل : لم لاتفعلون ما تقولون لفهم منه أن المنكر هو ترك الموعود مثل أن تنعمون الدنيا بلسان الظاهر وتمدحونها بلسان الباطن لشهادة ارتكابكم أنواع الشهوات الحيوانية وأصناف

اللذات الجسمانية .

[كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون] «كبر» مثل نعم و بئس فيه ضمير مبهم يفسر بالنكرة بعده قوله : « وأن تقولوا » هو المخصوص بالذم و المقت البغض الشديد و حاصل المعنى أنه عظم بغضاً في حكمته وعند علمه تعالى هذا القول المجرد عن الفعل فهو أشد ممقوتية و مبغوضية و نعم ما قيل :

لأنه عن خلقٍ و تأتي مثله * عارٌ عليك إذا فعلت عظيم

أوحى الله إلى عيسى ابن مريم عظ نفسك فإن اتعظت فعظ الناس و إلا فاستحي مني . قيل لبعض السلف : حدثنا فسكت ثم قيل : له حدثنا فقال : لهم أأمر و نبي أن أقول ما لأفعل فاستعجل مقت الله ؟ وقال : ثلاث آيات منعتني أن أقص على الناس « أأمر و الناس بالبر و تنسون أنفسكم »^(١) الثانية « و ما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه »^(٢) و الثالثة هذه الآية .

[إن الله يحب الذين يقاتلون] أعداء الله [في سبيله] وفي طريق مرضاته و إعلاء دينه يرضى عنهم و يثنى عليهم [صفاً] متصافين قبالة أعداء الله و صفياً مصدر وقع موقع الفاعل أي صافين أو موقع المفعول أي مصفوفين [كأنهم بنيان مرصوص] و البنيان الحائط و البناء ضد الهدم و بناء و بناء و بنياناً مصدر بمعنى المبنى و الرص اتصال بعض البناء ببعض و استحكامه بوضع الحجر على الحجر ثم يرص بأحجار صغار ثم يوضع عليه اللبن أو غيره يسميه أهل مكة مرصواً شبه سبجانه و قوفهم في تراصهم من غير فرجة و خلل بميل هذا البناء و هذا تعليم من الله للمؤمنين كيف يكونون في قتال عدوهم و لذلك لا يجوز الخروج من الصف إلا لحاجة تعرض للإنسان أو في رسالة يرسله الإمام أو منفعة يظهر للمقام المنتقل إليه . وفي الخروج عن الصف للمبارزة و إرهاباً للعدو و تحريضاً على القتال قيل : لا بأس و قيل : لا يجوز وإنما يكون المبارزة إذا طلبها الكافر كما كانت في حروب النبي يوم بدر و خيبر و ذلك صحيح و حسن بالاتفاق و حكم الجهاد فرض كفاية على المستطيع و

(١) البقرة : ٤٤ .

(٢) هود : ٨٨ .

إذا فعله البعض سقط عن الباقيين وعند النفي العام وهو هجوم العدو فهو فرض عين وهذا الجهاد أحياناً دون أحيان وهو يقع مع الأعداء الظاهرة كالكفارو المنافقين وأما الجهاد مع الأعداء الباطنة كالنفس والشيطان فتثبت مستقر حكمه إلى زهوق الروح كما قال ﷺ المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله ، والمهاجر هاجر الخطايا والذنوب ، وأعظم المجاهدات جهاد النفس .

[وإذ قال موسى لقومه] كلام مستأنف مقرّرباً قبله من شناعة ترك القتال أي اذكر لهؤلاء المتقاعدين عن القتال وقت قول موسى لبني إسرائيل حين ندبهم إلى قتال الجبابرة بقوله : « يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين ^(١) » فلم يمتثلوا بأمره وعصوه حيث قالوا : « يا موسى إن فيها قوماً جبارين وإنما لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإننا داخلون - إلى قوله : - فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ^(٢) » .

[يا قوم] أصله يا قومي ولولا تقدير الياء لقليل : يا قوم بالضم لا نته حينئذ يكون مفرداً معرفة فبني على الضم لكن ليس كذلك وإنما قوم بالكسر وهو نداء بالشفقة و الرفق كما هو شأن الأنبياء [لم تؤذونني] بالمخالفة والعصيان فيما أمرتكم به قال في القاموس : آذى فعل الأذى فلفظ الإيذاء من الأغلاط في أفواه الناس [وقد تعلمون أنني رسول الله] جملة حالية مؤكدة لا نكاراً لزيئة أي والحال أنكم تعلمون علماً قطعياً بمشاهدة ما ظهر بيدي من المعجزات أنني مرسل من الله إليكم ومن لازم علمكم بذلك أن تبالغوا في تعظيمي وتسارعوا إلى طاعتي .

و في الحديث رحم الله أخي موسى لقد أؤذي بأكثر من هذا فصبر وذلك أنه ﷺ لما قسم غنائم الطائف قال بعض المنافقين : هذه القسمة ما عدل فيها فتغير وجهه الشريف وقال ذلك .

[فلمّا زاغوا] الزيع الميل عن الاستقامة أي أصرّوا على الزيع والميل عن الحق

(١) آل عمران : ١٤٩ .

(٢) المائدة : ٢٧ .

الذي جاء به موسى واستمرّوا عليه [أزاح الله قلوبهم] أي خلاهم وسوء اختيارهم ومنعهم الألفاظ التي يهوي بها قلوب المؤمنين .

[والله لا يهدي القوم الفاسقين] أي لا يهديهم إلى الثواب والكرامة والجنة التي وعدها المؤمنين ولا يفعل بهم الألفاظ التي يفعلها بالمؤمنين بل يخلّصهم واختيارهم .

و اذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدق لما بين يدي من التوراة و مبشراً برسول ياتي من بعدى اسمه احمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين (٦) و من اظلم ممن افترى على الله الكذب و هو يدعى الى الاسلام و الله لا يهدي القوم الظالمين (٧) يريدون ليظفئوا نور الله بافواههم و الله متم نوره و لو كره الكافرون (٨) هو الذي ارسل رسوله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله و لو كره المشركون (٩) .

[و اذ قال] معطوف على اذ الاولي و ابن في هذه الآية و في «غزير» يثبت ألفه خطأً [يا بني اسرائيل] ناداهم بهذه النسبة استمالة لقلوبهم إلى تصديقه في قوله : [اني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة] فان تصديقه ﷺ التوراة من أقوى الدواعي إلى تصديقهم إياه أي أرسلت إليكم لتبليغ أحكامه التي لا بد منها و أنها من الله و يمكن أنه ﷺ ما خاطبهم بيا قوم كما قال موسى . لأنه لا نسب له فيهم إذ النسب عندهم بالآباء .

[و مبشراً برسول] أي حالكوني مصدقاً لأحكام التوراة و مبشراً برسول [ياتي من بعدى اسمه أحمد] أي إن ديني التصديق بكتب الله و أنبيائه ممن تقدم و تأخر قال النبي ﷺ و ﷺ : أنا دعوة إبراهيم و بشري عيسى و قيل : إن بين رفع المسيح و مولد النبي ﷺ و ﷺ خمسمائة و خمس و أربعون سنة و عاش المسيح ﷺ إلى أن رفع ثلاثاً و ثلاثين سنة و بين رفعه و الهجرة الشريفة خمسمائة و ثمان و تسعون سنة و نزل جبرئيل ﷺ على عيسى ﷺ عشر مرّات و كذلك أثبتته النصارى على اختلافهم .

و خصّ لفظ أحمد فيما بشر به عيسى تنبيهاً على أنه ﷺ أحمد منه و من الذين من قبله من الأنبياء و هو محمود في أخلاقه و أقواله . قال السهيلي في كتاب التعريف و الأعلام :

أحمد اسم علم منقول من صفة و تلك أفعال التي يراد بها التفضيل فمعناه أحمد الحمادين لربّه وأما محمد فمنقول أيضاً من صفة وهو في معنى محمود ولكن فيه معنى المبالغة والتكرار فمحمد هو الذي حمد مرة بعد مرة كما أن المكرّم من أكرم مرة بعد مرة فهو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ محمود في الدنيا بما هدى إليه و نفع به من العلم والحكمة و أيضاً محمود في الآخرة بالشفاعة فقد تكرر معنى الحمد كما يقتضي اللفظ .

ثم إنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يكن محمداً حتى كان حمد ربّه فنبياً و شرفه و لذلك يقدم اسم أحمد على الاسم الذي هو محمد فذكره عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال : اسمه أحمد و ذكره موسى حين قال له ربّه : تلك أمة أحمد فقال : اللهم اجعلني من أمة أحمد فأحمد ذكره قبل أن يذكره بمحمد فلمّا وُجد و بُعث كان محمداً و هذا بيان تقدّم ذلك الاسم على هذا الاسم و ما خُصّ به من الحمد و المحامد مشاكلاً لمعناه مصادقاً لصفته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأن الله تعالى شرع له سنّة و قرآناً و أنزلت عليه سورة الحمد و خُصّ بلواء الحمد و بالمقام المحمود في الآخرة و شرّع في اختتام الأمور ذكر الحمد كما قال سبحانه : « و قضى بينهم بالحق » و قيل الحمد لله ربّ العالمين ^(١) « و قال : أيضاً » و آخر دعواهم أن الحمد لله ربّ العالمين ^(٢) « فهذا الاسم و المسمّى تطابقاً لكونه خاتم الأنبياء و مؤزناً بانقضاء الرسالة و الوحي و ختم به و تخصيص الله إياهم بهذا الاسم و بهذه الكرامات قبل وجوده تكرمة له و إشعاراً بخاتميتته .

قال في فتح الرحمن : لم يسمّ بهذا الاسم أحد من العرب و لا غيرهم إلى أن شاع قبيل ميلاده من الكهّان و الأخبار أن نبينا اسمه محمد يبعث فسمّى قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك رجاء أن يكون أحدهم هو و هم : محمد بن أحيحة بن الجلاح الأوسيّ و محمد بن مسلمة الأنصاريّ و محمد بن البراء البكريّ و محمد بن سفيان بن مجاشع و محمد بن حمدان الجعفيّ و محمد بن خزاعة السلميّ فهم ستّة لا سابع لهم وحمى الله كلّ من سمّى به أن يدعي النبوة أو يدعيها له أحد أو يظهر عليه سبب يشكك أحداً في أمره من الموسومين

(١) الزمر : ٦٩ و ٧٥ .

(٢) يونس : ١٠ .

الستة حتى ظهر ﷺ .

و من أسمائه ﷺ الملقب بتشديد الفاء و كسرهما لأنه أتى بعد جميع الأنبياء و في قفاهم أوقفنا آثارهم و أتبعهم في الآثار من الأصول .
و منها نبي التوبة لأنه كثير الاستغفار أو لأن التوبة في أمته صارت أسهل و غيرهم يؤخذ في الدنيا و في الآخرة و أمته لا يؤخذ لا في الدنيا بعد التوبة ولا في الآخرة .

و منها نبي الرحمة لأنه كان سبب الرحمة وهو سبب الوجود لقوله تعالى : لولاك لما خلقت الأفلاك و لأنه هو الأمان الأعظم ما عاش و مادامت سنته باقية على وجه الزمان قال الله : « و ما كان الله ليعذب بهم و أنت فيهم و ما كان الله معذبهم وهم يستغفرون (١) » .

و منها نبي الملحمة أي الحرب لأنه بعث بالقتال . فإن قلت : المبعوث بالقتال كيف يكون رحمة ؟ فالجواب أن أمم الأنبياء كانوا يهلكون في الدنيا إذا لم يؤمنوا بهم بعد المعجزات و يستأصلون ولكنه ﷺ بعث بالسيف ليرتد عوابه عن الكفر و لا يستأصلوا و منها الماحي و قد محا الله به الكفر .

و منها الحاشر و هو الذي يحشر الناس في دعوته و عهده من غير أن تنسخ .
و منها العاقب و هو الذي ليس بعده نبي فانقطعت النبوة .
و منها الفاتح لأن به فتح الإسلام .

و منها الكاف قيل : معناه الذي أرسل إلى الناس كافة و ليس هذا بصحيح لأن كافة لا يتصرف منه فيكون منه اسم فاعل و إنما معناه الذي كف الناس عن المعاصي و الشرك .

و منها الرؤوف و الرحيم و الشاهد و المبشر و السراج المنير و طه و يس و المزمّل و المدثر و عبد الله و قثم أي الجامع للخير . و دن إشارة إلى اسم النور و الناصر و المتوكل و المختار و المحمود و المصطفى و الخاتم بفتح التاء أي أحسن الأنبياء خلقاً و خلقاً لأنه الخاتم الذي يتجمل به و لأجل كما له كان الخاتم الذي يختم به الكتاب عند الفراغ

منه و أمّا الخاتم بالكسر فمعناه آخر الأنبياء اسم فاعل من ختم .
 و منها راكب الجمل سمّاه به شعياً النبيّ كناية من أنّه ﷺ عربيّ .
 و منها صاحب الهراوة أي العصا سمّاه به سطيح الكاهن قبل أن يلد ﷺ .
 و منها روح الحقّ سمّاه به عيسى عليه السلام في الإنجيل في بيانه و سمّاه أيضاً المنحنى
 بمعنى محمّد بالسريانية .

و منها حياطي بالعبرانية و برفليطس بالرومية بمعنى محمّد وماذا ماذ بمعنى طيب طيب
 و فارقليطاً مقصوراً بمعنى أحمد و روي فارقليط بالباء ومعناه الذي يفرق بين الحقّ و الباطل .
 و قال ﷺ : اسمي في التوراة أحميد لأنّي أحميد أمّتي عن النار و اسدي في
 الزبور المطاحي محاً الله بي عبدة الأوثان و اسمي في الإنجيل أحمد و في القرآن محمّد لأنّي
 محمود في أهل السماء و الأرض .

أقول : و تخصيص الوارد بالخمس أو الأربعة لا ينافي ما سواه و إذا اشتقت أسماء
 من صفاته كثرت جداً .

قوله : [فلمّا جاءهم] أي الرسول المبشّر به الذي اسمه أحمد أي بني إسرائيل
 و النصرى و المشرّكين [بالبيّنات] و المعجزات و القرآن [قالوا هذا] مبشّر ين إليه
 أو إلى ما جاء به لأنّه قرىء ساحر مكان [سحر مبین] .

[و من أظلم ممّن افترى على الله الكذب] الفرق بين الكذب و الافتراء أنّ
 الافتراء افتعال الكذب من قول نفسه و الكذب قد يكون على وجه التقليد للغير فيه [و
 هو] أي و الحال أنّ ذلك المقتري [يدعى] من لسان الرسول [إلى الإسلام] الذي
 فيه نجاته أو يدعى إلى الاستسلام لأمر الرسول و الانقياد لطاعته ، أي و من أشدّ ظلماً
 ممّن اختلق الكذب على الله و نسب القرآن إلى السحر و الرسول إلى الساحر مع أنّه
 يدعو للإسلام الذي به نجاته فيضع موضع الإجابة الافتراء على الله بقوله للقرآن الذي هو
 دعاء عباده إلى الحقّ : هذا سحر و اللام في الكذب للعهد و من الافتراء على الله الكذب
 في الإخبار عن النبيّ أو الإمام و الكذب في الرؤيا و الداعي في الحقيقة هو الله كما قال :

« و الله يدعو إلى دار السلام ^(١) » و الرسول يدعو بأمره تعالى كما قال : « و ادع إلى سبيل ربك ^(٢) » ، و الله لا يهدي القوم الظالمين [و لا يرشدهم إلى طريق الجنة بسبب إغراضهم عن الحق و عن متابعة الداعي .

[يريدون ليطفئوا نور الله] الإطفاء الإخماد يريدون إخماد حجته النيرة و كتابه و دينه و اللام زائدة تأكيد المعنى الإرادة أو معنى الآية يريدون الافتراء ليطفئوا نور الله [بأفواههم] و أقوالهم السخيفة و بمفترياتهم في كلامهم [و الله متمّ نوره] و الله يتمّ حجته و كتابه و ينشره [و لو كره الكافرون] إتمامه إرغاماً لهم و « لو » في الآية بمعنى إن أي و إن كرهوا ذلك فإنه تعالى يفعله لامحالة .

[هو الذي أرسل رسوله] محمداً ﷺ [بالهدى] أي القرآن و المراد من الهدى ما به الاهتداء إلى الصراط المستقيم [و دين الحق] و الملة الحنيفة التي اختارها لرسوله و للناس و هو من باب إضافة الموصوف إلى الصفة مثل عذاب الحريق [ليظهره على الدين كله] ليجعله بالحجة ظاهراً عالياً على جميع الأديان .

[و لو كره المشركون] ففي الآية السابقة أسند الإكراه إلى الكفار لأنه لما كان إتمام نوره من أجل النعم و الكافر أي كافر كان من أصناف الكفر كفروا بهذه النعمة العظيمة فأسند الكراهة إليهم و في هذه الآية التي أسند الكراهة إلى المشركين فإنه قد ورد في مقابلة دين الحق الذي معظم أركانه التوحيد و إبطال الشرك و كفار مكة كارهون له من أجل إنكارهم للتوحيد و إصرارهم على الشرك فالمناسب في الآية التعرض لشكرهم فقال : « و لو كره المشركون » .

و لو قيل : إن دينه ما ظهر على جميع الأديان ؟ فقد روى العياشيّ بالإسناد عن عمران بن ميثم عن عباية أنه سمع أمير المؤمنين عليه السلام يقول : يظهر بعد ذلك فوالذي نفسي بيده حتى لا تبقي قريه إلا و ينادي فيها بشهادة أن لا إله إلا الله بكرة و عشياً . قال السهيليّ في كتاب الأمالي في بيان فائدة كون أبواب النار سبعة : وجدنا

(١) يونس : ٢٥ .

(٢) النحل : ١٢٥ .

الأديان سبعة واحد للرحمن و ستة للشيطان فالتى للشيطان اليهودية و النصرانية و الصابئية و عبادة الأوثان و المجوسية و أمم لاشرع لهم و لايقولون بنبوّة وهم الدهرية و الصنف السابع هو من أهل التوحيد لكنهم المصرون على المعاصي و الكبائر من غير استغفار و توبة فإنّ فيهم من ينفذ فيه الوعيد و النار و منهم من يعفو الله عنه فهؤلاء كلهم صنف واحد غير أنّه لايحتم عليهم بالخلود فهؤلاء سبعة أصناف ستة منها مخلدون إجماعاً و الصنف السابع غير مخلّد و يخرجون بالشفاعة و وافق عدد الأبواب عدد الأصناف و تبينت الحكمة في ذكرها في القرآن لما فيها من التخويف و الإرهاب .

و أمّا معنى الإشراك هو إثبات الشريك لله تعالى في الألوهية سواء كانت بمعنى جوب الوجود أو استحقاق العبادة لقوله في وصف المشركين « و لئن سألتهم من خلق السماوات و الأرض ليقولنّ الله (١) » و الكفر لا يخلو عن الشرك و يدلّ على هذا المعنى قوله تعالى : « إنّ الله لا يغفر أن يشرك » و قد ثبت ضرورة أنّه تعالى لا يغفر كفر غير المشركين من اليهود و النصارى فيكون المراد في الآية : لا يغفر أن يكفر به . انتهى .

يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم (١٠)
تؤمنون بالله و رسوله و تجاهدون في سبيل الله باموالكم و انفسكم ذلكم
خير لكم ان كنتم تعلمون (١١) يغفر لكم ذنوبكم و يدخلكم جنات تجري
من تحتها الانهار و مساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم (١٢)
و اخرى تحبونها نصر من الله و ففتح قريب و بشر المؤمنين (١٣) يا ايها
الذين امنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من
انصارى الى الله قال الحواريون نحن انصار الله فأمنت طائفة من بنى
اسرائيل و كفرت طائفة فايدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين (١٤) .

[يا أيّها الذين] في صراط الإيمان هل أعلمكم وأرشدكم و هل ترغبون في
تجارة منجية من العذاب الأليم و هو الإيمان بالله و الجهاد في سبيل دينه بالمال
و النفس ؟ و صورة الكلام العرض والمراد الأمر على سبيل التلطف في الاستدعاء فيكون
العمل به سبباً لا نجاة الله إيّاكم من العذاب و عكسه لأنّ من التجارة ما تكون

لصاحبها سبب العذاب كجمع المال و منع حقوق الله منه فهي تجارة خاسرة موجبة للنكال و أضعف أفراد الجهاد في الدين مع الباطل بالألسنة ، وكان حسان مداح النبي ﷺ يجلس على المنبر و يهجو المشركين باذن رسول الله . و التاجر الذي يبيع و يشتري وليس في كلام العرب تاء بعدها جيم غير هذه اللفظة وأما كلمة «تجاه» فأصلها وجاء و «تجوب» تأؤه تاء المضارعة و هي قبيلة من حمير .

[ذلكم] أي ما ذكر من الإيمان و الجهاد [خير لكم إن كنتم تعلمون] أنه خير لكم و تعقلون هذا الأمر فعل العاقل تبديل الفاني بالباقي و بعد نزول هذه الآية جاء رجل بناقة مخطومة و قال : هذه في سبيل الله فقال النبي ﷺ : لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة .

[يغفر لكم ذنوبكم] في الدنيا [ويدخلكم] في الآخرة [جنات] لكل واحد منكم الجنة و لا بعد من لطفه أن يكون لكل واحد جنات [تجري من تحتها الأنهار] من تحت أشجارها و تحت قصورها و غرفها الأنهار الأربعة من اللبن و العسل و الخمر و الماء .

[و مساكن طيبة] و منازل نزهة كائنة [في جنات عدن] أي إقامة و خلود بحيث لا يخرج منها من دخلها و المسكن يستعمل في الاستيطان و سئل رسول الله ﷺ عن هذه المساكن الطيبة فقال : قصر من أوأؤ في الجنة في ذلك القصر سبعون داراً من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتاً من زمرّة خضراء في كل بيت سبعون وصيفاً و وصيفة . و المروي عن ابن عباس أن الجنات سبع جنّة الفردوس و جنّة عدن و جنّة النعيم و دارالخلد و هي جنّة الخلد و جنّة المأوى و دارالسلام و عليّون و كل واحدة منها لها مراتب . وروي أيضاً أنها ثمان : دار الجلال و دار القرار و دارالسلام و جنّة عدن و جنّة المأوى و جنّة الخلد و جنّة الفردوس و جنّة النعيم .

و قيل : الجنّات أربع كما قال الله : « و لمن خاف مقام ربه جنّتان (١) » ثم قال سبحانه : « و من دونهما جنّتان (٢) » فذلك جنان أربع إحداهن جنّة الخلد والثانية

(١) الرحمن : ٤٦ .

(٢) الرحمن : ٦٢ .

جنة الفردوس و الثالثة جنة المأوى و الرابعة جنة عدن و أبوابها ثمانية و خازن الجنة يقال له «رضوان» وقد ألبسه الله الرأفة و الرحمة كما أن خازن النار يقال له «مالك» قد ألبسه الله الغضب و الهيبة .

[ذلك هو الفوز العظيم] أي ما ذكر من المغفرة و إدخال الجنة هو الفوز الذي لا فوز وراءه و الفوز يكون بمعنى النجاة من المكروه و بمعنى الظفر بالبغية و الأول يحصل بالمغفرة و الثاني بإدخال الجنة .

[و أخرى تحبونها] أي ولكم إلى هذه النعمة العظيمة نعمة أخرى مبتدء حذف خبره عطف على يغفر لكم على المعنى تحبونها و ترغبون فيها تعريض بأنهم يؤثرون العاجل على الآجل .

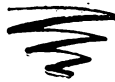
[نصر من الله] بدل أو بيان للأخرى أي نصر على عدوكم الكفار أو قريش [و فتح قريب] أي فتح مكة أو فتح غيرها [و بشر المؤمنين] يا أكمل الرسل بأنواع النعمة .

[يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله] أي أنصار دينه [كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله] و « من » يحتمل أن يكون استفهاماً حقيقة ليعلم وجود الأنصار و يحتمل العرض و الحث على النصر و المعنى : من جندي إلى نصره دين الله ؟

[قال الحواريون نحن أنصار الله] فحاصل الآية مخاطباً للمؤمنين: كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصاره حين قال لهم عيسى : « من أنصاري إلى الله » أو قل لهم : كونوا كما قال عيسى للحواريين ، و الحواريون أصفياء عيسى من الحور و هو البياض الخالص وهم أول من آمن به و كانوا اثني عشر رجلاً قال الله لعيسى : إذا دخلت القرية فأت النهر الذي عليه القصارون فاسألهم النصر فأتاهم عيسى و قال : من أنصاري إلى الله ؟ فقالوا : نحن ننصرك فصدقوه و نصره و قيل : كانوا صيادين أو كانوا يطهرون نفوس الناس بإفادتهم العلم و الدين و إنما قيل لهم إنهم قصارون على التمثيل و التشبيه أو قيل لهم : إنهم صيادون لاصطيادهم نفوس الناس إلى الحق .

[فأمنت طائفة من بني إسرائيل] آمنوا بعميسى وأطاعوه [وكفرت طائفة] الطائفة جماعة أقل من الفرقة [فأيدنا الذين آمنوا] أي قويتنا مؤمني قومه بالحجة أو بالسيف وذلك بعد رفع عميسى [على عدوهم] أي على الذين كفروا وفي لفظ العدو إيدان بأن الكافر لا زال كان عدو للمؤمن . ولما رفع عميسى تفرق القوم ثلاث فرق فرقة قالوا : كان ابن الله فرعه الله إليه و فرقة قالوا : كان عبد الله و رسوله فرعه الله و هم المؤمنون واتبع كل فرقة منهم طائفة من الناس فاقتلوا و ظهرت الفرقتان الكفرتان على الفرقة المؤمنة حتى بعث الله محمداً فظهرت الفرقة المؤمنة على الكافرة فذلك قوله تعالى : « فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم » .

[فأصبحوا] صاروا [ظاهرين] غالبين عالين يقال : ظهرت على الحائط علوته . وسبقوهم أيضاً بالحجة لأنهم قالوا لهم : أستم تعلمون أن عميسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كان ينام والله تعالى لا ينام وإنه يأكل ويشرب والله منزّه عن ذلك وقيل : المراد من قوله : « فأمنت طائفة من بني إسرائيل » بمحمد و كفرت طائفة به وَاللَّهُ يَسْتَعِزُّ بِهِ و صدّ قوا و كذبوا فأصبحت المؤمنة عالية على الكافرة بالحجة قال أمير المؤمنين : أيها الناس دينكم فإن السيئة فيه أحسن من الحسنه في غيره لأن السيئة فيه يغفر والحسنه في غيره لا يقبل تمت السورة بعون الله



سورة الجمعة

﴿ (مدنية) ﴾

عن أبي كعب عن النبي ﷺ قال : ومن قرأ سورة الجمعة أُعطي عشر حسنات بعدد من أتى الجمعة وبعدد من لم يأت في أمصار المسلمين .
وعن منصور بن فخر عن الصادق عليه السلام قال : من الواجب على كل مؤمن إذا كان لناشئة أن يقرأ في ليلة الجمعة بالجمعة وسبَّح اسم ربك الأعلى وفي صلاة الظهر بالجمعة والمنافقين فإذا فعل فكأنما يعمل عمل رسول الله ﷺ وكان ثوابه الجنة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يسبح لله ما في السماوات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم (١) هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين (٢) وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم (٣) ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم (٤) مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين (٥) .

[يسبح] جميعاً من حيّ و جامد تسبيحات مستمرة فما في السماوات هي البدائع العلوية وما في الأرض هي الكوائن السفلية فللكل نسبة إلى الله بالحياة و الوجود [الملك القدوس] المنزه من كل نقص [العزيز] الغالب على ما أمر ، أو [الحكيم] في أفعاله .

[هو الذي بعث في الأميين] و الأمي من لا يكتب ولا يقرء كأنه بقي على ما تعلّمه من أمّه ، منسوب إلى قبائل كثيرة .

و سمي هو بالأمي لأنه لم يكتب ولم يقرء لاستغنائه بضمّان الله له في الفضل و الحفظ عن العلم بقوله : « سنقرئك فلا تنسى » أو لنسبته إلى أم القرى مكة و ليس المراد أنه صلى الله عليه وآله كان لا يعرف القراءة و الكتابة و لقد كان صلى الله عليه وآله يقرء و يكتب باثنين و سبعين لساناً كما في الحديث عن محمد بن علي الرضا عليه السلام قال الراوي : سألته يا بن رسول الله لم سمي النبي أمياً ؟ فقال : ما يقول الناس ؟ قلت : يزعمون أنه لم يحسن أن يكتب و يقرء فقال : كذبوا عليهم لعنة الله أنسى ذلك و الله تعالى يقول : « هو الذي بعث في الأميين » ، إلى أن قال : « و يعلمهم الكتاب و الحكمة » فكيف يعلمهم وهو لا يعرف

أن يقرأ؟ و لقد يعرف و يكتب باثنين و سبعين لغة . الحديث .

أقول : ولو صح أنه ﷺ ما كان يقرأ ولا يكتب فهذه فضيلة له لأنه لا يحتاج إلى القراءة وتحصيل الكتابة من كان القلم الأعلى في نظره واللوح المحفوظ مصحفه ومنظره . قيل : بدئت الكتابة في العرب بالطائف وتعلمها ثقيف وأهل الطائف أخذوها من الحيرة وأهل الحيرة أخذوا من أهل الأنبار وهي مدينة قديمة على الفرات بينها وبين بغداد عشرة فراسخ ولم يكن في أصحاب الرسول كاتب غير حنظلة غسيل الملائكة وعليه ثم ظهر الخط في الصحابة بعد في معاوية وزيد بن ثابت وكانا يكتبان للنبي ﷺ . [رسولاً] كائناً [منهم] من جملتهم و نسبهم عربياً أمياً مثلهم و في كتاب شعيا النبي ﷺ مذكور أنني أبعث أمياً في الأميين وأختم به النبيين . و اعلم أن البعث في الأميين لا ينافي عموم دعوته على الناس كافة لأن التخصيص بالذكر لا مفهوم له وله سلم فلا يعارض المنطوق مثل قوله : «وما أرسلناك إلا كافة للناس» على أنه في الكلام فرق بين البعث في الأميين و البعث إلى الأميين فبطل احتجاج أهل الكتاب بهذه الآية .

[يتلو عليهم آياته] أي القرآن مع كونه أمياً مثلهم لم يعهد منه قراءة وتعلم الفرق بين التلاوة والقراءة أن التلاوة و قراءة القرآن متتابعة كالأمراد الموظفة والقراءة أعم لأنها جمع الحروف باللفظ لا اتباعها .

[ويزكيهم] صفة أخرى لرسولاً أي يحملهم على ما يصيرون أذكاء من خبائث الأعمال والعقائد والمزكي في الحقيقة هو الله كما قال (١) : « بل الله يزكي من يشاء » إلا أن الإنسان الكامل مظهر الصفات الإلهية .

[ويعلمهم الكتاب و الحكمة] صفة أخرى لرسولاً يعلمهم القرآن و السنة وهي ما شرع الله لعباده و المراد من الحكمة الفقه و العظة و الأحكام الشريعة الحكيمية و الحكيمية و نعم ما قال صاحب القصيدة البردية :

كفاك بالعلم في الأمي معجزة * في الجاهلية والتأديب في اليتيم

[و إن كانوا من قبل لفي ضلال مبين] و إن مخففة عن المثقلة و ليست شرطية ولا نافية و اللام هي الفارقة بينها و بينهما أي و إن الشأن كان الأُمِّيُّون من قبل بعثته لفي ضلال ظاهر و هو الشرك و خُبت عادات الجاهلية و نسبة الضلال إلى الجميع من باب التغليب و إلا فقد كان فيهم مهتدون مثل ورقة بن نوفل و زيد بن نفييل و قس بن ساعدة و غيرهم أو أن نسبة الضلالة إلى الجميع صحيحة لأن هؤلاء المذكورين و أمثالهم أيضاً كانوا في الضلالة من الأحكام ، النهاية أنهم ما كانوا مشركين فكونهم مهتدين من وجه لا ينافي كونهم ضالين من وجه آخر .

[و آخرين منهم لما يلحقوا بهم] أي و يعلم قوماً آخرين من الأُمِّيِّين و المؤمنين يأتون بعد ذلك و لما يأتوا بعد وهم كل من بعد الصحابة إلى يوم القيامة لأن شريعته تلزمهم و إن لم يلحقوا بزمانه و قيل : هم الأعاجم لأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مبعوث إلى من شاهده و إلى كل من لم يشاهده من العرب و العجم روي ذلك عن الباقر ، وروي أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ و آله قرأ هذه الآية فقبل له : من هؤلاء فوضع يده على كتف سلمان و قال : لو كان الإيمان في الثريا لنالته رجال من هؤلاء فعلى هذا فإِنَّمَا قَالَ : « منهم » لأنهم إذا أسلموا صاروا منهم فإن المسلمين يد واحدة و أمة واحدة على من سواهم و إن اختلف أجناسهم و من لم يؤمن بالنبي فإنهم ليسوا بمن عناهم الله بقوله : « و آخرين منهم » و إن كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مبعوثاً إليهم و آخرين جمع آخر بمعنى غير وهو عطف إمام على الأُمِّيِّين الذين على عهده أو على المنصوب في يعلمهم و يعلم آخرين منهم أي من الذين يأتون بعد هؤلاء الذين تعلموا منه فهم يتعلمون مثل هؤلاء فيكونون من جنسهم و منفي كلمة «لما» مستمر النفي إلى الحال و متوقع الثبوت بخلاف منفي «لم» .

[و هو العزيز] الغالب و المبالغ في العزة و لذلك مكن سبحانه رجلاً أُمِّيًّا و ذلك الأمر العظيم من الرياسة على الملك و الجن و البشر [الحكيم] في رعاية المصلحة و لذلك اصطفاه من بين كافة البشر .

[ذلك فضل الله] إشارة إلى هذا الأمر العظيم فضله و إحسانه [يؤتيه من يشاء] تفضيلاً [و الله ذو الفضل العظيم] الذي يستحق دونه نعم الدنيا بل نعيم الآخرة على

الخلق بإرسال محمد إليهم .

[مثل الذين حملوا التوراة] أي علموها [ثم لم يحملوها] ولم يعملوا بما في تضاعيفها من آياتها التي من جملتها الآيات الناطقة بنبوّة محمد ﷺ واقتنعوا بمجرد قراءتها والمراد اليهود [كمثل الحمار] و الكافزائدة والحمار معروف (وفي حياة الحيوان إن اتخذ خاتم من حافر الحمار الأهليّ ولبسه المصروع لم يصرع) يعبر به عن الجاهل .
[يحمل أسفاراً] أي كتباً من العلم يتعب بحملها ولا ينتفع بها و الأسفار جمع سفر بكسر السين و هو الكتاب مثل شبر و أشبار و إنما سمي الكتاب بسفر لأنه يسفر و يكشف عن الحقائق وعلى هذا فمن تلا القرآن ولم يعمل به و أعرض عنه إعراض من لا يحتاج إليه كان هذا المثل لاحقاً به و إن حفظه و هو طالب لمعناه والعمل به فليس من أهل المثل .

[بس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله] أي بس مثل القوم المكذبين و التمييز محذوف و الفاعل المفسر له مستتر و المخصوص بالذم اليهود [والله لا يهدي القوم الظالمين] الواضعين التكذيب موضع التصديق و الظالمين أنفسهم بتعريضها للعذاب الخالد باختيار الضلالة على الهداية .

قل يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين (٦) ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم و الله عليهم بالظالمين (٧) قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملائكتكم ثم تردون الى عالم الغيب و الشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون (٨) .

[قل يا أيها الذين هادوا] من هاد يهود إذا اختار اليهودية فإن المهاداة الممايلة فإنهم مالوا عن الحق و قال بعضهم : يهود من قولهم : « إيا هُدننا إليك » أي بيننا و كان بالأول اسم مدح كما أن النصراني اسم مدح لقولهم : « نحن أنصار الله » .

[إن زعمتم] و الزعم هو القول بلا دليل و أكثر ما يستعمل فيما يشك فيه و قيل : الزعم حكاية قول يكون مظنة للكذب و يقال للمتكفل و الرئيس : زعيم [أنتم أولياء الله] جمع ولي بمعنى الحبيب [من دون الناس] صفة أولياء أي من دون

الأُمِّيِّينَ وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ لَيْسَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ يَرِيدُ بِذَلِكَ قَوْلَهُمْ : « نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ » وَيَدْعُونَ أَنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً وَقَوْلَهُمْ : « لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا » فَأَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ بِأَنْ يَقُولَ لَهُمْ إِنْظَاهَارًا لِكَذِبِهِمْ : إِنْ زَعَمْتُمْ ذَلِكَ [فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ] أَي تَمَنَّوْا مِنْ اللَّهِ أَنْ يَمِيتَكُمْ مِنْ دَارِ الْبَلِيَّةِ إِلَى دَارِ الرَّاحَةِ وَالْكَرَامَةِ وَالْفَرْقَ بَيْنَ التَّمَنِّيِّ وَالِاشْتِهَاءِ أَنَّ التَّمَنِّيَّ أَعْمٌ مِنَ الْإِشْتِهَاءِ لِأَنَّهُ يَكُونُ فِي الْمَمْتَنِعَاتِ دُونَ الْإِشْتِهَاءِ .

[إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ] جَوَابُهُ مَحْذُوفٌ لِدَلَالَةِ مَا قَبْلَهُ عَلَيْهِ أَي إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَوَاتَّقِينَ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ وَالْمُحِبُّ يَكُونُ مُشْتَقًا إِلَى لِقَاءِ مَحْبُوبِهِ كَمَا قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنْ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ آتَى بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِشَدِي أُمِّهِ .

[وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَوَّلًا] إِخْبَارٌ بِمَا سَيَكُونُ مِنْهُمْ وَأَبْدَأُ ظَرْفٌ بِمَعْنَى الزَّمَانِ الْمَطْطَاوِلِ وَالْمُرَادُ بِهِ مَا دَامُوا فِي الدُّنْيَا [بِمَا قَدَّمْتُ أَيْدِيَهُمْ] أَي يَأْبُونَ التَّمَنِّيَّ بِسَبَبِ مَا عَمَلُوا مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعْاصِي الْمَوْجِبَةِ لِلنَّارِ وَلَمَّا كَانَتِ الْيَدَيْنِ جَوَارِحَ الْإِنْسَانِ مَنَاطَ عَامَّةٍ أَفْعَالُهُ عَبَّرَ بِهَا تَارَةً عَنِ النَّفْسِ وَآخَرَى عَنِ الْقُدْرَةِ وَالْأَيْدِي هُنَا بِمَعْنَى الذُّوَاتِ اسْتَعْمَلَتْ فِيهَا لَزِيادَةَ اِحْتِيَاجِهَا إِلَيْهَا فَكَأَنَّهَا هِيَ .

[وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ] وَضَعُ الْمُنْظَرِ مَوْضِعَ الْمَضْمَرِ لِلتَّسْجِيلِ عَلَيْهِمُ بِالظُّلْمِ فِي كُلِّ أُمُورِهِمْ أَي عَلِيمٌ بِهِمْ وَبِظُلْمِهِمْ وَفَنُونَ ظَلَمَهُمْ وَوَقَعَ الْأَمْرُ كَمَا ذَكَرْنا فَلَمْ يَتَمَنَّ مِنْهُمْ أَحَدٌ مَوْتَهُ وَفِي الْحَدِيثِ لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ إِمَّا مُحْسِنًا فَإِنْ يَعِشْ يَزِدْ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعْتَبَ أَي يَسْتَرْضَى رَبَّهُ بِالتَّوْبَةِ وَالطَّاعَةِ رَوَى أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي حَقِّ الْيَهُودِ : لَوْ تَمَنَّوْا الْمَوْتَ لَغَصَّ كُلُّ إِنْسَانٍ بِرِيقِهِ فَمَاتَ مَكَانَهُ وَ مَا بَقِيَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ يَهُودِيٌّ .

[قُلْ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ] وَلَا تَجْسُرُونَ أَنْ تَمَنَّوْهُ مَخَافَةَ أَنْ تُؤْخَذُوا بِوَبَالِ كُفْرِكُمْ [فَإِنَّهُ مَلَاقِيكُمْ] الْبَتَّةَ مِنْ غَيْرِ صَارْفٍ يَلْوِيهِ [ثُمَّ تَرُدُّونَ] بَعْدَ الْمَوْتِ الْإِضْطِرَّارِيِّ تَرْجِعُونَ [إِلَى عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ] الَّذِي لَا تَخْفَى عَلَيْهِ أَفْعَالُكُمْ وَأَحْوَالُكُمْ

الظاهرة و الباطنة [فينبئكم بما كنتم تعملون] من الكفر و المعاصي و يجازيكم بها .
 يا أيها الذين امنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى
 ذكر الله و ذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون (٩) فاذا قضيت الصلاة
 فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثير العلكم تفلحون
 (١٠) و اذا رأوا تجارة أو لهوا أو نفوا أو اليها وتركوا قائما قائل ما عند الله خير
 من الله و من التجارة و الله خير الرازقين (١١) .

النداء رفع الصوت و نداء الصلاة مخصوص في الشرع بالألفاظ المعروفة و المراد
 بالصلاة صلاة الجمعة و دل عليه يوم الجمعة .

أي إذا أذن لصلاة الجمعة و ذلك إذا جلس الإمام على المنبر يوم الجمعة و ذلك
 لأنه لم يكن على عهد رسول الله نداء غيره و كان لرسول الله مؤذن واحد هو بلال فإذا
 كان صلى الله عليه و آله و سلم على المنبر أذن على باب المسجد فإذا نزل أقام الصلاة .

[من يوم الجمعة] بضم الميم و هو الأصل و السكون تخفيفاً منه وإنما سمي جمعة
 لاجتماع الناس فيه للصلاة و أول من سمى هذا اليوم جمعة كعب بن لؤي لصغير لآي
 سماه بها لاجتماع قريش فيه إليه و كانت العرب قبل ذلك تسميه العروبة .

وقيل : إن الأنصار قبل الهجرة قالوا لليهود : يوم تجمعون فيه في كل سبعة
 و للنصارى كذلك فهلّموا و نجعل لنا يوماً نجمع فيه فنذكر الله و نصلي فاجتمعوا إلى سعد بن
 زرارة فصلّى بهم ركعتين فسموه الجمعة ثم ذبح لهم شاة فأكلوا فدارت عادة الإطعام بعد
 الصلاة إلى يومنا هذا فأنزل آية الجمعة فهي أول جمعة في الإسلام .

وأمّا أول جمعة جمعها رسول الله فهي أنه لما قدم المدينة مهاجراً نزل قبائل بني
 عوف يوم الاثنين لاثني عشرة ليلة خلت من ربيع الأول حين امتد الضحى و من تلك السنة
 يعدّ التاريخ الإسلامي فأقام بها يوم الاثنين و الثلاثاء و الأربعاء و الخميس و أسّس مسجدهم
 ثم خرج يوم الجمعة عامداً المدينة فأدركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف فدانخذ
 القوم في ذلك الموضع مسجداً فخطب صلى الله عليه و آله و سلم و صلى الجمعة وهي أول خطبة خطبها بالمدينة
 و أولها : الحمد لله و استعينه إلخ .

[فاسعوا إلى ذكر الله] السعي المشي السريع دون العدو أي اقصدا إلى الخطبة

والصلاة لاشتمال كل منهما على ذكر الله وفي الحديث إذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المسجد بأيديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب يكتبون الأ ول فالأ ول على مراتبهم فإذا خرج النبي أو الإمام طويت الصحائف واجتمعوا للخطبة والمهاجر إلى الصلاة كالمهدي بدنة ثم الذي يليه كالمهدي بقرة ثم الذي يليه كالمهدي شاة حتى ذكر الدجاجة والبيضة وهذه المثوبات والأحكام هل هو خاص من زمان الإمام وحضوره أم هذا الحكم جار في زمن الغيبة فيه بيان ليس هنا موضع بسطه .

[وذرؤا البيع] أي اتركوا المعاملة قيل : إن البيع هنا مجاز عن المعاملة مطلقاً والنهي عن البيع على أي صورة في المعنى يتضمن النهي عن الشراء لأنهما متضايقان لا يعقلان إلا معاً فاكتمفي بذكر أحدهما عن الآخر .

[ذلكم خير لكم] أي ما أمرتكم من حضور الجمعة واستماع الذكر وأداء الفريضة وترك البيع أنفع لكم عاقبة [إن كنتم] عاملين بمنافع أموركم ومصالح أنفسكم وفي الآية دلالة على وجوب الجمعة وتحريم أمور مانعة عن الحضور ، وفيها دلالة على أن الخطاب للاحتراز لأن العبد لا يملك البيع وعلى اختصاص الجمعة بمكان ولذلك أوجب السعي إليه وفرض الجمعة لازم لجميع المكلفين إلا أصحاب الأعذار من السفر أو المرض أو العمى أو العرج أو أن يكون امرأة أو شيخاً هماً لأحراك به أو عبداً أو يكون على رأس أكثر من فرسخين من الجامع وعند حصول هذه الشرائط لا يجب إلا عند حضور السلطان العادل أو من نصبه السلطان للصلاة والعد عند أهل البيت صلوات الله عليهم يتكامل بسبعة وقيل : ينعقد بثلاثة سوى الإمام عن أبي حنيفة وقيل : ينعقد بأربعين رجلاً أحراراً بالغين مقيمين عند الشافعي وقيل : ينعقد باثنين سوى الإمام وبالجملة الاختلاف بين الفقهاء في مسائل الجمعة كثير من أراد فموضعه كتب الفقه .

[فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض] فإذا قضيت الصلاة التي نوديت لها و أدت وفرغ منها فانتشروا في الأرض لإقامة مصالحكم وتفريغ قواها لحوادثكم المشروعة والأمر الرخصة لأمر العزيمة .

[وابتغوا من فضل الله] واطلبوا لأنفسكم وأهلكم الرزق الحلال . قيل : إن هذا

الأمر للإطلاق بعد الحظر وهو الإباحة كقوله : « وإذا حللتهم فاصطادوا^(١) »، وقال سعيد بن جبير : إنه للندب وقال : إذا انصرفت من الجمعة فساوم بشيء وإن لم تشتريه وقال ابن عباس : لم يؤمروا بطلب شيء من الدنيا إنما هو عيادة المرضى وزيارة أخ في الله و حضور الجنائز وطلب العلم وأمثالها .

[واذ كروا لله] بالجنان و اللسان [كثيراً] ذكراً كثيراً وزماناً كثيراً ولا تخلصوا ذكره تعالى بالصلاة وقيل : المراد من الذكر هنا الفكر كما قال : تفكر ساعة خير من عبادة سنة وقيل : معناه ان كروا الله في تجاراتكم وأسواقكم كما روي عن النبي ﷺ أنه قال : من ذكر الله في السوق مخلصاً عند غفلة الناس وشغلهم بما فيه كتب له ألف حسنة و يغفر الله له يوم القيامة مغفرة لم تخطر على قلب بشر .

[لعلكم تفلحون] أي لتفعلوا و تفوزوا بثواب النعيم و صحَّ الحديث عن أبي ذر عن رسول الله قال : من اغتسل يوم الجمعة فأحسن غسله و لبس صالح ثيابه و مس من طيب بيته أو دهنه ثم لم يفرق بين اثنين غفر الله ما بينه و بين جمعة الأخرى و زيادة ثلاثة أيام بعدها أورده البخاري في الصحيح و روى سلمان التيمي عن النبي ﷺ قال : إن لله تعالى في كل جمعة ستمائة أنف عتيق من النار كلهم قد استوجب النار .

[و إذا رأوا تجارة] فأخبر سبحانه عن أحوال أهل الدنيا أنهم قابلوا أكرم الكرم بالألم اللؤم فقال : و إذا رأوا بتجارة المراد تجارة دحية الكلبي قبل أن يسلم روي أن دحية بن خليفة الكلبي قدم المدينة بتجارة من الشام و كان بالمدينة مجاعة و غلاء سعر و كان معه جميع ما يحتاج إليه من بر و دقيق و زيت وغيرها و النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة فلما علم أهل المسجد ذلك قاموا إليه خشية أن يسبقوا في الشراء فما بقي إلا ثمانية أو أحد عشر أو أربعون فقال ﷺ : والذي نفس محمد بيده لو خرجوا جميعاً لأضرم الله عليهم الوادي ناراً .

[أو لهوا] و المراد الطبل و ما يشبهه و كانوا إذا أقبلت العير استقبلوها بالطبول و الدفوف و الصفيق و هو المراد من اللهو في الآية [انفضوا إليها] و تفرقوا وانتشروا إلى التجارة و اللهو .

[و تركوك] حالكونك قائماً على المنبر عن جابر بن عبد الله قال : كان النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة خطبتين قائماً يفصل بينهما بجلوس ومن ثمّة كانت السنّة في الخطبة ذلك و الخطبة مشتملة على التوحيد و الحمد و التصليّة على النبي و النصيحة للمسلمين و الدعاء لهم .

[قل ما عند الله] من الثواب [خير من اللّهُ] و استماعه [و من التجارة] و نفعها [والله خير الرازقين] لأنّه موجد الأرزاق و في قوله : خير من اللّهُ و التجارة و قوله : خير الرازقين من قبيل الغرض و التقدير إذا لاخيرة في اللّهُ و لارزاق إلا الله فيكون إن وجد في اللّهُ خيرة و إن وجد رازقون غير الله والله خيرهم .

قال في الأحياء : يستحب أن تقول بعد صلاة الجمعة : اللهم يا غنيّ يا حميد يا مبدئ يا معيد يا رحيم ياودود ، أغنني بحلالك عن حرامك و بفضلك عمّن سواك فيقال : من دوام على هذا الدعاء أغناه الله عن خلقه و رزقه من

حيث لا يحتسب و في الحديث من قال : يوم الجمعة

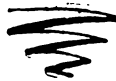
اللهم أغنني بحلالك عن حرامك وفضلك

عمّن سواك سبعين مرّة لم تمرّ به

جمعتان حتّى يغنيه الله ،

عن أنس بن مالك

تمت السورة بعون الله



سورة المنافقون

﴿مدنية﴾

من قرأها برىء من النفاق .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد أنك لرسول الله والله يعلم أنك لرسوله
والله يشهدان المنافقين لكاذبون (١) اتخذوا إيمانهم جنة فصدوا عن سبيل
الله أنهم ساء ما كانوا يعملون (٢) ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على
قلوبهم فهم لا يفقهون (٣) وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع
لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم
قاتلهم الله أنى يؤفكون (٤) وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لو
وأسهم ورايتهم يصدون وهم مستكبرون (٥) سواء عليهم أستغفرت لهم أم
لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدي القوم الفاسقين (٦) .

النفق إظهار الإيمان باللسان و كتمان الكفر بالقلب و بعبارة أخرى الدخول
في الشرع من باب و الخروج منه من باب مأخوذ من النفاق، إحدى جحر اليربوع والضب
يكتمها و يظهر غيرها فإذا أتى من قبل الفاصعاء و هو الذي يدخل منه ضرب النفاق
برأسه فانتفق ، و النفق هو السرب في الأرض النافذ .

[إذا جاءك المنافقون] و حضروا مجلسك [قالوا نشهد أنك] مؤكدين كلامهم
بأنك [لرسول الله] و جواب إذا محذوف تقديره فاحذرهم و الشهادة قول صادر عن علم
حصل بشهادة بصر أو بصيرة [والله يعلم أنك لرسوله] أي والله يشهد أنك لرسوله و كفى
به شهيداً و كلما جاء لفظة إن بعد العلم فهي مفتوحة إلا إذا دخلت لام الابتداء على

خبرها فحينئذ تكون مكسورة وذلك لأن اللام لتأكيد معنى الجملة ولا جملة إلا في صورة المكسورة .

[والله يشهد إن المنافقين لكاذبون] أي إنهم كاذبون والظاهر في موضع الضمير إشعاراً لذمهم .

[اتخذوا] أي المنافقون [أيمانهم] الفاجرة [جنّة] أي ترساً ووقاية عما يتوجّه إليهم من المؤاخذة بالقتل وغير ذلك والمعنى من اتخاذاً أيمان جنّة إعدادهم وتهيئتهم لها إلى وقت الحاجة ليخلصوا بها من المؤاخذة .

[فصدوا عن سبيل الله] فمنعوا و صرفوا عن سبيل الإسلام من أراد الدخول فيه بقولهم : إنه صلى الله عليه وآله ليس برسول ومنعوا من أراد الإنفاق في سبيله [إنهم ساء ما كانوا يعلمون] أي ساء الشيء الذي كانوا يعلمونه من الصدّ والنفاق .

[ذلك بأنهم] أي كونهم أسوأ الناس عملاً بسبب أنهم [آمنوا] ونطقوا بكلمة الشهادة [ثم كفروا] وظهر كفرهم من قولهم : إن كان ما يقوله محلاً حقاً فنحن حير ويجوز أن يراد بهذه الآية أهل الردّة منهم كما قال الزمخشري في الكشاف .

[فطبع على قلوبهم] معاقبة على سوء أفعالهم وليس لهم أن يقولوا : إن الله ختم على قلوبنا فكيف تؤمن ؟ لأنه تعالى خلاهم واختيارهم فصار ذلك طبعاً على قلوبهم وهو إلفهم إلى ما اعتادوه من الكفر [فهم لا يفقهون] ولا يعلمون الحق من حيث إنهم لا يتفكرون حتى يميزوا بين الحق والباطل .

[إذا رأيتمهم] والمراد الرؤية البصريّة [تعجبك أجسامهم] و يروك منظرهم لصباحة وجوههم والعجيب هو الذي يعظم في النفس أمره لغرابته [وإن يقولوا تسمع لقولهم] أي ألسنتهم زلقة لفصاحتهم وحلاوة كلامهم وكان عبد الله بن أبي صبيحاً جسمياً يحضر مجلس رسول الله في نفر من أمثاله وهم رؤساء المدينة والذين مع رسول الله من أصحابه يعجبون بهيأ كلهم و يسمعون كلامهم فإنّ الفصاحة وحسن المنظر داعية إلى الميل غالباً ، قال بعضهم :

يدل على معرفة حسن وجهه * وما زال حسن الوجه إحدى الشواهد

روي عن بعض الحكماء إنه رأى غلاماً حسناً وجهه واستنطقه لظنّه زكاه

فطنته فما وجد عنده معنى فقال : ما أحسن هذا البيت لو كان فيه ساكن .
 [كأنهم خشب مسندة] خبر مبتدئ محذوف أي هم كالخشب بضمّتين جمع خشبة
 مثل أكم و أكمة و الخشب ما غلظ من العيدان كأنها أسندت إلى موضع شبههم سبحانه
 في جلوسهم مجلس رسول الله و مستندين فيه بأخشاب منصوبة مسندة إلى الحائط في
 كونهم أشباحاً خاليه عن الخير و الانتفاع فكما أن مثل هذا الخشب لانفع فيه فكذا هم
 لانفع فيهم و كذا قوله وَاللَّهُ يَكْفُلُكَ وَاللَّهُ يَكْفُلُكَ : إنّه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله
 جناح بعوضة ، على أن الكمال و النقصان بالأصغرين : اللسان و القلب لا بالأكبرين :
 الرأس و الجلد .

[يحسبون كلّ صيحة] يظنون كلّ صوت ارتفع واقعة [عليهم] أي إذا نادى
 مناد في المدينة أو في العسكر لمصلحة أو انفلتت رابّة أو أنشدت ضالّة بين الناس ظنّوه
 إيقاعاً بهم لجبنهم و استقرار الرعب في قلوبهم و الخائن خائف و في الآية تخفيف لقدرهم
 قال الشاعر : « إذا رأى غير شيء ظنّته رجلاً » و كانوا على وجل من أن ينزل الله فيهم ما
 يهتك أستارهم و يبيح دماءهم و أموالهم .

[هم العدو] أي هم العدو لك يا محمّد و للمؤمنين في الحقيقة فاحذرهم من أن
 تأمنهم على سرّك و لا تثق بهم فإنّهم يفتشون سرّك و العدو لكونه بزنة المصادر يقع على
 الواحد و الجمع .

[فاتلهم الله] دعاء عليهم و لعنهم سبحانه أو تعليم للمؤمنين بالبراءة منهم و هي
 كلمة ذمّ و توبيخ بين الناس [أنسى يؤفكون] تعجيب من حالهم أي كيف يصرفون عن
 الحقّ من الأفك بفتح الهمزة بمعنى الصرف عن الشيء .

[و إذا قيل لهم تعالوا] قيل : إنّه بعد نزول هذه الآيات قال بعض أصحاب ابن
 أبيّ : إنّ هذه الآيات نزلت فيك اذهب إلى رسول الله وَاللَّهُ يَكْفُلُكَ وَاللَّهُ يَكْفُلُكَ حتّى يرضى عنك ويستغفر
 ربّه لك فقال اللعين : قال لي محمّد أن آمن فأمنت و قال : أدّ ذكاة مالك فأدّيت ما بقي لي إلاّ
 أن أسجده فنزلت هذه الآية « و إذا قيل لهم تعالوا » أصله تعالوا فأعلّ بالقلب و الحذف
 و إنّ واحد الماضي « تعالوا » با ثبات الألف المقلوبة عن التاء المقلوبة عن الواو الواقعة رابعة

و واحد الأمر تعالَ بحذفها وقفاً و فتح اللام وأصل معنى التعالي الارتفاع فإذا أمرت منه قلت : تعال و تعالوا و معناه ارتفعوا ثم استعمل في كلِّ داع يطلب المجيء ، لما فيه حسن الأدب في الطلب أي هلمّوا واثتوا و من الأدب أن لا يقال : تعالى فلان لأنه مما اشتهر به الله فتعالى الله الملك الحق .

[يستغفر لكم رسول الله] جواب الأمر أي يدع الله لكم و يطلب منه أن يغفر ذنوبكم [لو وا رؤوسهم] أي أموالها و عطفوا رؤوسهم و وجوههم استكباراً [و رأيتهم يصدون] و يعرضون عن القائل و الاستغفار [و هم مستكبرون] عن هذا الأمر لغلبة الشيطنة و في الحديث إذا رأيت الرجل لجوجاً مُعجباً برأيه فقد تمت خسارته .

[سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم] و كلمة سواء اسم بمعنى مُستورٍ خبرٌ مقدّمٌ وعليهم متعلّقٌ به و ما بعده من المعطوف عليه و المعطوف مبتدأ بتأويل المصدر و الأصل أاستغفرت فحذفت همزة الوصل التي هي ألف الاستفعال للتخفيف ومعنى الآية : يتساوى الاستغفار و عدمه لهم ولا يفيدهم .

[لن يغفر الله لهم] لأنهم مبطنين الكفر و إن أظهروا الإسلام [إن الله لا يهدي القوم الفاسقين] الخارجين عن الدين إلى طريق الجنة أخبر سبحانه نبيه أنهم يموتون على الكفر و قد كان النبي ﷺ يستغفر لهم رجاء أن يسلموا و في الحقيقة استغفاره لهم طلب الهداية لهم لأنه نبي الرحمة قيل : لما قال الله : « إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم » قال : لأزيدن على السبعين فأنزل الله « سواء » إلخ ، فعلم ﷺ أنهم يموتون على الكفر فترك الاستغفار .

هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السماوات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون (٧) يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجنه. الاعز منها الاذل و لله العزة و لرسوله و للمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون (٨) يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله و من يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون (٩) و انفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتى احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق و اكن من الصالحين (١٠) و لن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها و الله خبير بما تعدلون (١١)

المنافقون] هم الذين يقولون [لأننا نصار، تعليل لعدم مغفرتهم] [لاتنققوا] لاتعطوا النفقة التي يتعيّن بها [على من عند رسول الله] يعنون فقراء المهاجرين ، و قولهم : رسول الله إما للهزؤ و التهكم أو لكونه كاللقب له أو اشتهاؤه به فلو كانوا مقرّين برسالته لما صدر عنهم ما صدر أو تعبيراً لله [إجلالاً له] [حتى ينفضوا] ويتفرّقوا عن حوله رَبِّهِمْ وَاللَّهُ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ والانفصاف التفرّق و التشتت وذلك لجهلم عمّا في خزائن الله .

[ولله خزائن السموات و الأرض] و بيده تعالى خزائن الأرزاق [ولكن المنافقين لا يفقهون] ذلك، لجهلم قيل : لما بلغ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ جعله كلاً على بني إسرائيل امتحاناً له فغلق موسى من تغيير الحال عليه و قال : يا رب أغني عن بني إسرائيل فأوحى الله إليه أما ترضى أن أفرغك لعبادتي وأجعل مؤونتك على غيرك فسكت ثم سأل ثانياً فأوحى الله إليه لا يليق بنبي أن يرى في الوجود شيئاً لغير سيده فكل من رزق ربك ولا منة لأحد عليك فسكت، فالله تعالى يوصل الرزق إلى عبده بيد من يشاء من عباده مؤمناً كان أو كافراً فالأغنياء إن خصّصوا بوجود الأرزاق فالفقراء خصّصوا بشهود الرزاق وخزائن الله في السموات الغيوب وفي الأرض القلوب فما انفصل من الغيوب وقع على القلوب ويمكن أن الأرزاق السماوية المعارف و العلوم المخزونة لخواص العباد القابلين لها و خزائن الأرزاق الأرضية هي المأكولات و المشروبات وأمثالها .

[يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعرّ منها الأذلّ] [روي أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حين لقي بني المصطلق على المريسع من نواحي المدينة وقاتل معهم و هزمهم وسبى منهم و ازدحم على الماء جهجاه الغفاريّ و هو أجير لعمر بن الخطّاب و سنان الجهنيّ المنافق حليف ابن أبيّ المنافق واقتتلا فصرخ جهجاه بالمهاجرين و سنان الأ نصار فطم رجل يقال له «جعال» من فقراء المهاجرين سناناً فاشتكى سنان إلى ابن أبيّ فقال ابن أبيّ : ما صحبنا محمّداً إلا لنلطم و الله ما مثلنا و مثلهم إلا كما قيل : سمن كلبك يأكلك أما و الله لئن رجعنا من هذا السفر إلى المدينة ليخرجنّ الأعرّ منها الأذلّ - و عنى بالأعرّ نفسه و بالأذلّ جانب المؤمنين - استناد القول إلى المنافقين مع أنه هو

القائل لرضاهم به ثم قال اللعين : ماذا فعلتم بأنفسكم ؟ أحللتوهم بلادكم وقاسمتوهم أموالكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفذوا من حول محمد .

فسمع بذلك زيد بن أرقم وهو حدث فقال له : أنت والله الذليل ومحمد في عز الرحمن ثم أخبر زيد بذلك رسول الله فتغير وجه رسول الله ﷺ فقال ﷺ لابن أبي : أنت صاحب الكلام الذي بلغني قال : والله الذي أنزل عليك الكتاب ما قلت شيئاً وإن زيدا لكاذب فقال الحاضرون : شيخنا و كبيرنا تصدق عليه كلام غلام ؟ وعسى أن يكون وهم فروي أن رسول الله قال لزيد : لعلك غضبت عليه قال زيد : لا ، قال : فعله أخطأك سمعك قال لا : قال : فعله شبه عليك قال : لا ، فلم تنزل الآية لحق رسول الله زيدا من خلفه فغرك أذنه وقال : وفأذنك يا غلام إن الله صدقك وكذب المنافقين .

[والله العزة و لرسوله و للمؤمنين] أي والله الغلبة و القوة و لمن أعز من رسوله و المؤمنين لاغيرهم و من كان في الدنيا عبداً محضاً كان في الآخرة ملكاً محضاً و من كان في الدنيا يدعي الملك لشيء ولو من جوارحه نقص من ملكه في الآخرة بقدر مادعاه في الدنيا فلا أعز في الآخرة ممن بلغ في الدنيا غاية الدل في جانب الله ولا أذل في الآخرة ممن بلغ في الدنيا غاية العزة في نفسه و عزة الله العظمة و القدرة و عزة الرسول النبوة و الشفاعة و عزة المؤمنين الإيمان و العبودية و العزة لله بالأصالة و الدوام و عزة غيره منه تعالى فله العزة جميعاً ولهذا قيل : من عظم الرب في قلبه صغر الخلق في عينه وهذا معنى قوله : من تواضع غنيماً لأجل غناه ذهب ثلثا دينه لأن التواضع يكون بثلاثة أشياء بلسانه و بدنه و قلبه فإذا تواضع له بلسانه و بدنه و لم يعتقد له العظمة بقلبه ذهب ثلثا دينه فإن اعتقدها بقلبه أيضاً ذهب كل دينه .

قال بعضهم : رأيت رجلاً في الطواف و بين يديه خدم يطردون الناس ثم رأيت بعد ذلك على جسر بغداد يتكفف و يسأل فحدثت النظر إليه لا تعرفه هل هو ذلك الرجل أولاً فقال لي : مالك تطيل النظر إلي ؟ أنا ذاك إنني تكبرت في موضع يتواضع الناس فيه فوضعني في موضع يترفع فيه الناس .

[و لكن المنافقين لا يعلمون] من فرط جهلهم ، ختم الآية الأولى بلا يفقهون

و الثانية بلا يعلمون للتفتن المعتمر في البلاغة و تأكيد بيان جهلهم . روي أن عبد الله ابن أبي ملسا أراد أن يدخل المدينة اعترضه ابنه عبد الله بن عبد الله بن أبي وكان مخلصاً وسل سيفه ومنع أباه من الدخول وقال : لئن لم تقر لله ولرسوله بالعز لا ضربن عنقك فقال : ويحك أفاعل أنت ؟ قال نعم : فلما رأى منه الجد قال : أشهد أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال ﷺ لابنه : جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيراً .

ولما كان ﷺ يقرب المدينة هاجت ريح شديدة كادت يدفع الراكب فقال ﷺ : مات اليوم منافق عظيم النفاق بالمدينة ولأجل ذلك ، عصفت الريح فكان كما قال ، مات في ذلك اليوم زيد بن رفاعه و كان كهفاً للمنافقين وكان من عظماء بني قينقاع و كان ممن أسلم ظاهراً وإلى ذلك أشار السبكي في تائيته بقوله :

وقد عصفت ريح فأخبر أنها * ملوت عظيم في اليهود بطيبة

[يا أيها الذين آمنوا] إيماناً صادقاً [لاتلهمكم أموالكم و لأولادكم عن ذكر الله] أي لا يشغلكم الاهتمام بتدبير أمورها و بمصالحها عن الاشتغال بذكره تعالى من الصلاة و سائر العبادات المذكورة للمعبود قيل : الذكر باللسان الصلاة و قراءة القرآن و التسبيح و التهليل و التمجيد و تعلم علم الدين و تعليمها و الذكر بالقلب الخوف .

[و من يفعل ذلك] و تلبى بالدنيا عن الدين وعن الذكر [فأولئك هم الخاسرون] الكاملون في الخسران و في الحديث : ما طلعت الشمس إلا و بجنيبها ملكان يناديان و يسمعان الخلائق غير الثقلين يا أيها الناس هلموا إلى ربكم ، ما قل و كفى خير مما كثر و ألهى ، يقول الله سبحانه لهم : لاتشغلكم أموالكم و أولادكم من إطاعتي و عن أداء الفرائض في أوقاتها .

[و أنفقوا مما رزقناكم] أي بعض ما أعطيناكم ادخاراً للآخرة [من قبل أن يأتي أحدكم الموت] بأن يشاهد دلائله و يعاين أماراته [فيقول] عند تيقنه بحلوله : [رب] يا إلهي [لولا أخرتني] هلا أمهلتني للتحريض و قيل : لا زائدة للتأكيد و لو للتمني بمعنى لو أخرتني [إلى أجل قريب] أي أمد قصير و ساعة أخرى ، قليلة و يقول رُدني إلى الدنيا و أبقي زماناً قليلاً [فأصدق] و هو بقطع الهمزة لأنّها المكمل و همزته

مقطوعة بتشديد الصاد لأن أصله أتصدق وأدغمت التاء في الصاد وينصب المضارع بأن مضمرة بعد الفاء في جواب التمني [وأكن من الصالحين] بالجزم عطفاً على محل فأصدق لأن المعنى إن أخرتني أصدق وأكن .

والفرق بين الصدقة والهدية أن الصدقة للمحتاج بطريق الرحم والهدية للتجسس والمودة ولذا كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقبل الهدية لا الصدقة فرضاً كانت أو نفلاً .

قال ابن عباس : الآية تشمل المؤمن والكافر ومن كان له مال تجب عليه الزكاة فلم يزكّه أو مال يبلغه إلى بيت الله الحرام فلم يحجّ يسأل الرجعة عند الموت، فسئل: وما توجب الزكاة؟ فقال : مائتا درهم فصاعداً قيل : ما توجب الحجّ؟ قال : الزاد والراحلة .

[ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها] ولن يمهّلها مطيعة كانت أو عاصية صغيرة أو كبيرة إذا انتهى أمدها [والله خبير بما تعملون] فيجازيكم عليه إن خيراً فخير وإن شراً فشرّ فسارعوا في الخيرات وبادروا لما هوآت قيل : حقيقة الإيمان غلبة حبّ الله على محبة كلّ شيء وفي الحديث لأن يتصدق المرء في حياته بدرهم خيرٌ من أن يتصدق بمائة عند موته .

قال رجل : يا رسول الله أيّ الصدقة أعظم أجراً؟ قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أن تتصدق

و أنت صحيح صحيح تخشى الفقر و تأمل الغنى

جعلنا الله من المنفقين مالاً ونفساً

في مرضاته

تمت السورة بعون الله .



سورة التغابن

يختلف في كونها مكّية أو مدنيّة ؛ قال ابن عباس : هي مكّية غير ثلاث آيات من آخرها نزلن بالمدينة: د يا أيّها الذين آمنوا إنّ من أزواجكم، إلى آخر السورة عن أبيّ بن كعب قال قال رسول الله ﷺ : ومن قرأ سورة التغابن دُفِع عنه موت الفجأة ابن أبي العلاء عن الصادق عليه السلام قال : من قرأ سورة التغابن في فريضته كانت شفيعة يوم القيامة و شاهد عدل عند من يجيز شهادتها ثم لا تفارقه حتى يدخل الجنة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يسبح لله ما في السماوات وما في الأرض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير (١) هو الذي خلقكم فمنكم كافر و منكم مؤمن و الله بما تعملون بصير (٢) خلق السماوات و الأرض بالحق و صوركم فاحسن صوركم و اليه المصير (٣) يعلم ما في السماوات و الأرض و يعلم ما يسرون و ما يعلنون و الله عليم بذات الصدور (٤) ألم يأتكم نبؤ الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال أمرهم و لهم عذاب أليم (٥) .

المعنى : ينزه الله [ما في السماوات] من الروحانيات [وما في الأرض] من الجسمانيات عما لا يليق بجناب كبريائه تنزيهاً مستمراً و المراد إما تسبيح الإشارة الدالة من وجود المسبوح على كمال تنزّهه تعالى عن جميع النقائص أو المراد من التسبيح هو أن يقول : سبحان الله و على المعنى الأول فظاهر لأنّه في الحقيقة لم يتحرّك موجوداً إلا بأمره و خلفه و تلك الحركة والموجوديّة إجابة داعي القدم لذاته تعالى و ذلك محض التقديس .

[له الملك] الدائم الذي لا يزول [و له الحمد] أي حمد الحامدين و هو الثناء بذكر الأوصاف الجميلة و الأفعال الجزيلة و تقديم الجارّ و المجرور لتأكيد الاختصاص فان اللام مشعر لمعنى الاختصاص و أمّا حمد غيره و ملك غيره لا من حيث الحقيقة بل عارية و مجاز تسليط من حيث الصورة .

[و هو على كل شيء قدير] لأنّ نسبة ذاته المفيضة للقدرة إلى الكلّ سواء فهو القادر على الإيجاد و الإعدام و الإسقام و الإبراء و الإعزاز و الإذلال و التبييض و التسيويد من الأمور الغير المتناهية و قدرة الله تصلح للخلق و قدرة العبد مع أنّها عارية تصلح للكسب فالعبد لا يوصف بالقدرة على الخلق و الله لا يوصف بالقدرة على الكسب .

[هو الذي خلقكم] خلقاً بديعاً قابلاً لجميع مبادئ الكمالات العلمية والعملية ومع ذلك [فمنكم كافر] فبعضكم مختار للكفر كاسب له حسبما يقتضيه سوء اختياره وميل نفسه مع أنه كان الواجب عليكم جميعاً أن تكونوا مختارين للإيمان شاكرين لنعمة الإيجاد والخلق وما يتفرّع عليها من سائر النعم فما فعلتم ذلك مع تمام تمكّنكم منه بل تشعبتم شعباً شعباً ، و الكفر والإيمان اكتساب العبد لقول النبي ﷺ : كل مولود يولد على الفطرة إلا أن أبويه يهوده أو ينصره أو يمجسه ، وقوله تعالى : فطرة الله التي فطر الناس عليها^(١) ، فلذلك واحد من الفريقين كسب و اختيار ، وهذا هو المذهب الحق خلاف ما يقول أهل السنة [و منكم مؤمن] و مختار للإيمان [و الله بما تعملون] مطلقاً [بصير] فيجازيكم بذلك .

[خلق السماوات والأرض بالحق] بالحكمة المتضمنة للمصالح الدينية والديوية فإن قيل : ما وجه عدم ذكر العرش والكرسي في أمثال هذه المواضع مع عظم خلقهما ؟ فالجواب إنهما وإن كانا من السماء لأن السماء هو الفلك والفلك جسم شفاف محيط بالعالم ، هما أوسع الأفلاك إحاطةً و عظمةً إلا أن آثارهما غير ظاهرة للخلق بخلاف السماوات والأرض و ما بينهما فإنها معلوم خالها عند المخاطبين في الجملة و مكشوفة آثارها كما قالوا : إن الشمس تنضح الفواكه و القمر يابونها والكواكب تعطيها الطعوم و التغيرات فيها أظهر فهي على عظم القدرة أدل و هذه الشؤون و التغيرات فيها بأمر الله و وديعته إيتاها وهي في عالم الكون و الفساد الذي هو عبارة عن السماوات والأرض إذ هما من العناصر النهائية أن عنصر الأرض غير عنصر السماء لكنهما من العناصر بخلاف العرش والكرسي فإنهما ليستا من العناصر ولهذا لا يفيدان .

[و صوركم فأحسن صوركم] الفاء للتفسير أي صوركم أحسن تصوير و تقويم و خصصكم بخصائص مبدعاته و لذا لا يتمنى الإنسان أن يكون صورته خلاف ما هو عليه و لا يقدر في كونه أحسن الصور كون بعض الصور قبيحاً بالنسبة إلى بعض لأن الحسن هو الجمال في الوضع و ذلك القبيح الصورة إذا قايسة وضعه و خلقته مع كل ذي روح

من نوع الحيوان بل الأجسام السفليّة مطلقاً فذلك القبيح الصورة أحسن وضعاً وأتمّ خلقة .
والمعتدّ به هو الحسن المعنويّ و يكون مقارناً بالإيمان الذي هو أحسن السيروفي الحديث :
خلق الله آدم على صورته أي على الصورة الإلهيّة التي هي عبارة عن صفاته العُلّيا وأسمائه
الحُسنى و إلاّ فالحسن الصوريّ يوجد في الكافر أيضاً نعم قد يوجد في الكافر سيرة حسنة
و خلقٌ حميد كعدل أنوشيروان لكنّ المعتدّ به أيضاً الإيمان ولو أنّ تلك السيرة الحسنّة
تنفعه لكنّ نفعاً مختصراً و الجميل لا يضيّع ولو في الجملة .

[و إليه المصير] و الرجوع إليه في النشأة الآخرة فأحسنوا سرايركم باستعمال
قواكم في طاعته حتّى يوافق السيرة الجميلة و الصورة الحسنّة في الرجوع فكم من صورة
حسناء تكون في العُقبي شوهاً بقبح السريرة و كم من صورة قبيحة تكون حسناء بحسن
السيرة و قد ثبت أنّ ضرس الكافر يوم القيامة مثل جبل أحد و أنّ غلظ جسده مسافة
ثلاثة أيّام و أنّه يسوء خلقه فيغلظ شفّته العُلّيا حتّى تبلغ وسط رأسه و تسترخى شفّته
السفلى حتّى تضرب سرّته و إنّ أهل الجنّة ضوء وجوههم كضوء القمر ليلة البدر مكحلون
أبناء ثلاث و ثلاثون، فيعجباً من إنسان خفي عليه ما أودع في أرض وجوده من كنز إلهيّ
غيبيّ من نال إليه لو يفتقر أبداً و كيف أقام في الحضيض مع سهولة العروج .

[يعلم ما في السماوات و الأرض و يعلم ما تسرون و ما تعلنون] من الأمور
الكليّة و الجزئيّة و الجليّة و الخفيّة [و الله علّم بذات الصدور] محيط بجميع المضمرات
في الصدور و في الآية بيان ترقّ من الأظهر إلى الأخفى من الحقّ و الباطل و الرياء
و الإخلاص .

[ألم يأتكم نبا الذين كفروا] أيّها الكفرة؟ و الهمة للاستفهام ولم للجحد ومعناه
التحقيق و المراد من نباهم أي خبر قوم نوح و من بعدهم من الأمم [من قبل] متعلّق
بكفروا أي قبلكم [فذاقوا وبال أمرهم] و الذوق و إن كان في العرف للقليل لكنّه
مستصلح للكثير إذ ما ذاقوا بالنسبة إلى عذاب جهنّم كالذوق و الوبال الثقل و الشدّة
و منه الوابل للمطر الثقيل و المراد من الأمر الكفر عبّر عنه بالأمر للإيدان بأنّه أمر
هائل و جناية عظيمة .

[ولهم] في الآخرة بعد ذلك الذوق [عذاب أليم] كثير الألم وفيه إخبار بأن ما أصابهم في الدنيا لم يكن كفارة لذنوبهم وإلا لم يعدوا في الآخرة بخلاف المؤمنين فإن ما أصابهم في الدنيا من الآلام والمصائب كفارة لذنوبهم على ماورد في الأخبار الصحيحة .
 ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا ابشر يهدونا فكفروا وتولوا و استغنى الله و الله غنى حميد (٦) زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى و ربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم و ذلك على الله يسر (٧) فامنوا بالله و رسوله و النور الذي انزلنا و الله بما تعملون خبير (٨) يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن و من يؤمن بالله و يعمل صالحاً نكفر عنه سيئاته و ندخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ابدآ ذلك الفوز العظيم (٩) و الذين كفروا و كذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار خالدين فيها و بس المصير (١٠) .

المعنى : [ذلك] أي ما ذكر من العذاب الذي ذاقوه و سيدوقوه في الآخرة [بأنه] بسبب أن الشأن [كانت تأتيهم رسلهم بالبينات] و المعجزات الظاهرة و الباء إمّا للملابسة أو للتعدية [فقالوا] عطف على كانت [أبشر يهدونا] و أنكروا أن يكون الرسول من جنسهم متعجبين من ذلك أبشر و آدمي مثلنا يهدينا إلى الله كما قالت ثمود : «أبشراً منّا واحداً نتبعه» أنكروا أن يكون الرسول بشراً و لم ينكروا أن يكون المعبود حجراً و مثل أن عبدوا العجل و أقرّوا له بالمعبودية و أنكروا نبوة موسى .

[وتولوا] و أدبروا فيما أتوا به عن التصديق لهم فاستغنى الله أي أظهر استغناؤه عن إيمانهم حيث أهلكتهم و قطع دابرهم حيث علم سبحانه أنه ليس فيهم من يؤمن [والله غني] عن العالمين [حميد] في أفعاله يحمده كل مخلوق بلسان الحال و إن كان لم يعرفه و يقرّ بالوهيئته و في الأربعين الإدريسية : يا حميد الفعال ذا المن على جميع خلقه بلطفه ، من داومه يحصل له من الأموال غاية .

[زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا] عبر سبحانه بالزعم إشعاراً بأنه لا سند في الحكم سوى ادّعائه إياه و المراد من الموصول كفار مكة و أن مخففة ادّعوا أن الشأن

لن يبعثوا بعد موتهم ولن يقاموا ، قيل : لكل شيء كناية و كناية الكذب زعم .
 [قل] ردّ لهم و إبطالاً لزعمهم [لمى] أن تبعثوا فإنّ بلى لا يجاب النفي الذي
 قبله [و ربي لتبعثنّ ثمّ لتنبؤنّ بما عملتم] أي لتحاسبنّ و تجزون بأعمالكم و بيان
 لتأكيد إثبات البعث و لتبعثنّ أصله لتبعثون حذف واوه لاجتماع الساكنين وهو جواب
 قسم قبله [و ذلك] البعث و الجزاء [على الله يسير] لوجود القدرة التامة و قبول المادة .
 و إذا كان الأمر كذلك [فآمنوا بالله ورسوله] [و النور الذي أنزلنا] وهو القرآن
 حقّ نازل من عند الله مظهراً للحقّ و الباطل كما أنّ النور كذلك و الالتفات إلى نور
 العظمة لإظهار العناية [و الله بما تعملون] من الامتثال بالأمر وعدمه [خبير] .

[يوم يجمعكم] ظرف لتنبؤنّ و ما بينهما اعتراض أو مفعول لأذكر [ليوم الجمع]
 ليوم يجمع فيه الأولون و الآخرون من الجنّ و الإنس و أهل السماء و الأرض لأجل
 الحساب و الجزاء و هو يوم القيامة و اللام للعهد عن النبيّ ﷺ إذا جمع الأولين
 و الآخريين جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلائق كلّهم سيعلم أهل الجمع من أولى
 بالكرم اليوم ثمّ يرجع ينادي : ليقيم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع ، فيقومون
 وهم قليل فيسرحون إلى الجنة ثمّ يحاسب سائر الناس و قيل : المراد جمع الله و عمله .
 و قيل بين الظالم و المظلوم أو بين كلّ نبيّ و أمّته .

[ذلك] اليوم [يوم التغابن] تفاعل من الغبن و هو أن تخسر صاحبك في معاملة
 بينك و بينه بضرب من الإخفاء و التغابن أن يغبن بعضهم بعضاً و يوم القيامة يوم غبن بعض
 الناس بعضاً بنزول السعداء منازل الأشقياء و بالعكس فالكافر أخذ الشرّ و ترك الخير
 و المؤمن ترك حظّه من الدنيا و أخذ حظّه من الآخرة ترك ما هو شرّ له و أخذ ما هو
 خير له فكان غائباً و الكافر كان مغبوناً فيظهر في ذلك اليوم التغابن لظهور الغبن في المباهاة
 المشار إليها بقوله : [إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم و أموالهم بأنّ لهم الجنة (١)] .
 و قيل : يظهر الغبن من الكافر بترك الإيمان و من المؤمن بتقصيره في الإحسان و في
 الحديث لا يلقى الله أحدٌ إلّا نادماً إن كان مسيئاً أن لم يحسن و إن كان محسناً أن لم يزد .

[و من يؤمن بالله] بالإخلاص ويعمل صالحاً بمقتضى إيمانه، حكى أن إبراهيم ابن أدهم أراد أن يدخل الحمام فطلب الحمامي الأجرة فتأوه ثم قال : إذا لم يدخل أحد بيت الشيطان بلا أجرة فأنتى يدخل بيت الرحمن بلا عمل ؟
 [يكفر] أي يغفر الله [عنه سيئاته] يوم القيامة [ويدخله] بفضل له بالإيجاب [جنات] على حسب درجات أعماله [تجري من تحتها الأنهار] الأربعة [خالدين فيها] و مؤبدين [أبداً] نصب على الظرف تأكيد للخلود [ذلك] من تكفير السيئات و إدخال الجنات [الفوز العظيم] الذي لا فوز وراهه لانطوائه على النجاة و الخلاص من أعظم الهلكات و الظفر بأجل الطيبات .

[و الذين كفروا بالله و كذبوا بآياتنا] و حججنا [أولئك أصحاب النار] ملازمون النار لخلودهم فيها [خالدين فيها و بس المصير] هذه النار .

ما اصاب من مصيبة الا باذن الله و من يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شىء عليم (١١) و اطيعوا الله و اطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسونا البلاغ المبين (١٢) الله لا اله الا هو و على الله فليتكمل المؤمنون (١٣) يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم و اولادكم عدوا لكم فاحذروهم و ان تعفوا و تصفحوا و تغفروا فان الله غفور رحيم (١٤) انما اموالكم و اولادكم فتنة و الله عنده أجر عظيم (١٥) فاتقوا الله ما استطعتم و اسمعوا و اطيعوا و انفقوا خيراً لانفسكم و من يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون (١٦) ان ترضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم و يغفر لكم و الله شكور حلِيم (١٧) عالم الغيب و الشهادة العزيز الحكيم (١٨) .

المعنى : [ما اصاب] مانافية ، اصاب الخلق [من مصيبة] من المصائب الدنيوية و المصيبة المضرة التي تلحق صاحبها كالرمية التي تصيبه و إنما عم ذلك سبحانه و إن كان في المصائب ما هو ظلم و هو لا يآذن بالظلم لأنه ليس من أفراد الظلم إلا ما أذن الله في وقوعه أو التمكّن منه و ذلك إذن للملك الموكل به و المعنى أنه لا يمنع من وقوع المصيبة و قد يكون ذلك متمكين من الله فكأنه يآذن أن يكون فيرجع المعنى بتخلية الله بينكم و بين من يريد فعلها و قيل : إنه خاص فيما فعله الله أو يأمر به و قيل : معنى

بإذن الله أي بعلم الله ولا يصيبكم مصيبة إلا وهو عالم بها .

[و من يؤمن] بتوحيد الله و يصبر لأمر الله عند نزول المصيبة [يهد قلبه] فإن ابتلي صبر وإن أُعطي شكر وإن ظلم غفر قال ابن عباس : « يهد قلبه » للاسترجاع حتى يقول : « إنا لله وإنا إليه راجعون » فيثيب عند إصابتها ولا يضطرب بأن يقول قولاً يدل على التضجر من قضاء الله . قال بعض المحققين : و من يؤمن بالله تحقيقاً يهد قلبه على العمل بمقتضى إيمانه .

[والله بكل شيء عليم] فيعلم إيمان المؤمن .

[و أطيعوا الله و أطيعوا الرسول] إطاعة العبد لمولاه و إطاعة الأمة لنبيها فيما يؤدبه عن الله و لا يشغلنكم المصائب عن الاشتغال بطاعته و العمل بكتابه و كرراً الأمر للتأكيد و الايذان بالفرق بين الطاعتين في الكيفية .

[فإن توليتم] و أعرضتم عن إطاعة الرسول [فإنما على رسولنا البلاغ المبين] تعليل للجواب المحذوف تقديره فلا بأس عليه إذ ما عليه إلا التبليغ و إضافة الرسول إلى نون العظمة و إظهار الرسول في مقام إضماره لتشريفه ﷺ .

[الله لا إله] في الوجود [إلا هو وعلى الله] أي عليه تعالى خاصة [فليتوكل المؤمنون] فإن الألوهية مقتضية للتبتل إليه و قطع التعلق عما سواه بالمرّة و التوكل إظهار العجز و الاعتماد على الغير .

[يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم] الزوج يعمّ الحليل و الحليلة [و أولادكم] يعمّ الابن و البنت [عدواً لكم] يشغلونكم عن طاعة الله و إن لم يكن لهم عداوة ظاهرة فإنّ العدو لا يكون عدواً بذاته و إنما يكون عدواً بفعله و قدّم الأزواج لأنها مصادر الأولاد قيل : إنّ أناساً أرادوا الهجرة عن مكّة فنبطهم أزواجهم و أولادهم فرفقوا لهم و وقفوا فلمّا هاجروا بعد ذلك و رأوا الذين قد فقهوا في الدين أرادوا أن يعاقبوا أزواجهم و لهذا زين الله لهم العفو عن العقوبة .

[فاحذروهم] الحذر احتراز عن مخيف و الضمير راجع إلى العدو فإنّه يطلق على الجمع أي احفظوا أنفسكم عن شدّة التعلّق بهم و لا تؤثروا حقوقهم على حقوق الله بترك

طاعته بالانهماك في محبتهم و في الحديث إذا كان أمراؤكم شراركم و أغنياؤكم بخلاءكم و أمركم إلى نساءكم فبطن الأرض خير لكم من ظهرها و في الحديث شاوروهن و خالفوهن و السبب أنهن في الغالب ضعيفات العقول و الحظوظ و الإيمان و تطيع هوى نفسها لكن المرأة الفاضلة في الدين يجوز استشارتها و قد استشار النبي ﷺ أم سلمة في قصة صلح الحديبية لفضلها و وفور عقلها و قصة خسرو و شيرين و الصياد و السمكة معروفة .

و حكى أن رجلاً من بني إسرائيل أتى سليمان عليه السلام و قال : يا نبي الله أريد أن تعلمني لسان البهائم فقال سليمان : إن كنت تحب أن تعلم لسان البهائم أنا أعلمك و لكن إذا أخبرت أحداً تموت من ساعتك فقال : لا أخبر أحداً فقال سليمان : قد علمتك و كان للرجل ثور و حمار يعمل عليهما في النهار فإذا أمسى أدخل عليهما علفاً فحط العلف بين يديهما فقال الحمار للثور أعطني الليلة عشاءك حتى يحسب صاحبنا أنك مريض فلا يعمل عليك فتستريح يوماً ثم أنا أعطيك عشاءي في الليلة القابلة فرفع الثور رأسه من علفه فضحك الرجل فقالت امرأته : لم تضحك قال : لاشيء فلما جاءت الليلة القابلة أعطى الرجل للحمار علفه و للثور علفه فقال الثور للحمار : اقضني السلف الذي عندك فإنني أمسيت مغلوباً من الجوع و التعب فقال له الحمار : إنك لاتدري كيف كان الحال فقال الثور : و ما ذلك قال : إن صاحبنا ذهب البارحة و قال للجزاز : ثوري مريض اذبحه قبل أن يعجف فاصبر الليلة و أسلفني عشاءك أيضاً حتى إذا جاءك الجزاز صباحاً و جردك عجيلاً و لست قابلاً للذبح فلا يذبحك فتنجو من الموت ولو تعشيت يمتلي بطنك و يحسبك سميناً فيذبحك إنني أرد لك ما أسلفني الليلتين فرفع الثور رأسه أيضاً من علفه و لم يأكل فضحك الرجل فقالت المرأة لم تضحك ؟ أخبرني و إلا أطلقني فقال الرجل : إذا أخبرتك أموت في ساعتني فقالت : لا أبالي إلا أن تخبرني فقال : ايتني بالدواة و القرطاس حتى أكتب وصيتني ثم أخبرك ثم أموت فناولته فيبينما هو يكتب إذ طرحت المرأة كسرة من الخبز إلى الكلب فسبق الديك و أخذها بمنقاره قال الكلب : ظلمتني قال الديك : صاحبنا يريد الموت اصبر فتكون أنت شعباناً من وليمة الماتم و لكن نحن نبقى في بيتنا إلى ثلاثة أيام لا يفتح لنا الباب و إن يمت يرضي امرأته أبعده الله وأسخطه

فإن لي تسع نسوة لا تقدر واحدة منهن أن تسأل عن سرّي لو كنت أنا مكانه لأضربنها حتى تموت أو تتوب وبعد ذلك لا تسأل عن سرّ زوجها فأخذ الرجل عصاً ولم يزل يضربها حتى تابت من ذلك الطلب ، انتهى . والنساء إذا وافقتموهنّ في المعروف يطمعن في المنكر .

[و إن تعفو] عن ذنوبهم القابلة للعفو بأن تكون متعلّقة بأُمور الدنيا أو بأُمور الدين لكن مقارنة للتوبة [و تصفحوا] و تسامحوا [و تغفروا] بإخفائها و قبول عذرها [فإن الله غفور رحيم] يعاملكم بمثل ما عملتم .

و في الحثّ على العفو والصفح إشارة إلى أن ليس المراد من الأمر بالاحذر تركهم بالكليّة و الإعراض من معاشرتهم كيف و بها نظام العالم . و ما روي عنه صلى الله عليه وآله أنه كان يقول : اتقوا الدنيا والنساء إنما هو للمتخذير عما يضرب معاشرتها في محبتها الشاغلة عن طاعة الله لا الترك بالكليّة .

[إنما أموالكم وأولادكم فتنة] بلاء ومحنة يوقعونكم في الإثم من حيث لا تحسبون و المعنى محنة امتحنكم الله بها حتى يميّز المطيع و العاصي في محبتهم و محبة الله [والله عنده أجر عظيم] لمن آثر طاعته على محبة الأموال و الأولاد و زهدهم في الدنيا و رغبتهم في الآخرة

عن ابن مسعود لا يقولنّ أحدكم : اللهم أعصمني من الفتنة ولكن ليقل : اللهم إنني أعوذ بك من مضلات الفتن يقال : إنما يتعلّق بالرجل يوم القيامة أهله و أولاده فيوقفونه بين يدي الله تعالى و يقولون : يا ربناخذ بحقنا منه فإنه ما علمنا ما نهجل و كان يطعمنا الحرام و نحن لا نعلم فيقتصّ لهم منه و يأكل عياله حسناته فلا يبقى له حسنة ولذا قال صلى الله عليه وآله : يؤتي الرجل يوم القيامة فيقال له : أكل عياله حسناته .

قال بعض العارفين : العيال سوس الطاعات .

و بالجملة فكل شيء يشغل عن الله فهو مشؤوم على صاحبه قيل : إنه صلى الله عليه وآله يقول في دعائه : اللهم من أحببني و أجاب دعوتي فأقلل ماله و ولده و من أبغضني و لم يجب دعوتي فأكثر ماله و ولده و هذا الغالب عليهم النفس و أمّا قوله صلى الله عليه وآله : في حقّ أنس

اللهم أكثر ماله وولده فهو لأمر هو أعرف بصلاحه .

[فاتقوا الله ما استطعتم] أي أ بذلوا في التقوى جهدكم و تحرزوا عما يكون سبباً لمؤاخذة الله إياكم وهذه الآية نزلت بعد قوله : « اتقوا الله حق تقاته ، لما اشتد على النبي ﷺ بأن قام في الصلاة حتى ورمت قدماء و تقرحت جبهته الشريفة فنزلت « فاتقوا الله ما استطعتم » قال ابن عباس : كلتا الآيتين محكمة لا ناسخ فيها وحق التقوى ما يحسن أن يطلق عليه اسم التقوى وذلك لا يقتضي أن يكون حق التقوى فوق الاستطاعة فإنه سبحانه لا يكلف نفساً إلا وسعها .

[و اسمعوا و أطيعوا] أو امره [و أنفقوا] مما رزقكم في الوجوه التي أمركم الله بالإنفاق فيها خالصاً لوجهه و المراد مطلق الإنفاق أو الزكاة كما قال ابن عباس : [خيراً لأنفسكم] مفعول لفعل محذوف أي افعلوا خيراً لأنفسكم أو يكون الإنفاق خيراً . [و من يوق شح نفسه] أي و من يقه الله و يعصمه من بخل نفسه الذي هي الرذيلة [فأولئك هم المفلحون] الفائزون بكل مرام و في المقاصد الحسنة كفى بالمرء من الشح أن يقول : أخذ منه حقي لا أترك منه شيئاً أبداً .

و روي عن النبي أنه كان يطوف بالبيت فإذا رجل متعلق بأستار الكعبة و هو يقول : إلهي بحرمة هذا البيت إلا غفرت لي فقال ﷺ : ما ذنبك؟ صفه لي قال : هو أعظم من أصفه لك قال ﷺ : و يحك ذنبك أعظم أم الأرضون؟ قال : بل ذنبي قال : و يحك ذنبك أعظم أم السماوات؟ قال : بل ذنبي قال : فذنبك أعظم أم العرش؟ قال : بل ذنبي أعظم قال : فذنبك أعظم أم الله؟ قال : بل الله أعظم وأعلى قال : و يحك صف لي ذنبك قال : يا رسول الله إنني ذو ثروة من المال و إن السائل ليأتيني و يسألني فكأنها يستقبلني بشعلة من النار فقال : إليك عني لآخر فني الله ببارك فوالذي بعثني بالهداية لو قمت بين الركن و المقام ثم بكيت ألقى عام حتى يجري من دموعك الأنهار و تسقي بها الأشجار ثم متت و أنت لئيم لكبتك الله في النار أما علمت أن البخل كفر و أن الكفار في النار ثم تلا ﷺ هذه الآية انتهى و الإنفاق على الغير إنفاق على نفسك في الحقيقة . [إن تقرضوا الله] بصرف أموالكم إلى المصارف التي عيستها و ذكر القرض تلمظاً

في الطلب و أصل القرض القطع و قيل للقرض : قرض لأنه قطع شيء من المال و استعمل في أن يعطي أحداً شيئاً ليرجع إليه [قرضاً حسناً] مقروناً بالأخلاق و طيب النفس و قرضاً إن كان بمعنى الإقراض كان نصبه على المصدرية و إن كان بمعنى مقرضاً كان مفعولاً ثانياً لتقرضوا لأن الإقراض يتعدى إلى مفعولين .

[يضاعفه لكم] أي يجعل لكم أجره مضاعفاً و يكتب بالواحد عشرة و سبعين و سبعمائة و أكثر على حسب النيات والأوقات و المحال .

[و يغفر لكم] ما فرط منكم من بعض الذنوب [والله شكور] يعطي الكثير بمقابلة اليسير من الطاعة و سمي جزاء الشكر شكراً أو المعنى و الله كثير الثناء على عبده بذكر أفعاله الحسنة و ينبغي أن العبد لا يقصر في الشكر فشكر البدن أن لا يستعمل جوارحه في غير طاعته و شكر قلبه أن لا يشتغل بغير معرفته و ذكره و شكر اللسان أن لا يستعمل غير ثنائه و مدحته و حمده و شكر المال و هو أن ينفقه في محبته و سبيله [حلیم] لا يغال بالعبودية مع كثرة ذنوبكم من المنع و الإمساك و هو يرى مخالفة العاصين و لا يعتريه غيظ و لا يحمل علمه على المسارعة إلى الانتقام .

قيل : إن إبراهيم عليه السلام لما رئي ملكوت السموات و الأرض رأى عاصياً في معصيته قال : اللهم أهلكه فأهلكه الله ثم رأى آخر فدعا عليه فأهلكه الله ثم رأى آخر فدعا عليه فأهلكه الله ثم رأى رابعاً فدعا عليه فأوحى الله إليه أن قف إبراهيم ، فلو أهلكتنا كل عاص رأيناك لم يبق أحد من الخلق و لكننا تحمّلنا لا نعدّ بهم بل نملهم فإما أن يتوبوا و إما أن يصرّوا فلا يفوتنا شيء .

قيل : الحلم حجاب الآفات و ملح الأخلاق و الفرق بين الصبور و الحلیم أن المذنب لا يأمن العقوبة في صفة الصبور كما يأمنها في صفة الحلیم يعني إن الصبور يشعر بأنه يعاقب في الآخرة بخلاف الحلیم و التخلّق باسم الحلیم إنما هو بأن يصفح عن جنایات الناس بل يجازيهم بالإحسان .

قال السهروردي : يا حلیم ذا الأناة فلا يعادله شيء من خلقه ، من ذكره كان مقبول

القول وافر الحرمة قويّ الجاش بحيث لا يقدر عليه سبع ولا غيره .
[عالم الغيب و الشهادة] خبرٌ بعد خبرٍ أي لا يخفي عليه خافية [العزيز الحكيم]
البالغ في القدرة و الحكمة و يعلم من هو في نيّة صادقة و في عمله خلوص و من ليس
كذلك و من هو أهل للكرامة كما ردّ بلعم بن باعور و قبل كلب أصحاب كهف قيل : إنهم
لما طردوا الكلب ولم ينصرف أنطقه الله فقال : لم تصرفونني إن كان لكم إرادة فلي إرادة
أيضاً و إن كان خلقكم فقد خلقني أيضاً فزادوا بكلامه يقيناً و اتفقوا

على استصحابه معهم إلا أنهم قالوا : يستدلّ علينا بآثار

قدمه فالحيلة أن نحمله فحمله الأ ولياء على أعناقهم

و هم يمشون و ذلك لخلوصه فأدر كه من

العناية الأ زليّة كما أن الاستكبار

أخرج إبليس من ذلك المقام

المنيع و جعله في أسفل

السافلين .

تمت السورة بعون الله



سورة الطلاق

﴿مدنية﴾

عن النبي ﷺ قال : و من قرء سورة الطلاق مات على سنة رسول الله .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا ان ياتين بفاحشة مبينة و تلك حدود الله و من يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا (١) فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف و اشهدوا ذوى عدل منكم و اقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله و اليوم الاخر و من يتق الله يجعل له مخرجا (٢) و يرزقه من حيث لا يحتسب و من يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ امره قد جعل الله لكل شيء قدرا (٣) و اللائى يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر و اللائى لم يحضن و اولات الاحمال اجلهن أن يضعن حملهن و من يتق الله يجعل له من أمره يسرا (٤) ذلك امر الله انزله اليكم و من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا (٥) .

[يا أيها النبي إذا طلقتم النساء] أصل الطلاق التخلية من وثاق و يقال : أطلقت بعيراً من عقاله و منه استعير طلاق المرأة إذا خلّيتها فهي طالق أي مخلّاة عن حباله النكاح. و الطلاق كالسلام و الكلام بمعنى التسليم و التكليم و المستعمل في المرأة لفظ التطلق و في غيرها لفظ الطلاق حتى لو قيل : أطلقتك لم يقع الطلاق .

و تخصيص النداء به ﷺ مع عموم الخطاب لأُمَّته لتشريف الخطاب و لأن

النبي ﷺ إمام أمته وقديوتهم كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم : يا فلان افعلوا كيت وكيت اعتباراً لترؤسه وإنه لسان قومه وهذه العبارة مثل قوله : « يا أيها النبي ﷺ قل للمؤمنين إذا طلقتم النساء » وقيل : إنه في التقدير يا أيها النبي ﷺ والمؤمنون إذا طلقتم فحذف المؤمنون لأن الحكم يدل على المحذوف أو من قبيل « إياك أعني » والمراد أمته .

[فطلقوهن لعدتهن] العدة مصدر عده يعد ومن هذا قول النبي ﷺ : سئل عنه متى يكون القيامة؟ قال : إذا تكاملت العدتان أي عدد أهل النار و عدد أهل الجنة و سمي الزمان الذي تتربص فيه المرأة عقيب الطلاق أو الموت عده لأن المرأة تعد الأيام المضروبة عليها و تنتظر أيام الفرج أي طلقوهن مستقبلات لعدتهن فاللام متعلقة بمحذوف دل عليه معنى الكلام أي واقع وقت عدتهن وذلك أن يطلقها في طهر لم يجامعها فيه حتى يحسب العدة من ذلك اليوم و يصح الطلاق فإن لم يقع الطلاق في ذلك الطهر و وقع في طهر واقع الرجل فيه لم يقع الطلاق فهذا هو الطلاق للعدة لأنها تعد بذلك الطهر من عدتها وتحصل في العدة عقيب الطلاق فيكون على هذا العدة الطهر لا الحيض . [و احصوا العدة] أي اضبطوها بحفظ الوقت الذي وقع فيه الطلاق و أكملوها ثلاثة أفرأ لكن القرء بمعنى الطهر في الآية عندنا و قيل : اللام في « لعدتهن » للسبب فالمعنى فطلقوهن ليعتدون و لا شبهة أن هذا الحكم أي الاعتداد للمدخل بها لأن المطلقة قبل المسيس لا عده عليها وقد ورد به التنزيل في سورة الأحزاب و هو قوله : « فما لكم عليهن من عدة تعتدونها (١) » .

و بالجملة و إنما أمر سبحانه الرجال بالإحصاء و إن كانت النساء مأمورة لأنهم أضبط للحساب وللزوج في هذا الضبط حق و هي المراجعة ولها حق وهو النفقة والسكنى و أيضاً فعود الزوجة عن اتسخاذ البعل حتى تنقضي و قد يحصل الفراق بغير الطلاق كالارتداد و اللعان و إن لم يسم طلاقاً و يحصل أيضاً بالفسخ للنكاح بأشياء أخر .

و الطلاق منهي عنه من غير سبب و مبعوض قال النبي ﷺ : تزوجوا

ولا تطلقوا فإنّ الطلاق يهتر من العرش وعن ثوبان رفعه إلى النبي ﷺ قال: أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة وعن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: لا تطلقوا النساء إلا من رغبة فإن الله لا يحب الذواقين والذواقات. واعلم أنّ العدة على ضربين ضرب بالإقراء لمن تحيض وضرب يكون بالأشهر للتي لم تبلغ المحيض ومثلها تحيض وكذلك الآيسة من المحيض ومثلها تحيض فعدتها بالشهور وحدها أصحابنا بأن تكون سنّها أقل من خمسين سنة ومن ستين سنة للقرشيات فإن كان سنّها أكثر من ذلك فلا عدة عليها عند أكثر أصحابنا والمتوفى عنها زوجها عدتها بالشهور أيضاً وضرب تكون بوضع الحمل في الجميع إلا المتوفى عنها زوجها فإن عدتها أبعد الأجلين ثم إن عدة الطلاق للحرّة ثلاثة قروء أو ثلاثة أشهر وللأمة قراءن أو شهر ونصف ووضع الحمل.

[واتقوا الله ربكم] ولا تعصوه فيما أمركم به [ولا تخرجوهن] من بيوتهن [ولا يخرجن] هن أيضاً في زمان العدة ولا يجوز للزوج أن يخرج المطلقة المعتدة من مسكنه الذي كان يسكنها فيه قبل الطلاق وعلى المرأة أيضاً أن لا تخرج في عدتها إلا لضرورة ظاهرة فإن خرجت أثمت.

[إلا أن يأتين بفاحشة مبينة] ظاهرة واختلف في الفاحشة فقيل: إنها الزنا فتخرج لإقامة الحدّ عليها وقيل: هي البذاء على أهلها فيحلّ لهم إخراجها عن ابن عباس وهو المروي عن الباقر عليه السلام وروى علي بن أسباط عن الرضا عليه السلام قال: الفاحشة أن تؤذي أهل زوجها وتسبهم وقيل: هي النشوز فإن طلقها على نشوز فلها أن تتحوّل من بيت زوجها وفي رواية أخرى إن كلّ معصية لله ظاهرة فهي فاحشة.

[وتلك حدود الله] ممّا ذكر من أحكام الطلاق [ومن يتعدّ حدود الله] بأن على غير ما أمر الله به [فقد ظلم نفسه] وأثم فيما بينه وبين الله وخرج من الطاعة إلى المعصية وفعل ما يستحقّ به العقاب.

لا تدري [لعلّ الله يحدث بعد ذلك أمراً] أي يغيّر رأي الزوج في محبة الطلاق ويوقع في قلبه المحبة لترجعها في ما بين المطلقة الواحدة والثانية وفي ما بين الثانية والثانية و

الثالثة و لعلّ الله يحدث الرجعة في العدة و طلاق السنة في مقابلة طلاق البدعي الذي هو غير مشروع عندنا و الطلاق السنّي يطلق على الطلاق الذي لم يظأ فيه بعد الرجعة و يكون طلاق عدة إن و طيء بعد الرجعة و طلق و الحاصل إن أصحابنا الإمامية قد اصطالحوا على أن يسموا الطلاق الذي لايزاد عليه بعد المراجعة طلاق السنة و الطلاق الذي يزداد عليه بشرط المراجعة طلاق العدة ، فطلاق السنة أيضاً طلاق العدة و هو ما كان مستجعماً لشرائط الصحة المذكورة في كتاب الطلاق .

قوله : [و إذا بلغن أجلهنّ] أي شارفن آخر زمان العدة و لم تنقص و ذلك لأنه لا يمكن الرجعة بعد بلوغهنّ آخر العدة و حمل البلوغ في الآية عند الفريقين على المشاركة [فأمسكوهنّ بمعروف] فأنتم بالخيار إن شئتم راجعوهنّ بالمعروف و حسن المعاشرة و إنفاق لائق و في الحديث أكمل المؤمنين أحسنهم خلقاً و أظفهم بأهله [أو فارقوهنّ بمعروف] بإيفاء الحقّ و إنفاء الضرر بأن يراجعها ثم يطلّقها تطويلاً للعدة و خصومة لها .

[و أشهدوا ذوي عدل منكم] قال المفسّرون : أمروا أن يشهدوا عند الطلاق و عند الرجوع شاهدي عدل حتّى لا يجحد المرأة المراجعة بعد انقضاء العدة و الرجل الطلاق و قال أصحابنا : الإشهاد على الطلاق و هو المروريّ عن أئمّتنا و هذا أليق بظاهر الآية و عليه العمل عندنا لأنّ العطف على قوله : « إذا طلّقتن النساء » في الكافي عن الكاظم عليه السلام قال لأبي يوسف : إن الله تبارك و تعالى أمر في كتابه في الطلاق بشاهدين و لم يرض لهما إلا عدلين و أمر في كتابه بالتزويج فأهمله بالاشهود و أنتم أثبتتم شاهدين و أوجبتم فيما أهمل و أبطلتم الشاهدين فيما أكد .

[و أقيموا الشهادة لله] و هذا خطاب للشهود أي أقيموها لوجه الله لا لطلب رضاء المشهود له و الشهادة أمانة و لا بدّ من تأدية الأمانة فلو كتمها أو حرّفها فقد خان و الخيانة من الكبائر دلّ عليه : « و من يكتمها فإنّ آثم قلبه » [ذلكم] إشارة إلى الحثّ على جميع أمور المذكورة من الشهادة و أحكام الطلاق و العدة [يوعظ به من مكان يؤمن بالله و اليوم الآخر] إذ هو المنتفع به و المؤمن بالله و اليوم الآخر لا يترك العمل بما وعظ

به رغبة في الثواب ورهبة من العقاب .

[و من يتق الله] عن مخالفته في هذه المذكورة وغيرها [يجعل له مخرجاً] مصدر ميمي أي خروجاً و خلاصاً يجعل سبحانه له من شبهات الدنيا و من غمرات الموت و من شدائد يوم القيامة و من الحرام إلى الحلال و من النار إلى الجنة و عن النبي ﷺ قال : من أكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً و من كل ضيق مخرجاً . [و يرزقه من حيث لا يحتسب] قال الصادق : يبارك له فلما أتاه و عن أبي ذر الغفاري عن النبي ﷺ قال : إنني لأعلم آية لو أخذ بها الناس لكفتمهم و هي قوله : « و من يتق الله » الآية .

[و من يتوكل على الله فهو حسبه] أي و من يفوض أمره إلى الله و وثق بتقديره و تدبيره فهو كافيه و يعطيه ثواب الجنة و يجعله مكفياً في أموره و في الحديث من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل عليه .

[إن الله بالغ أمره] أي يبلغ ما أراد على ما أراد و لا يقدر أحد على منعه عما يريد أو المعنى أنه تعالى منفذ أمره فيمن يتوكل عليه [قد جعل الله لكل شيء قدراً] و بين لكل شيء مقداراً بحسب المصلحة في الإباحة و الوجوب و الترغيب و التهيب و الشدة و الرخاء .

ثم بين تعالى اختلاف أحكام العدة باختلاف أحوال النساء فقال : [و اللائي يئسن في المحيض من نسائكم] فلا يحضن [إن ارتبتم] اللائي من الموصولات جمع التي أي النساء اللائي دخلتم بهن و يئسن من الحيض لكبرهن يقال : آئس إذا كان بأسها من الحيض و لا يقال لها : آئسة لأن الإياء إنما تزداد في المؤنث إذا استعملت الكلمة للمذكر أيضاً فرقاً بينهما فإذا لم تستعمل له فأبي حاجة إلى الزيادة مثل طالق و حائض . و المحيض و الحيض مصدر حائض و هو خروج الدم من قبلها و يكون للأرنب و الضبع و الخفاش و منه الحوض لأن الماء يسيل إليه .

[إن ارتبتم] و شككتهم و أشكل عليكم لجهلكم بحكم عدتهن أي شككتهم في أمرهن فلا تندرون لكبر ارتفع حيضهن أم معارض، عن أئمتنا عليهم السلام اللواتي أمثالهن يحضن

لأنهن لو كنّ في سنّ من تحيض لم يكن للارتياح معنى روي في المجمع كذلك .
 [فعدّتهنّ ثلاثة أشهر] و اللائي يئسن مبتدئه خبره : فعدّتهنّ و الشهر العدد
 المعروف من الأيام و سمّي شهراً لأنّه يشهر و يعرف بالقمر و بإهلال الهلال .
 [و اللائي لم يحضن] أي ما رأين الدم لصغرهنّ و الشابة التي كانت تحيضن
 فارتفع حيضها بعد من الأعدار قبل بلوغها من الآيسات فتعدّ بثلاثة أشهر أيضاً .
 [و أوّلات الأحمال] و واحدة الأوّلات ذات بمعنى صاحبه و المراد من الحمل
 الجبل و هو المحمول في البطن أي الجبالي منهنّ [أجلهنّ] أي منتهى عدّتهنّ [أن
 يضعن حملهنّ] قال ابن عباس : هذا الحكم خاصّ بالمطلقات و هو المرويّ عن أمّتنا
 فأما المتوفى عنها زوجها إذا كانت حاملاً فعدّتها أبعد الأجلين فإذا مضت بها أربعة
 أشهر و عشرأ و لم تضع انتظرت الوضع و إذا وضعت قبل المدّة انتظرت المدّة و لكن
 عند غيرنا أنّه عام في المطلقات و المتوفى عنها زوجها و إن كانت المرأة حاملاً باثنتين و
 وضعت واحداً لم تحلّ للأزواج حتّى تضع جميع الحمل .

قال أصحابنا : إذا وضعت واحداً انقطعت عصمتها من الزوج و لا يجوز لها أن
 تعقد على نفسها لغيره حتّى تضع الآخر .

و الذين قالوا : إنّ الآية عامّة في المطلقة و المتوفى عنها زوجها قالوا : إنّ هذه
 الآية نسخت قوله « و الذين يتوفون منكم و يذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهنّ أربعة
 و عشرأ ^(١) » لتراخي نزوله لكن عندنا لا يصحّ لأنّ النسخ لم يثبت و في الكافي عن
 الصادق عليه السلام سئل عنه عن الجبلي يموت زوجها فتضع و تزوج قبل أن يمضي لها أربعة
 أشهر و عشر فقال عليه السلام : إن كان دخل بها فرّق بينهما و اعتدّت بما بقي عليها من الأوّل
 و استقبلت عدّة أخرى من الأخير ثلاثة قروء ، الحديث .

[و من يتق الله] فيما أمره بالطاعة و الاجتناب عن المعصية [يجعل له من أمره
 يسراً] و يسهّل عليه أمور الدنيا و الآخرة إمّا بفرج عاجل أو عوض آجل و قيل :
 يسهّل عليه فراق أهله و يزول الغموم عن قلبه .

[ذلك] أي ما ذكر من الأحكام [أمر الله أنزله إليكم ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته] من الصلاة إلى الصلاة ومن الجمعة إلى الجمعة قال الربيع : إن الله قد قضى على نفسه أن من توكل عليه كفاه و من آمن به هداه و من أقرضه جازاه و من وثق به أنجاه و من دعاه لبساه و تصديق ذلك في كتاب الله حيث قال : « و من يتوكل على الله فهو حسبه » و قال عز وجل : « و يؤمن بالله يهد قلبه ^(١) » و قال : « إن تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم ^(٢) » و قال : « و من يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم ^(٣) » و قال : « و إذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ^(٤) » .

[و يعظم له أجراً] وهو ثواب الجنة لأنه الأجر العظيم .

اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم و لا تضاروهن لتضيقوا عليهن و ان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يرضعن حملهن فان ارضعن لكم فآتهن اجورهن و اتتمروا بينكم بمعروف و ان تعاسرتم فمترضع له اخرى ^(٦) لينفق ذو سعة و من قدر عليه رزقه فلينفق بما آتاه الله لا يكلف الله نفساً الا ما آتتها سيجعل الله بعد عسر يسراً ^(٧) و كاین من قرية عتت عن امر ربها و رسله فحاسبناها حساباً شديداً و عذبناها عذاباً نكراً ^(٨) فذاقت و بال أمرها و كان عاقبة امرها خسراً ^(٩) اعد الله لهم عذاباً شديداً فاتقوا الله يا اولي الالباب الذين آمنوا قد انزل الله اليكم ذكراً ^(١٠) .

« أسكنوهن » استيناف وقع جواباً عن سؤال نشأ مما قبله من الحث على التقوى كأنه قيل : كيف نعمل بالتقوى في شأن المعتدات؟ فقيل : [أسكنوهن] من حيث سكنتم [أي بعض مكان سكنكم و الخطاب للمؤمنين المطلقين] من وجدكم [و سعكم مما تطيقونه و الوجد القدرة و الغنى] يقال : فلان افتقر بعد وجده و هو عطف بيان لقوله : « حيث سكنتم » و البديل أحسن قال أبو حيان : إنه لم يعهد في عطف البيان إعادة العامل إنما عهد ذلك في البديل .

(١) التغابن : ١١ .

(٢) البقرة : ٢٤٥ .

(٣) آل عمران : ١٠١ .

(٤) البقرة : ١٨٤ .

[ولا تضارّوهنّ] ولا تقصدوا عليهنّ الضرر [لتضيّقوا عليهنّ] و تلبّجوهنّ إلى الخروج من مساكنكم .

[و إن كنّ أوّلات حمل] أي المطلّقات ذوات حمل، و أوّلات بالكسر على قانون جمع المؤنّث و تنوين حمل للتنكير أي أيّ حمل كان قريب الوضع أو بعيده [فأنفقوا عليهنّ حتّى يضعن حملهنّ] فيخرجن من العدة و تحلّ لهنّ تزوّج غيركم أيّأشئن فأمر سبحانه بالإنفاق على المطلّقة الحامل سواء كانت رجعيّة أو مبتوتة .

[فإن أرضعن لكم فآتوهنّ أجورهنّ] أي فإن أرضعن الولد لأجلكم بعد البينونة فأعطوهنّ أجره الرضاع سواء كان الولد منهنّ أو من غيرهنّ فإنّ حكمهنّ في ذلك حكم الأضارّ [و ائتمروا] أيّها الآباء و الأمّهات [بينكم بمعروف] و الإبتمار قبول الأمر أمرهم الله سبحانه بالتلقّي لأمره بما يوجب المعروف فلا يكون من الأب مماسكة و من الأمّ معاصرة و عليهما الإشفاق للولد [و إن تعاسرتم] و تضايقتم في الرضاع و الأجرة و اختلفتم في هذا الأمر [فسترضع له أخرى] أي فليسترضع الوالد امرأة أجنبيّة و توجد مرضعة أخرى ولا يجوز إجبارها على الإرضاع .

[لينفق] لام الأمر [زوسعة] و ثروة و غنى [من سعته] و ماله أمر سبحانه أهل التوسعة أن يوسعوا على نسائهم المرضعات أولادهنّ على قدر سعتهنّ [و من قدر عليه] وضيّق عليه رزقه [فلينفق] على قدر ذلك و على حسب إمكانه و طاقته [ممّا آناه الله لا يكلف الله نفساً إلّامآآناها] من المال جلّ أو قلّ ولا يقع منه تعالى تكليف ما لا يطاق . [سيجعل الله بعد عسر يسراً] أكّد الوعد باليسر بعد العسر عاجلاً أو آجلاً و

ليس في السين دلالة على تعيين وقت، نعم السين تعيّن قرب الوعد و كلّ ما هو آت قريب ولو في الآخرة فلينتظر المعسر اليسر فإنّ الانتظار للفرج عبادة قال الزمخشريّ: هذا وعد لفقراء ذلك الوقت و الصحابة خصوصاً فإنّ الغالب على أكثرهم في ذلك الوقت الفقر ثمّ فتح عليهم البلاد فيما بعد .

[و كآيسن من قرية] بمعنى كم الخبريّة للتكثير و القرية اسم لموضع يجتمع و يسكن فيه الناس أي و كثير من أهل قرية [عتت عن أمر ربّها و رسله] استكبرت

وطغت عن قبول أمر ربّها وأمر رسل ربّها و في الآية تحذير للناس عن المخالفة وكأين مبتدءه و من قرية بيان له و عنت خبره .

[فحاسبنا ها حساباً شديداً] أي ناقشنا ها في الحساب و شدنا عليها و أخذنا بدقائق ذنوبها في الدنيا قبل الآخرة من غير عفو بنحو من القحط و الجوع و الأمراض و السيف و تسليط الأعداء عليها معـجلاً على استيصالها العذاب الأكبر و ذلك لترجع إلى الله فلم تفعل فابتلاها الله بما فوق ذلك [و عذبنا ها عذاباً نكراً] منكرأ عظيماً لشدته و إيلامه و المنكر الأمر الصعب الذي لا يعرف .

[فذاقت و بال أمرها] و ضرر كفرها و أحسسته إحساس الذائق الطعام [و كان عاقبة أمرها خسرها] لآخسرو راءه لتضييع رأس مالهم و هو العمر في المخالفة .

[أعدّ الله لهم] مع ذلك [عذاباً شديداً] و اللام للتخصيص فهم أهل الحساب و العذاب في الدنيا و الآخرة فإنّ ما أصابهم في الدنيا لم يكن كفارة لذنوبهم لعدم رجوعهم عن الكفر فعذبوا بعذاب الآخرة أيضاً و قيل : في الآية تقديم و تأخير فيكون المعنى إنّنا عذبنا ها عذاباً شديداً في الدنيا و نحاسبها حساباً شديداً في الآخرة و لفظ الماضي للتحقيق كما كثر ألفاظ القيامة .

[فاتقوا الله يا أولي الألباب] واعتبروا بحال الأمم الماضين من المنكرين و اتقوا من مخالفة أمره تعالى إن خلصت عقولكم من شوائب كدورات النفس و اعلموا أنّ الدنيا دار تجارة [الذين آمنوا] ثم وصف سبحانه أولي الألباب و خصّ المؤمنين بالذكور لأنهم المنتفعون بذلك دون الكفار .

[قد أنزل الله إليكم] و الخطاب للالتفات [ذكرأ رسولاً] وهو النبيّ و أبدل منه « رسولاً » و عبر عنه بالذكر لمواظبته على تلاوة القرآن و تبليغه أو لأنّه سبب عن إنزال الوحي إليه يعني إنّ رسول الله شبهه بالذكر الذي هو القرآن لشدة ملابسته به فأطلق عليه اسم المشبه به استعارة تصريحية و قرن به ما يلائم المستعار منه وهو الإنزال ترشيحاً لها أو مجازاً مرسلأ من قبيل إطلاق السبب على المسبب فإنّ إنزال الوحي إليه سبب لإرساله .

وقيل : معنى الآية قد أنزل إليكم ذكراً يعنى القرآن و أرسل إليكم رسولا يعنى محمداً نكن الإيجاز اقتضى اختصار الفعل الناصب للرسول وقد دل عليه القرينة و هو قوله : « أنزل » نظير قوله : « علفتها تبنياً و مارداً » أي و سقيتها ماء بارداً .

قوله تعالى : رسولا يتلوا عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور و من يؤمن بالله و يعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدون فيها ابداداً قد احسن الله له رزقا (١١) الله الذى خلق سبع سماوات و من الارض هلمهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا أن الله على كل شىء قدير و ان الله قد احاط بكل شىء علماً (١٢).

[رسولا يتلو] و يقرء عليكم أيها الناس [آيات الله] أي القرآن [مبينات] حال كون الآيات مظهرات لكم ما تحتاجون إليه من الأحكام أو مبينات بالفتح أي واضحات لاخفاء فيها لأهلها أو لامرية في إعجازها و إنما يتلوها .

[ليخرج] الرسول أو الله بناء على أن اللام متعلقة بأنزل لا بقوله : « يتلو » [الذين آمنوا و عملوا الصالحات] الموصول عبارة عن المؤمنين بعد إنزال القرآن و إلا فإخراج الموصوفين بالإيمان من الكفر لا يمكن إذلا كفر فيهم حتى يخرجوا منه [من الظلمات إلى النور] من الضلالة إلى الهدى و من الجهل إلى العلم و من الغفلة إلى اليقظة على طبقاتهم في السعي و الاجتهاد .

[و من يؤمن بالله و يعمل صالحاً] خالصاً من الرياء و إذا كان مكارم الأخلاق تنفع للإنسان في الجملة و لو كان كافراً فكيف إذا كان مؤمناً ؟ كما قيل : إنه ﷺ لما عرج به أطلع على النار فرأى حظيرة فيها رجل لا تمسه النار فقال ﷺ : ما بال هذا الرجل في هذه الحظيرة لا تمسه النار ؟ فقال جبرئيل : هذا حاتم طيء صرف الله عنه جهنم بسخائه و جوده كما في أنيس الوحدة و كما رئي أبو لهب في المنام و هو يمص ماء من إبهامه ليلة الاثنين لعنقه بعض جواريه حين بشرته بولادة رسول الله .

[يدخله جنات تجري من تحتها] أي من تحت قصورها أو أشجارها [الأنهار] الأربعة [خالدون فيها] و مقيمون في تلك الجنات دائمين [أبداً] تأكيد للخلود لئلا يتوهم أن المراد الملك الطويل المنقطع آخرأ [قد أحسن الله له رزقاً] حال ثان من

مفعول يدخله و في الكلام معنى التعجب و التعظيم لما رزق الله المؤمنين من الثواب كأنه قيل : ما أحسن رزقهم و ما أعظمه !

[الله الذي خلق سبع سماوات] أي الله الملك القادر الذي خلق سبع سماوات على وفق حكمته الشاملة و قدرته الكاملة [و من الأرض] أي و خلق من الأرض [مثلهن] في العدد و الطباق .

و اختلف في كيفية طبقات الأرض فقال قوم : إنها سبع أرضين طباقاً بعضها فوق بعض كالسماوات لأنها لو كانت مصمته لكانت أرضاً واحدة و في كل أرض خلق خلقهم الله كما شاء و روى أبو صالح عن ابن عباس إنها سبع أرضين ليس بعضها فوق بعض بينهن البحار و يظل جمعهن السماء و الله سبحانه أعلم بصحة ما استأثر بعلمه و أبهم على خلقه . و بالجملة ليس في القرآن آية تدل على أن الأرضين سبع مثل السماوات إلا هذه الآية و بعض الأخبار التي ينقلونها أن في كل أرض آدم كآدمكم و نوح مثل نوحكم ضعيفة غير معلومة و لانعلم بصحتها فالأولى السكوت عنها و الله أعلم بصحتها . قوله : [يتنزل الأمر] أي أمر الله و اللام عوض عن المضاف إليه [بينهن] أي بين السماوات السبع و الأرضين السبع و المراد نفوذ أمره تعالى في العلويات و السفليات كلها و الأمر عند الأكثرين القضاء أي يجري حكمه و ينفذ بينها و لا يقتضي من قوله : « بينهن » أن لا يجري في العرش و الكرسي لأن المقام اقتضى ذكر ما ذكره و التخصيص بالذكر لا يقتضي التخصيص بالحكم .

[لتعلموا أن الله على كل شيء قدير] متعلق بخلق أو يتنزل أي فعل ذلك لتعلموا

أن من قدر على ما ذكر قادر على كل شيء و منه البعث للجزاء

فتطيعوا أمره و تستعدوا لكسب السعادة و اللام لام الغرض

و المصلحة [و أن الله قد أحاط بكل شيء علماً]

كما أحاط به قدرة و قوله : « علماً » نصب

على التمييز .

تمت السورة

~~~~~

## سورة التحريم

﴿مدنية﴾

قال أبي: عن رسول الله ﷺ من قرأها أعطاه الله توبة نصوحاً .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم (١) قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم (٢) و اذا اسر النبي الى بعض ازواجه حديثاً فلما نبأت به و اظهره الله عليه عرف بعضه و اعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من انباك هذا قال نبأني العليم الخبير (٣) ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما و ان تظاهرا عليه فان الله هو موله و جبرئيل و صالح المؤمنين و الملائكة بعد ذلك ظهير (٤) عسى ربه ان طلقكن ان يبدلهن ازواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات و ابقارا (٥) .

[ يا أيها النبي لم تحرم ] أصل لم لما و الاستفهام لا نكار التحريم .

**النزول** : فيه اختلاف قيل : إن رسول الله ﷺ كان إذا صلى الغداة يدخل على أزواجه امرأة امرأة و كان قد أهديت لحفصة عكة غسل فكانت إذا دخلها عليها رسول الله حبسته و سقته منها و إن عائشة أنكرت احتباسه عندها فقالت لجويرية عندها : إذا دخل رسول الله على حفصة فادخلي عليها و انظري ماذا تصنع فأخبرتها الخبر و شأن العسل فغارت عائشة و أرسلت إلى صواحبها فأخبرتهن و قالت : إذا دخل عليك رسول الله فقلن :

إننا نجد ريح المغاير وهو صمغ العرطف كريبه الرائحة و كان رسول الله يكره و يشق عليه أن يوجد منه ريح غير طيبة لأنه يأتيه الملك .

قال : فدخل رسول الله ﷺ على سودة فقالت : ما أردت أن أقول ذلك لرسول الله ثم إنني خفت من عائشة فقلت : يا رسول الله ما هذه الريح التي أجدها منك أكلت المغاير؟ فقال : لا ولكن حفصة سقتني عسلاً ثم دخل على امرأة امرأة و هن يقطن له ذلك فدخل على عائشة فأخذت بأنفها فقال لها : ما شأنك؟ قالت : أجدريح المغاير أكلتها يا رسول الله؟ قال : لا بل سقتني حفصة عسلاً فقالت : جرت إذا نحلها العرطف فقال ﷺ والله لا أطعمه أبداً فحرّمه على نفسه فنزلت الآية و قيل : إن التي كانت تسقي العسل رسول الله أم سلمة و قيل : كانت زينب بنت جحش .

و قيل في النزول : إن رسول الله قسم الأيام بين نسائه فلمّا كان يوم حفصة قالت يا رسول الله : إن لي إلى أبي حاجة فأذن لي أن أزوره فأذن لها فلمّا خرجت أرسل رسول الله إلى جاريته مارية القبطية و كان قد أهداها له المفقوس ملك مصر فأدخلها بيت حفصة فوقع عليها فأتت حفصة فوجدت الباب مغلقاً و جلست عند الباب فخرج رسول الله و وجهه يقطر عرقاً فقالت حفصة : إنّما أذنت لي من أجل هذا أدخلت أمتك بيتي ثم وقعت عليها في يومي وعلى فراشي أما رأيت لي حرمة و حقماً؟ فقال ﷺ : أليس هي جاريتي قد أحلّ الله ذلك لي اسكتني فهو حرام عليّ و الله ألتمس بذلك رضاك فلا تخبري بهذا امرأة منهنّ فلمّا خرج رسول الله قرعت حفصة الجدار الذي بينها و بين عائشة فقالت : ألا ابشرك! إن رسول الله قد حرّم أمته مارية عليه و أخبرت عائشة بما رأت فلم تكتم فطلقها رسول الله بطريق الجزاء على إفشاء سرّه و اعتزل نساءه و مكث تسعاً و عشرين يوماً في غرفة مارية حتّى نزلت آية التخيير في سورة الأحزاب و هي : « ترجي من تشاء منهنّ و تؤوي إليك من تشاء (١) » الآية .

و بالجملة [ يا أيها النبي ] ناداه بهذا النداء تشريفاً له و تعليماً لعباده كيف يخاطبونه في أثناء محاوراتهم [ لم تحرّم ما أحلّ الله لك ] من الملاز [ تبتغي مرضات



أزواجك [ وتطلب رضا نساءك و هنّ أحقّ يطلب مرضاتك منك و ليس في هذا ما يدلّ على وقوع ذنب منه ﷺ لأنّ تحريم الرجل بعض نساءه أو بعض الملائك لسبب أو لغير سبب ليس بقبیح و قد يكون خرج هذا القول مخرج المتوجّع له ﷺ إذ بالغ في إرضاء أزواجه و تحمّل في ذلك المشقّة و لو أنّ إنساناً أرضى بعض نساءه بتطبيق بعضهنّ لصحّ أن يقال له : لمّ فعلت ذلك و تحمّلت هذه المشقّة و إن كان لم يفعل قبيحاً ولو قلنا: إنّه عوتب على ذلك لأنّ ترك التحريم كان أفضل من فعله لم يمنع لأنّه يحسن أن يقال لتارك النفل : لمّ لم تفعله و لمّ عدات عنه و إنّ تطيب قلوب النساء ممّا لا ينكره العقول .

حكى أنّ عبد الله بن رواحة كان من النقباء كاتب له جارية فاتهمته زوجته ليلة بالنسبة إلى الجارية فقال قولاً يشبه الإنكار فقالت له زوجته : إن كنت لم تقربها فاقراء القرآن فأنشد :

و فينا رسول الله نتلو كتابه \* كما لاح معروف مع الصبح ساطع  
أنى بالهدى بعد العمى فنفسنا \* به موقنات إنّ ما قال واقع  
فقال : زدني ، فأنشد :

شهدت بأنّ وعد الله حقّ \* و أنّ النار مثوى الكافرينا  
و إنّ محمداً يدعو بحقّ \* و إنّ الله مولى المؤمنيننا

فقال : إذا قرأت القرآن صدقتك فأخبر به رسول الله ﷺ و قال :  
خير كم خير كم لنسائه .

و اختلف فقهاء العامة فيمن قال لامرأته : أنت حرام عليّ فقال مالك : هو ثلاث تطليقات و قال أبو حنيفة : إن نوى به الظهار فهو ظهار و إن نوى الإيلاء فهو إيلاء و إن نوى الطلاق فهو طلاق بائن و إن نوى ثلاثاً كان ثلاثاً و إن لم يكن له نيّة فهو يمين . و قال الشافعي : إن نوى الطلاق كان طلاقاً ، أو الظهار كان ظهاراً و إن لم يكن له نيّة فهو يمين . و قال أصحابنا : إنّه لا يلزم به شيء و وجوده كعدمه و إنّما أوجب الله فيه الكفارة لأنّ النبي ﷺ و آله كان حلف أن لا يقرب جاريته أو لا يشرب الشراب

المذكور فأوجب عليه أن يكفّر عن يمينه ويعود إلى استباحة ما كان حرّمه و هو قوله :  
والله لا أقربّ بها قيل : إنه ﷺ أعتق جارية في تحريم مارية و عاودها .

[ والله غفور ] لعباده [ رحيم ] بهم إذ ارجعوا إلى ما هو الأولى .

[ قد فرض الله لكم تحلّة أيمانكم ] أي قد قدّر الله تعالى لكم ما تحلّلون به أيمانكم  
إذا فعلتموها و شرّع لكم الحنث و الكفّارة فيها و اليمين ينحلّ بالحنث فسمّي ذلك  
تحلّة و قد بيّن الله كفّارة أيمانكم في سورة المائدة و في هذا دلالة على أنّه قد حلف ولم  
يقتصر على قوله : حرام عليّ لأنّ هذا القول ليس بيمين .

[ والله هو مولاكم ] ووليّكم يحفظكم وهو أولى بكم [ و هو العليم ] بمصالحكم

[ الحكيم ] في تدبير أموركم في أوامره و نواهيه .

[ و إذ أسرّ النبيّ إلى بعض أزواجه ] و هي حفصة [ حديثاً ] أي كلاماً أمرها  
بإخفائه [ فلمّا نبأت به ] أي أخبرت غيرها فأفشت سرّه إلى صاحبته و هي عائشة أو  
إلى صواحبها نساء النبيّ [ و أظهره الله عليه ] أي اطلع الله النبيّ على إفشاء حفصة ذلك  
الحديث على لسان جبرئيل ، و ظهر الشيء أصله أن يحصل شيء على ظهر الأرض فلا يخفى  
و بطن إذا حصل في بطن الأرض فيخفى .

[ عرف بعضه و أعرض عن بعض ] أي عرف النبيّ ﷺ حفصة بعض الحديث  
الذي أفشته إلى صاحبته بأن قال : لها ألم أك أمرتك أن تكتمني سرّي وهو إمّا حديث  
الإمامة أو قصة مارية و أخبرها ببعض ما أفشت و أعرض عن بعض آخر ملكارم أخلاقه  
لأنّ الكريم لا يستقصي قطّ و على قراءة عرف بالتخفيف فمعناه غضب عليها و جازاها بأن  
طلّقها تطليقة أوهم بطلاقها .

[ فلمّا نبأها به ] و أخبر ﷺ حفصة بما أظهره الله عليه قالت حفصة : [ من

أنبأك هذا قال ] رسول الله : [ نبأني العليم الخبير ] بسرائر الصدور .

ثمّ خاطب سبحانه عائشة و حفصة [ إن تتوبا إلى الله ] من التعاون على النبيّ  
بالإيذاء و التظاهر عليه و الشرط و قيل في معنى الأمر : أي وجب عليكما التوبة [ فقد  
صغت قلوبكما ] و مالت قلوبكما إلى الإثم و عدلت عن الثواب و قيل : «إن» على معناه أي

إن تتوبا إلى الله يقبل توبكما .

[ و إن تظاهرا عليه ] باسقاط إحدى التاءين أي وإن يتعاوننا على النبيؐ بالإيذاء قال ابن عباس : قلت : لعمر بن الخطّاب و المرأتان اللتان تظاهرتا على رسول الله قال : عايشة و حفصة أوردته البخاريؒ في الصحيح [ فإن الله هو مولاه ] الذي يتولّى نصرته [ و جبرئيل ] رئيس الكرويين قرينه [ و صالح المؤمنين ] قال قتادة : يعنى الأنبياء و قال الزجاج : صالح هنا ينوب عن جميع المؤمنين ولكن وردت الرواية من طريق الخاص و العام أن المراد بصالح المؤمنين عليؑ بن أبي طالب عليه السلام وهو قول مجاهد .

وفي كتاب شواهد التنزيل بالإسناد عن سدير الصير في قال : لقد عرف رسول الله علياً أصحابه مرتين مرة حيث قال : من كنت مولاه فهذا عليؑ مولاه و أمّا الثانية فحيث نزلت هذه الآية أخذ رسول الله بيد عليؑ فقال : أيّها الناس هذا الصالح المؤمنين و قالت أسماء بنت عميس : سمعت أن النبيؐ يقول : و صالح عليؑ بن أبي طالب .

قيل : إن رجلاً قال لإبراهيم بن أدهم : إن الناس يقولون لي : صالح فبم أعرف أنبي صالح فقال : أعرض أعمالك على الصالحين فإن قبلوها ووافق مع القرآن فإن وافقت فاعلم أنك صالح .

قوله : [ و الملائكة ] مع تكاثر عددهم [ بعد ذلك ] أي نصرته الله و رئيس الكرويين و ناموسه الأظم و صالح المؤمنين وزيره الذي بمنزلة هارون من موسى [ ظهير ] خبر و الجملة معطوفة على جملة « فإن الله مولاه » و ذكر نصرته غير الله مع الإخبار بكونه تعالى مولاه لتذكير كمال رفعة النبيؐ و بيان لشأنه و لكون سوق الكلام في مقام التظاهر لكون عايشة و حفصة متظاهرتين .

[ عسى ربّه ] يعنى النبيؐ والله المستشهد و عسى للمقاربة [ إن طلقكن ] و جواب الشرط مقدّم أي إن طلقكن عسى [ أن يبدله ] و يبدلكن [ أزواجاً له خيراً منكن ] و أصلح له منكن ثم نعمت سبحانه تلك الأزواج [ مسلمات ] و مسلمات لأمر الله و نهيه [ مؤمنات ] مصدقات الله و رسوله أو المعنى مصدقات في أقوالهنّ و أفعالهنّ [ قانتات ] مواظبات على الطاعة و الذكر [ تائبات ] من الذنوب [ عابدات ] متذللات لأمر الرسول

[ سائحات ] أي صائمات سمّي الصائم سائحاً لأنه يسيح في النهار بلا زاد أو المراد مهاجرات من مكة إلى مدينة [ ثيبات و أبكارا ] أي مدخولات و غير مدخولات و سّط بين هاتين الكلمتين بالعاطف دون غيرهما لتنافيهما و عدم اجتماعهما في ذات واحدة بخلاف سائر الصفات و يمكن أن يكون المراد بالأبكار تعريضاً لعائشة و بالثيبات غيرها من بعض أزواج النبي .

قال بعض أهل التحقيق : إنّ في الآية إشارة إلى مريم البتول وهي البكرو إلى آسية بنت مزاحم امرأة فرعون و أنّ الله سيزوجه ﷺ إياهما في الجنة كما روي عن ابن عباس قال أبو الليث : يكون وليمة في الجنة و يجتمع عليها أهل الجنة فيزوج الله هاتين المرءتين من محمّد و بدأ في الآية بالثيب قبل البكر لأنّ زمن آسية قبل زمن مريم .

و روي أنّ النبي ﷺ دخل على خديجة و هي تجود بنفسها فقال : أتكرهين ما نزل بك يا خديجة و قد جعل الله في الكره خيراً كثيراً فإذا قدمت على ضرتك فافرئيهنّ مني السلام فقالت : من هنّ يا رسول الله ؟ قال : مريم بنت عمران و آسية بنت مزاحم و حليلة أخت موسى فقالت : بالرفاء و البنين ، وكان هذا دعاء الأوائل للمعرّس ثمّ نهى النبي ﷺ عن هذا القول و أمر بقوله : بارك لك و بارك عليك و جمع بينكما في خير .

وفي الحديث أنّ الرجل من أهل الجنة ليتزوّج خمسمائة حوراء و أربعة آلاف ثيب و ثمانية آلاف بكر يعانق كلّ واحدة منهنّ مقدار عمره في الدنيا .

يا ايها الذين آمنوا قوا أنفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون (٦)  
يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون (٧) يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم و يدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار يوم لا يخزي الله النبي و الذين آمنوا معهم نورهم يسعي بين ايديهم و بايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا و اغفر لنا انك على كل شيء قدير (٨) يا ايها النبي جاهد الكفار

و المنافقين و اغاظ عليهم و ما واهم جهنم و بشس المصير (٩) ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح و امرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغينا عنهما من الله شيئا و قيل ادخلا النار مع الداخلين (١٠) و ضرب الله مثلا للذين امنوا امرأة فرعون اذا قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة و نجني من فرعون و عمله و نجني من القوم الظالمين (١١) و مريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها و نفعنا فيه من روحنا و صدقت بكلمات ربها و كتبه كانت من القانتين (١٢) .

[ قوا ] أصله او قيووا كضربوا أي احفظوا [ أنفسكم ] بترك المعاصي و فعل الطاعات [ و أهليكم ] بالنصح و التعليم جمع أهلين حذف الزون بالاضافة و المراد من الأهل كل من في عيال الرجل و نفقته من المرأة و الولد و الأخ و الأخت بل قد يظن على أصحابه .

و في الحديث كلكم راع كلكم مسؤولون عن رعيتته و هو من الرعاية و كلكم مسؤول عما التزم حفظه يوم القيامة فالإمام راع على الناس و الرجل راع على أهل بيته و المرأة راعية على بيت زوجها و عبد الرجل راع على مال سيده و الكل مسؤول وقد خص الأهلين لأن شرائط الأمر و النهي قد لا توجد في حق الأجانب بخلاف الأهلين و إلا حكم الأجانب كحكمهم في الأمر و النهي لكن الأقرب مقدم كما قال سبحانه : « و أنذر عشيرتك الأقربين <sup>(١)</sup> » ، فإذا طهرتم أنفسكم عن دنس المعاصي و اتباع الهوى فانصحو إخوانكم حتى ياتمون بهدايتكم .

[ ناراً و قودها ] ما يوقد به النار يعني حطبها و الوقود بالفتح اسم لما توقد به النار من الحطب و بالضم مصدر بمعنى الاتقاد [ الناس ] كفار الإنس و الجن و إنما لم يذكر الجن لأن كفار الجن تابعة لكفار الإنس [ و الحجارة ] أي تتقد بها أيضاً اتقاد غيرها بالحطب فإن اتقاد النار بالحجارة مكان الحطب يكون من زيادة حرها و لذلك قال <sup>(١)</sup> : ناركم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم قال ابن عباس : هي حجارة الكبريت و لها سرعة الاتقاد و تنن الرائحة و كثرة الدخان و شدة الالتصاق بالأبدان

وقيل : و قودها الناس إذا صاروا إليها و الحجارة قبل أن يصيروا إليها .

[ عليها ] أي على تلك النار [ ملائكة ] تلي أمرها و تعذيب أهلها و هم الزبانية التسعة عشر و أعوانهم و المراد بقوله : « عليها » ليس الاستعلاء الحسي بل الولاية و الغلبة [ غلاظ ] القلوب خالية عن الرحمة [ شدار ] أفوياء أو غلاظ الأقوال شدار الأفعال إذا استرحموا لأنهم خلقوا من الغضب و جبّلوا على القهر لالذّة لهم إلا فيه ، ما بين منكبهم مسيرة سنة أو كما بين المشرق و المغرب يضرب أحدهم بمقمعته ضربة واحدة سبعين ألفاً فيهون في النار .

[ لا يعصون الله ما أمرهم ] في عقوبة الكفار [ و يفعلون ما يؤمرون ] من غير تشاقل و تأخير .

[ يا أيها الذين كفروا ] يقال لهم عند إدخال الملائكة إياهم في النار حسبما أمروا به : [ لا تعتذروا اليوم ] أي في هذا اليوم والعذر تجري الإِنسان بما يمحوه ذنوبه [ إنّما تجزون ما كنتم تعملون ] في الدنيا من الكفر والمعاصي بعد ما نهيتهم عنها أشدّ النهي فلا عذر لكم أبداً و قوله : «و لا يؤذن لهم فيعتدون» فمواقف القيامة كثيرة : [ يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توباً نصوحاً ] أبلغ وجوه الاعتذار مثل أن تقول : فعلت وأساءت وفي الشرع ترك الذنب لقبحه و الندم على ما فرط منه و العزيمة على ترك المعادة و تدارك ما أمكنه أن يتدارك و النصح جري فعل أو قول فيه صلاح صاحبه و النصوح فعول من أبنية المبالغة أي بالغة في النصح و صفت التوبة بذلك على الإسناد المجازي وهو وصف التائبين وهو أن ينصحوا أنفسهم بالتوبة و يأتوا بها على طريقتها . و في الحديث قال ﷺ : أيها الناس توبوا إلى الله فإنّي أتوب إلى الله في اليوم مائة مرّة و توبة العوامّ عن الزلّات و الخواصّ عن الغفلات و الأخصّ عن رؤية الحسنات و مراتب التوبة كمراتب التقوى فكما أنّ أوّل مراتب التقوى هو الاجتناب عن المنهيات و آخرها الاتقاء عن الأنايصة والبقية (؟) فكذلك التوبة أوّلها الرجوع عن المعاصي و آخرها الرجوع عن ذنب الوجود الآنيّة و الإقبال حقيقة على طاعة الله بحيث لا يكون له غير الطاعة شغل يشغله و هذه التوبة ترفو جميع خروق وقعت في ثوب دينه

و بالجمله النصوح في التوبة الصدق فيها و ترك ما منه تاب سرّاً و علناً قولاً و فكراً و هي واجبة على الفور لما في التأخير من الإصرار على المحرّم و الإصرار يجعل الصغيرة كبيرة و قصة النصوح معروفة و قد شرح حاله الملوي في المثنوي فراجعه .

[ عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ] يسترها بل يمحوها و يبدلها حسنات [ و يدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ] قيل : ورود صيغة المقاربة و الإطماع و الترجية على سنن الكبرياء فإن الملوك يجيئون بلعلّ و عسى و يقع ذلك موقع القطع و الإشعار بأنه تفضّل وأنّ العبد ينبغي أن يكون بين الخوف و الرجاء و إن بالغ في وظائف العبوديّة .

[ يوم لا يخزي الله النبي ] ظرف متعلّق ليدخلكم و الخزي إمّا الفضاحة فيكون تعريضاً للكفرة أو من الخزية بمعنى الحياء و الخجل و هو الأنسب هنا بالنظر إلى شأن الرسول و إن أريد المعنى الأوّل فباعتبار أنّ خزي الأُمّة لا يخلو عن إنشاء خزي كما قال ﷺ في دعائه : اللهم لا تخزنا يوم القيامة ولم يقل : لا تخزني ليكون دعاؤه عاماً لأُمته و أدخل فيهم نفسه العالية من كمال مروّته و قيل : الخزي كناية عن العذاب للملازمة بينهما و الأولى العموم لكلّ خزي يكون سبباً من الأسباب من الحساب و الكتاب و العقاب وغيرها .

[ و الذين آمنوا معه ] عطف على النبيّ و معه صلة أي لا يخزي معه الذين آمنوا و اتبعوه في الإيمان [ نورهم ] أي نور إيمانهم و طاعتهم على الصراط [ يسعى ] السعي المشي القويّ السريع إشارة إلى اللمعان [ بين أيديهم ] أي قدّمهم يراد بين أيديهم قدّم الشيء لكونه بين اليدين غالباً [ و بأيمانهم ] أي و عن أيمانهم و تخصيص الجهتين لأنّ أرباب السعادة يؤتون صحائف أعمالهم منها كما أنّ أصحاب الشقاوة يؤتون من شمائلهم و من وراء ظهورهم فلكون ذلك علامة لذلك و قائداً على الصراط إلى دخول الجنة و في الحديث من المؤمنون من نوره أبعد ما بيننا و بين عدن و منهم من نوره لا يجاوزه قدمه .

[ يقولون ] أي المؤمنين يقولون [ ربنا أتمم لنا نورنا ] المراد بالإتمام الإدامة إلى أن يصلوا إلى دار السلام [ و اغفر لنا إنك على كل شيء قدير ] من الإتمام والمغفرة و يمكن أن نورهم لما كان بحسب أعمالهم متفاوتاً فيسألون إتمامه تفضلاً فيكون قوله : « يقولون » من باب بنو فلان قتلوا زيدا .

ثم إن الأ نوار كثيرة نور الصفات و نور الأفعال و نور العبادات مثل الصلاة و الوضوء كما قال وَاللَّهُ سَمِيحٌ : و الصلاة نور و السر فيه أن المصلي يناجي ربه و يتوجه إليه و قد قال وَاللَّهُ سَمِيحٌ : إن العبد إذا قام يصلي فإن الله ينصب له وجهه للقائه والله نور النور فالذات المظلمة إذا واجهت الذات المنيرة و قابلتها بمحازاة صحيحة فإنها تكتسب الأتري أن القمر الذي هو في ذاته جسم أسود مظلم كمد كثيف كيف يكتسب النور بالمقابلة و كيف يتفاوت نوره بحسب التفاوت الحاصل في المحازاة و المقابلة فإذا تمت المقابلة كمل اكتساب نوره و في الحديث: بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة .

[ يا أيها النبي جاهد الكفار ] بالسيف [ و المنافقين ] و جاهد المنافقين بالحجة و الموعدة و القول الرادع عن القبيح لا بالحرب لأنه فيه أيضاً بذل المجهود فلذلك سمي جهاداً و إن رسول الله لم يقاتل منافقاً قط إنما كان يتألفهم و روي عن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قرء جاهد الكفار بالمنافقين .

[ و اغلظ عليهم ] أي أشد عليهم قيل : أي على المنافقين من غير محاباة و قيل : أشد عليهم في إقامة الحد عليهم قال الحسن : أكثر من كان يصيب الحدود في ذلك الزمان المنافقون فأمر الله تعالى أن يغلظ عليهم في الحدود .

[ و ماواهم ] أي الكفار و المنافقين [ جهنم و بس المصير ] و المستقر .  
ثم مثل الله و ضرب لأزواج النبي وَاللَّهُ سَمِيحٌ مثلاً حشاً لهن على الطاعة و بياناً لهن أن مصاحبة النبي مع مخالفته لا ينفعهن فقال : [ ضرب الله مثلاً للذين كفروا ] و ضرب المثل عبارة عن إيراد غريبة لنعرف بها حالة أخرى مشاكلة لها في الغرابة أي جعل



الله مثلاً لحال هؤلاء الكفار حالاً و مالأً و مثلاً مفعول ثان لضرب [ امرأة نوح و امرأة لوط ] أي حالهما و امرأة نوح اسمها واعلة أو والعة و امرأة لوط هي واهلة .  
 [ كانتا تحت عبيدين من عبدنا صالحين ] و المراد بكونهما تحتهما كونهما في حكمهما و تصرّفهما بعلاقة النكاح و صالحين صفة عبيدين أي كانتا تحت نكاح نبيّين و في عصمة رسولين و حيازة سعادتهما [ فخانتاهما ] بيان لما صدر عنها من الخيانة العظيمة بالكفر و النفاق و النسبة إلى الجنون و الدلالة على الأضياف ليتعرّضوا لهم بالفجور و المراد بالخيانة هذه الأمور لا البغاء فإنه ما بغت امرأة نبيّ قطّ فالبغيّ للزوجة أشدّ في إيرات الأئفة لأهل العار و الناموس من الكفر و إن كان الكفر أشدّ منه جرماً يؤاخذ به العبد يوم القيامة .

[ فلم يغنيا ] أي فلم يغن النبيّان [ عنهما ] عن تينك المرأتين بسبب حقّ الزواج [ من الله ] أي من عذاب الله [ شيئاً ] من الإغناء أي لم يدفع العذاب عنهما ففرقت امرأة نوح و أمطرت بالحجارة امرأة لوط .

[ و قيل لهما ] عند موتها أو يوم القيامة وصيغة الماضي للتحقيق قاله الملائكة الموكّلون بالعذاب : [ ادخلا النار مع الداخلين ] من الكفرة المعدّين و جمع المذكّر لأنّهن لا ينفردن بالدخول و إذا اجتمعن غالباً للذّكور فتحقّق أن الاتّصالات الدينيّة و الروحانيّة هي المؤثّرة فحسب و أمّا العلائق الصوريّة و الدنيويّة لا يبقى لها أثر بعد الموت .

[ و ضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون ] سبحانه حالها مثلاً لحال المؤمنين بأنّ وصلة الكفر لا يضرّها حيث كانت في الدنيا تحت أعدى أعداء الله و هي في أعلى غرف الجنّة و المراد آسية بنت مزاحم و في الآية حدّث للمؤمنين على الصبر في الشدّة و الثبات في الدين حتّى لا يكونوا أضعف من امرأة فرعون .

[ إذ قالت ربّ ابن لي ] بيد قدرتك [ عندك بيتاً في الجنّة ] أي قريباً من رحمتك لأنّ الله منزّه عن الحلول في مكان أو المراد ابن لي من عند كرمك و فضلك لا باستحقاق منّي قيل : إنّها لمّا قالت ذلك : رفعت الحجب حتّى رأت بيتها في الجنّة من درّة بيضاء

و انتزع روحها [ و نجّني من فرعون ] الجاهل و عمله الباطل و سوء جواره [ و نجّني من القوم الظالمين ] عن القبط التابعين له في الظلم .

روي أنّه لما غلب موسى السحرة آمنت امرأة فرعون و قيل : هي عمّة موسى فلما تبين لفرعون إسلامها طلب منها أن ترجع عن إيمانها فأبت فأوتد يديها ورجليها بأربعة أوتاد و ربطها في الشمس فأمر الله ملائكته أن يظلموها بأجنحتهم و أراها الله بينها في الجنة بحيث نسيت ماهي فيه من العذاب فضحكت فعند ذلك قالوا هي مجنونة تضحك و هي في العذاب و قال الضحّاك : أمر فرعون بأن يلقى عليها حجر رحي و هي في الأوتاد فقالت : « ربّ ابن لي عندك بيتاً في الجنة » فما وصل الحجر إليها حتّى رفع روحها إلى الجنة فألقي الحجر عليها بعد خروج روحها ، و مسألة الخلاص والالتجاء إلى الله عند المحن و البلاء من سير الصالحين و يحسن إظهار التجلّد للهيدي و يقبح غير العجز عند الأحيّة .

[ و مريم ابنة عمران ] عطف على امرأة فرعون و المعنى و ضرب الله مثلاً للذنين آمنوا حال مريم ابنة عمران و مريم بمعنى العابدة عندهم الإحصان العفاف أي حفظت فرجها عن مساس الرجال مطلقاً حراماً و حلالاً وقال السهيلي : معنى إحصان الفرج طهارة الثوب يريد فرج القميص يعني لم يعلّق بثوبها ريبة و سمي الفرج بالسوءة استعارة من هذا المعنى و فروج القميص أربعة الكمان الأعلى والأسفل فلا يذهبن و همك إلى غير هذا لأنّ القرآن أنزه معنى وأوجز لفظاً و أحسن عبارة من أن يريد معنى ذهب إليه الناس .

[ فنفخنا فيه ] الباء سببيّة أي نفخنا و النفخ نفخ الريح في الشيء بسبب ذلك الإحصان في ما انفرج من جيبها و فرج درعها و هو إلى التذكير أقرب و إذا كان المراد من الفرج معنى المتبادر المعروف فحينئذ قوله : « فيه » من باب الاستخدام و أراد بالضمير معنى الثاني الذي فسره السهيلي بالدرع و فوجه و قد نفخ جبرئيل في قميصها [ من روحنا ] أي من روح خلقناه بلا توسط أصل و أضاف الروح إلى ذاته تفخيماً لها و تشريراً

لعيسى أو المعنى من جهته روحنا جبرئيل .

[ و صدقت بكلمات ربها ] معطوف على أحصنت أي آمنت بالصحف المنزله على الأنبياء أو أيقنت بالبشارات و بما يكلم الله به و أوحاه [ و كتبه ] المنزلة على رسله مثل التوراة و الإنجيل متقدمة أو متأخرة و من وحد و قرء و كتابه فالمراد الإنجيل [ و كانت من القانتين ] و من المطيعين المعتكفين في المسجد الأقصى و التذكير لتغليب المذكر فإن مريم جعلت داخله في ذلك اللفظ مع المذكرين و الإشعار بأن طاعتها لم تقصر عن طاعات الرجال حتى عدت من جملتهم أو كانت من القانتين أي من نسلهم لأنهم من أعقاب موسى و هارون و لأن رهطها و عشيرتها كانوا من أهل بيت طاعة و

صلاح و عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال : الكمل من الرجال

كثير و لم يكمل من النساء إلا أربعة : آسية امرأة

فرعون و مريم ابنة عمران و خديجة بنت

خويلد و فاطمة بنت محمد ﷺ

تمت السورة



## سورة الملك

و تسمى سورة المنجية لأنها تبخى صاحبها من عذاب القبر و قدورد به الخبر .  
و تسمى الواقعة لما روي أنها الواقعة من عذاب القبر . و هي مكيّة .  
**فضلها** : أبي بن كعب عن النبي ﷺ و من قرء سورة تبارك فكأنما أحيا ليلة  
القدر .

و عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : و ددت أن تبارك في قلب كل مؤمن .  
و عن أبي هريرة قال النبي ﷺ : إن سورة تبارك من كتاب الله ماهي إلا  
ثلاثون آية شفعت لرجل فأخرجته يوم القيامة من النار فأدخلته الجنة .  
و عن ابن مسعود قال : إذا وضع الميت في قبره يؤتى من قبل رجله فيقال : ليس  
لكم عليه سبيل لأنه قد كان يقوم بسورة الملك ثم يؤتى من قبل رأسه فيقول لسانه : ليس  
لكم عليه سبيل لأنه يقرأ بي سورة الملك ثم قال : هي المانعة من عذاب القبر ، وهي في  
التوراة سورة الملك من قرءها فقد أكثر و أظن و لم يكتب من الغافلين .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير (١) الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عمالا وهو العزيز الغفور (٢) الذي خلق سبع سماوات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور (٣) ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير (٤) ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين واعدنا لهم عذاب السعير (٥) .

البركة الثبوت والنماء والزيادة باعتبار تعاليه عما سواه في ذاته و صفاته وأفعاله و أمّا قوله : تخلّقوا بأخلاق الله فباعتبار اللوازم و بقدر الاستعداد من حصول فيوضاته سبحانه لا باعتبار الحقيقة فمثل إحياء عيسى الأموات من الله على يده بقدر استعداده منه تعالى له [ الذي ] بقبضته [ الملك ] و التصرف الكليّ بأمر ونهي و إعطاء و منع وإحياء و إماتة وغيره [ و هو على كل شيء قدير ] .

[ الذي خلق الموت والحياة ] الموصول بدل الموصول الأوّل و الحياة ما يصحّ بوجوده الإحساس و الموت عدم ذلك و قوله وَاللَّهُ عَلِيمٌ : يذبح الموت بن الجنة و النار على صورة كبش و لاشكّ أنّ الذبح إنّما يتعلّق بالأعيان لأنّ عالم الآخرة عالم الصفة يعني إنّ كلّ صفة باطنة في الدنيا تتصوّر بصورة ظاهرة في العقبى حسنة أو قبيحة فلا شيء من المعاني إلاّ و هو مجسّم مصوّر .

و معنى قوله : « خلق الموت و الحياة » إيجاد ذلك المصوّر و إعدامه و إيجاد أثر الحياة بنفخ الروح و إضاءة ظاهر البدن و باطنه و إيجاد أثر الموت بقطع ضوء الروح عن ظاهر الحيّ و باطنه و يجعله معدوم الحركة فعدم تلك الملكة ليس عدماً محضاً بل فيه

شائبة الوجود وإلا لم يعتبر فيه المحلّ القابل للأمر الوجوديّ فلذلك صحّ تعلّق الخلق بالموت كتعلّقه بالحياة وهذا التقرير دفع لما اعترضوا به من أنّ العدم حال يكون مخلوقاً هذا كلّهُ إذا كان الموت أمراً وجودياً في الجملة ولكن لو كان الموت عبارة عن عدم الحياة فمعنى « خلق الموت » أي قدر الموت فإنّ الخلق يجيء بمعنى التقدير فمن جعله نصب عينه أفلح وفي الحديث لولا ثلاث ما طأطأ ابن آدم رأسه : الفقر و المرض و الموت ثمّ إنّ الألف و اللّام في « الموت و الحياة » عوض عن المضاف إليه أي موتكم و حياتكم أيّها المكلفون .

[ ليلوكم أيكم أحسن عملاً ] اللّام لام العلة والغرض خلافاً للأشاعة أي ليعاملكم معاملة المختبر حتّى يجازيكم بموجب عملكم و البلوى الاختبار و ليس هنا على حقيقته لأنّ الاختبار إنّما يتصور ممّن يخفى عليه عواقب الأمور فلا ابتلاء من الله أن يظهر من العبد ما كان يعلم منه في الغيب لأنّه رتب سبحانه الجزاء بعد وقوع الفعل و لو أنّه سبحانه يعلم الفعل من العبد قبل وقوعه لكنّ الجزاء يقع على تفاوت المراتب و الطبقات من العلم و العمل و أنّ العمل غير مختصّ بعمل الجوارح ولذلك فسره عنه بقوله : أيكم أحسن عقلاً و أروع من محارم الله و أسرع في طاعته و أتمّ عقلاً لمراده تعالى . و أفضل العمل و أوجه و أولاه معرفة الله و طريقها النظر و التفكّر في بدائع صنعه و آياته المنصوبة في الأنفس و الآفاق كما قال عنه : لا تفضلوني على يونس بن متى فإنّه كان يرفع له كلّ يوم مثل عمل أهل الأرض و ذلك لكمال تدبّر يونس عليه السلام في بدائع صنعه تعالى ضرورة أنّ أحداً لا يقدر على أن يعمل بجوارحه كلّ يوم مثل عمل أهل الأرض و الحديث إشارة إلى أنّ أعمال المقرّبين واحد منها مقابل بمائة ألف باعتبار التفاوت بالنسبة إلى الأشخاص مثل بيتوته أمير المؤمنين تلك الليلة في فراش رسول الله و لعلّ المراد من الحديث في قوله : « مثل عمل أهل الأرض » أهل الأرض في زمانه و قوله : لا تفضلوني خضوع منه عنه .

[ و هو العزيز الغفور ] و الحال أنّه غالب على حكمه غفور لمن تاب منهم .

[ الذي خلق سبع سماوات ] أبداعها من غير مثال [ طباقاً ] صفة للسماوات و الصفة

للأعداد يكون للمضاف إليه مثل<sup>(١)</sup> «سبع بقرات سمان» وطابقت بين الشيين إذا جعلتها على حدو واحد و أزمتهما و المعنى مطابقة بعضها فوق بعض و سماء فوق سماء غلظ كل سماء خمسمائة عام و كذا جوها بلا علاقة و لاعمار و لاماسة فالسماء الأولى على ما قيل : موج ممنوع من السيلان و الثانية من دُرّة بيضاء و الثالثة من حديد و الرابعة من نحاس أو صفر و الخامسة من فضة و السادسة من ذهب و السابعة من ياقوتة حمراء و ما فوقهما من الكرسي<sup>٢</sup> و العرش بحار من نور .

[ ماترى في خلق الرحمن من تفاوت ] و الخطاب لرسوله أي اختلاف و تناقض من طريق الحكمة و ليس فيها عدم تناسب بل مستو مستقيم قيل : سلب التفاوت عنها مطابقة بعضها بعضاً و حسن انتظامها لأن أحد المتفاوتين يفوت منه بعض ما في الآخر فحينئذ لا يلائمه فلو قيل : إن التفاوت حاصل فيها أو في المخلوقات كما نشاهد مثل أن الليل غير النهار و في السماء الأولى أمور ليس في الثانية وهكذا فكيف يكون ليس في خلق الرحمن من تفاوت فالجواب بأن المعنى ليس تناقص أو تزايد غير محتاج إليه أو محتاج إليه بل الكل مستقيمة على قدر موافق للحكمة لا ينبغي أن ينقص منها شيء أو يزيد فيها شيء .

[ فارجع البصر هل ترى من فطور ] أي رُدّ البصر و أدره و استقص في النظر في السماء هل ترى شقوق و فتوق أو وهن و خلل ؟  
 [ ثم ارجع البصر كرتين ] أي كرّر النظر و أدم و ارجع النظر و البصر مرّة بعد أخرى و لا يريد حقيقة التثنية لقوله : « وهو حسير » و لا يصير حسراً بمرتين وذلك مثل قولهم : لبّيك و سعديك و المعنى إلباباً بعد إلباب و إسعاداً بعد إسعاد كلما دعوتني فأنا ذو إجابة و ثبات بمكاني بعد ثبات من قولهم : لبّ بالمكان و ألبّ إذا أقام .  
 [ ينقلب إليك البصر خاسئاً ] أي يرجع إليك بصرك بعيداً عن نيل المراد ذليلاً صاغراً [ و هو حسير ] أي طال ، و خاسئاً حال من البصر يقال : خسأ الكلب تباعد من ذلّه كأنه زجر و طرد مستهيناً به و ذلك إذا قيل له : إخسأ .

[ ولقد زيننا السماء الدنيا ] تصدير الجملة بالقسم لا يراز بيان خلوها عن شائبة القصور وكونها في غاية الحسن و الانتظام أي و بالله لقد زيننا أقرب السماوات إلى الأرض و الناس و جعلناها ، و الدنيا تأنيث الأذنى بمعنى الأقرب [ بمصاييح ] أي بالسرج و التنكير للتعظيم يعني بكواكب مضيئة بالليل كإضاءة السرج من السيارات و الثواب تتراءى كلها مع أن بعضها في سائر السماوات لكن لما كانت السماوات صافية و أجراماً شفافة فهي لا بد وأن تظهر و تلوح منها .

[ و جعلناها ] أي المصاييح المعبر بها عن النجوم [ رجوماً ] جمع رجم بالفتح و هو ما يرمي به و يرمي للطرد و الزجر أو جمع راجم كسجود جمع ساجد [ للشياطين ] و هم كفار الجن و المعنى و جعلنا للكواكب فائدة أخرى هي رجم أعدائكم بانقضاض الشهب المقتبسة من الكواكب لانفس الكواكب فانها قارة في الفلك على حالها فمنهم من يقتله الشهاب و منهم من يفسد عضواً من أعضائه أو عقله و الشهاب شعلة ساطعة من نار تنفصل من النجم فأطلق عليها النجم . و قالت الفلاسفة : إن الشهب هي أجزاء نارية تحصل في الجو عند ارتفاع الأبخرة المتصاعدة و اتصالها بالنار التي دون الفلك و هذا القول بمعزل عن القبول مع الآية و دلائل لا يسع هذا المقام بيانه .

[ و أعتدنا لهم عذاب السعير ] أي هيئنا للشياطين بعد الإحراق بالشهب عذاب النار المسعرة الموقدة .

و الذين كفروا بربهم لهم عذاب جهنم و بسئ المصير (٦) اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا و هي تفور (٧) تكاد تميز من الغيظ كلما القى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير (٨) قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا و قلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا في ضلال كبير (٩) و قالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير (١٠) فاعترفوا بذنبيهم فسحقا لاصحاب السعير (١١) .

[ و للذين كفروا بربهم ] من الشياطين و غيرهم بسبب كفرهم [ عذاب جهنم ] أي الدركة النارية التي تلقاهم بالتجهم و العبوسة و الكلوحة [ و بسئ المصير ]



جهنّم ويجوز أن يكون جهنّم من الجهنام وهي بئر بعيدة القعر .  
 ودرجات النار سبع وهي جهنّم ثم لظى ثم الحطّبة ثم السقر ثم الجحيم ثم الهاوية ولكن كل من هذه الأسماء يطلق على جهنّم وكل فرقة دركة من الدرجات السبع كعصاة أهل التوحيد والنصارى واليهود والصابئة والمجوس والمشركين والمنافقين ولم يذكروا الشياطين في واحدة من الدرجات السبع ولعلهم يقسمون على مراتب إضلالهم وضلالهم كما قال سبحانه : « و ترى المجرمين يومئذ مقرّنين <sup>(١)</sup> » أي مع شياطينهم .  
 [ إذا ألقوا ] أي الذين كفروا في جهنّم و طرحوا كما يطرح الحب في النار وفي تعبير الإلقاء دون الإدخال إشعار بتحقيرهم وكون جهنّم سفلية [ سمعوا لها ] لجهنّم نفسها [ شهيقاً ] أي صوتاً كصوت الحمار الذي هو أنكر الأصوات وأفظعها غضباً عليهم وهو حسيس النار قالوا : الشهيق في الصدر و الزفير في الحلق . أو الشهيق آخر صوت الحمير و الزفير أوّله و الشهيق ردّ النفس و الزفير إخراجه .

[ وهي تفور ] و الحال أنّها يغلي لهم غليان المرجل بما فيها من شدّة التلهّب و التعسّر فهم لا يزالون صاعدين هابطين كالحب إذا كان الماء يغلي به لاقرار لهم أصلاً و الفور شدّة الغليان و فعلت كذا من فوري أي من غليان الحال [ تكاد تميز من الغيظ ] يقال : فلان يكاد ينشق من غيظه إذا وصف بالإفراط في الغضب و التميز الانفصال و التقطع و تميز أصله تمييز أي يقرب من شدّة غيظها أن يتمزق تركيبها و استعير لفظ الغيظ لهذا الاستعمال استعارة تصريحية و ذلك كلّه لغضب سيدها و تأتي يوم القيامة تقاد إلى المحشر بألف زمام لكلّ زمام سبعون ألف ملك و هي من شدّة الغيظ تقوى على الملائكة و تحمل على الناس فتقطع الأزمة و تحطم أهل المحشر و تقول : لأنّتم من اليوم ممّن أكل رزق الله و عبدغيره فلا يردّها عنهم إلا النبي ﷺ يقابلها بنوره فترجع مع أن لكلّ ملك من القوّة مالوأن أمر به أن يقتلع الأرض و ما عليها من الجبال و يصعد بها فعل من غير كلفة قال ﷺ : لقد أدريت منّي النار حتّى جعلت أنفثها خشية أن تغشاكم .

قال جعفر الطيار : كنت مع النبي في طريق فاشتدت علي العطش فعلمه النبي ﷺ وكان حذاءنا جبل فقال ﷺ : بلغ مني السلام إلى هذا الجبل وقل له يسقيك إن كان فيه ماء قال : فذهبت إليه قلت : السلام عليك أيها الجبل فقال الجبل بنطق فصيح : لبيك يا رسول الله فعرضت القصة فقال الجبل : بلغ سلامي إلى رسول الله وقل : منذ سمعت قوله تعالى : فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة (١) ، بكيت لخوف أن أكون من الحجارة التي هي وقود النار بحيث لم يبق في ماء .

[ كلما ألقى فيها ] أي في جهنم [ فوج ] جماعة الكفرة بدفع الزبانية [ سألم خزنتها ] أي سأل الخزنة والزبانية ذلك الفوج وضمير الجمع باعتبار المعنى [ ألم يأتكم ] في الدنيا [ نذير ] منذر يتلو عليكم آيات ربكم وينذركم لقاء يومكم هذا والإندار لا يكون إلا في التخويف .

[ قالوا ] اعترافاً : [ بلى ] لا يجاب نفي إيمان التذكير [ قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ] ذلك النذير في كونه نذيراً من الله فإن قلت : هذا يقتضي أن لا يدخلها الفاسق المصّر لأنه لم يكذب النذير فالجواب أن الأدلة السمعية دلت على تعذيب العصاة مطلقاً [ ما نزل الله ] على أحد [ من شيء ] من الأشياء فضلاً عن تنزيل الآيات عليكم وقيل : المراد ما نزل الله من كتاب ولا رسول [ إن أنتم ] أي ما أنتم أيها الرسل في هذا الادعاء [ إلا في ضلال كبير ] بعيد عن الحق .

[ وقالوا لو كنا أو نعقل ] من النذر وما جاءونا به ودعونا إليه [ ما كنا في أصحاب السعير ] و لو كنا نسمع من يعي و نتفكر و نعقل عقل من يميز ما كنا من أصحاب السعير و عن أنس قال : أثنى قوم على رجل عند رسول الله ﷺ فقال ﷺ : كيف عقل الرجل؟ قالوا : نخبرك عن اجتهاده في العبادة وأصناف الخير و تسألنا عن عقله؟ فقال ﷺ : إن الأحمق يصيب بتحمته أعظم من فجور الفاجر وإنما يرتفع العباد غداً في الدرجات و ينالون الزلفى من ربهم على قدر عقولهم .

ثم قال : [ فاعترفوا بذنبهم ] في ذلك الوقت الذي لا ينفعهم الإقرار فيه والإقرار

من قرَّ الشيء بقرَّ قراراً إذا ثبت و الاعتراف مأخوذ من المعرفة و هو الإقرار عن معرفة و الذنب مصدرأ لا يثنى ولا يجمع و يفيد فائدة الجمع بكونه اسم الجنس وشامل للقليل و الكثير أو أريد به الكفر و هو و إن كان على أنواع فهو على ملّة واحدة .  
 [ فسحقاً ] مصدر إمّا لفعل من المزيد بحذف الزايد أي فأسحقهم الله من رحمته سحقاً أي إسحاقاً وإبعاداً أو أنهم سحقوا سحقاً أي بعدوا [ لأصحاب السعير ]  
 و قيل : ألزمهم الله سحقاً عن الخير و بعداً عن الرحمة فجاء المصدر على غير لفظه مثل « نباتاً حسناً » (١) و معنى سحقته باعدته بالتفريق عن حال اجتماعه حتى صار كالغبار واللام في قوله : « لأصحاب السعير » للبيان .

ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة و اجر كبير (١٣) واسروا قولكم أو اجهروا به انه عليهم بذات الصدور (١٤) الا يعلم من خلق و هو اللطيف الخبير (١٤) هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه و اليه النشور (١٥) امنتم من فى السماء ان يخسف بكم الارض فاذا هى تمور (١٦) ام امنتم من فى السماء ان يرسل عليكم حاصباً فستعلمون كيف نذير (١٧) و لقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير (١٨) او لم يروا الى الطير فوقهم صافات و يقبضن ما يمسكن الا الرحمن انه بكل شىء بصير (١٩) امن هذا الذى هو جنديكم ينصركم من دون الرحمن ان الكافرون الا فى غرور (٢٠) امن هذا الذى يرزقكم ان امسك رزقه بل لجوا فى عتو و نفور (٢١) .

[ إن الذين يخشون ربهم بالغيب ] و يخافون عذابه و هو عذاب القيامة و يوم الموت و يوم القبر خوفاً و راء عيونهم حالكون ذلك العذاب غائباً عنهم و لم يعاينوه [ لهم مغفرة ] عظيمة و لما كان السرور إنما يتمّ بالإعطاء قال : و [ وأجر كبير ] أي ثواب عظيم في الآخرة قال مسروق : إن المخافة قبل الرجاء فإن الله خلق الجنة و ناراً فلن تخلصوا الجنة حتى تمرّوا بالنار قال تعالى : « و إن منكم إلا واردها » (٢) .

قال فضيل بن عياض : إذا قيل لك : أتخاف الله ؟ فاسكت فإنك إن قلت : لا فقد

(١) آل عمران : ٣٧ .

(٢) مريم : ٧١ .

جئت بأمر عظيم و إذا قلت : نعم فالخائف لا يكون على ما أنت عليه ؛ ألا ترى أن الله لما اتخذ إبراهيم عليه السلام خليلاً ألقى في قلبه الوجل حتى أن خفقان قلبه يسمع من بعيد كما يسمع خفقان الطير في الهواء .

[ وأسرّوا قولكم أو اجهروا به ] قال ابن عباس نزلت في المشركين كانوا يتكلمون في شأن النبي فيما بينهم بأشياء فيظهره الله رسوله عليها فقال بعضهم لبعض أسرّوا قولكم كيلا يسمع ربّ محمد والله أعلم فيخبره بما تقولون فقال لهم : « وأسرّوا قولكم » الآية [ إنه عليم بذات الصدور ] و بمضمرات جميع الناس و أسرارهم و بما في قلوبهم .

[ ألا يعلم من خلق ] أي ألا يعلم الله من خلقه [ و هو ] و الحال أنه [ اللطيف ] العالم بدقائق الأشياء [ الخبير ] المطلع ببواطنها و إنما يستحق اسم اللطيف من يعلم دقائق المصالح و غوامضها ثم يسلك في إيصالها إلى المستصلح على سبيل الرفق دون العنف فاذا اجتمع الرفق في الفعل و اللطف في الإدراك ثم معنى اللطف و لا يتصور كما ذلك في العلم و الفعل إلا الله .

[ هو الذي جعل لكم الأرض ] لمنافعكم اختلفوا في مبلغ الأرض و كميتها قال مكحول : ما بين أقصى الدنيا إلى أذناها مسيرة خمسمائة سنة مائتان من ذلك في البحر و مائتان ليس يسكنها أحد و ثمانون فيها يأجوج و ماجوج و عشرون فيها سائر الخلق قال قتادة : بسيطها من حيث محيط بها البحر المحيط أربعة و عشرون ألف فرسخ فملك السودان منها اثنا عشر ألف فرسخ و ملك الروم ثمانية آلاف فرسخ و ملك العجم و الترك ثلاثة آلاف فرسخ و ملك العرب ألف فرسخ ، قال عبد الله بن عمر : ربع من لا يلبس الثياب من السودان أكثر من جميع الناس .

و قد خرج بطلميوس مقدار قطر الأرض في المجسطي بالتقريب و هو كتاب له يذكر فيه القواعد التي يتوسل بها في بيان الأوضاع الفلكية و الأرضية قال : بسيط الأرض مائة ألف و ثمانون ألف اسطاروس و هي أربعة و عشرون ألف ميل فتكون على هذا ثمانية آلاف فرسخ و الفرسخ ثلاثة أميال و ثلاثة آلاف ذراع بالملكّي و الذراع ثلاثة أشبار و كل شبر اثنتا عشر أصبعاً و الأصبع خمس شعيرات مضمومات بطون بعضها إلى

بعض و عرض الشعيرة الواحدة ست شعرات بغل و الأسطار بوس أربعمائة ألف ذراع .  
 قوله : [ ذلولاً ] أي منقادة يسهل عليكم السلوك فيها و السكونة بها و انتتوصلوا  
 إلى ما ينفعكم و الذلّ بالضمّ و الكسر ضدّ الصعوبة و الذلّ بمعنى الهوان بالضمّ فقط  
 و الذلول فعول بمعنى الفاعل ولذا عري عن علامة التأنيث مع أنّ الأرض مؤنث سماعي .  
 [ فامشوا في مناكبها ] و الأمر أمر إباحة أي فاسلكوا في جوانبها حيث إنّ  
 منكبي الرجل جانباه و استعير للأرض كاستعارة الظهر لها في قوله : (١) « ما ترك على ظهرها »  
 و المراد من مناكب الأرض جبالها و شُبّهت بالمناكب من حيث الارتفاع .  
 [ و كلوا من رزقه ] من الحبوب و الفواكه و نحوها [ و إليه ] أي إلى الله وحده  
 [ النشور ] و المرجع بعد البعث .

[ أمأنتم ] استفهام توبيخ [ من في السماء ] أي هل أمأنتم من عذاب ملائكة السماء  
 الموكلين بتدبير أمر العالم أو الله سبحانه لا أنّه تعالى في جهة السماء لأنّ ذلك من  
 صفات الأجسام و المراد بالفوقية القدرة و السلطنة لا فوقية الجهة مثل رفع الأيدي إلى  
 السماء في الدعاء لكونها محلّ البركات و قبلة الدعاء و يجوز أن يكون الظرفية باعتبار زعم  
 العرب حيث كانوا يزعمون أنّه تعالى في السماء فحينئذ المعنى : أنتم من تزعمون أنّه في  
 السماء .

[ أن يخسف بكم الأرض ] و يقلبها عليكم فيغييبكم فيها كما فعل بقارون و الباء  
 في مثل هذه المواضع للتعدية و خسف الله به الأرض أي غاب به فيها [ فاذا هي تمور ]  
 و تضرب و تتحرك و أنتم مخسفون فيها و الأرض تدور بكم إلى الأرض السفلى و المور  
 التردد في الذهاب و المجيء في مثل الموج .

[ أمأنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً ] أي حجارة من السماء كما  
 أرسلها على قوم لوط و أصحاب الفيل والمعنى هل جعل لكم من هذين أماناً؟ و إذ لأمان  
 لكم منهما فما معنى تماديكم في شرّكم و عصيانكم [ فستعلمون ] عن قريب [ كيف  
 نذير ] أي إنذاري عند مشاهدتكم للمنذر به أهو واقع أم لا؟ أشديد أم ضعيف؟

[ ولقد كذب الذين من قبلهم ] أي من قبل كفار مكة من كفار الأمم السابقة كالمذكورين وأضربهم والالتفات إلى الغيبة إشعار بالإعراض عنهم [ فكيف كان نكير ] أي إنكاري عليهم بما نزال العذاب وإنكار الله على عبده أن يفعل به أمراً صعباً هائلاً لا يعرف . [ أولم يروا ] و ينظروا [ إلى الطير ] فالرؤية بصرية لأنها تتعدى بالي و أمّا القلبية فتعديتها بفي و الطير يطلق على جنس الطائر إما لكون جمعه في الأصل مثل ركب و راكب أو مصدره جعل اسماً لجنسه .

[ فوقهم ] ظرفاً ليروا أو حالاً من الطير أي كائنات فوقهم [ صافات ] و الصف أن يجعل الشيء على خط مستو كالناس والأشجار والمعنى باسطات أجنحتهن في الجوّ عند طيرانها فإنهن إذا بسطنها صفن قوادمها صفّاً وهي عشر في كل جناح الواحدة قادمة . [ و يقبضن ] و يضممنها إذا ضربن بها جنوبهن حيناً فحيناً للاستظهار به على التجرّك فإن الطيران كالسباحة في الماء فكما أن السباحة مدّ الأطراف وبسطها فكذا الطيران لا بدّ فيه صفّ الأجنحة و بسطها وحاصل المعنى أن الطير في الطيران صافات وقابضات ولذا جاز العطف مع أن الثانية فعلية .

[ و ما يمسكهن ] في الجوّ عن السقوط عند الصفّ و القبض على خلاف مقتضى الطبع الجسماني فإنه يقتضي الوقوع إلى السفلى [ إلا الرحمن ] الواسع رحمته كل شيء بأن خلقهن على خصائص و صنع تركيب للجري في الهواء [ إنه بكل شيء بصير ] يعلم تدبير العجائب و يشاهد و ينكشف له كمال صفات المبصرات .

[ أمّن هذا الذي هو جندلكم ينصركم من دون الرحمن ] أم منقطعة مقدّرة بيل لتوبيخه و المعنى بل من هذا الحقير الذي هو في زعمكم جندلكم و عون من آلهتكم ينصركم عند نزول الآفات و العذاب من غير الله و ينصركم نصراً كأننا من دون نصره تعالى أو حاصل الكلام أن الله الذي له هذه الأوصاف ينصركم و ينجيكم من الخسف و الحصب إن أصابكم أم الذي تزعمون أنه جند لكم وعلى هذا المعنى أم متصلة .

[ إن الكافرون إلا في غرور ] إن نافية أي ما هم في زعمهم أنهم محفوظون من النوائب بحفظ آلهتهم و أن آلهتهم يحفظهم من بأس الله إلا في غرور عظيم .

[ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ ] و يعطيكم الرزق [ إن أمسك ] الرحمن و حبس [ رزقه ] بإمسك المطر و مباديه ولو كان الرزق موجوداً أو كثيراً و سهل التناول فوضع الأكلة في فمه فأمسك الله عنه قوة الابتلاع عجز أهل السماوات و الأرض عن أن يسوغوه تلك اللقمة كما يقع هذا الأمر أحياناً لبعض المرضى . قيل : كان الكفار يمتنعون عن الإيمان و يعاندون الرسول ﷺ معتمدين على شيئين : أحدهما بمالهم وعددهم و الثاني اعتقادهم أن الأوثان توصل إليهم جميع الخيرات و تدفع عنهم الآفات فأبطل الله عليهم الأول بقوله : « أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ ، إِنْخ ، و ردّ عليهم الثاني بقوله : « أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ ، إِنْخ .

[ بل لَجَّوْا فِي عَتْوٍ وَ نَفُورٍ ] الكلام منبئ عن مقدّر يستدعيه المقام كأنّه قيل : إنهم لم يدعوا للحقّ بل لَجَّوْا و تمادوا في عتوّ و عناد و استكبار و شراد عن الحقّ .

أَفَمَنْ يَمْشِي مَكْبَأً عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٢٣)  
 قل هو الذي أنشأ لكم طريق السمع و الابصار و الافئدة قليلاً ما تشكرون (٢٣)  
 قل هو الذي ذرأكم في الأرض و اليه تحشرون (٢٤) و يقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين (٢٥) قل انما العلم عند الله و انما أنا نذير مبين (٢٦) فلما رآوه زلفة سيئت و جوه الذين كفروا و قيل هذا الذي كنتم به تدعون (٢٧) قل أرأيتم ان أهلكنى الله و من معنى فمن يجير الكافرين من عذاب أليم (٢٨) قل هو الرحمن آمنّا به و عليه توكلنا فستعلمون من هو في ضلال مبين (٢٩) قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتكم بماء معين (٣٠) .

[ أَمَّنْ يَمْشِي مَكْبَأً عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ ] مثل ضرب للمشرك و الموحد توضيحاً لحالهما و إلغاء لترتيب البيان و تقديم الهمزة على إلغاء صورة لافئذائها الصدارة و أمّا بحسب المعنى فالأمر بالعكس حتّى لو قيل مكان الهمزة «هل» ل قيل : فهل يمشي مَكْبَأً و المكبّ الساقط على وجهه و المعنى فمن يمشي و هو يعتزّ في كل ساعة و يخترّ على وجهه في كل خطوة لتوهير طريقه و اختلال قواه أشدّ هداية و رشداً إلى المقصد الذي يؤمّه .  
 [ أَمَّنْ ] أي هو أهدي أم من [ يمشي سويّاً ] قائماً سالماً من العثار [ على صراط

مستقيم [ مستوي الأجزاء وقيل : المكب كناية عن الأعمى قيل للنبي : وكيف يمشون على وجوههم ؟ قال ﷺ : إن الذين أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم .

[ هو الذي أنشأكم ] أيها الكفار : إنشأ بعبداً بأن صوركم فأحسن صوركم [ وجعل لكم السمع ] لتسمعوا آيات الله وتعملوا بموجبها وقدم السمع لأن فوائد السمع أقوى بالنسبة إلى عموم الناس وإن كانت فوائد البصر أعلى بالنسبة إلى الخواص [ والأبصار ] لتنظروا بها إلى الآيات الكونية الشاهدة بشؤون الخالق [ والأفتدة ] والقلوب لتتفكروا بها فيما تسمعون وتتعقلونه من الواردات عليكم والتفؤد التوقد ومنه الفؤاد للقلب لأن العلوم والمعارف يتقد وينكشف به وهو كالحوض حيث ينصب إليه ما حصل من طريق السمع والبصر .

[ قليلاً ما تشكرون ] باستعمالها فيما خلقت لأجله وقليلاً صفة لمحذوف وما مزيدة لتأكيد القلة أي شكراً قليلاً تشكرون وقيل : المراد من القلة النفي إذا كان الخطاب للكفرة و بمعناه المعروف إذا كان الخطاب للكلم قال بعض المتقين :

لو عشت ألف عام في سجدة لربي \* شكراً لفضل يوم لم أقض بالتمام  
و العام ألف شهر والشهر ألف عام \* و اليوم ألف حين والحين ألف عام

واعلم أن شكر السمع التعلّم والاستماع من العلماء و المواظب الحسنة ورد أقوال البدعة و الهوى و شكر البصر النظر بالدقة إلى المصاحف و كتب الدين و إلى وجوه أهل الإيمان و الفقراء بعين الرحمة و شكر القلب قبول أحكام الله و اليقين بتوحيده و الخوف و الرجاء منه و به و المحبة لأوليائه و البغض لأعدائه .

[ هو الذي ذرأكم في الأرض ] أي خلقكم و كثّر كم فيها و ذرأه أي كثره ومنه الذريّة [ و إليه تحشرون ] أي إليه تعالى تجمعون و تبعثون للحساب و الجزء فابنوا أموركم على ذلك واستعدوا لذلك اليوم و جميع البيان المذكور لا ثبات هذا المطلوب . [ و يقولون ] من فرط عنادهم أو بطريق الاستهزاء : [ متى هذا الوعد ] أي الحشر الموعود و كانوا يقولون : متى هذا [ إن كنتم صادقين ] يخاطبون به النبي و جواب الشرط



مخدوف أي كنتم صادقين فيما تخبرون به من مجيء الساعة فبينوا وقته .  
 [قل] ما أعلم الخلق [إنما العلم] بوقته [عند الله و إنما أنا نذير مبين] مخوف  
 بلغة تعرفونها و أمّا العلم بوقت وقوعه فليس من وظائف الإنذار .  
 [ فلما رأوه زلفة ] أي فلما رأوا العذاب قريباً و ذاقرب أو على أنه مصدر بمعنى  
 الفاعل أي مزدلفاً و المراد يوم بدر أو المراد يوم القيامة و رأوا أن القيامة قد قامت و ما  
 أعدّ لهم العذاب كما عليه أكثر المفسرين و أتى بلفظ الماضي لتحقق وقوعها و أراد به  
 المستقبل [ سيئت وجوه الذين كفروا ] قبحت وجوههم و ظهر عليها الكأبة و نالهم سوء  
 و يقال لهم : [ هذا الذي كنتم به تدعون ] أي هذا الذي كنتم به تستعجلون و تدعون  
 بتعجيله قال الفرّاء : تدعون و تدعون واحد مثل : تدخرون و تدخرون قيل : هو  
 تدعون من الدعوى أي تدعون أن لا جنّة ولا نار .

و روى الحاكم أبو القاسم الحسكاني بالأسانيد الصحيحة عن شريك عن الأعمش  
 قال : لما رأوا عليّ بن أبي طالب و ماله من الزلفى و التقرب عند الله سيئت وجوه الذين  
 كفروا و عن أبي جعفر عليه السلام فلما رأوا مكانة عليّ من النبي سيئت وجوه الذين كفروا  
 و كذبوا بفضلّه و أصل الكلام أن رؤية الموعود ساءت وجوههم و السياء من ساء الشيء  
 يسوؤه سوءاً و مساءةً نقيض سرّه و هذا المعنى متعدّد و يجوز أن يكون لازماً بمعنى قبح  
 و منه «ساء مثلاً» فالمعنى حينئذ ساءوا و قبحوا و قيل : توبيخاً لهم هذا الكلام .

[ قل ] يا خير الخلق : [أرأيتم] أخبروني خبراً أنتم في الوثوق به مثل الرؤية قال  
 بعضهم : لما كان الإخبار قوياً بالرؤية شاع رأيتم في معنى أخبر [ إن أهلكني الله ]  
 و أماتني و ذلك لما يترّبصون به ريب منون [ و من معي ] من المؤمنين و حصل مقصودكم  
 [ أو رحمنا ] بتأخير آجالنا [ فمن يجير الكافرين من عذاب أليم ] استحقّوه بكفرهم و من  
 ينقذهم و قيل : معنى رحمنا غفرنا أي لا ينجيكم من عذابه أحد سواء متنا أو بقينا إنما  
 النجاة بالإيمان و العمل الصالح و وضع الكافرين موضع ضميرهم ليتخيّل عليهم بالكفر  
 و بيان نفي الإنجاء بسبب الكفر .

[ قل ] يا محمد : [ هو الرحمن ] الذي أدعوكم إلى عبادته مولى التمتع [ آمنّابه ]

ولم نكفر به كما كفرتم [ و عليه توكلنا ] وفوضنا أمورنا عليه لا على غيره مثلكم حيث توكلتم على عدتكم و عددكم [ فستعلمون ] يا كفار مكة [ من هو في ضلال مبين ] من استفهامية أو موصولة منا و منكم أينما المصيب وأينما المخطي .

[قل] يا محمد : [ أرايتم ] أخبروني [ إن أصبح ماءؤكم غوراً ] و صار غائراً في الأرض بالكليّة و نازلاً و زاهباً فيها و نضب أو غار في المنبسط من الأرض [ فمن يأتيكم ] على عجزكم [ بماء معين ] جار ، من عان الماء أو معن الماء كلاهما أي ظاهر للعيون بجريه و بسهولة تناوله بالأيدي و كان ماء أهل مكة من بئر من : بئر زمزم و بئر ميمون الحضرمي و إنما خص سبحانه من النعم بذكر الماء لأنه أصل الحياة وهو أهون موجود وأعز مفقود .

و في تفسير الزاهدي إن زنديقاً سمع معلماً تلقن تلميذه قوله : « فمن يأتيكم بماء معين » فأجاب الزنديق : يأتي به المعول فلما أمسى الزنديق و نام في فراشه فسمع

هاتفاً و هو يسمع صوته و لا يرى شخصه فهتف الهاتف يا زنديق غار ماء عينك

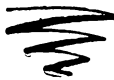
فقل حتى يأتي به المعول ! فعوقب بذهاب ماء عينيه لأن الجزء

من جنس العمل ، و نعم ما حكى هذه القصة المولوي

في المثنوي نعوز بالله من الجرعة على الله

و ترك حرمة القرآن

تمت السورة بعون الله



## سورة ن و القلم

هي مكّية و قيل : بعضها مكّية و بعضها مدنيّة .  
عليّ بن ميمون عن الصادق عليه السلام قال : من قرء سورة ن في فريضة أو نافلة آمنه  
الله أن يصيبه في حياته فقراً و أعاذه من ضغطة القبر .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ن و القلم و ما يسطرون (١) ما انت بنعمة ربك بمجنون (٢) و ان لك لاجراً غير ممنون (٣) و انك لعلى خلق عظيم (٤) فستبصرو و يبصرون (٥) بايكم المفتون (٦) ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله و هو اعلم بالمهتدين (٧) فلا تطع المكذبين (٨) و دو الوتدهن فيدهنون (٩) و لا تطع كل حلاف مهين (١٠) هماز مشاء بنميم (١١) مناع للخير معتد أثيم (١٢) عتل بعد ذلك زئيم (١٣) ان كان ذا مال و بنين (١٤) اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين (١٥) سنسمه على الخرطوم (١٦) .

أي هذه سورة « ن » أو بحقّ ن أقسم الله بها على سبيل التأكيد في إثبات الحكم على ما عليه عادة الخلق مع ما فيه من بيان عظم شأن المقسم به، و النون حرف واحد في الكتابة و ثلاثة أحرف في التلفظ و قد قال وَاللَّهُ عَلِيمٌ : من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول : ألم حرفٌ بل ألف حرفٌ ولام حرفٌ وميم حرفٌ و قال بعضهم : هو مفتاح اسم النور و الناصر . و قيل فيه : إنه اسم من أسماء النبي وَاللَّهُ عَلِيمٌ . و قيل : النون الحوت العظيم قال عكرمة ، أقسم الله بالحوت الذي لطح سهم نمرود بدمه لم يرمى السهم نحو السماء عاد السهم مختضباً بدم سمكة في بحر معلق في الهواء فأكرم الله ذلك الحوت بأن أقسم به وأحلّ جنسه من غير زكاة فإنه لا يحلّ إلا ميتتان : السمك والجراد . و قيل : المراد الحوت الذي اجتس يونس في بطنه . و قيل : هو الحوت الذي على ظهر الأرض و هو في بحر تحت الأرض السفلى اسمه ليوثا أو يهوت أو برهوت . و قيل : هو الدواة . و قيل : هو نهر في الجنة قال الله : له كن مداً فحينئذ . [ و القلم ] هو ما يكتب به و الواو للقسم على التقدير الأوّل و للعطف على الثاني و المراد قلم اللوح كما جاء في الخبر إنّ أوّل ما خلق الله القلم و نظر إليه

فانشقّ بنصفين ثمّ قال : له أجر بما هو كائن إلى يوم القيامة فجرى على اللوح المحفوظ بذلك من الآجال و الأعمال و الأرزاق ثمّ ختم على القلم و هو قلم من نور طوله كما بين السماء و الأرض ، و بعدما خلق القلم خلق النون فدحي الأرض عليها فارتفع بخار الماء ففتق منه السماوات و اضطرب النون فمادت الأرض فأثبتت بالجبال .

و عن ابن عباس أنّ المراد بالقلم قلم الكرام الكاتبين أو جنس القلم أقسم الله بالدواة و القلم لكثرة منافعها كما قيل : البيان اثنان بيان لسان و بيان بنان و هو باق على الأيام و بيان اللسان تدرسه الأعوام و اولم يكن للقلم مزية سوى كونه آله لتجربير كتب الله لكفى به فضلاً مرحباً لتعظيمه و من تعظيمه تعظيم برايته فتوضع حيث لا تطأها الأقدام و إلا أورت الآلام .

كفى قلم الكتاب فخراً و رفعة \* مدى الدهر ، أن الله أقسم بالقلم

[ و ما يسطرون ] ما موصولة و العائد محذوف و السطر الصف من الكتابة و من القوم الوقوف و ضمير الجمع لأصحاب القلم من الحفظة الملائكة أو غيرهم و لعل مناسبة كون « ن » من أسمائه تعالى هي أن النون في الرقم نصف دائرة محسوسة و نصف دائرة معقولة تشعر نقطتها بأحدية ذاته تعالى و النصف المحسوس مظهر و ظرف مداد عالم الخلق و النصف المعقول ظرف عالم الأمر فالمناسبة حاصلة .

قوله : [ ما أنت بنعمة ربك بمجنون ] جواب القسم أي لست مجنوناً و ليس شيء حائلاً بين نفسك و عقلك و أنت ملتبس بنعمة ربك و هي نعمة النبوة و الرياسة العامة و المراد تنزيهه وَاللَّهُ بِمَا كَانُوا يَسْبُونَهُ عَلِيمٌ عما كانوا ينسبونه إليك حسداً و مكابرة مع كونه في غاية من حصافة العقل و رزانة الرأي و قوله : « بنعمة ربك » قسم اعترض به بين المحكوم عليه و الحكم - على ما قال أبو حيان - علي سبيل التأكيد في انتفاء الوصف الذميمة عنه و ذهب غيره أيضاً أن الباء للقسم مثل شيخ نجم الدين في تأويلاته .

و قيل في النزول : إنه وَاللَّهُ بِمَا كَانُوا يَسْبُونَهُ عَلِيمٌ غاب عن خديجة إلى حراء جبل النور قالت خديجة : فلم نجد وَاللَّهُ بِمَا كَانُوا يَسْبُونَهُ عَلِيمٌ فإنا هو قد طلع و وجهه متغيّر بلاغبار فقالت له : مالك ؟ فذكر نزول جبرئيل و أنه قال : له اقرأ باسم ربك فهو أول ما نزل من القرآن قال وَاللَّهُ بِمَا كَانُوا يَسْبُونَهُ عَلِيمٌ :

نزل جبرئيل إلى قرار الأرض فتوَّضأ و تَوَضَّأت ثم صَلَّى و صَلَّيت معه ركعتين و قال : هكذا الصلاة يا محمد فذكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ لَخَدِيجَةَ فَذَهَبَتْ خَدِيجَةُ إِلَى وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ وَ هُوَ ابْنُ عَمِّهَا وَ كَانَ قَدْ خَالَفَ دِينَ قَرِيشٍ وَ دَخَلَ فِي النِّصْرَانِيَّةِ فَجَاءَ وَرَقَةَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَ قَالَ : هَلْ أَمْرُكَ جَبْرَائِيلُ أَنْ تَدْعُو أَحَدًا؟ فَقَالَ : لَا فَقَالَ وَرَقَةُ : لَمَنْ بَقِيتَ إِلَى دَعْوَتِكَ لَا نَصْرَتِكَ نَصْرًا عَزِيزًا ثُمَّ مَاتَ قَبْلَ دَعَاءِ الرَّسُولِ .

و وقعت تلك الواقعة في السنة كفقار قريش فقالوا : إنَّه مجنون فأقسم الله على أنَّه ليس بمجنون و هو خمس آيات عن أوَّل هذه السورة لكن قال ابن عباس : أوَّل ما نزل « سبح اسم ربك » و « اقرأ » هي الثانية .

قوله : [ و إن لك ] بمقاساة تحمَّلك أعباء الرسالة و ألوان الشدائد من جهة الكفار [ لأجر غير ممنون ] و غير مقطوع و منه قيل « المنون » للمنيَّة لأنها تقطع العدد و المدد و يجوز أن يكون معناه غير مكدر بسبب المنَّة .

[ و إنك لعلی خلق عظیم ] لا يدرك شأوه أحد من الخلق لأنك تحتمل من جهتهم ما لا يكاد يحتمله أحد و دلت الآية على أنك مستول على الأخلاق الحميدة و الأفعال المرضية حتى صارت بمنزلة الأمور الطبيعية و لذا قال : « قل لا أسألكم عليه أجرًا و ما أنا من المتكلفين <sup>(١)</sup> » أي لست متكلفًا فيما يظهر من أخلاقي لأن المتكلف لا يدوم أمره طويلًا بل يرجع إليه الطبع و سمي خلقًا لرسوخه و ثباته حتى صار بمنزلة الخلقة التي جبل عليها الإنسان و إن احتاج في كونه ملكة راسخة إلى اعتمال و مجاهدة طويلة و لذا يتبدل بالمصاحبة فيكون الحسن قبيحاً و القبيح حسناً على حال المصاحبين كما في الحديث المرء علي دين خليله فلينظر أحدكم من يخال و في حديث آخر : لا تجالسوا أهل الهوى و البدع فإن لهم عرة كعرة الجرب و لذلك صنَّف أطباء الأرواح أبواباً في علم الأخلاق لترتيب الصحة الروحانية كما ألف أطباء الأشباح فصولاً في علم الأبدان .

و إنَّما وصف سبحانه خلقه بالعظمة كما وصف العرش و القرآن بالعظيم لبيان

أنّ ذلك الخلق جامع لمكارم الأخلاق اجتمع فيه شكر نوح وخطّة إبراهيم وإخلاص موسى وصدق إسماعيل وصبر يعقوب وأيوب واعتذار داود وتواضع سليمان وعيسى وهكذا من أخلاق سائر الأنبياء كما قال : « فبهدهم اقتده »<sup>(١)</sup>، إذ ليس هذا الهدى معرفة الله لأنّ ذلك تقليد وهو غير لائق بالرسول وليس الشرائع لأنّ شريعته ناسخة لشرائعهم والمراد الاقتداء بكلّ منهم فيما اختصّ به من الخلق الكريم إذ كان كلّ واحد منهم مختصّاً بخلق حسن غالب على سائر أخلاقه وهذه درجة عالية لم يتيسّر لأحد من الأنبياء .

لكلّ نبيّ في الأنام فضيلة \* وجملتها مجموعة لمحمّد

وكان ﷺ متحلّياً بما في القرآن من مكارم الأخلاق وقد جمع فيه ﷺ ما في الآي العشر في سورة المؤمنين من قوله : « قد أفلح » فذلك خلقه العظيم وهو عين الصراط المستقيم .

قال ﷺ : إنّ لله ثلاثمائة وستين خلقاً من لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنّة وأحبّها إلى الله السخاء .

قال بعض المحقّقين : من أراد أن يرى رسول الله ممّن لم يدركه من أمّته فلينظر إلى القرآن فإنّه لا فرق بين النظر فيه وبين النظر إلى رسول الله فكان القرآن انتشاء صورة جسديّة يقال له تمجّد : والأنبياء كلّهم أنوارهم كالكوكب بالنسبة إلى نوره ومع أنّه كان غائباً عنهم استناروا من صفاء نوره ؛

فاق النبيّين في خلق وفي خلق \* ولم يدانوه في علم ولا كرم

[ فستبصرو ويصرون ] عند كشف الغطاء فيعلمون حينئذ أنّك مجنون أو أنّهم مجانين [ بأيكم المفتون ] أي أيّكم الذي ابتلي بفتنة الجنون على أنّ المفتون بمعنى الفتون وهو الجنون كالمعقول بمعنى العقل والباء مزيدة في المبتداء كما في بحسبك زيد أو الباء بمعنى « في » أي الفريقين من المؤمنين والكافرين يوجدون من يستحقّ عليه هذا الاسم .

[ إن ربك هو أعلم بمن ضلّ من سبيله ] الحقّ المؤدّي إلى سعادة الدارين أو هام في تيه الضلال متوجّهاً إلى ما يفضيه إلى الشقاوة الأبدية وهو المجنون الذي لا يفرّق بين النفع والضرر [ وهو أعلم بالمهتدين ] إلى سبيله فيجزي كلا الفريقين حسبما يستحقّه وإعادة « هو أعلم » لزيادة التقرير وحصول الهداية. أمر متوقّف على قبول المهتدي لأنّ الرسول الصادق الأمين قال : « إنّي دعوت قومي ليلاً ونهاراً فلم يزد هم دعائي إلاّ فراراً (١) » .

[ فلا تطع المكذّبين ] أي إذا تبيّن عندك حالهم فدم على ما أنت عليه من عدم طاعتهم فقومى سبحانه قلبه وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ بالتشددّ مع قومه مع قلة العدد وكثرة الكفار وفي الآية بيان للأمة أن الإطاعة للعاصي عصيان والافتداء بالطاغى طغيان .  
[ ودوا لو تدهن فيدهنون ] لو للتمنّي والمراد من الإدهان الملاينة والتسهيل والمسامحة وترك الدعوة أي إنهم لو سامحتهم في الدعوة يداهنونك حينئذ بترك الطعن والفرق بين المداينة والمدارة إن الإدهان الملاينة لمن لا ينبغي له ذلك وتغضي عنهم لحظّ فسك وسلامة جاهك واجتلاب نفعك والمدارة لما ترى فيه من اصطلاح الأمر بالإغضاء وهي في الغالب مع من يخاف شرّه .

قوله : [ ولا تطع كلّ حلافٍ مهين ] كثير الحلف في الحقّ والباطل لجهله حرمة اليمين وعدم مبالاته من الحنث لسوء عقيدته وأصل الحلف اليمين الذي كان يأخذ بعضهم من بعض على أمر أي العهد ثمّ عبّر به عن كلّ يمين والمهين الحقير الرأي وهي الحقارة في التدبير .

[ همّاز ] عيب طعان يلوي شذقيه في أفقية الناس وفي الحديث لا يكون المؤمن طعاناً ولا لعاناً والهمّاز مبالغة هامز والهمز الطعن ومنه المهزمة حديدة تطعن بها الدابة قيل لأعرابي : أتمهمز الفار؟ قال : السنور بهمزها استعير للمغتتاب الذي يذكر الناس بالمكروه ويظهر عيوبهم ويكسر أعراضهم .

[ مشاء بنميم ] نقال للحديث من قوم إلى قوم على وجه السعاية والإفساد بينهم



و إظهار الحديث بالوشاية وهو من الكبائر أمّا نقل الكلام بقصد النصيحة للمؤمنين فواجب كما قال من قال: « يا موسى إنّ الملائمة يأترون بك ليقتلوك فاخرج إنّي لك من الناصحين <sup>(١)</sup> » وفي الحديث لا يدخل الجنة نمام .

[ مناع للخير ] الخير المال أي بخيل يمنع الناس من أقسام الخير من الإيمان والطاعة والإنفاق وكان للوليد بن المغيرة عشرة من البنين وكان يقول لهم ولأقاربه: من تبع منكم دين محمد لا أنفعه بشيء، وكان موسراً .

[ معتد ] متجاوز في الظلم من استغراقه في الأخلاق الذميمة ومجاوزة الحق والحد [ أثيم ] كثير الاسم والمعصية .

[ عتل ] بعد ذلك زعيم [ عتله ] إذا فاده بعنف وغلظة أي جاف غليظ القلب بحيث لا يقبل الخير والنصح « بعد ذلك » أي بعد هذه القبايح « زعيم » دعي ملتصق بالقوم وملحق بهم في النسب وليس منهم فالزعيم هو الذي تبناه أحدوا اتخذوا ابناً وليس بابن له في الحقيقة والزائد في القوم تشبيهاً بالزئمتين من الشاة وهما المند لبتان من أذنهما أو شيء يقطع من أذن البعير فيترك معلقاً .

قال العتبي: لانعلم أنّ الله وصف أحداً ولاذكر من عيوبه ما ذكر من عيوب الوليد بن المغيرة فألحق به عاراً لايفارقه أبداً وكان الوليد دعياً في قريش وليس من سنخهم، ادعاه أبوه المغيرة بعد ثمان عشرة سنة من مولده وحاصل معنى الزعيم ولد الزنى .

زعيم ليس يعرف من أبوه \* بغي الأم ذو حسب لئيم  
وفي الحديث لا يدخل الجنة جواظ ولا جعظري ولا العتل الزعيم . والجواظ : الجموع المنوع ، والجعظري : الفظ الغليظ ، والعتل : رحيب الجوف أكل شروب غشوم ظلوم .  
[ أن كان ذا مال وبنين ] متعلق بقوله : « لا تطع » بحذف الجار أي لأن كان مستظهِراً بالمال والبنين ، ومن قرء بالاستفهام فيكون المعنى لأن كان ذامال وبنين يجحد آياتنا وجعل مجازاة النعم الكفر بآياتنا ؟

[ إذ أتتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين ] استيناف جار مجرى التعليل المنهبي  
أي إذا تقرأ عليه آياتنا و كلامنا قال : هي أحاديث و قصص لاعتبار بها اكتبوها  
كذباً .

[ سنسمه على الخرطوم ] أصله سنوسمه من الوسم و هو إحداث السمة و العلامة  
والمسيم المكواة و آلة الكي و الخرطوم الأنف أو مقدمه أو ما ضمت عليه الحنكين  
أي سيجعل له كيباً على أكرم مواضعه لإهانتة و إزاله إذ الأنف أكرم موضع من  
الوجه لتقدمه له و لذلك جعلوه مكان العز و الحمية و اشتقوا منه الأنفة فيقال : فلان  
شامخ العينين و يقال للذليل : رغم أنفه .

و لقد وسم العباس أبا عره في وجوها فقال **وَاللَّهُ يَكْتُبُ** : أكرموا الوجوه فوسمها  
في جوارها أي في أدبارها و في التعبير عن الأنف بلفظ الخرطوم استقباحاً لصاحبه  
و استهانة له لأنه لا يستعمل إلا في الفيل والخنزير .

انا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة اذ أقسموا ليصر منها مصبحين  
(١٧) ولا يستنون (١٨) فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون (١٩) فأصبحت  
كالصريم (٢٠) فتنادوا مصبحين (٢١) أن اغدوا على حرثكم ان كنتم صارمين  
(٢٢) فانطلقوا وهم يتخافتون (٢٣) ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين (٢٤)  
و غدوا على حرد قادرين (٢٥) فلما رأوها قالوا انا لاضالون (٢٦) بل نحن  
محرومون (٢٧) قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون (٢٨) قالوا سبحان  
ربنا انا كنا ظالمين (٢٩) فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون (٣٠) قالوا يا ويلنا  
انا كنا طاغين (٣١) عسى ربنا ان يبدلنا خيراً منها انا الى ربنا راغبون  
(٣٢) كذلك العذاب ولعذاب الآخرة اكبر لو كانوا يعملون (٣٣) .

[ إننا بلونا هم ] يقال : بلي الثوب أي خلق ، وبلوته : اختبرته كأنني أخلقته من  
كثرة اختباري له والمعنى إننا ابتلينا أهل مكة بالفحط و الجوع سبع سنين بدعوة النبي  
**وَاللَّهُ يَكْتُبُ** حتى أكل الجيف لتمردهم [ كما بلونا أصحاب الجنة ] مثل ابتلاء أصحاب  
الجنة المعروف خبرها عندهم و اللام في الجنة للعهد .

و أصحاب الجنة قوم من أهل صنعاء قيل : كانوا إخوة و كانت الجنة لأبيهم دون

صنعاء بفرسخين و قيل : هي جنّة بضروان و ضروان على فرسخ من صنعاء و كان أصحاب هذه الجنّة بعد رفع عيسى عليه السلام يبسير و كانوا بخلاء و كان أبوهم يأخذ من البستان قوت سنة و يتصدّق بالباقي و كان ينادي الفقراء وقت الصرام و يترك لهم ما أخطأه المنجل وما في أسفل الأكداس و ما أخطأه القطاف من العنب و ما بقي على البساط الذي يبسط تحت النخلة إذا صرمت فكان يجتمع لهم شيء كثير و يتزودون به أياماً .

فلما مات أبوهم قال بنوه : إن فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الأمر و نحن أولو عيال فحلفوا فيما بينهم و ذلك قوله تعالى : [ إذ أقسموا ] و الأقسام الحلف [ ليصرمنّنها مصبحين ] و يقطعون الثمار من النخل و العنب و يجمعنّ محصولها مبكرين و سواد الليل باق « ليصرمنّنها » جوابٌ للقسم [ ولا يستثنون ] و لا يقولون : إن شاء الله و كانوا غير مستثنين فلم يقولوا : إن شاء الله و قيل : المعنى و لا يستثنون حصّة المساكين و لا يخرجونها كما يفعل أبوهم و قال أبو حيان : المعنى لا يستثنون عمّا عزموا عليه من حرمان المساكين .

[ فطاف عليها ] أي أحاط على الجنّة [ طائفٌ ] أي بلاء طائف و ذلك بالليل إذ لا يكون الطائف إلا بالليل و كان ذلك الطائف ناراً نزلت من السماء فأحرقتها [ من ربك ] من جهته تعالى أي من جهة أمره و هو منزّه عن الجهة و الطوف الدوران حول الشيء و منه الطائف لمن يدور حول البيت حافظاً و منه استعير الطائف من الجنّ و الخيال و الخادم .

[ وهم نائمون ] غافلون بالنوم عمّا جرت به المقادير و النوم استرخاء أھصاب الدماغ برطوبات البخار الصاعد إليه أو أن يتوفى الله النفس من غير أن يقطع ضوء الروح عن الجسد فالنوم موت خفيف و الموت نوم ثقيل .

[ فأصبحت كالصريم ] كالبستان الذي صرمت ثماره حيث لم يبق فيها شيء و قيل : معناه كالليل لأنّ الليل يقال له الصريم ، أي صارت سوداء كالليل لاحتراقها [ فتنادوا مصبحين ] أي نادى بعضهم بعضاً حال كونهم داخلين في الصباح [ أن اغدوا على حرثكم ] أي أخرجوا غدوةً على ضيعتكم و بستانكم و الحرث يجوز أن يراد به الحاصل مطلقاً

و أن يراد به الزرع خصوصاً و تعدية الغدؤ بعلى لتضمّنه الاستيلاء [ إن كنتم صارمين ]  
و قاصدين للمصرم و قطع الثمرة و جمع المحصول .

[ فانطلقوا ] و مضوا إليها [ و هم يتخافتون ] أي يتشاورون فيما بينهم بطريق  
المخافة و السرّ كيلا يسمع أحد ولا يدخل عليهم [ أن لا يدخلنّها ] في الجنة [ اليوم  
عليكم مسكين ] من المساكين فضلاً عن أن يكثروا .

[ و غدوا على حرد ] أي مشوا بكرةٔ على الحدّة و الغضب و الامتناع من مخالطة  
المساكين [ قادرين ] حالٌ من فاعل « غدوا » فلم يحصل لهم إلا النكد و الحرمان وذلك  
أنهم قصدوا حرمان الفقراء فتعجّلوا الحرمان جزاء .

[ فلمّا رأوها ] الجنة [ قالوا ] قال بعضهم لبعض : [ إنّنا لضالّون ] طريق جنّتنا  
[ بل نحن قوم محرّمون ] قالوه بعدما تأمّلوها و وقفوا على حقيقة الأمر أي لسنا ضالّين  
بل حرمانا خيرها بجنائتنا على أنفسنا بسوء نيّتنا .

[ قال أوسطهم ] أي أعدلهم و خيرهم و أصوبهم رأياً و الوسط تارة يقال : فيما له  
طرفان مذمومان كالجود الذي بين البخل و السرف فيستعمل استعمال القصد المصون عن  
الإفراط والتفريط و تارةٔ يقال : فيما له طرف محمود و طرف مذموم كالخير والشرّ و يراد  
به الرذل [ ألم أقل لكم لولا تسبّحون ] لو لا تذكرون الله بالتسبيح و تتوبون إليه من  
خبث نيّتكم و قد كان قال لهم : حين عزموا على ذلك اذكروا الله و توبوا من هذه العزيمة  
الخبیثة فعملوه و لم يقبلوا منه فعيّرهم لعلّ كانت الأمم السابقة يؤاخذون على ما عزموا  
عليه من المعصية .

[ قالوا ] معترفين بالذنب [ سبحان ربّنا ] نزّهه عن كلّ سوء سيّما عن أن يكون  
ظالماً فيما فعل بنا [ إنّنا كنّا ظالمين ] بقصد حرمان المساكين كأنتهم قالوا : نستغفر الله  
من سوء صنعنا ولو تكلموا بهذه الكلمة قبل نزول العذاب لنجوا من نزوله لكنّهم تكلموا  
بعد خراب البصرة .

[ فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون ] يلوم بعضهم بعضاً فإنّ منهم من أشار بذلك  
ومنهم من استصوبه و منهم من أنكره [ قالوا يا ويلنا ] أي الويل والسخط لنا [ إنّنا كنّا

طاغين] متجاوزين حدود الله .

[ عسى ربنا أن يبدلنا ] و يعوضنا بدلاً منها ببركة التوبة [ خيراً منها ] من هذه الجنة [إننا إلى ربنا راغبون] راجعون العفو .  
روي أنهم تعاقبوا : إن أبدلنا الله خيراً منها لنصنعن كما صنع أبونا فأبدلهم الله من ليلتهم ما هو خيرٌ منها قالوا : إن الله أمر جبرئيل أن يقتلع تلك الجنة المحترقة فيجعلها بزعر من أرض الشام أي موضع قليل النبات و يأخذ من الشام جذّة فيجعل مكانها قال ابن مسعود : إن القوم لما تابوا وأخلصوا أبدلهم جنّة يقال لها الحيوان ، فيها غناب يحمل البغل منه عنقوداً . قال أبو خالد اليماني : دخلت تلك الجنة فرأيت كلّ عنقود منها كالرجل الأسود القائم .

[ كذلك العذاب ] جملة من مبتدئه وخبر مقدّم لإفادة القصر والألف واللام للعهد أي مثل الذي بلونا به أهل مكة من القحط وأصحاب الجنة كذلك أفعل بأمتك إذالم تعطف أغنياؤهم على فقرائهم بأن أمنعهم القطر وأرفع البركة من ذروعهم و تجارتهم وفيه وعيد لمناعي الزكاة بأيّ طريق كان .

[ و لعذاب الآخرة أكبر ] و أشدّ [ لو كانوا يعلمون ] أنه أشدّ وأكبر لاحترزوا عما يؤدّبهم .

ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم (٣٤) افنجعل المسلمين كالمجرمين (٣٥) ما لكم كيف تحكمون (٣٦) ام لكم كتاب فيه تدرسون (٣٧) ان لكم فيه لما تخيرون (٣٨) ام انكم ايمان علينا بالغة الي يوم القيمة ان لكم لما تحكمون (٣٩) سلهم ايهم بذلك زعيم (٤٠) ام لهم شركاء فليأتوا بشرائهم ان كانوا صادقين (٤١) يوم يكشف عن ساق و يدعون الي السجود فلا يستطيعون (٤٢) خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة و قد كانوا يدعون و هم سالمون (٤٣) فذرني و من يكذب بهذا الحديث سنستدر جهنم من حيث لا يعلمون (٤٤) و املئ لهم ان كيدي متين (٤٥) .

[ إن للمتقين ] من الكفر والمعاصي [ عند ربهم ] في الآخرة وذكر «عند» للتشريف و التكريم لأنّ كلّ شيء حقيقة و صورة له و ملكة فكانت لها حاضرة عنده و إلا فمحال

كون عندية الجنة بالنسبة إلى الله مكانية و عند لفظ موضوع للقرب فتارة يستعمل في المكان و تارة يستعمل في الاعتقاد مثل عندى الأمر كذا و تارة في المنزلة كقوله : «أحياء عند ربهم»<sup>(١)</sup> ، وعلى ذلك يقال : الملائكة المقربون .

[ جنات النعيم ] أي جنات ليس فيها إلا التمتع الخالص و استفيد الحصر من الإضافة اللامية الاختصاصية فانها تفيد اختصاص المضاف بالمضاف إليه .

[ أفنجدل المسلمين كالمجرمين ] كان صناديد قريش يرون و فور حظهم من الدنيا و قلة حظوظ المسلمين منها فإذا سمعوا بحديث الآخرة و ما وعد الله المسلمين قالوا : إن صحّ أننا نبعث كما يزعم محمد و من معه لم يكن حالنا و حالهم إلا مثل ما هي في الدنيا و أقصى أمرهم أن يساونا فردهم الله و الهمة للإنتكار أي أنحيف في الحكم فنجدل المؤمنين كالكافرين في حصول النجاة و الوصول إلى الدرجات ؟ و المراد من المجرمين الكافرون على ما دلّ عليه سبب النزول و إلا فالإجرام في الجملة لا ينافي الإسلام .

[ ما لكم كيف تحكمون ] تعجباً من حكمهم ، و ما استفهامية في موضع الرفع

بالابتداء و «لكم» خبرها و المعنى أي شيء ظهر لكم حتى حكمتم هذا الحكم ؟  
[ أم لكم ] أي بل ألكم [ كتاب ] نازل من السماء [ فيه ] متعلق بقوله : «تدرسون»  
[ تدرسون ] و تقرأون فيه [ أن ] لكم فيه لما تخيرون [ والمعنى ] تقرأون في الكتاب أن لكم ما تختارونه لانغلبكم و أن في ذلك الكتاب أن العاصي كالمطيع بل أرفع حالاً .

[ أم لكم إيمان علينا بالغة ] أي أضمننا أو أؤامننا بإيمان مغلظة فثبت لكم علينا عهد و مؤكدة بالأيمان [ إلى يوم القيامة ] ثابتة لكم إلى يوم القيامة لا نخرج عن عهدها و لانقطع ذلك العهد إلى يوم الحشر [ إن ] لكم لما تحكمون [ لأنفسكم من الخير و ما تطلبونه و تحكمون به حاصل لكم .

[ سلمهم أيهم ] بذلك زعيم [ تلوين الخطاب ] و توجيهه إلى النبي ﷺ بإسقاطهم عن رتبة الخطاب أي سلمهم مبيكناً بهم أيهم بذلك الحكم الغلط الخارج عن العقول قائم يتصدى بتصحيحه كما يقوم زعيم القوم بإصلاح أمورهم و يقيم الحجّة عليها و يتكفل بها .

[ أم لهم شركاء ] يشار كونهم في هذا القول و يذهبون مذهبهم [ فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين ] في دعواهم أي إذا كان ليس لهم دليل في هذا القول الغلط وهو التسوية بين المحسن و المسيء إذ لأقل من التقليد فليأتوا بمن يوافقهم من العقلاء على صحة هذا القول حتى يقلدوهم والأدلة من السمع والعقل قائمة بخلافه .

[ يوم يكشف عن ساق ] الظرف متعلق باذكر المقدّر و « عن ساق » قائم مقام الفاعل « ليكشف » و المراد يوم القيامة أو المعنى فليأتوا بشركائهم و بشهادتهم في ذلك اليوم الشديد الذي تظهر فيه الأحوال و كشف الساق مثل و كناية عن الشدة في الأمر .

قال عكرمة : سئل ابن عباس عن معنى قوله : « يوم يكشف عن ساق » فقال : إذا خفي عليكم شيء في القرآن فابتغوه في الشعرأما سمعت العرب تقول : « و قامت الحرب بنا على ساق » و يريدون شدة اليوم و الحرب و أصله أن الرجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج فيه إلى الجِدِّ يشمر عن ساقه فاستعير كشف الساق عن الشدة استعارة تمثيلية قال دريد بن الصمة :

كميش الإزار خارج نصف ساقه \* بعيد من الآفات طلاع أنجد  
[ ويدعون إلى السجود ] أي يقال للكفار والمنافقين : على وجه التوبيخ أسجدوا تعنيماً على تركهم السجود في الدنيا لا تكليفاً لأنه لا تكليف لهم ذلك في ذلك اليوم فلا يستطيعون ، و فيه دلالة على أنهم يقصدون السجود فلا يتأتى لهم ذلك عن ابن مسعود عن النبي ﷺ : تعقم أصلابهم أي ترد عظاماً بالامفاصل لا تنثنى عند الرفع والخفض فيبقون قياماً على حالهم وفي الحديث : و تبقى أصلابهم طبعاً واحداً أي فقارة واحدة كأن سفافيد الحديد في ظهورهم لا تنثنى .

[ خاشعة أبصارهم ] ذليلة لا يعرفون نظرهم عن الأرض ذلة و مهانة [ ترهتهم ذلة ] الرهق غشيان الشيء أي تغشاهم ذلة شديد بيان لخضوع أبصارهم [ و قد كانوا ] في الدنيا [ يدعون ] دعوة التكليف [ إلى السجود ] و المراد به الصلاة و خص السجود بالذكر من حيث إنه أعظم الطاعات و أن الدعوة إلى الصلاة دعوة إلى السجدة و من

أعظم الدعوة أذان المؤذنين فإن قولهم: حيّ على الصلاة حيّ على الفلاح.

[وهم سالمون] أي أصحابهم يمكنهم السجود فلم يفعلوا.

قال كعب الأحبار: ما نزلت هذه الآية إلا في الذين يتخلفون عن حكي العن الربيع بن خثيم أنه عرض له الفالج فكان بهاي بين رجلين إلى المسجد فقيل له: يا ابن بايزيد لو جلست فإن لك رخصة قال: من سمع حيّ على الفلاح فليجب ولو حبواً.

و في الآية وعيد لمن ترك الصلاة المعروضة حتى لو تخلف عن الجماعة المشروعة.

من غير عذر سيماً إذا سمع النادين أو كان في جوار المسجد، و جدّ الجوار على قوله بعض

العلماء: أن تكون بينه وبين المسجد مائة دار، وتعمير بيت الله الصلاة فيه. قال أبو الدرداء:

عن النبي ﷺ من أحب الأعمال إلى الله ثلاثة أمر بصدقة وخطوة إلى الصلاة جماعة

و إصلاح بين الناس. و حديث أمير المؤمنين عليه السلام أن أحرقوا عليهم بيوتهم صحيح السنن.

إذا كان ترك مستحباً هذا حكمه فكيف المخالطة مع الزنادقة.

قال مجاهد و قتادة وغيرهما: يؤذّن المؤذّن يوم القيامة فيسجد المؤمن و

تصلب ظهور الكافرين و المنافقين فيصير سجود المؤمنين حسرة على المنافقين و الكافرين.

[فذرني و من يكذب بهذا الحديث] أي كل أمرهم بالي وإذا كان حالهم

كذلك فدعني و من يكذب بالقرآن و توكل عليّ في الانتقام منهم و في الآية دليل

على حدوث القرآن و كل كلام يبلغ الإنسان من جهة السمع أو الوحي يقال له: حديث

[سنستدرجهم] استدرجه إليه درجة درجة باستحقاقهم و قبولهم الكفر أي سنستزئهم

إلى العذاب درجة فدرجة بالأحسان وإدامة الصحة و ازدياد النعمة [من حيث لا يعلمون]

أي الجهة التي لا يشعرون أنه الهلاك و في الحديث إذا رأيت الله ينعم على عبد وهو مقبم

على معصية فاعلم أنه مستدرج و تلا هذه الآية.

روي أن رجلاً من بني إسرائيل قال: يا رب كم أغصيك و كم أنت لا تعاقبني

فأوحى الله إلى نبيّ زمانه أن قل له: كم من عقوبة لي عليك و أنت لا تشعر كونها عقوبة

و إن جمود عينك و قساوة قلبك استدراج مني و عقوبة لو عقلت، قيل: من المقت

الإلهيّ بالعبد أن يرزق العلم و يحرم العمل به أو يرزق العمل و يحرم الإخلاص فيه



فمن علم اتصافه بهذا من نفسه فليعلم أنه ممقوت به .

[ و أملي لهم ] الإملاء الإمهال باطالة العمر و ازدياد النعمة [ إن كيدي ] أي أخذني بالعذاب [ متين ] قوي شديد لا يطاق ولا يدفع بشيء ، و الكيد ضرب من الاحتياج و قد يكون محموداً و مذموماً و إن كان يستعمل في المذموم أكثر و كذلك الاستدراج و المكر و هو من الخلق الحيلة السيئة و من الله التدبير بالحق لمجازاة أعمال الخلق .

١١ تسألهم اجرا فهم من مغرم مثقلون (٤٦) أم عندهم الغيب فهم يكتبون (٤٧) فاصبر لحكم ربك و لا تكن كصاحب الحوت اذ نادى و هو مكظوم (٥٨) لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء و هو مذموم (٥٩) فاجتباه ربه فجعله من الصالحين (٥٠) و ان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر و يقولون انه لمجنون (٥١) و ما هو الا ذكر للعالمين (٥٢) .

[ أم تسألهم أجراً ] على التبليغ [ فهم من مغرم مثقلون ] فلاجل ذلك من الغرامة المالية مكلفون حملاً ثقيلاً فيعرضون عنك [ أم عندهم الغيب ] و المغيبات [ فهم يكتبون ] منه ما يحكمون به من أباطيلهم .

[ فاصبر لحكم ربك ] في تأخير نصرته و إمهالهم [ و لا تكن ] في التفجر بعقوبة قومك [ كصاحب الحوت ] يونس عَلَيْهِ السَّلَام في استعجال عقاب قومه لا تخرج من بين قومك من قبل أن يأذن الله لك كما خرج هو [ إن نادى و هو مكظوم ] أي دعا ربه و هو في بطن الحوت محبوس عن التصرف و مملوء من الغم ، و كظم السقاء إزاملاء و شد رأسه و أمسك عليه والذي نادى به قوله : « لا إله إلا أنت سبحانك إنني كنت من الظالمين <sup>(١)</sup> » قوله : [ لولا أن تداركه ] و ناله و وصل إليه [ نعمته ] و رحمة كائنة [ من ربه ] و هو توفيقه سبحانه و تفضيله [ لنبذ ] و طرح من بطن الحوت [ بالعراء ] بالأرض الخالية من الأشجار و العراء مكان لاسترة به [ و هو مذموم ] مليم لكنته رحم فنبذ غير مذموم .

[ فاجتباه ربه ] و قرّبه بالتوبة عليه من ترك الأولى إذا صحّ هذا القول بأن ردّ

إليه الوحي وأرسله إلى مائة ألف أو يزيدون يقال : جبيت الماء في الحوض جمعته و الحوض الجامع له جابية و الاجتباء الجمع على طريق الاصطفاء و كان رسولا قبل احتباسه في بطن الحوت .

[ فجعله من الصالحين ] بأن عصمه من أن يفعل فعلا يكون تركه أولى قيل: إن هذه الآية بأحد حين هم رسول الله أن يدعو على المنهزمين فيكون الآية مدنية . و المعتزلة فسروا قوله : « فجعله من الصالحين » أنه سبحانه أخرج بصلاحه .

[ و إن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم ] إن مخففة و اللام دليلها ، أزلّ رجله أزلقها و لماً ظرفية أي إنهم من شدة عداوتهم لك ينظرون إليك شرّاً نظر الغضبان بمؤخر العين بحيث يكادون يزلّون قدمك فيرمونك وقت سماعهم القرآن [ لماً سمعوا الذكر ] و ذلك لاشتداد حسدهم مأخوذ المعنى من قولهم : نظر إليّ نظراً يكاد يصر عني أو أنهم يكادون يصيبونك بالعين و الجمهور على هذا القول .

روى أنه كان في بني أسد عيانون و العيان شديد الإصابة بالعين و كان الواحد منهم إذا أراد أن يعين شيئاً يتجوّع له ثلاثة أيام ثم يتعرّض له فيقول : رأيت ما أحسن من هذا فيتساقط ذلك الشيء و كان الرجل منهم ينظر إلى النافة السمينة أو البقرة السمينة ثم يعينها فتقول لجاريته : خذي المكمل والدرهم فأتينا بلحم من لحم هذه فمات برح حتى تقع فتخرّ فسأل الكفار من قريش من بعض من كانت له هذه الصفة أن يقول : في رسول الله هكذا فعصمه الله .

و في الأسرار المحمدية قيل : إن في هذه الآية خاصية لدفع العين تعليقا و غسلاً و شرباً و في الحديث : العين حقّ أي أثر هاني العين واقع ولما خاف يعقوب عليه السلام على أولاده من العين لأنهم كانوا أعطوا جمالاً و قوّة و كانوا و لدرجل واحد قال : « يا بني لا تدخلوا من باب واحد و ادخلوا من أبواب متفرقة <sup>(١)</sup> ، لتلاي صابوا بالعين .

و كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعوذ الحسن و الحسين فيقول : أعوذ بكلمات الله التامة

من كلّ شيطان وهامة ومن كلّ عين لامة و يقول : هكذا كان يعوذ إبراهيم إسماعيل وإسحاق .

و عن عبادة بن الصامت قال : دخلت على النبي ﷺ في أوّل النهار فرأيتّه شديد الوجع ثمّ عدت إليه آخر النهار فوجدته معافى فقال ﷺ : إنّ جبرئيل أتى ورقاني فقال : بسم الله أُرقيك من كلّ شرّ يؤذيك و من كلّ عين و حاسد يشفيك قال ﷺ : فأفقت وإنّما تكره الرقية إذا كانت بغير لسان العرب و الدعاء و لا يدري ما هو و لعده سحر أو كفر و أمّا إن كان من القرآن أو شيء من الدعوات فلا بأس به و لا تختصّ العين بالإنس بل تكون في الجنّ أيضاً حتّى قيل : إنّ عيونهم أنفذ من أسنة الرماح و عن أمّ سلمة إنّ النبي ﷺ رأى في بيتها جارية تشتكى و في وجهها صفرة فقال : استرقوا لها فإنّ بها النظرة و أراد بها العين أصابتها من الجنّ . و في الحديث لو كان شيء يسبق القدر لسبقه العين و قال ﷺ : إنّ العين لتدخل الرجل القبر و الجمل القدر .

قيل : و من الشفاء من العين أن يقال على ماء نظيف و يسقيه منه و يغسله هيبس عايس بشهاب قابس رددت العين من العين عليه إلى أحبّ الناس إليه فارجع البصر هل ترى من فطور الفاتحة و آية الكرسي و ستّ آيات الشفاء هي « و يشف صدور قوم مؤمنين <sup>(١)</sup> ، و شفاء لما في الصدور <sup>(٢)</sup> ، فيه شفاء للناس <sup>(٣)</sup> ، و نزل من القرآن ما هو شفاء و رحمة للمؤمنين <sup>(٤)</sup> ، و إذا مرضت فهو يشفين <sup>(٥)</sup> ، قل هو للذين آمنوا هدى و شفاء <sup>(٦)</sup> . انتهى

[ ويقولون إنه لمجنون ] لتنفير الناس عنه و جهلهم و عنادهم أنه ﷺ لمجنون أي هو مصاب الجنّ أو هو معلّم من جنّي كما قال الوليد بن المغيرة : يأتيه جنّي فيعلمه . ثمّ ردّ سبحانه قولهم فيه ﷺ فقال : [ وما هو إلا ذكر للعالمين ] على أنّه حال

(١) التوبة : ١٥ . (٢) يونس : ٥٧ .

(٣) النحل : ٦٩ . (٤) الاسراء : ٧٢ .

(٥) الشعراء : ٨٠ . (٦) حم السجدة : ٤٤ .

-٢٢٤- (الجزء التاسع والعشرون - سورة ن ٦٨ - آية ٤٦ - ٥٢) ج ١١

---

من فاعل «يقولون» مفيدة لبطلان قولهم أي و الحال أن القرآن ذكر للعالمين و تذكر  
و بيان للمجنّ والإنس :

إذا لم يكن للمرء عين صحيحة \* فلاغرو أن يرتاب والصبح مسفر

. و قيل : إن الضمير راجع إلى النبي و كونه ذكراً أو

شرفاً لا ريب فيه

تمت السورة بحمد الله



## سورة الحاقة

﴿مكية﴾

روى جابر الجعفي عن الباقر عليه السلام قال : أكثروا من قراءة الحاقة فإن فرائدها في الفرائض و النوافل من الإيمان بالله ورسوله ولم يسلب قارئها دينه حتى يلقى الله .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحاقة (١) ما الحاقة (٢) و ما ادراك ما الحاقة (٣) كذبت ثمود و عاد  
بالقارعة (٤) فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية (٥) واما عاد فاهلكوا بريح صرصر  
عاتية (٦) سخرها عليهم سبع ليال و ثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها  
صرعى كأنهم اعجاز نخل خاوية (٧) فهل ترى لهم من باقية (٨) و جاء فرعون  
و من قبله و المؤتفكات بالخاطئة (٩) فعصوا رسول ربهم فاخذهم أخذة  
راية (١٠).

[ الحاقّة ] هي عن أسماء القيامة من حقّ يحقّ إذا وجب و ثبت لأنّها يجب  
مجيبها [ ما الحاقّه ] الأصل ماهي أي شيء هي في حالها فوضع الظاهر موضع المضمّر  
تأكيداً لهولها كما يقال: زيدٌ ما زيدٌ على التعظيم لشأنه فقوله: « الحاقّة » مبتدء  
و ما مبتدء ثان و ما بعده خبره و الجملة خبرٌ للمبتدء الأوّل و المراد أنّ الحاقّة أمر  
بديع و خطب فظيع .

[ و ما أدراك ] من الدراية بمعنى العلم يقال: درى به أي علم به و أدراه أي أعلمه  
و المعنى وأي شيء أعلمك يا تجّ بها و بأهوالها لأنّه لا يكاد تبلغه دراية أحد ولا وهمه  
من شدّة عظمتها و أهوالها و جملة ما الحاقّة في موضع المفعول الثاني لأدراك و يمكن  
أن يكون <sup>عالمها</sup> <sup>بوقوعها</sup> <sup>ولكن لم يكن عالماً</sup> بكمال كفيّتها و يحتمل أن يقال  
له و إسماعاً لغيره .

[ كذّبت ثمود ] قوم صالح من الثمد و هو الماء القليل الذي لا مادة له [ و عاد ]  
قوم هود و تمنع ثمود و هي قبيلة [ بالقارعة ] من أسماء القيامة لأنّها تفرع و تضرب  
بفنون الأقرع و الأهوال و تصيبهم كأنّهم تفرعهم و السماء بالانشقاق والانفطار و الأرض  
و الجبال بالدكّ و النسف و النجوم بالطمس والانكدار و يقال: قارعة الدهر أي شدّتها .

[فَأَمَّا ثَمُودُ] كانوا عرباً منازلهم بالحجر بين الشام و الحجاز [فأهلكوا] لتكذيبهم [ بالطاغية ] بالصيحة التي جاوزت عن حدّ سائر الصيحات فرجفت منها الأرض و تصدّعت القلوب .

[ و أمّا عاد ] و كانت منازلهم بالأحقاف و هي الرمل بين عمان إلى حضرموت و اليمن و كانوا عرباً أيضاً ذوي بسطة في الخلقة و كان أطولهم مائة ذراع و أقصرهم ستين و أوسطهم ما بين ذلك و كان رأس الرجل منهم كالقبة يفرخ في عينيه و منخره السباع [ فأهلكوا بريح صرصر ] شديدة الصوت في هبوبها أو شديدة البرد تحرق بيردها النبات و الحرث [ عاتية ] مجاوزة الحد لشدة العصف و الرياح مسخرة ليكائيل تهب بأذنه و تنقطع بأذنه .

[ سخّرها عليهم ] التسخير سوق الشيء إلى الغرض المختصّ به قهراً فسلب الله تلك الريح الموصوفة عليهم و في الكلام بيان لدفع ما يتوهم من كون هذه الواقعة باتّصالات فلكيّة مع أنّه لو كان كذلك لكان بتسببيه أيضاً [ سبع ليال ] منصوب على الظرفيّة و أنّت العدد لكون الليالي جمع ليلة يقال : ليل و ليلة و لا يقال : يوم و يومه و تجمع الليل على الليالي بزيادة التاء على غير القياس فتحذف تاؤها حالة التنكير بالإعلال إلّا حالة النصب نحو « سيروا فيها ليالي و أياماً آمنين <sup>(١)</sup> » لأنّه غير منصرف و الفتح خفيف .

[ و ثمانية أيام ] ذكّر العدد لكون الأيام جمع يوم و هو مذكّر [ حسوماً ] جمع حاسم مثل شهود جمع شاهد بمعنى حاسمات حال من مفعول « سخّرها » أي حالكون الريح متتابعات حتّى أهلكتهم تمثيلاً بتتابع فعل الحاسم في إعادة الكي على داء الدابة مرّة بعد أخرى حتّى ينقطع و ينحسم الدم أي تلك الرياح المتتابعة حسمت و استأصلت دابرهن و من ذلك يسمّي السيف حساماً لأنّه يقطع و يحسم العدو .

و هي كانت أيام برد العجوز من صبيحة الأربعاء لثمان بقين من شوّال أو آخر الأربعاء من شهر صفر إلى غروب الأربعاء الآخر و عن ابن عباس يرفعه : آخر الأربعاء في

الشهر يوم نحس مستمرّ وسميت عجوزاً لأنّ عجوزاً توارت في سرب فانقر عتها الريح في اليوم الآخر فأهلكتها و قيل : هي أيام الفجر وهي آخر الشتاء .

و في روضة الأخبار: رغبت عجوز إلى أولادها أن يزوّجوها وكان لها سبعة بنين فقالوا : إلى أن تصبري على البرد عارية لكلّ واحد منّا ليلة ففعلت فلما كانت في السابعة ماتت فسميت تلك الأيام أيام العجوز وأسماء هذه الأيام : الصنّ بالكسر أوّل أيام العجوز، والصنبر وهي الريح الباردة وهو الثاني، والوير وهو الثالث، والمنعلل كمحدث وهو الرابع، ومطفىء الجمر وهو الخامس أو مكفىء الطعن أي مميلها وهو جمع ضعينة وهو الهودج، والأمر وهو السادس، والمؤتمر وهو السابع . والتاريخ يكون بالليالي دون الأيام ولذلك لم يذكر الثامن .

[ فترى القوم ] أي قوم عاد [ فيها ] في محالّ هبوب تلك الريح أو في تلك الليالي و الأيام [صرعى] موتى جمع صريع مثل قتلى و قتل ساقط على الأرض [كأنهم أعجاز نخل خاوية] مشبهين بأصول نخل خاوية أي خالية مجوّفة لأنّ أبدانهم خلت من أرواحهم و كانت الريح يدخل في أفواههم فيخرج ما في أجوافهم من أدبارهم كالنخل الخالية المجوّفه .

[ فهل ترى لهم من باقية ] و الباقية اسم كالبقيّة لا وصف و التاء للنقل إلى الاسميّة و من زائدة أي ما ترى منهم بقيّة من صغارهم و كبارهم غير المؤمنين و يجوز أن يكون صفة موصوف محذوف بمعنى نفس باقية أو مصدر بمعنى البقاء كالكاذبة و الطاغية .

[ و جاء فرعون و من قبله ] و تقدّمه من الكفرة و قرأ أبو عمرو و الكسائيّ و من قبله بكسر القاف و فتح الباء بمعنى و من معه من القبط [ و المؤتفكات ] القميّ المؤتفكات البصرة و الخاطئة فلانة . أي قرى قوم لوط فهي المنقلبات بالخسف و هي خمس قريات صبعه و سعده و عمره و دوما و سدوم [ بالخاطئة ] بالأفعال ذات الخطاء العظيم التي من جملتها تكذيب البعث و ذلك الفعل الرجس .

[ فعصوا رسول ربّهم ] أي فعصى كلّ أمة من المذكورين رسل ربّهم والرسول



بمعنى الجمع لأنّ فِعول يستوي فيه المذكّر و المؤنث و الواحد و الجمع [ فأخذهم ] الله بالعقوبة [ أخذة رابية ] زائدة في الشدّة على عقوبات سائر الكفّار لمازادت معاصيهم في القبح .

**انا لماطغا الماء حملناكم فى الجارية (١١) لنجعلها لكم تذكرة وتعيها اذن واعية (١٢).**

[ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ ] المعبود وقت الطوفان و جاوز حدّه المعتاد حتّى ارتفع على كلّ شيء حتّى الجبال الشامخة فانتم الله منهم بالإغراق [ حملناكم ] أي حملنا آباءكم و أنتم في أصلابهم فكأنّكم محمولون بأشخاصكم و إنّ نجات آباءهم سبب ولادتهم [ في الجارية ] في السفينة لأنّ من شأنها أن تجري على الماء .

[ لنجعلها ] أي فعلة النجاة للمؤمنين و إغراق الكافرين [ لكم تذكرة ] و عبرة لكمال قدرة الله و قوّة قهره على العصيّ المتمرّدين .

[ و تعيها اذن واعية ] وتحفظ هذه التذكرة اذن من شأنها أن تحفظ ما يجب و ينبغي حفظه و الأفراد في الأذن حيث لم يقل الآذان الواعية لعلّ للإشعار على قلّتها قيل : الأذن الواحدة إذا وعت و عقلت عن الله فهي السواد الأعظم عند الله و إنّ ما سواها لا يبالي بهم و إنّ ملاموا الخافقين .

و عن النبي ﷺ عند نزول هذه الآية أنّه ﷺ قال : لعليّ ﷺ سألت الله أن يجعلها أذنك يا عليّ قال عليّ ﷺ : فما نسيت بعد ذلك شيئاً و ما كان لي أن أنسى فصار ﷺ حافظاً للأسرار الإلهيّة و قد قال ﷺ : ولدت على الفطرة و سبقت إلى الإيمان و الهجرة و في رواية أخذ بأذن عليّ بن أبيطالب ﷺ و قال : هي هذه و قد صحّ هذا الحديث عند الفريقين و رووها .

**فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة (١٣) و حملت الارض و الجبال فدكتا دكة واحدة (١٤) فيومئذ وقعت الواقعة (١٥) و انشقت السماء فهي يومئذ واهية (١٦) و الملك على ارجائها و تحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية (١٧) يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية (١٨) فاما من اوتى كتابه**

بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه (١٩) انى ملاق حسابيه (٢٠) فهو فى عيشة راضية (٢١) فى جنة عالية (٢٢) قطوفها دانية (٢٣) كلوا واشربوا هنيئاً بما اسلفتم فى الايام الخالية (٢٤) .

[فإنّ الانفخ في الصور] النفخ إرسال الريح من الفم والصور قرن من نور أوسع من السماوات ينفخ فيه إسرافيل فيحدث صوت عظيم فإنّ ذاسمع الناس ذلك الصوت يصيحون ثم يموتون و المصدر المبهم يكون طجراً دالتاً كيد و المراد النفخة الأولى و إن كانت النفختان فالمعنى أنّها لا تثنى في وقتها و ذكر الواحدة للتأكيد مثل نفخة واحدة .

[ و تحملت الأرض و الجبال ] أي قلعت و رفعت من أما كنها بتوسط الزلزلة و الريح العاصفة فإنّ الريح في قوّة عصفها تحمل الأرض و الجبال كما حملت قوم عاد [ فدكتاد كة واحدة ] أي ضربت جملة الأرضين و جملة الجبال بعضها ببعض ضربة واحدة بلا احتياج إلى تكرار الضرب و تثنية الدقّ والدكّ أبلغ من الدقود كة إذا ضربه و كسره حتى سواه بالأرض فتصير كتيباً مهيبلاً .

[ فيومئذ وقعت الواقعة ] أي فحينئذ وقعت القيامة و الواقعة من أسماء القيامة بالغلبة لتحقق وقوعها .

[ و انشقت السماء فهي يومئذ واهية ] و انفرجت السماء لأمر عظيم أرادّه الله أو بسبب شدة ذلك اليوم « فهي » أي السماء « يومئذ » ظرف لقوله : « واهية » ضعيفة ساقطة القوة بعدما كانت محكمة أي انشقت و انحرقت و استرخت .

[ و الملك ] أي الخلق المعروف بالملك [ على أرجائها ] أي على جوانب السماء جمع رجاء بالفصر أي بعد انشقاق السماء التي هي مساكن الملك يلجؤون إلى أكنافها و حافاتهما وقوفهم على حافاتهما لحظة وموتهم بعدها فإنّ الملائكة يموتون عند النفخة الأولى و يمكن أن يكون هم المستثنون بقوله : « إلا من شاء الله » أن يموتوا في هذا الوقت المخصوص .

[ و يحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ] العرش جسم عظيم لا يعلم عظمته إلا الله و إنّه في الآفاق بمنزلة القلب في الأنفس وهو معنى الحديث: قلب المؤمن عرش الرحمن

و ظاهر الآية في ذكر العرش عقيب ما تقدم أن العرش بحاله خلاف السماء و الأرض « فوقهم » أي فوق الملائكة أو فوق الثمانية أي يحملون العرش « يومئذ » يوم القيامة ثمانية من الملائكة قال النبي ﷺ : هم اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة أيدهم الله بأربعة أخرى وقيل : المراد بالثمانية الثمانية آلاف وقيل : ثمانية صفوف لا يعلم عددهم إلا الله .

[ يومئذ ] متعلق بقوله : [ تعرضون ] على الله أي تسألون و تحاسبون عبس عنه بذلك تشبيهاً له بعرض السلطان العسكر ليعرف أحوالهم .

روي أن في يوم القيامة ثلاث عرضات عرضتان اعتذار و احتجاج و هويخ و أمّا الثالثة ففيها تنشر الكتب فيأخذ الفائز كتابه بيمينه و الهالك بشماله و هذا العرض وإن كان بعد النفخة الثانية لكن لما كان اليوم اسماً لزمان متسع يقع فيه النفخات و الصعقة و النشور و الحساب صحّ جعله ظرفاً للكلمة كما تقول : جئت عام كذا و إنما كان المجيء في وقت واحد من أوقاته و ذهب و المشبهة الضالّة من حمل العرش و العرض إلى كونه تعالى محمولاً في العرش لكنّه هذا المعنى كفر و غلط بل تمثيل لعظمة الله و المراد في هذه الآية و من إتيانه في ظلل من الغمام إتيان أمره سبحانه و قضائه و بالجملة يا معاشر المكلفين يوم القيامة يوم العرض لأعمالكم .

[ لا تخفى منكم خافية ] أي فعلة خافية أو نفس خافية و قيل : الخافية مصدر كالعاقبة أي خافية أحد لا تخفى و هو كقوله : « يوم تبلى السرائر <sup>(١)</sup> » فيظهر أحوال المؤمنين فيتكامل سرورهم و أحوال غيرهم فيحصل الحزن و الفضيحة .

[ فأما من أوتي كتابه ] أي مكتوبه الذي كتبه الحفظة [ بيمينه ] تعظيماً له لأنّ اليمين يتبرك بها و الباء بمعنى في أو للإلصاق و المراد الأبرار فإنّ المقرّبين لا لا كتاب لهم لمكانتهم من الله [ فيقول ] فرحاً و سروراً و ليظهر ذلك لغيره : [ هاؤم اقرءوا كتابيه ] أي هلّموا و خذوا كتابي و اقرءوه و هاء اسم فعل معناه خذ يقال : هاء يا رجل - بفتح الهمزة - و هاء - بكسرهما - يا امرءة و هاؤما يا رجلان أو يا امرءتان و هاؤم يا رجل

وهاؤنّ يا نسوة بمعنى خذ خذاخذوا خذي خذا خذن ومفعوله محذوف و كتابي مفعول  
أقرءوا لأنّه أقرب العاملين فهو أقوى و الهاء هاء الاستراحة لنظم الآي وهذه الهاء لا  
تكون إلا ساكنة و تسمى هاء السكت و هي في سبعة مواضع في القرآن في لم يتسنّه  
و في بهداهم اقتده و في كتابيه و في حسابيه و في ماليه و في سلطانيه و في ماهيه وأمّا  
الهاء التي في القاضية و الهاوية و في خاوية و ثمانية و عالية و أمثالها للتأنيث فيوقف  
عليهنّ بالهاء و يوصلن بالتاء .

[ إنّي ظننت أنّي ملاق حسابيه ] أي علمت و أيقنت أنّي مصادف حسابي في  
ديوان الحساب الإلهيّ و أحاسب عليه و إنّما فسّر الظنّ بالعلم لأنّ البعث و الحساب  
مما يتيقن المؤمن بهما و لا إحسان بدون اليقين و يمكن أن يكون المراد أنّي ظننت  
أنّي ملاق حسابي على الشدّة و المناقشة لما سلف منّي من الهفوات و الآن أزال الله  
عنيّ ذلك .

قال في الكشف : و إنّما أجرى الظنّ مجرى العلم لأنّ الظنّ الغالب يقام مقام  
العلم في العبادات و الأحكام ثمّ إنّ الظنّ استعمل بمعنى العلم في مواضع من القرآن  
كما في قوله تعالى حكاية : « قال الذين يظنون أنّهم ملاقوا الله (١) ، و هم المؤمنون  
بالآخرة و في قوله : « و ظنّ داود إنّما فتناه (٢) ، أي علم .

[ فهو في عيشة راضية ] أي من أوتي كتابه بيمينه في نوع من العيش و إن كسر  
العين من العيش يلزمه التاء و العيش الحياة المختصّة بالحيوان « راضية » ذات رضى  
يرضاها من يعيش فيها أو بمعنى مرضية « كماء دافق » أي مدفوق .

[ في جنّة عالية ] مرتفعة المكان لأنّها في السماء كما أنّ النار سافلة لأنّها تحت  
الأرض [ قطوفها دانية ] جمع قطف وهو ما يقطف و يجتنى بسرعة و القطف بالفتح مصدر  
و القطف بالكسر العنقود دانية أي قريبة من مرديها ينالها القائم و القاعد و المضطجع  
من غير تعب و نعيم الجنّة تابع لإرادة المتنعّم به .

(١) البقرة : ٤٤ .

(٢) ص : ٢٤ .

[ كلوا و اشربوا ] أمر باحة يقال لهم : كلوا و اشربوا من طعام الجنة و شربها [ هنيئاً ] سائغاً لا تنغيص فيه في الحلقوم و جعل الهناً صفة للأكل و الشرب لأنّ المصدر يتناول المثنى و منه اليهناء في اللحم المطبوخ و يستعمله الناس بالخاء المعجمة بدل الهاء من هنيئناً و يهني هناة أي صار سائغاً [ بما أسلفتم ] بمقابلة ما قدّمتم من الأعمال الصالحة [ في الأيام الخالية ] الماضية في الدنيا و قيل : المراد أيام الصيام أي تدلّ ما أمسكتكم عن الأكل و الشرب لوجه الله و هذا المعنى أنسب لأنّ الجزاء لا بدّ وأن يكون من جنس العمل .

[ و أمّا من أوّتي كتابه بشماله ] تحقيراً له لأنّ الشمال يتشأم بها [ فيقول يا ليتني لم أوّت ] أي لم أعط هذا المكتوب الذي جمع جميع سيئاتي [ ولم أدر ما حسابيه ] من الدراية بمعنى العلم لما شاهد من سوء الجزاء .

[ ياليتها كانت القاضية ] تكرير للتمني و تجديد للتحسّر أي ياليت الموتة التي ذقتها كانت قاطعة لا مري ولم أبعث بعدها و كانت دائمة عليّ الموتة و الموتة وإن لم يكن مذكورة إلا أنّها في حكم المذكور بدلالة المقام و لمّا كانت تلك الحالة عليه أمر من الموت فتمنّاها عندها قال الشاعر :

و شرّ من الموت الذي إن لقيته \* تمنيت منه الموت والموت أعظم

[ ما أغنى عنّي ماليه ] و لم يدفع عنّي شيئاً من العذاب الذي كان لي في الدنيا من المال و هذا المعنى على كون ما نافية و المفعول محذوفاً و على كون ما موصولة فاللام جارة داخله على ياء المتكلم، و يمكن أن تكون للاستفهام على سبيل الإنكار أي شيء أغنى عنّي ما كان لي في الدنيا من اليسار ؟

[ هلك عنّي سلطانيه ] السلاطة التمكّن من القهر أي هلك و فنى سلطاني و ملكي و بقيت ذليلاً و ضلّت عنّي حجّتي كما قال ابن عباس : لأنّ الحجّة سلطة و استعملت في السلطة .

[ خذوه فغلّوه ] حكاية لما يقوله الله يومئذ للزبانية أي خذوا هذا العاصي المتمرد لربّه و اجمعوا يديه إلى عنقه بالقيد و الحديد و الغلّ بالضم الطوق من حديد الجامع

اليد الى العنق المانع عن تحريك الرأس [ ثم الجحيم صلّوه ] دلّ التقديم على التخصيص أي لا تدخلوه إلا الجحيم وهي النار العظمى .

[ ثم في سلسلة ] من نار وهي حلق منتظمة و الجار متعلق بقوله : « فاسلكوه » [ زرعتها ] مبتدأ خبره [ سبعون ] أي طول السلسلة [ ذراعاً ] تميز [ فاسلكوه ] السلك هو الإدخال في الطريق و الخيط و القيد و تقديم السلسلة على السلك كالتقديم الجحيم على التصليّة و الملازمة بالنار و جعل السلسلة سبعين ذراعاً إرادة الوصف بطول السلسلة لأنّ هذا العدد معروف و مستعمل في الكثرة كما قال سبحانه : « إن تستغفر لهم سبعين مرة (١) » يزيد مرات كثير لا خصوص السبعين من العدد .

و قال بعض أهل التحقيق : و لأمّنع من الحمل على ظاهره من العدد و المراد من الذراع ذراع الملك و ذراع الملك سبعون ذراعاً و مساحة باع الملك كلّ باع ما بين الكوفة إلى مكة . قال كعب : لو جمع حديد الدنيا ما وزن حلقة منها ولو وضعت حلقة من تلك السلسلة على جبل لذاب مثل الرصاص ، تدخل السلسلة في فيه و تخرج من دبره و يلوى فضلها على عنقه و جسده و يقرب بها بينه و بين شيطانه و حينئذ يشمل الآية الكافر لأنّ جسده يكون في العظم مسيرة ثلاثة أيام و ضره مثل جبل أحد على ما جاء في الحديث و عن النبي ﷺ لو أن روضة مثل هذه - وأشار إلى صخرة مثل الجمجمة - سقطت من السماء إلى الأرض وهي خمسمائة عام لبلعت الأرض قبل الليل و لو أنّها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفاً الليل و النهار قبل أن تبلغ أصلها و قعرها و اللام في السلسلة في هذا الحديث للعهد إشارة إلى السلسلة التي ذكرها الله في قوله : « ثم في سلسلة » .

حكى أنّ شاباً حضر صلاة الفجر من الجماعة خلف واحد من المشايخ فقراء الشيخ سورة الحاقة فلما بلغ إلى قوله : « خذوه فغلّوه ثم الجحيم صلّوه » صاح الشاب و سقط و غشي عليه فلما أتمّ الشيخ صلاته قال : من هذا؟ قالوا : شاب صالح خائف من الله وله والدنة عجوز ليس لها غيره قال الشيخ : ارفعوه و احملوه حتّى نذهب به إلى أمّه ففعلوا فلما

رأت أمّه فزعت و أقبلت و قالت : ما فعلتم بولدي؟ قالوا: ما فعلنا به شيئاً إلاّ أنّه حضر الجماعة و سمع آية مخوّفة من القرآن فلم يطق سماعها فقالت : آية آية هي؟ فاقروها حتّى أسمع، فقرأها الشيخ فلما وصلت الآية إلى سمع الشابّ شهق شهقة أخرى خرجت معها روحه فلما رأته الأمّ ذلك و سمعت الآية خرّت ميتة فهكذا تفعل المواظ في القلوب الواعية .

[ إنّهُ كان لا يؤمن بالله العظيم ] كأنّه قيل : ماله يعدّ به هذا العذاب الشديد؟ فأجيب : بهذا السبب عدّ بهذا العذاب [ ولا يحضّ على طعام المسكين ] الحضّ الحثّ على الفعل و أصله من الحثّ على الحضيض و الحضيض قرار الأرض والمعنى لا يحثّ أهله و غيرهم على إعطاء طعام يطعم به الفقير فضلاً عن أن يعطي من ماله و ذكر الحضّ دون الفعل ليعلم أن تارك الحضّ بهذه المنزلة فيكون ترك الفعل أشدّ عقوبة و جعل سبحانه حرمان المسكين قريبة للكفر حيث عطفه عليه و لذلك قال صلى الله عليه وآله : البخل كفر و الكافر في النار و تخصيص الأمرين بالذكر لما أن أفبح العقائد الكفر و أشنع الرذائل البخل و عن أبي الدرداء أنّه كان يحضّ امرأته على تكثير المرق لأجل المساكين و كان يقول : جعلنا نصف السلسلة بالإيمان أفلا نخلع نصفها الآخر إلاّ طعام و الحضّ عليه .

[ فليس له اليوم ] و هو يوم القيامة [ ههنا ] أي في هذا المكان و هو مكان الأخذ الغلّ [ حميم ] أي قريب نسباً أو و داداً و هذا الكلام من بقية ما يقال للزبانية حسّاً لهم على بطشه [ ولا طعام إلاّ من غسلين ] أي ولا طعام إلاّ من غسله أهل النار و ما يسيل من أبدانهم من الصديد و القيح و الدم بعصر قوّة الحرارة النارية روي أنّه لو وقعت قطرة منه على الأرض لأفسدت على الناس معاشهم و وجه التلفيق بين هذه الآية و بين قوله : « ليس لهم طعامهم إلاّ من ضريع » أنّ للنار دركات و لكلّ دركة نوع طعام و الشراب ، و قيل : الغسلين شجر في النار أخبث طعامهم .

[ لا يأكله إلاّ الخاطئون ] أصحاب الخطايا أو الخاطئون طريق التوحيد و الخاطيء هو الذي يفعل ضدّ الصواب متعمداً و المخطيء هو الذي يفعله غير متعمد أي يريد الصواب فيصير إلى غيره .

[ فلا أقسم ] أي فأقسم على أن «لا» مزيدة للتأكيد أو المعنى نفى الإقسام لظهور الأمر واستغنائاه عن التحقيق بالقسم وقيل : هو جملتان والتقدير وما قال المكذّبون فلا يصحّ لأنّه قول باطل ثمّ قال : أقسم [ بما تبصرون وما لا تبصرون ] قسم عظيم لأنّه قسم بالأشياء كلّها على سبيل الشمول والإحاطة لأنّها لا تخرج عن قسمين مبصر وغير مبصر فالمبصر المشاهدات وغير المبصر المغيبات فدخل فيهما الدنيا والآخرة والأجسام والأرواح والإنس والجنّ والخلق والخالق والنعيم الظاهرة والباطنة ممّا يكون لا ثقباً بأن يكون مقسماً به إذ من الأشياء ما لا يكون لا ثقباً بأن يكون مقسماً به وقيل : إنّ المراد بما أظهره للخلق والملائكة والقلم واللوح وما اختزن في علمه ولم يجر القلم به ولم يشعر أحده من الملائكة وما أبدى لهم من علمه في جنب ما اختزنه في علمه عنهم إلا كذرة في جنب الدنيا والآخرة ولو أظهر الله ما اختزن لذاب الخلائق عن آخرهم فضلاً عن جملة .

[ إنّه ] أي القرآن [ لقول رسول كريم ] على الله و قوله قول الحقّ وأضاف القول إليه لأنّه لما قال : « قول رسول » اقتضى مرسلأ وما يقرؤه ليس من كلامه بل هو مبلغ ذلك الكلام وهو قول مرسلأ فالإضافة إلى الرسول من حيث التبليغ إذ الرسول شأنه التبليغ لا الاختراع وقيل : معنى الرسول الكريم المراد جبرئيل أي هو قول جبرئيل الرسول الكريم والنسبة والإضافة إليه من حيث إنّه أنزله من السماوات إلى الأرض وأملاءه على خاتم النبيّين فجبرئيل أيضاً منزل ومبلغ لأنّه قوله والقول الأوّل أنسب في المقام ويدلّ عليه مقابلة رسول بشاعر وكاهن لأنهم كانوا يقولون للنبيّ : شاعر وكاهن ولم يقولوا لجبرئيل : شاعر وكاهن .

[ وما هو بقول شاعر ] كما تزعمون تارة [ قليلاً ما تؤمنون ] أي إنّ القليل منكم تؤمنون أو إيماناً قليلاً تؤمنون بالقرآن والرسول ، أو المراد بالقلة النفي أي لا تؤمنون أصلاً كقولك لمن لا يزورك : قلمنا تأتينا وأنت لا تأتينا أصلاً .

[ ولا بقول كاهن ] أي القرآن ليس بقول الكاهن كما يزعمون والكاهن هو الذي يخبر عن الكوائن من مستقبل الزمان أو الذي يزعم أن له خدماً من الجنّ يأتونه



بضرب من الأخبار وقد انقطعت الكهانة بعد نبينا لأن الجن منعوا من الاستماع .  
 وقال الراغب في المفردات : الكاهن الذي يخبر بالأخبار الماضية الخفية بضرب  
 من الظن كالعراف الذي يخبر بالأخبار المستقبلية بالظن ولكون هذه الصناعتين مبنيتين  
 على الظن الذي يخطيء ويصيب قال عنه : من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما قال :  
 فقد كفر بما أنزل الله على محمد وفي شرح المشارق : العراف من يخبر بما أخفى من  
 المسروق والضالّة والكاهن من يخبر بما يكون في المستقبل وفي الصحاح : العراف الكاهن .  
 [ قليلاً ما تذكرون ] أي تذكر أقل قليلاً أو زماناً قليلاً تذكرون والمراد لا تذكرون  
 أو المتذكر منكم قليل والنسبة التي نسبوا إلى النبي صلى الله عليه وآله من الشعر والكهانة  
 ناشئة من عدم شعورهم وقصورهم لأن معاني ما يلقيه صلى الله عليه وآله منافية لمعاني أقوال الكهنة  
 فإنهم لا يدعون الناس إلى تهذيب الأخلاق والأعمال المتعلقة بالمعاد والمبدء بل الكاهن  
 ينصب نفسه للدلالة على بعض الصوائع وبعض الأخبار بالمغيبات حدثاً يصدق فيها تارة  
 ويكذب كثيراً ويأخذ جعلاً على ذلك فلو تذكر وتعقل أهل مكة معاني القرآن  
 ومعاني أقوال الكهنة لما قالوا بأنه كاهن .

[ تنزيل من رب العالمين ] أي القرآن منزل من الله نزل على لسان جبرئيل تربية  
 وتبشيراً للسعداء وإنذاراً للأشقياء وعبّر سبحانه عن المفعول بالمصدر مبالغة .  
 [ و لو تقول علينا بعض الأقاويل ] أي لو ادعى محمد علينا شيئاً لم نقله كما  
 تزعمون والتقول افتعال القول واختراعه [ لأخذنا منه باليمين ] أي بيمينه وسلبنا منه  
 القوة على التكلم بذلك وقيل ، المعنى منعناه بقوتنا وقدرتنا فيكون المعنى من قبيل  
 ذكر المحل وإرادة الحال و ذكر الملزوم وإرادة اللزوم .

[ ثم قطعنا منه الوتين ] أي أهلكناه وقطعنا نياط قلبه والنياط عرق أبيض غليظ  
 كالقصبه علق به القلب إذا انقطع مات صاحبه وفي الآية بيان لإهلاكه بأفطع ما يكون .  
 [ فما منكم من أحد عنه حاجزين ] أي ما من أحد أيها الناس يقدر على منع  
 إهلاكه وحاصل المعنى أنه لو قال من عند نفسه شيئاً أوزاد أو نقص على ما أوحى  
 إليه لعاقبه الله وهو أكرم الناس .

[ و إنّه ] أي القرآن [ لتذكرة ] موعظة [ للمتقين ] من الشرك و حبّ الدنيا بخلاف المشرك و من مال إلى الدنيا فإنّه يكذب به ولا ينتفع منه [ و إنّنا لنعلم أنّ منكم مكذبين ] منكم أيها الناس مكذبين بالقرآن فنجازيهم على تكذيبهم .  
[ و إنّه ] أي القرآن [ لحسرة ] وندامة يوم القيامة [ على الكافرين ] عند مشاهدتهم لثواب المؤمنين المصدقين بالقرآن .

[ إنّه لحقّ اليقين ] أي القرآن هو الحقّ و اليقين صفتان بمعنى واحد أضيف أحدهما إلى الآخر إضافة الشيء إلى نفسه مثل «حبّ الصيد» للتأكيد فإنّ الحقّ هو الثابت الذي لا يتطرق إليه الريب و كذا اليقين فالتجليات في المعلومات ثلاثة : تجلّي علمي و تجلّي عيني و تجلّي حقيّ فاليقينيّ هو العلم الحاصل بالإدراك من النظر و الاستدلال بحيث يحصل به اطمينان و يزول الارتباب منه و هو المعبر عنه بعلم اليقين و مرتبة عين اليقين أعلى من المرتبة الأولى لأنّ أهل الطبقة الأولى يمكن أن يقع لهم خطرات بخلاف أهل عين اليقين فإنّهم أهل إرشاد و النبوة و أهل حقّ اليقين مرتبة أكمل من المرتبة الثانية بحيث أوراوا ما كان غائباً لا يزداد في يقينهم يقين وهذه مرتبة الأكملين من الأنبياء والأولياء كما قال عليّ عليه السلام : لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً مثاله فالأول كعلم الكعبة علماً ضرورياً من غير رؤية والثاني مثل رؤيتها من بعيد والثالث كدخولها فافهم .  
[ فسبّح بسم ربك العظيم ] أي فسبّح الله بذكر اسمه العظيم بأن تقول : سبحان الله تنزيهاً عن الرضى بالتقول عليه فمفعول سبّح محذوف و الباء في « باسم ربك » للاستعانة كما في ضربته بالسوط .

روي أنّه لما نزلت الآية قال رسول الله : اجعلوها في ركوعكم و معنى هذا التسبيح

تنزيهه تعالى عن شوب الغير و التشريك و تجريد غيره عن الاستحقاق لهذا

الاسم الأعظم الحاوي للأسماء و لكن لا يظهر في قلبك و شهودك أيها

المسبّح تلوين من النفس أو القلب و التوجه لغيره تعالى فتكون

مشبهها لامسبّحاً لا ومشر كاً لا مخلصاً موحداً

تمت السورة بعون الله

## سورة المعارج

مكيّة إلا قوله : « و الذين في أموالهم حق معلوم » مدنيّة .  
و عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : من أدمن قراءة سورة سأل سائل لم يسأله الله يوم  
القيامة عن ذنب عمله و أسكنه جنّته مع محمد صلى الله عليه و آله و سلم .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سأل سائل بعذاب واقع (١) للكافرين ليس له دافع (٢) من الله ذى المعارج (٣) يعرج الملائكة و الروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة (٤) فاصبر صبراً جميلاً (٥) انهم يرونه بعيداً (٦) و نراه قريباً (٧) يوم تكون السماء كالمهل (٨) و تكون الجبال كالعهن (٩) و لا يسأل حميم حميماً (١٠) .

السؤال بمعنى الدعاء و الطلب و اختلف أن هذا السائل من هو قيل : الفائل هو الذي قال : « اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك (١) ، الآية ، هو النضر بن الحارث العبدي » (٢) فالمعنى دعا داع على نفسه بعذاب واقع مستعجلاً له وقيل : معنى الآية سأل بعض المشركين من النبي فقالوا : لمن هذا العذاب الذي تذكر ؟ جوابه بأنه [ للكافرين ] ليس له [ دافع ] وقيل : معناه دعا داع بعذاب على الكافرين وذلك الداعي هو النبي فحينئذ الباء زائدة للتأكيد كما فى قوله : « وهزى إليك بجزع النخلة » و قرئ « سال سائل بعذاب واقع » على قراءة الألف من سال يسيل سيلاً و التقدير سال يسيل سائل بعذاب واقع .

وأخبرنا (٣) السيد أبو الحمد قال : حدثنا الحاكم أبو القاسم الحسكاني قال : حدثنا أبو عبد الله الشيرازي قال ، حدثنا أبو بكر الجرجاني قال : حدثنا أبو أحمد البصري قال : حدثنا محمد بن سهل قال : حدثنا زيد بن أبي إسماعيل مولى الأنصار قال : حدثنا محمد بن أيوب الواسطي قال حدثنا سفيان بن عيينة عن جعفر بن محمد الصادق عن آبائه قال : لما نصب رسول الله ﷺ علياً يوم غدیر خم و قال : من كنت مولاه فعلي

(١) الانفال : ٨ . (٢) منسوب الى عبدالدار .

(٣) نقله عن مجمع البيان .

مولاه انتشر ذلك في البلاد فقدم على النبي ﷺ والنبي ﷺ والنعمان بن الحرث الفهري فقال : أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله و أمرتنا بالجهاد و الحج والصوم و الصلاة فقبلنا ها ثم لم ترض حتى نصبت هذا الغلام فقلت : من كنت مولاه فعلي مولاه فهذا شيء منك أو أمر من عند الله ؟ فقال ﷺ : والله الذي لا إله إلا هو إن هذا من الله فولّي النعمان بن الحرث و هو يقول : « اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأعطر علينا حجارة من السماء » فرماه بحجر على رأسه فقتله و أنزل الله تعالى « سأل سائل بعداب واقع ليس له دافع من الله » إذا جاء وقته و أوجبت الحكمة وقوعه .

[ من الله ذي المعارج ] صفة لله تعالى مثل « فالق الإصباح » و المعارج المصاعد و المراد الأفلاك التسعة المرتبة بعضها فوق بعض أي له مواضع العروج و منه الأعرج لارتفاع إحدى رجله عن الأخرى .

[ تعرج الملائكة ] المأمورون بالنزول و الصعود [ و الروح ] أي جبرئيل أفرد به بالذكر لتمييزه و فضله [ إليه ] أي يعرجون من مسقط الأمر إلى عرشه فجعل عروجهم إلى العرش عروجاً إلى الرب لأنّ منه تبتدئ الأحكام و إلى حيث شاء الله تهبط الملائكة بأمر بني آدم [ في يوم ] متعلق بتعرج [ كان مقداره خمسين ألف ] مما يعدّ الناس و قوله : « خمسين » خبر كان و المعنى كمقدار خمسين ألف سنة اختلف في معناه :

ف قيل : تعرج الملائكة إلى الموضع الذي يأمرهم به في يوم كان مقداره من عروج غيرهم خمسين ألف سنة و ذلك من أسفل الأرضين إلى فوق السماوات السبع و قوله تعالى في سورة السجدة : (١) « في يوم كان مقداره ألف سنة » هو لما بين السماء الدنيا و الأرض خمسمائة في النزول و المراد أنّ الأدميين لو احتاجوا إلى قطع هذا المقدار الذي قطعه الملائكة في يوم واحد لقطعوه في هذه المدة .

و قيل : إنّه يعني يوم القيامة وإنه سبحانه يفعل فيه من الأمور و يقضي فيه من الأحكام بين العباد ما لو فعل في الدنيا لكان مقداره خمسين ألف سنة عن الجبائي و قتادة و عكرمة . و روى أبو سعيد الخدري قال : قيل لرسول الله : ما أطول هذا اليوم ! فقال :

و الذي نفس محمد ﷺ بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف من صلاة مكتوبة في الدنيا . و روي عن الصادق عليه السلام أنه قال : لو ولى الحساب غير الله لمكثوا فيه خمسين ألف سنة من قبل أن يفرقوا و الله سبحانه يفرغ عن ذلك في ساعة و عنه أيضاً قال : لا ينتصف ذلك اليوم حتى يقبل أهل الجنة في الجنة و أهل النار في النار .

و قيل : معناه إن أول نزول الملائكة في الدنيا و أمره و نهييه و قضائه بين الخلائق إلى آخر عروجهم إلى السماء و هو القيامة هذه المدة فيكون مقدار الدنيا خمسين ألف سنة لا يدري كم مضى و كم بقي وإنما يعلمه الله .

و قال الزجاج : يجوز أن يكون المعنى سأل سائل بعذاب واقع في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة و ذلك العذاب يقع يوم القيامة .

و في الكافي مقطوعاً أن قوله : « سأل سائل بعذاب واقع للكافرين » نزلت للكافرين بولاية عليّ قال : هكذا والله نزل بها جبرئيل على محمد ﷺ و هكذا هو والله مثبت في صحف فاطمة عليها السلام . القمّي عن النبي ﷺ في معنى قوله : « يعرج الملائكة والروح » في صبح ليلة القدر إلى محل أمره سبحانه من عند النبي ﷺ و الوصي .

و اليوم يوم كالآن و هو أدنى ما يطلق عليه و منه يمتد الكل و هو المشار إليه بقوله تعالى : « كل يوم هو في شأن <sup>(١)</sup> » فسمّي الزمن الفرد يوماً لأن الشأن يحدث فيه وهو أصغر الأزمان و يوم كالف سنة وهو اليوم الإلهي كما قال : « وإن يوماً عند ربك كألف سنة <sup>(٢)</sup> » و قال تعالى : « يدبر الأمر من السماء إلى الأرض في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون <sup>(٣)</sup> » للصعود و الهبوط خمسمائة من سماء الدنيا إلى الأرض و خمسمائة إلى السماء للملائكة المأمورين و يوم كخمسين ألف و هو أول أيام الآخرة و هو يوم القيامة و يوم أهل الجنة و النار إلى ما لينتهي .

و إن للقيامة خمسين موقفاً يسأل العبد في كل موقف منها عن أمر من أمور

(١) الرحمن : ٢٩ .

(٢) الحج : ٤٧ .

(٣) حم السجدة : ٥ .

الدين فإن لم يقدر على الجواب وقف كل موقف بمقدار اليوم الإلهي الذي هو ألف سنة ثم لا ينتهي اليوم إلى ليل لأن زمان أهل الجنة كالنهار أبداً و زمان أهل النهار كالليل أبداً .

و بالجملة في الآية تنبيهه و تذكير على أن أيام الآخرة إذا كان يومه وأول يومه مقدار خمسين ألف فالويل المعاصي و طوبى للمطيع .

و قيل : المعنى سأل سائل بعذاب واقع في يوم كان مقداره كذا و الباء بمعنى عن فيكون قوله : « تعرج الملائكة » معترضة بين الظرف و متعلقه انتهى .

[ فاصبر ] يا محمد [ صبراً جميلاً ] على أذاهم و تكذيبهم إياك لأنّ سؤالهم كان عن استهزاء و تكذيب و ذلك مما يضجره <sup>صلى الله عليه وآله</sup> [ إنهم ] أي المكذبين و أهل مكة [ يرونه ] العذاب الواقع يزعمونه [ بعيداً ] أي يستبعدونه بطريق المحالية كما كانوا يقولون : « إذا متنا و كنا تراباً ، الآية » يقول المرء لخصمه : هذا بعيد أي لا يكون [ و نراه ] أي نعلمه [ قريباً ] . و المراد من القرب قرب الإمكان كما أن مرادهم من البعد بعد الإمكان لا بعد الزمان أو من باب كل ما هو آت قريب :

هل الدنيا و ما فيها جميعاً \* سوى ظلّ يزول مع النهار  
و في الحديث ما الدنيا فيما مضى و ما بقي إلا كتوب شقّ باثنين و بقي خيط واحد و كاذك الخيط قد انقطع .

و من عجب الأيام أنك قاعد \* على الأرض في الدنيا و أنت قسیر  
فسيرك يا هذا كسير سفينه \* بقوم قعود و القلوب تطير

[ يوم تكون السماء كالمهل ] و هو ههنا خبث الحديد و نحوه ممّا يذاب على مهل و تدريج أو دردي الزيت لسيلانه على مهل لثخانتته قال ابن مسعود : كالفضة المذابة في تلوّنها أو كالقير و القطران في سوادهما و الظرف متعلق بقريباً أو متعلق بمقدّر مؤخر عن الظرف أي يوم تكون السماء كالمهل تكون من العذاب و الأحوال ما لا يوصف .  
[ و تكون الجبال كالعهن ] العهن الصوف المصبوغ أي تكون الجبال كالصوف المصبوغ ألواناً فإذا لفت و طيرت في الجوّ أشبهت العهن المنفوش إذا طيرته الريح

و أول ما تتغير الجبال تصير رملاً مهيبلاً تمّ عنها منقوشاً ثم هباء منشوراً .  
 [ و لا يسأل حميم حميماً ] أي لا يسأل قريب قريباً عن أحواله و لا يتكلمه لابتلاء كلّ  
 منهم بشغله عن ذلك و إذا كان حال قريب هكذا فكيف الأجنبي ؟ و التنكير للتعميم .  
 [ يبصرونهم ] استئناف لبيان معنى كأنه قيل : لعله لا يبصره فكيف يسأل عن  
 حاله فقيل : يبصرونهم والضمير الأول لحميم الأول و الثاني للثاني و جمع الضميرين  
 لعموم الحميم و يعدى بصر إلى المفعول الثاني بالباء و قد تحذف الباء و إذا نسبت الفعل  
 للمفعول به حذفت الجار و قلت : بصرت زيدا و يعدى بالتضعيف إلى ثان و يقوم الأول  
 مقام الفاعل لكنّ الشايح تعديته إلى الثاني بحرف الجرّ يقال : بصرت به ، لكنّ الآية  
 من قبيل الأول .

[ يودّ المجرم ] أي يتمنى الكافر و قيل : كلّ مذنب [ لو يفتدي ] لو بمعنى التمني  
 [ من عذاب يومئذ ] بكسر الميم في يومئذ لا إضافة العذاب إلى يوم و قرىء أيضاً بالفتح بناء على  
 أنّ الإضافة إلى غير متمكّن أي يتمنى الكافر أو المذنب أن يفتدي [ بينيه ] بأولاده أصله  
 بنين سقطت نونه بالإضافة و جمعه .

[ و صاحبته ] زوجته التي يصابها [ و أخيه ] الذي كان ظهيراً له و المراد أنّ  
 اشتغالهم بنفسهم في العذاب بلغ إلى حيث يتمنى أن يفتدي بأقرب الناس إليه حتّى  
 ينجو فضلاً عن أن يهتمّ بشأنهم [ و فصيلته التي تؤويه ] الفصيلة في الأصل القطعة  
 المفصولة من الجسد و الجسم و تطلق على الآباء الأقربين و الأولاد . و المراد في الآية  
 الآباء الأقربون لأنّ الأولاد قد ذكروا لقوله : « و بنيه » و معنى « تؤويه » أي تضمّه  
 إليها في النسب ، آوى إلى كذا : انضمّ إليه و لاز بها عند الشدائد أي كانوا في الدنيا  
 ملازمهم و كهفهم .

[ و من في الأرض جميعاً ] من الثقلين و الخلائق [ ثمّ ينجيه ] عطف على يفتدي .  
 أي يودّ أن يفتدي بهم ثمّ ينجيه الافتداء و ثمّ لاستبعاد الإنجاء و هيهات أن ينجيه !  
 [ كلا ] للمجرم المتمنّي و تصرّيح بامتناع الافتداء و فائدته و في الحديث يقول  
 الله سبحانه لآهون أهل النار عذاباً يوم القيامة : لو أنّ لك ما في الأرض من شيء أكنت



تفتدي به؟ فيقول: نعم فيقول الله: أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بي .

[ إنها لظى ] أي النار المدلول عليها بهرينة العذاب « لظى » علم للدرك الثاني من جهنم منقول من اللهب الخالص الذي لا يخالطه دخان فيكون في غاية الإحراق لقوة حرارته النارية بالصفاء وهو خبر « إن » والمراد « إن » النار التي تتمنون أن تطفون عنها لهب خالص .

[ نزعاً للشوى ] النزع جذب الشيء وقلعه من مقره والشوى جمع شواة وهي جلدة الرأس فالنار تقشرها عنه، والشوى الأطراف والأعضاء فالنار قلاعة ونزاعاً لها بقوة الإحراق ثم تعود كما كانت وهكذا أبداً بآباد .

[ تدعو من أدبر وتولى ] عن الحق ومعرفته وتجذب النار إلى نفسها مجاز عن إحضارهم لأنها تدعوهم فتحضرهم من مسافة ما بين سنة كالمغناطيس وتقول لهم: إليّ يا كافر يا منافق ويا زنديق فإني مستقرّك أو المراد أن النار تدعوهم بلفظ فصيح بأسمائهم ثم تلتقطهم مثل التقاط الطير الحب أو تدعو زبانيهتها المعرضين عن الطاعة والإيمان والمقبلين على الكفر والدنيا .

[ وجمع فأوعى ] وجمع المال حرصاً فجعله في وعاء وكنزه ولم يؤدّ حقوقه الواجبة فيه وتشاغل به عن الدين وتكبّر باقتنائه وذلك لطول أمله وانعدام شفقتة على عباد الله وفي الآية تنبيه على قباحة البخل وأنه لا يليق بالمومن وفي الخبر أنه صلى الله عليه وسلم بصق صلى الله عليه وسلم يوماً في الأرض ووضع عليها أصبعه ثم قال: يقول الله لا بن آدم: تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى إذا سوّيتك وعدلتك مشيت بين بردين وللأرض منك وبيد أي صوت شديد فجمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقي قلت: إنني أتصدق وأنسى أو ان الصدقة؟

[ إن الإنسان خلق هلوعاً ] أي جنس الإنسان خلق حالكونه هلوعاً مبالغته هالوع أي سريع الجزع عند مس المكروه وسريع المنع عند مس الخير يقال: ناقة هلوع حريص سريعة السير .

[ إذا مسّه الشرّ ] إذا ظرف لجزوعاً أي وصل إليه الفقر أو المرض و نحوهما [ جزوعاً ] مظهراً للجزع و هو ضدّ الصبر قال ابن عطا : الهلوع الذي عند الموجود يرضى وعند المفقود يستخط .

[ و إذا مسّه الخير منوعاً ] أي الصحّة و الخير والسعة مبالغ في الإمساك والمنع أي منوع عند الجدة وجزوع لدى الشدّة قال مقاتل : الهلوع دابة وراء جبل قاف تأكل كلّ يوم كلاء سبعة أودية و تشرب مياه سبعة أبحر ومع ذلك لا تطبق الحرّ و القرّ و تضطرب لأكل غدها و الأوصاف الثلاثة و هي هلووعاً و جزوعاً و منوعاً أمور يتعلّق بها الذمّ وليست هذه الأوصاف مع أنّها طبائع جبل الإنسان عليها لا يمكنه أن يفارقها بل يجب عليه تنزيه نفسه عنها لأنّها ليست من اللوازم المهيّبة للوجود بل إنّما حصولها فيه بوضع الله و جعل ما يزيلها أيضاً بالأسباب التي سبّبها في كتب الأخلاق وليس الإنسان مجبوراً في ارتكابها لأنّها كبرودة الماء و حرارته بل هي صفات تتغيّر في مراتبها كزيد و القائم و النائم و زيد هو هو و واحد ، فصفة السبعة أو المملكيّة ليست جزء ذات زيد كملازمة الجسميّة لماهيّة زيد ولك الخيار في الصفات فيختار واحد السلماينيّة والآخر الأباهليّة قال المتنبي :

الظلم من شيم النفوس فإن تجد \* زاعفة فعله لا يظلم

و الحكمة في وضع هذه الأمور في الطبيعة كخلق الشهوة ليصحّ التكليف ويحارب نفسه و شيطانه فيستحقّ به الثواب إذ لا يحصل الترقّي إلا بالمحاربة فأصل النفس أمارة لكن لا يظهر أثرها في الكاملين و الممثّلين لأوامر الإلهيّة كما يظهر للنواقصين . [ إلا المصلّين ] استثناء من الإنسان أي المطبوعين على الصفات الرذيلة مستمرّون عليها « إلا المصلّين » فإنّهم بدّلوا تلك الطبايع و اتّصفوا بأضدادها [ الذين هم على صلاتهم دائمون ] لا يشغلهم عنها شاغل فيواظبون على أدائها قال عنه : أوّل ما افترض الله على أمّتي الصلاة الخمس و أوّل ما يرفع من أعمالها الصلاة الخمس و أوّل ما يحاسب به العبد صلاته و إنّّه آخر ما يجب عليه رعايته فإنّه يؤخّر الصوم في المرض دون الصلاة و كان آخر ما أوصى عنه به الصلاة و ما ملكت أيما نكم .

[ و الذين في أموالهم حق معلوم ] أي و إلا الذين في أموالهم نصيب معين يجعلونه تقرّباً إلى الله من الزكاة المفروضة و الصدقة [ للسائل ] للذي يسأل [ والمحروم ] الفقير الذي يتعفف و لا يسأل قال أبو عبد الله عليه السلام : الحقّ المعلوم ليس من الزكاة و هو الشيء الذي تخرجه من مالك للمفقر .

[ و الذين يصدقون بيوم الدين ] و يتعبون أبدانهم و أنفسهم في الطاعة لتصديقهم بيوم الجزاء فمجرد التصديق بالجنان و اللسان و إن كان ينجي من الخلود في النار لكن لا يؤدي إلى أن يكون صاحبه مستثنى من المطبوعين بالأحوال المذكورة .

[ و الذين هم من عذاب ربهم مشفقون ] خائفون على أنفسهم مع مالهم من الأعمال الفاضلة استصغاراً لها و استعظاماً لجنابه تعالى و علامة الخوف الاجتناب عن المعاصي و الملاهي و المؤمن الكامل خوفه من أن لا يقبل حسناته

[ إن عذاب ربهم غير مأمون ] لا يمكن الأمن من عذابه و الآية بيان أنه لا ينبغي لأحد أن يأمن من عذابه بل يكون بين الخوف و الرجاء لأنه لا يعلم أحد عاقبته .

[ و الذين هم لفروجهم حافظون ] فرج الرجل و المرأة سوآتتهما و الجار متعلق بقوله : « حافظون » عن مباشرة الحرام و حفظ الفرج كناية عن العقبة .

[ إلا على أزواجهم ] و على بمعنى « من » أي إلا من نسائهم المنكوحات و مضي مدة الاستبراء و إيراد ما ملكت الأيمان يدلّ على أن المراد من الحافظين إلا على ملك اليمين هذا الاستثناء خاصّ بالذكور دون الإناث بمعنى أن المرأة تملك يمينها لا يجوز لها أن لا تحفظ نفسها عن مملوكها بل واجب عليها صون نفسها عن مملوكه [ فإنهم غير ملومين ] أي لا تؤاخذون في موارد الاستثناء في الدنيا و لا في الآخرة .

[ فمن ابتغى وراء ذلك ] الذي ذكر [ فأولئك هم العادون ] فالمبتغون بغير ما شرع الله هم المتعدّون حدوده الكاملون في العدوان و التجاوز عن الحد و حدّ النكاح أربع من الحرائر و لكن عقد التمتع و ملك اليمين لاحدله و دخل في المنع حرمة و طيء الذكران و البهائم و الزناو الاستمناء روي أن العرب كانوا يستمنون في الأسفار

فنزلت الآية .

و في الحديث و من لم يستطع التزويج فعليه بالصوم فلو كان الاستمناء مباحاً لكان الارشاد إليه أسهل لكن الحنابلة و بعض الحنفية يجوزونها لكنّه هذا رأي فاسدحتى عند علماء السنة و الجماعة قال ابن عطا : سمعت أن قوماً يجشرون حبالي و أظنهم هؤلاء قال البغوي : والآية دليل على حرمة الاستمناء و الواجب على فاعله التعزير كما قال سعيد بن جبير : عذب الله قوماً كانوا يعبثون بمذاكيرهم و يجب العمل بالارشاد النبوي الذي هو الصوم حين التوفان و الحق أحق أن يتبع .

[ و الذين هم لأماناتهم و عهدهم راعون ] و الأمانة اسم لجنس ما يؤتمن الإِنسان عليه سواء كان من جهة الباري و هي أمانات الدين و الشرائع أو من جهة الخلق و هي الودائع و نحوها و قد جعل النبي ﷺ الخيانة عند الائتمان و الكذب عند التحديث و الخلف عند المعاهدة و الفجور عند المخاصمة من خصال المنافق ، قال بعض الكبار : من اتصف بالأمانة كاملاً و كتم الأسرار سمع كلام الموتى و عذابهم و نعيمهم كما سمعت البهائم عذاب أهل القبور لعدم نطقها .

[ و الذين هم بشهاداتهم قائمون ] و الجمع باعتبار أنواع الشهادة قال ﷺ : إذا علمت مثل الشمس فاشهد و إلا فذع و تخصيصها بالذكر مع اندراجها في الأمانات للتأكيد بها لأن في إقامتها إحياء الحقوق و في كتمها تضييعها و إبطالها و لا يحل أخذ أجره عليها بالاتفاق .

[ و الذين هم على صلواتهم يحافظون ] تقديم الجار و المجرور تفيد الاختصاص أي يراعون شرائطها و سننها و يحفظونها من الإحباط باقتران الذنوب و القيام بأوقاتها و إنهم إذا حافظوا عليها فهي يحفظهم أيضاً كما قال سبحانه : « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء و المنكر <sup>(١)</sup> » و في الحديث من حافظ عليها كانت له نوراً و برهاناً و نجاته يوم القيامة و من لم يحافظ عليها لم تكن له نور و لا برهان و لا نجاته و كان يوم القيامة مع قارون و فرعون و هامان و أبي بن خلف وهو الذي ضربه النبي ﷺ في غزوة أحد برمح في

عنقه فمات منه في طريق مكة و كان أشدّ و أظفى من أبي جهل دلّ على ذلك كونه،  
مقتولاً بيد النبي ﷺ و لم يقتل بيده غيره .

[ أولئك في جنّات مكرمون ] الموصوفون مكرمون بالثواب الأبدى مستقرّون  
في جنّات لا يقادر قدرها ولعلّ تقديم الجنّات لمراعاة الفواصل أو المعنى مكرمون كائنين  
في جنّات .

[ فما للذين كفروا ] ما استفهاميّة للإنكار في موضع الرفع بالابتداء و « الذين  
كفروا » خبرها أي أيّ شيء للذين كفروا بتوحيد الله و ما بهم و ما حملهم على ما فعلوا  
[ قبلك ] عندك يا محمد [ مهطعين ] مُسرّعين إليك أي ناظرين إليك بالعداوة مبادي أعناقهم  
إليك مقبلين بأبصارهم عايك .

[ عن اليمين وعن الشمال عزين ] الجار متعلّق بعزين مفترقين فرقاً شتّى والأصل  
عزوه من العزو بمعنى الانتساب كان كلّ فرقه تعتزي إلى غير من يعتزي إليها الأخرى و  
كان المشركون يتحلّقون حول رسول الله حلقاً حلقاً و فرقاً فرقاً و يستهزءون بكلامه و  
يقولون : إن دخل هؤلاء الجنّة كما يقول محمد فلندخلنّها قبلهم فنزلت .

[ أيطمع كلّ امرئ ] من هؤلاء المهطعين [ أن يدخل جنّة نعيم ] ليس فيها إلاّ  
التنعم [ كلّاً ] ردع لهم عن ذلك الطمع القارع أي اتركوا هذا الطمع و في تنكير جنّة  
إشعار بأنّه لا يدخلون في كلّ جنّة [ إنّنا خلقناهم ممّا يعلمون ] العلم بالنشأة الأولى من  
حال النطفة ثمّ العلقة ثمّ المضغة .

[ فلا أقسم ] أي أقسم أي ليس الأمر كما يقولون، أقسم [ بربّ المشارق والمغرب  
المراد مشرق كلّ يوم من السنة و مغربه فيكون مائة وثمانون مشرقاً و مغرباً أو المعنى  
مشرق كلّ كوكب و مغربه أو أنواع الهدايا و الخذلانات .

[ إنّنا لقادرون ] جواب القسم [ على أن نبدل خيراً منهم ] و حذف المفعول الأوّل  
أي نبدلهم خيراً منهم و خيراً مفعوله الثاني بمعنى التفضيل على فرض التسليم إذ لاخير  
في المشرقين و قد قيل : إنّ الله بدّل بهم الأ نصار و المهاجرين [ و ما نحن بمسبوقين ]  
و مغلوبين إن أردنا ذلك لكن حكمتنا اقتضت تأخير عقوبتهم و عدم إهلاكهم .

[ فذرهم ] فذرهم لشأنهم يخوضوا و يشرعوا في باطلهم ويلعبوا في الدنيا بالاشتغال بما لا ينفعهم وهذه الآية منسوخة بآية السيف [ حتى يلاقوا ] من المعاينة [ يومهم ] هو يوم البعث والإضافة لأنه يوم كل الخلق وهم منهم أو لأن يوم القيامة يوم الكفار من حيث العذاب و يوم المؤمنين من حيث الثواب فكأنه يومان : يوم للكافر و يوم للمؤمن [ الذي يوعدون ] .

[ يوم يخرجون من الأجداث ] بدل من يومهم و الأجداث جمع جدث وهو القبر [ سراعاً ] جمع سريع حال كونهم مسرعين إلى جانب الداعي و صوته و هو إسرافيل [ كأنهم إلى نصب ] هو كل ما نصب فعبد من دون الله و قيل : النصب شبكة يقع فيها الصيد فيسارع إليها صاحبها ، و نصب واحداً نصاب و كان للعرب حجارة تعبدها و تذبح عليها قال الأخصس : نصب جمع كرهن و رهن و الأ نصاب جمع الجمع [ يوفضون ] أي يسرعون أيهم يستلمه و في الآية تهكم بهم بذكركم التهم التي اعتادوها من الإسراع إلى ما لا يملك نفعاً ولا ضرراً .

[ خاشعة أبصارهم ] حال من فاعل يوفضون والمعنى أبصارهم ذليلة و وصف أبصارهم بالخشوع

مع أن الدلالة شاملة لهم لغاية ظهورها فيها [ ترهقهم ذلة ] أي تغشاهم حقارة

عظيمة و يحيط بهم [ ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون ] أي ذلك

اليوم المذكور بهذه الكيفيات التي سيقع ، مبتدأ

و خبره اليوم الذي و عداوبه على السنة

الرسالة تمت السورة بحمد الله



## سورة النوح ﷺ

﴿مكية﴾

عن النبي ﷺ ومن قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين نذر لهم دعوة نوح .  
قال أبو عبد الله ﷺ : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا تدع أن يقرأ سورة إننا  
أرسلنا فأيّ عبد قرأها محتسباً صابراً في فريضة أو نافلة أسكنه الله مساكين الأبرار  
وأعطاه ثلاث (٩) مع جنّته ، كرامة من الله وزوجه مائة حوراء و أربعة آلاف ثيب .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

انا ارسلنا نوحاً الى قومه ان انذر قومك من قبل ان ياتيهم عذاب اليم (١) قال يا قوم اني لكم نذير مبين (٢) ان اعبدوا الله و اتقوه و اطيعون (٣) يغفر لكم من ذنوبكم و يؤخركم الى اجل مسمى ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون (٤) قال رب اني دعوت قومي ليلا و نهارا (٥) فلم يزد هم دعائي الا فرارا (٦) و اني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا اصابعهم في آذانهم و استغشوا ثيابهم و اصرروا و استكبروا استكبارا (٧) ثم اني دعوتهم جهاراً (٨) ثم اني اعلنت لهم و أسررت لهم اسراراً (٩) فقلت استغفروا ربكم انه كان غفاراً (١٠) يرسل السماء عليكم مدراراً (١١) و يمددكم باموال و بنين و يجعل لكم جنات و يجعل لكم انهاراً (١٢) ما لكم لا ترجون لله و قارا (١٣) و قد خلقكم اطورا (١٤) .

النون نون العظمة و الإرسال يقابل بالإمساك أرسل نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ و اسمه عبد الغفار سمي نوحاً لكثرة نوحه على نفسه أو هو سريانيّ معناه الساكن لأنّ الأرض سكنت إليه لأنّها طهرت به من خبث الكفار وهو أولّ أولي العزم من الرسل على قول الأكثرين و كان قومه يعبدون الأصنام و أولّ من عذّبت أمّته و هو شيخ المرسلين، بعث ابن اربعين سنة أو ثلاثمائة و خمسين أو أربعمائة و ثمانين و لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً و عاش بعد الطوفان تسعين سنة .

قال بعض المفسرين : إنّ في الآية دلالة على أنّه لم يرسل إلى أهل الأرض كلّهم لأنّه تعالى قال : « إلى قومه » فلو أرسل إلى الكلّ ل قيل : إلى الخلق أو ما يشابهه كما قيل لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « و ما أرسلناك إلا كافة للناس <sup>(١)</sup> » ، و لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : كان نوح النبيّ بعث إلى قومه خاصّة و بعثت إلى الناس عامّة .



ثم قال : إن قيل : فما جريمة غير قومه حتى عمّم الناس في الدعاء عليهم فقال : « لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً » ، فإنه إذا لم يرسل إليهم لم يكن كلمهم مخالفاً لأمره حتى يستحقوا الدعاء أُجيب بأنه تحقق أن الناس في زمانه في الكفر على سجيّة واحدة يستحقّون بذلك ولما أخبر بأنه لا يؤمن منهم إلا من آمن معه دعا على من عدا باستيصال العذاب لهم .

وقال بعضهم : إنه كان مرسلًا لجميع أهل الأرض لأنه لو لم يكن مرسلًا للجميع ما دعا عليهم لقوله تعالى : « وما كنا معذّبين حتى نبعث رسولاً <sup>(١)</sup> » .

فإن قلت : إذا كانت رسالته عامّة لجميع الناس فكانت مساوية لرسالة نبينا فما معنى قول النبي : « إن نوحاً بُعث إلى قومه خاصّة و بُعثت إلى الناس عامّة ؟

فالجواب إن رسالة نوح عامّة في زمنه و رسالة نبينا محمد ﷺ عامّة لجميع من في زمنه و من يوجد بعد زمنه إلى يوم القيامة فلا مساواة فحينئذ سقط السؤال و في الكلام بيان آخر و هو أن هذا العموم الذي حصل له بعد الطوفان لم يكن من أصل بعثته بل طرأ بعد الطوفان بخلاف رسالة نبينا ﷺ .

[ أن أُنذر قومك ] و خوفهم بالنار على عبادة الأصنام كي ينتهوا عن الشرك و أن مفسرة لما في الإرسال من معنى القول [ من قبل أن يأتيهم عذاب أليم ] من الله عاجل كالطوفان أو أجل كعذاب الآخرة لئلا يبقى لهم عذر .

[ قال يا قوم ] وأصله قومي ، خاطبهم بإظهار الشفقة على قومه [ إنني لكم نذير ] منذر من عاقبة الكفر و أفرد الإذار مع كونه بشراً لأن الإذار أقوى في تأثير الدعوة و هو مقدّم كما قال لنبينا ﷺ : « قم فأنذر » و الإذار متعلّق بالكافر كما أن التبشير متعلّق بالمومن و قومهم كانوا كفرة ولا يستحقّون حال الكفر التبشير [ مبين ] أي موضح لكم أمركم بلغة تعرفونها .

[ أن اعبدوا الله ] أي بأن اعبدوا الله و الأمر بالعبادة يتناول جميع الواجبات و الأحكام من الأفعال القلوب و الجوارح [ و اتقوه ] يتناول الزجر و المنع عن جميع

المحظورات [ و أطيعون ] في أخلاقي و صفاتي و أضاف الإطاعة إلى نفسه لأن طاعة الرسول طاعة الله و إن كانت تقع له عَلَيْهِ السَّلَامُ في الظاهر .

[ يغفر لكم ] جواب الأمر [ من ذنوبكم ] أي بعض ذنوبكم هو ما سلف في الجاهليّة لا ما تأخر عن الإسلام فإنّه يؤخذ به ولا يكون مغفوراً بسبب الإيمان لأنّ الإسلام يجب ما قبله [ و يؤخركم ] إلى أجل مسمّى [ بالحفظ من عذاب الاستيصال و استحقاق العذاب إلى زمان مقدّر عند الله أي لا يصيبكم في هذه المقدرة هلاك بسبب كفركم إذا آمنتم .

[ إنّ أجل الله إذا جاء ] وهو الأجل الذي قدر لكم على تقدير بقائكم على الكفر و هو الأجل القريب الذي استحققتهم بسبب الكفر [ لا يؤخر ] فبادروا إلى الإيمان قبل وقوعه [ لو كنتم تعلمون ] شيئاً لسارعتم إلى ما أمرتكم به .

[ قال ] أي نوح مناجياً لربه و حاكياً له و هو أعلم بحال ماجرى بينه و بين قومه من القيل و القال بعد ما بذل مجهوده في الدعوة و ضاقت عليه الحيل : [ ربّ إنّي دعوت قومي ] إلى الإيمان [ ليلاً و نهاراً ] أي دائماً بلا فتور فهما ظرفان لدعوت أراد على الدوام لأنّ الزمان منحصر فيهما و كان وَاللَّهُ يَأْتِي بِاللَّيْلِ عَلَىٰ آبَائِهِمْ بالليل على آبائهم و يرد على جماعتهم بالنهار فيقرع الباب فيقول صاحب البيت: من على الباب؟ فيقول أنا نوح : قل لا إله إلا الله .

[ فلم يزد هم دعائي إلا فراراً ] ممّا دعوتهم إليه [ و إنّي كلّما دعوتهم ] إلى الإيمان [ لتغفر لهم ] بسبب قبول الدعوة [ جعلوا أصابعهم في آذانهم ] و سدّوا مسامعهم قصداً إلى عدم الاستماع [ و استغشوا ثيابهم ] الاستغشاء التفتّح و التغطّي باللباس و بالغوا في التغطّي بثيابهم لئلا يبصروا نوحاً كراهة منه فإنّ المبطل يكره رؤية المحقّق و لئلا يعرفهم و يدعوهم [ و أصرّوا ] و أقاموا على الكفر و الماضي و أكبر الإصرار السعي في طلب الأوزار و قيل : في معنى الإصرار في الآية أن يعتقد بقلبه أنّه متى قدر على الذنب فعله [ و استكبروا استكباراً ] تعظّموا عن طاعتي و أخذتهم العزّة لأنّهم قالوا : « أنؤمن لك و اتبعك الأرزلون » .

[ ثم إنني دعوتهم جهاراً ] أظهرت لهم الدعوة علناً و الجهر ظهور الشيء بافراط لحاسة البصر و السمع [ ثم إنني أعلنت لهم و أسررت لهم إسراراً ] إشارة إلى ذكر عموم الحالات بعد ذكر جميع الأوقات أي دعوتهم على وجوه متخالفة و أساليب متفاوتة و ثم لتفاوت الوجود .

و في بعض التفاسير أن نوحاً عليه السلام لما آذوه بحيث لا يوصف حتى كانوا يضرّبونه في اليوم مرّات قلّ صبر نوح فسأل الله أن يواريه عن أبصارهم بحيث يسمعون كلامه و لا يرونه ينالونه بمكروه ففعل الله ذلك به فدعاهم كذلك زماناً فلم يؤمنوا فسأل أن يعيده إلى ما كان و هو قوله : « أعلنت لهم و أسررت لهم إسراراً » .

[ فقات استغفروا ربكم ] أي قلت لهم عقيب الدعوة عطف على قوله : « دعوت » اطلبو المغفرة منه لأنفسكم بالتوبة عن الكفر و المعاصي [ إنّه كان غفّاراً ] للتائبين و المراد من كونه غفّاراً في الأزل كونه مريداً للمغفرة في وقتها المقدر و هو وقت وجود المغفور له و في الحديث من أُعطي الاستغفار لا يمنع المغفرة لأنّه قال : « استغفروا ربكم إنّه كان غفّاراً » و لذا كان أمير المؤمنين يقول : ما ألهم الله عبداً الاستغفار و هو يريد أن يعذّب به و الغفّار أبلغ من الغفور و الغفر الستر و التغطية و منه قيل لجنة الرأس «المغفر» لأنّه يستر الرأس و المغفرة من الله سترة للذنوب و عفوه عنها بفضلها و رأيت في بعض الأخبار من كتب أهل السنة عبدي لو أتيتني بتراب الأرض ذنوباً لغفرتها لك ما لم تشرك بي .

حكى أن شيخاً حجّ مع شابّ فلما أحرم الشيخ قال : لبيك اللهم لبيك فقيل له : لا لبيك فجاب الشاب للشيخ : أما تسمع هذا الجواب فقال : كنت أسمع هذا الجواب منذ سبعين سنة قال ، فلائي شيء تتعب نفسك ؟ فبكى الشيخ فقال : فالى أيّ باب أتجىء ؟ فقيل له : قد قبلناك .

[ يرسل السماء ] أي المطر كما قال الشاعر : « إذا نزل السماء بأرض قوم » و قيل : حذف المضاف أي ماء السماء [ عليكم ] حال كونه [ مدراراً ] كثير الدّرور و السيلان و الانصباب و في الإرسال مبالغة بالنسبة إلى الإنزال و كذا

المدزار صيغة مبالغة ومفعول مما يستوي فيه المذكر والمؤنث و يُرسل جواب شرط محذوف والتقدير : إن تستغفروا يرسل السماء وطما طالت الدعوة و ما نفعت و كذبوه حبس الله عنهم القطر وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة وقيل : سبعين سنة فوعدهم إن آمنوا أن يرزقهم الله الخصب و يدفع عنهم ما كانوا فيه .

[ و يمددكم بأموال و بنين ] و يعط لكم المدد والقوة بهما [ و يجعل لكم ] و ينشىء لكم [ جنات ] بساتين ذوات أشجار و أثمار [ و يجعل لكم ] فيها [ أنهاراً ] جارية تزيينها بالنبات .

[ ما لكم لا ترون لله وقارا ] أي أي سبب حصل لكم في أنفسكم غير معتقدين لله عظمة موجبة لتوحيده و الطاعة له و الرجاء بمعنى الاعتقاد و الظن و كذلك لا تخشون منه عقاباً و لا ترجون منه ثواباً .

[ و قد خلقكم أطواراً ] يقال : عداطوره أي تجاوز حده و المعنى و الحال أنه تعالى خلقكم تارات حالاً بعد حال عناصر ثم أغذية ثم أخلاطاً ثم نطقاً ثم علقة ثم مضغاً ثم عظاماً و لحوماً ثم أنشأكم خلقاً آخر وقيل : المراد خلقكم صبياناً و شباباً و شيوخاً و طولاً و قصاراً و أقوياء و ضعفاء مختلفين في الخلق و الخلق فحينئذ التقصير في توفير من هذه قدرته مما لا يكاد يصدر من العاقل .

[ ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات ] الرؤية يمكن أن يكون بمعنى العلم لأن ذلك علم بالسماع من أهله أو بمعنى الإبصار و المراد مشاهدة الصنع الدال على العلم كيف خلق هذه السماوات المرفوعة حال كونها [ طباقاً ] مطابقاً بعضها فوق بعض . [ و جعل القمر فيهن نوراً ] أي جعله منوراً لوجه الأرض في ظلمة الليل ونسبة إلى الكل مع أنه في السماء الدنيا لأن كل واحدة من السماوات شفافة لا تحجب ما وراءها فيرى الكل كأنها سماة واحدة ، ومن ضرورة ذلك أن يكون ما في واحدة منها كأنه في الكل على أنه ذهب جماعة مثل ابن عباس و وهب بن منبه إلى أن الشمس والقمر و النجوم وجوهها مما يلي السماء و ظهورها مما يلي الأرض و لفظ السراج يتضمن ذلك لأن ارتفاع نوره في طرف العلو و لولا ذلك لأحرقت جميع ما في الأرض

لشدة حرارتها و نورها فجعلها الله نوراً و سراجاً لأهل الأرض والسموات على أن لو كان في واحدة منهن يجوز أن يقال : فيهن كما يقال : أتيت بني تميم و إنما أتى بعضها .

[ و جعل الشمس سراجاً ] أي مصباحاً يضيء لأهل الأرض فهي سراج العالم كما أن المصباح سراج الإنسان هي في السماء الرابعة و قيل : في الخامسة و قيل : في الشتاء في الرابعة و في الصيف في السابعة و لو أضاءت من الرابعة أو من سماء الدنيا لم يطق لها شيء لكن الجمهور على أنها في الرابعة لا يختلف و قوله تعالى : « سراجاً » من باب التشبيه البليغ و كذلك شبه الله نبيه محمداً ﷺ بالسراج قال : « سراجاً منيراً » لأنه ﷺ أزال ظلمة الكفر و أثار الخلق بنور التوحيد .

[ والله أنبتكم من الأرض نباتاً ] أي إنباتاً عجيبياً بواسطة إنشاء أبيكم آدم منها أو إنشاء الكل منها من حيث إنه خلقهم من النطف المتولدة من الأغذية المتولدة من النبات المتولدة من الأرض استعير الإنبات للإنباء لكونه أول التكوين والحدوث و وضع نباتاً موضع إنباتاً مصدر بحذف الزوائد و قيل : نباتاً حال لامصدر .

[ ثم يعيدكم فيها ] في الأرض بالدفن [ و يخرجكم ] منها عند البعث [ إخراجاً ] محققاً لا ريب فيه لمجازاة الأعمال [ والله جعل لكم ] كرت الاسم الجليل للتعظيم [ الأرض بساطاً ] مبسوطة متسعة كالفرش تتقلبون عليها تقلبكم على بسطكم .

[ لتسلكوا فيها سبلاً فجاجاً ] من السلوك وهو الدخول لامن السلك و هو الإدخال طرقات واسعة جمع سبيل و فج هو الطريق الواسع و جعل صفة لسبلاً و يستعمل في الطريق الواسع أي لتسلكوا متخذين من الأرض سبلاً فتتصرفوا فيها مجيئاً و ذهاباً و جعلها مبسوطة للسلوك و العيش كالنوم و الاستقرار و الحرث و الفرش و السلوك جسماني و روحاني كطلب العلم و الحجج و المعرفة و التجارة و الطرق الموصلة إلى الكمال و الأحوال كالعبادة و الزهد و السلوك الروحاني لا يحصل إلا بالسلوك الجسماني كما كان معرجه ﷺ بالبدن .

[ قال نوح ] أعيد لفظ الحكاية لطول العهد بحكاية مناجاته لربه فهو بدل من « قال » الأول ولذا ترك العطف أي قال مناجياً لربه : أي [ رب ] بحذف الياء [ إنهم عصوني ]

و داموا على عصياني مع ما بالغت في إرشادهم بالعظة [ و اتبعوا من لم يزرده ماله وولده إلا خساراً ] استمروا على اتباع رؤسائهم الذين أبطرتهم أموالهم وأولادهم وصارت سبباً لخسارتهم في الآخرة فصاروا أسوة لهم في الخسار واتبعوهم لو جاهتهم بسبب المال و الأولاد لما شاهدوا فيهم من شبهة مصححة للاتباع كما قالت قريش: لو لا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فجعلوا إقبال الدنيا سبباً مصححاً للاتباع .

[ و مكروا مكراً كباراً ] أي الكبرياء منهم مكروا مكراً كبيراً في الغاية و الكبار نحو الطوال بالتشديد أبلغ من الكبار بالتخفيف و مكروهم الكبير احتيالهم في منع الناس عن اتباع نوح و تحريص الناس على أذية نوح ، ولما كان التوحيد أعظم المراتب كان المنع منه أعظم الكبائر ولذا وصف بالكبائر .

[ و قالوا ] أي الرؤساء للاتباع و السفلة : [ لاتذرن آلهتكم و لاتذرن وداً و لا سواها ] أي لاتتركوا عبادتها [ و لا يغوث و يعوق و نسرأ ] جرّد يغوث و يعوق عن حرف النفي إذ بلغ التأكيد نهايته وخصّ عبادة هؤلاء بالذكر فهو من باب عطف الخاص على العام لأنّها كانت أكبر أصنامهم و أعظم ما عندهم وقد انتقلت هذه الأصنام عنهم إلى العرب فكان ودّ لكلب بدومة الجندل ولذلك سمّت العرب بعبود .

قال الراغب : الودّ صنم سمّي عند العرب لاعتقادهم أن بينه و بين الله مودة و كان سواع لهمدان قبيلة باليمن و يغوث لمذحج كمجلس و عنه كانت العرب تسمّي عبد يغوث و يعوق لمراد أبو قبيلة سمّي به لأنّه تمرّد عن قبيلته و نسر لحمير موضع غربي صنعاء اليمن و انتقلت أسماء هذه الأصنام إلى العرب فاتخذوا أمثالها فعبودها .

و قيل : إنّها أعيان تلك الأصنام و الطوفان دفنها و غمرها في ساجل جدّة فلم تنزل مستورة حتّى أخرجها العين لمشركي العرب نظيره ما روي أن آدم عليه السلام كتب اللغات المختلفة في طين و طبخه فلما أصاب الأرض الغرق بقي مدفوناً ثمّ وجد كل قوم كتاباً مكتوبة فأصاب إسماعيل الكتاب العربي .

و قيل : إنّ الأصنام أسماء رجال صالحين كانوا بين آدم و نوح ماتوا فعزّن الناس عليهم حزناً شديداً و اجتمعوا حول قبورهم لاتكادون يفارقونها و ذلك بأرض بابل فلمسأرى

إبليس فعلمهم ذلك جاء إليهم في صورة إنسان وقال لهم : هل لكم أن أُصوّر لكم صورهم إذا نظرتم إليها ذكر تموههم واستأنستم وتبرّكتم بهم قالوا : نعم فصور لهم صورهم من صفر ورمصاص ونحاس وخشب وحجر وسمّى الصور بأسمائهم ثمّ لما تقادم الزمن و انقضت الآباء والأبناء وأبناء الأبناء قال اللعين لهم : إنّ من قبلكم كانوا يعبدون هذه الصور فعبدوها في زمان مهلاييل بن قينان ثمّ صارت سنة في العرب في الجاهليّة .  
وقيل : إنّ المؤسّس لعبادة الأصنام في العرب عمر بن لحيّ بن قمعمة علمه جنيّ كان تابعه فقال له : اذهب إلى جدّتي واث منها بالآلهة التي تعبد في زمن نوح وإدريس وهي ودّ ، فذهب وأتى بها إلى مكّة ودعا إلى عبادتها فانتشرت عبادة الأصنام في العرب وعاش عمره ثلاثمائة وأربعين سنة ورأى من ولده وولد ولده ألف مقاتل ومكث هو وولده في ولاية البيت خمسمائة سنة ثمّ انتقلت الولاية إلى قريش مكثوا فيها خمسمائة سنة أخرى فكان البيت بيت الأصنام ألف سنة .

وذكر الشعراييّ أنّ أصل وضع الأصنام إنّما هو من قوّة التنزيه من العلماء الأقدمين فإنهم نزّهوا الله عن كلّ شيء وأمرّوا بذلك عامتهم فلمّا رأوا أنّ بعض عامتهم صرّح بالتعطيل وضعوا لهم الأصنام وكسوها الديباج والحليّ والجواهر وعظّموها بالسجود وغيره ليتذكّروا بها الحقّ الذي غاب عن عقولهم وغاب عن أولئك العلماء الجهلاء أنّ ذلك لا يجوز إلّا بإذن الله وإنّ ما أمرّوا به يفضي إلى هذا الأمر الشنيع .  
وقيل : إنّ هذا الأمر سرى من الهند إلى أرض العرب ، وودّ كان على صورة رجل وسواع على صورة امرأة و يغوث على صورة أسد و يعوق على صورة فرس و نسر على صورة نسر .

[ وقد أضلّوا ] الرؤساء أو الأصنام والجملة حالية [ كثيراً ] جمعهم جمع العقلاء لعدّهم آلهة [ ولاتزد الظالمين ] بالإشراك فإنّ الشرك ظلم عظيم [ إلّا ضلالاً ] الجملة عطف على قوله : « ربّ إنّهم عصوني » أي قال : ربّ إنّهم عصوني وقال : « ولا تزد الظالمين إلّا ضلالاً » من غير أن يعطف أحدهما على الآخر فحكى الله أحد قولي نوح بتصديره بلفظ « قال » وحكى قوله الآخر بعطفه على قوله الأوّل بالواو النائية عن لفظ « قال »

ولا يلزم عطف الإِشَاء على الإِخْبَار .

والمراد من الضلال في الآية الضياع والهلاك والضللال في تمشية مكفرهم بالا هلاك  
لا في أمر دينهم حتى يقال : إن هذا الدعاء يتضمن الرضى بكفرهم وقد بعث ليصرفهم  
عن الضلال فكيف يليق أن يدعو الله في ضلالهم و إن كان يمكن أن يجاب عن هذا الإِيراد  
بأنه بعد ما أُوحى إليه أنه لا يؤمن من قومك إلا من قد آمن و نظيره دعاء موسى بقوله :  
« و اشد على قلوبهم » <sup>(١)</sup> و من أحبّ عذاب الكافر و أحبّ موت الشرير بالطبع على  
الكفر حتى ينتقم الله منه لا ضرر فيه فيؤول المعنى « و لاتزد الظالمين إلا ضلالاً » و غياً  
ليزداد و عقاباً نظير قوله : « إنني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار » <sup>(٢)</sup>  
و قد دعا ﷺ بهذا الدعاء بعد أن دعا الأبناء بعد الآباء بلغوا سبعة قرون فلمّا آيس من  
إيمانهم و أخبر أنهم لا يؤمنون دعا عليهم .

[ ممّا خطيئاتهم ] أي من أجل خطيئات قوم نوح و كفرهم و معاصيهم و ما زائدة  
بين الجارّ و المجرور لتأكيد الحصر المستفاد من تقديم الظرف أي إغراقهم بالطوفان  
لم يكن إلا من أجل خطيئاتهم تكديماً لقول المنجمين من أن ذلك كان لاقتضاء الأوضاع  
الفلكية و هذا القول كفر لكونه مخالفاً لتصريح هذه الآية و لزيادة «ما» الإِبهامية فائدة  
غير التأكيد وهي تفخيم خطيئاتهم العظيمة و من لم يرزيادتها جعلها نكرة و جعل خطيئاتهم  
بدلاً منها [ أغرقوا ] في الدنيا بالطوفان [ فأدخلوا ناراً ] تنكير النار لتعظيمها أو المراد  
عذاب القبر عقيب الإِغراق و إن كانوا في الماء فإنّ من مات في ماء أو في نار أو أكلته  
السباع أو الطير أصابه ما يصيب المقبور من العذاب :

لا تعجبين لا ضداد إذا اجتمعت \* فالله يجمع بين الماء والنار

أو المراد من النار نار جهنّم و التعقيب لتنزيله منزلة المتعقب لاقترابه و تحقيقه [ فلم  
يجدوا لهم من دون الله أنصاراً ] و فيه تعريض باتخاذهم آلهة من دون الله و بأنّها غير  
قادرة على نصرهم [ و قال نوح ] بعد أن قنط من اهتدائهم بالأمارات و بإخبار الله إيتاء

(١) يونس : ٨٨ .

(٢) المائدة : ٣٢ .



[ ربّ لا تذّر على الأرض ] و لا تترك [ من الكافرين ] بك [ ديّاراً ] يدور في الأرض و يتحرّك فيذهب و يجيء أي فأهلكهم بالاستيصال .

و قال بعض : إنّ معنى الدّيّار ليس من الدور بل من الدار و أصله ديوار و قد فعل به ما فعل بأصل «سيد» و المراد لا تذّر ممّن ينزل الدار و يسكنها إذ لو كان بمعنى الدوران كما فسّرنا لم يبق على وجه الأرض جنّي و لاشيطان و إنّما أراد صلّى الله عليه أهل كلّ ساكن دار من الكفّار أي كلّ إنسيّ . لكن هذا القول : ضعيف لأنّ نوح ما كان الجنّ و الشيطان من أمّته إذ لم يكن نوح مبعوثاً إلى الثقلين فهذا الدليل الذي قال : لم يبق على وجه الأرض جنّي و لاشيطان غير موجه على أنّه ليس ديّار فعلاً من الدار و إلّا لقليل : دوّار لأنّ أصل دار دور و قلبت واوّه ألفاً فلمّا ضعفت عينه كان دوّاراً بالواو و المشدّدة و لاوجه لقلبها ياء .

[ إنّك إن تذّرهم ] عليها كلاًّ أو بعضاً بيانٌ لوجه دعائه عليهم و إظهارٌ بأنّه كان من الغيرة في الدين لالغلبة غضب النفس لهواها [ يضلّوا عبادك ] عن طريق الحقّ و يصدّوهم عن السبيل لأنّ الرّجل منهم كان ينطلق بابنه إلى نوح عليه السلام فيقول له : أحذر هذا فإنّه كذّاب و إنّ أبي حذرنيّه و أوصاني بمثل هذه الوصيّة فيموت الكبير و ينشأ الصغير على ذلك .

[ و لا يلدوا إلّا فاجراً ] و الفجور شقّ ستر الديانة [ كفّاراً ] مبالغة في الكفر أي لا يلدون و لا ينتجون إلّا من سيفجر و يكفر و إنّما قاله بالوحي لقوله في صورة هود : « و أوحى إليّ نوح أنّه لن يؤمن من قومك إلّا من قد آمن » و هذا الدعاء كان في الأواخر .

[ ربّ اغفر لي و لوالدي ] أبو نوح اسمه ملك بن متوشلخ على وزن متدحرج و أمّه سمخاء بنت أنوش كانا مؤمنين قال ابن عبّاس : لم يكفر لنوح أبٌ ما بينه و بين آدم و في إشراق التواريخ أمّه قسوس بنت كاييل و قيل : هيجل بنت لاموس و كانا مسلمين على ملّة إدريس و قيل : المراد بوالديه آدم و حواء [ و لمن دخل بيتي ] أي منزلي و قيل : مسجدي و قيل : سفينتي فإنّها له بمنزلة البيت [ مؤمناً ] حالكون الداخل مؤمناً و

بهذا القيد خرجت امرأته و اعله و ابنه كنعان و [ للمؤمنين و للمؤمنات ] خصّ أولاً من يتصل به نسباً و ديناً ثم عمّ المؤمنين و المؤمنات .

وفي الحديث ما الميِّت في قبره إلا كالغريق المتغوّث ينتظر دعوة يلحقه . من أب أو أخ أو صديق فإذا لحقته كانت أحبّ إليه من الدنيا وما فيها و إن الله ليدخل على أهل القبور من دعاء أهل الأرض أمثال الجبال و إن هديّة الأحياء إلى الأموات الاستغفار لهم . [ ولا تزد الظالمين إلا تباراً ] أي هلاكاً و التبر دفاق الذهب قال عَلَيْهِ السَّلَامُ في الأول : « ولا تزد الظالمين إلا ضلّالاً » لأنّه وقع بعد قوله : « وقد أضلّوا كثيراً » و في الثاني « إلا تباراً » لأنّه وقع بعد قوله : « ولا تذر على الأرض » فذكر في كل مكان ما شاكل معناه و ما اقتضاه فاستجيب دعاؤه و عمّهم الطوفان بالغرق و أهلّكهم عن آخرهم و ما نقل عن بعض المنجمين من أنّه أراد جزيرة العرب فوقع الطوفان عليهم دون غيرهم فذلك كلام فاسد مخالف للقرآن و السنّة و تفسير العلماء و أصحاب التواريخ .

وأما صبيانهم قيل : إن الله أعقم أرحام نسائهم و أبس أصلاب رجالهم قبل الطوفان بأربعين أو سبعين سنة فلم يكن معهم صبيّ ولا مجنون حين غرقوا لأن الله قال : « و قوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم <sup>(١)</sup> » ولم يوجد التكذيب من الأطفال و المجانين و قيل : غرق معهم صبيانهم أيضاً لكن لا على وجه العقوبة لهم بل لتشديد عذاب آبائهم و أمهاتهم بإراءة إهلاك أطفالهم الذين كانوا أعزّ عليهم من أنفسهم قال وَاللَّهُ سَلْبٌ : يهلكون مهلكاً واحداً و يصدرون مصادر شتى ، وعن الحسن أنّه سئل عن ذلك

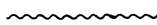
فقال : علم الله سرايتهم فأهلكهم بغير عذاب و كم من

صبيان يموتون بالغرق و الحرق و سائر

أسباب الهلاك و الله أعلم

بمصالح الحكمة

تمت السورة بحمد الله



## سورة الجن

﴿مكية﴾

أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال : ومن قرء سورة الجن أُعطي بعدد كل جنّي وشيطانٍ صدقٍ بمحمدٍ وكذبٍ به عتق رقبتَه .  
وقال الصادق عليه السلام : من أكثر قراءة قل أوحى لم يصبه في حياة الدنيا من أعين الجن ولا من نفثهم ولا من كيدهم و سحرهم و كان مع محمد وآله .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قل اوحى الى اذنه استمع نفر من الجن فقالوا اناسمعا قرآناً عجباً (١) يهدى الى الرشد فآمنا به ولم نشرك بربنا احداً (٢) و انه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة و لا ولداً (٣) و انه كان يقول سفيهاً على الله شططاً (٤) و اناظنن ان لن تقول الانس و الجن على الله كذباً (٥) و انه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً (٦) و انهم ظنوا كما ظنتم ان لن يبعث الله احداً (٧) و انا لمسنا السماء فوجدناها حرماً ملئت حرساً شديداً و شهباً (٨) و انا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الان بجذله شهاباً رصداً (٩) و انا لاندرى اشر اريد بمن فى الارض ام اراد بهم ربهم رشداً (١٠) .

[قل] يا محمد لقومك : [ اُحى إليّ ] و اُلقي عليّ بطريق الوحي و اُخبرت بأعلام من الله و الايحاء اِعلام في خفاء [أنه] بالفتح لأنه فاعل اُوحى و الضمير الشأن و الحديث [استمع] أي القرآن أوطه أو اقرء و المفعول محذوف لدلالة ما بعده عليه و المستمع من كان قاصداً للسمع مصغياً إليه و السامع من اتفق سماعه من غير قصدٍ إليه [نفر من الجن] جماعة منهم ما بين الثلاثة و أقل من العشرة و الجن واحد جنسي كروم و رومي .

قال ابن عباس : انطلق رسول الله في طائفة من أصحابه إلى سوق عكاظ فأدركهم وقت صلاة الفجر وهم بنخلة فأخذ صلى الله عليه وسلم يصلي بأصحابه صلاة الفجر فمحر عليهم نفر من الجن وهم في الصلاة فلمّا سمعوا القرآن استمعوا له وفيه دليل على أنه صلى الله عليه وسلم لم ير الجن حينئذٍ إذ لو آهّم لما أسند معرفة هذه الواقعة إلى الوحي و كذا لم يشعر بحضورهم و باستماعهم و لم يقرء عليهم و إنّما اتفق حضورهم في قراءة فسمعوها فأخبر الله بذلك .

و الجن أجسام رقاق في صورة تخالف صورة الملك و الجن عاقلة مدركة كالأنس خفيته عن الأبصار لا يظهرون لهم ولا يكلمونهم إلا صاحب معجزة و يغلب عليهم النارية

و الهوائية والمر كبات كلها من العناصر فما يغلب عليهم للنارية فناري كالجن وما يغلب فيه الهواء فهوائي كالطيروما يغلب فيه الماء فمائي كالسمك ، وما يغلب فيه التراب فترابي كالإنسان و سائر الحيوانات الأرضية .

[ فقالوا ] لقومهم عند رجوعهم إليهم : [ إنما سمعنا قرآناً ] أي كتاباً مقروءاً على لسان الرسول [ عجباً ] مصدر بمعنى العجيب وُضع موضع العجيب للمبالغة أي بديعاً مبايناً للكلام الناس .

و فيه إشارة إلى أنهم كانوا من أهل اللسان ؛ قال عيزار بن حريث : كنت عند عبدالله بن مسعود فأتاه رجل فقال له : كنا في سفر فإذا بحية جريحة تتشحط في دمها فقطع رجل قطعة من عمامته فلفها فيها فدفنها فلما أمسينا ونزلنا أتانا امرأتان من أحسن نساء الجن فقالتا : أيكم صاحب عمرو ، أي الحية التي دفنتهوها ؟ فأشرنا لهما إلى صاحبها فقالتا : إنه آخر من بقي ممن استمع القرآن من رسول الله ﷺ كان بين كافري الجنة و مسلميهم قتال فقتل فيهم فإن كنتم أردتم به الدنيا عوّضناكم ، فقلنا : لا إنما فعلنا ذلك لله ، فقالتا : أحسنتم وذهبنا فقال : إن اسم الذي لف الحية صفوان بن معطل المرادي .

[ يهدي إلى الرشد ] إلى الحق و صلاح الدين و الدنيا ، و الرشد كالقفل خلاف الغي ، و الرشد كالذهب يقال في الأمور الأخروية فقط [ فآمنّا به ] أي بذلك القرآن [ و لن نشرك ] بعد اليوم [ برّبنا أحدا ] و لا نعبد غيره .

[ و أنه تعالى جد ربنا ] أي و أن الشأن ارتفع عظمة ربنا مستعار من الجد الذي معناه الحظ و البخت و الغنى [ ما اتخذ صاحبة و لا ولدا ] أي لم يختر لنفسه لكمال تعاليه زوجة و لا ابناً و لا بنتاً لأنهم بعد ما سمعوا القرآن و وقفوا للتوحيد تنبّهوا للخطأ فيما اعتقدوه كفر الجن من تشبيهه الله بخلقه فاستعظموه و نزّهوه عن هذه النقيصة و لوازم الإمكان و الحدوث .

[ و أنه كان يقول سفيهنّا ] و جاهلنا و مرده الجن [ على الله شططا ] و تجاوزاً عن الحد في الظلم و وصف القول بالمصدر للمبالغة في التجاوز في الظلم و هو نسبة الشريك

و الصاحبة و الولد إليه .

[ و أننا ظننا أن لن نقول الإ نس و الجنّ على الله كذباً ] اعتذارهم من تقليدهم لسفيهم أي كذباً نظنّ أنّ الشآن و القصة : لن يكذب على الله أحد أبداً ولذلك اتبعنا قولهم فلمّا سمعنا القرآن علمنا أنّهم كذبوا عليه تعالى، و « كذباً » مصدر مؤكّد لتقول .

[ و أنّه كان رجال من الإ نس يعوزون برجال من الجنّ ] أي و أنّ الشآن كان في الجاهليّة رجال كائنون من الإ نس يلتجئون ويتعلّقون برجال من الجنّ قال أهل التفسير كان الرجل من العرب إذا أمسى في وادٍ قفر في بعض مسائره و خاف على نفسه يقول : أعوذ بسيد هذا الوادي من شرّ سفهاء قومه فيبيت في أمن و جوار حتّى يصبح فإذا بذلك استكبروا و قالوا : سدنا الإ نس و الجنّ و ذلك قوله تعالى : [ فزادهم رهقاً ] أي فزاد الرجال العائذون الإ نسيون الجنّ رهقاً و تكبراً و عتوّاً و سفهاً و الرهق محرّكة يجيء على معان : منها السفه و ركوب الشرّ و الظلم ، و يجوز أن يكون المراد من الرجال العائذين رجال الجنّ زادوا الأ نس ظلماً و ضلالة .

[ و أنّهم ظنّوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً ] اختلف في معناها قيل : إنّ هذه الآية بقيّة من حكاية قول مؤمني الجنّ لكفارهم إنّ الكفار الذين يعوزون برجال من الجنّ الكفرة في الجاهلية حسبوا كما حسبتم أن لن يبعث الله رسولاً بعد موسى و عيسى و قيل : هذه الآية ما قبلها اعتراض من كلام الله و معناه إنّ الجنّ ظنّوا كما ظننتم معاشر الإ نس أنّ الله لا يحشر أحداً يوم القيامة و لا يحاسبه أولن يبعث الله أحداً رسولاً .

[ و أننا لمسنا السماء ] أي طلبنا و التمسنا قرب السماء لاستراق السمع أو طلبنا الصعود إلى السماء فعبّر باللمس مجازاً [ فوجدناها ملئت حرساً شديداً ] أي حفظة من الملائكة شداداً [ و شهباً ] و الشهب جمع شهاب و هو نور يمتدّ من السماء كالنار أي ملئت السماء من الحرس و الشهب .

[ و أننا كنّا نقعد منها مقاعد للسمع ] لاستراق السمع أي كان يتهيأ لنا فيما قبل القعود في مواضع الاستماع فنسمع منها بعض كلام الملائكة و من أحاديث البخاري .

عن عايشة عن رسول الله أن الملائكة تنزل في العنان بالفتح وهو السحاب فتذكر الأمر الذي قضى في السماء فتسترق الشياطين السمع وتسمعه ثم توحيه إلى الكهّان فيكذبون معه مائة كذبة من عند أنفسهم .

[ فمن يستمع الآن ] في مقعد من المقاعد و الآن أي في هذا الزمان و بعد البعث [ يبدله ] جواب للشرط أي يبدل نفسه [ شهاباً رصداً ] أي شهاباً راصداً لأجله و مترقباً له يصدّه عن الاستماع بالرجم أو زوي شهاب راصدين ليرجموا المستمع بما معهم من الشهب فلمّا رأى الجنّ ذلك قالوا : ما هذا إلا أمر أراه الله بأهل الأرض وذلك قولهم : [ و أنّا لا ندري أشرّ أريد بمن في الأرض ] بحراسة السماء منّا [ أم أراد بهم ربّهم رشداً ] خيراً و صلاحاً، و في بيان الآية أدب أدب الله الخلق لأنّ نسبة الخير في الآية إلى الله و نسب الشرّ مجهولاً .

و انا منا الصالحون و منادون ذلك و كنا طرائق قددا (١١) و انا ظننا ان لن نعجز الله في الارض و لن نعجزه هربا (١٢) و انا لما سمعنا الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً و لا رهقا (١٣) و انا منا المسلمون و منا القاسطون فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا (١٤) و اما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً (١٥) و ان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقاً (١٦) لنتفنتهم فيه و من يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا (١٧) و ان المساجد لله فلا يدعوا مع الله احدا (١٨) و انه لما قام عبدالله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا (١٩) قل انما ادعو ربي و لا اشرك به احداً (٢٠).

ثمّ قال في تمام الحكاية عن الجنّ الذين آمنوا عند سماع القرآن : [ و أنامنّا الصالحون ] وهم الذين عملوا الصالحات المخلصون [ و منّا دون ذلك ] أي دون الصالحين في الرتبة [ و كنّا طرائق قددا ] أي فرقا شتّى و متباينة كلّ فرقة تباين صاحبها كما يبيّن المقدود بعضه من بعض و الجنّ أمثال الإنس فمنهم قدرية و مرجئة و شيعة و خوارج و صفت الطرائق بالقدد لدلالاتها على التقطع و الاختلاف .

[ و أنّا ظننّا ] أي علمنا الآن بالاستدلال [ أن ان نعجز الله في الأرض ] و لن نفوته إذا أرادنا أمراً [ و لن نعجزه هرباً ] و أنّه تعالى يدر كنا حيث كنّا .

[ و أنما لَمَّا سمعنا الهدى ] أي القرآن [ آمنَّا به ] من غير تأخير و تردد [ فمن يؤمن بربه ] و بما أنزله من الهدى [ فلا يخاف بخساً و لارهقاً ] نقصاً في الجزاء و لا ترهقه و تغشاه ذلّة و ظلم فلا يخاف نقصاً في حسناته و لا زيادة في سيئاته أولاً يخاف نقصاً قليلاً و لا كثيراً و ذلك أن أجره و ثوابه موفّر و هذا حكاية عن قوّة إيمان الجن و صحّة إسلامهم .

ثمّ قالوا : [ و أنما منّا المسلمون ] الذين انقادوا للحقّ [ و منّا القاسطون ] الجائرون عن طريق الحقّ الذي هو الإيمان و القاسط الجائر لأنّه عادل عن الحقّ و المقسط العادل لأنّه عادل إلى الحقّ يقال : قسط إذا جار و أقسط إذا عدل .

قال صاحب تفسير روح البيان : و قد غلب هذا الاسم على حزب معاوية و منه الحديث خطاباً لعليّ عليه السلام : تقاتل الناكثين و القاسطين و المارقين ، فالناكثون أصحاب عايشة فإنّهم الذين نكثوا البيعة و استنزلوا عايشة و ساروا بها إلى البصرة على جمل اسمه عسكروا لذا سميت الواقعة يوم الجمل ، و القاسطون أصحاب معاوية لأنّهم قسطوا و جاروا حين حاربوا الإمام الحقّ و الواقعة تعرف بصفين ، و المارقون الخوارج فإنّهم الذين مرقوا و خرجوا من دين الله و استحلّوا القتال مع خليفة رسول الله و هم عبد الله بن وهب الراسبيّ و حرقوس بن زهير البجليّ المعروف بذي الشُدَيْبَةِ و تعرف تلك الواقعة بيوم النهروان هي من أرض العراق على أربعة فراسخ من بغداد انتهى كلامه .

[ فمن أسلم ] يجوز أن يكون من بقيّة كلام الجنّ و يجوز أن يكون مخاطبة من الله رسوله [ فأولئك ] إشارة إلى من أسلم و الجمع باعتبار المعنى [ تحرّوا و ارشدا ] التحرّي طلب الأليق أي طلبوا الهداية العظيمة .

[ و أمّا القاسطون ] الجائرون عن سنن الهدى [ فكانوا لجهنّم حطباً ] أي هم حطب توقد بهم في جهنّم .

[ و أن لو استقاموا ] أن مخففة من المثقلة أي أن الشان : لو استقام الجنّ أو الإنس أو كلاهما [ على طريقة ] الإسلام [ لأسقيناهم ماء غدقاً ] الإسقاء و السقي بمعنى و قيل : السقي و السقياهوأن تعطيه ماء ليشرب و الإسقاء أن تجعل له ذلك حتّى يتناوله



كيف شاء و غدق إذا غزروصف الماء به في غزارته كرجل عدل و تخصيص الماء الكثير بالذكر لأنه أصل السعة و المعنى لأعطيناهم مالا كثيرا وعيشا رغدا .

[ لنفقتهم فيه ] و لنعاملمهم معاملة المختبر في ذلك التوسيع أيشكرونه أم يكفرون به و فيه إشارة إلى أن المرزوق يجب عليه القيام بشكره و ذلك لوظائف الطاعات و العبادات و الواجبات .

[ و من يعرض عن ذكر ربه ] و وحيه [ يسلكه ] يدخله [ عذاباً صعداً ] أي شاقاً صعباً يعلو المعذب و يعذب به على أنه مصدر و وصف العذاب به للمبالغة ثم إن كان إعراضه عن الوحي و الذكر بعدم التصديق كان عذاب التأيد و إلا فبقدر جرعة إن لم تغفر له و روي أن «صعد» جبل في النار إذا وضع عليه يديه أو رجليه ذابتا و إذا رفعهما عادتا و قيل : «صعد» جبل أملس في جهنم و يكلف الوليد بن المغيرة صعوده أربعين عاماً فيحذب في أعلاه بالسلاسل فإذا انتهى إلى أعلاه انحدر إلى أسفله ثم يكلف ثانياً و هكذا يعذب أبداً .

[ و أن المساجد لله ] عطف على قوله : « استمع » أي وأوحي إلي أن المساجد مختصة بالله و بعبادته خصوصاً المسجد الحرام فالمراد بالمساجد المواضع التي بنيت للصلاة و العبادة كمسجد رسول الله و مسجد بيت المقدس و أمثالها و حاصل المعنى أن لا تذكروا مع الله في المواضع التي بنيت للعبادة أحداً على وجه الإشارك في عبادته كما يفعل النصارى في بيعةهم و المشركون في الكعبة قال الحسن : و من السنة عند دخول المساجد أن يقال : لا إله إلا الله لا أدعو مع الله آخر .

و قيل : المراد من المساجد مواضع السبعة في السجود من الإنسان و هي الجبهة و الكفان و أصابع الرجلين و عينا الركبتين و هي لله فلا ينبغي أن يسجد بها إلا الله و روي أن المعتصم سأل أبا جعفر محمد بن علي بن موسى الرضا عليه السلام عن قوله : « و أن المساجد لله » فقال : هي الأعضاء السبعة التي يسجد عليها .

و قيل : إن المراد بالمساجد البقاع كلها و ذلك لأن الأرض كلها جعلت للنبي مسجداً قال سعيد بن جبیر : قالت مؤمنو الجن للنبي ﷺ : كيف لنا أن نأتي المسجد

و نشهد معك الصلاة و نحن ناعون عنك ؟ فنزلت الآية و يروى عن كعب أنه قال : إنني لأجد في التوراة أن الله يقول : إن بيوتي في الأرض المساجد و إن المسلم إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى المسجد فهو زائر الله و حق على المزور أن يكرم زائره و لعل الحكمة في إيجاب السجود على هذه الأجزاء أن هذه الأجزاء التي عليها مدار الحركة هي المفاصل التي تنفتح و تنطبق و السعي و يحصل بها اجتراح السيئات و ارتكاب موجبات الشهوات فشرع الله بها السجود للتكفير و التطهير و محو الذنوب .

[ و أنه لما قام عبد الله [ أي و أوحى إليّ أن الشأن والقصة : لما قام النبي ﷺ و لذا جعلوه في أسمائه ﷺ ] لأنه هو العبد الحقيقي لما قام يدعو يقول : لا إله إلا الله و يقرء القرآن [ كادوا ] يعني قريشاً [ يكونون عليه لبدأ ] جمع لبدء بالكسر مثل قربة و قرب ، و هي ما تلبّد بعضها على بعض و تراكب و تلاصق و منها لبدء الأسد و هي الشعر المترابك بين كتفيه .

و المعنى أن قريشاً و مشركي العرب يتراكمون و يزدحمون للإنكار و يتعاونون عليه ، عن الحسن و قتادة .

و قيل : الضمير في كادوا راجع إلى الجن من ازدحامهم عليه تعجباً مما رأوا من قراءته و عبادته عن ابن عباس و الضحاك .

و قيل : هو بيان قول النفر من الجن : لأصحابهم حين رجعوا إليهم و مرادهم أن أصحاب النبي يتزاحمون عليه لاستماع القرآن منه يودّ كل واحد منهم أن يكون أقرب من صاحبه فيتلبّد بعضهم على بعض فعلى هذا المعنى هذا الكلام حكاية الله حال النفر من الجن و ليس من جملة ما أوحى الله إلى النبي .

و بالجملة إذا كان المراد من الآية ما ذهب إليه ابن عباس و أكثر المفسرين ، فالازرحام و التلبّد من النفر القليل يمكن أن يراد منه أن النفر لم يزالوا يدنون من جهة واحدة حتى كانوا عليه لبدأ أو بأن يتجوّز في النفروهم أكثر من النفر و حينئذ تعيين العدد على ما فعله بعضهم بلا معنى قال ابن مسعود : وقع الازدحام في المجنون بعد العود من نخلة ،

[ قل إنما أدعو ربِّي و لا أُشرك به أحداً ] و ذلك أن قريش قالوا للنبي ﷺ : إنك جئت بأمر عظيم لم نسمع مثله فارجع عنه فأمره سبحانه قل لهم : إنما أدعو ربِّي و معنى هذه يعضد قول الحسن : حيث رد ضمير كادوا إلى قريش .

قل انى لا املك لكم ضرا و لا رشداً (٢١) اقل انى لن يجيرنى من الله احد و لن اجد من دونه ملتجداً (٢٢) الا بلاغا من الله و رسالاته و من يعص الله و رسوله فان له نارجهنم خالدين فيها ابدأ (٢٣) حتى اذا راوا ما يوعدون فسيعلمون من اضعف ناصراً و اقل عدداً (٢٤) قل ان ادرى اقريب ما توعدون اى يجعل له ربي أمداً (٢٥) عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احداً (٢٦) الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه و من خلفه رسداً (٢٧) ليعلم ان قدا بلغوا رسالات ربهم و احاط بما لديهم و احصى كل شىء عدداً (٢٨) .

ثم خاطب نبيّه فقال :

[ قل ] يا محمد : للناس لا أقدر على دفع الضرر عنكم و لا إيصال الخير إليكم و إنما القادر على ذلك هو الله تعالى وهذا اعتراف بالعبودية و إضافة الجول والقوة إليه . ثم قال : [ قل ] يا محمد لهم : [ إنني لن يجيرني من الله أحد ] و لا يمنعني أحد ممّا قدره الله عليّ و لا يخلصني من الله إن خالفت أمره أحد [ و لن أجد من دونه ملتجداً ] يقال : التجد فيه أي مال عنه و يقال للملتجأ : الملتجأ أي لن أجد عند الشدائد ملتجأ غيره و إذاً لا أملك لنفسي شيئاً فكيف أملك لكم شيئاً .

[ إلا بلاغاً من الله ] استثناء متصل من قوله : « لا أملك » و فائدة الاستثناء المطالفة في توصيف نفسه بالتبليغ للدلالة على أنه لا يدع التبليغ الذي يستطيعه و قوله : « من الله » صفة بلاغاً أي بلاغاً كائناً منه و بلاغاً واقع موقع التبليغ كما يقع السلام و الكلام موقع التسليم و التكليم و المعنى لا أملك شيئاً سوى تبليغ وحي الله [ و رسالاته ] التي أرسلني بها و جمع الرسالة باعتبار تعدد ما أرسل هو به .

[ و من يعص الله و رسوله ] أي خالف أمره في التوحيد و ارتكب الكفر و المعاصي

[فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً] جزاء على ذلك و الجمع باعتبار المعنى و قوله :  
«أبدأ» دفع لأن يراد بالخلود المكث الطويل .

[حتى إذا رأوا ما يوعدون] غاية لمحذوف يدل عليه الحال من استضعاف الكفار  
له و لا نصاره و لاستقلا لهم لعددهم حتى قالوا هم بالإضافة إلينا كالحصاة من جبال كأنه  
قيل : لا يزالون على ما هم عليه حتى إذا رأوا ما يوعدون من فنون العذاب في الآخرة  
[فسيعلمون] حينئذ عند حلول العذاب بهم [من أضعف ناصرأ و أقل عدداً] أهم أم  
المؤمنون؟ و ناصرأ و عدداً منصوبان على التمييز و حمل بعضهم ما توعدون على ما رأوه يوم  
بدر وأياً ما كان ففيه دلالة على أن الكفار مخذولون و إن كثروا عدداً لأن الكافرين  
لا مولى لهم و الواحد على الحق هو السواد الأعظم فإن نصره ينزل من العرش .

[قل إن أدري أقرب ما توعدون أم يجعل له ربي أمداً] أي ما أدري ، «أقرب» خبر  
مقدم لقوله : «ما توعدون» أو يكون ما توعدون فاعلاً لقريب ساد مسد الخبر لوقوعه  
بعد همزة الاستفهام و ما مو صولة و العائد محذوف أي ما أدري أقرب الذي توعدونه أم  
غاية تطول مدتها و الأمد و إن كان يطلق على القريب إلا أن المقابلة تخصصه بالبعيد  
والفرق بين الزمان والأمد أن الأمد يقال باعتبار الغاية و الزمان عام في المبدئ والغاية  
و حاصل المعنى أن الموعود كائن لا محالة و أمّا وقته فما أدري لأن الله لم يبينه لما  
رأى في إخفاء وقته من المصلحة .

فإن قيل : أليس قال وَاللَّهُ وَاسِعٌ : بعثت أنا و الساعة كهاتين؟ فكان عالماً بقرب وقوع  
القيامة فكيف قال ههنا : لا أدري أقرب أم بعيد؟

فالجواب أن المراد بقرب وقوعه هو أن ما بقي من الدنيا أقل مما انقضى فهذا  
القدر من القرب كان معلوماً عنده وَاللَّهُ وَاسِعٌ و أمّا قربه بمعنى كونه يتوقع ساعته و يعرف  
زمانه فغير معلوم عنده و عند غيره ، على أن كل آت قريب .

[عالم الغيب] وحده أي هو عالم لجميع ما غاب عن الخلق و اللام للاستغراق  
[فلا يظهر على غيبه أحداً] أي لا يطلع على الغيب أحداً من عباده .

ثم استثنى فقال : [إلا من ارتضى من رسول] يعني الرسل فإنه يستدل على

نبوتهم بأن يخبروا بالغيب لتكون آية معجزة لهم فمن اختار للرسالة فإنه يطلع على ما شاء من غيبه على حسب ما يراه من المصلحة وهو قوله :

[ فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً ] أي يدخل ويثبت قدّام الرسول المختار المرتضى ومن جوانب الرسول عند إظهاره له على الغيب حرساً من الملائكة يحرسونه من بعض الشياطين ولما أظهره عليه من الغيوب المتعلقة برسالاته يعني إن جبرئيل كان إذا نزل بالرسالة نزل معه ملائكة يحفظونه من أن يسمع الجن الوحي فيلقونه إلى كهنتهم فتخبر به الكهنة قبل الرسول فيختلط على الناس أمر الرسالة هذا كما جرت عادة الملوك بأن يضموا إلى الرسول جماعة من خواصهم تشريعاً له كما روي أن سورة الأنعام نزلت ومعها سبعون ألف ملك ، والراصدون هم الراقبون من الملائكة لهذا الأمر .

وقيل : معنى الآية أن الله يجعل لرسوله المختار للرسالة رصداً وطريقاً إلى علم ما كان قبله من الأنبياء والسلف وعلم ما يكون بعده .

[ ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم ] ليعلم الرسول أن الملائكة قد أبلغوا قال سعيد بن جبير : ما نزل جبرئيل بشيء من الوحي إلا ومعها أربعة من الملائكة حفظة فيعلم الرسول قد أبلغ الرسالة على الوحي الذي قد أمر به . وقيل : ليعلم محمد ﷺ أن الرسل قبله قد أبلغوا جميع رسالات ربهم كما أبلغ أو كانوا محروسين محفوظين بحفظ الله . وقيل : ليعلم الله أن قد أبلغوا لا أنه سبحانه ما كان يعلم قبل وقوعه قبل الإبلاغ بل المعنى ليظهر المعلوم على ما كان سبحانه عالماً به ويعلمه واقعاً كما كان يعلم أنه سيقع وقيل : المعنى ليبلغوا فجعل بدل ذلك ليعلم إبلاغهم توسعاً .

[ وأحاط بما لديهم ] أي أحاط سبحانه علماً بالمالدي الأنبياء والخلائق وهم لا يحيطون إلا بما يطلعهم الله عليه مما هو عنده .

[ وأحصى كل شيء عدداً ] أي عرف عدد ما خلق لم يفته علم شيء حتى مثاقيل الذرّ والخردل ولا شيء يعلمه عالم أو يذكره ذاكر إلا وهو تعالى عالم وإن حمل الإحصاء على العلم تناول جميع المعلومات وإن حمل على العدد تناول الموجودات .

-٢٧٤- ( الجزء التاسع والعشرون - سورة الجن ٧٢ - آية ٢١ - ٢٨ ) ج ١١

---

و الآيه صريحة على أن علمه بالأشياء ليس على وجه كلي إجمالي بل على جزئي تفصيلي  
و أيضاً يستدل من الآيه على أن المعدوم ليس بشيء لأنه لو كان شيئاً لكانت  
الأشياء غير متناهية و كونه أحصى عددها يقتضي كونها متناهية  
لأن الإحصاء إنما يكون في المتناهي فيلزم الجمع  
بين كونها متناهية و غير متناهية و ذلك  
مجال تمت السورة بعون الله



## سورة المزمل

مَكِّيَّةٌ وَقِيلَ : مَدِينِيَّةٌ وَقِيلَ : بَعْضُهَا مَكِّيٌّ وَبَعْضُهَا مَدَنِيٌّ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : وَمَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْمَزْمَلِ دَفَعُ عَنْهُ الْعَسْرَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ (١) قَهْمُ اللَّيْلِ الْأَقْلِيلِ (٢) نَصْفُهُ أَوْ انْقِصَ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتَلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (٤) أَنَا سَلَقْتُ عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (٥) إِنْ نَاشَأَ اللَّيْلَ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَاقْوَمُ قَلِيلًا (٦) إِنْ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا (٧) وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا (٨) رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا (٩) وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا (١٠) .

[ يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ ] وَ الْمَتَلَفَّفُ بِشِبَابِهِ وَ الْمَتَغَطِّيُّ بِهَا ، أُدْغِمْتَ التَّاءَ فِي الزَّايِ لِقُرْبِ الْمَخْرَجِ وَ لِأَنَّهُ أَبْدَى إِلَى الْمَسْمُوعِ مِنَ التَّاءِ فَقِيلَ : الْمَزْمَلُ بِتَشْدِيدِ يَنْ ، كَانَ ﷺ نَائِمًا بِاللَّيْلِ فِي قَطِيفَةٍ فَأَمَرَ أَنْ يَتْرَكَ التَّزْمَلَ إِلَى التَّشْمُرِ لِلْعِبَادَةِ وَيَخْتَارَ التَّهَجُّدَ عَلَى الْهَجُودِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : أَوَّلُ مَا جَاءَهُ جِبْرَائِيلُ خَافَهُ فَظَنَّهُ ﷺ مَسًّا مِنَ الْجِنِّ فَرَجَعَ مِنْ جَبَلِ حِرَاءَ إِلَى بَيْتِ خَدِيجَةَ مِنْ تَعْدَاءُ وَقَالَ : زَمَلُونِي فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَ جِبْرَائِيلُ وَقَالَ : [ يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ ] وَ عَنْ عِكْرَمَةَ أَنَّ الْمَعْنَى يَا أَيُّهَا الَّذِي زَمَلَ أَمْرًا عَظِيمًا وَ حَمَلَهُ وَ الزَّمَلَ الْحَمَلَ وَ أَزْدَمَلَهُ أَحْتَمَلَهُ .

قَالَ السَّهَيْلِيُّ : لَيْسَ الْمَزْمَلُ مِنْ أَسْمَائِهِ وَإِنَّمَا الْمَزْمَلُ مُشْتَقٌّ مِنْ حَالَتِهِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا وَقَدْ خَطَبَ وَ كَذَا الْمَدَّثَرُ وَ فِي هَذَا الْخُطَابِ الْمَلَاطِفَةُ فَإِنَّ الْعَرَبَ إِذَا قَصَدَتْ مَلَاطِفَةَ الْمُخَاطَبِ سَمَّوْهُ بِاسْمِ مُشْتَقٍّ مِنْ حَالَتِهِ الَّتِي هُوَ عَلَيْهَا كَقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ لِعَلِيٍّ حِينَ وَقَعَتْ مَعَانِبَةُ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ فَاطِمَةَ فَاتَّاهُ ﷺ وَ عَلِيٌّ نَائِمٌ قَدْ لَصِقَ بِجَبِينِهِ التُّرَابُ

فقال له : قم يا أبا تراب ، ملاطفة له و كذلك قوله لحذيفة : قم يا نومان و كان حذيفة نائماً و إنما خوطب ﷺ بهذا الخطاب في بدو الوحي و لم يكن قد بلغ شيئاً ثم خوطب بعد ذلك بالنبي و الرسول .

[ قم الليل ] أي لا تزمّل و ترفدودع هذه الحال لما هو أفضل منها و قم إلى الصلاة في الليل و حذف «في» و أوصل الفعل إلى الظرف فنصب لأنّ عمل الجرّ لا يكون في الفعل و النصب أقرب إليه من الرفع و من ذلك قال بعضهم : هو مفعول نظراً إلى الظاهر في الاستعمال [ إلا قليلاً ] استثناء من الليل .

[ نصفه ] بدل من الليل بدل البعض من الكل أي قم نصفه و التعبير عن المخرج بالقليل لإظهار كمال الاعتناء بشأن النصف المقارن للقيام و الإيدان بفضل و كون القيام فيه بمنزلة القيام في أكثره في كثرة الثواب بمعنى أنّه يجوز أن يوصف النصف المستثنى بكونه قليلاً بالنسبة إلى النصف المشغول بالعبادة مع أنّهما متساويان في المقدار حيث إنّ النصف الفارغ لا يساويه بحسب الفضيلة و الشرف فالاعتبار بالكيفية لا بالكمية .

[ أو انقص منه ] أي انقص القيام من النصف إلى الثلث [ قليلاً ] أي نصفاً قليلاً أو مقداراً قليلاً [ أوزد عليه ] أي على النصف إلى الثلثين بمعنى أن قم و صل ثلثي الليل الليل و نم ثلثه قال الصادق عليه السلام القليل النصف . أو انقص من القليل قليلاً أوزد على القليل قليلاً و قيل : معنى الآية قم نصف الليل إلا قليلاً من الليالي وهي ليالي العذر كالمرض و غلبة النوم و علة العين و نحوها أو انقص من النصف قليلاً أوزد عليه و بالجملة خير الله سبحانه نبيه في هذه الساعات للقيام بالليل و جعله موكولاً إلى رأيه .

و كان النبي ﷺ و طائفة من المؤمنين معه يقومون على هذه المقادير و شق ذلك عليهم و كان الرجل منهم لا يدري كم صلى و كم بقي من الليل فكان يقوم الليل كله مخافة أن لا يحفظ قدر الواجب حتى خفف عنهم بآخر هذه السورة .

و عن سعيد بن هشام قال : قلت لعائشة : أنبئيني عن قيام رسول الله فقالت : ألسنت قرء يا أيها المزمل ؟ قلت : بلى قالت : فإن الله أقرض قيام الليل في أول هذه السورة فقام النبي و أصحابه حولاً و أمسك الله خاتمها اثني عشر شهراً في السماء حتى أنزل



الله في آخر هذه السورة التخفيف بقوله تعالى : « فاقروا ما تيسر من القرآن » فصار قيام الليل تطوعاً بعد أن كان فريضة .

و قيل : كان بين أول السورة وآخرها الذي نزل فيه التخفيف عشرين ، والقائل سعيد بن جبير ، و قيل : هذا كان بمكة قبل فرض الصلوات الخمس ثم نسخ بالخمس وقيل : هذا التخفيف في القيام بين نصف الليل أو أقل منه أو أزيد منه في الآية على حسب طول الليل وقصره فالنصف إذا استوى الليل والنهار والنقص منه إذا قصر الليل والزيادة إذا طال الليل .

[ ورتل القرآن ترتيلاً ] أي بيّنه بياناً و اقرءه على هنيئتك ولا تنثره نثر الرمل و اقرءه بالتثيب والنظم والتوالي والتؤدة و توفّ حقها في أداء الحروف و لا تغير لفظاً و لا تقدّم مؤخراً و هو مأخوذ من ترتل الأسنان إذا استوت و أحسن انتظامها يقال : نثررتل إذا كانت أسنانه مستوية لا تفاوت فيها .

و بالجملة رتله ترتيلاً بليغاً في قراءة تك في القيام وغيره بحيث يتمكن السامع من عدّها و لذا نهى ابن مسعود عن التعجيل و قال : لا يكن همّ أحدكم آخر السورة و لذا قيل : شرّ القراءة الهذمة أي السرعة و كان ﷺ يجود القرآن ، و تجويده تحسين ألفاظه بإخراج الحروف من مخارجها و إعطاء حقوقه من صفاته كالجهر و الهمس و اللين و نحوها بغير تكلف من التتميط و التجاوز عن الحدّ و كان ينبغي للقاري أن يحذر عن الإدماج و التخليط بحيث يلفّ بعض الكلمات في بعض آخر لزيادة السرعة كالبياض إن قلّ صار سمرة و إن كثر صار برصاً و ما فوق الجموعة فهو القلط .

قال النبي ﷺ : من قرء القرآن أقلّ من ثلاث لم يفهمه و عن النبي ﷺ أنه قرأ بسم الله الرحمن الرحيم عشرين مرّة و كان له كلّ مرّة فهم و في كلّ كلمة علم و قد كان بعض الأصحاب يقول : كلّ آية لا أفهمها ولا يكون قلبي فيها لم أعد لها ثواباً و إذا قرء سورة لم يكن قلبه فيها أعادها ثانية .

قال بعض العلماء : لكلّ آية ستون ألف فهم و ما بقي من فهمها أكثر و المقصود

من إنزال القرآن فهم الحقائق و العمل بالفحايي شرّح الإ نصات لقراءة القرآن وجوباً عند بعض و ندباً عند بعض أو وجوباً في القراءة في الصلاة و ندباً في غيرها على الاختلاف بين العامة و الخاصة و للقاري أجر و للمستمع أجران .

قال صاحب روح البيان ختم القرآن في ركعة واحدة أربعة : تميم الدارمي و عثمان ابن عفّان و سعيد بن جبير و أبو حنيفة و كان همسر بن المنهال يختم في الشهر تسعين ختمة و ما لم يفهم رجع فقره مرّة أخرى . و في القاموس : و أبو الحسن عليّ بن عبد الله ابن ساوان ختم في النهار أربع ختمات إلاّ ثمناً مع إفهام التلاوة .

و في الخبر طيبوا طرق القرآن من أفواهكم باستعمال السواك ، و الصلاة بعد السواك تفضل على الصلاة بغير سواك سبعين ضعفاً .

و فيما روى أبو عبيد القاسم بن سلام عن النبي ﷺ ليس منّا من لم يتغنّ بالقرآن قال السيّد المرتضى في الفرر والدرر : معناه أراد أن يستغني بالقرآن تقول العرب تغنّيت تغنّياً و تغانيت تغانياً قال ابن مسعود : من قرأ سورة آل عمران فهو غني أي مستغن قال الأعشى :

و كنت امرءاً زمناً بالعراق \* عفيف المناخ طويل التغنّ

و في حديث : نعم كنز الصلوك سورة آل عمران يقوم بها في آخر الليل . و في حديث آخر عن النبي ﷺ لا ينبغي لحامل القرآن أن يظنّ أنّ أحداً أُعطي أفضل ممّا ممّا أُعطي لانه لو ملك الدنيا بأسرها لكان القرآن أفضل ممّا ملكه ولو كان معنى ليس منّا من لم يتغنّ بالقرآن الترجيع و حسن الصوت لعظمت المحنة على أكثر الناس بذلك .

و ذكر الأنباريّ وجهاً آخر في الخبر و هو أنّ المراد من لم يتلذذ بالقرآن و لم يستحله ولم يستعذب تلاوته كاستحلاء أصحاب الطرب للغناء و التذازن بهم به و سمي ذلك تغنّياً توسّعاً نظير قولهم : العمائم تبعان العرب و العجبى حيطان العرب و الشمس حمّامات العرب انتهى .

[ إنّنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً ] أي سنرمي إليك قولاً ثقيلاً و هو القرآن العظيم المنطوي على تكليف شاقّة ثقيلة بالنسبة إلى عدم التكليف و الثقل حقيقة في الأجسام ثمّ

يقال : للمعاني باعتبار اللازم منه أو ثقيلاً حين إلقائه عليه كما سئل رسول الله كيف تأتيتك الوحي ؟ قال : يأتيني مثل صلصلة الجرس أحياناً وهو أشد عليّ فيفصم و يقلع عنّي وقد وعيت ما قال وأحياناً تمثيل إلى الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول : قالت عائشة : ولقد رأيته ﷺ ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليترشح عرقاً .

وقوله « إنا سنلقي ، الآية » اعترض بين الأمر وهو « قم الليل » وتعليقه وهو [ إن ناشئة الليل ] لتسهيل ما كلفه من القيام وعن أبي جعفر و أبي عبد الله قالا : « الناشئة » هي القيام في آخر الليل إلى صلاة الليل وقيل : معناه ساعات الليل لأنها تنشأ ساعة بعد ساعة أي إن ساعات الليل الناشئة وقيل : الناشئة بالجنسية قيام الليل .

[ هي أشد وطأ ] أي كلفةً و ثقلاً مصدر وطىء الشيء أي داسه برجله لأن العباداة في تلك الساعات أثقل على الإنسان من العباداة في النهار والمقصود بيان أفضلية العباداة في ذلك الوقت وقد جعل الله الليل لباساً يستتر الناس و يمنعهم عن الاضطراب والحركة و أقدامهم للعبادة أثبت بخلاف النهار فإنهم فيه مباشرين أمور معاشهم .

[ وأقوم فيلاً ] اسم من القول بمعناه فقلب الواو ياء أي أزيد في الاستقامة في المقال و الطبع أفرغ فيه وقيل : الناشئة أن تكون بعد النوم فلولم يتقدّمها نوم لم تكن ناشئة . [ إن لك في النهار سبحاً طويلاً ] أي تقلّباً و تصرّفاً في مهمّاتك كتردد السايح في الماء و مشتغلاً بشواغلك فلا تستطع أن تنفرّغ كاملاً في العباداة وقيل : المعنى إن فاتك من الليل شيء من العباداة فلك فراغ في النهار فتداركه فيه حتّى لا ينقص شيء من حظّك من العباداة لربّك .

وفي بعض كلمات المحقّقين : من فاته نافلة من النوافل أو ورد من الأوراد استحبّ له فعل مثله متى ذكره لا على وجه القضاء في الأوراد ولكن على سبيل التدارك و رياضة النفس كيلا تعتاد الرخص و أمّا في النوافل لا بأس على وجه القضاء بتداركها .

[ واذكر اسم ربّك ] ودم على ذكره تعالى ليلاً و نهاراً على أيّ وجه كان من

تسييح و تهليل و تحميد و صلاة و قراءة قرآن و دراية علم خصوصاً بعد صلاة الغداة وقبل غروب الشمس فإِنَّهُمَا من ساعات الفتح و الفيض قلباً لساناً أركاناً قياماً و قعوداً لأنَّ العبد بسبب دوامه و اشتغاله بهذا الفيض الأعظم و هذه المناسبة يغلب قدسه على دنسه إن كان من أهل الدنس و تصير مناسباً لعالم القدس و إن كان أهل السعادة فحينئذ يترقى مقامه من مرتبة إلى مرتبة و هلمَّ جرّاً و يفيض عليه من العلوم ما شاء الله .

[ و تبتّل إليه تبتيلاً ] أي انقطع إلى ربك انقطاعاً بالعبادة و التوجه الكليّ و إخلاص النيّة و جرد نفسك عن أمور الصادّة عن مراقبة الله و اقطع العلائق عمّا سواه و ليس هذا منافياً لقوله : لأرهبانيّة و لا تبتّل في الاسلام فإنَّ التبتّل هنا هو الانقطاع عن النكاح و منه قيل لمريم : البتول ، أي المنقطعة عن الرجال و أمّا إطلاق البتول على فاطمة عليها السلام فلكونها شبيهة بمريم في أنّها سيّدة نساء بني إسرائيل في الانقطاع عمّا سوى الله لاعتن النكاح .

و قيل : تبتيلاً مكان تبتلاً لأنَّ معنى التبتّل، بتّل نفسه ، فجاء على معناه مراعاة لحقّ الفواصل أو من قبيل قوله : « و الله أنبتكم من الأرض نباتاً » تقديره أنبتكم منها إنباتاً فنبتم نباتاً و كذا هنا التقدير تبتّل إليه تبتلاً ببتلك عمّا سواه تبتيلاً .

فإن قيل : إنَّ التبتّل و الانقطاع الكليّ ينافي معه قوله : « إنَّ لك في النهار سبحاً طويلاً » .

فالجواب أنّ عمل الظاهر لا يقع الكامل عن ذكره و مراقبته فمن مستنفل و من ذاكر و ذلك بحسب اختلاف الأحوال والأشخاص و قد يكون مشاغله الظاهرة في حكم العبادة و الانقطاع .

[ ربّ المشرق و المغرب ] أي هو ربّهما و خالقهما يريد به جنس المشارق و المغرب في الشتاء و الصيف [ لا إله إلا هو ] استيناف لبيان ربوبيّته بنفي الألوهيّة عمّا سواه [ فاتخذنه ] لمصالح دينك و دنياك ، و الفاء لترتيب الأمر و موجبة على اختصاص الربويّة [ و كيلاً ] مفوضاً إليه موكولاً له لإصلاحها و استرح أنت .

و اعلم يا أخي أنّ من جعل الله و كيلاً لزمه أيضاً أن يكون و كيلاً لله على نفسه

في استحقاق حقوقه و فرائضه و كل ما يلزمه فيخاصم نفسه في ذلك ليلاً و نهاراً لا يقصر لحظة و لا يقصر طرفة قال الزورقي : خاصية الاسم نفى الحوائج و المصائب فمن خاف ريحاً أو صاعقة أو نحوهما فليكثر منه فإنه يصرف عنه السوء و يفتح له أبواب الرزق .  
[ و اصبر على ما يقولون ] يعني قريشاً من الخرافات و الهذيان في حق الله من الشريك و الصاحبة و الولد و في حقك من الساحر و الشاعر و الكاهن و المجنون و في حق القرآن من أنه أساطير الأولين و نحو ذلك .

[ و اهجرهم هجراً جميلاً ] تأكيد للأمر بالصبر أي و اتركهم تركاً حسناً بأن تجانبهم بقلبك و هواك و الهجران مفارقة الإنسان غيره وذلك يكون بالبدن أو باللسان أو بالقلب وقوله : «واهجرهم» يحتمل للمثلاثة .

ذرنى و المكذبين اولى النعمة و مهلهم قليلاً (١١) ان لدنيا انكالا و

جحيماً (١٢) و طعاماً ذاغصة و عذاباً اليماً (١٣) .

[ ذرنى و المكذبين ] أي دعني و إياهم و كل أمرهم إليّ و لا تشغل قلبك بمجازاتهم . والآية للتهديد كما يقول القائل : دعني و إياه . و « ذر » أمر من وذر لكن لم يجعلوا له ماضي مثل دع لم يجعلوا و دع لأن الابتداء بالواو يستكرهونه و لذلك أبدلوا في بعض الموارد الواو بالهمزة أو التاء مثل أقتت و تراث و تخمه ، و المكذّب بين مفعول معه و يجوز على العطف أي دعني على أمري و دع المكذّبين .

[ أولى النعمة ] صفة للمكذّبين أي أرباب التنعم و الترفه قريشاً لاسيما بني المغيرة . و النعمة بفتح النون التنعم و بكسرهما الإنعام و ما أنعم به عليك و بالضم السرور و التنعم استعمال ما فيه النعمومة و اللين من المأكل و الملبوس و معلوم أن متعلق الذمّ ليس نفس النعمة و الرزق بل المتنعم كما قال طعنا حين بعثه إلى اليمن والياً : إياك و التنعم فإنّ عباد الله ليسوا بالمتنعمين ، وفيه تسلية للفقراء فإنّهم يدخلون الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام .

[ و مهلهم قليلاً ] و المهل التؤدة و السكون أي مهلهم زماناً قليلاً و أجلاً يسيراً

و لاتعجل فإن الله سيعذبّ بهم في الآخرة إذ عمر الدنيا قليل و كل آت قريب .

[ إن لدينا ] في الآخرة [ أنكالا ] أي قيوداً ثقلاً يقيّد بها أرجل المجرمين إهانة لهم و تعذيباً لاخوفاً من فرارهم جمع نكل بالكسر و هو القيد الثقيل بيان الاقتدار على الانتقام منهم و مضادة على تنعمهم الباطل في الدنيا بكفران النعمة [وجحيماً] و هي كل نار عظيمة في مهواة شديدة الحرّ و الأتقاد .

[ و طعاماً ذاغصّة ] هو ما ينشب في الخلق و يعلّق من عظم و غيره فلا ينساع لاهو نازلٌ و لاهو خارج كالضريع و الزقوم و هما في الدنيا من النباتات و الأشجار سمّان قاتلان للحيوان الذي يأكلهما مستكرهان فما ظنك بضريع جهنّم و زقومها ؟ [ و عذاباً أليماً ] و نوعاً آخر من العذاب مؤلماً لا يقادر قدره كما يدلّ عليه التنكير . في التفسير : إنّه لما نزلت هذه الآية خرّ النبيّ ﷺ مغشياً عليه .

قيل : إنّ حسن البصريّ أمسى صائماً فأثبي بطعام فعرضت له هذه الآية فقال : ارفعه و وضع عنده الليلة الثانية فعرضت له فقال : ارفعه و كذلك الثالثة فأخبر ثابت البنانيّ و يزيد الضبيّ و يحيى البكاء فجاءوا فلم يزالوا حتّى شرب شربة من سويق .  
يوم ترجف الارض و الجبال و كانت الجبال كثيباً مهيباً (١٤) انا ارسلنا اليكم رسولا شاهداً عليكم كما ارسلنا الى فرعون رسولا (١٥) فعصى فرعون الرسول فاخذناه اخذاً و يبلا (١٦) فكيف تتقون ان كفرتم يوماً يجعل الولدان شيباً (١٧) السماء منفطر به كان وعده مفعولاً (١٨) ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلاً (١٩) .

[ يوم ترجف ] ظرف للاستقرار من الأنكال و الجحيم و الرجفة الزلزلة و الزعرة الشديدة أي تضطرب بهيبة الله ليكون علامة القيامة و أمانة لجريان حكم الله في مؤاخظة العاصي و أفرد الجبال بالذكر لعظمتها و غلظ أجسامها وهي أوتاد فإذا تزلزلت الأوتاد لم يبق للأرض قرار و أيضاً زلزلة العلويات أظهر من زلزلة السفليات و من زلزلتها تبلغ القلوب الحناجر خوفاً من الوقوع .

[ و كانت الجبال كثيباً مهيباً ] من شدّة الرجفة مع صلابتها مثل رمل هبل هبلاً و أسيل و نثر بحيث لو حرّك من أسفله انهال من أعلاه و مهيل اسم مفعول من هال و أصله مهبول كميع و الحاصل أنّ الأرض و الجبال يدقّ بعضها ببعض فتصير الجبال

كالمجموعة من الرمل المهيل ثم ينسفها الريح فيصير هباءً منبثاً و تبقى الأرض مكانها  
ثم تبدل .

[ إنا أرسلنا إليكم رسولاً ] أيها الناس ، يعني محمداً [ شاهداً عليكم ] في الآخرة  
يشهد بما يكون منكم وقع في الدنيا [ كما أرسلنا إلى فرعون ] بمصر [ رسولاً ] يعني  
موسى بن عمران [ فعصى فرعون الرسول ] و تخصيص فرعون لأنه الرئيس و الباقي تبع  
فعصى فرعون المعلوم حاله تنعماً و كبراً الرسول الذي أرسلناه إليه فعصيتم أنتم رسولكم  
كما كذب فرعون و قومه موسى [ فأخذناه ] بسبب عصيانه [ أخذاً ] ثقيلاً [ و بيلاً ]  
لا يطاق و أذهبناهم من طريق الماء إلى النار و الويل الثقيل الغليظ و منه الوايل  
للمطر العظيم .

[ فكيف تتقون ] إن كفرتم كأنه قيل : هبوا أنكم لا تؤخذون في الدنيا أخذة  
فرعون فكيف تتقون أنفسكم، اتقى بمعنى وقى المتعدّي إلى مفعولين [ إن كفرتم ] أي  
بقيتم على الكفر [ يوماً ] أي عذاب يوم مفعول به لتتقون [ يجعل الولدان شيباً ] من شدة  
هوله والوالدان جمع وليد يقال : ويستعمل في من يقرب عهده بالولادة و إن كان يستعمل  
فيمن بعد عهده منها تجوزاً « شيباً » و شيوخ جمع أشيب و هو بياض الشعر .

قال الزمخشري : رأيت في بعض الكتب أن رجلاً أمسى فاحم الشعر كحلك  
الغراب و أصبح هو أبيض الرأس و اللحية كالثغامة بياضاً و هو نبت أبيض قال : رأيت  
القيامة والجنة والنار ورأيت الناس يقادون في السلاسل إلى النار فمن ذلك أصبحت كما ترون .  
و قال أحمد الدورقي : مات رجل من جيراننا شاباً فرأيتته و قد شاب فقلت : و ما  
قصتكم قال : دفن رجل في مقبرتنا فزفرت جهنم زفرة شاب منها كل من في المقبرة كما  
في فصل الخطاب .

فإن قلت : إيصال الضرر و الألم إلى الصبيان غير جائز لكونهم غير مكلفين .  
أجابوا أنه إذا كان في القيامة من هيبة المقام ما يجثوبه الأنبياء على الركب فما  
ظنك بغيرهم ؟ النهاية أن هذا المكروه لهم لعل لوجوب الاستحقاق للنعيم الدائم لهم  
لأنهم ليس لهم عمل أو أنه محمول على التمثيل ، وسرعة الشيب موجبها الهموم والأحزان

لأنّ الهمّ إذا تفاقم على المرء ضعفت قواه لأنّه يوجب انعصار الروح إلى داخل القلب و ذلك الانعصار يوجب انطفأؤها الحرارة الغريزيّة وضعفها وانطفائها يوجب بقاء الأجزاء الغذائية غير تامّة النضج و ذلك يوجب بياض الشعر لعدم استعداد بصلة الشعر كاملاً من منبته فيسرع الشيب و قيل : يجوز ذلك أن يكون وضعاً لليوم بالطول يعني على الكناية بأنّه في طوله بحيث يبلغ الأطفال فيه أو ان الشيخوخية و الشيب لأنّه تقدير حقيقيّ من هو لا ينقضى بعد بل يمتدّ إلى حيث يكون مقداره خمسين ألف سنة .

[السماء منفطر به] السماء مبتدأ خبره منفطر به أي منشقّ بسبب ذلك اليوم فذكر سبحانه من هول ذلك اليوم هذا الانفطار فإذا انفطرت السماوات و انشقت على عظمتها بسبب ذلك الهول فما ظنك بغيرها من الخلائق ؟ فالباء للمسيبة أي بسبب الهول والشدة و يجوز أن يكون الباء بمعنى في أي في ذلك اليوم ، قال المكّي في قوت القلوب : حرف العوامل يقوم بعضها مقام بعض و استشهد بهذه الآية و قيل : الباء للاستعانة مثل فطرت العود بالقدوم فالمعنى السماء منفطر باستعانة شدة ذلك اليوم و هذا المعنى الآخر ركيك جداً لأنّ اتّخاذ الآلة و الاستعانة لا يليق بجنابه تعالى .

[ كان وعده مفعولاً ] الضمير راجع إلى الله تعالى و إن لم يجر له ذكر ، للمعلم به و المصدر مضاف إلى فاعله أي كان وعده كائناً متحققاً أو الضمير راجع لليوم و المصدر مضاف إلى مفعوله و الفاعل مقدّر وهو الله ، قال في الصحاح : الوعد يستعمل في الخير و الشرّ فإذا أسقطوا الخير و الشرّ قالوا في الخير : الوعد و العدة و في الشرّ : الإيعاد و الوعيد .

[ إنّ هذا ] إشارة إلى الآيات المنطوية على القوارع المذكورة [تذكرة] موعظة لمن يطلب الخير لنفسه و كيف لا و القرآن موعظة للمتّقين طريق للمساكين و نجاة للمهاكين و بيان للمستبصرين و شفاء للمتحمّسين و أمان للخائفين و أنيس للعابدين و نور للعارفين و هدى لمن أراد الطريق إلى ربّ العالمين .

[ فمن شاء ] من الملكّفين [اتخذ إلى ربّه سبيلاً] بالتقرّب إليه بالإيمان والقبول .

ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل و نصفه و ثلثه و طائفة



من الذين معك و الله يقدر الليل و النهار علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقراءوا ما تيسر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى و آخرون يضربون يبتغون من فضل الله و آخرون يقاتلون في سبيل الله فاقراءوا ما تيسر منه و اقيموا الصلاة و آتوا الزكاة و اقرضوا الله قرضاً حسناً و ما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً و اعظم اجرا و استغفروا الله ان الله غفور رحيم (٢٠) .

ثمّ خاطب نبيّه ﷺ فقال : [ إن ربك يعلم ] يا محمد إنك تقوم أقلّ من ثلثي الليل و أقلّ من نصفه و أقلّ من ثلثه و الهاء تعود إلى الليل أي نصف الليل و ثلث الليل فحاصل المعنى يكون إنك تقوم في بعض الليالي قريباً من الثلثين و في بعضها قريباً من نصف الليل و في بعضها قريباً من ثلث الليل و قيل : إن الهاء تعود إلى الثلثين أي أقرب من نصف الثلثين و من ثلث الثلثين ولكن إذا قرئت نصفه و ثلثه بالنصب فالمعنى تقوم نصفه و ثلثه و إطلاق الأذى على الأقلّ مجاز مرسل من قبيل إطلاق الملزوم على اللازم لأنّ المسافة بين الشئين إذا دنت قلّ ما بينهما من الأحياز و الحدود و إذا بعدت كثر ذلك .

روي أنّه تعالى افترض قيام الليل في أوّل هذه السورة فقام النبيّ و أصحابه حولاً مع مشقة عظيمة من حيث إنّه يعسر عليهم تمييز القدر الواجب حتّى قام أكثر الصحابة الليل كلّها خوفاً من الخطاء في أصابة المقدار المفروض و صاروا بحيث انتفخت أقدامهم و اصفرّت ألوانهم و أمسك الله خاتمة السورة من قوله : « إن ربك الخ » اثني عشر شهراً في السماء حتّى أنزل الله في آخر السورة التخفيف فنسخ تقدير القيام بالمقادير المذكورة مع بقاء فريضة أصل التهجّد حسبما تيسر ثمّ نسخ نفس الوجوب أيضاً بالصلوات الخمس .

[ و طائفة من الذين معك ] مرفوع معطوف على الضمير في « تقوم » أي و يقوم معك طائفة من أصحابك و تباعك و هم عليّ و أبوزرّ كما قال ابن عباس : [ و الله يقدر الليل و النهار ] يعلم مقادير الليل و النهار فيعلم القدر الذي يقومونه من الليل و العالم بمقادير ساعات الليل و النهار و مكورهما على الحقيقة هو الله و أنتم تعلمون ذلك

بالتحرّي و الاجتهاد الذي يقع فيه الخطاء أحياناً .

[علم أن لن تحصوه] ولا تطيقوا المداومة و معرفة الساعات و يقع منكم التقصير فيه لا يحصل لكم العلم الحقيقي بتقدير الليل و أوقاته [فتاب عليكم] و خفف بأن جعله تطوّعاً بعد و رفع التبعة عن الحكم الوجوبي كرفع التبعة عن التائب ولم يلزمكم إنمّا كالتائب لا يلزمه إثم بعد التوبة فاستعمل لفظ المشبه به في ثم اشتق منه فقال : « فتاب » أي فرخص و سهّل لكم ترك القيام بنفي الوجوب و العزيمة و جعل الحكم رخصة و ندباً .

[فاقرءوا ما تيسر من القرآن] أي فصلّوا ما تيسر لكم من صلاة الليل غير مقدّرة بكونها هذا المقدار أو نحوه و لو قدر حلب شاة و قيل : معنى الآية فاقرءوا في صلاة الليل ما تيسر من القرآن و عبّر عن الصلاة بالقرآن لأنها تتضمنه و من قال : إن المراد به قراءة القرآن في غير الصلاة فهو محمول على الاستحباب عند الأكثرين دون الوجوب و لكن فسر أبو مسلم بالقيام لقراءة القرآن لا غير و الذين حملوا المعنى على قراءة القرآن استحباباً .

اختلفوا في القدر الذي تضمنه هذا الأمر من القراءة فقال سعيد بن جبير : خمسون آية و قال ابن عباس : مائة آية قال الحسن : و من قرأ مائة آية في ليلة لم يحاجه القرآن و قال كعب : من قرأ مائة آية كان من القانتين و قيل : مائتا آية و القائل السديّ و قال جويبر : ثلث القرآن لأن مقدار الثلث متيسر .

و الظاهر أن المراد من معنى ما تيسر مقدار ما أردتم و حصل لكم اليسر في قراءته قال النبي ﷺ : إن الله ليبغض كل جعظري أي الفظ الغليظ جوّاذ أي الضخم المختار سخّاب بالأسواق أي شديد الصوت جيفة بالليل سمار بالنهار عالم بأمر الدنيا جاهل بأمر الآخرة وبالجملة فللمعجز طرّض أو ضعف أو عذر آخر يقرء بالآيتين من سورة البقرة في ليلة والمراد « آمن الرسول النخ » و الأعجز منه قراءه سورة الإخلاص ثلاث مرّات يقوم مقامه ختمه .

[علم أن سيكون منكم مرضى] استئناف داع إلى الترخيص و التخفيف

[ و آخرون ] أي و منكم قوم آخرون [ يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله ] يسافرون فيها للتجارة ابتغاء الرزق و طلب الأرباح و تحصيل العلم طلب رزق الأرواح كما أن طلب الربح في الأموال طلب رزق الأجسام و في حديث أبي ذر أنه قال : حضور مجلس العلم يعني علم آداب الشريعة أفضل من صلاة ألف ركعة و أفضل من شهود ألف جنازة و من عيادة ألف مريض .

[ و آخرون يقاتلون ] الأعداء [ في سبيل الله ] عطف على مرضى كالجهد و في الآية إشعار بأن المكتسب للمال الحلال للنفقة على نفسه و عياله و للإففاق في سبيل الله للفقراء و ذوي الحاجات بمنزلة الجهد له من الثواب كما يفصح من هذا المعنى ما رواه عبد الله بن مسعود قال : إنما رجل جلب شيئاً من مدينة من مدائن المسلمين صابراً محتسباً فباعه بسعر يومه كان عند الله من الشهداء .

[ فاقروا ما تيسر منه ] أي إذا كان الأمر كما ذكر و تعاضدت المعاذير فاقروا ما تيسر من القرآن من غير تحمّل المشاق .

[ و أقيموا الصلاة ] المفروضة [ و آتوا الزكاة ] الواجبة و قيل : المراد من هذه الزكاة هي زكاة الفطرة إذ لم يكن بمكة زكاة غيرها و إنما وجبت الزكاة المفروضة بعدها و من فسرها بالزكاة المفروضة جعل الآية مدنية [ و أقرضوا الله قرضاً حسناً ] و القرض القطع و سمي ما يدفع إلى الإنسان من المال بشرط ردّ بدله قرضاً لأنه مقطوع من ماله أريد من معنى القرض في الآية الإفاقات في سبيل الله و في الآية حث على التطوع دون المفروض كما قال النبي ﷺ : إن في المال حقاً سوى الزكاة على أحسن وجه و معنى أحسن الوجه إخراجها من أطيب المال لأن الله تعالى طيب و لا يقبل إلا الطيب و لا بد أن ينفق المنفق للفقراء بحسن النية و صفاء الخاطر إلى أحوج الصلحاء و شروط أخر و قوله : « قرضاً حسناً » يشعر بهذه الشروط و تسمية الإففاق لوجه الله اقتراضاً استعارة تشبيهاً له بالإقراض من حيث إن ما أنفقه يعود عليه مع زيادة .

[ و ما تقدّموا لأنفسكم من خير ] ما شرطية [ تجدوه ] جواب الشرط أي أي خير كان ما ذكر وما لم يذكر تقدّموا لعدكم من الأمور الخيرية المشروعة تجدوا ثوابه

[ عند الله هو خير و أعظم أجراً ] من الذي تؤخرونه إلى الوصية عند الموت لأن  
أجر ما قدمت تعطى بغير حساب ، في الحديث : اعلّموا أن كل امرئ على ما قدم قادم  
و على ما خلف نادى قال الشاعر :

قدم لنفسك قبل موتك صالحاً \* و اعمل فليس إلى الخلود سبيل  
[ و استغفروا الله ] أي سلوا الله المغفرة لذنوبكم في جميع أوقاتكم و كافة أحوالكم .  
و استحب الاستغفار على الأسماء من القرآن مثل أن يقول : أستغفر الله إنه كان تواباً  
أستغفر الله إنه غفور رحيم أستغفر الله إنه كان غفّاراً [ إن الله غفور ] للذنوب [ رحيم ]  
يبدل السيئات حسنات للمؤمنين .

و في بعض المجامع أن من كتب هذا الاستغفار و جرّعه لمن صعب عليه  
الموت انطلق لسانه و سهل عليه الموت وهو قوله : اللهم أنت ربي  
لا إله إلا أنت خلقتني و أنا عبدك و أنا على عهدك و وعدك ما  
استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك  
عليّ و أبوء بذنبي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب  
إلا أنت ، تمت السورة بحمد الله



## سورة المدثر

﴿ ( مكية ) ﴾

قال أبو جعفر عليه السلام : من قرأ في الفريضة سورة المدثر كان حقاً على الله أن يجعله مع محمد صلى الله عليه وآله ولا يدركه شقاء في الحياة الدنيا .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يا ايها المدثر (١) قم فانذر (٢) وربك فكبر (٣) و ثيابك فطهر (٤) و  
الرجز فاهجر (٥) ولا تمنن تستكثر (٦) ولربك فاصبر (٧) فاذا نقر في الناقور  
(٨) فذلك يومئذ يوم عسير (٩) على الكافرين غير يسير (١٠) .

المدثر بتشديد، ين أصله المتدثر وهو لباس الدثار وهو ما يلبس فوق الشعار الذي  
يلبي الجسد ومنه قوله **وَاللَّيْلِ** : الأ نصار شعار والناس دثار .

روي عن جابر بن عبدالله الأنصاري عن النبي **ﷺ** أنه قال : كنت على جبل  
حراء فنوديت يا محمد إنك رسول الله فنظرت عن يميني و عن يساري و لم أرسيتاً فنظرت  
فوقى فإذا به قاعداً على عرش بين السماء و الأرض يعني الملك الذي ناداه فرعبت ورجعت  
إلى خديجة فقلت : دثروني دثروني و صبوا علي ماء بارداً فنزل جبرئيل و قال :

[ يا أيها المدثر ] و إنما تدثر بناء على اقشعرار جلده و ارتعاد فرائضه رعباً  
من الملك النازل من حيث إنه رأى ما لم يره قبل [قم] من مضجعتك [فأنذر] الناس جميعاً  
من عذاب الدنيا إن لم يؤمنوا ، وأفرد الإنذار بالذكر مع أنه أرسل بشيراً لأن التخلية  
قبل التحلية و كان الناس عاصين مستحقين للتخويف فكان أول الأمر هو الإنذار .

[ وربك فكبر ] و خصص ربك بالتكبير اعتقاداً و عملاً و عظمه عمماً يقول فيه  
عبدة الأوثان و سائر الظالمين و يروى أنه لما نزل قال رسول الله : الله أكبر فكبرت  
خديجة و أيقنت أنه الوحي لأن الشيطان لا يأمر بالتكبير و الغناء لمعنى الشرط كأنه  
قيل : أي شيء حدث فلا تدع تكبيره و وصفه تعالى بالكبرياء ، فأمره أو لا أن ينزهه ربّه  
عمماً لا يلبق به من الشرك .

[ و ثيابك فطهر ] أي طهر لباسك مما ليس بطاهر للصلاة بحفظها و صيانتها عن  
النجاسات و غسلها بالماء الطاهر بعد تلطخها فإنه قبيح بالمومن الطيب أن يحمل

خبثاً أو بتقصيرها أيضاً فإن طولها يؤدي إلى جرّ الذبول على القاذورات فيكون التطهير كناية عن التقصير لأنه من لوازم التطهير وحدث التقصير أن يكون إلى أنصاف الساقين أو إلى الكعب فإنه عَلَيْهِ السَّلَامُ جعل غاية طول الأزار إلى الكعب وتوعد على ما تحته بالنار . قال علي عَلَيْهِ السَّلَامُ : قصر ثوبك فإنه أتقى وأتقى وأبقى ، وأمر به من رفض العادات المذمومة فإن المشركين ما كانوا يصونون ثيابهم عن النجاسات للكبر و عدم الاستنجاس و الدين بني على الطهارة و لا يدخل الجنة إلا طاهر نظيف والله يحبّ الناسك النظيف . و من المعلوم أنه كما يجب تطهير الجسم عن النجاسة يجب تطهير النفس عن الشرك و المعاصي وتنزيهها عن المعائب ، ومنه الحديث : يحشر المرء في ثوبه المذنب مات فيهما أي عمليه الخبيث والطيب .

[ و الرجز فاهجر ] أي اهجر الأصنام و الأوثان عن ابن عباس و الزهري و مقاتل و قتادة من قبيل إيتاك أعني وقيل : المعنى اجتنب المعاصي قال الكسائي : الرجز بالكسر العذاب وبالضم الضم و المراد اهجر ما يؤدي إلى العذاب أو جانب الفعل القبيح و الخلق الذميم .

[ و لا تمنن تستكثر ] أي و لا تعط مستكثراً أي يكون ما تعطيه بنظر كثير أو المعنى طالباً للكثير و هو أن يهب شيئاً هو يطمع أن يتعوض من الموهوب له أكثر مما أعطاه و هذه النهي إما للتحريم وهو خاص بالرسول لعلو منصبه في الأخلاق الحسنة و لشرفه أو النهي للتنزيه ، و لأمتة و قيل : و لا تمنن حسناتك على الله مستكثراً لها فينقصك ذلك عند الله و قيل : هو نهى عن الرباء المحرم و قيل : لا تمنن بإبلاغ الرسالة على أمتك عن الجبائي .

[ و لربك فاصبر ] أي ولوجه ربك فاصبر على أذى المشركين و على ما حملت من الأمور الشاقة .

[ فإذا نقر في الناقور ] بمعنى ما ينقر فيه و هو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل مرة للإصقاع و أخرى للإحياء فاعول من النقر بمعنى التصويت وأصله القرع الذي هو سبب الصوت و المراد هنا النفخ إن هو نوع ضرب للهواء الخارج من الحلقوم

أي فإذا نفخ في الصور و الغاء للسببية كأنه قيل : اصبر على أذاهم فبين أيديهم يوم هائل يلقون فيه عاقبة أذاهم و تلقى عاقبة صبرك عليه .

[ فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين ] أي عسر الأمر على الكافرين من جهة العذاب و سوء الحساب و ذلك إشارة إلى وقت النقر و هو مبتدء و يومئذ بدل منه مبني على الفتح لإضافته إلى غير متمكن و هو إن و التقدير إن نقر فيه و الخبر يوم عسير فيوم النقر يوم عسير على الكافرين [ غير يسير ] خبر بعد خبر و تأكيد يفسر ذلك اليوم و المراد به يوم النفخة الثانية إذ هي التي يختص عسرها بالكافرين جميعاً وفي الحديث : كيف أنتم و صاحب القرن قد التقم قرنه ينظر متى يؤمر أن ينفخ فيه ؟ قيل له : **وَاللَّطَّافُ** كيف يصنع ؟ قال : قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل .

[ ذرني و من خلقت وحيداً ] أي ذرني و حدي معه فإني أكفيك في الانتقام منه حال من الياء أو حال من التاء في خلقت أي خلقتة و حدي أو حال من العائد المحذوف أي و من خلقتة وحيداً فريداً لا مال له ولا ولد نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي و كان يلقب في قومه بالوحيدزعماء منهم أنه لا نظير له في وجاهته و لافي ماله و كان يفخر بنفسه و يقول : أنا الوحيد ابن الوحيد ليس لي في العرب نظير و لا لأبي المغيرة نظير أيضاً فسماه الله بالوحيد تحكماً به كقوله : «زق إنك أنت العزيز الكريم» و كان الوليد زنياً و ملحقاً بالقوم و ليس منهم .

[ و جعلت له مالا ممدودا ] أي مبسوطاً كثيراً و هو ما كان له بين مكة و طائف من صنوف الأموال و من النقد كان له ألف ألف دينار [ و بنين شهودا ] و أعطيته ولداً حضوراً معه بمكة يتمتع بمشاهدتهم لا يفارقونه لتجارته و عمل لأن لهم من به الكفاية لوفور نعمهم و خدمهم و كانوا معه حاضرين في الأندية لوجاهتهم و اعتبارهم و كان للوليد عشرة بنين أسلم منهم ثلاثة خالد و هشام و عمارة و لكن إسلام عمارة غير موجه بل قتل كافراً يوم بدر أو في الحبشة و لكن قالوا : أسلم خالد بن الوليد الذي يقال له «سيف الله» و الوليد بن الوليد و هشام بن الوليد .

[ و مهتد له تمهيداً ] أي و بسطت له الجاه و الرياسة فأتتمت عليه النعمة في



الدينا و لذا كان يلقب بريحانة قريش [ ثم يطمع ] و يرجو [ أن أزيد ] على ما آتته من المال و الولد و ثم استبعاد و استنكار مطعمه و حرصه .

[ كلاً ] ردع له عن طمعه و قطع لرجائه [ إنه كان لا ياتنا عنيدا ] و العناد و المجانبة و المعارضة بالخلاف و العنيد بمعنى المعاند كالجلس بمعنى المجلس لأن إنكار الآيات القرآنية مع وضوحها و المعاندة و إنما أوتي ما أوتي من المال استدراجاً قيل : ما زال يعد نزول هذه الآية في نقصان من ماله حتى هلك وهو فقير .

[ سأرهقه صعوداً ] رهقه الأمر غشيه بقهر و الصعود العقبة الشاقة و يستعار لكل مشاق و صعود فعول بمعنى فاعل يستوي فيه المذكر و المؤنث فيكون من قبيل تسمية الملحّل باسم الحال أو باعتبار معنى الطريق و حاصل المعنى سأكلّفه كرهاً ارتقاء عقبة شاقة المصعد و تغشاه حالة تصعد فيها نفسه النزاع ولم يتعقبه موت أو الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفاً ثم يهوي كذا أبداً و المراد من الخريف العام لأن الخريف آخر السنة فيه تتم الثمار و تدرك فصار لهذه المناسبة كأنه العام كله .

[ إنّه فكر و قدر ] تعليل للوعيد أي فكر و عمل فكره في حق القرآن ما يصنع به من التكذيب و الطعن فيه و قدر في نفسه ما يقوله و هيأه .

[ فقتل كيف قدر ] تعجيب من تقديره أي هذا الذي هيأه و ذكره من أن القرآن سحر في غاية الركاكة .

و بيان ذلك أن الوليد مرّ بالنبي ﷺ وهو يقرء حم السجدة أو حم المؤمن فقال لبني مخزوم : والله لقد سمعت من محمد كلاماً ما هو من كلام الإنس و لا من كلام الجن إن له لحلاوة و إن عليه لطلاوة أي حسناً و قبولاً و إن أعلاه لمثمر و إن أسفله لمغدق أي ريان ، شبه القرآن بالشجرة الغضة الطرية التي استحلم أصلها بكثرة الماء و أثمرت فروعها في السماء و أثبت له أعلى و أسفل و لأعلاه الثمار و لأسفله الأعداق على طريق الاستعارة التخيلية ثم قال الوليد : و إنّه يعلو ولا يعلى ، فقالت قريش : صبأ والله الوليد و لتصبأن قريش كلهم بمتابعته لكونه رئيس القوم ، فقال ابن أخيه أبو جهل : أنا أكفيكموه فقعد عنده حزينا و كلّم وليداً ما أغضبه وقال له : توقّر محمداً و تعظم كلامه

لأن تأكل من فضل طعامه و تنتفع منه إن كان هذا مقصودك فليجتمع قريش ويجمعون لك من المال ما يغنيك فغضب الوليد من كلامه و قال : ألم تعلم قريش أنني من أكثرهم مالاً و ولداً و أصحاب محمد لم يشبعوا ؟ ثم قام الوليد و قام أبو جهل و وردا على قريش في مجتمعهم فقال الوليد : اعلّموا أنّ أمر محمد قد انتشر في العرب و الموسم قريب فإن اجتمعت العرب لمناسكهم و سألتكم عن حال محمد فما ذاتقولون؟ تزعمون أنه مجنون فهل رأيتموه يختنق؟ لأنّ العرب كانت تعتقد أنّ الشيطان يختنق المجنون و يتخبّطه ، أو تقولون إنه كاهن فهل رأيتموه يتكهن؟ أو تزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعراً قط؟ أو تزعمون أنه كذاب فهل جرّبتم عليه شيئاً من الكذب؟ فقالوا في كل ذلك: اللهم لا، ثم قالوا : فما هو و ما تقول في حقّه؟ ففكر فقال : ما هو إلا ساحر أمارأيتموه يفرّق بين المرء و أهله وولده و مواليه و ما الذي يقوله إلا سحر يأتى عن مسيلمة وعن أهل بابل فارتح الناس فرحاً و تفرّقا معجبين بقوله .

[ثم قتل كيف قدر] تكرر للتعجب للمبالغة في التشنيع و ثم للدلالة على أنّ الفكرة الثانية في التعجب أبلغ من الأولى .

[ثم نظر] في القرآن و تأمل فيه [ثم عبس] و قلب وجهه و قطب لمالم يجد فيه مطعناً و كرهه كالمهتمّ المتفكّر [و بسر] أي قبض بين عينية من السوء و اسودّ وجهه منه و إما إتباع لعبس و حاصل المعنى قاتله الله كيف قدر في آياتنا ما قدر مع وضوح الحجّة!

[ثم أدبر] عن الحقّ و لم يقرّ به و استكبر عن اتباعه [فقال] بعد تولّيه عن الحقّ: [إن هذا إلا سحر يؤثر] أي ما هذا القرآن الذي يقرؤه محمد صلى الله عليه وآله إلا سحر مأثور و منقول ينقله يقال : آثرت الحديث إذا حدّثت به عن قوم ينقله خلف عن سلف .

[إن هذا إلا قول البشر] إن نافية تأكيد لما قبله و لذا أخلّى عن العاطف قاله اللعين تمرّداً حسبما شرح في صدر الجملة من شرح حاله و أراد يسار أو جبر أو أبا فكيهة أمّا الأوّلان فكانا عبيدين من بلاد فارس و كانا بمكة و كان النبيّ يجلس معهما و أمّا أبو فكيهة فكان غلاماً روميّاً يتردد إلى مكة من طرف مسيلمة الكذاب من اليمامة فلو كان

سحراً كما قال أو كلام البشر فهلاً أتوا بمثله ؟

[ سأُصليه سقر ] أي أدخله جهنم ، و سقر اسم من أسماء النار أو طبقة من جهنم طبقتة السادسة يقال : سقرته الشمس إذا آذته وآلمته ، و سميت سقر لا يلامها . قوله : « سأُصليه سقر » بدل من « سأُرهبه صعودا » بدل الاشتمال .

[ و ما أدراك ما سقر ] « ما » الأولى مبتدء و أدراك خبره و ما الثانية خبر لقوله : « سقر » لأنها المفيدة لما قصد من التهويل و المعنى أي شيء أعلمك ماسقر؟ يعني خارج عن دائرة إدراك العقول شدتها .

[ لا تبقي و لا تذر ] أي لا تبقي شيئاً تلقى فيها إلا أهلكته بالأحراق و إذ اهلك لم تذر هالكاً حتى يعاد خلقاً جديداً و تهلكه إهلاكاً ثانياً كما قال : « نصجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها » و لا تبقي و لا تذر لأنها خلقت من غضب الجبار .

[ لو أحة للبشر ] لاحت النار الشيء إذا أحرقتة و سوّته أي مغيّرة للجلود . حتى أشدّ سواداً من الليل . فإن قيل : وصف الجلود بتسويد البشر مع قوله : « لا تبقي و لا تذر » كيف يطابق ؟ فالجواب إن مراتب العذاب درجات و ليس في الآية دلالة على أنها تفنى بالكليّة و لودلّ على الفناء فيكون بعد التسويد و قيل : المعنى في « لو أحة للبشر » أي لائحة للناس و هي للبشر من مسيرة خمسمائة عام فهو في المعنى كقوله : « وبرزت الجحيم » فيصل إلى الكافر سمومها و حرورها كما يصل إلى المؤمن ريح الجنة و نسيمها من مسيرة خمسمائة عام .

[ عليها تسعة عشر ] أي على جهنم و سقر تسعة عشر ملكاً يتولون أمرها وهم مالك و ثمانية عشر معه أعينهم كالبرق الخاطف و أنيابهم كالصيادي و أشعارهم تمسّ أقدامهم يخرج لهب النار من أفواههم ما بين منكبّي أحدهم مسيرة سنة تزعت منهم الرحمة يأخذ أحدهم سبعين ألفاً في كفه و يرميهم حيث أراد من جهنم و هذه التسعة عشر عدد الرؤساء و النقباء و أمّا جملة أشخاصهم فكما قال : « و ما يعلم جنود ربك إلا هو » .

[ و ما جعلنا أصحاب النار ] أي المدبّرين لأمرها القائمين بتعذيب أهلها و تقدير

الآية : و ما جعلنا خزنة أصحاب النار فحذف المضاف [ إلا ملائكة ] جعلنا شهوتهم في تعذيب أهل النار و ليخالفوا جنس المعدن بين من الثقلين و الملائكة أقوم بحق الله و الغضب له تعالى و أشدهم بأساً قال النبي ﷺ : لقوة أحدهم مثل قوة الثقلين يسوق أحدهم الأمة و على رقبتة جبل فيرمي بهم في النار و يرمي الجبل عليهم ، و بسع كف أحدهم مثل ربيعة و مضر .

و يروى أنه لما نزل قوله تعالى : « عليها تسعة عشر » قال أبو جهل : أيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم ؟ فقال أبو الأ سود الجمحي - وكان شديد البطش و القوة حتى كان من قوته أنه إذا قام على أديم و اجتمع جماعة على إزالة رجله عنه لم يقدروا عليه فكانوا يشدون و يجرون الأديم حتى ينقطع قطعاً و رجلاه على حالهما : أنا أ كفيكم سبعة عشر عنهم فاكفوني أنتم اثنين فنزلت الآية أي و ما جعلناهم رجالاً من جنسكم يطافون فمن ذا الذي يغلب الملائكة و الواحد منهم له من القوة ما يقرب جملة من الأرض فيجعل عاليها سافلها و الواحد منهم يأخذ أرواح جميع الخلق .

[ و ما جعلنا عدتهم إلا فتنه للذين كفروا ] أي و ما جعلناهم على هذه العدد إلا محنته و تشديداً في التكليف للكفار و الجاحدين بوحدايته حتى يتفكروا فيعلموا أنه القادر الحكيم لأنهم إذا رجعوا عقولهم لعلوا أن من سلط ملكاً واحداً على كافة بني آدم لقبض أرواحهم فلا يغلبونه قادر على سوق بعضهم إلى النار فهم ما تدبروا بعقولهم هذا الأمر بل استبعدوا لتوحي هذا العدد القليل أمر الجحيم الغفير و تحقق افتتانهم باستقلالهم للعدد .

[ ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ] من اليهود و النصارى أنه حق و أن محمداً صادق و ليكتبوا اليقين بنبوته ﷺ و صدق القرآن لما شاهدوا ما فيه موافقاً لما في كتبهم حيث أخبر ﷺ بما هو في كتبهم من غير قراءة لها [ و يزداد الذين آمنوا إيماناً ] بما رأوا من تسليم أهل الكتاب و تصديقهم أنه في كتبنا كذلك [ و لا يرتاب الذين أوتوا الكتاب و المؤمنون ] تأكيد لما قبله من الاستيقان و ازدياد الإيمان أي و لئلا يشك أهل الكتاب لأن العدد المذكور المذكور في كتابهم فليستيقن من لم يؤمن

بمحمد ﷺ و من آمن بصحة نبوته إذا تدبر .

[ و يقول الذين في قلوبهم مرض و الكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلاً ] اللام لام العقاب أي عاقبة أمر الذين في قلوبهم من الأمراض الباطنة من قبيل الشك و النفاق و الكافرون الجازمون في التكذيب: أي شيء أراد بهذا العدد المخصوص و ممثلاً به؟ و قيل: المعنى: ولأن يقولوا: ماذا أراد الله بهذا الوصف و العدد فتدبروه فيؤدي بهم التدبر في ذلك إلى الإيمان .

[ كذلك يضل الله من يشاء ] ذلك إشارة إلى ما قبله من المذكور من جعل خزنة النار ملائكة ذوي عدد معينه محنة و اختباراً ليظهر الضلال و الهدى و أضافهما إلى نفسه لأن سبب التكليف و هو من جهته تعالى فالاختبار من جانبه تعالى و الاختيار من جانبهم و ليس المعنى أنه تعالى أضلهم و إنما وقع الضلال بعنادهم و إنكارهم الحق و ذلك بصرف اختيارهم السوء كأبي جهل و أصحابه لكن الله لما علم بعلمه الأزلي أنه سيمتحن و يكفر بآياته كتبه في الأشقياء و ذلك باحاطة علمه بالمعلومات أي هو عالم بأن هذا الأمر سيقع و قيل: معنى يضل الله عن طريق الجنة و الثواب من يشاء و يهدي من يشاء إليه كهداية أصحاب محمد ﷺ فكما أنه تعالى ما أجبر أصحاب أبي جهل على الضلالة كذلك ما أجبر أصحاب محمد ﷺ على الهداية .

[ و ما يعلم جنود ربك ] أي جموع خلقه التي من جملتها الملائكة و لم يجعل خزنة النار تسعة عشر لقلة جنوده بل بهم الكفاية و الحكمة اقتضت هذا العدد و هذا الكلام جواب أبي جهل حيث قال: ما محمد أعوان إلا تسعة عشر أو المعنى وما يعلم عدة الملائكة الذين خلقهم الله لتعذيب أهل النار إلا الله لكن هؤلاء التسعة عشر رؤسائهم و لهم من الأعوان و الجنود [ إلا هو ] .

ثم رجع إلى ذكر سقر فقال: [ و ما هي إلا ذكرى للبشر ] أي السقر و ذكر صفتها ما هي إلا موعظة و تذكرة و إنذار للبشر بسوء عاقبة الكفر و تخصيص الإسمع أنها تذكرة للجن أيضاً لأنهم هم الأصل في القصد بالتذكرة .

و قيل: الضمير راجع إلى نار الدنيا إلا تذكرة للبشر من نار الآخرة حتى

يتفكروا فيها ويحذروا نار الآخرة أو المراد ما هذه التسعة عشر إلا عبرة للمخلق فليستدلوا بذلك على كمال قدرة الله .

في الكافي عن الكاظم عليه السلام يعني ولاية عليّ ذكرى للبشر كما في قوله تعالى :  
 « إنها لإحدى الكبر » قال : المراد الولاية و كذلك في قوله : « لمن شاء منكم أن يتقدم  
 أو يتأخر » يعني من تقدم إلى ولايتنا أحر عن سقر و من تأخر عن ولايتنا تقدم إلى  
 سقر ، و الاستثناء في قوله « إلا أصحاب اليمين » قال عليه السلام : اليمين أمير المؤمنين فأصحاب  
 اليمين شيعته ، و قد حرّفوا فلا تصغ إلى كل ناعق .

كلا و القمر (٣٢) والليل إذا أدير (٣٣) و الصبح إذا أسفر (٣٤) انها  
 لاحدى الكبر (٣٥) نذيراً للبشر (٣٦) لمن شاء منكم ان يتقدم أو يتأخر (٣٧)  
 كل نفس بما كسبت رهينة (٣٨) الاصحاب اليمين (٣٩) في جنات يتساءلون  
 (٤٠) من المجرمين (٤١) ما سلككم في سقر (٤٢) قالوا لم نك من المصلين  
 (٤٣) و لم نك نطعم المسكين (٤٤) و كنا نخوض مع الخائضين (٤٥) و كنا  
 نكذب بيوم الدين (٤٦) حتى اتانا اليقين (٤٧) فما تنقمهم شفاعة الشافعين  
 فما لهم عن التذكرة معرضين (٤٩) كانهم حمر مستنفرة (٥٠) فرت من قسورة  
 (٥١) بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفاً منشرة (٥٢) كلا بل لا يخافون  
 الآخرة (٥٣) كلا انه تذكرة (٥٤) فمن شاء ذكره (٥٥) وما يدكرون الا ان  
 يشاء الله هو اهل التقوى و اهل المغفرة (٥٦)

ثم أقسم سبحانه على عظيم ما ذكر من الوعيد فقال :

[ كلا ] ردع لمن أنكر سقر أي ارتدع عن إنكارها أيها المنكر فإنها حق [ و  
 القمر ] مقسم به مجرور بواو القسم تنبيه على عجائب القمر في حركاتها المختلفة على  
 نظام واحد لا يختلّ و قيل : بحذف المضاف أي بخالق القمر، والقمر الهلال بعد ثلثه  
 [ و الليل ] معطوف على القمر و كذا الصبح أي و بالليل و بالصبح [ إذا أدير ] و إذا  
 ظرف للماضي أي انصرف و ذهب [ و الصبح إذا أسفر ] إذا ظرف لما يستقبل من الزمان  
 واستعمل إذا نظراً إلى تأخره عن الليل من وجه أسفر أي أضاء و انكشف والصبح الفجر  
 أو أول النهار و الصبح و الصباح بمعنى واحد و هو انفجار شعاع الشمس من الفلك  
 الأسفل إذا ظهرت .

[ إنها لإحدى الكبر ] جواب للقسم و « الكبر » جمع الكبرى ، والمعنى إن سقر لإحدى الدواهي الكبر مثل ركة و ركب و ألف التانيث مثل تائه أو المعنى أن آيات القرآن لإحدى الكبر في الوعيد .

[ نذيراً للبشر ] أي منذراً مخوفاً و نصب نذيراً إما على التمييز أو على الحال و النذير مصدر كالنكير و على التمييز فالمعنى لإحدى الكبر إنذاراً وعلى الحال أي إنها لإحدى الكبر منذرة و حذف التاء مع أن فعلاً بمعنى فاعل يفرق بين المذكر و المؤنث لكون ضمير إنها أو النذير بمعنى ذات إنذار على معنى النسب كقولهم امرأة لابن و تامر و طاهر أي ذات طاهر طهارة [ لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر ] بدل من للبشر أي نذيراً لمن شاء منكم أن يسبق إلى الجنة و الطاعة فبهدياة الله أو لم يشأ ذلك و يتأخر بالمعصية فيضله عن طريق الجنة و في الآية بيان أن لكسب العبد دخلاً في حصول امر حوميه .

[ كل نفس ] من نفوس الجن و الإنس المكلفين [ بما كسبت رهينة ] مرهونة عند الله بكسبها محبوسة ثابتة و أرهنته أي تركته مقيماً و ثابتاً عنده ، و نفس المكلف محبوسة عند الله بما أوجبه عليه من التكاليف التي هي حق خالص له تعالى فإن أداها المكلف كما وجبت عليه فك رقبتة و خلص نفسه و إلا بقيت محبوسة .

و قال بعضهم : الرهينة اسم بمعنى الرهن كالشئمة بمعنى الشتم و الياء للنقل من الوصفية إلى الاسمية أو التاء للمبالغة و ليس أي الرهينة صفة و إلا لقل رهنين لأن فعلاً بمعنى مفعول لا يدخله التاء بل يستوي فيه المذكر و المؤنث إلا أن يحمل على الفاعل فإنه يؤتى في مؤنثه بالتاء كما قال الراغب : إنه بمعنى الفاعل أي ثابتة ومقيمة .

[ إلا أصحاب اليمين ] استثناء متصل من النفوس ، وأصحاب اليمين أهل الأعمال الصالحة من المؤمنين فإنهم فآكون رقابهم بحسن أعمالهم [ في جنات ] أي كانوا في جنات و التنكير لبيان أن الجنات لا يوصف وصفها .

[ يتساءلون عن المجرمين ] يسأل بعضهم بعضاً و قيل : المعنى فمن يتساءلون

عن المجرمين عن حالهم و عن ذنوبهم التي استحقوا بها النار [ ما ساكنكم في سقر ] أي أي شيء أدخلكم فيها من قوله : سلكت الخيط في الإبرة وذلك السؤال توبيخاً لهم . [ قالوا ] أي المجرمين مجيبين للمسائلين : [ لم نك من المصلين ] للصلاة الواجبة بعدم إقرارنا بفرضية الصلاة وعدم أدائها سالكننا فيها [ ولم نك نطعم المسكين ] على معنى استمرار نفي الإطعام لا على نفي استمرار الإطعام ، والمراد الإطعام الواجب مثل الزكاة وكانوا يقولون <sup>(١)</sup> : « أنطعم من لو يشاء الله أطعمه » وفي الآية دلالة على أن الكفار مخاطبون بالفروع [ وكننا نخوض مع الخائضين ] أي كنا نشرع في الباطل مع الشرعيين فيه و المراد ذم النبي وأصحابه بقولهم بأنه : شاعر أو ساحر و الخوض الشروع في القبيح و الباطل و مالا ينبغي [ وكننا نكذب بيوم الدين ] و الجزء حتى [ أتانا اليقين ] أي الموت و سمي باليقين لأنه أمر متيقن لا شك في إتيانه .

[ فما تنفعهم شفاعت الشافعين ] أي لو فرض هذا الأمر المحال لواجتمع الأنبياء و الملائكة على شفاعتهم لا تنفعهم تلك الشفاعة و ليس المراد أنهم يشفعون لهم إذ الشفاعة موقوفة بالإذن وقابلية المحل ، فلو وقعت من المأذون للمقابل قبلت و الكافر ليس بقابل لها فلا إذن في الشفاعة له ، و لا شفاعة فلا نفع في الحقيقة .

و في الآية دلالة على صحة الشفاعة و نفعها للعصاة من المؤمنين و إلا لما كان لتخصيصهم بعدم منفعة الشفاعة وجه قال ابن مسعود : تشفع الملائكة و النبيون و الشهداء و الصالحون و جميع المؤمنين فلا يبقى في النار إلا أربعة ثم تلا قوله : « لم نك من المصلين إلى قوله بيوم الدين » و قال ابن عباس : إن محمداً يشفع ثلاث مرات ثم تشفع الملائكة ثم الأنبياء ثم الآباء ثم الأبناء ثم يقول الله : بقيت رحمتي و لا يدع في النار إلا من حرمت عليه الجنة و يقول الرجل من أهل النار لواحد من أهل الجنة : يا فلان أما تعرفني أنا الذي سقيتك شربة و يقول آخر ، أنا الذي وهبت لك وضوءاً و يقول آخر : أطعمتك لقمة ، و آخر : كسوتك خرقة و على هذا فيشفع له فيدخله الجنة إما قبل دخول النار أو بعده .



[فمالهم عن التذكرة معرضين] أي أي شيء تسبب لهم ولم أعرضوا وتولوا ولم يؤمنوا بالقرآن؛ والتذكرة التذكرة كبير بمواعظ القرآن ولم نروا عنه؛ [كأنهم حمر مستنفرة قرّت من قسورة] حال من ضمير معرضين وحمر جمع حمار وهو معروف ويكون وحشياً وهنا هو المراد كأنهم حمر وحشيّة هاربة من الأسد لأنها إذا عاينت الأسد هربت منه كذلك هؤلاء الكفار إذا سمعوا النبي يقرأ القرآن هربوا منه وقيل: القسورة الرماة ورجال القنص أو حبالهم والقسورة فعولة من القسر وهو القهر والغلبة لأنه يغلب السباع ويقهرها. وفي الآية من تهجين حالهم حيث كانوا يهربون من استماع القرآن شبه سبحانه حالهم بحال الحمير النافرة قيل: إن واحداً من العلماء كان يعظ الناس في مسجد جامع وحوله جماعة كثيرة فرأى ذلك رجل من الحمقاء وكان قد فقد حماره فنادى للواعظ وقال إنني فقدت حماري فاسأل هذه الجماعة لعل واحداً منهم رآه فقال له الواعظ: أقدم مكانك حتى أدلك عليه فقعد الرجل فإزاً واحداً من أهل المسجد قام وأخذ في أن يذهب فقال الواعظ للرجل: خذ هذا فإنه حمارك فإنه فر من تذكرة الملك العلام.

[بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفاً منشورة] عطف على مقدّر يقتضيه المقام كأنه لا يكتفون ولا يرضون بتلك التذكرة بل يريد كل واحد منهم كتباً من السماء تنزل بأسمائهم أن: يافلان آمن بمحمد ﷺ.

وذلك أن أباجهل بن هشام وعبدالله بن أمية وأصحابهما قالوا لرسول الله: لن نتبعك حتى تأتي كل واحدنا بكتب من السماء أو يصبح عند رأس كل رجل منا أوراق منشورة عنونها: من رب العالمين إلى فلان بن فلان، نؤمر فيها باتّباعك. وقيل: المعنى أنهم يريدون من الله البراءة من العقوبة وإسباغ النعمة حتى يؤمنوا وإلا أقاموا على كفرهم وقيل: يريد كل واحد منهم أن يكون رسولا يوحى إليه خصوصاً وأنف أن يكون تابعا.

[كلّ بل لا يخافون الآخرة] ردع عن اقتراحهم فإنهم إنما اقترحوه لاهدى وإرشاداً بل لأجل عدم خوفهم من عذاب الآخرة بسبب عدم عقيدتهم بها ومستهلكين في محبة الدنيا.

[ كلاً إنّه تذكرة فمن شاء ذكره ] ليس الأمر كذلك إنّ القرآن مذكّر والضمير في إنّه وفي ذكره راجع إلى التذكرة والتذكير لأنّها بمعنى الذكر وهو مذكّر أي تذكير للحقّ و عدل إليها للفاصلة فمن شاء أن يتعظّ به و يتذكّر منه وجعله نصب عينيه قبل الحلول في القبر فإنّه ممكن ذلك .

[ وما يذكرون إلا أن يشاء الله ] هذه المشيئة في قوله : « إلا أن يشاء الله » غير المشيئة الأولى إذ لو كانت واحدة لتناقض الكلام فالأولى مشيئة اختبار و الثانية مشيئة إجبار و المعنى أنّ هؤلاء الكفار لا يذكرون إلا أن يجبرهم الله تعالى على ذلك وذلك مناف للتكليف [ هو أهل التقوي و أهل المغفرة ] أي هو تعالى حقيق أن يتقى عقابه و محارمه و أهل أن يغفر الذنوب .

قال أنس : إنّ رسول الله ﷺ تلا هذه الآية فقال : قال الله سبحانه :

أنا أهل أن اتقى فلا تجعل معي إلهاً ، فمن اتقى أن

يجعل معي إلهاً فأنا أهل أن أغفر له

تمت السورة بعون الله



هنا نجز الجزء الحادي عشر من التفسير عن عشرين سورة ، و هي : الرحمن ،  
الواقعة ، الحديد ، المجادلة ، الحشر ، الممتحنة ، الصف ، الجمعة ،  
المنافقون ، التغابن ، الطلاق ، التحريم ، الملك ، القلم ، الحاقة ،  
المعارج ، نوح ، الجن ، المزمل ، المدثر  
ولله الحمد و المنّة .



الجزء الثاني عشر

مِنْ كِتَابِ النَّفْسِ

الْمُسَمَّى بِمَقْنِيَاتِ الْبَدَنِ

تأليف

الحاج ميرسيد علي الحائري الطهراني

اعلى الله مقامه

المعروف بالملفيسية

الناشر

الشيخ محمد الآخوندي  
مدير

دار الكتب الامامية

بازار سلطاني - طهران

قطعة الجيدني بظهران

كلمه الناشر

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي نزل القرآن نوراً وسراجاً وقمراً منيراً . و الصلاة و السلام على رسوله الذي انزل عليه الكتاب بياناً للناس وهدى وموعظة للمتقين وعلى آله الطيبين ثانی الثقلين . ولعنة الله على اعدائهم أجمعين .  
وبعد فقد بذل علماء الاسلام قديماً و حديثاً جهدهم في تفسير علوم القرآن و تبیین لغاته و مشكلاته ، ففريق فسروا ألفاظه و بینوا حقائقه من مجازه ، و جمع جمعوا أحكامه و بینوا حلاله و حرامه ، و طائفة كشفوا عن تأويلاته قناعه ؛ و كيفما كان ما وصلوا الا الى مبلغ علمهم و منتهى همهم ، و أنى لهم الوصول الى حقائق التنزيل و دقائق التأويل ، لان القرآن هو النور الذي أنزل الله على قلب حبيبه محمد صلى الله عليه و آله . الا أن المتمسكين بولاء أهل بيت الوحي المستضيئين بنور علمهم المأمورين بالتمسك بهم في حديث الثقلين قد اغترفوا من بحار علوم أهل بيت النبي غرأ و غاصوا فيها و اقتنوا منها درراً .

و هاهي المقتنيات الدرر ، قد اقتناها علم من الاعلام ثمرة الشجرة الطيبة و النخبة من السلالة الطاهرة : < الحاج المير سيد علي الحائري > تغمده الله بغفرانه ، و اوتي كتابه هذا بيمينه . قد اقتنى من الدرر أغلاها و من الفرر أسناها فحقيق أن يتنافس المتنافسون في الاستفادة منها .  
وقد وفق الله تلميذه المستضيء بنور علمه المقتفى أثره : الحاج ميرزا عبدالحسين المعروف بمحسنين لبذل الجهد باحياء هذا السفر الجليل القيم .  
هذا و من الله سبحانه على عبده الزاكي صاحب المهمة القعساء و ارومة الفضل : الحاج محمود الكاشاني ؛ فأنعم عليه و شرفه باعطاء نفقة طبع الكتاب خدمة للمدين و اتحافاً للطيفة والده السعيد الحاج محمد حسين الكاشاني طيب الله رمسه ، و ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

و نشكر جميل مساعي الشاب الفاضل الاريب السيد الكاظم الموسوي المياموي حيث بذل جل أوقاته لمقابلة اجزاء الكتاب مع نسخة الاصل و تخريج الايات المنثورة في ثناياه و اسناد ما يهم من رواياته و بعض الاصلاح فيه . و نسأل الله تعالى أن يوفقنا لاتمامه بمحمد و آله .

لجنة التحقيق و التصحيح لدار الكتب الاسلامية

## سورة القيامة

﴿مكية﴾

قال ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال : من قرأ سورة القيامة شهدت أنا وجبرئيل له يوم القيامة أنه كان مؤمناً بيوم القيامة و جاء ووجهه مسفر على وجوه الخلائق يوم القيامة .

### بسم الله الرحمن الرحيم

لا اقسم بيوم القيامة (١) ولا اقسم بالنفس اللوامة (٢) ابحسب الانسان أن لن نجتمع عظامه (٣) بلي قادرين على ان نسوى بنانه (٤) بل يريد الانسان ليفجر أمامه (٥) يسئل ايان يوم القيامة (٦) فاذا برق البصر (٧) وخسف القمر (٨) وجمع الشمس والقمر (٩) يقول الانسان اين المفر (١٠) كلالاوزر (١١) الى ربك يومئذ المستقر (١٢) ينبأ الانسان يومئذ بما قدم و اخر (١٣) بل الانسان على نفسه بصيرة (١٤) و لولقى معاذيره (١٥) .

لما ختم الله سورة المدثر بذكر القيامة و أن الكافر لا يؤمن بها افتتح هذه السورة بذكر القيامة وأهوالها . قرىء لا أقسم وقرىء لا أقسم ، ومن قرء لا أقسم كانت لاصلة كآتي في قوله (١) : « لئلا يعلم أهل الكتاب ، وما كان لتأكيد مدخوله لا يدل على النفي وإن كان في الأصل للنفي قال الشاعر :

تذكرت ليلى فاعترتني صباية \* و كاد ضمير القلب لا يتقطع  
فإن قيل : لا وما و الحروف التي هي زوائد ويؤتى بها للتأكيد إنما تكون بين

كلامين مثل قوله (١) : «مما خطيآتهم» و (٢) «فبما رحمة من الله» و مثل قوله (٣) : «فبما نقضهم» و لا يكاد يزداد في أوّل الكلام .

فالجواب أن عنوان القرآن مجاري الكلام و السورة الواحدة ، والذي يدلّ على ذلك أنه قد يذكر الشيء في سورة و يجيء جوابه في سورة أخرى مثل قوله تعالى (٤) :

« يا أيّها الذي نزلّ عليه الذكر إنك لمجنون ، جاء جوابه في سورة أخرى (٥) » ما أنت بنعمة ربك بمجنون .

فعلى كون «لا» للتأكيد فالمعنى أقسم [ بيوم القيامة ] و على كونها بمعنى النفي ردّ على المنكرين بالبعث أي ليس الأمر على ما يزعمون ثمّ ابتدء بالقسم فقال : «أقسم بيوم القيامة» فيكون تقدير الكلام : لا والله إنّ البعث حقّ . وأمّا ما قيل : من أن معنى الآية نفي الإقسام لوضوح الأمر كما عن بعض المفسّرين فيأباه تعبير المقسم به .

[ و لا أقسم بالنفس اللوامة ] و القول في لا أقسم مثل الأوّل و المراد بالنفس اللوامة هي النفس الواقعة بين الأمارة والمطمئنة ولها وجهان : وجه يلي النفس الأمارة تلومها على فعل المعاصي وترك المبالغة والإقدام على المخالفة و وجه يلي النفس المطمئنة فإذا نظرت إلى المطمئنة تنوّرت بنورانيّتها و انصبغت بصبغتها تلوم أيضاً نفسها على التقصيرات الواقعة منها و المحذورات الكائنة عليها فهي لانزال لائمة قائمة على سوق لومها إلى أن تحقّق بمقام الاطمينان و لذلك استحققت أن أقسم الله بها على قيام البعث و الحشر .

و بالجملة فجواب القسم محذوف لدلالة قوله : [ أيحسب الإنسان أن لن نجعله عظامه ] على الجواب لأن مفاد هذه الآية بلى ليعثنّ ، والمراد من الإنسان الجنس و

(١) سورة نوح : ٢٥ .

(٢) > آل عمران : ١٥٩ .

(٣) > النساء : ١٥٤ .

(٤) > الحجر : ٦ .

(٥) > القلم : ٢٢ .



الإسناد إلى الكلّ بحسب البعض كثير ، والهمزة لا نكار الواقع واستقبحه ، وأن مخففة وضمير الشأن اسمها محذوف ، أي يحسب الانسان الذي ينكر البعث أن الشأن والقصة لن تجمع عظامه البالية ؟ فإنّ ذلك حسبان باطل فإننا نجتمعها بعد تشتتها و بعد ما نسفتها الريح وطيرتها في أقطار الأرض و ألقتها في البحار .

[ بلى قادرين على أن نسوي بنانه ] إيجاب لما ذكر بعد النفي و هو الجمع أي نجتمعها حالكونا قادرين أن نجتمع سلامياته و نضم بعضها إلى بعض كما كانت معصفرها و لطافتها فكيف بكبار العظام . جمع سلامي كحباري وهي العظام الصغار في اليد و الرجل و في الحديث « كل سلامي من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس » أي على صاحبه صدقة من أي أنواع الصدقة من قول أو فعل أو مال . والبنان مفرد اللفظ مجموع المعنى و في تأويل العظام إشارة إلى كبار الأعمال من الحسنة و السيئة ، و في البنان إلى صغار الأعمال من الحسنة و السيئة فإن الله يجمع كلاً منهما بالحساب و يجازي عليها .

[ بل يريد الانسان ليفجر أمامه ] و اللام في « ليفجر » للتأكيد مثل قوله <sup>(١)</sup> : « وأنصح لكم ، في أنصحكم . فأضرب سبحانه عن توبيخهم في إنكار البعث و وبخهم بفجورهم أي يريد الانسان ليدوم على فجوره فيما بين يديه من الأوقات و يستديم عليه و يريد الحياة لا لما ينفعه بل ليتعاطى الفجور .

[ يسأل أيان يوم القيامة ] أصل أيان « أي آن » وهو خبر مقدم لقوله : « يوم القيامة » أي متى يكون؟ قيل : هذا السؤال استهزاء فالمراد بالفجور حينئذ هو التكذيب و قيل : معناه إنه يقول : أعمل و أتوب ، يستعجل بالمعصية و يسوف التوبة و يقول غد بعد غد .

[ فإذا برق البصر ] أي شخص و تهيئ فرعاً عند معاينة الموت فلا يطرف من شدّة الخوف ، و قيل : لما يرى من أهوال القيامة ، من برق الرجل <sup>(٢)</sup> إذا نظر إلى البرق فدعش ثم استعمل في كل حيرة و إن لم يكن هناك نظر إلى البرق .

(١) سورة الاعراف : ٦١ .

(٢) من باب نصر .

[ وخسف القمر ] و ذهب ضوءه و فيه ردّ لمن عبد القمر فإنّ القمر لو كان إلهاً كما زعمه العابد لدفع عن نفسه الخسوف [ وجمع الشمس والقمر ] في ذهاب ضوءهما أو المازاد جمع بينهما في الطلوع من المغرب أو في الإلقاء إلى النار ليكون حسرة على من يعبدهما و جاز تكرار القمر لأنّه أخبر عنه بغير الخبر الأوّل .

[ يقول الإنسان ] المنكر للقيامة [ يومئذ ] أي يوم الواقع فيه هذه الأُمور قول الآيس: [ أين المفرّ ] أين الفرار أو أين موضع الفرار قال الزجاج : المفرّ بفتح الفاء الفرار وبالكسر موضع الفرار .

قال الله : [ كلاً لا وزر ] لا مهرب ، مستعار من الجبل فإنّ الوزر محرّكة الجبل المنيع . وخبر « لا » محذوف أي لا ملجأ هناك أو في الوجود ومن بلاغات الزمخشري في عباراته : اتلّ على كلّ من وزر : كلاً لا وزر .

[ إلى ربّك يومئذ المستقرّ ] أي إليه تعالى استقرار العباد وإلى حكمه يعود أمرهم كقوله : (١) « إنّ إلى ربّك الرجعي » وإنّ إلى ربّك المنتهى « يدخل من يشاء الجنّة ومن يستحقّ النار النار .

[ ينبأ الإنسان يومئذ ] أي يخبر كلّ امرئ حال العرض و المخبر هو الله [ بما قدّم وأخّر ] من حسنة أو سيئة أو بأوّل عمله وآخره أو بما قدّم من مال تصدّق به وبما أخّر فخلّفه . قال عبد الله الأنصاري : قدّمت الذنوب بالجرّة وعقببت مالك للحسرة فقدّم التوبة حتّى تذهب الذنوب ولا تبقى وتصدّق بمالك فيبقى .

[ بل الإنسان على نفسه بصيرة ] أي إنّ جوارحه تشهد عليه بما عمل فهو شاهد على نفسه بشهادة جوارحه عليه وقيل : أقام جوارحه مقام نفسه ولذلك أنثت والمراد من الإنسان ههنا الجوارح وقيل : الإنسان بصير بنفسه وعمله والتاء للمبالغة .

[ ولو ألقى معاذيره ] أي ولو اعتذر بكلّ عذر وجدل عن نفسه للذنب عن نفسه بعد شهادة الجوارح لم ينفعه ذلك و قيل : المعاذير الستور والمعنى على هذا القول :

وإن أسبل<sup>(١)</sup> الإنسان الستور ليخفي ما يعمل فإن نفسه شاهدة عليه .  
[ لا تحرك به ] أي بالقرآن [ لسانك ] . مادام جبرئيل يقرأ وييلقي عليك  
[ لتعجل به ] بأخذه مخافة أن ينفلت وكان صلى الله عليه وآله إذا نزل عليه القرآن عجل بتحريك  
لسانه لحرصه على ضبطه .

[ إن علينا جمعه ] في صدرك بحيث لا يخفى عليك شيء ، من معانيه [ وقرآنه ]  
أي إثبات قراءته في لسانك بحيث تقرأه متى شئت فالقرآن مصدر بمعنى القراءة  
كالغفران بمعنى المغفرة ، والقراءة ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل  
لكن لا يقال ذلك لكل جمع فلا يقال : قرأت القوم إذا جمعتهم .

[ فاذا قرءناه ] أي أتممنا قراءته عليك بلسان جبرئيل ، وإسناد القراءة إلى  
نون العظمة للمبالغة في التأني [ فاتبع قرآنه ] أي فاشرع فيه بعد فراغ جبرئيل  
منه بلا مهلة ، وحاصل المعنى أنه إذا جمعناه وأثبتناه في صدرك فاعمل به .

[ ثم إن علينا بيانه ] أي بيان ما أشكل من معانيه وأحكامه وسمي ما يشرح  
المبهم من الكلام بياناً ، وليس في الآية ما يدل على جواز تأخير البيان عن وقت  
الحاجة كما زعمه بعض وإنما يدل على تأخير البيان عن وقت الخطاب .

[ كلاً ] أي لا يتدبرون القرآن وما فيه من البيان . [ بل تحبون العاجلة و  
تذرون الآخرة ] أي أنتم تختارون الدنيا على العقبى فتعملون للدنيا لا للآخرة جهلاً  
منكم وسوء اختيار .

ثم بين سبحانه حال الناس في الآخرة فقال : [ وجوه يومئذ ] يعني يوم  
القيامة [ ناضرة ] ناعمة بهجة حسنة ، والنضرة طراوة البشرة وجمالها والناصر المغض  
الناعم من كل شيء . ووجوه مبتدء وناضرة خبره وصح وقوع النكرة مبتدء لأن  
المقام مقام تفصيل [ إلى ربها ناظرة ] قوله : « ناظرة » خبر ثان للمبتدء و الناظر  
تقليب البصر وتوجيه البصيرة لا إدراك الشيء والله منزّه عن الإدراك بالبصر .

واختلف في معنى النظر على وجهين : أحدهما أن معناه نظر العين والثاني أنه

الانتظار . واختلف من حمله على نظر العين علي قولين :

أحدهما أن المراد إلى ثواب ربها ناظرة أي هي ناظرة إلى نعيم الجنة حالاً بعد حال فيزداد سرورها بذلك . والمراد من الوجوه أصحاب الوجوه روي ذلك عن جماعة من علماء المفسرين من الصحابة والتابعين لهم وغيرهم وحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقام المضاف كما في قوله (١) : « وجاء ربك ، أي أمر ربك وقوله (٢) : « وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار » أي إلى طاعة العزيز الغفار وقوله : (٣) « إن الذين يؤذون الله » أي أولياء الله .

و القول الثاني أن النظر بمعنى الرؤية أي الوجوه تنظر معاينة، روي عن الكلبي ومقاتل وعطا وغيرهم من أهل السنة . وهذا لا يجوز لأن كل منظور إليه بالعين مشار إليه بالحدقة و اللحاظ ، والله يتعالى عن أن يشار إليه بالعين كما يجلس عن أن يشار إليه بالأصابع و أيضاً إن الرؤية بالحاسة لا تتم إلا بالمقابلة والتوجه والله يتعالى عن ذلك لأن رؤية الحاسة لا تتم إلا باتصال الشعاع بالمرئي والله منزّه عن اتصال الشعاع به . ثم إن النظر في اللغة لا يفيد الرؤية وإنما يفيد طلب الرؤية بدلالة قولهم : نظرت إلى الهلال فلم أراه ، فلو أفاد النظر الرؤية لكان هذا الكلام ساقطاً متناقضاً ولأننا نعلم الناظر ناظراً بالضرورة ولا نعلمه رائيماً بالضرورة بدلالة أننا نسأله: هل رأيت أم لا؟ ففسد القول الأول بالرؤية إرادة المعاينة .

وأما من حمل النظر في الآية على الانتظار فإنهم اختلفوا على أقوال :

أحدها أن المعنى منتظرة لثواب ربها روي ذلك عن مجاهد والحسن وسعيد ابن جبير والضحاك وهو المروي عن علي عليه السلام . ومن اعترض على هذا أن النظر بمعنى الانتظار لا يتعدى إلى لا يقال : انتظرت إليه وإنما يقال : انتظرت، فالجواب عنه على وجوه : منها أنه قد جاء كثيراً في كلام العرب بمعنى الانتظار معدى إلى نحو قوله :

(١) سورة الفجر : ٢٢ .

(٢) > المؤمن : ٤٢ .

(٣) > الاحزاب : ٥٧ .

وجوه يوم بدر ناظرات \* إلى الرحمن تنتظر الفلاحة  
و كذلك الناظرة بمعنى المنتظرة مثل قوله تعالى : (١) « و إنني مرسله إليهم  
بهديّة فناظرة » أي فمنتظرة واستعمل النظر بمعنى الانتظار معدّي بالى كثيراً كقول  
الآخر :

إنني إليك لما وعدت لناظر \* نظر الفقير إلى الغني الموسر  
و نظائره كثيرة .

ومنها أن معنى إلى في الآية اسم لا حرف و هو واحد الآلاء . التي هي النعم  
فإن في واحده أربع لغات إلى وإلى وألى مثل جدي وسقط التنوين بال إضافة  
وليس لأحد أن يقول : إن هذا من قول المتأخرين وقد سبقهم الإجماع ، فإننا لأنسلم  
ذلك لما ذكرناه من أن علياً والحسن البصري ومجاهد وغيرهم قالوا : المراد بذلك :  
تنتظر الثواب .

ومنها أن المعنى قطعوا آمالهم عن كل شيء سوى الله فكنتى سبحانه عن  
الطمع بالنظر كما أن الرعيّة تتوقع نظر السلطان وتطمع إفضاله دون غيره .  
فلو قيل : إذا كان المراد بالنظر نظر العين حقيقة و بمعنى الانتظار مجازاً  
فكيف يحمل عليهما ؟ فالجواب أنه عند المتكلمين في أصول الفقه يجوز أن يراد بلفظ  
واحد إذ لا تنا في بينهما و هو اختيار المرتضى و لم يجوز أبوهاشم إلا إذا تكلم به  
مرتين مرة يريد النظر ومرة يريد الانتظار .

فإن قيل : المنتظر لا يكون نعيمه خالصاً فكيف يوصف أهل الجنة بالانتظار  
فالجواب أن المنتظر لشيء لا يحتاج إليه و هو واثق بوصوله إليه لا يهتم بذلك ولا  
ينغص عيشه وسروره بالانتظار وإنما يلحق المنتظر بهم إذا كان يحتاج إلى ما ينتظره  
في الحال ويلحقه بفوته مضرة . انتهى .

[ و وجوه يومئذ ] الظرف متعلق بقوله : [ باسرة ] أي شديد العبوس مظلمة

وهي وجوه الكفرة و المنافقين و البسر<sup>(١)</sup> الاستعجال بالشيء قبل أوانه وذلك بيان لحالهم قبل الانتهاء بهم إلى النار فخص لفظ البسر .

[ تظن أن يفعل بها فاقرة ] قيل : الظن هنا معناه اليقين وقيل : الظن بمعناه لا بمعنى اليقين لأنه لو كان بمعنى العلم لكان «أن» بعده مخففة من المثقلة ولا تقع أن المصدرية بعد العلم، أي تظن بالأمارات أن تعمل بهاداهية تفقر و تكسر ظهورهم فيكون حال الوجوه الراجية للأحوال السارة على الضد من حال الوجوه الظانة الفاقرة لأن داهيتهم تقصم فقار الظهر ومنه سمي الفقير فإن الفقير كسر فقار ظهره فجعله فقيراً أي مفقوراً ، فوجوه يومئذ ناظرة للتمنؤ بنور الفيض والجنة والايصال بعالم السرور الدائم و وجوه كالحلة باسرة لجهامة<sup>(٢)</sup> ظلمة ما بها من الجحيم والبعد و الأهوال وسوء الجيران .

[ كلاً ] ردع عن إثارة العاجلة على الآجلة أي ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا لما بين أيديكم من الموت الذي ينقطع عنده ما بينكم وبين العاجلة من العلاقة [ إذا بلغت التراقي ] الضمير للنفس أو الروح و إن لم يجر له ذكر لدلالة الكلام كقوله<sup>(٣)</sup> : « ماترك على ظهرها من دابة » و التراقي العظام المكتنفة بالحلق و كني بذلك عن الإسفاء<sup>(٤)</sup> على الموت .

[ وقيل من راق ] قال من حضره من أهله : هل من راق يرقيه وطبيب يشافيه ويداوينه؟ فلا يجدونه والتمسوا له الأطباء فلم يغنوا عنه من عذاب الله شيئاً . وقيل : المعنى قالت الملائكة : من يرقى بروحه، أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب؟ عن ابن عباس وجماعة .

[ و ظن أنه الفراق ] وأيقن المحتضر حين عاين ملك الموت و نزل ما به هو

(١) بالفتح مصدر قولك بسره من باب نصر .

(٢) جهم - من باب كرم - جهامة ، بالفتح : صار عابس الوجه .

(٣) سورة فاطر : ٤٥ .

(٤) الإسفاء في الشئ : الإسراع فيه .

الفراق من الدنيا و عبر عمّا حصل له من المعرفة حينئذ بالظن لأنّ الإنسان لشدة حبه للحياة الدنيا ما دامت روحه متعلّقة ببدنه يطمع في الحياة ولا ينقطع رجاءه . قال الرازي : هذه الآية تدلّ على أنّ الروح جوهر قائم بنفسه باق بعد موت البدن لأنّ الله سمّى الموت فراقاً والفراق إنّما يكون إذا كانت الروح باقية فإنّ الفراق والوصول صفة وهي تستدعي وجود الموصوف .

[ والتفتّ الساق بالساق ] التفتّ ساقه بساقه التواء إحداهما بالأخرى قال سعيد بن المسيّب: المراد بهما ساقاه حين تلقّان في أ كعابه أو المراد التفتت شدة فراق الدنيا بشدة إقبال الآخرة على أنّ الساق مثل في الشدة ، وجه المجاز أنّ الإنسان إذا دهّمته شدة شمّر لها عن ساقيه فقيل للأمر الشديد «ساق» من حيث إنّ ظهورها لازم لظهور ذلك الأمر وقيل : المعنى هو أن يضطرب فلا يزال يمدّ إحدى رجليه و يرسل الأخرى فيلفّ إحداهما بالأخرى وحاصل المعاني أنّه تتابعت عليه الشدائد فلا يخرج من شدة إلاّ جاءته أشدّ منها .

[ إلى ربك يومئذ المساق ] أي إلى الله وإلى حكمه يساق الإنسان لا إلى غيره هنالك والمساق مصدر ميميّ بمعنى السوق والألف واللام عوض عن المضاف إليه أي سوق الإنسان .

[ فلا صدق ] الإنسان ما يجب تصديقه من الرسول و القرآن أي لم يصدق فإلا هنا بمعنى لم وحسن دخول لا على الماضي تكراره كما تقول : لا قام ولا قعد . وقيل : معنى لا صدق لم يؤدّ زكاته وتقديم الزكاة على الصلاة مع أنّ دأب القرآن تقديم ذكر الصلاة مراعاة الفواصل [ ولا صلّى ] ما فرض عليه و فيه دلالة على أنّ الكفّار مخاطبون ومكلفون بالفروع [ ولكن كذب وتولّى ] كذب القرآن والرسول وأعرض عن الطاعة .

[ ثمّ ذهب إلى أهله يتمطّى ] يرجع إلى أهله وبيته يختال في مشيه ويتبختر افتخاراً بذلك و المطّ هو المدّ فإنّ المتبختر يمدّ خطاه والتمدّد في المشي من لوازم

التبختر فجعل كناية عنه فيكون أصله يتممَّط أبدلت الطاء الأخيرة ياء كراهة اجتماع الأمثال أو مأخوذ من المطا وهو الظهر فإنه يلويه و يحركه في تبختره فألفه حينئذ مبدلة من واو ، وفي الحديث « إذا مشت أمتي المطيطا و خدمتهم فارس و الروم كان بأسهم بينهم » والمطيطا كحميراء مد اليدين في المشي .

[ أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى ] هذا تهديد من الله مستعمل في موضع الويل مشتق من الولي والمعنى وليك المكروه والعذاب يا أبا جهل ومن تبعك وجاءت الرواية أن رسول الله ﷺ أخذ بيد أبي جهل ثم قال له : أولى لك فأولى فقال أبو جهل : بأي شيء تهديدني؟ لا تستطيع أنت ولا ربك أن تفعل بي شيئاً وإنني لأعز أهل الوادي فأنزل الله سبحانه بهذه الآية كما قال له رسول الله ﷺ . و التكرار للوعيد على الوعيد وقيل : معنى الآية وليك العذاب في الدنيا كما وقع له يوم بدر ووليك في القبر ثم أولى لك يوم القيامة فلذلك أدخل ثم أولى لك في النار .

[ أيحسب الإنسان أن يترك سدى ] مهملاً لا يؤمر ولا ينهى أي لا ينبغي أن يظن ذلك تقول : أسديت حاجتي و سديتها إذا أهملتها ولم تقضها [ ألم يك نطفة من منى يمى ] أي كيف يظن أن يهمل وهو يرى في نفسه من تنقل الأحوال ما يمكنه أن يستدل به على أن له صناعاً حكيماً أكمل عقله و أقدره في أموره فيعلم بذلك أنه لا يجوز أن يهمله عن التكليف. ولما كان استبعادهم للإعادة استدلل سبحانه ببدء خلقه على تحقيق الإعادة والبعث، ويمنى أي يصب ويراق في الرحم و سمى منى لذلك لما يمى فيها من دماء القرابين<sup>(١)</sup> وحاصل المعنى ألم يكن الإنسان في بدء خلقه ماءً قليلاً بخسة القدر واستقدار الطبع وكان خسيس القدر أو لا ثم استكمل في القدرة ثانياً حتى صار بشراً سوياً فكيف يليق بمثل هذا أن يتمرد عن طاعة خالقه ومدبره .

[ ثم كان علقة ] أي ثم كان المنى بعد أربعين يوماً قطعة دم جامد غليظ أحمر بعد أن كان ماءً قليلاً أبيض [ فخلق فسوى ] أي فخلق من تلك العلقة خلقاً في



ج ١٢ ( الجزء التاسع والعشرين . سورة القيامة ٧٥ ، آية ٤٠-٤١ ) - ١١ -

الرحم وسوى صورته و أعضائه الباطنة و الظاهرة في بطن أمه وسواه إنساناً مستويماً  
وأكمل قوته وسواها للأفعال في جعله له جوارح وخص لكل جارحة من جوارحه  
عملاً [فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى] من الإنسان أو من المنى الصنفين. الذكر  
والأنثى بدل من الزوجين .

[ أليس ذلك ] الذي فعل هذا الفعل العجيب [بقادر على أن يحيي الموتى]

فهو أهون من خلق البدء في قياس العقل لوجود الأصل ، و هو

عجب الذنب أو العناصر الأصلية ، قال رسول الله ﷺ

لَمَّا تَلَاهُذِهِ الْآيَةَ : سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَ يَلِي .

تمت السورة بعون الله



## سورة الإنسان

وتسمى سورة الدهر وسورة الأبرار .

واختلفوا فيها فقيل : مكّية كلّها وقيل : مدنيّة كلّها وقيل : إنّها مدنيّة إلا قوله : « ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً » فإنه مكّي وهو الصحيح .

قال النبي ﷺ : ومن قرء سورة هل أتى كان جزاؤه على الله جنّةً وحريراً

وقال أبو جعفر عليه السلام : ومن قرء سورة هل أتى في كلّ غداة خميس زوجته الله من

البحور العين مائة عذراء و أربعة آلاف ثيب وكان مع محمد ﷺ .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً (١) انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميماً بصيراً (٢) انا هديناه السبيل اما شاكراً واما كفوراً (٣) انا اعتدنا للكافرين سلاسل واغلالا و سهيراً (٤) ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً (٥) عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً (٦) يوفون بالنذر و يخافون يوماً كان شره مستطيراً (٧) و يطعمون الطعام على حبه مسكيناً و يتيماً و اسيراً (٨) انما نطمعكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً (٩) انا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمططيراً (١٠) .

قيل : الأصل «أهل أتى» لأنّ هل فسروه بمعنى قد وقيل : هل بمعنى الاستفهام التقريريّ أي أليس قد أتى عليك يا إنسان دهور ولم تكن شيئاً مذكوراً ولم تكن موجوداً فوجدت. و المراد بالإنسان آدم عليه السلام وقيل : المراد به كل إنسان والألف واللام للحقيقة. قيل : إنّه أتى على آدم أربعون لم يكن مذكوراً لا في السماء ولا في الأرض بل كان جسداً ملقىً من طين قبل أن ينفخ فيه الروح. وروى العياشي باسناده عن زرارة قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن قوله : «لم يكن شيئاً مذكوراً» قال عليه السلام : كان شيئاً ولم يكن مذكوراً .

وقال بعض : المراد من الإنسان في الآية العلماء ، لأنّهم كانوا لا يُذكرون فصيرهم الله بالعلم مذكورين بين الخاصّ والعامّ .

[ إنّا خلقنا الإنسان ] يعني ولد آدم من نطفة وهي ماء الرجل والمرءة [ أمشاج ] أي أخلاط من الماءين فأبيهما علاماء صاحبه كان الشبه له عن ابن عباس و جماعة ، وقيل : أطوار طوراً نطفة و طوراً علقة و طوراً مضغة إلى أن صار إنساناً ، وقيل : أراد

اختلاف ألوان النطفة فنطفة الرجل بيضاء وحمراء ونطفة المرأة خضراء وصفراء فهي مختلفة الألوان، وقيل : نطفة مشجت وخلطت بدم الحيض فإذا حبلمت ارتفع الحيض و كما أن آدم أبوهم نفخ فيه الروح بعد مائة و عشرين سنة كذلك أولاده ينفخ فيهم الروح بعد مضي مائة و أربعين يوماً وما كان سنين في آدم كان أياماً في أولاده . [ نبتليه ] حال من فاعل « خلقنا » أي مريدين اختباره وابتلاءه ليظهر أحوال بعضهم عن بعض من القبول و الرد من السعادة و الشقاوة [ فجعلناه سمياً بصيراً ] ليتمكن من استماع الآيات التنزيلية ومشاهدة الآيات التكوينية فهو كالمسبب عن إرادته فأعطيناه ما يصح معه التكليف و هو السمع و البصر وسائر آلات التمييز و موجبات معرفة التكليف .

[ إننا هديناه السبيل ] و بيّننا له الطريق وأزحنا عنه العلة حتى يتمكن من أداء ما هو عليه وهو أدلة العقل والشرع التي يعم جميع المكلفين [ إما شاكراً وإمّا كفوراً ] ليختار إمّا السعادة وإمّا الشقاوة ، إمّا يقبل بحسن اختياره الشكر لله و يعترف بنعمه و يقوم بالواجب عليه و إمّا أن يكفر و يجحد نعمه فيكون ضالاً عن الصواب، فأيهما اختار جوزي عليه و«شاكراً» و«كفوراً» حالان من مفعول «هديناه» و قرأ أبو السماك بفتح الهمزة في «إمّا» وهي قراءة حسنة والمعنى: أمّا كونه شاكراً فبتوفيقنا وأمّا كونه كفوراً فبسوء اختياره .

[ إننا أعتدنا ] في الآخرة و هيئنا ، فإن الاعتداد إعداد الشيء حتى يكون عتيداً حاضراً متى احتيج إليه [ للكافرين ] من أفراد الإنسان الذي هديناه السبيل [ سلاسل ] بها يقادون إلى جهنم ، وتسلسل الشيء اضطرب ، كأنه تصور منه تسلسل و السلسلة بالفتح اتصال الشيء بالشيء وبالكسر دائرة من حديد ونحوه [ وأغلالاً ] بها يقيّدون إهانة و تعذيباً لاخوفاً من الفرار جمع «غل» بالضم وهو ما تطوّق به الرقبة للتعذيب [ وسعيراً ] ناراً بها يحرقون و هذا حال الكافرين بالله و المشغولين عن الحق بسلاسل التعلقات الشهوية من حب الدنيا و لذاتها المحرمة و عدم انقيادهم للعبودية . وأمّا الشاكرين فشرع سبحانه في بيان حالهم بقوله :

[ إن الأبرار ] جمع برّ مثل ربّ و أرباب أو جمع بارّ مثل شاهدو أشهاد  
و هو من يبرّ خالقه ويطعيه كمال الإطاعة ، قيل : البرّ من لا يؤذي الذرّ ولا يضر  
الشرّ :

ولا تؤذ غلاً إن أردت كمالاً \* فإن لها نفساً تطيب كما لكا  
و برّ العبد ربّه أي توسّع في طاعته ، و البرّ خلاف البحر و تصوّر منه التوسّع  
فاشتمق منه البرّ أي التوسّع في فعل الخير .

وقد روى الخاصّة وجماعة من العامّة أن هذه الآية « إن الأبرار يشربون »  
إلى قوله : « وكان سعيهم مشكوراً » نزلت في عليّ و فاطمة والحسن والحسين عليهم السلام  
و جارية لهم تسمى فضة وهو المرويّ عن ابن عباس و مجاهد و أبي صالح و ذلك  
أنهم قالوا : مرض الحسن والحسين عليهما السلام فعاودهما جدّهما ووجوه العرب و قالوا :  
يا أبا الحسن لو نذرت عليّ ولديك نذراً ، فنذر صوم ثلاثة أيام إن شفاهم الله و نذرت  
فاطمة عليها السلام كذلك و كذلك فضة فبرئاً و ليس عندهم شيء فاستقرض عليّ عليه السلام  
ثلاثة أصوع من شعير من يهودي و قيل : إنّه أخذ ليغزل له صوفاً و جاء به إلى  
فاطمة عليها السلام فطحنت صاعاً منها فاخبزته و صلّى عليّ عليه السلام المغرب و قرّ بته إليهم  
فأتاهم مسكين يدعو لهم و سألهم فأعطوه ولم يذوقوا إلا الماء فلمّا كان اليوم الثاني  
أخذت صاعاً فطحنته وخبزته و قدّمته إلى عليّ عليه السلام فأذاً بيّتهم في الباب يستطعم  
فأعطوه ولم يذوقوا إلا الماء فلمّا كان اليوم الثالث عمدت إلى الباقي فطحنته و  
خبزته و قدّمته إلى عليّ عليه السلام فأذاً أسيرُ بالباب يستطعم فأعطوه ولم يذوقوا إلا  
الماء فلمّا كان اليوم الرابع و قد قضا نذورهم أتى عليّ عليه السلام و معه الحسن و  
الحسين عليهما السلام إلى النبيّ صلى الله عليه وآله و بهما ضعف فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله و نزل جبرئيل  
بسورة هل أتى .

و في رواية عطا عن ابن عباس أن علياً عليه السلام آجر نفسه ليسقي نخلاً بشيء من  
شعير ليلة حتّى أصبح و قبض الشعير و طحن ثلثه فجعلوا منه شيئاً لياً كلوه يقال له  
الحريرة ، فلمّا تمّ إنضاجه أتى مسكين فأخرجوا إليه الحريرة ، ثمّ الليلة الثانية

كذلك و ثم الثالثة كذلك أسير من المشركين ، و ذكره الواحدي في تفسيره .  
 و ذكر علي بن إبراهيم أن أباه حدثه عن عبد الله بن ميمون عن الصادق عليه السلام  
 قال : كان عند فاطمة عليها السلام شعر فجعلوه عصيدة<sup>(١)</sup> إلى آخر الحديث .

وفي هذا دلالة على أن السورة مدنيّة . وقال أبو حمزة الثمالي في تفسيره : حدثني  
 الحسن بن الحسن أبو عبد الله بن الحسن أنها مدنيّة نزلت في علي و فاطمة عليهما السلام السورة  
 كلها ؛ حدثنا<sup>(٢)</sup> السيّد أبوالمحامد مهدي بن نزار الحسيني القابيني قال : أخبرني  
 الحاكم أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله الحسكاني قال : حدثنا أبو نصر المفسر قال : حدثني  
 عمي أبو حامد إملاء قال : حدثني الفزاري أبو يوسف يعقوب بن محمد المقرئ قال :  
 حدثني محمد بن يزيد السلميّ قال : حدثنا زيد بن أبي موسى قال : حدثني عمرو بن  
 هارون عن عثمان بن عطا عن أبيه عن ابن عباس قال : أول ما أنزل بمكة : اقرأ باسم  
 ربك ثم ن والقلم ثم المزمّل ثم الممدثر ثم تبت ثم إذا الشمس كورت ثم سبح  
 اسم ربك الأعلى ثم الليل ثم والفجر ثم والضحى ثم ألم نشرح ثم والعصر ثم  
 والعاديات ثم إننا أعطيناك ثم ألهاكم ثم رأيت ثم الكافرون ثم ألم تر ثم قل أعوذ برب  
 الفلق ثم الناس ثم التوحيد ثم والنجم ثم عبس ثم إننا أنزلنا ثم والشمس ثم  
 البروج ثم والتين ثم لا يلاف ثم القارعة ثم القيامة ثم الهمزة ثم والمرسلات ثم  
 ق ثم لا أقسم ثم الطارق ثم ص ثم الأعراف ثم قل أوحى ثم يس ثم الفرقان  
 ثم الملائكة ثم كهيعص ثم طه ثم الواقعة ثم الشعراء ثم النمل ثم القصص ثم بني  
 إسرائيل ثم يونس ثم هود ثم يوسف ثم الحجر ثم الأنعام ثم الصافات ثم لقمان  
 ثم القمر ثم السبا ثم الزمر ثم حم المؤمن ثم حم السجدة ثم حمعسق ثم الزخرف  
 ثم الدخان ثم الجاثية ثم الأحقاف ثم الذاريات ثم الغاشية ثم الكهف ثم النحل ثم نوح  
 ثم إبراهيم ثم الأنبياء ثم المؤمنون ثم الم تنزيل ثم الطور ثم الملك ثم الحاقة  
 ثم ذو المعارج ثم عم ثم النازعات ثم انفطرت ثم انشقت ثم الروم ثم العنكبوت

(١) بفتح العين ، دقيق يلت بالسمن ويطبخ .

(٢) منقول من مجمع البيان .

ثم المطففين . فهذه السور وهي خمس وثمانون سورة أنزلت بمكة ، ثم أنزلت بالمدينة: البقرة ثم الأنفال ثم آل عمران ثم الأحزاب ثم الممتحنة ثم النساء ثم إذا زلزلت ثم الحديد ثم سورة محمد ثم الرعد ثم سورة الرحمن ثم هل أتى ثم الطلاق ثم لم يكن ثم الحشر ثم إذا جاء نصر الله ثم النور ثم الحج ثم المنافقون ثم المجادلة ثم الحجرات ثم لم تحرم ثم الجمعة ثم التغابن ثم سورة الصف ثم سورة الفتح ثم المائة ثم سورة التوبة . فهذه ثمانية وعشرون سورة ، وقد رواه الأستاذ أحمد الزاهد باسناده عن عثمان بن عطا عن أبيه عن ابن عباس في كتاب الإيضاح و زاد فيه : وكانت إذا نزلت سورة بمكة ثم يزيد الله فيها ما يشاء بالمدينة .

و باسناده عن عكرمة والحسن بن أبي الحسن البصري أن أول ما أنزل الله من القرآن بمكة على الترتيب: اقرأ باسم ربك ون والمزمل -إلى قوله : - والذي نزل بالمدينة : ويل للمطففين و البقرة و الأنفال و آل عمران و الأحزاب و المائة و الممتحنة و النساء و إذا زلزلت و الحديد و سورة محمد ﷺ و الرعد و الرحمن و هل أتى إلا قوله : « فلاتطع » فهذا ما أنزل بالمدينة فجميع سور القرآن مائة وأربع عشر سورة انتهى .

و بالجملة في المجالس عن الصادق وعن أبيه أن الحسنين عليهما السلام قالوا : ونحن نصوم ثلاثة أيام فألبسهما العافية فأصبحوا صياماً و في آخره هبط جبرئيل ﷺ قال : يا محمد خذما هنا لك الله لك في أهل بيتك ، قال ﷺ : ما آخذ يا جبرئيل؟ قال : هل أتى إلى قوله : « و كان سعيكم مشكوراً » .

و قال أكثر علماء التفسير من العامة : إننا نحن لانشك في صحة الرواية: و أيضاً في رواية أهل البيت في المناقب عن أكثر المفسرين من كبارهم ما يقرب مما ذكره في المجالس إلا أنه ليس فيه صيام الصبييين عليهما السلام و في آخر الرواية: فرآهم النبي ﷺ جيعاً فنزل جبرئيل و معه صحيفة من الذهب مرصعة بالدر والياقوت مملوءة من الثريد و عراق<sup>(١)</sup> يفوح منها رائحة المسك و الكافور فجلسوا و أكلوا حتى

(١) بضم العين ، العظم بلا لحم .

شبعوا ولم ينقص منها لقمة واحدة و خرج الحسين عليه السلام و معه قطعة عراق فنادته يهودية يا أهل بيت الجوع من أين لكم هذه ؟ أطعمنيها ، فمد يده الحسين عليه السلام ليطعمها فهبط جبرئيل وأخذها من يده ورفع الصحيفة إلى السماء فقال صلى الله عليه وآله : لولا ما أراد الحسين من إطعام الجارية تلك القطعة من اللحم ترك تلك الصحيفة في أهل بيتي يأكلون منها إلى الأبد .

رجع إلى التفسير [ إن الأبرار يشربون ] في الجنة [ من كأس ] هي الزجاجاة إذا كانت فيها خمر و تطلق أيضاً على نفس الخمر على طريق ذكر المحل و إرادة الحال وهو المراد هنا عند الأكثر حتى قيل : كل كأس في القرآن فانما عني به الخمر [ كان مزاجها ] بتكوين الله [ كافوراً ] أي ماء كافوراً و هو اسم عين في الجنة في الملقام المحمدي و كذا سائر العيون ماؤها من بياض الكافور و برده و رائحته، يقال : مزج الشراب أي خلطه و مزاج البدن ما يمازجه و يخالطه من الصفراء و السوداء و البلغم و الدم. و الكافور اشتقاقه من الكفر و هو الستر لأنه من شدة رائحته الطيبة يغطي الأشياء و الكافور المعروف في الدنيا طيب يكون من شجر بحبال بحر الهند يظل خلقاً كثيراً و تألفه النمورة و خشبه أبيض هش<sup>(١)</sup> و توجد في أجوافه الكافور وهو أنواع و لونها أحمر و إنما تبيض بالتصعيد .

[ عيناً ] بدل من « كافوراً » [ يشرب بها عباد الله ] صفة عين و عباد الله الأبرار أي يشربون هذا الشراب من هذا العين أو يشربون بها الخمر لكونها ممزوجة بها مثل شربت الماء بالعسل ، وإن حروف العوامل ينوب بعضها مناب بعض و حاصل المعنى : هذا الشراب من عين يشرب بها أولياء الله ، قال الفرّاء : شربها و شرب بها سواء في المعنى كما يقولون : تكلمت بكلام حسن و كلاماً حسناً .

[ يفجرونها تفجيراً ] أي يوصلون تلك حيث شاؤا من منازلهم و قصورهم و التفجير تشقيق الأرض لجري الماء ، و أنهار الجنة تجري بغيراً حدود<sup>(٢)</sup> فاذا أراد المؤمن

(١) النمورة بضم النون جمع النمر . عود هش<sup>٣</sup> : سريع الكسر .

(٢) الاخدود : الحفرة المستطيلة .



أن يجري نهراً خطاً خطأً فينبع الماء من ذلك الموضع فالتفجير في الآية سوق الماء حيث أرادوا الفناء في محبة الله و إطاعته يوجب الشرب من هذا الكأس بخلاف كأس النفسانية الشيطانية فإنه يشرب الحميم وخبال<sup>(١)</sup> جهنم وذلك لأهل الفسق في الدنيا وهي حرام. وفي الحديث «إذا تناول العبد كأس الخمر ناشده الإيمان بالله: لا تدخلها عليّ فإنني لا أستقرّ أنا وهي في وعاء واحد فإن أبي العبد و شربها نفر الإيمان نفرة لا يعود إليه أربعين صباحاً فإن تاب تاب الله عليه و نقص من عقله شيء لا يعود إليه أبداً» .

[ يوفون بالندر ] كأنه قيل : ما ذا فعلوا حتى ينالوا هذه الدرجة ؟ يوفون بما أوجبوه على أنفسهم فكيف بما أوجبه الله عليهم من الصلاة والزكاة وغيرهما، والندر إيجاب الفعل المباح على نفسه تعظيماً لله مثل أن يقول : لله عليّ من الصدقة وغيرها إن شفي مريضى أورد غائبى .

[ ويخافون يوماً كان شره مستطيراً ] أي كانوا في الدنيا يخافون الله من مخالفته من يوم و هو يوم القيامة كان شره و عذابه فاشياً منتشراً في الأقطار غاية الانتشار ، واستطار الفجر انتشر وهو أبلغ من طار ، وأطلق الشرّ على أهوال القيامة بالنسبة إلى مستحقّيها وإنّ ليوم القيامة أموراً سارة للمؤمنين كما أنّ للكافرين أموراً ضارة .

[ ويطعمون الطعام على حبه ] قال ابن عباس : الضمير راجع إلى الطعام أي يطعمون على غاية شهوتهم وجوعهم وعلى أشد ما تكون حاجتهم إليه ، وصفهم بالأثرة على أنفسهم وقيل : الهاء كناية عن الله أي على حب الله [ مسكيناً ] فقيراً عاجزاً عن الكسب والدائم السكون إلى التراب [ ویتيماً ] طفلاً لأب له [ وأسيراً ] الأسر الشدّ بالقد<sup>(٢)</sup> سمّي الأسير بذلك ثم يستعمل لكل مأخوذ مقيّد وإن لم يكن مشدوداً بذلك والأسير كان يطلق على المأخوذ من دار الحرب من المشركين وقيل : هو المحبوس

(١) الخبال بالفتح : الفساد ، النقصان ، السم القاتل .

(٢) القدّ بالفتح : جلد السخلة .

من أهل القبلة وقيل : الأسير المرأة .

[ إنَّما نطعمكم لوجه الله ] الوجه مجاز عن الرضى، أي قائلين بلسان الحال أو بلسان المقال إزاحة لتوهم المنّ المبطّل للمدقة و توقّع المكافئة المنقّصة للأجر : [ لا نريد منكم جزاء ] على ذلك بالمال والنفس ولا نريد مقابلة و عوضاً [ ولا شكوراً ] ومدحاً وتشكراً منكم بالذكر الجميل، وفي الآية أدب أدب الله العباد في خلوص العمل بأن يكون القصد خالصاً لرضاه ولا يشوب بالرياء .

[ إننا نخاف من ربنا يوماً عبوساً ] أي عذاب يوم تعبّس فيه الوجوه من شدة أهواله كما روي أنّ الكافر يعبس يوماً حتّى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران و العبس قطوب الوجه من ضيق الصدر وإنّ العبوس الأسد كالعبّاس لحدّته على إيصال الضرر بالعنف على فريسته ووصف اليوم بالعبوس توسّعاً لما فيه من الشدّة كما يقال يوم صائم وليل قائم [ قمطيراً ] القمطيرير اليوم الشديد الشرّ، والتفّ شرّه بعض على بعض ؛ قال الشاعر :

بني عمّنا هل تذكرون بناءنا ☆ عليكم إذا ما كان يوم قماطر  
قال الحسن : ما أشدّ اسمه وهو من اسمه أشدّ ! وقيل : في معنى القمطيرير الأمر الذي يقبض الحياة ويقلص الوجوه من شدّته .

فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة و سروراً (١١) وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً (١٢) متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً (١٣) و دائية عليهم ظلالها و ذلت قطوفها تذليلاً (١٤) و يطاف عليهم بآنية من فضة و اكواب كانت قواريراً (١٥) قوارير من فضة قدروها تقديراً (١٦) ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً (١٧) عينا فيها تسمى سلسبيلاً (١٨) و يطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً (١٩) و إذا رأيت ثم رأيت نعيماً و ملكاً كبيراً (٢٠) عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق و حلوا أساور من فضة و سقاهم ربهم شراباً طهوراً (٢١) ان هذا كان لكم جزاء و كان سعيكم مشكوراً (٢٢) .

[ فوقاهم الله ] بسبب خوفهم و تحفظهم على القربات وقاهم شر ذلك اليوم الشديد . والخوف من الله له فوائد عظيمة ، في الحديث «قال رجل وهو لم يعمل حسنة قطّ و وصّى لأهله إذا متّ فحرّ قوني ثمّ اذروا<sup>(١)</sup> نصفي في البرّ و نصفي في البحر فوالله لئن قدر الله عليّ ليعذبّ بني عذاباً لا يعذبّ به أحداً من العالمين فلمّا مات الرجل فعلوا ما أمرهم فأمر الله البرّ فجمع ما فيه وأمر البحر فجمع ما فيه ثمّ قال له : لم فعلت هذا؟ قال : من خشيتك يا ربّ وأنت أعلم فغفر الله له بسبب خشيته» وقوله : «لئن قدر الله» بالتحفيف من القدرة أي لئن تعلّقت قدرته يوم البعث بعذاب جسمه، ظنّ المسكين أنّه بالفناء على الوجه المذكور يلتحق بالمحال وقدرة الله لا يتعلّق بالمحال فلا يلزم منه الكفر .

[ ولقاهم نضرة وسروراً ] لقيته كذا إذا استقبلته به أي أعطاهم بدل عبوس الفجّار و حزنهم نضرة في الوجوه وسروراً في القلوب .

[ وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً ] أعطى كلّ واحد منهم بطريق الأجر وال عوض بسبب صبرهم في اجتناب المحرّم وإيثار الأموال جنة وبستاناً يأكلون منها ما شاؤا وحريراً يتزيّنون به ويلبسونه .

[ متمكّنين فيها ] أي في الجنة [ على الأرائك ] السرر في الحجال من الدرّ والياقوت موضونة بقضبان<sup>(٢)</sup> الذهب و ألوان الجواهر ، أي مستقرّين عليها .

[ لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً ] حرّاً ولا برداً كما يرون في الدنيا لأنّ الحرارة غالبية في أرض العرب والبرودة في أرض العجم والروم . والزمهرير شدة البرد وازمهرير النهار اشتدّت برده ، روي عن ابن عباس أنّه قال : فبينما أهل الجنة إذ رأوا ضوءاً كضوء الشمس وقد أشرقت الجنان فيقول أهل الجنة يارضوان قال الله تعالى « لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً » فيقول لهم رضوان : ليست هذه بشمس ولا قمر ولكن هذه فاطمة و عليّ ضحكا ضحكاً أشرقت الجنان من نور ضحكهما وفيهما أنزل

(١) ذرا الريح التراب - من باب نصر - اطارته وفرقته .

(٢) الموضونة الدرع المقاربة النسيج او المنسوجة بالجواهر . القضبان جمع القضيب .

الله « هل أتى على الإنسان » إلى قوله : « وكان سعيكم مشكوراً » .  
 [ و دانية عليهم ظلالها ] الظلال جمع ظلّ نقيض الضحّ أي ظلال الأشجار في  
 الجنة قربت من الأبرار من جوانبهم حتى صارت الأشجار بمنزلة المظلة عليهم و  
 إن كان لا شمس فيها موزية لتظلمهم والمراد ببيان زيادة نعيمهم وراحتهم فإن الظلّ في  
 الدنيا للراحة .

[ و ذلّت قطوفها تذليلاً ] أي سخّرت ثمارها لمتناولها و سهل أخذها للقائم  
 والقاعد والمضطجع من الذلّ بالكسر وهو ضدّ الصعوبة، والحاصل تدنو ظلالهم عليهم  
 مذلّة قطوفها لهم ، و قطوف جمع « قطف » بكسر القاف بمعنى العنقود<sup>(١)</sup> وسمّي العنقود  
 قطعاً لأنه يُقطع وقت الإدراك .

[ ويطاف عليهم ] أي يدار على الأبرار إذا أرادوا الشرب [ بآنية ] أوعية جمع  
 إناء وأصل آنية آنية بهمزتين [ من فضة ] نعت لآنية [ وأكواب ] جمع كؤوب وهو  
 الكوز العظيم المدور الرأس لا أذن له ولا عروة فيسهل الشرب منه من كل موضع  
 ولا يحتاج عند التناول إلى إدارته [ كانت قواريرا ] القارورة ما قر فيه الشراب ونحوه  
 [ قوارير من فضة ] أي تكوّنت جامعة بين صفاء الزجاج و شفافيتها و لين الفضة  
 و بياضها يرى ما في داخلها من خارجها و « كان » تامّة وقوارير الأول حال من فاعل  
 كانت . فإن قيل : إنّ القوارير إنّما تتكوّن من الزجاج فكيف تكون القوارير؟  
 قال الصادق عليه السلام : « ينفذ البصر في فضة الجنة كما ينفذ في الزجاج » قال أبو عليّ الفارسي:  
 القول في ذلك أنّ الشيء إذا قاربه شيء، و اشتدّت ملابسته له قيل : إنّه من كذا  
 وإن لم يكن منه في الحقيقة . وقوارير الثانية بدل من الأولى وليست بتكرار ويجوز  
 تقدير حذف المضاف أي من صفاء الفضة . ويمكن أن يكون المراد أنّ القوارير أصلها  
 من الرمل في الدنيا وأرض الجنة من فضة فقواريرها من فضة .

[ قدّروها تقديراً ] الضمير في « قدّروها » الأول للسقاة والخدم ، و الثاني

للكاسي أي من غير زيادة ولا نقصان و هو ألدّ للشارب فإنّ طرفي الاعتدال مذمومان

(١) العنقود ما تراكم من حب العنب ونحوه .

لا فيض فيها ولاغيض أي لا كثرة ولا قلة .

[ ويسقون فيها كأساً ] أي إن الأبرار يسقون في الجنة بأمر الله خمراً [ كان مزاجها زنجبيلاً ] الزنجبيل عرق<sup>(١)</sup> برّي في الأرض ونباته كالقصب والبردي<sup>(٢)</sup> شبه طعمها بالزنجبيل لأنّ المزوج به أطيب ما يستطيب العرب أي تمزج وتخلط بماء من العين المسماة بالزنجبيل .

[ عيناً فيها تسمى سلسبيلاً ] عيناً بدل من زنجبيلاً في الجنة تسمى عند الملائكة سلسبيلاً لسلاسة انحدارها وسهولة مساعها والعين سميت بصفاتهما . قيل : إن سلسبيلاً صفة لا اسم وإلا لامتنع من الصرف للعلمية والتأنيث وقيل : اسم وإنما صرف لرعاية رأس الآية وهي مؤنث معنوي لا حقيقي يقال : شراب سلسل وسلسبيل سهل الورود في الحلق لعذوبته وزيدت الباء على السلسل للمبالغة على غاية السلاسة تتسلسل في الحلق .

[ ويطوف عليهم ] يدور على الأبرار [ ولدان ] فإِنَّهم أخفّ في الخدمة ، جمع وليد وهو من قرب عهده بالولادة [ مخلّدون ] دائمون على ما هم عليه من الطراوة والبهاء لا يتغيرون أبداً أو مقرطون<sup>(٣)</sup> للخدمة ، أو من الخلد وهو الروح كأنهم روحانيون من اللطافة لاجسم لهم .

[ إذا رأيتهم ] يا من شأنه الرؤية [ حسبتهم لؤلؤاً ] جمعه اللآلىء ؛ تلاً الشيء طبع [ منشوراً ] بالثناء متفرّفاً لحسنهم وصفاء ألوانهم وإشراق وجوههم و تفرّقتهم في مجلس الخدمة وطوافهم على المخدمين ، واللؤلؤ إذا كان متشتتاً يكون في المنظر أحسن من المنظوم و لو كانوا مصطفيين على و تيرة واحدة لشبهوا باللؤلؤ المنظوم فلتفرّقتهم شبهوا بالمنثور كما أنّ الحور لتجمعن بل هنّ مقصورات في الخيام باللؤلؤ المكنون . وقال بعضهم : منشوراً من صدفه ، أي شبهوا باللؤلؤ الرطب إذ انثر

(١) المراد به هنا اصل الشجر .

(٢) نبات كالقصب .

(٣) أي تزيّنوا بالقرط .

من صدفه وهو غير ممسوس ومثقوب لأنه أكثر ماءً وشفاءً . أنشأهم الله من غير ولادة وقيل : إنهم ولدان الكفار يدخلون الجنة خدماً لأهلها . وفي رواية المراد بالولدان هنا ولدان المسلمين الذين يموتون صغاراً لا حسنة لهم ولا سيئة فوضعوا هذا الموضع .

[ وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً ] قيل : ليس له مفعول ملفوظ ولا منوي ولا مقدر بل المعنى أن بصرك أين ما وقع في الجنة [ رأيت نعيماً ] كثيراً لا يوصف [ و ملكاً كبيراً ] واسعاً كما في الحديث « أدنى أهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه » .

[ عاليهم ثياب سندس خضر ] عاليهم قيل : ظرف و خبر مقدم ، وثياب مبتدأ مؤخر أي فوقهم ثياب سندس وهو الديباج الرقيق ، وإضافة الثياب إلى السندس كإضافة الخاتم إلى الفضة، وقيل : عاليهم حال أي يعلوهم ثياب سندس، وقيل : المراد فوق خيامهم المضروبة عليهم فالمعنى أن حجالهم من الحرير والديباج . وخضر جمع أخضر صفة الثياب والضمير راجع إلى الأبرار [ وإستبرق ] أي ثياب إستبرق عطف على الثياب بمعنى الديباج الغليظ سبق بيانه في سورة الرحمن وهو بقطع الهمزة لكونه اسماً للديباج الغليظ الذي له بريق .

[ وحلّوا أساور من فضة ] عطف على قوله : « ويطوف عليهم » وهو ماض لفظاً ومستقبل معنى أي يحلّون ويتزيّنون بأساور جمع أسورة في جمع سوار وكان الملوك في الزمان الأوّل يتحلّون بها و يسوّرون من يكرمونه ولا ينافي هذه الآية مع ما في الكهف والحج<sup>(١)</sup> من قوله : « من أساور من ذهب » لإمكان الجمع بين السوارين أو على التعاقب في الأوقات تارة يلبسون الذهب و تارة يلبسون الفضة أو التبعض بأن

يكون أسورة البعض ذهباً والبعض فضةً بحسب اختلاف شؤونهم [وسقاهم ربهم شراباً طهوراً] من الأقدار لم يدنسها الأيدي ولم تدسه الأرجل كخمر الدنيا ولا يصير بولاً نجساً بل يرشح عرقاً من أبدانهم له ريح كريح المسك ويجوز أن يكون بمعنى الفاعل مطهرٌ باطنه من كل كدورة إذ لا يكون شيء خالص من كدورة الأقدان إلا الله فبخّ للمشرب وشاربه وساقيه .

وأسكر القومَ دور كَأَس ☆ و كان سكري من المدير

قال بعضهم : صليت خلف سهل بن عبد الله العتمة<sup>(١)</sup> فقرأ قوله : « وسقاهم ربهم شراباً طهوراً » فجعل يحرّك فمه كأنه يمصّ فلماً فرغ من صلاته قيل له : أتقرء أم تشرب ؟ قال : والله لولم أجد لذته عند قراءته كذذتي عند شربه ماقرأته .  
[ إن هذا ] أي الذي ذكر من أنواع العطايا [ كان لكم جزاءً ] عوضاً بمقابلة أعمالكم [ وكان سعيكم مشكوراً ] مرضياً مقبولاً و سعيكم وقيامكم بطاعته مرضيٌ عنده سبحانه فكأنه شكر لكم عملكم وفعلكم .

انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً ( ٢٣ ) فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً (٢٤) واذكر اسم ربك بكرة وأصيلاً (٢٥) ومن الليل فاسجد له واسبغه ليلاً طويلاً ( ٢٦ ) ان هؤلاء يحبون العاجلة و يذرون وراءهم يوماً ثقيلاً (٢٧) نحن خلقناهم وشددنا أسرهم وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلاً (٢٨) ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلاً (٢٩) و ما تشاؤون الا ان يشاء الله ان الله كان عليماً حكيماً (٣٠) يدخل من يشاء في رحمته و الظالمين اعد لهم عذاباً ايماً (٣١) .

[ إننا نحن نزلنا عليك القرآن ] أي فصّلناه في الأنزال آيةً بعد آيةٍ و لم ننزله جملةً واحدةً لحكمةٍ بالغةٍ مقتضيةٍ له و نحن نزلناه لا غيرنا كما يُعرب عنه تكرير الضمير على سبيل التأكيد فكأنه تعالى يقول : إن هؤلاء الكفار يقولون

إنّ ذلك كهانة وسحر فأنا الملك الحقّ أقول : إنّ ذلك وحي حقّ و تنزيل صدق من عندي فلا تكترث<sup>(١)</sup> بطعنهم .

[ فاصبر لحكم ربك ] بتأخير نصرك على الكافرين فإنّ الأمور مرهونة بأوقاتها و كلّ آتٍ قريب [ ولا تطع منهم ] من الكفار [ آثماً أو كفوراً ] أي لا تطع من يدعوك إلى إثم أو كفر ، وقيل : الآثم في الآية يعني عتبة بن ربيعة و الكفور يعني الوليد بن المغيرة فإنهما قالاه صلى الله عليه وآله : ارجع عن هذا الأمر و نحن نرضيك بالمال و التزويج و قيل : الكفور أبو جهل نهى النبي صلى الله عليه وآله عن الصلاة و قال : لئن رأيت محمداً يصلي لأطأن عنقه فنزلت الآية . و في نهيه صلى الله عليه وآله عن الإطاعة فيما يدعوونه إليه مع أنّه ما كان يطيع أحداً منهم ولا يتصوّر في حقّه ذلك من باب « إياك أعني و اسمعي يا جاره » و المراد الأئمة و هذا الخطاب كقوله<sup>(٢)</sup> : « لئن أشركت ليحبطن عملك » و إشارة إلى أنّ الناس محتاجون إلى مواصلة الإرشاد و التنبيه و ركّب في طبعهم الشهوة الداعية إلى السهو و الغفلة .

[ و اذكر اسم ربك بكرةً و أصيلاً ] أي داوم على ذكره أوّل النهار و آخر النهار أو المعنى دُم على صلاة الفجر و الظهر و العصر .

[ و من الليل فاسجد له ] أي فاسجد له في بعض الليل لأنّه لم يأمره بقيام الليل كلّه و قيل : المراد صلاة المغرب و العشاء [ و سبحه ليلاً طويلاً ] و المراد بالتسبيح في هذه الآية صلاة الليل كما في الحديث روي عن الرضا عليه السلام أنّه سأله أحمد بن محمد عن هذه الآية قال عليه السلام : « المراد بذلك التسبيح صلاة الليل » و حاصل المعنى صلّ صلاة التهجد لأنّه كان واجباً عليه في طائفة طويلة من الليل ثلثيه أو نصفه أو ثلثه و المراد بقوله : « ليلاً طويلاً » بيان طول التسبيح فيه و ليس المراد أن يتهدّد في الليل ولا يتهدّد في الليل القصير .

[ إن هؤلاء يحبّون العاجلة ] أي كفارمكة يحبّون اللذات العاجلة في الدنيا

(١) اكترث له : بالى به .

(٢) سورة الزمر : ٦٥ .



فهو الحامل على كفرهم و عدم قبولهم أو امرك [ و يذرون ] يتركون [ و راء هم ] أي أمامهم [ يوماً ثقيلاً ] عسيراً شديداً لا يستعدون له و ينبذونه و راء ظهورهم .  
و «وراء» يستعمل في كل من أمام و خلف و في وجه الاستعمالين أن و راء اسم للجهة المتوارية المستترة المخفية عنك و استتار جهة الخلف ظاهر و ما في جهة الأمام قد يكون متوارياً عنك غير مشاهد فيشبه الخلف في الاستتار فيستعار له اسم الوراء و وصف اليوم بالثقل مع أن الثقل من صفات الأعيان الجسميّة لتشبهه شدته و هو له و ما يلزمه من العذاب استعارة تخيلية و في الآية و عيد لأهل الدنيا و المنهمكين فيها بالظلم على أنفسهم .

[ نحن ] لا غيرنا [ خلقنا هم و شددنا أسرهم ] خلقناهم من نطفة و أحكمنا ربط مفاصلهم بالأعصاب ليتمكّنوا بذلك من القيام و القعود و الأخذ و الدفع .  
و الأسر الربط و منه أسر الرجل<sup>(١)</sup> إذا أوثق بالقد و قيل : المراد من قوله : «وشددنا أسرهم» أي شددنا مخرج بولهم و غائطهم و أحكمنا ربطه إذا خرج الأذى انقبض و إذا يريد الإنسان الدفع استرخى و لا يسترخي قبل الإرادة من الإنسان .

[ و إذا شئنا ] تبدلهم [ بدلنا أمثالهم ] أي بدلناهم بأمثالهم بعد إهلاكهم [ تبديلاً ] بديعاً لا ريب فيه و هو البعث . و المثليّة في النشأة الأخرى التركيب الأولية باعتبار إيجاد الأجزاء الأصليّة و إعادتها ، أو المعنى لو شئنا أهلكتناهم و آتينا بأشباهم فجعلناهم بدلاً منهم ولكن نبقّهم إتماماً للحجّة .

[ إن هذه ] إشارة إلى السورة والآيات القريبة [ تذكرة ] أي عظة مذكرة في تحصيل السعادة الأبدية و إذكّار بما غفلت عنه عقولهم [ فمن شاء اتّخذ إلى ربّه سبيلاً ] و تقرب إليه بالإطاعة و النجاة من ثقل اليوم المذكور [ و ماتشؤون إلا أن يشاء الله ] أي و ما تشؤون شيئاً من الطاعات إلا و الله يشاؤه و يريد ، وليس المراد في الآية أنه سبحانه يشاء كل ما يشاؤه العبد من المعاصي لأن الدلائل الواضحة قد دلّت

-٢٨- (الجزء التاسع و العشرون . سورة الدهر ٧٦، آية ٢٣-٣١) ج ١٢

---

على أنه يتعالى عن أن يريد القبائح و إساءة<sup>(١)</sup> القبيح ظلم و ما الله يريد ظلماً للعباد  
ولا يريد بكم العسر .

[ إن الله كان عليماً حكيماً ] عليم بأفعالكم حكيم في تدبير مصالحكم [ يدخل  
من يشاء في رحمته ] و جنّته ممّن يؤمن به و بكتابه فلا تكن ظالماً شقيماً [ و الظالمين  
أعدّ لهم عذاباً أليماً ] وهم الذين يصرفون مشيئتهم في مخالفة الله فيجزئهم جهنّم و  
هيّاً لهم العذاب المولم و الظالمون الذين وضعوا الضلالة  
في مقام الهداية و الجهالة في مقام المعرفة  
تمّت السورة بعون الله .



## سورة المرسلات

مَكِّيَّةٌ كُلُّهَا بِإِخْلَافٍ إِلَّا آيَةً قِيلَ : أُسْتَثْنِي مِنْهَا « وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لِلآيَةِ » .

قال النبي ﷺ : مَنْ قَرَأَهَا كَتَبَ لَهُ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَعَرَّفَ اللَّهُ

بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ ﷺ .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

و المرسلات عرفاً (١) فالعاصفات عصفاً (٢) و الناشرات نشرأً (٣)  
فالفارقات فرقاً (٤) فالملقيات ذكراً (٥) عذراً أو نذراً (٦) انما تو عدون  
لواقع (٧) فاذا النجوم طمست (٨) و اذا السماء فرجت (٩) و اذا الجبال  
نسفت (١٠) و اذا الرسل اقتت (١١) لاي يوم اجلت (١٢) ليوم الفصل (١٣)  
وما ادراك ما يوم الفصل (١٤) ويل يومئذ للمكذبين (١٥) .

الو او للمقسم [ والمرسلات ] بمعنى الطوائف المرسلات جمع مرسله أي طائفة  
مرسله باعتبار أن ملائكة كل يوم أو كل عام أو كل حادثة طائفة و [ عرفاً ]  
بمعنى متتابعة مأخوذ من عرف الفرس وهو الشعرات المتتابعة فوق عنقه من باب  
التشبيه البليغ بأن شبهت الملائكة المرسلون في تتابعهم بشعر عرف الفرس ، وانتصابه  
على الحالية أي جاريات بعضها أثر بعض كعرف الفرس أو العرف بمعنى المعروف  
و الإحسان ، فقبض النكير والمنكر فانهم إن أرسلوا للرحمة فظاهر و إن أرسلوا  
لعذاب الكفار فذلك أيضاً معروف وإحسان للأنبيا والمؤمنين . وقيل : المرسلات  
الرياح أرسلت متتابعة وقيل : المراد الأنبياء جاءت بالمعروف .

[ فالعاصفات عصفاً ] فعصفن أي الملائكة في مضيتهن لأمر الله كما يعصف  
الرياح في هبوبها مخففاً في امتثال أوامره تعالى أو أقسم بالرياح العاصفة [ والناشرات  
نشرأً ] وأقسم بطوائف من الملائكة نشرن أجنحتهن في الجو عند انحطاطهن  
بالوحي أو نشرن الشرائع و الأحكام في الأرض أو نشرن النفوس الموتى بالكفر  
و الإيمان ففرقن بين الحق و الباطل فالقن ذكراً إلى الأنبياء عذراً للمحقين أو  
نذراً للمبطلين .

[ الفارقات فرقاً ] يعني الملائكة تأتي بما يفرق بين الحق والباطل والحلال

و الحرام و هي آيات القرآن و الكتب السماوية و هي فارقة بين الهدى والضلال .  
 [ فاملقيات ذكراً ] يعني الملائكة كأنها الحاملات للذكر الطارحات له  
 ليأخذه من خوطب به [ عذراً أو نذراً ] أي للإعذار و الإنذار إما عذراً و محوياً  
 لسيئاتهم للذين يعتذرون إلى الله بتوبتهم و استغفارهم و إما إنذاراً للذين يغفلون  
 عن الطاعة و يرتكبون المعاصي فامللائكة عاذرين و منذرين « عذراً أو نذراً » بدل  
 من الذكر إما بدل البعض أو بدل الكل أي الذكر الملقى إما الترغيب في الطاعات  
 أو الترهيب من المعاصي و قيل : « الناشرات » هي الرياح التي تأتي بالمطر تنشر  
 السحاب نشرأ للغيث أو أنها الأمطار ينشر النبات كما أنه قيل في معنى الفارقات :  
 إنها الرياح التي تفرق السحاب و تبدده . و هذه أقسام أقسم الله بها أو المراد أقسم  
 برب هذه الأشياء بناء على أنه لا يجوز القسم إلا بالله .

و جواب القسم [إنما توعدون لواقع] أي إن الذي توعدونه من مجيء القيامة  
 كائن لامحالة و الفرق بين الكائن و الواقع أن الواقع لا يكون إلا حادثاً تشبيهاً  
 بالحائظ الواقع و الكائن أعم منه .

ثم بين وقت وقوعه : [فإذا النجوم طُمست ] أي محيت آثارها و محقت ذواتها  
 فإنّ الشمس محو الأثر ، و النجوم مرفوعة بالابتداء و طُمست خبره أو مرفوعة بفعل  
 يفسره ما بعده وهو الأولى لأن « إذا » فيها معنى الشرط و الشرط بالفعل أولى و جواب  
 إذا محذوف أي إذا طُمست النجوم وقع ما توعدون .

[وإذا السماء فُرِجت ] صدعت من خوف الرحمن و شققت و وقعت فيها الفروج  
 التي نفاها ، و الفرج الشق .

[وإذا الجبال نُسفت ] جعلت كالحب الذي ينسف بالمنسف و قلعت من مكانها  
 أو ذهبت بسرعة و فنيت حتى لا يبقى لها أثر و تذرّى و تلاشى .

[وإذا الرُّسل أقتت] أي جمعت لوقتها تشهد على الأمم عين لهم الوقت الذي  
 يحضرون فيه للشهادة على أممهم فيقال لهم : أ حضروا للشهادة فقد جاء وقتها أو بلغ  
 الوقت الذي كانوا ينتظرونه وهو يوم القيامة ، و قرأ أبو عمرو « وقتت » على الأصل

الباقون أبدلوا الواو همزة لأنّ الضمة من جنس الواو فيكون ثقیلاً كما أن الكسرة تستثقل على الياء و العرب تبدل الألف من الواو تقول : أسادة في و سادة و مؤرّخ في مورّخ .

[ لأيّ يوم أُجّلت ] مقدّر بقول هو جواب لا إذا في قوله : « وإذا الرسل » أي يقال : لأيّ يوم أُخّرت الأمور المتعلقة بالرسول وضرب لهم الأجل لجمعهم و إحضارهم ، وحاصل المعنى أنّ الرسل بعثت في أوقات مختلفة و أُخّرت للفرق بين المطيع والعاصي ويكونون شهداء عليهم فإنّ الرسل يعرفون كلاً بسماهم وشاهدون لأعمالهم .

[ ليوم الفصل ] بيان ليوم التأجيل وهو اليوم الذي يفصل فيه بين الخلائق و يقضي بالحقوق [ وما أدراك ما يوم الفصل ] « ما » مبتدأ « أدراك » خبره أي أي شيء جعلك دارياً وعالمأ ما كنهه ولم ير أحد قبلك شدته حتى تسمع منه، ووضع الظاهر موضع الضمير لزيادة تفضيع وتهويل وأيضاً « ما » خبرٌ مقدّم و « يوم الفصل » مبتدأ لا بالعكس كما اختاره سيبويه لأنّ محطّ الفائدة بيان كون يوم الفصل أمراً بديعاً هائلاً .

[ ويل يومئذ للمكذّبين ] أي الويل و الهلاك ثابت فيه لهم والويل في الأصل مصدر منصوب سادّ مسدّ فعل لا من لفظه فأصله أهلكه الله إهلاكاً أو هلك هلاكاً . و عدل به إلى الرفع للدلالة على ثبات الهلاك ودوامه للمدعوّ عليه، ووضع الويل موضع الهلاك فجاز وقوعه مبتدأ مع كونه نكرة فانهلأ كان مصدرأ سادّ مسدّ فعله المتخصّص بصدوره عن فاعل معين كانت النكرة المذكورة متخصّصة بذلك الفاعل فساغ الابتداء بها لذلك كما قالوا : سلام عليك، وقيل : الويل واد في جهنّم لو أرسلت فيه الجبال لماعت<sup>(١)</sup> من حرّ .

الم نهلك الاولين (١٦) ثم نتبعهم الاخرين (١٧) كذلك نفعل  
بالمجرمين (١٨) ويل يومئذ للمكذبين (١٩) الم نخلقكم من ماء مهين (٢٠)

(١) ماع يميع ميا : سال وجرى .

فجعلناه في قرارمكين (٢١) الى قدر معلوم (٢٢) فقدرنا فنعم القادرون (٢٣)  
 ويل يومئذ للمكذبين (٢٤) الم نجعل الارض كفاتاً (٢٥) احياء وامواتاً (٢٦)  
 وجعلنا فيها رواسي شاهقات واسقيناكم ماء فراتاً (٢٧) ويل يومئذ  
 للمكذبين (٢٨) انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون (٢٩) انطلقوا الى ظل ذي  
 ثلاث شعب (٣٠) لا ظليل ولا يغني من اللهب (٣١) انها ترمى بشرر كالقصر (٣٢)  
 كانه جمالت صفر (٣٣) ويل يومئذ للمكذبين (٣٤) هذا يوم لا ينطقون (٣٥)  
 ولا يؤذن لهم فيعتذرون (٣٦) ويل يومئذ للمكذبين (٣٧) هذا يوم الفصل  
 جمعناكم و الاولين (٣٨) فان كان لكم كيد فكيدون (٣٩) ويل يومئذ  
 للمكذبين (٤٠) ان المتقين في ظلال وعيون (٤١) وفواكه مما يشتهون (٤٢)  
 كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون (٤٣) انا كذلك نجزي المحسنين (٤٤)  
 ويل يومئذ للمكذبين (٤٥) كلوا و تمتعوا قليلا انكم مجرمون (٤٦) ويل  
 يومئذ للمكذبين (٤٧) و اذا قيل لهم اركعوا لا يركعون (٤٨) ويل يومئذ  
 للمكذبين (٤٩) فباي حديث بعده يؤمنون (٥٠) .

[ ألم نهلك الأولين ] كقوم نوح و عاد و ثمود وغيرهم ممن هلكوا قبل مبعث  
 النبي ﷺ وذلك لتكذيبهم بيوم الفصل [ ثم نتبعهم الآخرين ] ولم يعطف نتبعهم  
 على نهلك فيجزم بل استأنف، والتقدير ثم نحن نتبعهم و نجعلهم تابعين للأول في  
 الا هلاك وليس الكلام معطوفاً على ما قبله لأن العطف يوجب أن يكون المعنى أهلكتنا  
 الأولين ثم أتبعناهم الآخرين في الإهلاك وليس كذلك لأن إهلاك الآخرين لم يقع  
 بعد فلذلك رفع نتبع واستأنف به الكلام ووجه الإخبار عما سيقع في المستقبل باضمار  
 المبتدأ، وبؤيده قول الحسن : إن الآخرين هم الذين تقوم عليهم القيامة .

[ كذلك نفعل بالمجرمين ] أي نفعل فعلاً مثل ذلك الفعل الذي أخبر به  
 فمحل الكف النصب على أنه نعت لمصدر محذوف تقديره «فعلاً بالمجرمين» أي كل  
 من أجرم .

[ ويل يومئذ للمكذبين ] بآيات الله و البعث فانهم يجازون باليم العذاب .

[ ألم نخلقكم من ماء مهين ] أي نطفة قذرة مهينة و الميم في مهين أصلية و المهانة الخسة و الابتدال أي خلقناكم منه [ فجعلناه ] أي الماء [ في قرار مكين ] وهو الرحم والرحم دعاء الولد والقرار موضع الاستقرار والمكين الحصين أي جعلنا ذلك الماء في مقرّ حصين متمكناً سالماً من التعرّض له [ إلى قدر معلوم ] من الوقت الذي قدره للتنمية والحياة والولادة تسعة أشهر أو أقلّ أو أكثر .

[ فقدرنا ] أي قدرنا خلقه و جوارحه ، قرى، بالتشديد و بالتخفيف [ فنعم القادرون ] أي نحن ، بمعنى المقدرّون ويجوز أن يكون «فقدرنا» معناه من القدرة لا من التقدير أي قدرنا على خلقه و تصويره كيف نشاء و يعضد هذا المعنى قوله : « فنعم القادرون » .

[ ويلٌ يومئذ للمكذّبين ] مضى تفسيره و في برهان القرآن : كررها في هذه السورة عشر مرّات لأنّ كلّ واحدة منها ذكرت عقيب آية غير الأولى فيكون تكراراً لازماً لأنّ بسط الكلام في الترغيب و الترهيب أدعى إلى إدراك البقيّة وقد يجد كلّ أحدٍ في نفسه من تأثير التكرار ما لا يخفاء به .

[ ألم نجعل الأرض كفاتاً ] تحوزهم و تضمّمهم و تكفّتهم كفتاً [ أحياء ] على ظهرها في دورهم و أبنيتهم و مساكنهم [ و أمواتاً ] في بطنها أو المعنى على الحال و نصبه على الحالّيّة و قيل : أي من الأرض ما ينبت و منها ما لا ينبت و الكفات اسم ما يكفت و يضمّ و يجمع من كفت الشيء أو جمع اسم الفاعل وهو كافت مثل صيام جمع صائم فمن جعل لفظ الكفات مصدراً أو جمع اسم الفاعل جعله عاملاً ، و من جعله اسماً لما يكفت أو جمعاً للكفت بمعنى الوعاء منعه من العمل . قال عليّ عليه السلام : الكفات بمعنى الوعاء .

[ و جعلنا فيها رواسي شامخات ] أي جبالاتاً ثوابت من رسا الشيء يرسو ثبتت و الجبال ثوابت على ظهر الأرض لاتزول . و شامخات صفة بعد صفة و الشامخ العالي المرتفع أي طوالاً شواهاق و منه «شمخ بأنفه» عبارة عن الكبر و المعنى أنّ الجبال ثوابت الأصول رواسخ العروق مرتفعت الفروع، ووصف جمع المذكور بجمع المؤنّث



في غير العاقل مطرد مثل<sup>(١)</sup> « أشهر معلومات » و التنكير للمتفخيم و التكثير .  
 [ و أسقيناكم ماءً فراتاً ] عذاباً جداً و مكناًكم من شربه من السماء و الأرض  
 بالعيون و الأنهار و الأمطار . و الفرات يقال للواحد و الجمع [ ويلٌ يومئذ  
 للمكذِّبين ] وادٍ في جهنم الويل لهم في ذلك اليوم لأنهم كذبوا بأنعم الله و آياته .  
 [ انطلقوا ] يقال يومئذ للمكذِّبين بطريق التوبيخ : اذهبوا ، و القائلون  
 خزنة جهنم [ إلى ما كنتم به تكذِّبون ] في الدنيا و تقولون ليس عذاب و بعث .  
 [ انطلقوا ] خصوصاً [ إلى ظلٍّ ] دخان نار جهنم [ ذي ثلاث شعب ] و ذي  
 ذوائب كما هو شأن الدخان العظيم كناية عن كون ذلك الدخان في غاية الغلظ  
 فالتشعب من لوازمه أو يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كسرادق، و يتشعب من  
 دخان تلك النار ثلاث شعب فتظلمهم حتى يفرغ من حسابهم و المؤمنون في ظل العرش  
 و تقف شعبة الدخان فوق رأس الكافر و شعبة عن يمينه و شعبة عن يساره و ذلك  
 لتضييعهم القوى الثلاث التي هي السمع و البصر و الفؤاد كما قال سبحانه<sup>(٢)</sup> :  
 « و جعل لكم السمع و الأبصار و الأفئدة قليلاً ما تشكرون » فرعايتها مبدء  
 السعادات و تضييعها منشأ الشقاوات، و إن الإيمان عبارة عن التصديق و الإقرار و  
 العمل فجعلت كل شعبة من الثلاث بمقابلة واحدة من هذه الأركان بتركها و  
 اتباع القوى الثلاث من الواهمة و الغضبية و الشهوية بأعمالها و فعلها ، فإن لكل  
 عمل و صفة صورة شخصية جسدية يوم القيامة .

[ لا ظليل ] أي لا يظل ذلك الظل من الحر ، و تسمية ما يغشاهم من العذاب  
 بالظل تهكم و استهزاء بهم، و لما أوهم لفظ الظل من الاسترواح استدرك بقوله : لا ظليل  
 [ و لا يغني من اللهب ] أي غير مغن عن لهب النار كما يغني ظل الدنيا من الحر أي  
 ظل غير ظليل و مفعول « يغني » محذوف تقديره شيئاً و هذا الظل ظل النفس الخبيثة  
 المتمردة عن الإيمان بظلمة كفرها و منشعبة من الشيطانية و السبعية و البهيمية .

(١) سورة البقرة : ١٩٧ .

(٢) الم السجدة : ٩ .

[ إنَّهَا ترمي بشرر كالقصر ] ثمَّ وصف النارأي يتطايرمنها في الجهات شرارات كقصر من القصور في عظمتها و كالبناء العالي ، ووصف به الجمع باعتبار كل واحد من آحاده ، والقصر أيضاً الحطب الجزل<sup>(١)</sup> قال ابن عباس : هي الخشب العظيم المقطّعة وكنا نعمد إلى الخشب فنقطعها قطعاً كبيراً ثلاثاً أذرع وفوق ذلك و دونه ندّخرها للشتاء ونسميها القصر لكونها مقصورة ومقطوعة من الممدودة الطويلة . فإذا كان حال دخانها و شررها هكذا فكيف بحال أهلها ؟

[ كأَنَّهُ جباله صفر ] أي كأنّ الشرر وردّ الضمير إلى لفظ الشرر و النار دون معناها فشبّه سبحانه لونه بالجمالات الصفر أي كأنّها أينق سود . قال الفرّاء : لا ترى أسود من الإبل إلا وهو مشرب<sup>(٢)</sup> صفرة والعرب تسمي سود الإبل صفراء ، أو هو على الحقيقة من الصفرة لأنّ النار تكون أصلاً صفراء . أي كلّ شررة كجمل أسود أو أصفر .

[ ويل يومئذ للمكذّبين ] بنار هذه صفته .

[ هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ] قيل : في معناه قولان أحدهما أنّهم لا ينطقون بنطق ينفعهم فكأنّهم لم ينطقوا . والثاني أنّ في القيامة مواقف في بعضها يتكلّمون ويختصمون وفي مواقف يختم على أفواههم و قد منعوا عن الاعتذار لأنّه خلاف الواقع إذ لو كان لهم عذر لم يمنعوا وأيّ عذر لمن جحد برّبّه و عاند معه بالإنكار له .

[ ويل يومئذ للمكذّبين ] بهذه الأمور .

[ هذا يوم الفصل ] بين الحقّ و الباطل [ جمعناكم ] يا أمّة محمّد [ والأولين ] من كان قبلكم إذ الفصل بين المحقّ والمبطل ، لا بدّ وأن يحضروا . [ فإن كان لكم كيدٌ ] و حيلة تدفعون بها عنكم العذاب ، والخطاب من الله للكفّار [ فكيدون ] حذف ياء المتكلم كتفاء بالكسرة . واحتالوا و تخلّصوا عن عذابي

(١) بالفتح ، الغليظ العظيم .

(٢) أشرب اللون : أشبعه .

إن قدرتم وهذا أمر تعجيز وتقريع لهم على كيدهم للمؤمنين في الدين وكانوا يذفون الحقوق عن أنفسهم ويبطلون حقوق الناس بضروب الحيل والمكائد والتلبيسات [ ويل يومئذ للمكذّبين ] .

[ إن المتقين ] من الشرك والتكذيب والفواحش [ في ظلال وعيون ] من أشجار الجنة وعيون جارية بين أيديهم في غير أخدود لأن ذلك أمتع لهم و ينابيع تجري في ظلال الأشجار [ وفواكه ] جمع فاكهة وهي ثمار الأشجار [ بما يشتهون ] ويتمنون فيتنا ولونها لا عن جوع وامتلاء بل عن شهوة وتلذذ .

[ كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون ] أي مقولاً لهم كلوا من نعم الجنة واشربوا من مائها و شربها سائغاً رافهاً بلاداء بسبب ما كنتم تعملونه في الدنيا من الأعمال الصالحة خصوصاً الصيام و هذا أمر إكرام إظهاراً للرضى عنهم و تمسك القائلون بايجاب العمل للثواب بالباء السببية والجواب أن السببية إنما هي بفضل الله و وعده لا بالذات بحيث يمتنع عدمه أو يوجب النقص أو الظلم .

[ إننا كذلك ] الجزء العظيم [ نجزي المحسنين ويل يومئذ للمكذّبين ] حيث نال أعداؤهم هذا الثواب الجزيل وهم بقوا في العذاب المخلد .

[ كلوا وتمتعوا قليلاً ] أيها المكذّبون واستلذّوا بالملاذّ زماناً قليلاً إلى مدّة آجالكم [ إنكم مجرمون ] مستحقّو العذاب وحرمان الثواب لأنكم آثرتم المتاع الفاني على النعيم الخالد فالأمر أمر توبيخ و تحسّر و تحزين وعلل ذلك باجرامهم دلالة على أن كل مجرم مآله هذا و ليس له إلا الأكل و التمتع أيّاداً قلائل ثمّ البقاء في الهلاك الأبديّ .

[ ويل يومئذ للمكذّبين ] حيث عرضوا أنفسهم للعذاب الدائم .

[ وإذا قيل لهم ] أي للمكذّبين [ اركعوا ] وتواضعوا له بقبول وحيه ورفضوا هذا الاستكبار و النخوة وصلّوا [ لايركعون ] أي لا يصلّون ولا يتواضعون . قال مقاتل : نزلت الآية في ثقيف حين أمرهم الرسول بالصلاة فقالوا : لا ننحنى فإن ذلك سبة

(والسببة الدبر) وعار علينا، فقال ﷺ : «لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود» .  
وقيل : إن المراد بذلك يوم القيامة حين يدعون إلى السجود فلا يستطيعون. والركوع  
في اللغة حقيقة في مطلق الانحناء الحسبي . و في بعض التفاسير : كانوا في الجاهلية  
يسجدون للأصنام ولا يركعون لها فصار الركوع من أعلام الصلاة المسلمين لله [ ويل  
يومئذ للمكذبين ] .

[ فبأي حديث بعده ] وبأي خبر حق بعد القرآن [ يؤمنون ] إذ لم يؤمنوا  
بالقرآن ولم يتقادوا لمثل هذا البرهان الباهر. واستدل المعتزلة بهذه الآية على أن  
القرآن ليس بقديم بقوله : « حديث » إذ الحديث ضد القديم لأن القديم والحديث  
لا يجتمعان في شيء واحد .

قال صاحب تفسير روح البيان المولى إسماعيل الحقي بأن الحديث هنا  
بمعنى الخبر لا بمعنى الحادث ولو سلم فيدل على حدوث الألفاظ الدالة على المعاني  
ولا خلاف فيه وإنما الخلاف في قدم المعنى القائم بذاته لكن المعتزلة لا يقولون :  
إن علم الله حادث ولكنهم يقولون : إنما لا نعني بالقرآن ولا نعرف مسمى  
له إلا هذه الألفاظ المركبة الواقعة لبيان أحكام المكلفين المتضمنة  
لهذه المعاني التي أنزلها الله على رسوله ولا شك أنها حادثة

وليست بقديمة . روي أن هذه السورة نزلت في غار

قرب مسجد الخيف بمنى تسمى بغار» و

المرسلات «تمت السورة بعون الله

## سورة النبأ

﴿مكية﴾

عن النبي ﷺ من قرأ سورة النبأ سقاه الله برد الشراب يوم القيامة .  
و روي عن الصادق عليه السلام من أدمن قراءة عم يتساءلون سنة يزور بيت الله  
الحرام .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عم يتساءلون (١) عن النبأ العظيم (٢) الذي هم فيه مختلفون (٣)  
 كلا سيعلمون (٤) ثم كلا سيعلمون (٥) الم نجعل الارض مهادا (٦) والجبال  
 اوتادا (٧) و خلقناكم ازواجا (٨) و جعلنا نومكم سباتاً (٩) و جعلنا الليل  
 لباساً (١٠) و جعلنا النهار مهاشاً (١١) ر بنينا فوقكم سباعاً شدادا (١٢)  
 و جعلنا سراجاً و هاجا (١٣) و انزلنا من المعصرات ماء ثجاجاً (١٤)  
 لنخرج به حباً و نباتاً (١٥) و جنات النافيا (١٦) ان يوم الفصل كان  
 ميقاتا (١٧) يوم ينفخ في الصور فتاتون افواجا (١٨) و فتحت السماء فكانت  
 ابوابا (١٩) و سيرت الجبال فكانت سرابا (٢٠) ان جهنم كانت مرصادا (٢١)  
 للطاغين ، آبا (٢٢) لا بين فيها احقابا (٢٣) لا يذوقون فيها برداً ولا  
 شرابا (٢٤) الا حميما و غساقا (٢٥) جزاء وفاقا (٢٦) انهم كانوا لا يرجون  
 حسابا (٢٧) و كذبوا باياتنا كذابا (٢٨) و كل شيء احصيناه كتابا (٢٩)  
 فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا (٣٠) ان للمتقين مفازا (٣١) حدائق و  
 اعنابا (٣٢) و كواعب اثرابا (٣٣) و كأسا دهاقا (٣٤) لا يسمعون فيها لغوا  
 ولا كذابا (٣٥) جزاء من ربك عطا . حسابا (٣٦) رب السموات و الارض  
 وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا (٣٧) يوم يقوم الروح و الملائكة  
 صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن و قال ص ابا (٣٨) ذلك اليوم الحق  
 فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا (٣٩) انا انذرناكم عذابا قريبا يوم ينظر المرء  
 ما قدمت يده و يقول الكافر يا ليمنى كنت ترابا (٤٠) .

[ عمّ يتساءلون عن النبأ العظيم ] المعنى : أصله «عنما» ادغمت النون في الميم

لاشتراكهما في الغنة فصار «عمّا» ثم حذف الألف كما في «لم وبم وفيم وعلام» قصداً

للخفة و كثرة الاستعمال وكان أهل مكة يتساءلون عن البعث و يتحدثون بينهم و يخوضون فيه إنكاراً و استهزاءً عن النبأ الخبير العظيم الذي له شأن و خطر أولمّا أكثر تساؤل المشركين عن شأن التوحيد و البعث قال سبحانه : « عن النبأ العظيم ، وهو القرآن . وفي الكافي عن الصادق عليه السلام في هذه الآية قال : « النبأ العظيم الولاية » وعن الباقر عليه السلام سئل عن تفسير هذه الآية فقال : « هي في علي عليه السلام » كان أمير المؤمنين يقول : « ما لله آية هي أكبر مني و لا لله نبي أعظم مني » .

و القمي عن الرضا عليه السلام أنه سئل عنه فقال : قال أمير المؤمنين : « ما لله نبي أعظم مني ، و ما لله آية أكبر مني ، و لقد عرض فضلي على الأمم الماضية على اختلاف ألسنتها فلم يقرّ لفضلي » .

و في العيون عن الباقر عن أبيه عن آباءه عن الحسين بن علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه و آله لعلي عليه السلام : يا علي أنت حجة الله و أنت باب الله و أنت الطريق إلى الله و أنت النبأ العظيم و أنت الصراط المستقيم و أنت المثل الأعلى » الحديث . وفي الكافي في خطبة الوسيلة لأمر المؤمنين عليه السلام قال : « إني أنا النبأ العظيم و عن قليل ستعلمون ما توعدون » .

[ الذي هم فيه مختلفون ] فمصدق به و مكذب به و الجملة وصف للنبأ بعد وصفه بالعظيم و « فيه » متعلق بمختلفون ، قدّم عليه اهتماماً به و رعايةً للفواصل و جعل الصلة جملة اسمية للدلالة على الثبات أي هم راسخون في الاختلاف فمن جازم باستحالته بقوله <sup>(١)</sup> : « إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت و نحيا و ما يهلكنا إلا الدهر و ما نحن بمبعوثين » و من مقرّ يزعم أن آلهته يشفع له كما قالوا <sup>(٢)</sup> : « هؤلاء شفعاؤنا عند الله » و من شاكّ يقول <sup>(٣)</sup> : « ما ندري ما الساعة إن نظنّ إلا ظناً و ما نحن بمستيقنين » .

(١) سورة الحاثية : ٢٣ .

(٢) > التوبة : ١٨ .

(٣) > الجاثية ٣١

[ دلّا سيعلمون ] ردع كما استفاد من كلمة « كلاً » ووعيد كما استفاد من قوله : « سيعلمون » أي ليس أمر القيامة أو أمر التوحيد و النبوة أو الولاية مما ينكر أو يشكّ فيه بحيث يتساءل عنه سيعلمون ما اختلفوا فيه حقّ مقطوع لا شكّ فيه .

[ ثمّ كلاً سيعلمون ] تكرر للردع و الوعيد و « ثمّ » للدلالة على أن الوعيد الثاني أشدّ و أبلغ و قيل : ليس تكراراً فقال : بالأول سيعلمون حقيقة الأمر عند النزاع ثمّ في يوم القيامة و ورود جهنّم و ما تلاقونه من فنون الدواهي و العقوبات عمّا قليل .

ثمّ نبّههم على وجه الاستدلال على صحّة ذلك فقال : [ ألم نجعل الأرض مهاداً ] الهمزة للمتقرير و المهاد البساط و الفراش أي ألم نجعل الأرض بساطاً ممهوداً تنقلبون عليها كما ينقلب الرجل على بساطه و مهاداً مفعول ثان لجعل إن كان الجعل بمعنى التقصير و حال إذا كان بمعنى الخلق و قرىء مهدياً تشبيهاً بمهد الصبي .

[ و الجبال أو تاداً ] للأرض لئلاّ تميد بأهلها و المراد إرساؤها فيها لتسكن إذ كانت تضرب على الماء فهو من باب التشبيه البليغ ، و سادات الأولياء و خواصّ الأصفياء على الحقيقة هم الأوتاد بهم يمسك السماء أن تقع على الأرض وهم الأئمة المعصومون و إنهم جبال ثابتة ، و بهم ثبتت أرض الوجود و لولاهم لما خلقت .

[ و خلقناكم أزواجاً ] أي جعلنا خلقكم حال كونكم أصنافاً ذكراً و أنثى و الزوج يقال لكلّ واحد من القرينين المزدوجين حيواناً أو غيره كالخفّ و النعل و لا يقال : للاتنين زوج بل زوجان و لذا كان الصواب أن يقال : قرضته بالمقراضين و قصصته بالمقصين لأنهما اثنان لا بالمقراض و بالمقصّ كذا قال الحريري في درّة الغواص و قال الفيروز آبادي : يقال للاتنين هما زوجان و هما زوج ، و زوجة للمرأة لغة رديئة لقوله تعالى (١) : « يا آدم اسكن أنت و زوجك الجنة » و يقال لكلّ ما يقترن بآخر مماثلاً له أو مضاداً زوج و لذا فسّر بعض الآية : خلقناكم حال كونكم



معروضين لأوصاف متقابلة كل واحد منهما مزدوج بما يقابله كالفقر والغنى والصحة والمرض والعلم والجهل والقوة والضعف والذكورة والأنوثة والطول والقصر، فالفاضل يشتغل بالشكر والمفضول بالصبر، ويحصل منكم التناسل، ويتمتع بعضهم ببعض .

[ و جعلنا نومكم سباتاً ] و النوم استرخاء أعصاب الدماغ برطوبات البخار الصاعد إليه ولذا قلّ في أهل الرياضة لقلّة الرطوبة « سباتاً » أي كالموت ، والمسبوت الميّت ، وهو التقطع لأنّه مقطوع عن الحركة و منه سمّي يوم السبت لأنّ الله بدأ بخلق السماوات والأرض يوم الأحد فخلقها في ستّة أيّام فقطع عمله يوم السبت فسمّي بذلك والنوم إحدى التوفيتين كما قال سبحانه : <sup>(١)</sup> « الله يتوفّى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها » أي و يتوفّى التي لم تمت في منامها وذلك لما بينهما من المشاركة التامة في انقطاع أحكام الحياة، والتنوين في « سباتاً » للنوعيّة أي و جعلنا نومكم نوعاً من الموت وهو الموت الذي ينقطع ولا يدوم إذ لا ينقطع ضوء الروح إلا عن ظاهر البدن و بهذا الاعتبار قيل : له أخو الموت وقد جعله سبحانه راحة لأبدانكم عن الكلال والملال .

[ وجعلنا الليل لباساً ] أي غطاء وسترة يستر بظلمته وسواده يقال : لبس الثوب استتر به و استعير اللباس لكلّ ما يغطّي الإنسان عن قبيح فجعل الزوج لزوجها لباساً من حيث يمنعه عن تعاطي قبيح و كذا البعل و أيضاً جعل التقوى لباساً على طريق التشبيه و كذا جعل الخوف والجوع لباساً يقولون : فلان تدرّع الفقر ولبس الجوع، وحاصل المعنى أنّ الليل يستر كم بظلامه كما يستر كم اللباس. قيل : الليل ستر السالكين والنهار سوق البطّالين .

الليل للعاشقين ستر ☆ ياليت أوقاتنا تدوم

[ و جعلنا النهار معاشا ] أي حياة تبعثون فيه من نومكم و وقت معاشكم و  
مبتغي عيشكم .

[ وبنينا فوقكم سبعا شداداً ] أي سبع سماوات محكمة أتقننا صنعها وأوثقنا ببناءها  
لا يؤثر فيها مرّ الدهور وكررّ العصور . والتعبير عنها بالبناء مبنيّ على تنزيلها منزلة  
القباب المضروبة على الخلق .

[ و جعلنا ] أنشأنا [ سراجاً وهاجاً ] هو الشمس والتعبير عنها بالسراج من  
روادف التعبير عن خلق السماوات بالبناء وهاجاً ووقاداً متلاًئماً من وهجت النار  
إذا أضاءت أو بالغاً في الحرارة من الوهج وهو الحرّ أي جامعاً بين النور والحرارة .  
قيل : إن الشمس و القمر خلقا في بدء أمرهما من نور العرش و يرجعان في  
القيامة إلى نور العرش روى عكرمة عن ابن عباس أنه قال : ألا أحدّثكم بما  
سمعت من رسول الله ﷺ يقول في الشمس والقمر وبدء خلقهما؟ قال قلنا : بلى يرحمك  
الله فقال : إن رسول الله ﷺ سئل عن ذلك فقال ﷺ : « إن الله تعالى لما أبرز خلقه  
احكاماً و لم يبق غير آدم (أى و ما كان خلقه بعد) خلق شمسين من نور عرشه فأما ما  
كان في سابق علمه أن يدعها شمساً فإنه خلقها مثل الدنيا ما بين مشارقها و مغاربها،  
وما كان في سابق علمه أن يطمسها ويحوّلها قمراً فإنه جعله دون الشمس في العظم  
و إنما يرى صغرهما لشدة ارتفاعهما في السماء وبعدهما من الأرض فلو ترك الشمس  
والقمر كما كان خلقهما في بدء أمرهما لم يعرف الليل من النهار ولا النهار من الليل ولا  
يدري الأجير متى يعمل ومتى يأخذ أجره ومتى يفطر الصائم ولا تدري المرأة متى تعدّ و  
لا يدري المسلمون متى وقت صلاتهم ومتى وقت حجّهم ، فكان الربّ أنظر بعباده و  
أرحم بهم فأرسل جبرئيل فأمرّ جناحه على وجه القمر فطمس منه الضوء و بقي فيه  
من النور فذلك قوله :<sup>(١)</sup> « و جعلنا الليل و النهار آيتين فمحونا آية الليل و جعلنا  
آية النهار مبصرة » فالسواد الذي ترونه في القمر شبه الخطوط فيه أثر المحو قال :  
فاذا قامت القيامة وقضى الله بين الناس وميّز بين أهل الجنة و النار و لم يدخلوهما

بعد يدعو الربّ بالشمس والقمر و يجاء بهما أسودين مكورين قد وقفا في زلازل و بلابل ترعد فرائصهما من هول ذلك اليوم و مخافة الرحمن فإذا كنا حيال العرش خراً لله ساجدين فيقولان : إلهنا قد علمت طاعتنا لك و دأبنا في عبادتك و سرعتنا للمضيّ بأمرك أيام الدنيا فلا تعدّ بنا بعبادة المشرّكين إيماناً ، فقد علمت أننا ندعهم إلى عبادتنا ولم نذهل عن عبادتك فيقول الربّ : صدقتما إنني قد قضيت على نفسي أن أبدء و أعيد و إنني معيد كما إلى ما أبدء، تكما منه فارجعا إلى ما خلقتكما منه فيقولان : ربّنا ممّ خلقتنا ؟ فيقول : خلقتكما من نور عرشي فارجعا إليه فتلمع من كل واحد منهما بركة يكاد يخطف الأبصار نوراً فيختلطان بنور العرش فذلك قوله (١)

« يبدء و يعيد » .

فإن قيل : إن نور الشمس و القمر يتّصل بنور النبيّ و إن نورهما مخلوقان من نوره فكيف يتّصل نورهما بنور العرش ؟

فالجواب أن العرش و الكرسيّ خلقا من نوره ﷺ ولو كان خلق القمرين من نور العرش فهما أيضاً مخلوقان من نور النبيّ في الحقيقة و متّصل نورهما بنوره ﷺ فالكلّ نوره .

[ وأنزلنا ] النون للعظمة [ من المعصرات ] هي السحاب إذا عصرت و شارفت أن تعصرها الرياح فتمطر ولم تعصرها بعد ، والإ نزال من المستعدّ لا من المنزل و الواقع و إلا يلزم تحصيل الحاصل وهمزة فعل «عصر» للحنونية يقال : أحصد الزرع إذا حان له أن يُحصد و أعصرت الجارية أي حان لها أن تعصر الطبيعة رحمها فتحيض أو دخلت في عصر شبابها و لو لم تكن همزة عصر للحنونية لكان ينبغي أن يقرء « و المعصرات » بفتح الصاد على المفعول لأنّ الرياح تعصرها و يجوز أن تكون المعصرات الرياح التي حان لها أن تعصر السحاب فتمطر [ ماءً ثجاجاً ] أي منصباً بكثرة دفاعاً من الصباية ، مداراً متتابعاً يتلو بعضه بعضاً يقال : ثجّ الماء أي سال بكثرة : قال ﷺ : « أفضل الحجّ العجّ و الشجّ » أي رفع الصوت بالتلبية و صبّ دماء الهدي .



عامّ والفاء فصيحة تفصح عن جملة قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها أي فتبعثون من قبوركم فتأتون إلى الموقف أفواجاً و الفوج الجماعة المارة المسرعة .  
و سأل معاذ عن رسول الله ﷺ من ذلك اليوم فقال ﷺ : «يا معاذ سألت عن أمر عظيم» ثم أرسل ﷺ عينيه وقال : «تحتشر عشرة أصناف من أمتي بعضهم على صورة القردة و بعضهم على صورة الخنازير و بعضهم منكوسون أرجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها و بعضهم عممي<sup>١</sup> و بعضهم بكم<sup>٢</sup> و بعضهم يمضغون أسننتهم وهي مُدلات<sup>(١)</sup> على صدورهم يسيل القيح من أفواههم يتقدّمهم أهل الجمع و بعضهم مقطّعة أيديهم و أرجلهم و بعضهم مصلبون على جذوع من نار و بعضهم أشدّ نتناً من الجيف و بعضهم ملبسون جباباً سابعة من القطران لازقه بجلودهم فأما الذين على صورة القردة فالقنات أي النمام من الناس<sup>(٢)</sup> وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت أي الحرام لأنّه يسحت الدين والمرورة ويستأصلهما وأما المنكوسون على وجوههم فأكلة الربا (والثنكيس تعكيس هيئة القيام على الرجل بأن تجعل الرجل أعلى و الرأس أسفل) وأما العمي فالذين يجورون في الحكم ، و أما البكم فالمعجبون بأعمالهم ، وأما الذين يمضغون أسننتهم فالعلماء و القصّاص الذين خالف قولهم أعمالهم ، وأما الذين قطّعت أيديهم و أرجلهم فهم الذين يؤذون حيرانهم ، وأما المصلّبون على جذوع النار فالسعاة بين الناس إلى السلاطين ، وأما الذين هم أشدّ نتناً من الجيف فالذين يتبعون الشهوات واللذات ويمنعون حقّ الله في أموالهم ، وأما الذين يلبسون الجباب فأهل الكبر و الخيلاء انتهى .

[ وفتحت السماء ] عطف على ينفخ أي تفتح وتشقّ السماء من هيبة الله بعد أن

(١) ادلاء ارخاه واسترسله .

(٢) حكى أن رجلاً باع عبداً وقال للمشتري : ما فيه عيب إلا النميمة فقال : رضيت فاشترته فمكث الغلام أياماً ثم قال لزوجته المولى : إن زوجك لا يحبك و هو يريد أن يتسرى عليك فخذى موسى و احلقى حين ينام من قفاه شعرات حتى اسحر عليه فيحبك ثم قال للزوج : إن امرأتك أخذت خليلاً وتريد أن تقتلك فتناوم لها حتى تعرف فتناوم الرجل فجاءت المرأة بالموسى فظن أنها تقتله فقام فقتلها فجاء أهل المرأة فقتلوا الزوج فوقع القتال بين القبيلتين وطال الفساد بينهما .

كانت لافطور فيها وصيغة الماضي للدلالة على التحقق [ فكانت أبواباً ] ذات أبواب كثيرة لنزول الملائكة نزولاً غير معتاد وقيل : المراد من الفتح الكشف بإزالتها عن مكانها كما قال تعالى : <sup>(١)</sup> « و إذا السماء كَشِطَتْ » أي تكشط فيصير مكانها طرقاتاً لا يسدها شيء .

[ وسيُرت الجبال ] والمسيّر هو الله بعد قلعها عن مقرّها وتنبّس <sup>(٢)</sup> ثم يفرّقها في الهواء وذلك قوله [ فكانت سراياً ] السراب ما تراه نصف النهار وهو اللامع في المفازة كالماء وذلك لانسرابه وجريانه في مرءى العين أي فصارت بتسيّرّها مثل السراب أي شيئاً كلا شيء لانبات جواهرها .

فلملجبال حالات فأوّل حالاته الاندكاك كما قال : <sup>(٣)</sup> « وحُمِلت الأرض والجبال فدكتا دكتة واحدة » و حالتها الثانية أن تصير كالعين المنفوش <sup>(٤)</sup> والثالثة أن تصير كالبهاء وذلك بأن تتبدّد كما قال : <sup>(٥)</sup> « فكانت هباءً منبثاً » والرابعة أن ينسف لأنّها مع الأحوال المتقدّمة كانت قارة مبنوثة على الأرض فنسفت بالرياح وهو المراد من قوله : <sup>(٦)</sup> « ينسفها نسفاً » وحالته الخامسة أن تصير سراياً .

[ إنّ جهنّم كانت مرصداً ] أي إنّها في حكم الله موضع رصد يرصد فيه و خزنة جهنّم يرصدون الكفّار ليعذبّوهم فيها فالمرصاد اسم للمكان الذي يرصد فيه ويستعمل للمحلّ الذي اختصّ بالترغيب والجواز عليه .

[ للطاغين مآباً ] أي كائناً للذين جاوزوا حدود الله مرجعاً يرجعون إليه .

[ لا يثين فيها أحقاباً ] حالكونهم مستقرّين في جهنّم أزماناً كثيرة لا نهاية لها

(١) سورة التكوير : ١١ .

(٢) أي تحركت بسرعة .

(٣) سورة الحاقة : ١٤ .

(٤) « القارعة : ٥ .

(٥) « الواقعة : ٦ .

(٦) « طه : ١٠٥ .

و دهوراً متتابعة كلما مضى حقب تبعه حقب آخر إلى غير نهاية وأصل الحقب من الترادف و التابع يقال : أحقب إذا أردف و قيل : إن الأحقاب ثلاثة و أربعون حقباً كل حقب سبعون خريفاً كل خريف سبعمئة سنة كل سنة ثلاثمئة و ستون يوماً و اليوم ألف سنة من أيام الدنيا كما روي عن ابن عباس . و قال بعض الحقب الواحد سبعون ألف ، اليوم منها ألف سنة من أيام الدنيا كما قال به الحسن البصرى . قال الفيروز آبادي : الحقب بالكسر من الدهر مدة لا وقت لها .

و بالجملة فان قيل : إن في معنى الأحقاب ما يدل على التناهي و خروجه منها ؟ فدلالته من قبيل المفهوم فلا يعارض المنطوق الدال على خلود الكفار كقوله تعالى : (١) « يريدون أن يخرجوا من النار فمأههم بخارجين منها و لهم عذاب مقيم » و أمثالها كثيرة الدالة على الخلود الأبدى . و قيل : هذا التوقيت لأنواع العذاب لا ملكتهم في النار . و قيل : إنه يعني به لأهل التوحيد عن خالد بن معدان و روى نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله : لا يخرج من النار من دخلها حتى يمكث فيها أحقاباً و الحقب بضع و ستون سنة و السنة ثلاثمئة و ستون يوماً كل يوم كألف سنة مما تعدون فلا يتكلمن أحد أن يخرج من النار .

[ لا يذوقون فيها برداً و لا شرباً إلا حميماً و غساقاً ] و الذوق و إن كان في العرف للمقليل لكنّه صالح للكثير لوجود الذوق في الكثير أيضاً و المراد بالبرد ما يروّحهم و ينقّس عنهم حرّ النار و إلا فهم يذوقون في جهنّم برد الزمهرير . و كني بالبرد عن الروح و بما يجد الإنسان من اللذة في الحرّ من البرد و المراد من البرد النوم قاله أبو عبيدة : و استشهد « فيصدني عنها و عن قبالاتها البرد » أي النوم « و لا شرباً » أي ماء إلا الحميم وهو الماء الحارّ المغيور « و غساقاً » وهو صديد جهنّم و ما يسيل من جلود أهل النار و يوحهم و الاستثناء منقطع أي لكن يذوقون الحميم و الغساق و إن فسّر الغساق بالزمهرير فاستثناه من البرد و التأخير ليوافق رؤوس الآي . و عن ابن مسعود : الغساق لون من ألوان العذاب وهو البرد الشديد حتى أن أهل

النار إذا ألقوا فيه سألوا الله أن يعدّ بهم في النار ألف سنة لمّا رأوه أهون عليهم من عذاب الزمهرير يوماً واحداً .

وقال شهر بن حوشب : الغساق واد في النار فيه ثلاثمائة وثلاثون شعباً في كلّ شعب ثلاثمائة وثلاثون بيتاً ، وفي كلّ بيت أربع زوايا في كلّ زاوية شجاع كأعظم ما خلق الله من الخلق في رأس كلّ شجاع سمّ ، قال ابن مسعود : لو علم أهل النار أنّهم يلبثون في النار عدد حصى الدنيا لفرحوا ولو علم أهل الجنة أنّهم يلبثون في الجنة عدد حصى الدنيا لحزنوا .

**أقول :** وأمّا ما قاله بعض حكماء الإسلام من أنّ الكفّار بعد مضيّ الأحقاب ينقطع عنهم العذاب فألقوا العذاب و تعوّدوا به ولم يتألّموا منه ويؤول أمرهم إلى أن يتلذّذوا بالنار حتّى لو هبّ عليهم نسيم الجنة استكرهوه وتعذّبوا به كالجعل يتألّم من الورد و يحصل لهم حالة جسم السمندري أو أنّ النار يحرق الكفّار في عوض شرك يوم من أيّام الدنيا ألف سنة من سني الآخرة ثمّ بعد مرور الأحقاب ينقطع العذاب عنهم .

فذلك بمعزل عن القبول ومن قال به كذب بالقرآن بل كذب بجميع كتب السماويّة والأنبيا مثل عبدالكريم الجيلانيّ في كتابه المسمّى «إنسان الكامل» وابن العربيّ والبسطاميّ وأمثالهم ممّن أظهروا الباطل في صورة الحقّ وقالوا : إنّ الآيات التي يدلّ على خلودهم في النار بحيث يتألّمون بالتعذيب إنّما يدلّ على الزمان الطويل لا على التألّم و إنّما يعدّون مدّة طويلة ثمّ هم خالدون إلّا أنّهم غير معدّين و تكلفوا في ظاهر القرآن والنصوص بالتأويلات القبيحة المستحسنة الظاهرة مثل أنّه سبحانه تمدّح بالعتو و المغفرة ولم يتمدّح بالتعذيب وقالوا : صورة العذاب دائمة ولكنّهم بعد أحقاب من العذاب يتنعّمون من العذاب كما قال ابن العربيّ « يميمت فتجري فيهم تلك السموم الشديدة حتّى يتخذّروا بذلك فيحصل لهم أعظم اللذّة و النعيم » ولو كان الأمر كما زعموا فلم يتمنّون الموت



بقولهم<sup>(١)</sup> : « يامالك ليقض علينا ربك » فيجابون « إنكم ما كثون » .  
وبالجملمة فالحجبة في الآيات الإحالة على العرف في فهم الآيات و النصوص  
و أنهم لا يخاطبون بما لا يعرفون فأنهم لا يعرفون في قوله :<sup>(٢)</sup> « خالد بن فيها  
أبدأ ولهم عذاب مقيم لا تفتن عنهم وهم فيه مبلسون » إلا عدم انقطاع العذاب و  
معلوم بالضرورة أنه ما ورد من الأنبياء و لا من الأئمة مثل هذه التأويلات في مثل  
هذه الآيات أبداً فلا بد أن يضرب بالحائط هذه التأويلات الفاسدة انتهى .

[ جزاءً وفاقاً ] أي جوزوا بذلك جزاءً وفاقاً لأعمالهم و عقائدهم و وافقها  
وفاقاً لأنهم أتوا بمعصية عظيمة فعوقبوا عقاباً عظيماً « و جزاء سيئة سيئة مثلها »  
لأن الكفار كان من نيئاتهم الاستمرار على الكفر و لو عمروا عمر الدنيا بل عمر  
الآخرة .

ثم علل استحقاقهم بقوله : [ إنهم كانوا لا يرجون حساباً ] ينكرون الآخرة  
ولا يخافون أن يحاسبوا بأعمالهم ويقدمون في كل ما اشتبهت نفوسهم ، ويستعمل الرجاء  
في الخوف قال الهذلي : « إذا السعته النحل لم يرج لسعها » [ و كذبوا بآياتنا كذاباً ]  
وقد أنكروا آياتنا و رسلنا كذاباً أي تكذيباً مفرطاً .

[ و كل شيء أحصيناه كتاباً ] أي و كل شيء من أعمالهم حفظناه حالكونه  
مكتوباً عليهم والإحصاء والكتابة في الضبط معنى متقارب ويجوز أن يكون من باب  
الاحتباك<sup>(٣)</sup> ، حذف الفعل الثاني بقرينة الأول ومصدر الأول بقرينة الثاني والتقدير  
أي أحصيناه إحصاء و كتبناه كتاباً .

[ فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً ] و الغاء في فذوقوا جزائية دالة على أن  
الأمر بالذوق مسبب عن كفرهم بالحساب و تكذيبهم بالآيات وأن كل عذاب  
يأتي بعد الوقت الأول فهو زائد عليه و يزود العذاب و يتجدد غير الأول إلى  
ما لا نهاية .

(١) سورة الزخرف : ٧٧ .

(٢) &gt; &gt; : ٧٥ .

(٣) الاحتباك احتزام الثوب بالازار .

قوله [إن للمتقين مفازاً] شروع في بيان محاسن أحوال المؤمنين أي إن للذين يتقون الكفر والكبائر فوزاً وظفراً بمباغيمهم أو موضع فوز، فالمفاز على الأول مصدرٌ ميميٌّ وعلى الثاني اسم مكان .

[ حدائق وأعناباً ] بدلٌ من « مفاز » بدلُ الاشتمال إذا كان مصدرًا ميميًّا لأنَّ الفوز يدلُّ عليه دلالة التزامية، و بدل البعض إذا كان اسم مكان والحديقة الروضة ذات الأشجار والماء تكون محوطة سميت تشبيهاً بحدقة العين في الهيئة من التحوط وحصول الماء فيها .

[ وكوا عب ] جمع كعبة كعبت المرأة ظهر ثديها وبدت للارتفاع ونهدت [أتراباً] مستويات في السن، لدات في الميلاد، تشبيهاً في التساوي بالترائب التي هي ضلوع الصدر قيل : إنهنَّ في سنِّ ستِّ عشر لكونها نصف سنِّ الرجال لأنَّ سنَّ أهل الجنة في ثلاث وثلاثين، ويدلُّ على هذا المعنى وصفهنَّ بالكعوب وهذه الكيفية في الثدي يحصل في هذا السنِّ من البنات .

[ وكأساً دهاقاً ] أي مملوءة بالخمر «دهاقاً» أي مدهقة مبالغة في امتلائها يقال: أدهق الحوضَ ودهقه ملاء .

[ لا يسمعون ] أي المتقون [ فيها ] في الحدائق [ لغواً و لا كذاباً ] لا ينطقون بلغوا وهو من الكلام ما يطرح لعدم الفائدة فيه ولا يكذب بعضهم بعضاً بخلاف مجالس الدنيا من الشرب ولا يكذب بعضهم كلام الآخر بخلاف المصاحبين في الدنيا .

[ جزاءً من ربك ] أي فعل بالمتقين ما فعل جزاء من الله على تصديقهم بالله و برسوله و عملوا بكتابه [ عطاء ] أي أعطاهم الله إعطاءً [ حساباً ] أي كافيًا على قدر ما يشتهون أو على مقابلة صحّة حسابهم مع الله في الدنيا بما وعد سبحانه لهم من عشرة وسبعمائة والمضاعفة وهو داخل في الحسب والتقدير ، والحسب بمعنى التقدير والقدر، فيكون المعنى عطاءً بحساب . والعطاء يستعمل في موضع الفضل لا في موضع الاستحقاق والفضل موهبة من الله يختصُّ بها من يشاء .

[ ربّ السماوات و الأرض و ما بينهما ] بدلٌ من ربّك أي ربّ كلّ شيء، و خالقه [ الرحمن ] مفيض الجود و الرحمة بقدر استعداد المرحوم، وهو بالجرّ صفة للربّ أو المعنى ربّهم المعطي إيّاهم ذلك العطاء الجزيل هو الرحمن [ لا يملكون منه خطاباً ] استيناف مقرّر لبيان غاية العظمة و استقلاله من الجزاء و العطاء من غير أن يكون لأحد قدرة عليه و بيان نفي قدرتهم على أن يخاطبوه بشيء من نقص العذاب و زيادة في الثواب من غير إذنه مثل قوله <sup>(١)</sup>: « لا تكلم نفس إلاّ بإذنه » ومثل قوله: <sup>(٢)</sup> « لا يشفعون إلاّ لمن ارتضى » .

[ يوم يقوم الروح و الملائكة صفّاً لا يتكلمون إلاّ من أذن له الرحمن ] الظاهر أنّ الروح من جنس الملائكة لكنّه أعظم منهم خلقاً و رتبةً و شرفاً لتسميته بالروح و الروح أعظم من قواه التابعة له في الإنسان فكذلك في الملائكة وفسر بعض الروح بجبرئيل إذ هو مشهور بروح الأمين وروح القدس، لكن هذا القول ضعيف لأنّ هذه النسبة إلى جبرئيل لأنّه حامل الوحي الذي هو كالروح في الأحياء و قد اتفقوا على أنّ إسرافيل أعظم من جبرئيل قيل: إنّ الروح خلقٌ من خلق الله على صورة بني آدم و ليسوا بناس و ليسوا بملائكة يقومون صفّاً و الملائكة صفّاً هؤلاء جنود هؤلاء جنود و قيل: إنّ الروح ملك من الملائكة ما خلق الله مخلوقاً أعظم منه فاذا كان يوم القيامة قام هو وحده صفّاً و قامت الملائكة كلّهم صفّاً فيكون عظم خلقه مثل صفّ الملائكة جميعاً عن ابن مسعود و ابن عباس و قيل: المراد أنّ أرواح الناس يقوم مع الملائكة فيما بين النفختين قبل أن تردّ الأرواح إلى الأجساد [ وقالوا صواباً ] فاذا أذن لهم قالوا لا إله إلاّ الله وهذا قول الصواب أو من قال في الدنيا قول الحقّ وكان يقول: لا إله إلاّ الله، وهم أهل التوحيد .

[ ذلك ] إشارة إلى يوم قيامهم [ اليوم الحقّ ] الثابت المتحقّق لا محالة لأنّه متحقّق علماً و وقوعاً و روى معاوية بن عمّار عن الصادق عليه السلام قال: سئل عن هذه

(١) سورة يونس : ١٠٦ .

(٢) الجن : ٢٧ .

الآية فقال : نحن والله المأذون لهم يوم القيامة والقائلون، قال : جعلت فداك ماتقواون؟ قال : نعم جد ربنا ونصلي على نبينا ونشفع لشيعتنا فلا يردنا ربنا [ فمن شاء اتخذ إلى ربه مآباً ] أي فعلى هذا البيان من عمل عملاً صالحاً يؤوب به إلى ربه فقد أزيحت العلل و أوضحت السبل .

[ إننا أنذرناكم ] بما ذكر في السورة من الآيات الناطقة بالبعث و بما بعده والقوارع الواردة في القرآن [ عذاباً قريباً ] وهو عذاب يوم القيامة و قربه لتحقق إثباته حتماً<sup>(١)</sup> « كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها » .

[ يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ] تثنية أصلها يدان سقطت النون بالاضافة أي عذاباً كأننا يوم ينظر المرء و يشاهد ما قدمه من خير أو شر لأن كل أحد يرى عمله مثبتاً في صحيفة فيرجو المؤمن ثواب الله على صالح عمله ويخاف العقاب على سيئته. وأما الكافر [ويقول الكافر يا ليتني] والمنادى محذوف أي يا قوم ، أو يكون لمحض التحسر من غير قصد إلى خطاب [ كنت تراباً ] في الدنيا ولم أخلق ولم أبعث قيل : يحشر الله الحيوان فيقتص للجماة من القرناء نطحتها<sup>(٢)</sup> لقصاص المقابلة لا قصاص التكليف ثم يردّه تراباً فيتمنى الكافر حاله . وقيل : الكافر في الآية إبليس يرى آدم وولده و ثوابهم فيتمنى أن يكون الشيء الذي احتقره حين قال<sup>(٣)</sup> : « خلقتني من نار و خلقتهم من طين » و يقول : « ليتني كنت تراباً » و قيل : هو تراب سجدة المؤمن تنظفي به عنه النار و تراب قدمه عند قيامه في الصلاة فيتمنى الكافر أن يكون تراب قدمه .

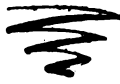
روى أبي بن كعب قال رسول الله ﷺ : « تعلموا سورة النبأ و سورة ق و سورة والنجم و سورة والسماء ذات البروج و سورة والسماء و الطارق فانكم لو تعلمون ما

(١) سورة النازعات : ٤٦ .

(٢) الجماة : الكباش لاقرن له خلاف القرناء .

(٣) سورة الاعراف : ١١ .

فِيهِنَّ لَعْنَتُمْ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ، وَتَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ بِهِنَّ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ بِهِنَّ كُلَّ ذَنْبٍ إِلَّا  
الشرك به « قال ﷺ : لما قيل له ﷺ : لقد أسرع الشيب إليك يا رسول الله؟  
قال: «شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم وإذا الشمس كورت»  
واستحضر معاني هذه السور يشيب الإنسان من الهم ويذيب  
من الخوف والغم لأن الشحم والهم لا ينعقد  
تمت السورة بعون الله



## سورة النازعات

﴿مكية﴾

قال النبي ﷺ : و من قرأ هذه السورة لم يكن حسبه وحسابه يوم القيامة  
إلا كقدر صلاة مكتوبة حتى يدخل الجنة .  
و قال أبو عبد الله ﷺ : و من قرأها لم يمت إلا وهو ريان ، و لم يدخل  
الجنة إلا ريان .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

و النازعات غرقاً (١) و الناشطات نشطاً (٢) و السابحات سباحاً (٣)  
فالسابحات سبياً (٤) فالمدبرات أمراً (٥) يوم ترجف الراجفة (٦) تتبعها  
الرادفة (٧) قلوب يومئذواجفة (٨) ابصارها خاشعة (٩) يقولون اننا لمردون  
في الحافرة (١٠) اذا كنا عظاما نخرة (١١) قالوا تلك اذا كره خاسرة (١٢)  
فانما هي زجرة واحدة (١٣) فاذا هم بالساهرة (١٤).

**المعنى :** النزاع جذب الشيء من مقره بشدة والغرق مصدر بمعنى الإغراق  
بعطف الزوائد وهو مفعول للنازعات يعني مفعول مطلق له لأنه نوع من النزاع .  
والإغراق في النزاع التوغل فيه إلى أقصى درجاته يقال : أغرق النازع في القوس إذا  
بلغ غاية المدّ حتى انتهى إلى المنصل، أقسم الله بطوائف الملائكة التي تنزع الأرواح  
من الكفار من أجسادهم إغراغاً في النزاع كما ينزع السهم الكثير الشعب من الصوف  
المبلول و كما يسلمح جلد الحيوان وهو حيّ و كما يضرب الإنسان ألف ضربة بالسيف  
بل أشدّ، والمراد من التأنيث باعتبار الطوائف من أعوان ملك الموت من الملائكة و  
إلا لكان أن يقال : والنازعين والناشطين . وهم يطعنون الكفار بحربة مسمومة بسمّ  
جهنّم والميت يظنّ أنّ بطنه قد ملئ، شوكاً و كأنّ نفسه يخرج من ثقب إبرة وكان  
السماء انطبقت على الأرض وهو بينهما فاذا نزع نفس الكافر وهي ترعد أشبه شيء،  
بالزيبق على قدر النحلة و على صورة عمله تأخذها الزبانية ويعذبونها في القبر وفي  
سجين وفي الآية بيان كيفية قبض أرواح الكفار بالشدة بشهادة مدلول اللفظ .

[ و الناشطات نشطاً ] قسم آخر بطريق العطف و النشط ضد معنى النزاع و  
جذب الشيء من مقره برفق و لين أقسم الله بالملائكة التي تنشط أرواح المؤمنين و  
تخرجها من أبدانهم بالرفق يقال : انشطت العقدة حللتها، ويقال : نشطتها عقدتها و

كما تنشط الشعرة من السمن والقطرة من السقاء ، ونفس المؤمن و إن كان يجذب من أطراف البنان و رؤوس الأصابع أيضاً لكن إحساسه بالألم ليس كما يحس الكافر و أيضاً حين يجذبونها يدعونها أحياناً حتّى تستريح بخلاق جذب أرواح الكفار و ربّما يتعرّض الشيطان للمؤمن الضعيف العمل واليقين إذا بلغ الروح التراقي فيأتيه في صورة أبيه و أمّه وأخيه ويأمره باليهودية أو النصرانية .

حكى أن إبليس تمثّل للنبي ﷺ يوماً ويده قارورة ماء فقال : أبيعك بإيمان الناس حالة التزع فبكى النبي ﷺ فأوحى الله إليه : إنني أحفظ عبادي في تلك الحالة من كيده . فاذا أخذوا روح المؤمن يلفونها في حرير الجنة وهي على قدر النخلة و على صورة عمله فيخرجون بها إلى الهواء ويبيعون له أسباب التعمم في قبره وفي عليين .

فقوله « والناشطات » إشارة إلى كيفية قبض أرواح المؤمنين بمدلول اللفظ من نشط العقال من يد البصير إذا حلّ ، أو المعنى تنشط أرواح المؤمنين للخروج لأنّه مامن مؤمن يحضره الموت إلا عرضت عليه الجنة قبل أن يموت فيرى موضعه فيها وأزواجه من الحور العين فنفسه تنشط أن تخرج عن ابن عباس . وقيل : المراد نشط أرواح الكفار بين الجلد والظفر حتّى تخرج من أجوافهم بالكرب والغم عن عليّ عليه السلام . وقيل : المراد أنّها النجوم تنشط و تذهب من أفق إلى أفق كما قيل هذا المعنى في النازعات بأنّ المراد من النازعات أيضاً هذا المعنى تطلع في أفق وتنزع و تغيب عن أفق .

فان قيل : إذا كان روح المؤمن في النزاع تنزع بالسهولة كما شرح وقد ثبت أنّ النبي ﷺ أخذ روحه الطيب ببعض شدة حتّى قال : «واكرباه» وقال : «لا إله إلا الله إنّ للموت سكرات اللهم أعذني على سكرات الموت» وكان يدخل يده الشريفة في قدح فيه ماء ثمّ يمسح وجهه المنوّر بالماء ، ولما رأته فاطمة عليها السلام يغشاها الكرب قالت واكرب أبتاه ! فقال : «ليس على أبيك كرب بعد اليوم» فاذا كان أمر النبي حين انتقاله هكذا فما الوجه فيما ذكر من الرفق ؟



فالجواب روي بأنه طلب من الله أن يحمل عليه بعض صعوبة الموت تخفيفاً عن أمته فإنه بالمؤمنين رؤوف رحيم وأيضاً يحتمل أن يبتليه الله بذلك ليدعو الله في أن يجعل الموت لأُمَّته سهلاً يسيراً وفيه تسليمة أمته إذا وقع لأحد منهم شيء من ذلك الكرب عند الموت و أيضاً راحة الكُمَّلين في الشدة لأنّها من باب الترقّي في الدرجات على أن مزاجه الشريف أعدل الأمزجة فأحسّ بالألم أكثر من غيره إذ الخفيف على الأخر ثقيل .

[ و السابحات سبحاً ] قسم آخر على العطف و السبح المرّ السربع في الماء أو في الهواء أقسم الله بطوائف الملائكة التي تسبح وتسرع في مضيّها من السماء إلى الأرض مسرعين مشبهين في سرعة نزولهم بمن يسبح في الماء كما يقال للفرس الجواد سابح، وقيل : إنّها النجوم تسبح في فللكها. وقيل : هي خيل الغزاة تسبح في عدوها . وقيل : هي السفن تسبح في الماء .

[ فالسابقات سبقاً ] قيل : إنّها الملائكة لأنّها سبقت ابن آدم بالخير والإيمان والعمل الصالح . وقيل : إنّها تسبق الشياطين بالوحي إلى الأنبياء وقيل : إنّها تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة عن عليّ عليه السلام وقيل : إنّها أنفس المؤمنين تسبق إلى الملائكة الذين يقبضونها وقد عاينت السرور شوقاً إلى رحمة الله . وقيل : النجوم تسبق بعضها بعضاً في السير وقيل : إنّها الخيل تسبق بعضها بعضاً في العدو .

[ فالمدبّرات أمراً ] قيل : إنّها الملائكة تدبّر أمر العباد من السنة إلى السنة عن عليّ عليه السلام وقيل : المراد جبرئيل و ميكائيل و إسرافيل و ملك الموت يدبّرون أمر الدنيا فأما جبرئيل فموكّل بالرياح وأما ميكائيل فموكّل بالقطر و النبات وأما ملك الموت فموكّل بقبض الأَنفس و أما إسرافيل فهو ينزل بالأمر عليهم . وقيل : إنّها الأفلاك يقع فيها أمر الله فيجري بها القضاء في الدنيا .

وبالجملة أقسم الله بهذه الأشياء أو برّب هذه الأشياء التي عدّها وهذا ترك الظاهر بغير دليل والله أن يقسم بما شاء من خلقه و ليس لخلقه أن يقسموا إلاّ به و جواب القسم محذوف والتقدير «لتبعثن» لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة .

[ يوم ترجف الراجفة ] منصوب و متعلق بالجواب المحذوف و هو لتبعثن و المراد الراجفة الواقعة التي ترجف عندها الأجرام الساكنة كالأرض و الجبال أي تنزلزل زلزلة عظيمة وهي النفخة الأولى وفيه إشعار بأن تغيير السفلي مقدّم على تغيير العلوي وإن لم يكن مقطوعاً .

[ تتبعها الرادفة ] أي الواقعة التي تردف الأولى و تجيء بعد الأولى أي لتبعثن يوم الرجفة حالكون النفخة الثانية تلو الأولى و البعث يكون عند النفخة الثانية و بين النفختين أربعون سنة و المراد بيان تهويل اليوم في كونه موقعاً لدهيتين عظيمتين لا يبقى عند وقوع الأولى حيّ إلا مات و في الثانية ميّت إلا بعث و قام .

[ قلوب يومئذ ] مبتدأ و تنكيره يقوم مقام الوصف المخصص و إن لم يذكر النوع المقابل أو يفيد التكثير كما في شرّ أهرّ ذا ناب أي قلوب كثيرة أو عاصية [ واجفة ] مضطربة من سوء أعمالهم و قلقه من الخوف [ أبصارها ] أي أبصار أصحابها [ خاشعة ] ذليلة و أسند الخشوع إليها مجازاً لأن أثره يظهر فيها .

[ يقولون ] أي هم كانوا يقولون [ أننا لمرددون ] هل نحن معاودون بعد موتنا [ في الحافرة ] والحاصل أن مشرّ كي قريش ومنكري البعث في الدنيا إذا قيل لهم إنكم مبعوثون من بعد الموت يقولون أنردّ إلى أوّل حالنا وابتداء أمرنا فنصير أحياء كما كنا؟ والحافرة عند العرب اسم لأوّل الشيء و ابتداءه و قيل : الحافرة بمعنى المحفورة أي أنردّ من قبورنا بعد موتنا أحياء ؟

[ أئذا كنا عظاماً نخرة ] أي أئذا صرنا عظاماً بالية نردّ و نبعث مع كونها أبعد شيء من الحياة فهو تأكيداً لنكارهم البعث وذلك أنهم ظنّوا أن من فساد البدن و تفرّق أجزائه يلزم فساد ما هو الإنسان حقيقة وليس كذلك ولو سلّم أن الإنسان هو هذا الهيكل المخصوص فلا نسلم امتناع إعادة المعدوم فإن الله قادر على كل ما أراد فيقدر على جمع الأجزاء العنصرية وإعادة الحياة إليها لأنّها متميّزة في علمه وإن كانت غير متميّزة في علم الخلق ومستهلكة كالماء مع اللبن فإنّهما وإن امتزجا

لكن أحدهما متميِّز عن الآخر في علم الله مثل أنه ما كان فكان كذلك فيكون فليس  
كون الثاني بأبعد من الأوَّل .

[ قالوا تلك إذا كرت خاسرة ] أي إن كان الأمر على ما يقوله محمد من أننا  
نبعث و نعاقب فذلك البعث و الرجوع بعد الموت لنا « كرت » ذات خسران أو  
خاسرة أصحابها و كان ذلك، القول منهم في الدنيا على سبيل الاستهزاء لأنهم كانوا  
استحالوا وقوعه .

فأجاب الله بقوله : [ فإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ] أي لا تحسبوا تلك الكرت  
صعبة بل هي هينة فإِنَّمَا هي صيحة حاصلة لا تكرر ريسمعونها و هم في بطون الأرض  
عبّر سبحانه الكرت بالزجرة مع أن الزجرة سبب لحصول الكرت تنبيهاً على كمال  
اتصالها بها كأنها عينها .

[ فإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ] أي فاجئوا الحصول بالساهرة و حضروا الموقف عقيب  
الزجرة . والساهرة الأرض البيضاء المستوية خالية عن الماء والكلاء قيل لها « ساهرة »  
لأن سالكها لا ينام فيها خوف الهلكة وقال ابن عباس : إن الساهرة أرض من فضة  
لم يعص الله عليها قط خلقها حينئذ . و قيل : المراد من الساهرة أرض الشام قرب  
بيت المقدس اسمها ساهرة ويكون الجمع هناك عندما يبدل الله الأرض غير الأرض  
وهي عرصة القيامة .

هل أتيتك حديث موسى (١٥) إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى (١٦)  
أذهب الى فرعون انه طغى (١٧) فقل هل لك الى أن تزكى (١٨) وأهديك  
الى ربك فتخشى (١٩) فاربه الاية الكبرى (٢٠) فكذب وعصى (٢١) ثم أدبر  
يسعى (٢٢) فحشر فنادى (٢٣) فقال أنا ربكم الاعلى (٢٤) فأخذه الله نكال  
الآخرة والاولى (٢٥) ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى (٢٦).

[ هل أتاك حديث موسى ] كلام مستأنف وارد لتسليم الرسول عن تكذيب قومه  
بأنه يصيبهم مثل ما أصاب من كان أقوى منهم كأنه سبحانه قال : « هل أتاك حديث  
موسى » قبل هذا أم أنا أخبرك بد؟ أو يكون « هل أتاك » أي أليس . قد أتاك حكاية

موسى مع فرعون فيقتضي أن لا تتحزّن على إصرار قومك في إنكارهم للبعث .  
 [ إذ ناداه ربّه ] ظرف للمحديث أي حين ناداه الله و دعاه مثل قوله : يا فلان و  
 وقع النداء في الوادي المبارك المطهر و كان الوادي في حدود الأرض المقدّسة المطهّرة  
 عن الشرك [ بالوادي المقدّس طوى ] اسم الوادي و قيل : طوى بالتقديس مرتين  
 لأنّه الموضع الذي كلّم الله موسى . قرىء «طوى» منوّناً وغير منوّن .

[ اذهب إلى فرعون ] قال الله لموسى : اذهب إلى فرعون [إنّه طغا ] تعليل  
 للأمر أي طغا على الخالق بكفره و طغاعلى الخلق بأن استعبدهم و جاوز الحدّ و ساء  
 المعاملة معهما [ فقل ] بعد ما أتيتّه : [ هل لك ] رغبة و توجه [ إلى أن تزكّى ] بحذف  
 إحدى التاءين أي تتطهّر من دنس الكفر و الطغيان . ولك خبر عن مبتدئ محذوف  
 أي هل رغبة لك حاصلة في أن تصلح [ وأهديك إلى ربك ] وأدّ لك إلى معرفة خالقك  
 وأرشدك إلى طريق الحقّ [ فتخشى ] وتخافه فيما نهاك عنه .

[ فأراه الآية الكبرى ] وفي الكلام تقدير وحذف أي أتاه و دعاه فأراه الآية  
 وهي العصا أو اليد [ فكذب ] بأنّها من الله و جحد نبوّته فسمّى معجزته الكبيرة و  
 هي قلب العصى حيّة سحراً [ وعصى ] الله بالتمرّد حيث اجترأ على إنكار ربّ العالمين  
 وعصى موسى فيما أمره به .

[ ثمّ أدبر ] اللعين عن الطاعة و كلمة « ثمّ » تفيد التراخي الزماني إذ السعي  
 في إبطال أمر موسى يقتضي مهلة فانصرف اللعين عن المجلس و ولى دبره [ يسعى ]  
 و يجتهد في معارضة الآية عناداً لا اعتقاداً بأنّها يمكن معارضتها تعلّلاً بالباطل [ فحشر  
 فنادى ] فجمع السحرة و جمع ما يكاد به من آلات السحر و نادى بنفسه في المقام الذي  
 اجتمع الناس فيه [ فقال أنا ربكم الأعلى ] لا ربّ فوقى ولا أعلى منّي يلي أمركم .  
 قال أهل التحقيق : ما أشقى الإنسان حيث ادّعى الربوبية وقال : « أنا ربكم  
 الأعلى » و إبليس تبرّأ من هذا الكلام وقال (١) : « إنّي أخاف الله » .

[ فأخذه الله نكال الآخرة والأولى ] النكال بمعنى التعذيب كالسلام بمعنى

التسليم و مصدر مؤكّد و المعنى نكّل الله نكال الآخرة و الأولى و هو الإحراق في الآخرة و الإغراق في الدنيا و لمّا لم يكن صادقاً في دعواه افتضح في الدنيا و الآخرة . [ إنّ في ذلك لعبرة ] و فيما ذكر من قصّة فرعون لاعتباراً و عظة [ لمن يخشى ] من ربّه و خالقه فلا يتمرّد على الله و لا على أنبيائه و العاقل من اتّعظ بغيره .

ءأنتم أشدّ خلقاً أم السماء بناها (٢٧) رفع سمكها فسويها (٢٨) و اغطش ليلها و أخرج ضحيتها (٢٩) و الأرض بعد ذلك دحيتها (٣٠) أخرج منها ماءها و مرعيها (٣١) و الجبال أرسبها (٣٢) متاعاً لكم و لا نعامكم (٣٣) فإذا جاءت الطامة الكبرى (٣٤) يوم يتذكر الإنسان ما سعى (٣٥) و برزت الجحيم لمن يرى (٣٦) فاما من طفئ (٣٧) و آثر الحياة الدنيا (٣٨) فان الجحيم هي الماوى (٣٩) و امان خاف مقام ربه و نهى النفس عن الهوى (٤٠) فان الجنة هي الماوى (٤١) يسئلونك عن الساعة ايان مرسبها (٤٢) فيم انت من ذكرها (٤٣) الى ربك منتبها (٤٤) انما انت منذر من يخسبها (٤٥) كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحيتها (٤٦) .

[ ءأنتم أشدّ خلقاً ] خطاب للمنكرين للبعث بناءً على صعوبة الأمر بزعمهم بطريق التوبيخ و المراد من الشدّة الصعوبة لا الصلابة [ أم السماء ] أم خلق السماء بلا مادّة على عظمها و انطوائها على البدائع التي تحار العقول في ملاحظة أدناها و القادر على الأصعب الأيسر كيف لا يقدر على حشر كم و هو الأسهل [ بناها ] استيناف و تفصيل لكيفيّة خلقها و تمّ الكلام عند قوله : « أم السماء » و ابتداء بقوله : « بناها » و استعمل البناء في موضع السقف و البناء و إن كان تستعمل في أسافل البناء لكنّه استعمل في السقف و هو من أعالي البناء لكونه بعيداً عن الاختلال و الانحلال كالبناء .

[ رفع سمكها فسوّها ] أي جعل مقدار ارتفاعها من الأرض و ذهابها إلى سمت العلو رفيعاً مسيرة خمسمائة عام و السمك الارتفاع و هو مقابل العمق و منه قول أمير المؤمنين عليه السلام : « يا داعم <sup>(١)</sup> الممسوكات » و التسوية جعل أحد الشبثين على مقدار الآخر فسوّها بالافتاوت و فطور أو أحكمها .

(١) دعم الشيء - من باب منع - اسنده لثلايميل .

[ وأغطش ليلها ] أي أظلم ليلها [ و أخرج ضحاها ] أي أبرز نهارها ، وأضاف الليل والنهار إلى السماء لأنّ منها منشأ الظلام والضياء .  
 [ والأرض بعد ذلك دحاها ] المعنى انّ الأرض بعد خلق السماء بسطها وإن كانت الأرض خلقت قبل السماء و كانت ربوة مجتمعة فبسطها و قيل : معنى « بعد » مع ، أي مع ذلك دحاها مثل قوله : <sup>(١)</sup> « عتلّ بعد ذلك زنيماً » أي مع ذلك وقيل : بعد في الآية بمعنى قبل مثل قوله <sup>(٢)</sup> : « بعد الذكري » أي قبل القرآن ولو أن البعد على معناه الأصلي من التأخّر لكان الكلام صحيحاً فإنّ الدحو وقع بعد خلق الأرض والسموات .

[ أخرج منها ماءها ] بأن فجّر منها العيون [ و مرعاها ] أي رعيها بالكسر بمعنى الكلاء وهو في الأصل موضع الرعي بالفتح ونسب الماء والمرعى إلى الأرض من حيث إنّهما مظهران منها .  
 [ والجبال أرساها ] منصوب بفعل مضمّر يفسّره « أرساها » أي أثبتها وأثبت بها الأرض أن تميد بها .

[ متاعاً لكم ولأنعامكم ] مفعول له بمعنى تمتيعاً و الأنعام جمع نعم بفتحيتين و هي المال الراعية بمعنى المواشي أي فعل ذلك تمتيعاً ومنفعةً لكم وطواشيكم بقوله : « أخرج منها ماءها و مرعاها » من جوامع الكلم حيث ذكر شيئين دالّين على جميع ما أخرج من الأرض قوتاً ومتاعاً من الحبّ والشجر والعنب و الملح و النار وغيرها لأنّ كلّها من الماء والأرض .

[ فاذا جاءت الطامة الكبرى ] كلّ شيء كثر حتّى علا و غلب فقد طمّ و الكبرى تأنيث الأكبر بمعنى عظم لامن الكبير بمعنى أسنّ والمراد بيان حال معادهم بعد ذكر حال معاشهم و الفاء للدلالة على ترتّب ما بعدها على ما قبلها عمّا قليل و المعنى فاذا جاء وقت طلوع وقوع الداهية العظمى التي تطمّ على سائر الدواهي

(١) سورة القلم : ١٣

(٢) الانعام : ٤٨ .

وتعلو على الخلائق وهي يوم القيامة قيل : هي النفخة الثانية وقيل : إن ذلك حين يساق أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار .

[ يومئذ يتذكر الإنسان ما سعى ] أي تجيء الطامة في يوم يتذكر الإنسان ما عمله من خير أو شرّ بأن يشاهده مدوّناً في صحيفة أعماله [ وبرّزت الجحيم ] وظهرت ظهوراً بيّناً بعد أن كانوا يسمعون بها والمراد جهنّم [ لمن يرى ] كائناً من كان على ما يفيد كلمة مَنْ ، فإنه من ألفاظ العموم . فرآها الخلق مكشوفاً عنها الغطاء يروى أنّها تتلظّي فرآها كلّ ذي بصر مؤمن و كافر و قوله : « وبرّزت الجحيم للغاوين » لا يينا في أن يراها المؤمن حين يمرّون عليها مجاوزين الصراط و قيل للكافرين لأنّ المؤمن يقول : أين النار التي توعدّنا بها ؟ فيقال : مررتموها و هي خامدة .

[ فأما من طغا ] و جاوز الحدّ في العصيان وتمرد عن الطاعة [ وآثر الحياة الدنيا ] الفانية وقدّمها واختارها ولم يستعدّ للآخرة بالإيمان والطاعة [ فإنّ الجحيم ] الموصوفة [ هي المأوى ] لا غيرها ولا يخرج منها .

[ وأما من خاف مقام ربّه ] أي مقامه بين يدي مالك أمره لعلمه بالمبدء والمعاد . والمقام إمّا مصدر ميميّ بمعنى القيام أو اسم مكان بمعنى موضع القيام [ ونهى النفس عن الهوى ] عن الميل إليه بحكم الجبلة البشريّة ولم يعتدّ بمتاع الحياة الدنيا و زهرتها وزخارفها علماً منه بوخامة عاقبتها، وفي الحديث « إنّ أخوف ما أتخوف على أمّتي الهوى وطول الأمل أمّا الهوى فيصدّ عن الحقّ وأمّا طول الأمل فينسي الآخرة » قال أصحاب السلوك : الهوى عبارة عن الشهوات الستّ المذكورة في قوله : <sup>(١)</sup> « زيّن للنّاس حبّ الشهوات من النساء والبنين و القناطير المقنطرة من الذهب و الفضة و الخيل المسوّمة و الأنعام و الحرث » وقد أدرجها الله في أمر واحد و هو الهوى في الآية و قلّمَا يخلص إنسان من الهوى [ فإنّ الجنة هي المأوى ] أي نهبها عن جميع الهوى على أنّ اللام للاستغراق وإلا فلا معنى للحصر لأنّ المؤمن الفاسق قد يدخل

النار أو لا ثم يدخل الجنة فلا يصح في حقه الحصر اللهم إلا أن يقال : معنى الحصر أن الجنة هي المقام الذي لا يخرج عنه من دخل فيه .

[ يسألونك عن الساعة أيان مرساها ] يسألون منك يا محمد أي آن ووقت يقيمها الله ويثبتها والمرسى مصدر مبتدء و أيان خبره بتقدير المضاف والتقدير : متى وقت إقامتها وإرسائها . وكانوا يقولون بطريق الاستهزاء .

[ فيم أنت من ذكراها ] ردّ و إنكار لسؤالهم وأصل « فيم » فيما و الذكرى بمعنى الذكر أي في أي شيء أنت من ذكرها لهم لأن ذلك فرع علمك به و أنتى لك ذلك العلم وهو مما استأثره بعلمه علام الغيوب و « أنت » مبتدء و « فيما » خبره قدّم عليه [ إلى ربك منتهاها ] أي انتهاء علمها إليه تعالى ليس لأحد يعلم هذا العلم كائناً من كان فلا أي شيء يسألونك عنها .

[ إنما أنت منذر من يخشاها ] أي وظيفتك إلا نذار لمن يخاف قيامها و أنت مأمور ببيان أهوالها لاتعيين وقتها وما أنت إلا منذر من يخشاها و هو من قصر الصفة على الموصوف و تخصيص من يخشى مع أنه مبعوث إلى من يخشى ومن لا يخشى لأنهم المنتفعون به ولا يؤثر إلا نذار إلا فيهم كقوله (١) : « فذكر بالقرآن من يخاف وعيد » والجمهور على قراءة منذر بغير التنوين من إضافة الصفة إلى معمولها لأن الأصل في الأسماء الإضافة وقرى منوناً [ كأنهم يوم يرونها ] أي المنكرين و ذلك لأنهم ما كانوا من أهل الخشية يوم يرون القيامة [ لم يلبثوا ] في الدنيا [ إلا عشيّة أوضحاها ] أي صغرت الدنيا في أعينهم حتى كأنهم لم يقيموا بها إلا مقدار عشيّة أو

مقدارضحى تلك العشيّة أو المعنى أنهم يوم يرون القيامة

يحسبون أنهم ما مكثوا في الدنيا إلا

قدر آخر نهار أو أوله

تمت السورة بعون الله



## سورة عبس

﴿مكية﴾

وتسمى سورة السفارة . عن النبي ﷺ : ومن قرء سورة عبس جاء يوم القيامة  
وجبه ضاحكة مستبشرة .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عبس وتولى (١) أن جاءه الأعمى (٢) وما يدريك لعله يزكى (٣) أو  
يذكر فتنفعه الذكرى (٤) أما من استغنى (٥) فانت له تصدى (٦) وما عليك  
الإيزكى (٧) وأما من جاتك يسعى (٨) وهو يخشى (٩) فأنت عنه تلهى (١٠)  
كلا انها تذكرة (١١) فمن شاء ذكره (١٢) فى صحف مكرمة (١٣) مرفوعة  
مطهرة (١٤) بايدى سفرة (١٥) كرام بررة (١٦) قتل الانسان ما أكفره (١٧)  
من أى شىء خلفه (١٨) من نطفة خلقه فقدره (١٩) ثم السبيل يجره (٢٠) ثم  
أماته فاقبره (٢١) ثم اذا شاء انشره (٢٢) كلا لما يقض ما أمره (٢٣) .

[ عبس ] أي بسر وقبض وجهه .

القمى : نزلت : الآية فى عثمان ، وعبدالله بن أم مكتوم الأعمى وكان ابن أم مكتوم  
مؤدناً لرسول الله ﷺ وجاء إلى رسول الله وعنده أصحابه وعثمان عنده فقد مهر رسول الله  
ﷺ على عثمان فعبس عثمان وجهه وتولى عنه فأنزل الله عبس [ وتولى ] يعنى عثمان  
[ أن جاءه الأعمى ] .

و عن الصادق عليه السلام نزلت فى رجل من بني أمية كان عند النبي ﷺ فجاء  
ابن أم مكتوم فلما رآه تقدّر منه وجمع نفسه وعبس وأعرض بوجهه عنه فحكى الله  
ذلك وأنكره عليه .

قال الطبرسي في المجمع : نزلت الآيات في عبد الله بن أم مكتوم وهو عبد الله ابن شريح بن مالك بن ربعة الفهري من بني عامر بن لؤي وذلك أنه أتى رسول الله وهو يناجي عتبة بن ربعة و أبا جهل بن هشام و العباس بن عبد المطلب و أبياً و أمية ابني خلف يدعوهم إلى الله ويرجو إسلامهم فقال عبد الله : يا رسول الله أقرئني و علمني مما علمك الله فجعل يناديه ويكرّر النداء ولا يدري أنه مشغل مقبل على غيره حتى ظهرت الكراهة في وجه رسول الله ﷺ لقطعه كلامه وقال في نفسه : يقول هؤلاء الصناديد إنما أتباعه العميان والعميد وهذا الأمر يوجب الاعراض للمدعوين وهو عليه السلام ﷺ يرجو إسلامهم فأعرض ﷺ عنه وأقبل على القوم يكلمهم فنزلت الآيات فكان رسول الله بعد ذلك يكرمه و إذا رآه قال : مرحباً بمن عاتبني ربّي فيه، ويقول له هل لك من حاجة؟ واستخلفه مرتين في غزوتين على المدينة .

قال المرتضى علم الهدى : ليس في الآية دلالة على توجه الخطاب إلى النبي بل ظاهر الآية خبر محض لم يصرّح بالمخبر عنه و فيها ما يدل على أن المعني بها غيره لأن العبس ليس من صفات النبي مع الأعداء المبائنين فضلاً عن المؤمنين المسترشدين ثم الوصف بانّه يتصدى للأغنياء و يتلهّى عن الفقراء لا يشبه أخلاقه الكريمة مع أن الله وصفه بقوله : (١) « و إنك لعلي خلق عظيم » فقوله : « عبس و تولّى » المراد به غيره كما روي عن الصادق عليه السلام أنها نزلت في رجل من بني أمية كما ذكر أولاً .

قال الفيض قدس سرّه : وأمّا ما اشتهر من تنزيل هذه الآيات في النبي دون عثمان فيأباه سياق مثل هذه المعاتبات الغير اللائقة بمنصبه و كذا ما ظهر بعدها إلى آخر السورة كما لا يخفى على المتأمل بأساليب الكلام و يشبه أن يكون مختلقات أهل النفاق والحشوية الذين من عاداتهم الافتراء على الأنبياء و نسبة السوء إليهم في بعض الأمور و ذلك لغرض مخصوص وهو أن ما نسب إلى بعض ولاة أمورهم وما صدر من القبائح عنهم و صحّ صدوره لا يكون قادحاً في إمارتهم ولذا ينسبون بعض الأمور إلى

أعظم الأنبياء خلطاً للمبحث .

[ ودا يدريك لعلّه يزّكيّ ] لعلّ هذا الأعمى يتزكّى ويتطهّر بالعمل الصالح أي وأيّ شيء جعلك دارياً و يطّلعك على باطن أمره [أويدّك فتتفعه الذكريّ] بتشديدين أصله يتدكّر وقوله : « يزّكيّ » من باب التخلية عن الآثام وقوله : « أو يدكّر » من باب التحلية بالطاعات ولذا دخلت كلمة التريد وعطف على « يزّكيّ » وداخل معه في حكم الترجبي .

قال الفيض : ثمّ خاطب عثمان فقال : [ أمّا من استغنى فأنت له تصدّي ] و تتعرّض بالاهتمام برشده أو بالإقبال عليه وهذا المعنى يصحّ على ما فسّره بعض الحشويّة من أنّ المخاطب النبيّ ﷺ لكنّ الصحيح ما قاله الفيض . و التصدّي أن يقابل الشيء مقابلة ، الصدى الصوت الراجع من الجبل وقيل : التصدّي التعرّص للشيء على آخر كتعرّص الصديان للماء أي العطشان وقيل : أصل تصدّي تصدّ دمن الصد وهو ما استقبلك فأبدل أحد الأمثال حرف علة ، أمّا إذا كان المتصدّي عثمان كما قاله جماعة منهم الفيض فمعنى الآية أنت إذا جاءك غنيّ تصدّي له و ترفعه [ وما عليك ألاّ يزّكيّ ] أي لا تبال أزيكياً كان أو غير زكيّ .

[ و أمّا من جاءك يسعى ] يعني عبدالله بن أمّ مكتوم [ وهو يخشى ] الله [ فأنت عنه تلهي ] أي تشتغل عنه بغيره وقراءة الصادق عليه السلام تصدّي و تلهي بضمّ التاء .

[ كلاً ] ردع عن معاودة مثله [ إنّهاتذكرة ] أي آيات القرآن موعظة للمخلوق [ فمن شاء ذكره ] أي حفظه ولم ينسه و اتّعظ بالقرآن [ في صحف مكرّمة ] أي كائنة في صحف و كتب منتسخة من اللوح المحفوظ مكرّمة عند الله ويجوز أن يكون خبر المبتدأ محذوف أي وهي في صحف [ مرفوعة ] في السماء السابعة أو مرفوعة المقدار والذكر بأنّها في المشهور موضوعة في بيت العزّة في السماء الدنيا [ مطهّرة ] منزّهة عن مساس الشياطين .

[ بأيدي سفرة ] كتبة من الملائكة جمع سافر من السفر و هو الكتب إذ في

الكتابة معني السفر أي الكشف و التوضيح و الكاتب السافر لأنّه يكشف و يبيّن الشيء وسمي السفر بفتحين سفرأ لأنّه يكشف و يكشف عن أخلاق المرء و لعلّ إضافة التطهير إلى الكتب لطهارة من يمسه من الملائكة قال القرطبيّ في قوله<sup>(١)</sup>: « لا يمسه إلا المطهرون » : هؤلاء السفرة الكرام [ كرام ] عندالله [ بررة ] أتقياء لتقدّسها عن الموادّ و نزاهة جواهرها عن التعلّقات مطيعون للأمر .

[ قتل الإنسان ] دعاء عليه بأشنع الدعوات فإنّ القتل غاية شدائد الدنيا و فسّر بعض القتل باللعن [ ما أكفره ] أي ما أشدّ كفره بالله مع كثرة إحسانه إليه . وفي الآية تعجيب من الله لخلقه وهو منزّه عن العجب أي اعجبوا من كفره . [ من أيّ شيء خلقه ] خلقه من شيء مهين حقير [ من نقطة خلقه فقدّره ] وهياتها لما يصلح له من الأعضاء والأشكال ومن كان أصله من هذا الشيء المهين القدر كيف يليق به التجبر والكفر والكبر .

[ ثمّ السبيل يسره ] أي سهل مخرجه بعد أن خلقه أطواراً إلى أن أخرجه من بطن أمّه بأن فتح فم الرحم قبل الولادة و جعله ينقلب و يصيرّ رجله من فوق ورأسه من تحت ولولا ذلك لا يمكنها أن تلد و قيل : المراد يسره سبيل الخير والشرّ وخيبره ومكّنه من فعل الخير واجتناب الشرّ .

[ ثمّ أماته فأقبره ] فقبض روحه بعد انقضاء أجله فجعله في قبر يواري فيه تكرمته له ولم يدعه مطروحاً على وجه الأرض كسائر الحيوان وألهم كيف يدفن يقال : أقبرته جعلت له مكاناً يقبر ويدفن فيه وعدّ الأمّة من النعم بالنسبة إلى المطيع فإنّه بالموت يتخلّص من سجن الدنيا و هو بحفة و وصلة إلى الحياة الأبدية و النعيم السرمديّة وإنّما كان مفتاح كلّ بلاء بالنسبة إلى العاصي والكافر من سيئات أعماله وسوء اعتقاده أو ذكره للتخويف والتذكير وهو أيضاً نعمة .

[ ثمّ إذا شاء أنشره ] وأحياءه وبعثه وفي تعليق النشر بالمشيئة إيذان بأنّ وقته وحصوله تابع لمشيئته غير متعيّن لكم وحاصل المعنى أنّه متى حان حين بعثه ونشره

أنشره من قبره وهذا إذا كان لائقاً لقبره مثل أن المشرك إذا دفن بمكة تنقله الملائكة إلى موضع لائق به . وفي الحديث «من مات من أمتي يعمل عمل قوم لوط نقله الله إليهم ثم يحشر معهم» وفي حديث آخر «من مات وهو يعمل عمل قوم لوط ساربه قبره حتى يصير معهم ويحشر يوم القيامة معهم» .

[ كلاً مطاً يقض ما أمره ] ردع للإنسان عما هو عليه وقيل : معناه حقاً و«مطاً» بمعنى لم وليس فيه معنى التوقع وما في «مطاً» صلة دخلت للتأكيد كقوله (١) : « فيما رحمة من الله » وما في « ما أمره » موصولة وعائده محذوف والتقدير ما أمره به والمعنى لم يقض إلا انسان ما أمره الله به من الإيمان والطاعة ولم يؤدّ حقه كما ينبغي قيل : هو على العموم في الكافر والمؤمن لم يعبدوه حقّ عبادته أو المراد الجنس لكن لأعلى الاطلاق بل على أن مصداق الحكم بعدم القضاء بعض أفراده وقد أسند إلى الكل بحكم المجانسة أو يكون بطريق رفع إيجاب الكلّي دون السلب الكلّي مع أن جمع الأفراد يقتضي أن لا يتخلف أصلاً .

فليُنظر إلى الانسان إلى طعامه (٢٤) أنا صببنا الماء صباً (٢٥) ثم شققنا الارض شقاً (٢٦) فأنبثنا فيها حباً (٢٧) وعبأ وقضباً (٢٨) وزيتوناً ونخلًا (٢٩) و حدائق غلباً (٣٠) و فاكهة و اباً (٣١) متاعاً لكم ولانعامكم (٣٢) فاذا جات الصاخة (٣٣) يوم يفر المرء من اخيه (٣٤) و امه و ابيه (٣٥) و صاحبته و بنيه (٣٦) اكل امرء منهم يومئذ شأن يغنيه (٣٧) و جـوه يومئذ مـفـرة (٣٨) ضاحكة مستبشرة (٣٩) و وجوه يومئذ عليها غبرة (٤٠) ترهقها قفرة (٤١) اولئك هم الكفرة الفجرة (٤٢) .

[ فليُنظر الإنسان إلى طعامه ] شروع في تعداد النعم المتعلقة ببقائه بعد ذكر النعم المتعلقة بحدوثه أي فليُنظر الإنسان إلى طعامه الذي عليه يدور أمر معاشه كيف دبّرناه . وفي الحديث «إنّ مطعم ابن آدم جعله الله مثلاً للدنيا وإنّ تابله (٢) وأبزاره العطرة إلى ماذا يصير ويؤول» .

[ إننا صببنا الماء ] أنزلناه من السحاب وافيأ وهو الغيث ، بدل اشتمال من طعامه لأن الماء سبب لحدوث الطعام و العائد محذوف أي صببنا له [ صبباً ] عجبياً [ ثم ] شققنا الأرض [ بالنبات ولما كان الشق ] بعد الصب [ ورد كلمة « ثم » ] شقاً [ بديعاً لائقاً بما يشقها من النبات صغيراً و كبيراً و هيئة ] .

[ فأبتنا فيها ] في الأرض المشقوقة [ حبباً ] و الحب كل ما حصد من نحو الحنطة والشعير وغيرهما وهو جنس الحبة فيشمل القليل والكثير [ وعنياً ] والمراد شجرة العنب المشقوقة من الأرض [ وقضبا ] و القضب قيل : من النبات ما يقضب و يقطع مرة بعد أخرى في السنة وهو رطب ويؤكل رطباً كالنعناع والكرث والبطيخ و البادنجان والدباء و الخيار و عن ابن عباس أنه الرطب التي تقضب من النخل لمناسبته بالعنب وقيل : هي نبات يقال له البقصصة ، وبالفارسية «اسمست» وفي زماننا يقولون « اسپرس » وقيل : هو الفت وهو حب الغاسول وهو الاشنان وقيل : هو حب يابس أسود يدفن فيلين قشره و يطحن و يخبز بقاته أعراب طي ولعله البلوط و الأقرب ما فسره ابن عباس .

[ وزيتوناً ] والمراد شجرته ويعمر ثلاثة آلاف سنة خصه بالذكر لكثرة فوائده خصوصاً في بلاد العرب فانهم ينتفعون به أكلاً وادهاناً واستضاءةً وتطهيراً فانّه يجعل في الصابون [ ونخلاً ] وهو شجر التمر وهو كثير النفع وفي العجوة دفع بعض السموم والسحر [ وحدائق غلباً ] وهي الروضة ذات الشجر . والغلب جمع الأغلب كحمر جمع أحمر مستعار من قولهم : أسد أغلب أي غليظ العنق فالمعنى حدائق عظيمة لتكاثرها وكثرة أشجارها و أنها ذات أشجار غلاظ وقيل : الغلب من الشجر التي لا تثمر كالأرز والعرعر والورداء والثمار . (١)

[ وفاكهة و آباً ] أي فاكهة كثيرة غير ما ذكر و آباً أي مرعى من أبيه إذا قصده لأنه يقصد جزءه للدواب أو المعنى من آب لكذا إذا تهيأ له لأنه متهيئ، للرعي و أبان ذلك هو الزمان المتهيئاً لذلك الفعل وقيل : الأب الفاكهة

اليابسة تؤبّ وتعدّ للشتاء وفي الحديث «خُلقتُم من سبع ورزقتُم من سبع فاسجدوا لله على سبع» أراد بقوله خُلقتُم من سبع أي التارات: من نطفة ثمّ من علاقة إلخ، وبقوله: رزقتُم من سبع. قوله: «حبّاً وعنباً» إلى قوله: «أباً» والحدائق خارجة عن السبع لأنّها منابت المذكورة و بقوله: فاسجدوا على سبع، الأعضاء السبعة وهي الوجه واليدان والر كبتان والرجلان.

[ متاعاً لكم ولأنعامكم ] «متاعاً» مفعول له أي فعل ذلك تمتيعاً لكم وطواشيكم فإنّ بعض النعم المعدادة طعام لهم وبعضها علف لدوابهم ونفعه أيضاً راجع لهم .

[ فإذا جاءت الصاخّة ] شروع في أحوال معادهم أثر ذكر معاشهم و العاء للترتيب و بيان فناء هذه النعم عن قريب كما يشعر لفظ المتاع بسُرعة زوالها و جواب « إذا » محذوف يدلّ عليه « يوم يفرّ » و الصاخّة هي الداهية العظيمة التي يصخّ لها الخلائق من صخّ لحديثه إذا استمع لأنّ الناس يصخّون لها في قبورهم وهي الصيحة التي تصمّ الأذان لشدة وقعها أو هي مأخوذة من صخّه بالحجر إذا صكّه فيكون الصاخّة حقيقة في النفخة و الصيحة .

[ يوم يفرّ المرء من أخيه و أمّه و أبيه و صاحبه و بنيه ] و صاحبة الزوجة لعلمهم بأنهم لا يعنون عنه شيئاً و هذه الآية يشمل النساء كما يشمل الرجال و لكنّها خرجت مخرج كلام العرب حيث تدرج النساء في الرجال. ولا ينفع ذلك اليوم مالٌ ولا بنون قال النبي ﷺ: «لن يدخل أحدكم الجنة بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمّدني الله بغفرانه» .

[ لكلّ امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ] استيناف وارد لبيان سبب الفرار أي الهمّ الذي حصل لهم بسبب ذلك اليوم قد ملأ صدره بحيث لم يبق فيه متسعاً فصار كالغنيّ الذي ملك شيئاً كثيراً فاشتغل به. والفرار حذراً من مُطالبانهم بالتبعات مثل أن يقول الإنسان: ما واصلتني بمالك، والأبوان يقولان: قصّرت في برّنا، والصاحبة تقول: أطعمتني الحرام، والبنون: لمَ ما أرشدتنا وما علّمتنا. قال ابن عباس: مثل

قائيل من أخيه هابيل و نوح من ابنه و لوط من امرءته ، أولأنّ المرء يفرّ من أقربائه لتلايروا ما هو عليه من سوء الحال . وبالجملة ففي ذلك اليوم :

[ وجوه يومئذ مسفرة ] « وجوه » مبتدأ ، و إن كانت نكرة لكونها في حيز التنوين و مفيدة و « مسفرة » خبره ، مضيئة متهللة بنور أعمالهم من أسفر الصبح إذا أضاء و أشرق قال ابن عباس : إنّ ذلك من قيام الليل [ ضاحكة مستبشرة ] بما تشاهد من النعيم و البهجة الدائمة و الفراغة من الحساب ضاحكة من مسرة العين مستبشرة من مسرة القلب .

[ و وجوه يومئذ عليها غبرة ] أي كدورة وهي غبرة الذلّ [ نرهقها ] وتعلوها و تغشاها [ قنرة ] سواد و ظلمة كالدخان و وجه الزنجي ، وهذه الظلمة من الكذب في الدنيا [ أولئك هم الكفرة الفجرة ] أي أولئك الموصوفون هم الجامعون بين الكفر و الفجور ، أو الكفرة في حقوق الله الفجرة في حقوق العباد .

واستدلّت الخوارج بهذه الآية على أنّ من ليس بمؤمن لا بدّ و أن يكون كافراً فإنّ الله قسم الوجوه بهذين القسمين ، قال الطبرسي : ولا تعلق لهم به لأنّه سبحانه ذكر

هنا قسمين من الوجوه ولم يذكر وجوه الفساق من أهل

الصلاة فيمكن أن يكون لها صفة أخرى بأن

يكون عليها غبرة لا تغشاها قنرة أو

يكون عليها لون آخر . تمت

السورة بعون الله



## سورة التكوير

﴿ مكية ﴾

مَنْ قَرَأَهَا أَعَاذَهُ اللَّهُ مِنْ أَنْ يَفْضَحَهُ حِينَ تَنْشُرُ صَحِيفَتَهُ .

روي أنه ﷺ قال : شَيَّبْتَنِي هُودُ وَالْوَاقِعَةُ وَالْمُرْسَلَاتُ وَعَمَّ وَإِذَا الشَّمْسُ  
كُوِّرَتْ « و المعنى أنه لو كان أمرٌ يشيب منه لشاب من هذه السورة إذا قرأها وفهم  
معانيها .

وقد روي أن علياً عليه السلام لما غسل رسول الله ﷺ وجد في لحيته الشريفة

شعرات بيض .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إذا الشمس كورت (١) و إذا النجوم انكدرت (٢) و إذا الجبال سيرت (٣) و إذا العشار عطلت (٤) و إذا الوحوش حشرت (٥) و إذا البحار سجرت (٦) و إذا النفوس زوجت (٧) و إذا الموقودة سئلت (٨) بأى ذنب قتلت (٩) و إذا الصحف نشرت (١٠) و إذا السماء كَشِطَّتْ (١١) و إذا الجحيم سعرت (١٢) و إذا الجنة ازلفت (١٣) علمت نفس ما أحضرت (١٤) .

ورفع الشمس على أنه فاعل لفعل مقدر يفسره المذكور تقديره إذا كُورت الشمس كُورت ولا يجوز إظهاره لأن ما بعده يفسره و إنما احتيج إلى إضمار فعل لأن « إذا » فيها معنى الشرط و الشرط مختص بالفعل و عند البعض الرفع على الابتداء و الأول أولى و جواب « إذا » علمت نفس ما احضرت .

و التكوير التلغيف على وجه الاستدارة والمراد إما رفعها وإزالتها عن مقرها فإن الثوب إذا أريد رفعه عن مكانه و يجعل في مكان يلف و يطوى فتكويرها عبارة و كناية عن رفعها و إما المراد لف ضوءها المنبسط فاللف على هذا مجاز عن إعدام ضوءها و في الحديث إن الشمس و القمر نوران مكوران في النار يوم القيامة ولعل نورانيتهما يتصل بالعرش و حرارتهما يتصل إلى جهنم . فإن قيل : و ما ذنبهما ؟ فالسؤال ساقط لأنهما جمادان فالقاؤهما في النار لا يكون سبباً لمضرتهما بل سبب لازدياد الحر في جهنم أو ليعذب بهما عباد الأنوار لاليعذب بهما في النار و سبيلهما سبيل الملائكة الموكلين بالعذاب كما قيل : إن السماء إذا طويت واحدة بعد واحدة يرمى بكواكبها في النار .

[ و إذا النجوم انكدرت ] أي تساقطت و تناثرت يقال : انكدر الطائر من الهوى إذا انقض فإن السماء تمطر يومئذ نجومها فلا يبقى نجم إلا وقع على

وجه الأرض يوم القيامة على ما روي عن ابن عباس أن النجوم في قناديل معلقة بين السماء و الأرض بسلاسل من نور و تلك السلاسل بأيدي ملائكة من نور فإذا مات مَنْ في السماوات و مَنْ في الأرض تساقطت تلك الكواكب من أيديهم لأنّه مات مَنْ يمسكها و قيل : المعنى تغيّرت من الكدورة و الأوّل أولى لأنّه سبحانه يقول <sup>(١)</sup>: « و إذا الكواكب انتثرت » .

[ و إذا الجبال سيّرت ] عن وجه الأرض و أبعدت عن أركانها بالرجفة و تسيّر الجبال لبالاختيار كسير الأنسان بل بالقهر و التسخير .

[ و إذا العشار عطّلت ] و العشار جمع عُشراء وهي الناقة التي أتى على حملها عشرة أشهر وهي أنفس أموال العرب تُركت بالاراع و عطّلت و قيل : المراد من العشار السحاب تعطلّ فلا تمطر و هذا يمكن على وجه المثل يعني إنّ هول يوم القيامة بحال لو كان للرجل ناقة عشراء لعطلّها و تركها مهملة و اشتغل بنفسه أو أنّ المراد مبادي ظهور الساعة فحينئذ يمكن وجود العشراء في المبادي فلا يكون تمثيلاً بل حقيقة .

[ و إذا الوحوش حُشرت ] أي جمعت من كلّ جانب و اختلطت بعضها ببعض و بالناس مع نفرة بعضها عن بعض و عن الناس و ذلك الجمع من هول ذلك اليوم و قيل : بعثت للقصاص و إظهاراً للعدل قال قتادة : يحشر كلّ شيء حتّى الذباب للقصاص فإذا قضى بينها ردتّ تراباً فلا يبقى منها إلّا ما فيه سرور لبني آدم و إعجاب بصورته أو صوته كالطاوس و البلبل و نحوهما .

[ و إذا البحار سجّرت ] أي أحميت أو المعنى ملئت يتفجير بعضها إلى بعض حتّى تعود بحراً واحداً مختلطاً عذبها بملحها فتعمّ الأرض كلّها من سجّرت التّنور إذا ملأه بالحطب ليحميه . و وجه الإجماع أنّ جهنّم في قعر البحار إلّا أنّها الآن مطبقة لا يصل أثر حرارتها إلى ما فوقها من البحار لتعسر انتفاع أهل الأرض بها فإذا انتهت مدّة الدنيا يرفع الحجاب فيصل تأثير الحرارة إلى البحار

فتسخن فتسير حميماً لأهل النار وقيل : المعنى ا و قدت فصارت ناراً تضطرم. قاله ابن عباس : وقيل : يبست و ذهب ماؤها فلم يبق فيها قطرة و قيل : ملئت من القيح و الصديد الذي يسيل من أبدان أهل النار في النار لكن المراد بحار جهنم لا بحار الدنيا لأن بحور الدنيا قد فنت و الذين فسروا التسجير بالامتلاء وتفجير بعضها إلى بعض حتى صارت كالبحر الواحد قالوا : بسبب أن الجبال تندك وتفترق أجزاءها وتصير كالتراب الهائل فلاجرم تنصب أجزاءها في أسافلها فتمتلئ المواضع الغائرة من الأرض مستويماً مع البحار .

[ وإذا النفوس زوجت ] أي قرنت الأرواح بالأجساد بأن إردت إليها أقرنت كل نفس بشكلها و بمن كان في طبقتها في الخير والشر فيضم الصالح إلى الصالح والفاجر إلى الفاجر أقرنت بكتابها و بعملها فالنفوس المتمردة زوجت بأعمالها السيئة والمطمئنة بأعمالها الحسنة أو نفوس المؤمنين بالبحور و نفوس الكفرة بالشياطين .

[ وإذا الموودة سئلت ] أي المدفونة حياً و هي موودة إذا دفنها في القبر و هي حية و كانت العرب تمد البنات مخافة الإملاق أو لحوق العار بهم لأجلهن و كانوا يقولون : إن الملائكة بنات الله فألحقوا البنات به فهو أحق بهن .

قال الزمخشري في الكشاف : كان الرجل إذا ولدت له بنت فأراد أن يستحبيها ألبسها جبّة من صوف أو شعر ترعى له الإبل والغنم في البادية وإن أراد قتلها تركها حتى كانت سداسية وبلغت ست سنين فيقول لأُمّها : طيبها وزينها حتى أذهب بها إلى أمهائها وقد حفر لها بئراً في الصحراء فيبلغ بها البئر فيقول لها : انظري فيها ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى يستوي البئر الأرض وقيل : كانت الحامل إذا قربت حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة فإذا ولدت بنتاً رمت بها في الحفرة وإن ولدت ابناً حبسته .

و معنى « سئلت » أي طولب قاتلها بالحجة في قتلها و سئل عن سبب قتلها كأنه قيل : إن الموودة تسأل قاتلها بأي ذنب قتلتنى؟ والمراد أن المقتولة مسؤولة عنها .

قال ابن عباس : إن أطفال المشركين لا يعدّون واحتجّ بهذه الآية فإنّه ثبت بها أنّ التعذيب لا يستحقّ إلا بالذنب .

[ وإذا الصحف نشرت ] أي صحف الأعمال فإنّها تطوى عند الموت وتنشر عند الحساب فيقف على ما فيها فيقول <sup>(١)</sup> : « ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها » و عن مرثد بن وادة : إذا كان يوم القيامة تطايرت الصحف من تحت العرش فيقع صحيفة المؤمن في يده في جنّة عالية مكتوب فيها ، ويقع صحيفة الكافر في يده مكتوب فيها في سموم وهميم وهي صحف غير صحف الأعمال فعلى هذا هذه الصحف غير صحف مثاقيل الذرّ والخردل والأعمال .

[ وإذا السماء كشطت ] قلعت و أزيلت بحيث ظهر ما وراءها و هو الجنّة و العرش كما يكشف الإهاب عن الذبيحة والغطاء عن الشيء المستور به ومنه انكشف روعه أي زال .

[ وإذا الجحيم سعرت ] أي أوقدت للكافرين إيقاداً شديداً وإسعار النار زيادة لهيبها لا حدوثها ابتداءً وبه يندفع احتجاج من قال : النار غير مخلوقة الآن لأنّها تدلّ على أنّ تسعّرها معلق بيوم القيامة لأنّه يحصل فيه الزيادة والاشتداد [ وإذا الجنّة أزلقت ] الأزلق التقريب أي قربت للمتّقين ليدخلوها لقوله <sup>(٢)</sup> : « وأزلقت الجنّة للمتّقين غير بعيد » و لعلّ المعنى من تقرب الجنّة تقرب أهل الجنّة إليها لا أنّها تزول عن مواضعها فالمراد حينئذ من التقريب التعكيس للمبالغة مثل قوله تعالى <sup>(٣)</sup> : « ويوم يعرض الذين كفروا على النار » حيث تعرض النار عليهم تحقيراً وإهانة فقلب مبالغةً لتحقيرهم شأنًا والمتّقين لتجليلهم وتقديرهم عزّة ورفعة .

قال أبيّ بن كعب : ستّ آيات تظهر قبل القيامة بينما الناس في أسواقهم و الميزان في أيديهم واللقمة في أفواههم إذ ذهب ضوء الشمس فبينما هم كذلك إذ تناثرت

(١) سورة الكهف : ٥٠ .

(٢) &gt; ق : ٣١ .

(٣) &gt; الاحقاف : ٢١

النجوم فبينما هم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض فتحركت الأرض و اضطربت و فزعت الجنّ إلى الإنس و اختلقت الدوابّ و الطير و الوحوش و ماج بعضهم في بعض فحينئذ تقول الجنّ للإنس : نحن نأتيكم بالخبر فينطلقون إلى البحر فإذا هو نار تتأجج و تلهب قال : فبينما هم كذلك إذ صدعت الأرض صدعة واحدة إلى الأرض السابعة السفلى و إلى السماء السابعة العليا فبينما هم كذلك إذ جاءتهم الرياح فأماتهم .

[ علمت نفس ما أحضرت ] أي علمت كلّ نفس من النفوس ما أحضرته مثل قوله : « هنا لك تبلو كلّ نفس ما أسلفت » والمراد من الحضور إمّا حضور صحائفها كما يعرب عنه نشرها و إمّا حضور نفس العمل لأنّ الأعمال في هذه النشأة بصور عرضية تبرز في النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن و القبح على كيفيات و هيآت مخصوصة فإن كانت صالحة تشاهدها على صور أحسن ممّا كانت تشاهدها عليه في الدنيا وإن كانت سيئة تشاهدها على ماهي عليه ههنا .

فلا أقسم بالخنس (١٥) الجوار الكنس (١٦) و الليل إذا عسعس (١٧) والصبح إذا تنفس (١٨) انه لقول رسول كريم (١٩) ذي قوة عند ذي العرش مكين (٢٠) مطاع ثم أمين (٢١) وما صاحبكم بمجنون (٢٢) ولقد رآه بالأفق المبين (٢٣) وما هو على الغيب بظنين (٢٤) وما هو بقول شيطان رجيم (٢٥) فأين تذهبون (٢٦) ان هو الا ذكر للعالمين (٢٧) لمن شاء منكم أن يستقيم (٢٨) وما تشاؤون الا أن يشاء الله رب العالمين (٢٩) .

ثم أكد سبحانه الأمور المذكورة بالقسم أي فأقسم و « لا » زائدة مؤكدة أوردت لقول سابق من الكفار أي ليس الأمر كما تزعمون أيها الكفرة ثم أقسم بالخنس ، جمع خانس و « الكنّس » جمع كانس وأصلها الستر والشيطان خناس لأن اللعين يخنس إذا ذكر الله ويذهب و يستتر و كُنّس الطير والظبي هو بيت يختفي فيه و الكواكب تكنس في بروجها تختنس بالنهار و تبدو بالليل ، والخنوس الرجوع إلى الخلف ويقال للشيطان خناس لأنه يضع خرطومه على قلب العبد فاذا ذكر الله

استتر وإذا غفل العبد رجع إلى الوسوسة .

**والمعنى :** أقسم بالكواكب الرواجع ، والجواري صفة لها لأنها تجري في أفلاكها وتتوارى في بروجها وتكنس في غروبها فهذا خنوسها وكنوسها وقيل : المراد بالكواكب الرواجع ما عدا النيرين من الدراري الخمسة وهي : المريخ ويسمى بهرام ، وزحل ويسمى كيان ، وعطارد ويسمى الكاتب ، والزهرة وتسمى أناهيد والمشتري ويسمى رويس وبرجيس . وما من نجم يقطع المجرة غير الخمسة وقيل هي بقر الوحش أو الظباء عن ابن مسعود .

[ والليل إذا عسعس ] أي أدبر ظلامه لأن إقبال الصبح يكون با دبار الليل و عسعس يفسر بأدبر أو أقبل فإنه من الأضداد ولكن علي عليه السلام فسره بأدبر بظلامه وقوله تعالى : « والليل » عطف على الخنوس .

[ والصبح إذا تنفس ] عطف عليه أيضاً والعامل في « إذا » معنى القسم وإذا ما بعدها في موضع الحال أقسم الله بالليل مدبراً وبالصبح مضيئاً ومشرقاً وجعل تنفس الصبح عبارة عن طلوعه وانبساطه بحيث زال معه عسعة الليل وهي الغبرة الحاصلة في آخر الليل ، والتنفس في الأصل ريح مخصوص يروح القلب بالتنفس بهبوه على القلب مثل نفس الحيوان ، شبه بإقبال الصبح من الروح والنسيم بذلك الريح المسمى بالنفس وأطلق اسم النفس عليه استعارة فجعل الصبح متنفساً بذلك لأن النفس بالمعنى المذكور لازم له فهو كناية متفرعة على الاستعارة .

[ إنه لقول رسول كريم ] هذا جواب القسم أي إن القرآن قول رسول كريم على ربه وهو جبرئيل وإنما أضافه إلى جبرئيل لأن الله أمر جبرئيل أن أتت محمداً وقل له كذا فقال له من جهة الله فأنزله جبرئيل على لسانه فسمعه محمد فإسناده إليه باعتبار السببية الظاهرة في الإنزال ، ويدل على أن المراد بالرسول هو جبرئيل ما بعده من ذكروته ، ووصفه بالرسول لأنه رسول عن الله إلى الأنبياء ، ووصفه بكريم لأنه عزيز عظيم عند الله وعند الناس لأنه يجيء بأفضل العطايا وهو المعرفة والهداية وهذه الآية نزلت في معرض الرد والإنكار لمقالة الكفار الذين قالوا : إن محمد يقول

ويتقو له فقال سبحانه : « إنّه لقول رسول كريم » .

[ ذي قوّة ] شديدة كما رفع قرى قوم لوط القرى الأربع من الماء الأسود من سبع طبقات بقوادمه حتى سمع أهل السماء نياح الكلب وأصوات الديكة ثم قلبها وفي كل مدينة أربع مائة ألف مقاتل سوى الذراري، وصاح صيحة يقوم صالح فأصبحوا جاثمين، وإنه يهبط من السماء إلى الأرض و يصعد في أسرع من الطرف، وإنه رأى شيطاناً يقال له الأبيض صاحب الأنبياء فدفعه دفعة رفيقة وقع من مكة إلى أقصى جبل الهند، وكذا رآه يكلم عيسى عليه السلام على بعض الأرض المقدسة فنفضه نفخة واحدة ألقاه إلى أقصى جبل الهند . وقيل : المراد من القوّة في أداء طاعة الله و ترك الإخلال بها من الخلق إلى آخر زمان التكليف .

[ عند ذي العرش مكين ] أي الله ، أي عنده تعالى ذا مكانة رفيعة من المنزلة والتشريف لا عندية مكان .

[ مطاع ثم أمين ] فيما بين الملائكة المقرّبين يصدر عن أمره و يرجعون إلى رأيه لعلمهم بمنزله عند الله، ومن طاعتهم أنّهم فتحوا أبواب السماء ليلة المعراج بقوله لرسول الله ، وطاعة جبرئيل فريضة على أهل السماوات كما أن طاعة محمد فريضة على أهل الأرض أي مطاع هناك أي في السماوات أمين على الوحي وقرىء « ثم » بضم الناء فيكون للتراخي تعظيماً لوصف الأمانة وتفضيلاً لها على سائر الأوصاف فيكون على طريق الترقّي من صفاته الفاضلة إلى ما هو أفضل وأعظم وهو الأمانة .

[ وما صاحبكم ] يا أهل مكة وهو رسول الله عطف على جواب القسم [ بمجنون ] كما تقولون ، ونسبة التصاحب لأنّه كان بين أظهرهم في مدّة متطاولة وقد جرّبوا عقله وأمانته فوجدوه أكمل منهم و هم لقبوه بالأمين الصادق [ ولقد رآه بالأفق المبين ] أي و بالله رأى رسول الله جبرئيل وأبصره في ناحية السماء، والمبين من أبان اللازم بمعنى اللازم أي بمطلع الشمس من ناحية المشرق، والمراد بالأفق هنا حيث تطلع الشمس استدلالاً بوصفه بالمبين فإنّ نفس الأفق لامدخل له في تبين الأشياء و ظهورها و إنّما يكون له مدخل في ذلك من حيث كونه مطلعاً لكوكب منير



يبين الأشياء و الكوكب المبين هو الشمس ، و إسناد الابانة إلى مطلعها باعتبار سببيتها لها .

روي أن رسول الله ﷺ سأل جبرئيل أن يتراى له في صورته التي خلقه الله عليها فقال جبرئيل : و ما ذاك إليّ فأذن له فأثاه عليها و ذلك في جبل حراء في أوائل البعثة فرآه رسول الله ﷺ قد ملأ الآفاق بكلكلة رجلاه في الأرض و رأسه في السماء ، جناح له بالمشرق و جناح له بالمغرب وله ستمائة جناح من الزبرجد فغشي عليه ﷺ فتحوّل جبرئيل في صورة بني آدم و ضمّه إلى نفسه و جعل يمسح الغبار عن وجهه فقبل لرسول الله ﷺ : ما رأيناك مُدْبِعُعت أحسن منك اليوم فقال ﷺ : « جاءني جبرئيل في صورته فعلق بي هذا من حسنه » ومارآه أحد من الأنبياء غيره في صورته فهو من خصائصه .

و اعلم أن وقوع الغشيان إنّما هو من كمال العلم و الاطلاع بقدره الله حين الرؤية كما غشي على جبرئيل ليلة الإسراء حين رأى الرفرف ولم يغش على رسول الله ﷺ و قال ﷺ : « فعلمت فضل جبرئيل في العلم » فكأنّه ﷺ أشار إلى فضل نفسه أيضاً لما غشي عليه برؤية جبرئيل على صورته الأصلية .

[ وما هو على الغيب بظنين ] أي هو ﷺ ليس على وحي الله بمتهم فإنّ أحواله شاهدة بالصدق و الأمانة ، وقرى بالضاد فالمعنى أنّه ﷺ ليس ببخيل فيما يؤدّي عن الله أن يعلمه كما علّمه الله فيكتمه كما يكتم الكاهن ما عنده حتّى يأخذ عليه حلواناً و أجرّة و يُسأل تعليمه فلا يعلمه إلا بالأجرّة .

[ و ما هو بقول شيطان رجيم ] أي قول بعض المستترقة للسمع ، دلّ عليه توصيفه بالرجيم لأنّه بمعنى المرميّ بالشهب ، أو المراد المرجوم باللعن و هذا ردّ لقولهم كانوا يقولون : إنّ الشيطان يلقي إليه كما يلقي إلى الكهنة .

[ فأين تذهبون ] استضلال فيما يقولون في أمر القرآن و «أين» ظرف مكان مبهم منصوبٌ بتذهبون ، أي فأيّ طريق تسلكون أبين من هذه الطريقة الحقّة وهو طريق القرآن ؟

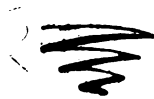
[ إن هو إلا ذكر للعالمين ] « إن » نافية و الضمير راجع إلى القرآن أي ما هو إلا عطية و تذكرة لهم [ لمن شاء منكم ] أيها المكلفون بالايان و هو بدل من « العالمين » بدل البعض [ أن يستقيم ] مفعول « شاء » أي لمن شاء منكم الاستقامة .

[ و ما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين ] عن الكاظم عليه السلام « إن الله جعل قلوب الأئمة مورداً لإراداته فاذا شاء الله شأوه » أي و ما تشاؤون الاستقامة على الحق إلا أن يشاء الله ذلك من حيث خلقكم لها و كلفكم بها و طلب منكم الايمان وقيل : إن الآية خطاب للكفار والمراد لا تشاؤون الا سلام إلا أن يشاء الله أن يجبركم و يلجئكم إليه و لكنه لا يفعل لأنه يريد منكم أن تؤمنوا

اختياراً لتستحقوا الثواب ولا يريد أن يحملكم

عليه جبراً ، عن أبي مسلم . تمت

السورة بعون الله



هذه

## سورة الانقطار

﴿ ( مكية ) ﴾

قال أبي عن النبي ﷺ : وَمَنْ قَرَأَهَا أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنَ الْأَجْرِ بَعْدَ كُلِّ قَبْرِ حَسَنَةٍ  
و بَعْدَ كُلِّ قَطْرَاتِ مَاءٍ حَسَنَةٍ وَأَصْلَحَ اللَّهُ شَأْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ قَرَأَ هَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ:  
إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ وَإِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ وَجَعَلَهُمَا نَصَبَ عَيْنَيْهِ فِي صَلَاةِ الْفَرِيضَةِ وَالنَّافِلَةِ  
لَمْ يَحْجِبْهُ مِنْ اللَّهِ حِجَابٌ وَلَمْ يَزَلْ يَنْظُرْ إِلَى اللَّهِ وَيَنْظُرَ اللَّهُ إِلَيْهِ حَتَّى يَفْرَغَ مِنْ حِسَابِ  
النَّاسِ .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إذا السماء انفطرت (١) و إذا الكواكب انتشرت (٢) و إذا البحار فجرت (٣) و إذا القبور بعثرت (٤) علمت نفس ما قدمت و اخرت (٥) يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم (٦) انى خلقك فسويك فعدلك (٧) فى اى صورة ما شاء ركبك (٨) كلا بل تكذبون بالدين (٩) و ان عليكم لحافظين (١٠) كراماً كاتبين (١١) يعلمون ما تفعلون (١٢) ان الابرار لفي نعيم (١٣) و ان الفجار لفي جحيم (١٤) يصلونها يوم الدين (١٥) و ما هم عنها بغائبين (١٦) و ما ادريك ما يوم الدين (١٧) ثم ما ادريك ما يوم الدين (١٨) يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً و الامر يومئذ لله (١٩) .

[ إذا السماء انفطرت ] و انقطعت عنها لوزال بنيتها . و إعرابه كما عراب « إذا الشمس كورت » .

[ و إذا الكواكب انتشرت ] أي تساقطت من مواضعها سوداء متفرقة كما تتساقط اللائىء إذا انقطع السلك . و هذان من أشرط الساعة فان السماء فى هذا العالم كالسقف و من أراد تخريب بناء فانّه يبدء أولاً بتخريب السقف .

[ و إذا البحار فجرت ] فتح بعضها إلى بعض بزوال المانع بحصول الزلزلة و استواء الأرض و صارت البحار و هي سبعة : بحر الروم و بحر الصقالبة و بحر جرجان و بحر القلزم و بحر فارس و بحر الصين و بحر الهند بحراً واحداً فيصب ذلك البحر فى جوف الحوت الذى عليه الأرضون السبع كما فى كشف الأسرار، و قيل : معناه ذهب ماؤها و دخل فى البحار البحر المحيط لأنّه أصل الكل إذ منه يتفرّع الباقي .

[ و إذا القبور بعثرت ] قلب ترابها و أخرج موتاها أو بحثت عن الموتى فأخرجوا منها، و بعثرت المتاع و بحثته أي جعلت أسفله أعلاه، فيجعل أسفل القبور

أعلاها، وبعثر وبعثر مرّبان من البعث والبعث مع راء ضمّت إليهما مثل تر كيب الرباعي و الخماسي نحو هَلَل و بسمَل إذا قال : لا إله إلا الله ، و بسم الله .

[ علمت نفس ما قدّمت وأخّرت ] أي كلّ نفس برّة أو فاجرة « ماقدّمت » في حياتها من عمل خيرٍ أو شرٍّ و «نفس» هنا اسم الجنس و « ما » من ألفاظ العموم « وأخّرت » من سنّة حسنة أو سيّئة يعمل بعده قال النبي ﷺ : « وأيّما داع دعا إلى الضلالة فاتّبع فله مثل أوزار من اتّبعه إلا أنّه لا ينقص من أوزارهم شيء ، و كذلك أيّما داع دعا إلى الهدى فاتّبع فله مثل أجر من اتّبعه إلا أنّه لا ينقص من أوزارهم شيء ، و هذا العلم التفصيلي يحصل عند قراءة الكتب والمحاسبة و أمّا العلم الإجمالي بالسعادة و الشقاوة فيحصل من أوّل الأمر لأنّ المطيع يرى بتأثير السعادة والعاصي كذلك .

[ يا أيّها الإنسان ] يعمّ جميع العصاة ولا خصوص له بالكفّار و قيل : يريد أميّة بن خلف و قيل : نزلت في الوليد بن مغيرة أو الأ سود بن كلدّة الجُمحيّ قصد النبيّ في بطحاء مكّة فلم يتمكّن منه ، ولكنّ اللفظ عام يصلح له و لغيره ، وفي زهرة الرياض أنّ الأ سود ضرب على يافوخ رسول الله ﷺ فأخذه رسول الله و ضربه على الأرض فقال له : يا محمد الأمان الأمان منّي الجفاء و منك الكرم فانّي لا أؤذيك أبداً فتر كه رسول الله .

[ ما غرّك برّبك الكريم ] « ما » استفهاميّة في موضع الابتداء و « غرّك » خبره ، والمعنى أيّ شيء خدعك و جرّأك على عصيانه و آمّنك من عقابه وقد علمت ما بين يديك من الدواهي ؟ والتعرّض بلفظ « الكريم » للإيدان بأنّه ليس ممّا يصلح أن يكون مدار الإغرار حسبما يغويه الشيطان بأن يقول له : افعل ما شئت فانّ ربّك كريم قد تفضّل عليك في الدنيا و سيفعل مثله في الآخرة فانّه قياس عقيم و تمنية باطل بل هو ممّا يوجب المبالغة في الإقبال على الإيمان و الطاعة ولهذا لمّا قرأها رسول الله قال : « غرّه جهله » فظهر أنّ كرم الكريم لا يقتضي الاغترار به بل الحذر عن مخالفته من حيث إنّ أعمال الظالم ينا في كونه كريماً بالنسبة إلى المظلوم و كذا

التسوية بين المُوالي والمُعادي، فإذا كان محض الكرم لا يقتضي الاغترابه فكيف إذا انضم إليه صفة القهر والله الأسماء المتقابلة ولذا قال سبحانه<sup>(١)</sup>: « نبيء عبادي أنني أنا الغفور الرحيم ؎ وأن عذابي هو العذاب الأليم » .

وقيل : للفضيل بن عياض ماذا تقول إن أقامك ربك يوم القيامة وقال لك : « ما غرتك بربك الكريم »؟ قال أقول : غرتني ستورك المرخاة . قال الزمخشري : قول الفضيل ليس باعتذار كما يظنه الطماع و يظن به قصاص الحشوية ديروونهم من أئمتهم إنما قال : « بربك الكريم » ليلقن عبده الجواب حتى يقول : غرتني كرمك الكريم .

[ الذي خلقك ] صفة ثانية مقررة للربوبية مبيّنة للكرم لأنّ الخلق إعطاء الوجود و هو خير من العدم، منبهة على أنّ من قدر على الخلق و ما يليه بدءاً قدر عليه إعادة [ فسواك ] أي جعل أعضاءك سوية معدة لمنافعها كالبطش لليد و المشي للرجل و التكلم للسان إلى غير ذلك [ فعدلك ] و عدل بعض تلك الأعضاء ببعض بحيث لم تتفاوت مثل أن تكون إحدى اليدين أو الرجلين أو الأذنين أطول من الأخرى ، أو تكون إحدى العينين أدمع من الأخرى . قال أهل التشريح : إنّه تعالى ركب جانبي هذه الجثة على التساوي حتى أنّه لاتفاوت بين نصيبه لا في العظام ولا في أشكالها ولا في الأوردة و الأعصاب ، فكلّ ما في إحد الجانبين مساوياً في الجانب الآخر فيكون المعنى : فصرفك عن الخلقة المكروهة كما قال<sup>(٢)</sup> :

« في أحسن تقويم » وقرىء « فعدلك » بالتشديد .

[ في أي صورة ماشاء ركبك ] الجار متعلق بربك ، و « ما » مزيدة لتعميم النكرة و العائد محذوف و المعنى ركبك في أي صورة شاءها و اقتضتها حكمته من القصر و الطول و الذكورة و الأنوثة كما في الحديث « إن النطفة إذا استقرت في الرحم أحضرها الله كل نسب بينها و بين آدم و صورها في أي شبه شاء » .

(١) سورة الحجر : ٤٩ - ٥٠ .

(٢) سورة التين : ٤ :

[ كلاً بل تكذبون بالدين ] أي ارتدعوا عن الكفر و العصيان ثم قال بعد الردع بطريق الاعتراض : وأنتم لا ترتدون بل تجرؤون حيث تكذبون بالجزاء و البعث أو المعنى تكذبون بدين الإسلام ولا تصدقون ثواباً ولا عقاباً .

[ وإن عليكم لحافظين ] حال من فاعل « تكذبون » وأتى بلفظ الجمع في « حافظين » باعتبار كثرة المخاطبين أو باعتبار أن لكل واحد منهم جمعاً من الملائكة اثنان بالليل و اثنان بالنهار حافظين لأعمالكم .

[ كراماً كاتبين ] كرام حيث يسارعون إلى كتب الحسنات و يتوقفون في كتب السيئات رجاء أن يتوب فيكتبون الذنب و التوبة معاً [ يعلمون ما تفعلون ] لحضورهم من الأفعال الصادرة عنكم قليلاً و كثيراً لتجاوزوا بذلك .

[ إن الأبرار لفي نعيم ] وهو الجنة و الأبرار أولياء الله المطيعون في الدنيا الذين برّوا وصدقوا في إيمانهم بأداء الفرائض جمع برّ بالفتح و هو بمعنى الصادق و المطيع و المحسن، و أحسن الحسنات لإله إلا الله ثم برّ الوالدين ثم البرّ للمؤمنين . [ وإن الفجار لفي جحيم ] و الفجور شقّ ستر الديانة ، في النار و عذابها، و التنوين للتحويل ، و نعيم الطاعة و المعرفة تقابله جحيم الغفلة و المعصية .

[ يصلونها يوم الدين ] صلا النار قاسى حرّها و باشره و التصق ببدنه ، فيصلونها . يوم الجزاء [ وما هم ] أي الفجار [ عنها ] عن الجحيم [ بغائبين ] طرفة عين و قيل : المعنى و ما كانوا غائبين قبل ذلك عن النار غائبين بالكليّة بل كانوا يجدون سموها و حرّها في قبورهم كما قال ﷺ : « القبر روضة من رياض الجنان أو حفرة من حفر النيران » .

[ وما أدراك ] خطاب لكلّ من يتأتى منه الدراية و « ما » مبتدأ و « أدراك » خبر

أي أي شيء جعلك دارياً و عالماً ما يوم الدين في الهول و الفظاعة فانه خارج عن دائرة دراية الخلق لأنهم على أي صورة يصورونها فهو فوقها و أضعافها .

[ ثم ما أدراك ما يوم الدين ] تكرير بضمّ المفيدة للترقي في الرتبة للتأكيد

و زيادة التخويف و أتى بالظاهر عن الضمير تأكيداً لفخامته .

[ يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً ] و يوم مرفوع المحلّ على أنّه خبر مبتدئ محذوف وحر كته الفتح لا ضافته إلى غير متمكّن و التقدير هو يوم لا تملك نفس من النفوس لنفس من النفوس شيئاً من الأشياء أو منصوب باضمار اذ كر .  
[ والامر يومئذ ] كلّه يوم إذ لا تملك نفس [لله] وحده فإنّ  
الأمر و الحكم من شأن الملك المطاع والخلق تحت  
سطوات ربوبيّته ولا يزاوجه أحد . تمت  
!السورة بعون الله .





## هذه سورة المطففين

﴿مكية﴾

وقيل بعضها وهي ثمان آيات منها مدنيّة وهي « إنّ الذين أجرموا » إلى آخر

السورة .

قال النبي ﷺ « و من قرأها سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيامة » .

وعن الصادق عليه السلام : « من كانت قراءته في الفريضة أعطاه الله الأمان من النار يوم

القيامة ولا يراه ولا يراها » .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ويل للمطففين (١) الذين اذا اکتالوا على الناس يستوفون (٢) و اذا كالوهم او وزنوهم يخسرون (٣) الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم (٤) يوم يقوم الناس لرب العالمين (٥) كلا ان كتاب الفجار نفي سجين (٧) و ما ادريك ما سجين (٨) كتاب مرقوم (٩) ويل يومئذ للمكذبين (١٠) الذين يكذبون بيوم الدين (١١) و ما يكذب به الا كل معتد اثيم (١٢) اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين (١٣) كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون (١٤) كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون (١٥) ثم انهم لصالوا الجحيم (١٦) ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون (١٧).

[ ويل ] شدة الشر أو الهلاك و العذاب الأليم قال ابن كيسان : هو كلمة كلّ مكروب واقع في البلية فقولك « ويل لك » عبارة عن استحقاق المخاطب لنزول البلاء الموجب له و هو مبتدئ و إن كان نكرة فقد وقع موقع الدعاء [ للمطففين ] الباخسين حقوق الناس في المكيال والميزان والتطفيف تنقيص الشيء مقداراً قليلاً على وجه الخفية، وطفيف الكيل قلل نصيب المكيل له في إيفائه و استيفائه .

قال رسول الله ﷺ : « خمس بخمس : فما نقض العهد قومٌ إلا سلط الله عليهم عدوهم ، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر ، وما ظهرت الفاحشة فيهم إلا فشا الموت ، ولا طففوا الكيل إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر » وكان أهل المدينة يطففون قبل هجرة النبي ﷺ إليهم فلما نزلت الآية أحسنوا الكيل فهم أوفى الناس كيلاً إلى اليوم .

وعن مالك بن دينار أنه دخل على جاره و قد احتضر فقال : يا مالك جبلان من نار بين يديّ أكلّف الصعود عليهما ، فسألت أهله فقالوا : كان له مكيالان يكيل

بأحدهما و يكتال بالآخر فدعوت بهما فضربت أحدهما بالآخر حتى كسرتهما ثم سألت الرجل فقال : ما يزداد الأمر عليّ إلا عظماً .

[ الذين إذا اکتالوا على الناس ] أي من الناس و يريدون أن يشتروا منهم و الاكتيال الأخذ بالكيل [ يستوفون ] أي يأخذون الوافي و تبديل كلمة « من » بعلى لتضمين الاكتيال معنى الاستيلاء أو للإشارة إلى أنه اکتيال مضرّ بهم والمراد من الاستيفاء الأخذ الوافر لا أخذ الوافي من غير نقص ، بل كانوا يأخذون الزائد بأيّ وجه يتيسّر لهم من وجوه الحيل بكبس الكيل و تحريك المكيال و الاحتيال في ملأته و السنة الموازين .

[ و إذا كالوهم أو وزنوهم ] أي إذا كالوا للناس بالكيل أو وزنوا بالميزان المبيع لهم [ يخسرون ] و ينقصون حقوقهم . قال بعض السالكين : إن من يحسن العبادة على رؤية الناس و يسيء إذا خلا فهو داخل في المطففين فضلاً عن المرأئين . [ ألا يظنّ أولئك ] أي ألا يعلمون هؤلاء المطففون؟ و «ألا» هذه ليست للتمنيه بل الهمزة الاستفهامية الإنكاريّة داخلّة على لاء النافية، و يجوز أن يكون للتحضيض على الظنّ .

[ أنّهم مبعوثون ليوم عظيم ] لا يقادر قدر عظم ما فيه من الأهوال، و محاسبون فيه على مقدار الذرّة و الخردلة فإنّ من يظنّ ذلك و إن كان ظناً ضعيفاً في حدّ الشكّ و الوهم لا يتجاسر على أمثال تلك القبائح فذكر الظنّ إذا لم يكن بمعنى العلم في الآية للمبالغة في المنع عن التطفيف و إلاّ فالمؤمن لا يكفي له الظنّ في أمر البعث و المحاسبة بل لا بدّ من الاعتقاد الجازم .

[ يوم يقوم الناس لربّ العالمين ] أي لأمر ربّ العالمين ، روي أنّهم يقومون بين يدي الله أربعين عاماً و في رواية ثلاثمائة سنة ، و عرق أحدهم إلى أنصاف أذنيه لا يأتيهم خبر ولا يؤمر فيهم بأمر و هذا في حقّ الكافر و أمّا في حقّ المؤمن فيكون المكث كقدر انصرفهم من صلاة مفروضة. و قال أعرابيّ لعبد الملك بن مروان: إنك قد سمعت ما قال الله في المطففين؟ و أراد بذلك أن المطفّف قد توجه عليه الوعيد

العظيم في أخذ القليل فماظنك بنفسك وأنت تأخذ أموال الناس بلا كيل ولا وزن .  
 [ كلاً ] ردع عما كانوا عليه من التطفيف و الغفلة عن البعث أو بمعنى حقاً  
 فحينئذ يكون متصلاً بما بعده [ إن كتاب الفجر لفي سجين ] الكتاب بمعنى المكتوب  
 كاللباس بمعنى الملبوس أو على حاله بمعنى الكتابة و اللام للتأكيد و سجين علم  
 لكتاب جامع هو ديوان الشرّ وفيه ثبت أعمالهم من الفجور والمعاصي و قيل : المعنى  
 إنه كتب في كتابهم أنهم يكونون في سجين وهي في الأرض السابعة السفلى و عن  
 البراء بن عازب قال : قال رسول الله : سجين أسفل سبع أرضين .

قال كعب الأحمار : إن روح الفجر يصعد بها إلى السماء فيأبى السماء أن  
 تقبلها ثم تهبط بها إلى الأرض فتدخل سبع أرضين حتى ينتهي بها إلى سجين وهو  
 موضع جند إبليس وقيل : إن سجين جبّ في جهنم مفتوح والفلق جبّ في جهنم  
 مغطى و يكون لفظ السجين من السجن الذي هو الشدة على وزن فعيل مبالغة  
 المسجون .

[ وما أدراك ما سجين ] أي بحيث لا يبلغه دراية أحد [ كتاب مرقوم ] الرقم  
 الخط الغليظ الجلي أي هو كتاب بين الكتابة بحيث كل من نظر إليه يطلع  
 على ما فيه بلا إمعان توجهه ، مشتمل على علامة دالة على شقاوة صاحبه و كونه من  
 أصحاب النار .

[ ويل يومئذ ] أي الويل يوم يقوم الناس و اعطي ذلك الكتاب المرقوم لهم  
 حاصل [ للمكذّبين ] و الويل كلمة جامعة لجميع أقسام العذاب و المحن [ الذين  
 يكذبون بيوم الدين ] صفة زامة للمكذّبين و مفسرة تكذيبهم بأنهم كذبوا يوم  
 القيامة [ وما يكذب به إلا كل معتد أثيم ] أي متجاوز عن الحق إلى الباطل كثير  
 الإثم والمعاصي ، منهمك في الشهوات بحيث حملته على الإنكار بيوم الجزاء .

ثم وصف سبحانه المعتدي بقوله : [ إذا تتلى عليه آياتنا ] الناطقة بتصديق  
 ذلك اليوم و وقوعه لا محالة وهي القرآن [ قال ] من فرط إعراضه عن الحق وجهله

[ أساطير الأ وّ لين ] أي حكايات الأ وّ لين وأباطيلهم والأساطير جمع أسطورة وهي الحديث الذي لانظام له .

[ كلاً ] ردع للمعتدي عن ذلك القول الباطل وتكذيبه [ بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ] قرأ حفص عن عاصم «بل» بإظهار اللام مع سكتة عليها خفيفة بدون القطع ويبتدىء «ران» و قرأ الباقر بن داود اللام في الراء و «ما» موصولة و العائد محذوف ومعنى الآية: ليس في آياتنا ما يصحّ أن يقال في شأنها مثل هذه المقلات الباطلة بل ركب قلوبهم وغلب عليها ما كانوا يكسبونه من الكفر والعصيان حتّى صارت كالصدأ<sup>(١)</sup> من المرءة فحال ذلك بينهم وبين معرفة الحقّ كما قال ﷺ : «إنّ العبد كلّما أذنب ذنباً حصل في قلبه نكتة سوداء حتّى يسودّ قلبه» ولذلك قالوا ما قالوا .

و الرين صدأ يعلو الشيء الجليّ ، و ران ذنبه على قلبه غلب ، و ران فيه النوم رسخ فيه . وقيل : الرين الحجاب الغليظ الحائل بين القلب و عالم القدس والغيب بالمعجمة دون الرين و هو الصدأ فانّ الصدأ حجاب رقيق يزول بالتصفية قال الصادق عليه السلام : يصدء القلب فاذا ذكرته بآلاء الله انجلي عنه» قال أبو مسلم : ترك النظر في العواقب و كثرة المعاصي يقوّي الدواعي في الإعراض عن التوبة .

قال أبو القاسم البلخي : و في الآية دلالة على صحّة ما يقوله أهل العدل في تفسير الطبع والختم على القلوب والإضلال، لأنّه تعالى أخبر أنّ أعمالهم السيئة و ما كانوا يكسبونه من القبيح ران على قلوبهم، فحينئذ أضلّهم أعمالهم التي اكتسبوها وهم سبّبوا و أوجبوا الختم و الطبع على قلوبهم فلمّا اختاروا هذا الأمر الفاسد أجرى الله الطبع والختم بما اختاروه .

[ كلاً ] ردع و زجر عن الكسب الرائي الموقع في الرين [ إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ] أي إنّ الموصوفين يوم القيامة عن رحمة ربهم مدفوعون و ممنوعون غير مقبولين، عن علي عليه السلام .

(١) الصدأ محرّكة ستر تحتجب به المرءة .

[ ثم إنهم لصالوا الجحيم ] أي بعد أن منعوا من الثواب لازموا الجحيم  
بكونهم فيها لا يغيبون عنها ثم يقال لهم توبيخاً وتفریباً من جهة الزبانية : [ هذا ]  
العذاب وهو مبتدء خبره [ الذي كنتم به تكذبون ] فذوقوه .

كلا ان كتاب الابرار لفي عليين (١٨) وما ادريك ماعليون (١٩) كتاب  
مرقوم (٢٠) يشهده المقربون (٢١) ان الابرار لفي نعيم (٢٢) على الارائك  
ينظرون (٢٣) تعرف في وجوههم نضرة النعيم (٢٤) يسقون من رحيق مختوم (٢٥)  
ختامه مسك وفي ذلك فليتنا فس المتنافسون (٢٦) و مزاجه من تسنيم (٢٧)  
عيناً يشرب بها المقربون (٢٨) ان الذين اجرموا كانوا من الذين آمنوا  
يضحكون (٢٩) و اذا مروا بهم يتغامزون (٣٠) و اذا انقلبوا الى اهلهم  
انقلبوا فكهين (٣١) و اذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون (٣٢) و ما  
ارسلوا عليهم حافظين (٣٣) فالיום الذين آمنوا من الكفار يضحكون (٣٤)  
على الارائك ينظرون (٣٥) هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون (٣٦) .

[ كلا ] ردع عن الكسب الرائن أي لا يؤمنون بالعذاب والقيامة و متصل  
بما قبله و قيل : معناه حقاً و يتصل بما بعده [ إن كتاب الأبرار ] أي الأعمال  
المكتوبة لهم [ لفي عليين ] فعليون علم لديوان الخير الذي دون فيه كل ما  
عملته الملائكة و صلحاء الثقلين . عليون منقول من جمع علي على وزن فعيل من  
العلو للمبالغة ، علو على علو مضاعف ، و جمع بالواو والنون تشبيهاً بمن يعقل لتفخيم  
شأنه و هي مراتب عالية محفوفة بالجلالة غير محدود العدد سمي بذلك لأنه سبب  
الارتقاء إلى أعالي الدرجات في الجنة و مرفوع في السماء السابعة حيث يسكن  
الكروبيون و قيل : في سدرة المنتهى و هي التي ينتهي إليها كل شيء من أمر الله  
و قيل : هو لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش أعمالهم مكتوبة فيها .

روي أن الملائكة لتصعد بعمل العبد فإذا انتهوا إلى ما شاء الله من سلطانه  
أوحى إليهم إنكم الحفظة على عبيدي و أنا الرقيب على ما في قلبه و إنه أخلص  
عمله فاجعلوه في عليين فقد غفرت له و إنها لتصعد بعمل العبد فيزكونه فإذا  
انتهوا به إلى ما شاء الله أوحى الله إليهم أنتم الحفظة على عبيدي و أنا الرقيب على

قلبه وإنه لم يخلص في عمله فاجعلوه في سجين وفي الحديث إشارة إلى أن الحفظة لا يطلعون على الإخلاص و الرياء إلا باطلاع الله .

[ و ما أدراك ما عليون ] أي هو خارج عن دائرة دراية الخلق [ كتاب مرقوم ] مسطور بين الكتابة يُقرء . بالتكلف تشهد وتنطق بسعادة صاحبه . ولما كان عليون علماً منقولاً من الجمع حكم عليه بالمفرد بقوله : « كتاب مرقوم » ولكن أعرب إعراب الجمع [ يشهده ] الملائكة [ المقرَّبون ] عند الله أي يحفظونه و يحضرونه فيحضر ذلك الكتاب المرقوم الملائكة المقرَّبون الذين هم في عليين إذا صعده إلى عليين .

[ إن الأبرار لفي نعيم ] و ملاذ من النعمة في الجنة [ على الأرائك ] على الأسرة في الحجال ولا تطلق الأريكة على السرير إلا عند كونه في حجلة وهو بيت العروس يُزيّن بالثياب والأسرة و الستور [ ينظرون ] إلى ماشاؤمداً أعينهم إليه من رغائب مناظر الجنة و كذا إلى أعدائهم يعدُّون في النار .

[ تعرف في وجوههم نضرة النعيم ] وهو ثاني الأوصاف والمراد من بهجة النعيم ماؤه و رونقه أي إذا رأيتهم عرفت أنهم أهل النعمة بسبب ما يرى في وجوههم من القرائن كالضحك والاستبشار كما في وجوه الأغنياء وأهل الترفه .

[ يسقون من رحيق ] و هو ثالث الأوصاف أي شراباً كائناً من صافي الخمر خالصاً عن كدورة الخمار و تغيير النكهة و إيرات الصداع [ مختوم ختامه مسك ] أي ما يختم به الطيب المعروف بدلاً عن الطين وقيل : ختام الشيء خاتمته أي أن الشارب إذا رفع فاه من آخر شربه وجد رائحة كرائحة المسك ووجد رائحة المسك لكونه ممزوجاً به كالأشربة الممسكة .

[ و في ذلك ] الرحيق خاصة دون غيره من النعيم المكدر السريع الفناء [ فليتنافس المتنافسون ] وليرغب الراغبون بالمبادرة إلى طاعة الله . والأمر للتخصيص و أصل التنافس التغالب في الشيء ، النفيس الذي يحرص عليه نفوس الناس و يريد كل واحد لنفسه .

قال علماء السلوك : المنافسة مجاهدة النفس في التشبيه بالأفاضل واللحوق بهم من غير إدخال ضررٍ على غيره و تعلق القلب بالله وطيران الضمير إليه والحركة عند ذكره و التباعد من الناس و الأُنس عند الوحدة و البكاء على ماسلف و حلاوة سماع الذكر و التدبير في القرآن و التعرّض للمناجاة .

[ و مزاجه من تسنيم ] عطف على « ختامه » صفة أخرى لرحيق وما بينهما اعترض مقرّر لِنفاسته أي يخرج بذلك الرحيق من ماء تسنيم ، التسنيم علم لعين تجري من جنّة عدن لأهلها تأتيهم من فوق فيكون من علو المكان . روي أنها تجري في الهواء متسنّمة فتصبّ في أو انبيهم فإذا امتلأت أمسك الماء حتّى لا يقع منه قطرة على الأرض فلا يحتاجون إلى الاستسقاء .

[ عيناً يشرب بها المقرّبون ] نصب « عيناً » على المدح و الاختصاص بتقدير « أعني » يشرب بها المقرّبون قرباً معنوياً روحانياً يشربون ماءها صرفاً ولكن تمزج لسائر أهل الجنّة وهم أصحاب اليمين . والباء مزيدة أو بمعنى « من » . و بالجملة الخالص الغير الممزوج للخواصّ و الممزوج لمن دونهم ، ونعم ما قال عمر بن الفارض في ميميّته :

عليك بها صرفاً فإن شئت مزجها ✽ فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلم و العدل بمعنى العدول و الظلم بالفتح هو ماء الأسنان و بريقها و بالضمّ هو الجور أي إن لم تقدر على شربها خالصاً فامزجها بزلال فم المحبّة و بريقه ولا تعدل فإنّ العدول عن ظلم الحبيب ورشحة زلاله هو الظلم .

[ إنّ الذين أجرموا ] كانوا ذوي جرم و ذنب و لا ذنب أكبر من الكفر و أذى المؤمنين لإيمانهم مثل رؤساء قريش و أكابر المجرمين كأبي جهل و الوليد بن المغيرة و العاص بن وائل و أمثالهم [ كانوا ] في الدنيا [ من الذين آمنوا ] إيماناً صادقاً [ يضحكون ] و يستهزئون بفقراء المؤمنين كعمّار و صهيب و خباب و بلال و غيرهم و تقديم الجارّ و المجرور لمراعاة الفواصل .

[ وإذا مرّوا ] أي فقراء المؤمنين [ بهم ] أي بالمشرّكين في أُنديتهم أو



بالعكس [ يتغامزون ] و يغمز بعضهم بعضاً و يشيرون بأعينهم و يعيبونهم و يقولون انظروا إلى هؤلاء يتعبون أنفسهم و يتركون اللذات لما يرجونه من المثوبات و أمر البعث و الجزاء لا يقين به و إنه بعيد كل البعد .

[ و إذا انقلبوا ] من مجالسهم [ إلى أهلهم ] وأصحابهم الجهلة الضالّة التابعة لهم ، و الانقلاب التحوّل و الرجوع [ انقلبوا ] حال كونهم [ فكهين ] متلذّذين بذكرهم بالسوء و السخريّة منهم .

[ و إذا رأوهم ] أي المجرمين المؤمنين [ قالوا ] مشيرين إلى المؤمنين بالتحقير [ إنّ هؤلاء لضالّون ] أي نسبوا المسلمين إلى الضلال بطريق التأكيد و قالوا : تر كوا دين آبائهم القديم و دخلوا في الدين الحادث أو المعنى تر كوا التنعّم الحاضر بسبب طلب ثواب لاندرى هل له وجودٌ أولاً .

[ وما أرسلوا ] أي المجرمون [ عليهم ] أي على المسلمين [ حافظين ] حال من و او « قالوا » أي قالوا ذلك و الحال أنّهم ما أرسلوا من جهة الله موكلين بهم يحفظون عليهم أمورهم و يهيمنون على أعمالهم و يشهدون برشدهم و ضلالهم و إنّما أمروا بإصلاح أنفسهم و حاصل المعنى أنّه لم يرسل هؤلاء الكفّار على المؤمنين حفظة ولو اشنغلوا بما كلّفوا كان ذلك أولى بهم .

[ فالיום ] يعني يوم القيامة [ الذين آمنوا ] أي المعهودون من الفقراء [ يضحكون ] كما ضحك الكفّار منهم في الدنيا و ذلك أنّه يفتح للكفّار باب إلى الجنّة و يقال لهم : أخرجوا إليها فإذا وصلوا إليها أغلق دونهم يفعل ذلك بهم مرّات فيضحك منهم المؤمنون حتّى يروهم أدلاء مغلولين [ على الأرائك ] على السرر و الحجال [ ينظرون ] ناظرين إلى سوء حال الكفّار .

[ هل ثوب الكفّار ما كانوا يفعلون ] كلامٌ مستأنف من قبل الله أو من قبل الملائكة و « ثوب » عبّر بالماضي لتحقّقه ، و الإثابة المجازاة أستعمل في المكافاة بالشرّ و أكثر استعمالها في المحبوب نحو<sup>(١)</sup> « فأثابهم الله بما قالوا جنّات » و قد يستعمل

في المكروه نحو<sup>(١)</sup> « فأثابكم غمّاً بغمّ » على الاستعارة لكن التثويب

التعويض كما قال صاحب القاموس ، فحينئذ التعويض

يكون بالاستحقاق فيكون مضحوكاً منهم . و

إهانة الأعداء تعظيم للأولياء . تمت

السورة بعون الله



## سورة الانشقاق

﴿مكية﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إذا السماء انشقت (١) و اذنت لربها و حقت (٢) و إذا الارض مدت (٣) و القت ما فيها و تخلت (٤) و اذنت لربها و حقت (٥) يا ايها الانسان انك كادح الي ربك كدحاً فملاقيه (٦) فاما من اوتى كتابه يمينه (٧) فسوف يحاسب حساباً يسيراً (٨) و ينقلب الي اهله مسروراً (٩) و اما من اوتى كتابه و راء ظهره (١٠) فسوف يدعوا ثبوراً (١١) و يصلى سعيراً (١٢) انه كان فى اهله مسروراً (١٣) انه ظن ان لن يحور (١٤) بلى ان ربه كان به بصيراً (١٥) فلا اقسم بالشفق (١٦) و الليل و ما وسق (١٧) و القمر اذا اتسق (١٨) لتركبن طبقاً عن طبق (١٩) فما لهم لا يؤمنون (٢٠) و اذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون (٢١) بل الذين كفروا يكذبون (٢٢) والله اعلم بما يوعون (٢٣) فبشرهم بعذاب اليم (٢٤) الا الذين آمنوا و عملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون (٢٥) .

إعرابه كأعراب « إذا السماء انفطرت » أي انصدعت ، و انشقاقها من علائم القيامة لنزول الملائكة بالأوامر الإلهية أو للسقوط و الانتقاض و لهول القيامة ، و عن أمير المؤمنين علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله « تنشق من المجرّة » و هي بفتح الميم باب السماء أي البياض المستطيل في وسط السماء سميت بذلك لأنها كأثر المجرّة تنشق السماء من ذلك المكان .

[و اذنت لربها] أي استمعت و انقادت لتأثير قدرته حين تعلقت قدرته بانشقاقها انقياداً لمطواع إذا ورد عليه أمر الأمر المطاع فهو استعارة تمثيلية على المجاز المرسل يعنى إذا أطلق الإذن في حقّ نحو السماء مما ليس في شأنه الاستماع و القبول يكون

استعارة تمثيلية نحو قوله :<sup>(١)</sup> « أتينا طاعينين » [ وحقّت ] من قولهم : هو محقوق بكذا وحقيق به أي شأنها ذلك بالنسبة إلى الأمر القاهر أي أهل وحق أن لا يتخلف عن القدرة و «حقّت» جملة معترضة مؤكدة لما قبلها لامعطوفة عليها .

[ وإذا الأرض مدت ] أي بسطت بإزالة جبالها و آكامها عن مقارّها وتسويتها بحيث صارت كالصحيفة الملساء وقيل : زيدت سعة وبسطة من أحد وعشرين جزءاً إلى تسعة وتسعين جزءاً لوقوف الخلائق عليها للحساب و إلا لم تسعهم . من مدّه إذا كان بمعنى أمدّه أي زاده . وفي الحديث « إذا كان يوم القيامة مدّ الله الأرض مدّ الأديم العكاظي » لأنّ الأديم إذا مدّ زال كلّ انشاء فيه واستوى ، وعكاظ كغراب سوق بين نخيلة والطائف بصحراء كانت تقوم هلال ذي القعدة وتستمرّ عشرين يوماً تجتمع قبائل العرب فيتعا كظون أي يتفاخرون ويتناشدون .

[ وألقت مافيها ] أي رمت الأرض مافي جوفها من الموتى والكنوز إلى ظاهرها ويكون إخراج الكنوز عند خروج الدجال ليوم القيامة وإخراج الموتى عند البعث ويوم القيامة وقت متمسّع وهو من أشرط الساعة [ وتخلّت ] عمّا فيها غاية الخلوّ حتى لم يبق فيها شيء منه كأنّها تكلفت في ذلك أقصى جهدها كما يقال : تكرم الكريم وترحمّ الرحيم إذا بلغا جهدهما في الكرم والرحمة .

[ وأذنت لربّها وحقّت ] أي انقادت الأرض في الإلقاء والتخلّي وهي حاقة بذلك الانقياد ، ذكره مرتين لأنّ الأوّل بالنسبة إلى السماء والثاني بالنسبة إلى الأرض فليس بتكرار ، وجواب «إذا» محذوف للدلالة وتقديره إذا وقعت هذه الأمور كان من الأحوال ما يقصر العبارة عن بيانه أو التقدير يرى حينئذ الإنسان ثواب عمله و عقاب عمله .

[ يا أيّها الإنسان ] جنس الإنسان الشامل للمؤمن والكافر كأنّه قال : يا فلان ويا فلانة [ إنك كادح إلى ربك كدحاً ] الكدح جهد النفس في العمل والكدّ فيه بحيث يؤثّر فيها من كدح جلده إذا خدشه والمعنى أنك جاهد و مجدّ وساع

باجتهاد ومشقة إلى لقاء ربك وهو الموت أي ساع إليه في عملك [ فملاقه ] أي ملاق جزاء عملك وصائر إليه وإلى حكمه حيث لاحكم إلا حكمه ولا مفر لك منه ، وحاصل المعنى أن جدك إلى مباشرة الأعمال في الدنيا هو في الحقيقة سعي إلى لقاء جزائها في العقبى فعليك أن تباشر بما ينجيك في العقبى لا ما يرديك فإن كل عامل سيقدم إلى ما أسلف .

ثم قسم أحوال الخلق فقال : [ وأما من أوتي كتابه ] أي من يؤتى والماضي لتحقيقه ، كتابه المكتوب فيه أعماله التي كدح في كسبها [ بيمينه فسوف يحاسب يوم القيامة ] حساباً يسيراً [ سهلاً ] لامناقشة واعتراض فيه كما يناقش أصحاب الشمال، وهو المؤمن السعيد ، و الحساب اليسير حطّ الأوزار عنه إما بالتوبة أو بالعفو و الإثابة على الحسنات وذلك لا يمانه و من نوقش في المحاسبة عذب وفي الحديث « ثلاث من كن فيه حاسبه الله حساباً يسيراً وأدخله الله الجنة برحمته قالوا : وما هي يا رسول الله؟ قال : «تعطي من حرمك ، وتصل من قطعك ، وتعفو عمن ظلمك » . [ وينقلب ] من مقام الحساب اليسير [ إلى أهله ] وفريق المؤمنين وأهل السعادة [ مسروراً ] مبتهجاً بكونه من أهل النجاة قائلاً : (١) « هاؤم اقرءوا كتابيه » .

[ وأما من أوتي كتابه ] أي يؤتى كتاب عمله [ وراء ظهره ] أي بشماله من وراء ظهره ظرف متعلق لا وني قال الكلبي : يغلب يمينه ثم تلوي يده اليسرى من ورائه فيعطى كتابه بشماله ولا منافاة بين هذه وما في « الحاقّة » حيث قال : (٢) « بشماله » لأنه يمكن أن يكون بعضهم يعطى بشماله وبعضهم من وراء ظهره ويحتمل أن من أوتي كتابه وراء ظهره هم الذين أوتوا الكتاب فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فإذا كان يوم القيامة قيل له : خذ من وراء ظهرك من الموضع الذي نبذته فيه في حياتك الدنيا .

فإن قيل : إن ملك اليمين أي شيء يكتب للكافر ولم يكن له حسنة يكتبها ؟

(١) سورة الحاقّة : ١٩ .

(٢) > > : ٢٥ .

فالجواب أنّه يأمر و يأذن صاحب الشمال بكتب سيئاته ويكون هو شاهد أعلى ذلك وإن لم يكتب .

[ فسوف يدعو ثبوراً ] حكى سبحانه ما يحلّ به أي بعد ما قرء كتابه «يدعو» هلاكاً ويقول : واثبوراه واهلاكاه! [ ويصلى سعيراً ] يدخلها ويقاسي حرّها وعذابها من غير حائل [إنه كان في أهله مسروراً] بيان للعلة . كان في الدنيا في أهله وعشيرته مترفاً بطراً مستتبشراً لا يخطر بباله أمور الآخرة ولا كان مصدقاً بها فارغاً من همّ الآخرة بخلاف المؤمن فإنّه كان له نائحة في قلبه من الحزن والخوف من التقصير .

[إنه ظنّ] وهو تعليل لسروره في الدنيا أي إن هذا الكافر ظنّ في الدنيا [ أن لن يحور ] «أن» مخففة ، لن يرجع إلى حال الحياة في الآخرة للجزاء ، والحور الرجوع ، وحر إلى أهلك أي ارجع ومنه الحديث «أعوذ بالله من الحور بعد الكور» أي الرجوع عن الحالة الجميلة ، والحور القصار لرجعة الثوب إلى البياض . [ بلى إن ربّه كان به بصيراً ] إيجاب لما بعد « لن » أي بلى ليحورنّ البتّة وليس الأمر كما يظنّ فإنّ الذي خلقه كان به وبأعماله الموجبة للجزاء عالماً بحيث لا تخفى عليه خافية فلا بدّ من رجعه وحسابه وجزائه حتماً .

[ فلا أقسم بالشفق ] مرّ تفسيره في سورة « لا أقسم بيوم القيامة » الشفق هي الحمرة التي تشاهد في أفق المغرب بعد الغروب و بغيوبتها يخرج وقت المغرب و يدخل وقت العشاء عند أهل السنّة أو المراد من الشفق البياض الذي يليها لكن مناسبة الشفق بمعنى البياض أكثر وهو من الشفقة التي هي عبارة عن رقه القلب ولا شك أنّ ضوء الشمس يأخذ في الرقّة والضعف من غيبتها إلى أن يستولي سواد الليل على الآفاق و عن عكرمة و مجاهد الشفق هو النهار فعلى هذا يقع القسم بالليل و النهار اللذين أحدهما معاش و الآخر سكن و بهما قوام أمور الخلق و قيل : الشفق اختلاط ضوء النهار بسواد الليل عند غروب الشمس .

[ و الليل وما وسق ] الوسق جمع المتفرّق و أقسم سبحانه بالليل و ما جمعه

و ضمّه و ستره بظلمته و « ما » عبارة عمّا يجتمع بالليل و يأوي إلى مكانه من الدوابّ و الحشرات و الهوامّ و السباع لأنّه إذا كان الليل أقبل كلّ شيء إلى مأواه أو المراد بما جمعه الليل من العباد المتهجدين .

[ والقمر إذا اتسق ] أي استوى و كمل نوره وهو ليالي البدر يقال : أمور متّسقة أي مجتمعة على الصلاح ومنتظمة .

[ لتر كبنّ طبقاً عن طبق ] هذا جواب القسم قرى ، « لتر كبنّ » بفتح الباء أي لتر كبنّ يا محمد (صلى الله عليك) درجة بعد درجة و رتبة بعد رتبة في رفعة المنزلة والقربة عند الله ، و بضمّ الباء فالخطاب للناس أي حالاً بعد حالٍ منزلاً بعد منزلٍ وأمرأ بعد أمرٍ في القيامة والأحوال تتغيّر بكم فتصيرون على غير الحال التي كنتم عليها في الدنيا .

و « عن » بمعنى « بعد » كما قال سبحانه <sup>(١)</sup> : « عمّا قليل ليصبحنّ نادمين » أي بعد قليل قال الشاعر التغلبيّ :

قرّب با مربط النعمامة منّي  
لقت حرب وائل عن حيال

أي بعد حيال و قيل : المراد شدة بعد شدة حياة ثم موت ثم بعث ثم جزاء و قيل : المراد اختلاف أحوالكم في الدنيا شدة بعد رخاء و فقراً بعد غنى و غنى بعد فقر و صحّة بعد السقم و سقماً بعد الصحّة و قيل : نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظماً ثم خلقاً آخر جنيناً و وليداً و رضيعاً و فطيماً و يافعاً ثم ناشئاً ثم مترعراً ثم خروراً ثم مراهقاً ثم محتلماً ثم بالغاً ثم أمرد ثم طاراً ثم باقلاً ثم مسيطراً ثم مترحماً ثم مختلطاً ثم صملاً ثم ملتجئاً ثم مستويماً ثم مصعداً ثم مجتمعاً ، والحاصل أنكم لتبعرنّ بكم الأحوال حالاً بعد حال .

وإذا كان هكذا أمركم و انقلاب أطواركم في الدنيا أوفي الآخرة و كلّ هذه الأمور دالّة على خالقكم و مصوركم [فما لهم لا يؤمنون] فأى شيء لهم حالكونهم غير مؤمنين وما يمنعون عن الإيمان بخالقهم مع تعاضد موجباته [و إذا قرى، عليهم القرآن

لا يسجدون] جملة شرطية محلها النصب على الحالية نسقاً على ما قبلها أي مانع لهم حال عدم سجودهم واستكانتهم عند قراءة النبي ﷺ أو واحد من أصحابه وأُمَّته القرآن لا يخضعون له؟ فإنَّهم من أهل اللسان فيجب عليهم أن يجزموا بأعجازه وصحته عند سماعه و بكونه كلاماً إلهياً ويعلموا بذلك صدق محمّد في دعوى النبوة فيطيعوه و يصلّون لله . و بعض فسّروا بأنّ المراد بالسجود في الآية الصلاة ويجوز أن يراد به نفس السجود عند تلاوة آية السجدة على أن يكون المراد بالقرآن آية السجدة بخصوصها لا مطلق القرآن كما روي أنه ﷺ قرء ذات يوم<sup>(١)</sup> « واسجد واقرب » فسجد هو و من معه من المؤمنين و قریش تصفق فوق رؤوسهم و تصفر استهزاء . عند أهل السنة هذه الآية الثالثة عشر من أربع عشرة سجدة تجب عندها السجدة . [ بل الذين كفروا يكذبون ] بالقرآن الناطق و لذلك لا يخضعون عند تلاوته [ والله أعلم بما يعنون ] بما يضمرونه في قلوبهم من الكفر والحسد فيجازيهم على ذلك في الدنيا والآخرة . أو عيت الشيء أي جعلته في وعاء ثم استعير لمعنى الحفظ . [ فبشّرهم ] أي الذين كفروا [ بعذاب أليم ] مولم غاية الإيلام وهو استهزاء و تهكم بهم [ إلا الذين آمنوا ] استثناء منقطع من الضمير المنصوب في [ بشّرهم ] و المستثنى المؤمنون أي لكنّ الذين آمنوا إيماناً صادقاً [ عملوا الصالحات ] من الطاعات [ لهم ] في الآخرة [ أجرٌ غير ممنون ] غير مقطوع بل متّصل دائم، من منته منّا أي قطعاً أو المعنى بغير منّة تكدر .

و في قوله: « لا يؤمنون » و « لا يسجدون » دلالة على الاختيار و بطلان

مذهب الجبر و يدلّ على أنّ الكفر و الأيمان فعلهم لأنّ

الحكيم لا يقول : مالك لا تؤمن ولا تسجد؟ لمن يعلم

أنّه لا يقدر على الإيمان و السجود .

تمت السورة بعون الله



## سورة البروج

﴿ مكية ﴾

قال النبي ﷺ : و من قرأها أعطاه الله الأجر بعدد كل يوم جمعة و كل يوم عرفة يكون في الدنيا عشر حسنات .

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والسمااء ذات البروج (١) و اليوم الموعود (٢) و شاهد و مشهود (٣)  
قتل اصحاب الاخدود (٤) النار ذات الوقود (٥) اذ هم عليها قعود (٦) وهم  
على ما يفعلون بالمؤمنين شهود (٧) و ما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله  
العزیز الحمید (٨) الذي له ملك السموات و الارض و الله على كل شيء  
شہید (٩) ان الذين فنتوا المؤمنین و المؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب  
جهنم و لهم عذاب الحریق (١٠) ان الذين آمنوا و عملوا الصالحات لهم  
جنات تجري من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير (١١) ان بطش ربك  
لشدید (١٢) انه هو یبدیء و یعید (١٣) و هو الغفور الودود (١٤) ذو العرش  
المجید (١٥) فعال لما یرید (١٦) هل اتیک حدیث الجنود (١٧) فرعون و ثمود (١٨)  
بل الذين كفروا في تكذيب (١٩) و الله من ورائهم محیط (٢٠) بل هو قرآن  
مجید (٢١) في لوح محفوظ (٢٢) .

[ والسمااء ] كل جرم علوي فهو سمااء فيدخل في هذا التعريف العرش [ ذات  
البروج ] والمراد من البروج الاثنا عشر التي في الفلك وهي المنازل العالية والمراد  
هنا من البروج منازل الشمس والقمر والكواكب وشبهت منازلها بالقصور التي تنزل  
فيها الأكابر والأشراف لأن البرج معناه القصر ويشتمل على المحاسن يقال : تبرجت

المرءة أي تشبّهت بالبرج في إظهار المعاسن .

قال السهيلي<sup>١</sup> : أسماء البروج : الحمل وبه يبدأ وفي شهر هذا البرج يدخل في أواخره نيسان أي في ثلث آخره وكان مولد النبي ﷺ في نيسان عند طلوع الغفر بفتح الغين المعجمة منزل للقمر ثلاثة أنجم صغار و الغفر يطلع في ذلك الشهر أوّل الليل لأنّ وقته النطح وهو الشرطان بالمعجمة و الفتحيتين و هما نجمان من الحمل قرنا الحمل، وإلى الحمل أيضاً يضاف البطين كزبير منزل للقمر ثلاثة كواكب صغار كأنّها أثافي وهو بطن الحمل .

وبالجملة فبعد الحمل من البروج الثور، ثمّ الجوزاء ويقال لها : النسر والجبار والتوأمان ، وهامة الجوزاء الهقعة وهي ثلاثة كواكب فوق منكبي الجوزاء كالأثافي إذا طلعت مع الفجر اشتدّ حرّ الصيف، ثمّ السرطان، ثمّ الأسد، ثمّ السنبله، ثمّ الميزان، ثمّ العقرب و كو كبان نيران في قرني العقرب وبين الزبانيين من العقرب وبين وركي الأسد ورجليه و هما السماك يطلع الغفر الذي به مولد الأنبياء وفيه قالوا : « حرّ المنازل في الأبد بين الزباني والأسد» لأنّه يليه من الأسد ذنبه و لا ضرر فيه ومن العقرب زبانيها ولا ضرر فيهما و إنّما يضرّ بذنبيها إذا شالته أي رفعته وهو الشولة في المنازل و كو كبان نيران ينير لهما القمر يقال لهما : حمة العقرب ، ثمّ القوس ، ثمّ الجدي، ثمّ الدلو، ثمّ رشاء الدلو وهو الحوت .

وجعل الله الشهور على عدد هذه البروج فقال<sup>(١)</sup> : « إنّ عدّة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً » و الفصول الأربعة في هذه الشهور من الربيع و الصيف و الخريف و الشتاء . والبروج الاثنا عشر منقسمة إلى هذه المنازل الثمانية والعشرين و الشمس تسير في تمام هذه البروج في كلّ سنة والقمر في كلّ شهر و قد تعلّقت بها منافع و مصالح للعباد فأقسم الله تعالى بها إظهاراً لقدرها .

من مجمع البحرين عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « ذكر الله عبادة

وذكرني عبادة وذكر عليّ عبادة وذكر الأئمة عبادة ، والذي بعثني بالنبوة إن وصيّي لأفضل الأوصياء ومن ولده الأئمة الهداة بعدي، بهم يحبس الله العذاب عن أهل الأرض وبهم يمسك السماء أن تقع على الأرض وبهم يمسك الجبال أن تميد بهم و بهم يسقي خلقه الغيث و بهم يخرج النبات أولئك أولياء الله حقاً وخلقاًؤه صدقاً عدتهم عدّة الشهور وعدّة نقباء موسى بن عمران ثمّ تلا صلى الله عليه وآله هذه الآية : والسماء ذات البروج، ثمّ قال : يا ابن عباس إن الله يقسم بالسماء ذات البروج ويعني بها السماء وبروجها « قلت : يا رسول الله فما ذا ؟ قال صلى الله عليه وآله : «أمّا السماء فأنا وأمّا البروج فالأئمة بعدي أولهم عليّ وآخرهم المهديّ » صلى الله عليهم .

[ واليوم الموعود ] أي يوم القيامة أقسم الله به تنبيهاً على قدره وعظمه أيضاً من حيث كونه يوم الفصل وتفرّد الحكم له تعالى [ و شاهد ومشهود ] فيه أقوال :

**أحدها** أنّ الشاهد يوم الجمعة و المشهود يوم عرفة كما قال ابن عباس و جماعة و روي ذلك عن أبي جعفر وأبي عبد الله و روي ذلك عن النبيّ وسمّي يوم الجمعة « شهاداً » لأنّه يشهد على كلّ عامل بما عمل فيه وفي الحديث «ماطلعت الشمس على يوم ولا غربت عن يوم أفضل منه و فيه ساعة لا يوافقها من يدعو فيها الله بخير إلّا استجاب له ولا استعاذ من شرّ إلّا أعاده منه» و يوم عرفة مشهود يشهد الناس فيه موسم الحجّ وتشهده الملائكة .

**و ثانيها** أنّ الشاهد يوم النحر و المشهود يوم عرفة .

**و ثالثها** أنّ الشاهد محمد صلى الله عليه وآله و المشهود يوم القيامة قال سبحانه (١) : « يا أيّها النبيّ إنّنا أرسلناك شاهداً و مبشراً و نذيراً » وقال (٢) : « ذلك يوم مجموع له الناس و ذلك يوم مشهود » وقيل : الشاهد الله و المشهود لإله إلّا الله لقوله (٣) : « شهد الله أنّه لا إله إلّا هو » وقيل أقوال آخر لاحاجة في الإطالة .

(١) سورة المزمّل : ١٥ .

(٢) > يونس : ١٠٤ .

(٣) > آل عمران : ١٨ .

[ قتل أصحاب الأُخدود ] جواب القسم بحذف اللام المؤكدة أي لقد قتل و  
 أهلك بغضب الله ولعنته و لعنوا بتحريقهم الناس في الدنيا أو في الآخرة و المراد بهم  
 الكافرون الذين حفروا الأُخدود و عذبوا المؤمنين بالنار ، و يحتمل أن يكون إخباراً  
 عن المسلمين الذين عذبوا بالنار في الأُخدود فيكون أن المؤمنين قتلوا بالأحراق  
 في النار ذكرهم الله بحسن بصيرتهم و صبرهم على دينهم ولا يعطون التقيّة بالرجوع  
 عن الإيمان لتصلبهم في الدين .

وقيل : إن الجملة دعائية دالة على الجواب لا خبرية و سوق الكلام يفيد  
 معنى وهو أن كفار مكة ملعونون كما لعن أصحاب الأُخدود لأنّ السورة وردت  
 لتثبيت المؤمنين على الصبر من أذى المشركين و ما يلقون منهم و يعلموا أن هؤلاء  
 عند الله بمنزلة أولئك و يقال فيهم ما قد قيل فيهم . والأُخدود الخدّ في الأرض وهو  
 شقّ مستطيل كالنهر غامض عميق القرار . وأصحاب الأُخدود كانوا ثلاثة وهم أنطيانوس  
 الروميّ بالشام<sup>(١)</sup> و بنخت نصرّ بفارس<sup>(٢)</sup> و يوسف ذونواس الحميريّ بنجران موضع  
 باليمن ، شقّ كل واحد منهم شقاً عظيماً في الأرض كان طوله أربعين زراعاً و عرضه  
 اثني عشر زراعاً و ملاءوه ناراً و ألقوا فيه من لم يرتدّ عن دينه من المؤمنين ، و القرآن  
 إنّما نزل في الذين بنجران في سلطنة ذي نواس الحميريّ اليهوديّ و جنوده و ذونواس  
 اسمه زرة بن حسان و كان اسمه أيضاً يوسف و كانت له ذوائب تنوس و تضطرب على  
 عاتقه فسمي ذانواس .

وقصته أن عبدأصالحاً يقال له « عبدالله بن الثامر » كان بنجران و كان على دين  
 عيسى عليه السلام فدعاهم فأجابوه فسار إليهم ذونواس بجنود من حمير فخيّرهم بين النار

(١) وهو الذي اغار على بنى اسرائيل وقتل ملكهم وشتت جمعهم بعد ما فسدوا في الارض  
 و اشار إليه في قوله تعالى في سورة الاسراء : « فاذا جاء وعدا لهما بعثنا عليكم عباداً لنا اولي  
 بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً » .

(٢) هو في التوراة الموجود « نبوكد نصر » ملك « بابل » شدد القتل والنهب والاسر و  
 التبعيد على بنى اسرائيل وقتل جما غفيراً من أنبيائهم وحمل معه « ارميا » وفيه قال تعالى :  
 « فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة و ... » .

واليهودية فأبوا فحفر الخنادق وأضرم فيها النيران فجعل يلقي فيها كل من اتبع ابن الثامر حتى أحرق نحواً من اثني عشر ألفاً أو سبعين ألفاً .

و روى مسلم في الصحيح معنعناً عن صهيب عن رسول الله ﷺ قال : « كان ملك فيمن كان قبلكم له ساحر فلماً مرض الساحر قال : إنني قد حضر وفاني فادفع إليّ غلاماً أعلمه السحر فدفع إليه غلاماً كان يختلف إليه فكان في طريقه إذا سلك نحو الساحر ليتعلم السحر راهب فقعد الغلام نحو الراهب و سمع كلامه فأعجب الغلام من كلام الراهب فكان إذا أتى الساحر مرّ بالراهب وقعد إليه يستمع منه فإذا أتى الساحر ضربه لمكثه و بطئه فشكا الغلام ذلك إلى الراهب فقال الراهب للغلام : إذا خشيت الساحر فقل : حبسني أهلي ومنعوني وإذا خشيت أهلك فقل : حبسني الساحر ، فبينما هو كذلك إذ أتى دابة عظيمة أي حية عظيمة أو أسد عظيم فقال الغلام : اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب فأخذ حجراً و قال : اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يستريح الناس فرماها فقتلها و مضى فأتى الراهب و أخبره فقال الراهب : أي بني أنت اليوم أفضل مني قد بلغ من أمرك ما أدري و إنك ستبتلي فإن ابتليت فلا تدلّ عليّ .

وكان الغلام يبرىء الأكمه و الأبرص ويداوي الناس فسمع جليس للملك كان قد عمي فأتاه بهدايا كثيرة فقال : ما ههنا لك أجمع إن أنت شفيتني قال : إنني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله فإن آمنت بالله دعوت الله فشفاك فأمن بالله فشفاه الله فأتى الملك و جلس إليه كما كان يجلس فقال الملك : من ردّ عليك بصرك؟ قال : ربّي فقال : أو لك ربّ غيري؟ قال : ربّي و ربك الله، فأخذه فلم يزل يعذّب به حتى دلّ على الغلام فجاءه بالغلام فقال له الملك : أي بني قد بلغ من سحرك ما تبرىء الأكمه و الأبرص ؟ فقال الغلام : إنما يشفي الله فأخذه فلم يزل يعذّب به حتى دلّ على الراهب فجاءه بالراهب فقال له : ارجع عن دينك فأبى فدعا بالمنشار فيمفرق رأسه فشقّه به حتى وقع شفاه ثم جيء بجليس الملك فقيل له : ارجع عن دينك

فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقّه ثمّ جيء بالغلام فقيل له : ارجع عن دينك فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه وقال لهم : اذهبوا به إلى جبل كذا فاصعدوا به الجبل فإذا بلغت ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال الغلام : اللهمّ اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك : ما فعل أصحابك ؟ قال : كفناهم الله فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال : اذهبوا به إلى قرقور<sup>(١)</sup> فتوسّطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فاقدفوه فذهبوا به فقال : اللهمّ اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا و سلم وجاء إلى الملك فقال له الملك : ما فعل أصحابك ؟ قال : كفناهم الله .

ثمّ قال للملك : إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به قال : وما هو ؟ قال : تجمع الناس في صعيد و تصلبني على جذع ثمّ تأخذ سهماً من كنانتي ثمّ ضع السهم في كبد القوس ثمّ قل : بسم الله ربّ الغلام ففعل الملك ما قال : فرماه فوق السهم في صدغه فوضع الغلام يده على صدغه في موضع السهم فمات فقال الناس : آمناً بربّ الغلام آمناً بربّ الغلام .

فأتى الملك آت فقال له : قد نزل بك ما كنت تحذر منه و آمن الناس فأمر بالأخدود في أفواه السكك<sup>(٢)</sup> و قال : من لم يرجع عن هذا الدين فاطرحوه فيها كرهاً ففعلوا حتى جاءت امرأة و معها صبيّ رضيع لها فتأخّرت المرأة و تقاعست أن تقع فيها فقال لها الصبيّ : يا أمّاه اصبري فإنك على الحقّ وقيل : كان لها ثلاثة أولاد أحدهم رضيع فقال لها الملك : ارجعي عن دينك وإلا ألقيتك و أولادك في النار فأبت فأخذ ابنها الأكبر وألقاه في النار ثمّ قال : ارجعي فأبّت فألقى ابنها الأوسط في النار ثمّ قال لها : ارجعي عن دينك فأبّت فأخذوا الصبيّ ليلقوه فيها فهمت بالرجوع فقال الصبيّ : يا أمّاه لا ترجعي عن الإسلام ولا بأس عليك فألقى الصبيّ في النار و أمّه على أثره ، وكان هو ممن تكلم في المهدي وهو صبيّ رضيع .

(١) السفينة العظيمة .

(٢) أى في السوق بمرعى من الناس .

و عن عليّ أمير المؤمنين عليه السلام « إن بعض ملوك المجوس وقع على أخته وهو سكران فلمّا صحاندم و طلب المخرج فأمرته بأن يخطب للناس فيقول : إن الله قد أحلّ نكاح الأخوات ثمّ يخطبهم بعد ذلك بأنّ الله حرّمه فخطب فلم يقبلوا منه هذا الأمر فقالت له : ابسط فيهم السوط ففعل فلم يقبلوا منه فأمرته بالأخايد و إيقاد النار و طرح من أبي فيها فهم الذين أرادهم بقوله : « قتل أصحاب الأخدود » انتهى .

[ النار ذات الوقود ] بدل اشتمال من الأخدود ، ذات ارتفاع اللهب [ إذهم عليها قعود ] ظرف لقتل و الضمير لأصحاب الأخدود ، وفي بعض التفاسير على سرور و كراسي قعود عند النار في مكان مشرف و يعرضون المؤمنين على النار فمن يترك دينه تركوه و من لم يترك ألقوه في النار وأحرقود . و «قعود» جمع قاعد و لفظ « على » مشعر بالاستعلاء .

[ وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود ] جمع شاهد يعني الملك وأصحابه الذين خدّوا الأخدود على ما يفعلون « شهود » أي حضور قيل : إنهم كانوا فرقتين فرقة يُعذب المؤمنون و فرقة يشاهد ولم يتولوا تعذيبهم لكنهم قعود رضوا بفعل أولئك و كانت الفرقة القاعدة مؤمنة لكنهم لم ينكروا على الكفار صنعهم فلعنهم الله جميعاً . و قيل : المراد من قوله : « وهم على ما يفعلون بالمؤمنين » أي يشهد بعضهم لبعض عند الملك بأنّ أحداً لم يقصّر فيما أمر به من إحراق المؤمنين . و في رواية ارتفعت النار فوقهم أربعين ذراعاً فوقعت عليهم فأحرقتهم و نجّى الله المؤمنين بأن أخذ أرواحهم قبل أن تمسّهم النار كما فعل بأسية امرأة فرعون لكن نظم الآية يقتضي وصف المؤمنين في تصلّبهم في دينهم و بيان قوّة إيمانهم بأنّ عذبوا بالنار ولم يشر كوا . [ و ما نقموا منهم ] أي و ما عابوا ذكر هذا المؤمنين ، يقال : نقم الأمر إذا عابه و أنكره [ إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد ] قال بلفظ المضارع مع أنّ الإيمان وجد منهم في الماضي لإرادة الاستمرار و الدوام عليه فإنهم ما عذبوهم لإيمانهم في الماضي بل لبقائهم و دوامهم عليه في الآتي . و عنوان هذا الاستثناء مفسّح

عن براءتهم مما يعاب وينكر فهو تمديح لهم بصورة الاستثناء على منهاج قول النابغة حيث يقول :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ☆ بهن فلول من قراع الكتاب  
وهذا البيان صفة مدح لا صفة ذم لأن ما جعله النابغة بصورة العيب هو عين المدح .

[ الذي له ملك السماوات والأرض ] فوصف سبحانه بهذه الصفات ليعلم أنه لم يمهل الكفار لأجل أنه غير قادر لكنّه أراد أن يبلغ بهؤلاء المؤمنين مبلغاً عظيماً من الثواب لم يكونوا يبلغونه إلا بمثل ذلك التحمل و الصبر ولا اعتراض لأحدٍ عليه في ملكه :

و هيات هيات الصفاء لعاشق ☆ و جنّة عدنٍ بالملكه حفّت  
[ والله على كل شيء شهيد ] لم يخف عليه فعلهم بالمؤمنين وهو شاهد بأعمالهم ويجازيهم و ينتصف للمؤمنين .

[ إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ] أي الذين أحرقوهم وعدّوهم بالنار [ ثم لم يتوبوا ] من فعلهم ذلك ومن الشرك الذي كانوا عليه [ فلهم عذاب جهنم ] بكفرهم . قال بعض علماء العامة : إن ذلك يدل على أن توبة القاتل عمداً مقبولة [ ولهم عذاب الحريق ] بما أحرقوا المؤمنين ، وفصل بين عذاب جهنم و عذاب الحريق مع أنهما واحد فالمراد أن لهم أنواع العذاب في جهنم سوى الإحراق مثل الزقوم و الغسلين و المقامع و قيل : المراد أن لهم عذاب جهنم في الآخرة و لهم عذاب الحريق في الدنيا وذلك أن النار ارتفعت من الأخدود فأحرقتهم كما قال الكلبي . ثم ذكر ما أعدّه للمؤمنين فقال : [ إن الذين آمنوا ] و صدّقوا بتوحيد الله [ و عملوا الصالحات لهم جنّات تجري من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير ] بسبب إيمانهم و أعمالهم يجازون جنّات جارية فيها الأنهار بمقابلة ما قاسوا من الشدائد و الصبر على أذى الكفار « ذلك » أي حصول الجنّة « الفوز الكبير » الذي تصغر عنده الدنيا .



ثم قال سبحانه متوعداً إلى الكفار والعصاة : [ إن بطش ربك لشديد ]  
البطش تناول الشيء ، بصولة والأخذ بعنف يقال : يدباطشه . أي أخذه تعالى إليهم  
بالعذاب متفاقم وإن كان بعد إمهال فإنه عن حكمة لاعن عجز [ إنه هو ] وحده  
[ يبدى ، ويعيد ] لينشىء الخلق ثم يميتهم ويعيدهم إحياءاً للمجازاة وفيه مزيدا للتقرير  
لشدّة بطشه . وقيل : معناه أنه يبدى ، بالعذاب في الدنيا ثم يعيده في الآخرة ،  
أو المعنى يبدى ، العذاب في الآخرة ثم يعيده فيها بقوله (١) : « كلما نضجت جلودهم  
بدّلناهم جلوداً غيرها » قال ابن عباس : إن أهل جهنم تأكلهم النار حتى يصيروا  
فحماً ثم يعيدهم خلقاً جديداً .

قال حذيفة بن اليمان : قال لي رسول الله ﷺ : يا حذيفة إن في جهنم  
لسباعاً من نار و كلاباً من نار و سيوفاً من نار و كلاب من نار وإنه يبعث ملائكة  
يعلقون أهل النار بتلك الكلاب ليأخذوا بهم ويقتطعونهم بتلك السيوف عضواً عضواً  
ويلقونها إلى تلك السباع و الكلاب كلما قطعوا عضواً عاد آخر مكانه غضاً طرياً .  
و بالجملة المبدى ، المعيد معناه الموجد لكن الإيجاد إذا لم يكن مسبوقاً  
بمثله سمّي إبداء و إن كان مسبوقاً بمثله يسمّى إعادة ، وخاصية الاسم المبدى ،  
أن يقرء على بطن الحامل سحراً تسعاً و عشرين مرة فإن ما في بطنها يثبت و نافع ،  
و لتذكار المحفوظ إذا نسي اسم المعيد لاسيما إذا أضيف إليه اسم المبدى .

[ وهو الغفور ] لمن تاب و لمن لم يتب إذا شاء [ الودود ] لمن أطاع . وفي الأثر  
« إن أود الأوداء إلي من عبدني لغير نوال » وأصل الود من الودت وهو أثبت من المحبة  
و الودود من عباد الله من يريد لخلق الله ما يريد لنفسه و أعلى فمن ذلك من يؤثرهم  
على نفسه ولم يمنعه سوء صنيعهم عن إرادة الخير لهم و الإحسان إليهم كما قال ﷺ :  
حين كسرت رباعيته و دمي و وجهه و ضرب : « اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون » .

قال أمير المؤمنين عليه السلام : « إن أردت أن تسبق المقر بين فصل من قطعك و أعط  
من حرملك و اعف عن ظلمك » و خاصية اسم الودود ثبوت الوداد لاسيما بين

الزوجين فمن قرأه ألف مرّة على طعام و أكله مع زوجته غلبتها محبته و تطيعه .  
 [ ذو العرش المجيد ] ذو الملك و السلطنة القاهرة على المخترعات العلوية  
 و السفلية و إن لم يكن على السرير ، يقال : ثلّ عرشه إذا ذهب سلطانه، و المجد  
 هو الشريف ذاته الجميل أفعاله الجزيل نواله فشرّف الذات إذا قارنه حسن الفعال  
 سمي مجيداً و ما جداً و التمجيد ذكر الصفات الحسنة، و مجد العرش علوه في الجهة  
 و عظّمته و حسن صورته ، و تركيبه أحسن الأجسام تر كيباً ، أظهره الله و خلقه  
 إظهاراً للقدرّة لامكاناً و لا احتياجاً إليه .

قال بعض المحقّقين : إنّ من العجب أنّ الله لوملاً العرش مع تلك السعة  
 من حبوب الذرّة و خلق طيراً أكل حبة واحدة منها في ألف سنة لنفدت الحبوب  
 و لا تنقطع مدّة الآخرة و مع هذا لا يخاف بنو آدم من عذاب تلك المدّة و يضيّعون  
 أعمارهم في شيء سريع الزوال .

[ فعّال لما يريد ] بحيث لا يتخلف عن إرادته مراد من الإحياء و الإماتة  
 و الإعزاز و الإذلال و الإغناء و الإقتار و الوصل و الفرق إلى غير ذلك من شؤونه .  
 [ هل أتاك حديث الجنود ] أي هل بلغك أخبار الذين تجنّدوا على أنبياء  
 الله و قيل : « هل » بمعنى « قد » ثمّ بيّن سبحانه الجنود [ فرعون و ثمود ] بدل  
 من الجنود مع أنّه غير مطابق ظاهراً للمبدل منه في الجمعيّة لأنّ المراد قوم  
 فرعون أي عرفت ما صدر منهم من التكذيب و ما وقع عليهم من التعذيب فدكّر  
 قومك و أنذرهم أن يصيبهم مثل ما أصابهم لأنّهم قد سمعوا قصّة فرعون من أهل  
 الكتاب و رأوا آثار هلاك قوم صالح لأنّها كانت في مرهم .

[ بل الذين كفروا ] من قومك [ في تكذيب ] إضراب عن مماثلتهم لهم و بيان  
 لكونهم أشدّ منهم في الكفر . و تنكير « تكذيب » للتعظيم فإنّهم يكذبون بالقرآن الناطق  
 و الصامت [ والله من ورائهم محيط ] محيط بهم بالقدرّة من خلفهم و فيه بيان لعدم نجاتهم من  
 بأس الله بحيث لا يجدون مهرباً منه و هذه الإحاطة ليست كاحاطة الظرف بالمظروف  
 و لا كاحاطة الكلّ بأجزائه بل كاحاطة الملزوم بلازمه فإنّ التعيّنات اللاحقة لذاته

إنّما هي لوازم له بواسطة أو بغير واسطة ولا تقدح كثرة اللوازم في وحدة الملزوم .  
[ بل هو قرآن مجيد ] أي ليس الأمر كما زعموا من تكذيب القرآن وهذا  
الذي كذبوا به قرآن شريف عالي الطبقة فيما بين الكتب الإلهية ومتضمن للمكارم  
الدينية والأخوية .

[ في لوح محفوظ ] من التحريف و وصول الشياطين إليه ومن النسخ والتحريف  
و النقصان و هذا المعنى على قراءة من رفع « محفوظ » و جعله صفة للقرآن وعلى  
قراءة من جرّه فجعله صفة للوح فالمعنى أنّه محفوظ عند الله لا يطلع عليه  
غير بعض الملائكة وهو أم الكتاب ومنه نسخ الكتب والقرآن  
وهو الذي يعرف باللوح من دُرّة بيضاء طوله ما  
بين السماء والأرض وعرضه ما بين المشرق  
و المغرب . تمت السورة بعون الله



## سورة الطارق

﴿مكية﴾

من قرأها أعطاه بعدد كلّ نجم في السماء عشر حسنات .

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

و السماء والطارق (١) و ما ادريك ما الطارق (٢) النجم الثاقب (٣)  
ان كل نفس لما عليها حافظ (٤) فلينظر الانسان مم خلق (٥) خلق من ماء  
دافق (٦) يخرج من بين الصلب و العرائب (٧) انه على رجه لقادر (٨) يوم  
تبلى السرائر (٩) فماله من قوة ولا ناصر (١٠) و السماء ذات الرجوع (١١)  
و الارض ذات الصدع (١٢) انه لقول فصل (١٣) و ما هو بالهزل (١٤) انهم  
يكيدون كيدا (١٥) و أكيد كيدا (١٦) فمهل الكافرين أمهلهم و ويدا (١٧) .

الطارق إذا جاء ليلاً ، و أصل الطرق الدقّ و منه سميت المطرقة لأنّه يطرق  
بها الحديد وسمّي الطريق طريقاً لأنّه يضرب بالرجل وسمّي قاصد الليل طارقاً  
لاحتياجه إلى طرق الباب غالباً حيث إنّ الأبواب مغلقة بالليل ثمّ اتّسع في كلّ  
ما ظهر بالليل كائناً ما كان حتّى أُطلق على الصور الخياليّة البادية بالليل و  
المراد في الآية الكوكب البادى، بالليل ، أقسم سبحانه بالسماء أو بربّ السماء و أقسم  
بالطارق .

ثمّ بيّن الطارق فقال : [ وما أدراك ما الطارق ] أي أي شيء أعلمك بالطارق  
إلا بالتلقّي من الخلاق العليم كأنّه قيل : و ما هو ؟ فقال : هو [ النجم الثاقب ]  
الكوكب المضيء ، لأنّه يثقب بإضاءته ما يقع عليه من الظلام .

[ إن كلّ نفس لما عليها حافظ ] جواب للقسم و ما بينهما اعتراض و «إن» نافية

أي ما كلّ نفس من النفوس الطيّبة و الخبيثة إنسيّة أو وحشيّة إلا عليها مهيمن و رقيب وهو الله كما قال (١): « وكان الله على كلّ شيء رقيباً » أو المراد من الحافظ الملائكة يحفظ عملها و رزقها و أجلها ، و روي عن النبي ﷺ « و كلّ بالمؤمن مائة وستون ملكاً يذبون عنه كما يذبّ عن قصعة العسل الذباب ولو و كل العبد إلى نفسه طرفة عين لا تخطفته الشياطين » .

وقرىء «لما» مخففةً على أن «إن» مخففة وما مزيدة واللام فاصلة بين المخففة والنافية أي إنّ الشان كلّ نفس لعلها حافظ .

[ فلينظر الانسان ] وليتفكر الانسان الجاهل المنكر للنشور والحشر [ ممّ خلق ] من أيّ شيء أصله حتّى يتضح أنّ من قدر على إنشائه من نطفة فهو قادرٌ على إعادته بل أقدر على قياس العقل فيعمل ليوم الإعادة ما ينفعه ويجديه لا ما يضرّه . ويرديه .

[ خلق من ماء دافق ] استيناف وقع جواباً عن استفهام مقدّر كأنّه قيل : « ممّ خلق » فقيل : خلق من ماء ذي دفق وهو صبّ فيه دفع بسرعة ويجوز أن يكون دافق بمعنى المدفوق .

[ يخرج من بين الصلب والترائب ] الصلب معناه الشديد وبهذا الاعتبار سمّي الظهر صلباً أي من بين ظهر الرجل و ترائب المرأة وهي عظام نحرها و ضلوع صدرها و كلّ عظم من ذلك ترأبة ، وعن أمير المؤمنين عليه السلام « بين الثديين » وأصل المنى هو الدم يتصاعد في خرزات الصلب و هناك مسكنه و منتزجه الحرارة فيستحيل أبيض فاذا امتلأت خرزات الظهر و هو الفقار طلب الخروج من مسلكه وهو عرقان متصّلان إلى الفرج و منهما ينزل و بين طريق المنى و طريق البول جلد رقيق يكاد لا يتشخص من رقتة لئلا يختلط المنى بماء البول فيفسد حرارة جوهره .

[ إنّه على رجعه ] الضمير للخالق، على إعادته بعد موته [ لقادر ] خلقه لاظهار قدرته ثمّ رزقه لاظهار كرمه فيميتة لاظهار جبروته و يحييه ثانياً للثواب والعقاب .

[ يوم تبلى السرائر ] ظرف لرجعه ، ولا يضرّ الفصل بالأجنبيّ للتوسّع في الظروف وإطلاق الإبلاء على الكشف والوضوح من قبيل اسم السبب على المسبّب لأنّ الاختبار موجبٌ للتعرف و التميّز وقيل : المراد من السرائر الفرائض كالصوم والصلاة والزكاة والغسل فإنّها سرّ بين العبد وبين ربّه في معيبتها و صحيحها وإنّما تظهر صحّتها يوم القيامة فيبديء الله ذلك اليوم كلّ سرّ فيكون زيناً في وجوه وشيناً في وجوه ، فمن أدّى الأمانات و التكاليف كان وجهه مشرقاً ومن ضيّعها كان وجهه أغبر .

[ فماله من قوّة ولا ناصر ] أي ليس للإنسان من دافع من نفسه يمتنع بهامن العذاب الذي حلّ به ولا ناصر من خارج ينتصر به .

[ والسماء ذات الرجع ] ذات مؤنّث « ذو » بمعنى الصاحب والرجع المطر سمّي رجعاً لما أنّ العرب كانوا يزعمون أنّ السحاب يحمل الماء من بحار الأرض ثم يرجعه إلى الأرض وقيل : المراد بالرجع شمسها و قمرها و نجومها تغيب وتطلع ، أو رجع السماء إعطاؤها الخير الذي من جهتها حالاً بعد حال على مرور الأيام .

[ والأرض ذات الصدع ] هو ما تنصدّع عنه الأرض من النبات وتشققها بالنبات و العيون ، لأنّ النبات صادعٌ للأرض فالسماء ذات الرجع كالأب و الأرض ذات الصدع كالأمّ وما ينبت كالولد والمراد بيان منافعهما و أقسم بهما .

[ إنّه ] أي القرآن [ لقول فصل ] أي كلام فاصل بين الحقّ والباطل والقول كثيراً ما يكون بمعنى المقول ، أتى بالمصدر مبالغةً كأنّه نفس الفصل كما قال : (١) «الفرقان» بمعنى الفارق .

[ وما هو بالهزل ] واللعب ، والجِدّ ضدّ الهزل أي كلّه جدّ محض ، قال المولى إسماعيل الحقّيّ في روح البيان : إنّه يظهر من الآية أنّ من يؤمّ القرآن بهزل أو بتفكّه و مزاح يكفر ، وفي هداية المهديّين إذا أنكر رجل آية من القرآن أو سخر بها أو عابها فقد كفر ، ومن قرأ القرآن على ضرب الدفّ أو القصب أو ما شابهه فقد كفر

حتى قيل : لو يقال له : لم تقرء القرآن ؟ فقال : سئمت منه ، فهذا وأمثاله كلفه كفر فليجتنب المسلم عن مثل هذه الكلمات .

[ إنهم يكيدون كيداً ] في إطفاء نوره حسبما في قدرتهم [ وأكيد كيداً ] أي أقبلهم بكيد متين لا يمكن رده ، و كيد المحدث الضعيف العاجز لا يقاوم جزاء القادر القوي ، و تسمية الجزاء بالكيد من باب المشاكلة و المقابلة في الكلام و إلا فالكيد هو المكر و الاحتيال ولا يجوز إسناده إليه تعالى مراداً به معناه الحقيقي و تسمية جزاء الشيء باسم ذلك الشيء ، على سبيل المشاكلة شائع كثير .

[ فمهمل الكافرين ] أي لا تستعجل بهم [ أمهلهم رويداً ] بدل من « مهمل » و التمهيل و الأمهال لغتان أي مهملهم إمهالاً قليلاً فإن الله يجزيهم لاحماله إما بالقتل و الذل في الدنيا أو بالعذاب في الآخرة قال ابن جنبي : قوله « مهمل الكافرين أمهلهم رويداً » غير اللفظ و الباب لأنه أثر التأكيد ولم يعد ، و انحرف عن التكرار بعض الانحراف ، و انتقل عن لفظ فعل إلى لفظ أفعل و غير الباب إرادة للتأكيد ، و لتجشّم التثليث ترك اللفظ و أتى بالمعنى فقال : « رويداً » أي مهلة قليلة . و ما كان بين نزول هذه الآية و بين وقعة بدر إلا زمان يسير .

حكى أن ابن السماك دخل على الرشيد فطلب هارون منه العظة فقال : أيها الخليفة لقد أمهل سبحانه حتى كأنه أهمل و لقد ستر حتى كأنه غفر ثم قال : هب كان الدنيا كلها في يديك و الأخرى مثلها ضمت إليك و كان الشرق و الغرب يجبى إليك فإذا جاء ملك الموت فماذا في يديك ؟ و قيل : إن هارون كان جالساً على حصير يستمع منه فقال ابن السماك : أيها الخليفة لتواضعك في شرفك أفضل من شرفك و من أعطي مالا و جمالا و سلطاناً و شرفاً فتواضع في شرفه و عفا في جماله و واسى في فضل ماله و عدل في سلطانه كتب في ديوان المخلصين ، و اعلم أنه لم يبق من لدن آدم إلى يومنا هذا أحد إلا و ذاق الموت . قال هارون : زدني فقال ابن السماك : إنهما موضعان إما الجنة و إما نار قال هارون : حسبني حسبني .

**أقول :** و ما كفته هذه المواضع و ما تطلب من ابن السماك المواضع حقيقة

بل أراد أن يغرّ الناس بتطلبه المواعظ ، وغرضه للعين التدليس والتمويه لتستتر نقائصه كما هو عادة أكثر أمراء زماننا حيث وجدوا عالماً شرعوا في الاستفادة منه والعالم المغرور يزعم أنه من أهل التقى فيغترّ بما يرى من ظاهر أحوالهم فيحسن ظنّه به و بأمثاله فيترتب على صلاح ظاهره أمور فيها فساد أُمَّة بل إضلال أهل ملّة وما حصل ذلك الفساد إلا بسبب ذلك التدليس من هذا الإِبليس و اغترار هذا العالم الجاهل بأحوال الناس فينبغي طمّله أن يكون حادياً للعميس لامتصدراً للتدريس نسأل العصمة من مضلات الفتن  
تمتّ السورة بعون الله .





## سورة الاعلى

﴿ ( مكية ) ﴾

روي عن علي عليه السلام قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله يحب هذه السورة وأول من قال سبحان ربّي الأعلى : ميكائيل .

قال ابن عباس : إذا قرأ النبي هذه السورة قال : سبحان ربّي الأعلى وكذلك علي عليه السلام .

و روى العياشي باسناده عن أبي خميسة عن علي عليه السلام قال : صليت خلفه عشرين ليلة فليس يقرأ إلا سبح اسم ربك الأعلى، وقال : لو يعلمون ما فيها لقرأها الرجل كل يوم عشرين مرّة ، وإن من قرأها فكأنما قرأ صحف موسى و إبراهيم الذي وفقى .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سبح اسم ربك الاعلى (١) الذى خلق فسوى (٢) والذى قدر فهدى (٣) والذى اخرج المرعى (٤) فجعله غناء احوى (٥) سنقرتك فلا تنسى (٦) الا ما شاء الله انه يعلم الجهر وما يخفى (٧) ونيسرك للميسرى (٨) فذكر ان نفعت الذكرى (٩) سيدكر من يخشى (١٠) ويتجنبها الاشقى (١١) الذى يصلى النار الكبرى (١٢) ثم لا يموت فيها ولا يحيى (١٣) قد افلح من تزكى (١٤) وذكر اسم به فصلى (١٥) بل تؤثرون الحيوۃ الدنيا (١٦) و الاخرة خير و ابقى (١٧) ان هذا لفي الصحف الاولى (١٨) صحف ابراهيم و موسى (١٩) .

نزّه ربك عمّا لا يليق به من الصفات المذمومة و الأفعال القبيحة كالعجز والظلم وأمثاله . قال ابن عباس : أي قل : «سبحان ربّي الأعلى» وأراد بالاسم المسمّى والأعلى معناه القادر الذي لا قادر أقدر منه ، القاهر لكلّ أحد وقيل : « الأعلى » صفة الاسم فيكون المعنى سبح الله بذكر اسمه الأعلى ، وأسماءه الحسنى كلّها أعلى والمراد من العلوّ ليس علوّ الجهة سبحانه عن ذلك بل علوّ استحقاق لنعوت الجلال فمن عرف علوّه تدلّل وتواضع بين يديه وكذلك ينزّهه عن أن يطلق هذه الأسماء على غيره بوجه يشعر بتشار كهما فيها من أن تسمّى الصنم بالاله أو الربّ مثل تسمية العرب مسيلمة الكذاب برحمن اليمامة بل لا يُكثر القسم بذكر اسمه تعالى من غير مبالاة .

وفي الحديث لما نزلت « فسبح باسم ربك العظيم » قال ﷺ : اجعلوها في ركوعكم فلما نزل « سبح اسم ربك الأعلى » قال : اجعلوها في سجودكم و كانوا يقولون في الركوع : اللهم لك ركعت ، وفي السجود : اللهم لك سجدت . وقد ذكر ما قبل هذا أن أوّل من قال : « سبحان ربّي الأعلى » كان ميكائيل

وذلك أنه خطر بباله عظمة الرب فقال : يا رب أعطني قوّة النظر حتّى أنظر إلى عظمتك و سلطائك فأعطاه قوّة أهل السماوات فطار خمسة آلاف سنة حتّى احترق جناحه من نور العرش ثمّ سأل القوّة فأعطاه ضعف ذلك وجعل يرتفع عشرة آلاف سنة حتّى احترق جناحه من نور العرش وصار كالفرخ و رأى الحجاب والعرش على حاله فخرّ ساجداً وقال : « سبحان ربّي الأعلى » ثمّ سأل ربّه أن يعيده إلى مكانه وإلى حالته الأولى فعاد . وفي الحديث « سبحان الله والحمد لله » يملآن ما بين السماوات والأرض .

[ الذي خلق فسوّى ] صفة أخرى للربّ خلق كلّ ذي روح فسوّى خلقه بأن جعل له مابه يتأتّى كماله و يتدبّر معاشه بالإحكام و الاتقان و قيل : المراد من الخلق الإنسان فسوّى و عدّل تر كيبه و قامته و لم يجعله منكوساً كالبهائم و الدوابّ أو المعنى خلق الأشياء على موجب إرادته فسوّى صنعها لتشهد على وحدانيّته . [ والذي قدّر فهدى ] معطوف على الموصول الأوّل أي قدّر أجناس الأشياء وأنواعها وأفرادها ومقاديرها وأفعالها وآجالها بمقدار معلوم في جثّته و وضعه ولونه وطعمه وطبعه و كيميّة ارتزاقه ويسرّ له ما ينفعه و ألهمه ما يضرّه و لو تتبعت أحوال النباتات والحيوانات لرأيت في كلّ منها ما يحار فيه العقول .

يحكى أنّ الأفعى إذا بلغت ألف سنة عميت و قد ألهمها الله أن تمسح عينها بورق الرازيانج الغضّ فيردّها إليها بصرها فربّما كانت عند عروض العمى لها في برّيّة بينها وبين الريف مسافة طويلة فتطويها على بعدها وعلى عماها حتّى تهجم على شجرة الرازيانج لاتخطئها فتحكّ عينها بورقها فترجع باصرة .

وجعل لكلّ حيوان و نبات خصوصيات مميّزة بعضها عن بعض وخاصيّة مثل أنّه تعالى خلق التمساح و ربّما بلغ طوله عشرين ذراعاً يوجد في بحر مهران في السند والنيل كما في القاموس و هو يبيض في البرّ فما وقع من ذلك في الماء صار تمساحاً وما بقي في البرّ صار سقنقوراً و يوجد في مصر شكلها كالوزغة على عظم خلقته وهو أنفس ما يهدى لمملك الهند فانهم يذبحونه بسكّين من الذهب ويحشونه بالملح

ويحملونها إليهم فإذا وضعوا مثقالاً من ذلك على بيض أولحم وأكل يقع ذلك نفعاً بليغاً للتقوية .

ومن هداياته تعالى أنّ القطا وهو طائر معروف يترك فراخه ثمّ يطلب الماء من مسيرة عشرة أيام و أكثر فيرده فيما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ثمّ يرجع فلا يخطيء لا ذهاباً ولا إياباً قال الشاعر :

تميم بوروب اللؤم أهدي من القطا ☆ و إن سلكت سبل الهداية ضلّت  
حكى أنّ العقرب و الفارة إذا اجتمعتا في إناء زجاج و لم يتمكّن الفارة من الهرب لملاسة الزجاج قرضت الفارة إبرة العقرب فتسلم منها .

وحكى أنّ ابن عرس تبع فارة فصعدت الفارة شجرة و لم يزل يتبعها حتّى انتهت إلى رأس الغصن و لم يبق مهرب فنزلت على ورقة وعضّت طرفها وعلقت نفسها فعند ذلك صاح ابن عرس فجاءته زوجته فلما انتهت تحت الشجرة قطع ابن عرس الورقة التي عضتها الفارة فسقطت فاصطادها ابن عرس الذي كان تحت الشجرة .

وقد رئي أنّ الفارة تدخل ذنبها في قارورة الدهن و المايعات ثمّ تلحسه و إذا لم ينل ذنبها إلى الدهن هالت حصى صغاراً من فم القارورة فيعلو الدهن فيتصل ذنبها إلى الدهن ثمّ تلحسه ، و أمثال هذه العجائب في الحيوان كثيرة .

والأعجب من هذا أنّه قيل : إنّ شجرة النخل يعرض لها العشق وتميل إلى نخلة أخرى فيخفّ حملها و تهزل ، و علاجها أن يشدّ بينها و بين معشوقها الذي مالت إليه بحبل أو يعلّق عليها سعفة منه أو يجعل فيها من طلعه فتجبر و تثمر و يرتفع هزالها .

قوله : [ والذي أخرج المرعى ] الرعي بالكسر الكلاء و بالفتح المصدر أي إنّّه تعالى بقدرته أنبت ما ترعاه الدوابّ غضاً طرياً قال ابن عباس : المرعى الكلاء الأخضر .

[ فجعله ] بعد ذلك و بعد اخضراره [ غناء أحوى ] أي هشيماً جافاً كالغناء الذي تراه فوق السيل من فتات الأرض «أحوى» أي أسود و إيراد الغاء في «فجعله» إشارة

إلى قصر مدّة الخضرة و فيه رمز إلى قصر مدّة العمر و سرعة زوال الدنيا و نعيمها فانّ رتبة الحياة الدنيا و منافعها سريعة الفناء فانّهما مرعى النفس الحيوانيّة كالهشيم و الحطام البالي الأسود .

[ سنقرئك فلا تنسى ] ضمان من الله أن يجعله بحيث لا ينسى و يحفظ القرآن للهداية و كان النبي ﷺ إذا نزل عليه جبرئيل بالوحي يقرؤه مخافة أن ينساه فلمّا نزلت هذه الآية لم ينس بعد ذلك شيئاً .

[ إلا ما شاء الله ] أن ينسيكه برفع حكمه و نسخه ، و قيل : معنى الاستثناء امكان وقوعه وإن لم يقع منه مشيئة النسيان فهو كقوله (١) : « خالدين فيها مادامت السماوات و الأرض إلا ما شاء ربك » ولا يشاء و كقول القائل : لأعطينك كل ما سألت إلا أن أشاء أن أمنعك و النيّة أن لا يمنعه ، و من المعلوم أنّه فرق بين النسيان و الإنساء و أن الله قادر على إنسائه ﷺ إذا أراد .

[ إنّه يعلم الجهر و ما يخفى ] وهو عالم بما ظهر و ما بطن من القول و العمل و النيّة و رفع الصوت و همس الصوت أي يعلم ما جهرت به في قراءتك لحفظها و ما أخفيتها و تريد أن تنسيه و تحفظه .

[ و نيسرك للميسرى ] عطف على « نقرئك » و الميسرى فعلى من اليسر و هو السهولة في عمل الخير لما في معنى « نيسرك » من تضمّن معنى الخير و التوفيق و حاصل المعنى نوقك للمشيئة اليسرى الحنيئة و نسهل عليك الوحي و ما يثبتك على أمرك و تبليغك و لنسهل عليك المستصعب من أمور النبوة و الرسالة .

[ فذكر إن نفعت الذكري ] فذكر الناس ما أوحى إليك و اهدهم إن نفع التذكير ، و تقييد التذكير بالنفع لأنّه ﷺ يستفرغ جهده فيه حرصاً على إيمانهم و كان لا يزيد ذلك بعضهم إلا كفرأ و عناداً فأمره بأن يخصّ التذكير بمن يرجى منه التذكير و لا يتعب نفسه في تذكير من لا يزيد إلا عتواً و نفوراً وهذا كقوله (٢) : « فذكر بالقرآن من يخاف و عيد » و حرف الشرط راجع إلى النبي ﷺ لا إلى الله . قال بعض أهل العربية

إنَّ « إن » تعجبي، مثبتة فتكون بدل « قد » و قيل : معنى الآية ذكّر إن نفعت الذكرى أولم تنفع ولم يذكر الحالة الثانية كقوله<sup>(١)</sup> : « سراويل تقيكم الحر » .  
[ سيدّكّر من يخشى ] أي سيدتدكّر بتذكيرك مَن من شأنه أن يخشى الله و يتعظ بالقرآن من يخاف عقابه .

[ ويتجنّبها الأشقى ] ويتبعّد من الذكرى ولا يسمعها سماع القبول الزائد في الشقاوة لتوغّله في عداوة النبيّ أو المراد من الأشقى الكافر مطلقاً لأنّه أشقى من الفاسق والناس في أمر المعاد والقرآن على ثلاثة أقسام : منهم من قطع بصحّته ومنهم من جوّز وجوده ولكنّه غير قاطع فيه لا بالنفي ولا بالإثبات ومنهم من أصرّ على إنكاره والقسمان الأوّلان ينتفعون بالتذكير بخلاف الثالث .

[ الذي يصلّى النار الكبرى ] أي يدخل الطبقة السفلى من طبقات النار و الكبرى اسم تفضيل تأنيث الأكبر و المفضّل هو ما في أسفل الدرجات والمفضّل عليه ما في الدرجات التي فوقها .

[ ثمّ لا يموت فيها ] حتّى يستريح [ ولا يحيى ] حياة تنفّعه بل تكون حياته وبالاً عليه يتمنّى أن يموت لما هو فيها معها من فنون العذاب و يتعذّب مزيداً كلّما احترق وهلك أعيد إلى الحياة وعذب فلا يكون ميتاً مطلقاً ولا حياً مطلقاً .

[ قدأفلح ] ونجامن المكروه [ من تزكّى ] وتطهّر من الكفر والمعاصي باتعاظه بالذكرى أو تكثّر من التقوى ، من الزكاء وهو النماء ، قال ابن مسعود : أي أعطى زكاة ماله و صلّى ، أراد زكاة الفطرة وصلاة العيد .

[ وذكر اسم ربّه ] بقلبه ولسانه [ فصلّى ] وأقام الصلاة الخمس ، قال ابن عبّاس أي وحدّ الله و قيل : ذكر الله بقلبه عند صلاته و قيل : المراد ذكر اسم ربّه بلسانه عند دخوله في الصلاة أي قال : الله أكبر وقيل : هو أن يفتتح ببسم الله الرحمن الرحيم ثمّ يصليّ قال الله سبحانه : إنّ لي مع المصلّين ثلاث أمور : أحدها تنزل الرحمة من عنان السماء إلى مفرق رأسه مادام في صلّاته ، والثاني حفّته الملائكة بأجنحتها ، والثالث

أناجي معه كلما قال : ياربّ ! أقول : لبّيك ، انتهى .

فلو قيل : إذا كان المراد من الآية زكاة الفطرة وصلاة العيد كيف يكون و  
السورة مكّية بالاجماع ولم يكن بمكّة عيد ولا صدقة فطر ؟  
فالجواب أنّه لمّا كان في علم الله أنّ ذلك سيكون أثنى الله على من فعل ذلك  
فإنّه قد يخبر بما سيكون .

[ بل تؤثر الحياة الدنيا ] إضراب عن مقدّر ينساق إليه الكلام كأنّه قيل :  
لا يفعلون ذلك بل تختارون اللذات العاجلة وتسعون لتحصيلها و ترجّحون جانب  
الدنيا على الآخرة مع أنّ في حلالها حساباً وفي حرامها عذاباً .  
[ و الآخرة خير و أبقى ] حال من فاعل « تؤثرون » مؤكّدة للتوبيخ أي  
تؤثرونها على الآخرة مع أنّ الآخرة سعادة أبدية والدنيا مبغوضة ومبغوض ما فيها  
إلا ذكر الله .

[ إنّ هذا ] إشارة إلى ما ذكر [ لفي الصحف الأولى ] جمع صحيفة و هي  
الكتاب . والصحيفة المبسوط من كلّ شيء كصحيفة الوجه والمعنى أنّ تطهير النفس  
عن رذائل الشرك وتكميل الروح بالمعارف الإلهية والجوارح بالطاعة و الإعراض  
عن ملهيات الدنيا لا يجوز أن يختلف باختلاف الشرائع بل هذا التكليف ثابت ولا  
يختلف باختلاف الأنبياء ، فالأصول متّحدة من لدن آدم وإنّما الاختلاف في بعض  
الفروع التي هي الشرائع والشروط « إنّ الدين عند الله الإسلام <sup>(١)</sup> » فإن كان تغيير  
وتبديل فبا لكيفية و الترتيب .

[ صحف ] جدك [ إبراهيم ] الخليل [ و موسى ] أخيك

الكليم . تمتّ السورة .



## هذه سورة الغاشية

﴿مكية﴾

من قرأها حسبه الله حساباً يسيراً و من أدمنها في فرائضه و نوافله غشاه الله برحمته في الدنيا والآخرة .

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هل أتاك حديث الغاشية (١) وجوه يومئذ خاشعة: (٢) عاملة ناصبة (٣) تصلى ناراً حامية (٤) تسقى من عين آنية (٥) ليس لهم طعام الا من ضرب (٦) لا يسمن ولا يغني من جوع (٧) وجوه يومئذ ناعمة (٨) لسيها راضية (٩) في جنة عالية (١٠) لاتسمع فيها لاغية (١١) فيها عين جارية (١٢) فيها سرر مرفوعة (١٣) و أكواب موضوعة (١٤) و نمارق مصفوفة (١٥) و زرابي مبطونة (١٦) أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت (١٧) و الى السماء كيف رفعت (١٨) و الى الجبال كيف نصبت (١٩) و الى الارض كيف سطحت (٢٠) فذكر انما انت مذكر (٢١) لست عليهم بمسيطر (٢٢) الا من تولى و كفر (٢٣) فيعذبه الله العذاب الاكبر (٢٤) ان الينا اياهم (٢٥) ثم ان علينا حسابهم (٢٦)

[ الغاشية ] المجللة للجميع، الجملة خطاب للنبي يريد أمته قيل : إن «هل» في الآية بمعنى قد أي قد جاءك يا محمد حديث الغاشية . قال المولى أبو السعود في الإرشاد: وليس بذلك بل هو استفهام أريد به التعجب إشعاراً بأنه من الأحاديث العجيبة التي حقيها أن يتناقلها الرواة، والغاشية الشديدة التي تغشى الناس وهي القيامة لأنها تغشى الناس أهوالها تغشية و قيل : الغاشية نار تغشى وجوه الكفار بالعذاب كقوله: (١)



« تغشى وجوههم النار » .

[وجوه يومئذ خاشعة ] لعلّ وجه الابتداء بالنكرة كون تقدير الكلام: أصحاب وجوه ، ولما كان الذلّ والخشوع يظهران في الوجه حذف المضاف وأُقيم المضاف إليه مقامه وقيل : المراد بالوجوه الكبراء مثل قولك : جاءني وجوه بني تميم أي ساداتهم وكبرائهم وعنى به وجوه الكفار لأنّها تكبّرت عن عبادة الله بدلالة ما بعده من الأوصاف .

[ عاملة ناصبة ] و المعنى أن أصحاب تلك الوجوه لمّا لم يعملوا لله في الدنيا ولم يشتغلوا بعبادته فاعملها و اتبعها في النار بمعالجة السلاسل و الأغلال و قيل : يكلفون ارتقاء جبل حديد في النار قال الكلبيّ : يخترّون على وجوههم في النار و قيل : معناه أن المراد « عاملة » في الدنيا بالمعاصي « ناصبة » في النار بالعذاب و قيل : المراد « عاملة ناصبة » في الدنيا أي يعملون في الدنيا و يتعبون أنفسهم على خلاف ما أمرهم مثل أرباب البدع و الذين يخترعون من عند أنفسهم عبادة شاقّة محرّمة برأيهم الباطل من غير أن يكون فيها لله رضى . قال أبو عبد الله عليه السلام : المراد كلّ ناصبٍ لنا بالعدواة و إن تعبد و اجتهد في عبادته يؤول أمره إلى هذا العذاب .

[ تصلى ناراً حامية ] تذوق ألمها قد حमित فهي تملظى على أعداء الله و يلتزمون الاحتراق بالنار التي في غاية الحرارة [ تسمى من عين آنية ] من عين متناهية بالغة في الأنى أي الحرّ لتسخينها بتلك النار منذ خلقت لو وقعت قطرة منها على جبال الدنيا لذابت و إذا أدنيت من وجوههم تناثرت لحومها و إذا شربوا قطعّت أمعاؤهم يقال : أنى الحميم أي انتهى حرّه فهو آن و بلغ هذا إناه أي غايته .

[ ليس لهم طعام إلاّ من ضريع ] بعد أن بيّن شرايهم ذكر طعامهم والضريع يبيس الشبرق كزبرج وهو شوك يرعاه الإبل مادام رطباً و إذا يبس نحامنه و هو سمّ قاتل ، وسمّي ذلك الشوك ضريعاً لأنّه مضعف و مهزل غاية يقال : ضرع الرجل

ضراعة أي ذلّ و ضعف قال ابن عباس : الضريع في جهنّم شيء تشبه الشوك أمرّ من الصبر وأنتن من الجيفة وأشدّ حرّاً من النار هذا طعام بعض أهل النار والزقوم والغسلين الآخرين بحسب جزائهم و به يرفع التعارض بين هذه الآية و بين آية « الحاقّة » و هي قوله (١) : « ولا طعام إلا من غسلين » .

[ لايسمن ] ذلك الضريع [ ولا يغني من جوع ] كما هو عادة طعام الدنيا روي أنه تعالى يسلّط عليهم الجوع بحيث يضطرون إلى أكل الضريع فإذا أكلوا يسلّط عليهم العطش فينظرون إلى شرب الخميم فيشوي وجوههم و يقطع أمعاؤهم وتنكير الجوع للتحقير أي من جوع ما ، و كرّر النفي للتأكيد .  
[ وجوه يومئذ ناعمة ] أي ذات بهجة وحسن و ضياء مثل البدر أو متنعمّة في أنواع اللذائذ [ لسعيها ] في الدنيا [ راضية ] حين أعطيت الجنة بعملها و راضية في مقابلة سعيها من الطاعات و العبادات في الدنيا فرضوا و حمدوا الله .

كائنين [ في جنّة عالية ] مرتفعة القصور و الدرجات [ لاتسمع فيها لاغية ] أنت أيها المخاطب أو التاء تاء التأنيث لا الخطاب أي أصحاب الوجوه فيها أي في الجنة « لاغية » كلمة ساقطة لا فائدة فيها أو ذات لغو كقولهم : نابل و دارع أي ذونبل و درع .

[ فيها ] أي في تلك الجنة [ عين جارية ] اسم جنس و لكل إنسان في قصره عيون كثيرة والتنوين للتكثير تجري مياهها على الدوام وهي أشدّ بياضاً من اللبن وأحلى من العسل من شرب منها لا يظمأ بعدها أبداً و يذهب من قلبه جميع المكاره .  
[ فيها سرر ] يجلسون عليها روي أنه لكل واحد سبعمئة سرير على كل سرير حورية خلقها الله [ رفوعة ] رفيعة السمك أي عالية في الهواء على قوائم طوال فإن السمك هو الامتداد الآخذ من أسفل الشيء إلى أعلاه فيرى المؤمن إذا جلس عليها جميع ما أعطاه ربّه من النعيم الكثير في الجنة و الملك العظيم قال ﷺ : « ارتفاعها كما بين

السماء و الأرض مسيرة خمسمائة عام ، فإذا جاء وليّ الله ليجلس عليها تطأمنت له فإذا استوى عليها ارتفعت .

[ و أكواب ] الكوب إناء لا عروة له ولا خرطوم مدور الرأس ليمسك من أيّ طرف أريد [ موضوعة ] بين أيديهم حاضرة وهو لا ينافي أن يكون بعض الأقداح في أيدي الغلمان لأنّ النعم في الجنة أطوار و أقسام .

[ و تمارق ] أي و سائد يستندون إليها للاستراحة و التنفّس في الراحة [ مصفوفة ] بعضها إلى جنب بعض و على رأسه و صائف كأنهنّ الياقوت و المرجان .

[ و زرابي ] أي بسط فاخرة جمع زربيّ ضرب من الثياب محبب منسوب إلى موضع على طريق التشبيه والاستعارة [ مبنوثة ] أي مبسوطة على السرر زينة و تمتعاً ، وأصل البث إثارة الشيء ، و تفريقه .

[ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ] الهمزة للإنكار و التوبيخ و الفاء للعطف على مقدّر يقتضيه المقام أي أينكرون من البعث و أحكامه و يستبعدون وقوعه عن قدرة الله .

أفلا ينظرون نظراً اعتبار إلى الإبل التي هي نصب عينهم يستعملونها كل حين في عظم جثتها و شدة قوتها من الأفاعيل الشاقة كالنهوض بالأوقار الثقيلة و جرّ الأثقال الفادحة إلى الأقطار النازحة و في صبرها على الجوع و العطش حتّى أنّ ظمأها ليبلغ العشر و اكتفائها باليسير مع هذه الجثة العظيمة و رعيها لكل ما تيسر من شوك و شجر بما لا يرعاه سائر البهائم و في انقيادها للإنسان في الحركة و السكون و النهوض حتّى يققادها طفل أين ما يشاء يذهب بها .

حكى أن فارة أخذت بزمام ناقة فأخذت تجرّها و هي تتبعها حتّى دخلت حبرها فجرّت الزمام فبركت الناقة فجرّت فقرّبت الناقة فمها من حجر الفارة . و تتأثر الإبل من المودّة و الغرام و تسكر منهما إلى حيث تنقطع عن الأكل و الشرب زماناً ممتداً ، و تتأثر من الأصوات الحسنة و الحداء و تصير من

كمال التأثير إلى أن يهلك نفسها من سرعة الجري ويجري الدمع في عينها غراماً. وفيها من الفائدة من النسل و الحمل واللبن و الر كوب ، فبيّن لهم سبحانه هذه الخلقة العجيبة النافعة ليستدلّوا بها على قدرته في ما خلق من النعمة لأهل الجنّة فلا يستبعدونها .

[ و إلى السماء ] التي تشاهدونها [ كيف رفعت ] رفعاً بغير عماد ولا مساك بحيث لا يناله الفكر و الوهم .

[ و إلى الجبال ] التي ينزلون في أقطارها وينتفعون بمياهها و كلائها وأشجارها [ كيف نصبت ] نصباً رصيناً فهي راسخة لا يمتدّ أوتاداً للأرض قيل : وفيه إشارة إلى عالم المثال لأنّه متوسط بين سماء الروحانيّات و أرض الجسمانيّات .

[ و إلى الأرض كيف سطحت ] سطحاً مبسوطاً حسبما يقتضيه صلاح أمور ما عليها من الخلائق ولو لا ذلك التسطح لما صحّ الاستقرار عليها و الارتفاع منها ولو تفكّروا و تدبّروا فيها لعلموا أنّ لهم صانعاً صنعهم وموجداً أوجدهم .

ولما ذكر سبحانه الأدلّة أمرنيّه التذكير بها فقال : [ فذكّر ] الفاء لترتيب الأمر بالتذكير فقال : و اقتصر على التذكير ولا يمنعك أنّهم لا يتذكرون [ إنّما أنت مذكّر ] أي مبلغ [ لست عليهم بمسيطر ] أي لست بمسلّط تجبرهم على ما تريد كقوله (١) : «وما أنت عليهم بجبار» وقرىء بالصاد على القلب لمناسبة الطاء بعدها أي لست عليهم بحافظ وقائم إنّما الواجب عليك الإذار ، وإن كان هذا الأمر قبل نزول آية الجهاد .

[ إلّا من تولّى و كفر ] أي أعرض عن الذكر ولم يقبل منك و كفر بالله وبما جيئت به فكيل أمره إلى الله و قيل : معناه « إلّا من تولّى و كفر » فلست له بمذكّر لأنّه لا يقبل منك فكأنك است تذكّره و قيل : إنّ الاستثناء منقطع و هو الأظهر أي لكن من تولّى و كفر و«من» موصولة لا شرطية .

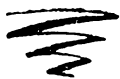
[ فيعدّ به الله العذاب الأكبر ] الذي هو عذاب جهنّم حرّها شديد و قعرها

بعيد ومقامع من حديد وفي الآية تنبيه على أنّ كلّ عذاب يعدّ للكافر من القتل  
و الأسر في الدنيا وفي البرزخ صغير في جنب عذاب الآخرة .  
[ إنَّ إلينا إيابهم ] أي إلينا رجوعهم بالموت والبعث لا إلى أحد سوانا . وفي  
تقديم الخبر تخصيص ومبالغة في شدة عذابهم وجمع الضمير باعتبار معنى «من» وإفراجه  
باعتبار لفظها .

[ ثمَّ إنَّ علينا حسابهم ] في المحشر فنحن

نحاسبهم على النقيير و القطمير .

تمت السورة بعون الله



## سورة الفجر

﴿مكية﴾

روى داود بن فرقد عن الصادق عليه السلام قال : اقرؤا سورة الفجر في فرائضكم و نوافلكم فانها سورة الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام من قرأها كان معه يوم القيامة .

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

و الفجر (١) وليال عشر (٢) والشفع والوتر (٣) و الليل اذا يسر (٤) هل في ذلك قسم لذي حجر (٥) الم تركيف فعل ربك بعاد (٦) ارم ذات العماد (٧) التي لم يخلق مثلها في البلاد (٨) و ثمود الذين جابوا الصخر بالواد (٩) و فرعون ذى الاوتاد (١٠) الذين طفوا في البلاد (١١) فأكثروا فيها الفساد (١٢) فصب عليهم ربك سوط عذاب (١٣) ان ربك لبالمرصاد (١٤) فاما الانسان اذا ما ابتليه ربه فاكرمه و نعمه فيقول ربى اكر من (١٥) و اما اذا ابتليه فقدر عليه رزقه فيقول ربى اهانن (١٦) كلا بل لا تكرمون اليتيم (١٧) و لا تحاضون على طعام المسكين (١٨) و تا كلون التراث اكلا لما (١٩) و تحبون المال حباً جماً (٢٠) كلا اذا دكت الارض دكاً دكاً (٢١) و جاء ربك و الملك صفاً صفاً (٢٢) و جىء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان و انى له الذكرى (٢٣) يقول يا ليتنى قدمت لحياتى (٢٤) فيومئذ لا يعذب عذابه احد (٢٥) و لا يوثق و ناقه احد (٢٦) يا ايها النفس المطمئنة (٢٧) ارجعى الى ربك راضية مرضية (٢٨) فادخلى فى عبادى (٢٩) و ادخلى جنتى (٣٠) .

المعنى : لما كان العرب أكثر خلق الله قسماً في كلامهم جاء القرآن على

عادتهم في القسم ، أقسم بالفجر والفجر فجران : فجرٌ مستطيل كذنب السرحان و هو الكاذب ولايتعلق به حكمٌ و فجرٌ مستطيرٌ وهو الصادق الذي يتعلق به الأحكام كالصوم والصلاة .

أقسم الله بالفجر الذي هو أوّل وقت ظهور ضوء الشمس في جانب المشرق كما أقسم بالصبح حيث قال : « والصبح إذا تنفس » وقيل : المراد فجر يوم عرفة لأنه يوم شريف يتوجه فيه الحجاج إلى جبل عرفات وقيل : صباح يوم النحر لأنه يوم عظيم ويقع فيه الطواف المفروض والحلق والرمي وقيل : المراد فجر ذي الحجة لأنّ الله قرن الأيام بها فقال : « وليال عشر » وهي عشر ذي الحجة وقيل : فجر أوّل المحرم وقيل : أراد من الفجر النهار كله .

[ وليال عشر ] يعني العشر في ذي الحجة وقيل : المراد من ليالي العشر العشر الأواخر من شهر رمضان ويمكن أن يكون المراد من الليالي أيامها والعرب تذكّر الليالي وهي تعنيها بأيّامها تقول : بُني هذا البناء ليالي السامانية أي أيّامهم وقيل : العشر الأواسط من شعبان وفيها ليلة البراءة والبرات والصكّ وقيل : هي ستّ ليال خلق الله في أيّامها السماوات والأرض وليلة خلق فيها آدم وليلة كلم الله فيها موسى وليلة أسري بالنبوي ﷺ وليلة يومها يوم القيامة .

[ والشفع والوتر ] وأقسم سبحانه بكلّ عدد يكون زوجاً وفرداً والعدد لا يكون خارجاً منهما قال أبو مسلم : هو تذكير بالحساب لعظم ما فيه من النفع . وقيل : « الشفع والوتر » كلّ ما خلقه الله لأنّ جميع الأشياء إمّا زوج وإمّا فرد . وقيل : الشفع الخلق لأنّه قال : « وخلقناكم أزواجاً » والوتر الله تعالى وهي رواية أبي سعيد الخدري . وقيل : « الشفع والوتر » الصلاة منها شفع ومنها وتر وهي رواية ابن حصين عن النبي ﷺ . وقيل : الشفع يوم النحر و الوتر يوم عرفة وهي رواية جابر عن النبي ﷺ . وقيل : الشفع يوم التروية والوتر يوم عرفة روي ذلك عن أبي جعفر وأبي عبد الله ﷺ . وقيل : الشفع صفات المخلوقين وتضادّ هامثل الذلّ والعزّ والوجود والعدم والقدرة والعجز والعلم والجهل والحياة والموت ، والوتر صفة الله إذ هو الموجود

لا يجوز عليه العدم والقادر لا يجوز عليه العجز والعالم لا يجوز عليه الجهل والحي لا يجوز عليه الموت . وقيل : الشفع عليّ و فاطمة عليهما السلام والوتر رسول الله صلى الله عليه وآله . و قيل : الشفع الصفا والمروة والوتر البيت الحرام . وقيل : كلّ نبي له اسمان مثل محمّد وأحمد و المسيح و عيسى و يونس و ذي النون هو الشفع ، و كل من له اسم واحد مثل آدم و نوح و إبراهيم و مسجد مكّة والمدينة هو الوتر .

قوله : [ و الليل إذا يسر ] جنس الليل إذا يمضي و يدبر ففي تيسيره على المقادير المرتبة ومجيئه بالضياء عند تقضيته دليل على أنّ خالقه ومدبره يختصّ بالعزّ والجلال والسري سير الليل وقيل : المراد من الليل ليلة مخصوصة من الليل لا الجنس قيل : إنّها المزدلفة لاختصاصها باجتماع الناس فيها بطاعة الله وفيها يسري الحاج من عرفة إلى المزدلفة ثمّ يصلي الغداة فيها ويغدو منها إلى منى .

فإن قيل : القسم بالليل إذا يسر بناءً على الجنس يعني عن القسم بليال عشر .

فالجواب إنّ المقسم به في قوله : « و الليل إذا يسر » باعتبارات وفي قوله : « وليال عشر » باعتبارات وخصوصيات أخرى فلا يعني أحدهما عن الآخر و يجوز أن يكون المعنى : والميل إذا يسر يعني يسري فيه الساري ويسير فيه السائر فإسناد السري إلى الليل مجاز مثل قولك : « نهاره صائم وليله قائم » أي صائم في نهاره و حذف الياء اكتفاءً بالكسر ولسقوطها في خطّ المصحف وطوافقة رؤس الآي وإن كان الأصل إثباتها لأنّها لام الفعل من المضارع وهو مرفوع .

[ هل في ذلك قسم لذي حجر ] أي هل في ما ذكر من الأقسام مقنع لذي لب ، وفي الآية تقرير لفخامة شأن المقسم بها و كونها أموراً جليلة حقيقة بالأعظام . [ ألم تر كيف فعل ربك بعاد ] جملة معترضة بين القسم وجوابه وجواب القسم محذوف تقديره ليعذبّ بنّ الكفّار وإنّما حذف لدلالة هذه الجملة عليه أي ألم تعلم يا محمّد علماً يقينياً جارياً مجرى الرؤية في الوضوح بإعلام الله وبالتواتر كيف عذبّ ربك عاداً ونظائرهم فسيعذبّ كفّار قومك أيضاً .



والمراد بعاد أولاد عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح ﷺ قوم سمووا باسم أبيهم كما سمى بنو هاشم هاشماً وبنو تميم تميمياً فلفظ « عاد » اسم للقبيلة المنتمية إلى عاد و قد قيل لأوائلهم عاد الأولى و لأواخرهم عاد الأخيرة قال عماد الدين : كل ما ورد في القرآن خبر عاد الأولى إلا ما في سورة الأحقاف .

[ إرم ] عطف بيان لعاد للإيدان بأنهم عاد الأولى بتقدير مضاف أي أولاد إرم أو أهل إرم بناءً على أن إرم اسم بلدتهم أو أرضهم ويؤيده القراءة بالاضافة و أيضاً ما كان فامتناع صرفها للتعريف والتأنيث . قال سعيد بن المسيب وعكرمة : البلد كان دمشق وقال محمد بن كعب القرظي : هو مدينة إسكندرية . وقيل : مدينة بناها شداد ابن عاد فلما أتمها و أراد أن يدخلها أهلكه الله بصيحة نزلت من السماء و الأرام أعلام تبني من الحجارة « و إرم ذات العماد » إشارة إلى أعلامها المرفوعة المزخرفة على هيئة المنارة أو على هيئة القبور .

[ ذات العماد ] صفة لإرم واللام للجنس الشامل للقليل والكثير والعماد كالعمود و الجمع عمد بفتحين و بضمّتين وأعمدة ، أي ذات القدود الطوال على تشبيه قاماتهم بالعمود أو المراد ذات الخيام والأعمدة حيث كانوا بدويين وكانوا أهل عمد سيارة في الربيع فإذا هاج النبات رجعوا إلى منازلهم أو المراد ذات البناء الرفيع وكانوا ذات أبنية مرفوعة على عمد و كانوا يعالجون الأعمدة العظيمة فينصبونها و يبنون فوقها القصور و كانت بيوتهم ترى من أرض بعيدة و ذوات الأساطين و هذا على أن إرم اسم بلدتهم .

قال السهيلي : « إرم ذات العماد » هو جيرون بن سعد بن إرم وهو الذي بنى مدينة دمشق على عمد من رخام أدخل فيها أربعمئة ألف و أربعين ألف عماد من رخام وكانت تسمى جيرون وبه تعرف ثم سميت دمشق بدمشق بن عمرو .

[ التي لم يخلق مثلها في البلاد ] صفة أخرى لإرم و إذا كان اسم القبيلة فالضمير لها أي لم يخلق مثل هذه القبيلة في عظم جثتهم في القوة في النواحي والآفاق حيث كان طول الرجل منهم أربعمئة ذراع وكان يأتي الصخرة العظيمة فيحملها ويلقيها

على الحيّ فيهلكهم و ليس كلّ الناس كذلك بل كان هذا الاختصاص بقبيلتهم و نظيرهم في الطيور الرخ وهو طير في جزائر الصين يكون جناحه الواحد عشرة آلاف باع يحمل حجر في رجله كالبيت العظيمة ويلقيه على السفينة في البحر وقيل : المراد من قوله : « التي لم يخلق مثلها في البلاد » أي لم يخلق مثل مدينتهم في بلاد الدنيا فالضمير راجع إلى البلدة .

و مجمل قصة إرم قال وهب بن منبه : خرج عبدالله بن قلابة في طلب إبل له شردت فبينما هو في الصحاري إذ هو وقع في مدينة في تلك الغلوات عليها حصن وحول الحصن قصور كثيرة وأعلام طوال فلما دنا منها ظنّ أنّ فيها أحداً يسأل عن إبله فنزل عن دابّته وعقلها وسلّ سيفه و دخل من باب الحصن فلما دخل الحصن فإذا هو بباين عظيمين لم ير مثلهما و البابان مرصّعان بالياقوت الأبيض و الأحمر فلما رأى ذلك دهش ففتح إحدى البابين وإذا هو بمدينة لم ير أحد مثلها وإذا هو قصور و كلّ قصر فوقه غرف و فوق الغرف غرف مبنية بالذهب والفضة واللؤلؤ و الياقوت ثمّ نظر إلى الأزقة فإذا هو بشجر في كلّ زقاق منها قد أثمرت و تحت الأشجار أنهار مطّردة تجري ماؤها في مجاري من فضة فقال الرجل : والذي بعث محمّداً بالحق ما خلق الله مثل هذه في الدنيا وإنّ هذه هي الجنة الموعودة فحمل معه شيئاً من لؤلؤها و من بندق المسك و الزعفران و لم يستطع أن يقلع من جواهرها أضلاً لرصاصة بنائها و خرج و رجع إلى اليمن فأظهر ما كان معه و علم الناس بأمره فلم يزل ينموحتّى بلغ خبره إلى معاوية فأرسل في طلبه حتّى قدم عليه فقصّ عليه القصة .

[ و ثمود الذين جابوا الصخر بالواد ] و كيف فعل بثمود الذين قطعوا الصخر

و نقّبوها بالوادي الذي كانوا نازلين فيه . الجوب القطع ، و منه سمّي الحبيب . و الصخر الحجر الصليب الشديد . و الواد أصله الوادي حذف ياءه اكتفاء بالكسرة و رعاية لرأس الآي والمراد بالواد وادي القرى بالقرب من المدينة الشريفة من جهة الشام و أنّهم أوّل من نحت الصخور والجبال واتخذوا فيها لهم بيوتاً .

[ وفرعون ] أي كيف فعل بفرعون موسى و هو الوليد بن مصعب بن ريان ابن ثروان أبو العباس القبطي وإليه تنسب الأقداح العباسية [ ذي الأوتاد ] وصف بذلك لكثرة جنوده وخيامه التي يضربونها في منازلهم ويربطونها بالأوتاد والأطاب أولتعذيبه بالأوتاد .

روي عن ابن عباس أن فرعون إنم اسمي ذا الأوتاد لأن امرأة خازن حزبييل كانت ما شطة هيجل بنت فرعون وكان حزبييل مؤمناً يكتم إيمانه منذمئة سنة وكذا امرأته فبيناهي ذات يوم تمشط رأس بنت فرعون إذ سقط المشط من يدها فقالت : تعس من كفر بالله تعالى فقالت ابنة فرعون : وهل لك إله غير أبي؟ فقالت : إلهي و إله أبيك وإله السماوات والأرض واحد لاشريك له ، فقامت ودخلت على أبيها وهي تبكي فقال : ما يبكيك ؟ قالت : إن المشطة امرأة خازنك كذا تقول ، فأرسل إليها فسألها عن ذلك فقالت : صدقت فقال لها : ويحك اكفري بالله قالت : لأفعل فمدّها بين أربعة أوتاد ثم أرسل عليها الحيات والعقارب وقال لها : اكفري بالله وإلا عذبتك بهذا العذاب شهرين فقالت : لو عذبتني سبعين شهراً ما كفرت به و كانت لها ابنتان فجاء بابنتها الكبرى فذبحها عندها وقال لها : اكفري بالله وإلا ذبحت الصغرى أيضاً وكانت رضيعاً فقالت : لو ذبحت من في الأرض ما كفرت بالله تعالى فأتى بابنتها فلمّا أضحجت على صدرها و أرادوا ذبحها جزعت المرأة فأطلق الله لسان ابنتها فتكلمت و هي من الأربعة الذين تكلموا أطفالاً وقالت : يا أمّاه لا تجزعي فإن الله قد بنى لك بيتاً في الجنة اصبري فإنك تفضين إلى رحمة الله فذبحت فلم تلبث أن ماتت فأسكنها الله إلى جوار رحمة .

وكان فرعون قد تزوج امرأة من أجهل نساء بني إسرائيل يقال لها آسية بنت مزاحم فرأت ماصع فرعون بالمشطة فقالت في نفسها : كيف يسعني أن أصبر على ما يفعل فرعون وأنا مسلمة وهو كافر ، فبينما هي تؤامر نفسها إذ دخل عليها فرعون فجلس قريباً منها فقالت : يا فرعون أنت شرّ الخلق وأخبثهم عمدت إلى المشطة فقتلتها قال فرعون : فلعلك بك الجنون الذي كان بها قالت : ما بي من جنون و

إنّما المجنون من يكفر بالله الذي له ملك السماوات و الأرض فمدّها بين أربعة أوتاد يعدّها ففتح الله لها باباً إلى الجنّة ليهون عليها ما يصنع بها فرعون فعند ذلك قالت: <sup>(١)</sup> « ربّ ابن لي عندك بيتاً في الجنّة ونجّني من فرعون وعمله » فقبض الله روحها وأسكنها الجنّة .

[ الذين طغوا في البلاد ] أي عاداً و ثمود و فرعون تجبّروا في البلاد على أنبياء الله و عملوا فيها بمعصية الله [ فأكثروا فيها ] في البلاد [ الفساد ] من القتل و المعصية . ثمّ بيّن ما فعله بهم عاجلاً قال : [ فصبّ عليهم ربّك سوط عذاب ] السوط الجلد المفتول الذي يضرب به وهو عبارة عمّا حلّ بهم من فنون العذاب وهي الريح لعاد و الصيحة لثمود و الغرق للقبط و تسميته سوطاً للإشارة إلى أنّ ذلك بالنسبة إلى ما أعدّ لهم في الآخرة بمنزلة السوط .

قال أبو حيان : استعير السوط للعذاب لأنّه يقتضي التكرار و الترداد ما لا يقتضيه السيف ، و السوط عند العرب أشدّ العذاب لأنّ فيه الذلّة و التعبير عن إنزال العذاب بالصبّ للإيدان باستمراره و تتابعه و كثرته و نسبة العذاب إلى السوط و بالصبّ لبيان التتابع المتدارك على المضروب بقطرات المصبوب .

[ إنّ ربّك لبا لمُرصاد ] المرصاد المكان الذي يترقّب فيه الراصدون ، مفعال من رصده كالمبيقات من وقته ، و الباء للظرفيّة ، إنّه لفي المكان الذي تعبر فيه السابلة و ليس مصيرهم إلّا إلى الله ، شبهه سبحانه ترقّبه على أعمالهم بحال من قصد على طريق القافلة يترصّدهم ليظفر بالجائي لأخذ الماكس <sup>(٢)</sup> و لا مخلص لهم من العبور إلّا إلى ذلك الطريق و عن الصادق عليه السلام أنّه قال : المرصاد قنطرة على الصراط لا يجوزها عبد بمظلمة عبد و روي عن ابن عباس في هذه الآية قال : إنّ على جسر جهنّم سبع محابس يسأل العبد عندها أوّلها عن شهادة أن لا إله إلّا الله فإنّ جاء بها تامّة جاز إلى الثاني فيسأل عن الصلاة فإنّ جاء بها تامّة جاز إلى الثالث فيسأل عن الزكاة

(١) سورة التحريم : ١١ .

(٢) أي مال التجارة .

فإن جاء بها تامّة جاز إلى الرابعة فيسأل عن الصوم فإن جاء به تامّاً جاز إلى الخامس فيسأل عن الحجّ فإن جاء به تامّاً جاز إلى السادس فيسأل عن العمرة فإن جاء بها تامّة جاز إلى السابع فيسأل عن المظالم فإن خرج منها وإلاّ يقال له : انظروا فإن كان له تطوّع أكمل به أعماله فإذا فرغ انطلق به إلى الجنّة و إلاّ تردّي .  
ثمّ قسم سبحانه أحوال البشر فقال :

[ فأما الانسان إذا ابتلاه ربّه ] أي عامله معاملة من يبتليه بالغنى و اليسار [ فأكرمه و نعمّه ] و أعطاه النعمة [ فيقول ] مفتخراً : [ ربّي أكر من ] فيفرح بذلك و يسرّ و يقول : ربّي أعطاني هذا لكرامتي عنده و منزلتي لديه يحسب أنّه كريم على ربّه حيث وسع الدنيا عليه .

[ و أمّا إذا ما ابتلاه فقدّر عليه رزقه ] و امتحنه و جعل رزقه على قدر كفايته أو قوت يومه [ فيقول ] متضجّراً : [ ربّي أهانني ] أي أذلني بالفقر ولا يخطر بباله أنّ ذلك ليبلّوه أيصبر أم يجزع مع أنّه ليس من الإهانة في شيء بل هو مصلحة راجعة إلى العبد .

فقال سبحانه : [ كلاً ] أي ليس الأمر كما ظنّ فإنّي لا أغني المرء لكرامته عليّ ولا أفرقه لمهانتة عندي ولكنّي أوسع على من أشاء بحسب ما يوجبه الحكمة و إنّما الإكرام على الحقيقة يكون بالطاعة و الإهانة بالمعصية .

ثمّ بيّن سبحانه ما يستحقّ به الهوان فقال : [ بل لا تكرمون اليتيم ] انتقال من سوء أقواله إلى سوء أفعاله أي بل لكم أحوال أشدّ شرّاً ممّا ذكر وأدلّ على تهالككم حيث أعطاكم الله المال فلا تؤدّون ما يلزمكم فيه من إكرام اليتيم بالنفقة ، و اليتيم من بني آدم الذي فقد أباه و كان غير بالغ و من البهائم ما فقد أمّه قال ﷺ : « أحبّ البيوت إلى الله بيت فيه يتيم مكرم » .

[ ولا تحاضون على طعام المسكين ] بحذف إحدى التاءين و الحضّ الحثّ أي لا تحضون على إطعامه ولا تأمرون بالتصدّق عليه و من لا يحضّ غيره على إطعامه فبأن لا يطعمه بنفسه أولى ، فالمعنى أن لا تطعمون مسكيناً ولا تأمرون باطعامه غيركم .

[ وتأكلون التراث أكلاً لماً ] قال مقاتل : كان قدامة بن مظعون يتيماً في حجر أمية بن خلف فكان يدفعه عن حقه فنزلت . والتراث أصله « وراث » قلبت و اوه تاء مثل تجاه أصله وجاء ، أي تأكلون الميراث أكلاً مجموعاً بين الحلال والحرام فانهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان و يأكلون أنصباهم أو المعنى أنهم يأكلون ما جمعه المورث من حلال و حرام و مشتبه عالمين بذلك ولا يبالون و قيل : المراد أموال اليتامى و لم يرد الميراث الحلال لأنه لا يلام عليه ، و أكلاً لماً يعني تلمسون جميعه نصيبكم و نصيب غيركم و تأكلونه .

[ و تحببون المال حباً جماً ] كثيراً مع حرص و شره و منع حقوق يقال : جمّ الماء في الحوض إذا اجتمع فيه و كثر .

[ كلاً ] ردع و إنكار أن يكون الأمر كذلك في الحرص على الدنيا و عدم المبالاة في الحرام و ترك الموااساة منها و توهّم أن لا حساب ولاجزاء و إيثار الحياة الفانية على الحياة الدائمة [ إذا دكّت الأرض دكّاً دكّاً ] تعليل للردع « الدكّ » الدقّ والكسر و حطّ المرتفع بالبسط، ودكّاً الثاني ليس تأكيداً للأوّل بل هودكّ آخر سوى الأوّل و المعنى : إذا دكّت الأرض دكّاً متتابعاً و ضرب بعضها ببعض حتى انكسر و ذهب كلّ ما على وجهها و زلزلت زلزلة بعد زلزلة و صارت هباءً منثوراً و هو عبارة عمّا عرض لها عند النفحة الثانية .

[ و جاء ربّك ] أي أمر ربّك و آثار قهره وقضاؤه ، على حذف المضاف وقال بعض المحقّقين : المعنى و جاء ظهور ربّك الظهور المعرفة به ضرورة وظهور المعرفة بالشيء ، يقوم مقام ظهوره ورؤيته لأنّ المعارف بالله صادك ذلك اليوم ضرورية ويرتفع الشكّ كما يرتفع عند مجيء الشيء الذي كان يشكّ فيه ، جلّ و تقدّس عن المجيء ، والذهاب لأنّه ليس بجسم تعالى عن ذلك .

[ والملك صفّاً صفّاً ] أي يجيء الملائكة حالكونهم مصطفين فانّه ينزل يومئذ ملائكة كلّ سماء فيصطفون سبع صفوف عدداً السماوات السبع اصطفاً أهل الصلاة في الدنيا .

[ و جيء يومئذ بجهنم ] قال ابن مسعود : تقاد جهنم بسبعين ألف زمام معه سبعون ألف ملك يجرونها حتى تنصب على يسار العرش لها تعيظ و زفير فتشرد شرده لو تركت لأحرقت أهل الجمع و يجثو كل نبي و ولي من الهول و الهيبة على ركبته و يقول : نفسي نفسي حتى يعترض لها رسول الله ﷺ و يقول : أممي أممي فتقول النار : مالي و مالك يا محمد ؟ لقد حرّم الله لحملك علي .

و تأول بعض المتأولين بأن المراد من مجيء جهنم عبارة عن إظهارها حتى يراها الخلق مع ثباتها في مكانها و حملوا الجر في الحديث في قوله : «يجر و نها حتى تنصب» مباشرة أسباب ظهورها ، أو المراد بمجيء جهنم مجيء صورتها المثالية و هذا القول منهم ليس بصحيح ولا حاجة إلى الحمل في الكلام على التجوز فإن الله قادر على كل شيء و ليس هذا الأمر ببدع في مقام القدرة ، و الأرض يومئذ أوسع شيء فهي تسع جهنم و أهل المحشر جميعاً فما الداعي إلى حمل معنى المجيء بصورتها المثالية .

[ يومئذ يتذكر الإنسان ] بدل من « إزادك » و العامل فيها قوله : « يتذكر الإنسان » أي يتذكر ما فرط فيه بتفاصيله فيبرز كل من الحسنات و السيئات مما يناسبها ، و الأعمال تتجسم في النشأة الآخرة و يقبل التذكير و يتعظ الذي بلغه في الدنيا و ما كان يتعظ منه و لم يقبله فيقول<sup>(١)</sup> : «يا ليتنا نرد و لا نكذب بآيات ربنا» ولكن لا فائدة هناك من القبول و التذكر .

[ و أنسى له الذكرى ] إنكار لفائدة تذكره لأنه وقع في وقت لا ينفعه و فات زمانه فحينئذ هذا التذكر و الندم عار عن الجدوى و « أنسى » خبر مقدم للذكرى أي و من أين له الذكرى و نفعه .

[ يقول يا ليتني ] أي يا أيها الحاضرون ليتني [ قدّمت لحياتي ] كأنه قيل : ماذا يقول عند تذكره ؟ فقيل يقول : يا ليتني عملت لأجل حياتي هذه أعمالاً صالحة أنتفع بها اليوم و قدّمت عملاً ينجيني من العذاب .

[ فيومئذ ] أي يوم إذ يكون ما ذكر من الأحوال [ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد ] الهاء في « عذابه » راجع إلى الله و العذاب بمعنى التعذيب و كذا الوثاق بالفتح بمعنى الإيثاق و هو الشد بالوثاق والوثاق ما يشد به من الحديد والحبل و نحوه والمعنى لا يتولى عذاب الله و وثاقه أحد سواء إذ الأمر كله له ويجوز أن يكون الهاء للإنسان أي لا يعذب أحد من الزبانية مثل ما يعذبونه و قرأهما الكسائي و يعقوب على البناء للمفعول قال الزمخشري : هي قراءة رسول الله ﷺ . و بالجملة قال بعض أهل التفسير : معنى الآية لا يعذب عذاب الله ولا يوثق إيثاق الله أحد من الخلق و أمّا القراءة بفتح العين في « يعذب و يوثق » فالمعنى لا يعذب أحد من عصاة المؤمنين تعذيب هذا الكافر وهو الذي ذكر في قوله : « لا تكرمون اليتيم » الآيات ، وعلى هذا المعنى وإن أطلق لكن الأولى أن يكون المراد التقييد لأننا لا نعلم أن إبليس أشد عذاباً منه وقيل : معنى الآية إنه لا يعذب أحد غيره بعذابه لأنه المستحق بعذاب نفسه ولا يؤاخذ الله أحداً بكسب غيره .

[ يا أَيَّتْهَا النَّفْسُ الْمَطْمَئِنَّةُ ] لما ذكر سبحانه شقاوة النفس الأمارة شرع في بيان أحوال النفس المطمئنة واطمئنان السكون والوصول إلى اليقين والمعرفة وفي قوله (١) : « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » تنبيه على أن الإكثار من العبادة من موجبات اطمئنان النفس ومن كان متمكناً في مقام الترقى تخلص من التنزل إلى مقام النفس الأمارة و تخلّى عن صفاتها الذميمة وتخلّى بالأخلاق الحميدة .

[ ارجعي إلى ربك ] وإلى ما وعدك من الزلفى والكرامة [ راضية مرضية ] بما أوتيت من النعيم الدائم مرضية عند الله [ فادخلي في عبادي ] في زمرة الصالحين المختصين بي [ وادخلي جنّتي ] معهم ، والدخول في زمرة الخواص هي السعادة الروحانية .

تمت السورة بعون الله .



## سورة البلد

﴿مكية﴾

قال رسول الله ﷺ : من قرأها أعطاه الله الأمن من غضبه يوم القيامة .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لا أقسم بهذا البلد (١) وأنت حل بهذا البلد (٢) ووالد وما ولد (٣)  
 لقد خلقنا الإنسان في كبد (٤) أي حسب أن لن يقدر عليه أحد (٥) يقول  
 أهلك ما لا أبدا (٦) أي حسب أن لم يره أحد (٧) ألم نجعل له عينين (٨)  
 ولساناً وشفقتين (٩) وهديناه النجدين (١٠) فلا اقتحم العقبة (١١) وما  
 أدريك ما العقبة (١٢) فك رقبة (١٣) أو اطعام في يوم ذي مسغبة (١٤)  
 يتيماً ذا مقربة (١٥) أو مسكيناً ذا متربة (١٦) ثم كان من الذين آمنوا و  
 تواصوا بالصبر و تواصوا بالمرحمة (١٧) أولئك أصحاب الميمنة (١٨)  
 و الذين كفروا بأياتناهم أصحاب المشأمة (١٩) عليهم نار موصدة (٢٠) .  
 أجمع المفسرون على أن هذا قسمٌ بالبلدة الحرام الذي هو مكة و « لا »  
 لتأكيد القسم كقول العرب : لا والله ما فعلت كذا لا والله لأفعلن كذا ، وأقسم  
 سبحانه بمكة لفضلها فإنه جعلها حرمها آمناً وهي مسقط رأس النبي ﷺ و حرم  
 أبيه إبراهيم و منشأ أبيه إسماعيل و قبلة لأهل الشرق والغرب ، و حج البيت كقارة  
 لذنوب العمر و جعل البيت المعمور بإزائه .

[ وأنت حلٌ بهذا البلد ] وأنت خطاب للنبي ﷺ والحل بمعنى الحال من  
 الحلول وهو النزول أي والحال أنك يا محمد نازلٌ بها فبده سبحانه قسمه عليه بحلولة  
 ﷺ فيها إظهاراً لمزيد فضلها فإنها بعد أن كانت شريفة بنفسها زاد شرفها بحلول

النبي الشريف فيها فما لا شرف فيه يحصل له شرف بشرف المكين وما فيه شرف ذاتي يحصل له بشرف شرف زائد وقد سمى ﷺ المدينة طابة لأنها طابت به وبمكانه .

[ ووالد وما ولد ] والمراد من الوالد إبراهيم وما ولد إسماعيل أو محمد ﷺ فحينئذ تتضمن السورة القسم بالنبي ﷺ في موضعين أو المراد آدم وذريته وقيل : « الوالد » هو النبي « وما ولد » أمته المرحومه لقوله ﷺ : « إنما أنا لكم مثل الوالد أعلمكم أمر دينكم وما يصلح شأنكم » ولقوله ﷺ : « أنا وعلي أبو هذه الأمة » وأمومية الأزواج المطهرة تقتضي أبوته ﷺ إذ كل من كان سبباً لايجاد شيء أظهوره يسمى أباً وقد قال ﷺ : « أنا من الله والمؤمنون من فيض نوري » وقيل : يعني بالآية كل والد وولده وقيل : يعني والد من لو ولد له يعني العاقر فيكون « ما » نافية والتقدير وما ما ولد فحذف ما الأولى التي تكون موصولة .

[ لقد خلقنا الإنسان في كبد ] أي نصب و شدة وقوله : « خلقنا الإنسان » جواب للقسم ومن هذا المعنى اشتقت المكابدة بمعنى مقاساة الشدة و « في كبد » حال من الإنسان بمعنى « مكابداً » وحرف في واللام متقاربان تقول : إنما أنت للعناء والنصب وإنما أنت في العناء والنصب فابن آدم يكابد من البلايا ما لا يكابده غيره من مصائب الدنيا وشدائد الآخرة ، والكبد في اللغة شدة الأمر ومنه تكبّد اللبن إذا غلظ واشتد ومنه الكبد لأنه دم يغلظ ويشتد وتكبّد الدم إذا صار كالكبد .

وبالجملة فالإنسان يقاسي فنون الشدائد مبدؤها ظلمة الرحم ومضيقة ومنتهاه الموت وأول ما يتولد فهو في النصب والعناء من قطع سرته والتفافه بخرقة يحتوي الأعضاء وألم الختان ومكابدة المعلم وصولته والأستاذ وهيبته ثم التزوج ومكابدته للمعاش والأولاد والمنزل والنزل والكبر والهرم ومصائب كثيرة لا يمكن تعدادها كالصداع والأوجاع والأضراس و رقد العين وهم الدين وشدائد التكليف كالشكر على السراء والصبر على الضراء وأداء العبادات كالصوم والصلاة والزكاة والحج والجهاد ثم شدة الموت وسؤال الملك وظلمة القبر والبعث والعرض على الملك المحاسب

بل لا يرى في عمره لذة في الدنيا وما يحسبه اللذة فهو دفع ألم فاللذة من الأكل هي التخلص من الجوع وهكذا فليس للإنسان إلا الشدة أو التخلص من الشدة .  
وقيل : معنى الآية « خلق الإنسان في كبد » أي قائماً مستوياً منتصباً وغيره من الحيوان مكباً يمشي فالكبد المراد منه الاستقامة والاستواء . و في الآية تسليية لرسول الله بما يقاسي من كفتار قريش و تنبيه على أن الإنسان ينبغي له أن يعلم أن الدنيا دار كبد ومشقة والآخرة دار النعمة والراحة فيسعى لآخرته .

[ أيحسب أن لن يقدر عليه أحد ] أي أيظن هذا الإنسان أن لن يقدر على عقابه إذا عصى الله و ركب القبائح ، فبئس الظن ذلك أويحسب هذا المغتر بما له مثل الوليد بن المغيرة وأمثاله أن لن يقدر عليه أحد بأخذ ما له أولاً يحاسب عليه من أين اكتسبه وفيما ذا أنفقه قيل : المراد الأشد بن كلدة وهو رجل من جمح كان قوياً شديد الخلق بحيث يجلس على أديم عكاظي فتجره العشرة من تحته فينقطع الأديم ولا يبرح من مكانه .

ثم أخبر سبحانه عن مقالة هذا الإنسان [ يقول أهلكت مالاً لبد ] أي كثيراً متلبداً مجموعاً من تلبد الشيء إذا اجتمع يريد كثرة ما أنفقه مفاخرة و سُمعة و كان أهل الجاهلية يسمون مثل ذلك مكارم . وفي لفظ الإهلاك إشارة إلى أنه ضائع في الحقيقة إذ لا ينتفع به صاحبه في الآخرة كما قالت عائشة في حق عبد الله بن جذعان : كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذلك نافعه يارسول الله؟ فقال ﷺ : لا ينتفع لأنه لم يقل يوماً : رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين . وقيل : المراد في الآية هو الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف و ذلك أنه أذنب ذنباً فاستفتى رسول الله ﷺ فأمره أن يكفر فقال : لقد ذهب مالي في الكفارات و النفقات منذ دخلت في دين محمد ، عن مقاتل .

[ أيحسب ] ذلك الأحمق [ أن لم يره أحد ] فيطالبه من أين اكتسبه و فيما أنفقه ، و كان بعض المشركين يصرفون أموالاً في عداوة رسول الله ﷺ أي إن الله رآه واطلمع على خبث نيته وفساد سريرته و مثل هذا الإنفاق رذيلة فكيف يعدّه

فضيلة . في الحديث عن النبي ﷺ : « لا تزول قدما العبد حتى يسأل عن أربع عن عمره فيما أفناه وعن ماله من أين جمعه وفيما ذا أنفقه و عن علمه ما ذا عمل به و عن حبنا أهل البيت » .

[ ألم نجعل له عينين ] يبصر بهما آثار قدرته وحكمته ويفرق بهما بين ما يضر وما ينفع ولعل المراد من العينين عين البصر وعين البصيرة ، والعين تحرس البدن من الآفات وهي نيرة كالمرة إذا قابلها شيء ارتسمت صورته فيها مع صغر الناظر وجعل لها أجفاناً يسترها وأهداباً من الشعر كجناح الطائر تطرد بانضمامها وبانفتاحها الهوام والذباب والموزيات عن العين وجعل العين في الرأس لأن السراج يوضع على مكان مرتفع وجعلها ثنتين كالشمس والقمر وجعل فوقهما حاجبين أسودين لئلا يتضرر البصر بالضياء والسواد يقوي البصر ولذا يقوي الأثم البصر وجعل الخدقة محرمة في مكانها لتتحرك في الجهات يمنة ويسرة فيبصر بها من غير أن يلوي عنقه وجعل الناظرين على خط مستقيم عرضاً ولم يقع واحد منهما أعلى ولا أخفض ليتجمع الناظران على شيء واحد لئلا يتراى له الشخص الواحد شخصين .

[ولساناً وشفيتين] وجعل بحكمته له لساناً يترجم به عن ضمائره وبه تنفقد الأمور كالشهادات والمعاملات وبه يدرك الطعوم ولو لم يكن اللسان لاحتاج إلى الإشارة أو الكتابة فيتعسر الأمر « وشفيتين » ليستعين بهما على البيان وعلى الإطباق إذا أراد السكوت والأكل والشرب والنفخ وفي الدعاء : الحمد لله الذي جعلنا نطق بلحم ونبصر بشحم ونسمع بعظم وفي الحديث : « إن الله يقول : ابن آدم إن نازعك لسانك فيما حرمت عليك فقد أعنتك بطبقتين فأطبق وإن نازعك بصرك إلى بعض ما حرم الله فقد أعنتك عليه بطبقتين فأطبق فرجك إلى ما حرمت عليك فقد أعنتك بطبقتين فأطبق » .

[ وهديناه النجدين ] معطوف على « ألم نجعل » أي وهديناه طريقي الخير والشر كما قال ﷺ : « هما النجدان نجد الخير ونجد الشر فلا يكن نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير » وقيل : المراد من النجدين الثدين لأنهما ظريفان مرتفعان

لنزول اللبن و هما سببان لحياة المولود و تمكين مولود عاجز من رضاع أمّه عقيب  
الولادة قدرة جليّة لكنّه قيل لأمير المؤمنين عليه السلام : « إن ناساً يقولون : في الآية  
إنّهما الثديان فقال : لا، هما الخير والشر .

فان قيل : كيف يكون نجد الشرّ مرتفعاً كنجد الخير و لا رفعة للشرّ  
فالجواب أنّهما باديان و ظاهران، على أن عادة العرب و أهل اللسان في تشنية الأمرين  
إذا اشتركا على بعض الوجوه فيجري لفظ أحدهما على الآخر كقولهم «القمران»  
قال الفرزدق :

أخذنا بآفاق السماء عليكم ☆ لنا قمرها و النجوم الطوالع  
[ فلا اقتحم العقبة ] الاقتحام الدخول في أمر شديد و مجاوزته بصعوبة و الرمي  
فيه بنفسه فجاءة بلا رويّة ، و العقبة الطريق الوعر في الجبل أي لم يشكر الإنسان  
تلك النعم الجليلة بالأعمال الصالحة و عبّر عنها بالعقبة لصعوبة سلوكها و هذا أحد  
الأقوال فحينئذ « لا » بمعنى « لم » و قيل : الآية على وجه الدعاء عليه أي لا نجا  
ولا سلم من العقبة و لا جاوزها ، و القول الثالث أن المعنى هلاً اقتحم العقبة و قيل :  
هذا مثل ضربه الله لمجاهدة النفس و الشيطان فجعل ذلك كتكليف صعود العقبة  
الشاقّة كأنّه قال : لم لم تحمّل على نفسه المشقّة بايجاب التكليف مثل عتق الرقبة  
و الاطعام .

[ وما أدراك ما العقبة ] أي أيّ شيء أعلمك يا محمد ما اقتحام العقبة ثمّ ذكره  
فقال : [ فك رقبة ] وهو تخليصها من إيسار الرق و الرقبة اسم العضو المخصوص و  
يعبّر بها عن الجملة كما يعبّر بالرأس عن المر كوب و الفكّ ليس تفسيراً لنفس  
العقبة بل لاقتحامها لأنّ العقبة عين و الفكّ حدث و فعل فلا يكون تفسيراً للآخر  
و الخبر حينئذ يكون عين المبتداء و هو لايجوز ثمّ فكّ الرقبة قد يكون بأن ينفرد  
الرجل في عتق الرقبة و قد يكون بعين في تخليص نفس من قود أو غرم و كلّه يشمل  
الفكّ دون الإعتاق، و يجوز أن يكون المراد بفكّ الرقبة أن يفكّ المرء رقبة نفسه من  
عذاب الله و يتخلّص بالأعمال الصالحة من النار و هي الحرّيّة . قال رسول الله : « إن

أمامكم عقبة كؤودة لايجوزها المثقلون وأنا أريد أن أخفف عنكم لتلك العقبة» قال ابن عباس : العقبة هي النار .

وقيل : إنها الصراط يضرب على جهنم كحدّ السيف مسيرة ثلاثة آلاف سهلاً وصعوداً وهبوطاً وإنّ بجنبيه كلاليب وخطاطيف كأنّها شوك السعدان فمن بين سالم وناج ومخدوش ومكدوش عليه و منكوس في النار فمن الناس من عبر كالبرق الخاطف ومنهم من عبر عليه كالريح العاصف ومنهم عبر عليه كالفارس ومنهم كالراجل يعدو ومنهم من يسير ومنهم من يزحف زحفاً ومنهم من يكردس في النار ومنهم كما بين صلاة العصر إلى العشاء .

جاء في الحديث أنّه جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال : علّمني عملاً يدخلني الجنة قال ﷺ : « عتق النسمة وفك الرقبة (قال الأعرابي : أوليس عتق النسمة وفك الرقبة واحدة ؟ قال ﷺ : عتق النسمة أن تنفرد بعنتها وفك الرقبة أن تعين بثمانها) والفيء على ذي الرحم الظالم، فإن لم يكن ذلك فأطعم الجائع واسق الظمآن وأمر بالمعروف وانه عن المنكر فإن لم تطق ذلك فكف لسانك إلا من خير» .

[ أو إطعام في يوم ذي مسغبة ] أي ذي مجاعة و مسغبة بتقديم الغين على الباء ومقربة مصدر ميمي وقيّد الأ طعام بيوم المجاعة لأنّ إخراج المال في ذلك الوقت أوجب للأجرو أثقل على النفس و أنفع للناس [ يتيماً ] مفعول إطعام [ ذا مقربة ] من قرابة النسب ويمكن أن يلحق به قرب الجوار [ أو مسكيناً ذامترية ] أي صاحب فقر كأنّه لصق بالتراب من ضرّه وفقره مأواه المقابر والمزابيل وقيل : معناه الغريب أي البعيد التربة ليس من أهل أرضك .

[ ثمّ كان ] هذا المطعم والمعتق [ من الذين آمنوا ] أي بشرط أن يكون المعتق والمنفق من المؤمنين بالله وبرسوله لامن الذين يهلك ما له رياءً و فخاراً و سمعة ولم يؤمن بالله وإلا فيكون مثله كمثل ريح فيها صرّ أصابت حرث قوم ، بل يكون من الذين استقاموا على إيمانهم [ وتواصوا بالصبر ] على مشقة أداء فرائض الله والصبر

عن معصية الله [ وتواصوا بالمرحمة ] وأوصى بعضهم بعضاً على أهل الفقر وذوي الفاقة من المؤمنين .

[ أولئك ] الموصوفون بالنعوت الجليلة ، وفي اسم الإشارة دلالة على حضورهم عند الله في مقام الكرامة [ أصحاب الميمنة ] ويعطون كتبهم بأيمانهم والصلحاء ميامين بضاعتهم .

[ والذين كفروا بآياتنا ] وحججنا وأنبيائنا و كتابنا [ هم أصحاب المشأمة ] وهم الذين يعطون كتبهم بشمائلهم و من وراء ظهورهم ويسلك بهم شمالاً إلى النار أو أصحاب الشؤم والشر والشقاوة .

[ عليهم نار موصدة ] أي نار أبوابها مغلقة فلا يفتح لهم باب فلا يخرج منها ولا يدخل فيها روح أبداً ، أي موصدة الأبواب من أوصدت الباب إذا أطبقته من المعتل الفاء ، ومن قرأ «موصدة» بالهمزة من آصده بالمد من المهموز مثل آمن إذا أطبقته وأحكمته . تمت السورة بعون الله .



## سورة الشمس

﴿مكية﴾

قال النبي ﷺ : من قرأها كان كمن تصدق بكل شيء طلعت عليه الشمس والقمر. قال أبو عبد الله عليه السلام : من أكثر قراءة الشمس وسورة الليل وسورة والضحى وألم نشرح في يومه وليلته لم يبق شيء بحضرته إلا شهد له يوم القيامة حتى شعره و لحمه و دمه و عروقه و عظامه و جميع ما أفلت الأرض منه، ويقول الرب : قبلت شهادتكم لعبدى و أجزتهاله ، انطلقوا به إلى جناتي حتى يتخير منها حيثما أحب فأعطوه إيها رحمة وفضلاً مني عليه فهنيئاً هنيئاً لعبدى .



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

و الشمس و ضحيتها (١) و القمر اذا نلّيتها (٢) و النهار اذا جليها (٣)  
 و الليل اذا يغشيها (٤) و السماء و ما بنيتها (٥) و الارض و ما طحيها (٦)  
 و نفس و ما سويها (٧) فالفهمها فجورها و تقويها (٨) قد افلح من  
 زكّيتها (٩) و قد خاب من دسيها (١٠) كذبت ثمود بطغويها (١١)  
 اذ انبعث اشقيها (١٢) فقال لهم رسول الله ناقة الله و سقيها (١٣)  
 فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبيهم فسويها (١٤) و لا يخاف  
 عقبيها (١٥) .

أقسم سبحانه بالشمس و لماً كان قوام العالم من الحيوان و النبات بطلوع  
 الشمس و غروبها أقسم بها و بضحائها و هو امتداد ضوءها و انبساط نورها و وقت إشراق  
 الضوء ، و الضحى و الضحوة مشتقان من الضحّ و هو نشر النور فيجوز بهذا الاعتبار  
 أن يكون هو النهار كله .

[ و القمر إذا تلاها ] من التلو أي إذا تبعها بأن طلع بعد غروبها و ذلك في  
 النصف الأول من الشهر .

[ و النهار إذا جلاها ] أي جلى الظلمة و كشفها و جازت الكناية عن الظلمة و  
 إن لم تذكر لأن المعنى معروف و غير ملتبس أو الضمير إلى الشمس أي إن النهار  
 أظهر الشمس فانها تتجلى عند انبساط النهار فكأنه جلاها مع أن الشمس تبسطها  
 و لماً كان الجلاء واقعاً في النهار أسند فعل التجلية إليه إسناداً مجازياً مثل «نهاره  
 صائم» .

[ و الليل إذا يغشاها ] هو ظلّ الأرض الحائلة بين الشمس أي يغشى الشمس  
 حتى تغيب فتظلم الآفاق ويلبسها سواده و يغطي الليل ضوء الشمس ، و لماً كان احتجاب

الشمس بحيلولة الأرض بيننا وبينها واقعاً في الليل صار الليل كأنه حجبها وغشاها فأسند النغشية إلى الليل لذلك، والواو الأولى في قوله : « والشمس » هي التي للقسم وسائر الواوات في ما بعدها عطف عليها إلى قوله تعالى : « قد أفلح من زكّاه » و هو جواب القسم واختيار صيغة المضارع هنا على الماضي للدلالة على أنه لا تجري عليه تعالى زمان فالمستقبل عنده كالماضي ولمراعاة الفواصل فلا يلزم تعدد القسم مع وحدة الجواب إذا كانت الواوات عاطفة .

[ والسماء وما بناها ] أي ومن بناها في غاية العلوّ والعظمة وهو الله وإيثار « ما » على « من » لارادة الوصفية تعجبياً كأنه قيل : و القادر العظيم الذي بناها وكذا القول في [ والأرض وما طحاها ] ولكنّ الأظهر أنّ « ما » مصدرية ومعناها والسماء و بنائها والأرض وطحوها أي تسطيحها وبسطها ليتمكن الخلق التصرف فيها والانتفاع منها والطحو الدحو ، و إبدال الطاء من الدال جائز .

[ ونفس وما سواها ] أي ومن أنشأها وأبدعها مستعدة لكمالاتها أو المعنى و نفس وتسويتها ، بناءً على أنّ « ما » مصدرية والتنكير للتكثير أو للتفخيم على أنّ المراد نفس آدم ﷺ ولكنّ التكثير أنسب من أن يكون للتعظيم .

[ فآلهمها فجورها و تقواها ] الفاء للتعقيب والإلهام إلقاء الشيء من الروع و الخاطر و التهام الشيء ابتلاعه، والفجور شقّ ستر الديانة، قدّم على التقوى لمراعاة الفواصل أو لشدة الاهتمام بنفيه لأنّه إذا انتفى الفجور وجدت التقوى و المعنى أفهم النفس إياهما وعرفّها جالهما من الحسن و القبح و إلهام الفجور لتجنّبه لا لتعمل به و تقواها لتعمل به وهذه الآية مثل قوله : « وهدينا النجدين » أي بيّنا الطريقين وألهمنا الأمرين فحاصل المعنى أنّه سبحانه عرفّها الفجور و التقوى وزهدها في الفجور بأحكام المنع و رغّبها في التقوى بأوامر الفعل .

[ قد أفلح من زكّاه ] على هذا وقع القسم أي قد أفلح من زكّي نفسه وأصلحها بطاعة الله [ وخاب من دساها ] وحرّم وخسر ولم ينل ما طلب من دساها وأدخلها في المغاصي وأرسلها في المشتبهات الطبيعية ومن دس نفسه في أهل الخير وليس منهم فهو

خائب ومحروم . وأصل دسّى دسّس من التدسيس كنفصّى أصله التفضّض، واجتماع الأمثال لما أوجب الثقل قلبت السين الأخيرة ياءً . قال الراغب : الدسّ إدخال الشيء في الشيء ، والمراد بالنفس في الآية الذات و الحقيقة الجمعية الإنسانية .

[ كذّبت ثمود ] المراد القبيلة [ بطغواها ] الباء للسببية و الطغوى بالفتح مصدر بمعنى الطغيان قال الزمخشري في الكشّاف : الطغوى من الطغيان، فصلّوا بين الاسم و الصفة في «فعلّى» من بنات الياء بأن قلبوا الياء و اوا في الاسم و تركوا القلب في الصفة و معنى الآية أي فعلت قبيلة ثمود التكذيب بسبب طغيانها .

[ إذ انبعث أشقاها ] منصوب بكذّبت أو بالطغوى أي حين قام أشقى ثمود و هو قدار بن سالف امثالاً لأمر من بعثه ، و انبعث مطاوع لبعث والانبعث الإسراع في الطاعة للبعث وصيغة أفعال التفضيل إذا أضيف يصلح للواحد والمتعدّد والمذكّر و المؤنث .

[ فقال لهم ] لثمود: [رسول الله] لما علم ما عزموا عليه وهو صالح بن عبيد بن جابر بن ثمود بن عوص بن إرم ، عبّر عنه بعنوان الرسالة إيذاناً بوجوب طاعة الرسول و بياناً لتماديهم في الطغيان [ ناقة الله ] منصوب على التحذير وإن لم يكن من الصور التي يجب فيها حذف العامل. والإضافة للتشريف مثل بيت الله، أي ذروا ناقة الله الدالة على كمال قدرته وعلى نبوّتي واحذروا عقرها [ و سقياها ] أي شربها ونصيبها من الماء ولا تطردوها عن الماء في نوبتها وكان لها شرب يوم معلوم ولهم و مواشيهم شرب يوم آخر وكانوا يستضرون بذلك في مواشيهم فهمّوا بعقرها .

[ فكذّبوه ] أي رسول الله في وعيده حين قال لهم : (١) « ولا تمسّوها بسوء فياخذكم عذاب قريب » [ فعقروها ] و الجمع على تقدير وحدته لرضى الكلّ بفعله والعاقر قدار وأمه قديرة وصاحبه الذي شاركه اسمه مصدح .

وفي الحديث قال النبي ﷺ : لعليّ يا عليّ أتدري من أشقى الأولين؟ قال : الله أعلم و رسوله قال : عاقر الناقة وأشقى الآخرين قاتلك يا عليّ الذي يضربك على

هذه -وأشار إلى يافوخه- حتى تبلّ منها هذه ، وأخذ بلحيته .  
[ فدمدم عليهم ربّهم ] وأطبق عليهم العذاب وهو الصيحة الهائلة، تقول : ناقة مدمومة إذا طلّمت بالشحم وأحيطت بحيث لم يبق منها شيء لم يمسه الشحم ودمّ الشيء سدّه بالقبر ثم كرّرت الدال للمبالغة في الإحاطة فالدمدمة من الدمّ كالكبكية من الكبّ [ بذنّبهم] بسبب ذنّبهم المحكيّ [ فسوّاها ] أي فسوّى الدمدمة الإهلاك بينهم بحيث لم يفكّ منهم أحد من صغير و كبير أو فسوّى ثمود بالأرض روي أنّهم لمّا رأوا اعلامات العذاب طلبوا صالحاً أن يقتلوه فأنجاه الله كما قال في سورة هود (١) : « فلمّا جاء أمرنا نجّينا صالحاً والذين آمنوا معه برحمة منّا » .

[ ولا يخاف عقباها ] الواو للاستيناف أو للحال من المنويّ في « فسوّاها » الراجع إلى الله أي فسوّاها الله غير خائفة عاقبة الدمدمة والإهلاك وذلك أنّه تعالى لا يفعل إلاّ بحقّ وقيل : ولا يخاف هو أي قدار ما يعقبّ عقرها وما يترتّب عليه

من أنواع العذاب والعقوبة مع أنّ صالحاً قد أخبرهم

بها وقيل : ولا يخاف صالح عقبي العذاب

لأنّه كان ما مؤناً من الله .

تمت السورة بعون الله



## سورة والليل

﴿مكية﴾

من قرأها أعطاه الله حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والليل اذا يغشى (١) والنهار اذا تجلّى (٢) وما خلق الذكر  
والانثى (٣) ان سعيكم لشتى (٤) فاما من اعطى واتقى (٥) وصدق بالحسنى (٦)  
فسييسره لليسرى (٧) واما من بخل واستغنى (٨) وكذب بالحسنى (٩)  
فسييسره للعسرى (١٠) وما يغنى عنه ماله اذا تردى (١١) ان علينا للهدى (١٢)  
وان لنا للاخرة و الاولى (١٣) فأنذرتكم نارا تلظى (١٤) لا يصلوها الا  
الاشقى (١٥) الذى كذب وتولى (١٦) وسيجنبها الا اتقى (١٧) الذى يوتى  
ماله يتزكى (١٨) و ما لاحد عنده من نعمة تجزى (١٩) الا ابتغاء وجه  
ربه الاعلى (٢٠) و لسوف يرضى (٢١) .

« إذا » للحال لأنها بعد القسم أي أقسم بالليل حين يغشى الشمس ويستورها  
فعدم ذكر المفعول للعلم به والليل عند أهل النجوم ما بين غروب الشمس و طلوعها  
وعند أهل الشرع ما بين غروبها وطلوع الفجر الصادق أقسم سبحانه بالليل إذا يغشى  
بظلمته النهار أو الأفق وجميع ما بين السماء والأرض و أغشى الأنام بالظلام .

[ والنهار إذا تجلّى ] أي بان وظهر من بين الظلمة و هو من أعظم النعم إذ لو  
كان الدهر كله ظلاماً لما أمكن الخلق طلب معاشهم كما أن الليل من أعظم النعم  
لأنه لو كان ذلك كله ضياءً لما انتفعوا لسكونهم وسباتهم و راحتهم على أن الليل  
وقت عيش الصالحين وفيه يتقرب المقرّبون حين ينادون الأقدخلا كلّ حبيب بحبيبه  
فأين أحبائي ؟

الليل داج والعصاة نيام ☆ والعابدون لذي الجلال قيام  
 [ وما خلق الذكور والأنثى ] أي والذي خلق الذكر والأنثى وعلى هذا يكون  
 « ما » بمعنى « من » وقيل : معناه خلق الذكر والأنثى فتكون « ما » مصدرية والمراد  
 من الذكر والأنثى آدم وحواء أو جميع ذكر وأنثى وقرأ ابن مسعود الآية « والذكر  
 والأنثى » قال : وهكذا سمعت رسول الله يقرأها .

[ إن سعيكم لشتى ] هذا جواب القسم أي إن أعمالكم لمختلفة فعمل للجنة  
 وعمل للنار والسعي مصدر مضاف ومن صيغ العموم، ولذا أخبر عنه بالجميع وشتى  
 جمع شتيت مثل مرضى و مريض و هو المتفرق المتشتت أي مساعيكم مختلفة بعضها  
 حسن نافع صالح وبعضها قبيح ضار شر فاسد فميل بعضكم إلى جانب الروح ومتوجه  
 إلى الخير والنورية وبعضكم إلى جانب النفس الأمارة وتغلبه الظلمة .

قال بعض أهل التحقيق : إن النفس بأقسامها حقيقة واحدة متحدة ويختلف  
 باختلاف توارد الأفعال و الأحوال فإن حقيقة المطلقة من غير اعتبار حكم معها  
 إذا توجهت إلى الحق توجهت كلياً سميت مطمئنة وإذا توجهت إلى الطبيعة  
 توجهت كلياً سميت أمارة وإذا توجهت إلى الله بالتقوى تارة وتارة إلى الطبيعة و  
 الفجور سميت لوامة بدرجات السعي إما إلى الهدى أو إلى الهوى أيضاً تختلف  
 فمن النفوس ساعية لطلب الدرجات العالية الكاملة كالأنبياء والأولياء وبعض دونهم  
 وبعض دونهم وكذلك من النفوس الساعية إلى الغواية فبعض يرتكب من المعاصي  
 ما يمكن معها إدراك السعادة بالرجوع عنها و تداركها وبعض يبالغون فيها بحيث لا  
 يساوي عذارهم بعذار الشيطان :

فكنت فتى من جند إبليس فارتقى ☆ بي الحال حتى صار إبليس من جندي  
 وبالجملة شرح سبحانه تفصيل تلك المساعي المتشتمة و تبين أحوالها [ فأما

من أعطى ] حقوق ماله [ وارتقى ] محارم الله التي نهى عنها ومن جملتها المن و الأذى  
 قيل : نزلت في أبي الدرداء لما أنفق بستانه في سبيل الله [ وصدق بالحسنى ] بالخصلة  
 الحسنى وهي الإيمان أو كلمة الحسنى وهي لا إله إلا الله بشرطها أو بالملة الحسنى

وهي ملة الاسلام [ فسنيسره ليسرى ] و اليسرى تأنيث الأيسر أي سنهون عليه الطاعة و نهيمه و نوقفه للطريق الأسهل حتى يقوم بوظائف العبادة بجد و طيب نفس .

[ و أمّا من بخل ] بما له فلم يبذله في سبيل الله والخير [ واستغنى ] زهد ولم يرغب فيما عنده كأنه مستغن عنه واستغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الآخرة [ و كذب بالحسنى ] و قد ذكر معاني الحسنى قبيل هذا [ فسنيسره للعسرى ] أي لا يريد شيئاً من المال والشر إلا يسره الله له و ذلك التيسير تسبب من سوء اختياره وقبوله أو المراد من العسر العذاب و دخول النار ، و السين في الآية للدلالة على الجزاء الموعود بمقابلة الطاعة والمعصية وهو أمر متراخ منتظر .

[ و ما يغني عنه ماله ] أي أي شيء يغني عنه ماله الذي يبخل به و الاستفهام للإنكار [ إذا تردى ] هلك ومات والردى كالعصا وهو الهلاك وتردى سقط في الحفرة إذا قبر أو تردى في قعر جهنم البالغة . و حاصل المعنى أنه إذا تردى وتصدى لمخالفتنا أي شيء له يخلصه من غضبنا .

[ إن علينا للهدى ] أي إن حكمتنا تقتضي أن نبين لهم طريق الهدى حيث خلقناهم للعبادة [ وإن لنا للآخرة والأولى ] أي التصرف الكلي فيهما كيف ما نشاء من الأفعال التي من جملتها ما وعدنا من اليسر ليسرى والعسرى .

[ فأنذرتكم ] خوّفتكم يا أهل مكة والمكلفين بالقرآن [ ناراً تلظى ] وتلظى والتعبير بالمستقبل دوام التلظى بالفعل الاستمراري [ لا يصلها ] صلياً لازماً ولا يقاسي حرّها [ إلا الأشقى ] الزائد في الشقاوة و هو الكافر فإنه أشقى من الفاسق وقيل المراد من الأشقى الشقي والعرب تسمي الفاعل أفعال في كثير من كلامهم منه قوله تعالى (١) : « وأنتم الأعلون » وقوله : (٢) « واتبعك الأذلون » و الفاسق لا يصلها صلياً لازماً أبدياً وقد صرح به قوله : [ الذي كذب و تولّى ] و ليس المكذب إلا الكافر .

[ وسيجنبها ] ويبعد عنها بحيث لا يسمع حسيبها ، والفاعل المجنب المبعّد هو الله [ الأتقى ] المبالغ في الانتقاء عن المعاصي و الكفر فلا يحوم حولها فضلاً عن دخولها أو صليها الأبدى وأما من دونه ممن يتّقى الكفر دون المعاصي و هو المؤمن الشقيّ الفاسق الغير التائب فلا يبعّد هذا التباعد بل يصلها و إن لم يذق شدة حرّها كما يذوق الكافر ذوق الدائم فلذلك لا يستلزم صليها بالمعنى المذكور فلا يقدح في الحصر السابق .

[ الذي يؤتي ما له ] و يعطيه في وجوه البرّ و الحسنات [ يتزكّى ] إمّا بدل من « يؤتي » أو في حيزّ النصب على أنّه حال من ضمير « يؤتي » أي يطلب أن يكون عند الله زاكياً نامياً لا يريد به رياءً ويقصد به التطهّر من الذنوب ومن دنس البخل و وسخ الإمساك .

[ وما لأحد عنده من نعمة تجزى ] استئناف مقرر لبيان أن إيتاءه للترزكي خالص لوجه الله و ليس لأحد عنده منّة و نعمة من شأنها أن تجزى و تكافأ فيصدق المجازاة بها .

[ إلا ابتغاء وجه ربّه الأعلى ] استثناء منقطع من « نعمة » لأنّ ابتغاء وجه ربّه ليس من جنس نعمة تجزى لكن فعل ذلك لا ابتغاء وجه الله و طلب رضاه و ما أتى من المال مكافأة على نعمة سالفة فذلك يجري مجرى أداء الدين فلا يكون له دخل في استحقاق مزيد الثواب .

[ ولسوف يرضى ] جواب قسم مقدّر أي وباللّٰه سوف

يرضى ذلك الأتقى الموصوف .

تمت السورة بعون الله



## سورة الضحى

﴿مكية﴾

عن النبي ﷺ من قرأها كان ممن يرضاه الله، ولمحمد ﷺ أن يشفع له، وله عشر حسنات بعدد كل يتيم وسائل .

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

و الضحى (١) و الليل اذا سجدى (٢) ما و دعك ربك و ما قلى (٣)  
و لاخرة خير لك من الاولى (٤) و لسوف يعطيك ربك فترضى (٥) الم  
يجدك يتيماً فأوى (٦) و وجدك ضالاً فهدى (٧) و وجدك عائلاً فأغنى (٨)  
فاما اليتيم فلا تقهر (٩) و اما السائل فلا تنهر (١٠) و اما بنعمة ربك  
فحدث (١١) .

**الذول :** قال ابن عباس : احتبس الوحي عنه ﷺ خمسة عشر يوماً فقال  
المشركون : إن محمداً ﷺ قدودَّعه ربه وتركه و قلاه ولو كان أمره من الله تعالى  
لتتابع عليه فنزلت السورة و قال ابن جريح : احتبس الوحي عنه اثني عشر يوماً و  
قيل : أربعين يوماً عن مقاتل و قيل : إن المسلمين قالوا : أما ينزل عليك الوحي؟  
فقال : و كيف ينزل الوحي عليّ و أنتم لا تنقون براجمكم ولا تقلمون أظفاركم .  
ولما نزلت السورة قال النبي ﷺ لجبرئيل : ما جئت حتى اشتقت إليك فقال  
جبرئيل : وأنا كنت أشد شوقاً إليك ولكنني عبد مأمور وما ننزل إلا بأمر ربك .  
وقيل : سألت اليهود رسول الله ﷺ عن ذي القرنين و عن الروح و أصحاب  
الكهف فقال ﷺ : سأخبركم غداً ولم يقل : إن شاء الله فاحتبس الوحي عنه هذه  
الأيام فاعتم ﷺ لشماتة الأعداء فنزلت السورة تسلياً لقلبه .  
وقيل : إن النبي ﷺ رمي بحجر في أصبعه فقال : « هل أنت إلا أصبع دميت

وفي سبيل الله ما لقيت « فمكث ليلتين أو ثلاثاً لا يوحى إليه فقالت له أمّ جميل بنت حرب امرأة أبي لهب : يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك لم أره قرّبك منذ ليلتين أو ثلاث فنزلت .

وقيل : إنّ جرواً دخل البيت فدخل تحت السرير فمات النبي أيّاماً لا ينزل عليه الوحي فقال لخادمته خولة : ما حدث في بيتي؟ إنّ جبرئيل لا يأتيني قالت خولة : كنت البيت فأهويت بالمكينة تحت السرير فاذا جروميت فأخذته وألقيته خلف الحائط فجاء النبي ﷺ ترتعد لحياءه و كان إذا نزل عليه الوحي استقبلته الرعدة فقال : يا خولة دثري نبي وأنزل الله هذه السورة ، فلما نزل جبرئيل سأله النبي ﷺ عن سبب تأخّره فقال جبرئيل : أما علمت أننا لا ندخل بيتاً فيه كلب ولا صورة . وقيل غير ذلك .

[ والضحى ] أقسم سبحانه بضوء النهار من قولهم : ضحى فلان للشمس إذا ظهر لها وهو وقت ارتفاع الشمس و صدر النهار و أريد بالضحى الوقت المذكور لعلّ تخصيصه بالإقسام به لأنّها الساعة التي كلم الله فيها موسى وألقي فيها السحرة سجّداً و لوقوع صلاة الضحى فيه وقيل : إنّ الضحى أوّل ساعة من النهار وقيل : في هذه الأقسام كلّها المراد ربّها أي وربّ الضحى وربّ الليل .

[ والليل إذا سجا ] أي و جنس الليل إذا سجا و ركذ ظلامه و تناهى يقال : سجا البحر سجواً إذا سكنت أمواجه و ليلة ساجية ساكنة الريح و فيه سكون الناس والأصوات قال الصادق عليه السلام : إنّ المراد من الضحى هو الضحى الذي كلم الله فيه موسى و بالليل ليلة المعراج .

[ ما ودّعك ربك و ما قلا ] هذا جواب القسم ، و التوديع مبالغة في الوداع وهو الترك لأنّ من ودّعك مفارقاً فقد تركك و قرى، و دّعك بالتخفيف والمعنى ما قطعك قطع المودّع وماتركك، بالحطّ عن درجة الوحي والقرب والكرامة و « ما قلا » أي ما أبغضك ، والقلّى شدة البغض و غاية الكراهة وإذا قصرت القلى كسرت القاف وإذا مددت فتحتها و المفعول في هذه الآية محذوف للدلالة أي وما قلاك .

[ وللاخرة خير لك من الأولى ] أي إن ثواب الآخرة وما أعدّه الله لك من النعيم الدائم خير لك من الدنيا والكون فيها وإن له ﷺ في الجنة مما أعدّ الله له ألف ألف قصر من اللؤلؤ ترا به من المسك وفي كل قصر ما ينبغي له من الأزواج والخدم وقيل : المعنى ولاخر عمرك الذي بقي خير لك من أوله لما يكون لك من النصرة والفتوح وتشديد أمرك ، ونهايتك خير من بدايتك كما أخبر بقوله (١) : « أليوم أكملت لكم دينكم » .

[ ولسوف يعطيك ربك فترضى ] أي وسيأتيك ربك في الآخرة من الشفاعة وأنواع الكرامة . واللام للابتداء دخلت الخبر لنا كيد مضمون الجملة والمبتدأ محذوف تقديره ولأنت سوف يعطيك ، لأنّ لام الابتداء لا يدخل إلا على الجملة الاسميّة و ليست للقسمة لأنها لا تدخل على المضارع إلا مع النون المؤكّدة . وفي الآية دلالة على أنّ العطاء المتأخّر لحكمة وأنفع لك ، وادّخر لك من الكرامات ما لا يعلمها إلا الله .

و روى حارث بن شريح عن محمد بن الحنفية أنّه قال : يا أهل العراق تزعمون أنّ أرجى آية في كتاب الله قوله : (٢) « يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم ، الآية » وإنّا أهل البيت نقول : أرجى آية في كتاب الله قوله : « ولسوف يعطيك ربك فترضى » وهي والله الشفاعة ليعطيها في أهل لا إله إلا الله حتّى يقول : ربّ رضيت . وقال الصادق عليه السلام : رضي جدّي أن لا يبقى في النار موحد .

**أقول :** ابشروا يا أمّة محمد بهذه الفضيلة التي نحلها الله نبيكم بها فكم بين من يتكلّف ليرضى بربه وبين من يعطيه بربه ليرضى .

ثمّ عدّد سبحانه نعمه عليه ﷺ فقال : [ ألم يجدك يتيماً فأوى ] تقريرٌ لنعمة الله عليه حين مات أبوه ، روي أنّ أباه عبد الله مات وهو ﷺ جنين قد أتت عليه ستّة أشهر في بطن أمّه ومات جدّه وهو ابن ثمان سنين فكفّله عمّه أبو طالب فأحسن

(١) سورة المائدة : ٤ .

(٢) سورة الزمر : ٥٣ .

تربيته وآواه الله بأن سخّر له أولاً جدّه عبدالمطلب ثم ربّاه وآواه أبوطالب و لما مات جدّه عبدالمطلب كان عمره الشريف ثمان سنين وسلّمه جدّه إلى أبي طالب لأنّه كان أخا عبدالله لأّمّه . قال الصادق عليه السلام : أوتم النبي عن أبويه لئلا يكون لمخلوق أمر عليه فأواه أبو طالب إلى أن بعثه الله للنبوّة فقام ينصره مدّة مديدة ثمّ توفّي أبوطالب عليه السلام فنال المشركون منه صلوات الله عليه ما لم ينالوا في زمان أبي طالب وآذوه ، وقد جعله الله يتيماً لئلا يسبق على قلب بشر أنّ الذي نال من العزّ والشرف والاستيلاء ما كان عن تظاهر نسب أو توارث مال أو نحو ذلك .

[ و وجدك ضالاً فهدي ] معنى الضلال فقدان الشرائع والأحكام التي لا يهتدي إليها العقول بل طريقها السماع نظير قوله : <sup>(١)</sup> « ما كنت تدري ما الكتاب » وإليه يؤوب معنى الغيبة فإنّ «ضلّ» بمعنى «غاب» أي غير مهتد إلى النبوّة فمعنى الضلال على هذا هو الذهاب عن العلم مثل قوله : « أن تضلّ إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى <sup>(٢)</sup> » .

و قيل : المعنى وجدك متحيراً في وجوه معاشك فهداك إلى وجوه معاشك فإنّ الرجل إذا لم يهتد طريق تكسّبه و وجه معيشته يقال : إنّه ضالّ لا يدري أين يذهب .

وقيل والقائل ابن عباس : إنّ النبي صلوات الله عليه ضلّ في شعاب مكّة حال صباه و كان عبدالمطلب يطلبه وهو يقول متعلّقاً بأستار الكعبة :

ياربّ فاررد ولدي محمّداً ✽ واررد إليّ واصطنع عندي يداً

فوجده أبوجهل فردّه إلى عبدالمطلب فمنّ الله عليه حيث خلّصه على يدي عدوّه فكان نظير موسى عليه السلام حين التقط فرعون تابوته ليكون له عدوّاً وحرزناً ، فهداك إلى النبوّة والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم ، ووفّقه للنظر الصحيح بحيث لم يعبد صنماً قطّ و لم يكذب و لم يخن بأمانة و لم يأت بغاشة .

(١) سورة الشورى : ٥٢ .

(٢) سورة البقرة : ٢٨٢ .

وقيل : إن حليلة السعدية لما أرضعته مدة رضاعه ﷺ أرادت رده على جدّه جاءت به حتى قربت من مكة فضلّ في الطريق فطلبته جزعةً وكانت تقول :  
لئن لم أره لأرمين نفسي من شاهق و جعلت تصيح واجهداه فدخلت مكة على تلك  
الحالة فرأت شيخاً موثقاً على عصا قالت : فسألني عن حالي فأخبرته فقال : لا  
تبتكين فأنا أدلك على من يردّه عليك فأشار إلى هبل صنمهم الأ عظم ودخل الشيخ  
البيت وطاف بهبل وقبّل رأسه وقال : يا سيّداه لم تنزل منّتك جسيمة ردّ مجدّاً على  
هذه السعدية قالت حليلة : فتساقطت الأصنام لما تفوّه باسم مجدّ وسُمع صوت إن  
هلا كنا على يدي مجدّ فخرج الشيخ وأسنانه تصطك . قالت : وخرجت إلى عبدالمطلب  
وأخبرته الحال فخرج وطاف بالبيت ودعا الله سبحانه فنودي وأشعر بمكانه فأقبل  
عبدالمطلب وتلقاه ورقة بن نوفل في الطريق بينهما يسيران إذا النبي ﷺ قائم  
تحت شجرة يجذب الأعصان ويبعث بالورق فقال عبدالمطلب : فداك نفسي ، وحمله  
ورده إلى مكة عن كعب .

وقيل : إنّه ﷺ خرج مع عمّه أبي طالب في قافلة ميسرة غلام خديجة فبينما  
هو راكب ذات ليلة ظلماء جاء إبليس فأخذ بزمام ناقته فعدل به عن الطريق فجاء  
جبرئيل فنفخ إبليس نفخةً دُفع بها إلى الحبشة وردّه إلى القافلة فمنّ الله عليه  
بذلك ، عن سعيد بن المسيّب .

وقيل : وجدك مضلّولاً عنك في قوم لا يعرفون حقك فأرشدهم إلى فضلك  
و كنت حامل الذكر فعرفك الله وأعلى ذكرك بحيث أوجب في الصلاة الصلوات  
عليه والتذكير باسمه الشريف في التشهد . وعن عاصم بن حمزة عن أمير المؤمنين ﷺ  
قال : الصلاة على النبي ﷺ ألحق للخطايا من الماء للغار ، والسلام عليه أفضل من  
عتق رقاب وحبّه أفضل من مهج الأ نفس أو قال : من ضرب السيوف .

[ و وجدك عائلاً فأغنى ] أي كنت فقيراً أو عديماً فأغناك بمال خديجة أو بالغنائم  
وبما أفاء الله عليك حتى كان ﷺ يهب من الإبل مائة ، أو قنعك وأغنى طبعك وقلبك

والغنى غنى النفس أي أزال عنك فقر النفس وجعل لك الغنى الأكبر وذلك حقيقة الغنى .

ثم أوصاه باليتامى و الفقراء وهي من مكارم الأخلاق فقال : [ فأما اليتيم فلا تقهر ] أي لا تذللله أو لا تغلبه على ماله فتذهب بحقه لضعفه كما كانت العرب تفعل في أمر اليتامى وكان النبي ﷺ يبرّ و يحسن إلى اليتامى ويوصي بهم . وفي الآية إشارة بأن كنت يتيماً فأويناك فافعل أنت كذلك باليتامى .

و عن ابن أبي أوفى قال : لقد كنّا جلوساً عند رسول الله فأتاه غلام فقال : غلام يتيم و أخت لي يتيمة و أمّ لي أرملة أطعمنا ممّا أطعمك الله و أعطاك الله ممّا عنده حتّى ترضى قال ﷺ : ما أحسن ما قلت يا غلام اذهب يا بلال فأتنا بما عندنا فجاء بواحدة و عشرين تمرة ولم تكن غيرها شيء لهم فقال النبي ﷺ : سبع لك و سبع لأختك و سبع لأمك فقام إليه معاذ فمسح رأسه وقال : جبر الله يتمك و جعلك خلفاً من أبنك و كان اليتيم من أبناء المهاجرين فقال النبي ﷺ : رأيتك يا معاذ و ما صنعت قال : رحمته قال ﷺ : لا يلي أحدكم يتيماً فيحسن ولا يته و وضع يده على رأسه إلا كتب الله له بكلّ شعرة حسنة و محاً عنه بكلّ شعرة سيئة و رفع له بكلّ شعرة درجة و قال ﷺ : أنا و كافل اليتيم كهاتين في الجنة إذا اتقى الله . و أشار بالسبابة و الوسطى .

[ و أمّا السائل فلا تنهر ] النهر الزجر بمعالظة أي فلا تزجره ولا تغلظ له بالقول بل رده رداً جميلاً و لساناً ليناً إذا حرّمته و ما أطعمته بسبب عدمك قال رسول الله : إذا أتاك سائل على فرس باسط كفيّه فقد وجب له الحقّ ولو بشقّ تمرة يريد أعط السائل كما أعطاك الله و أنت كنت عائلاً و قيل : المراد بالسائل طالب العلم وهو متصل بقوله : « ووجدك ضالاً فهدى » والمعنى علم من يسألك كما علمك الله الشرائع و كنت بها غير عالم .

وفي الآية بيان لجميع المكلفين لأنّ جميع الخلق كانوا فقراء في الأصل فإذا أنعم الله عليهم وجب أن يعرفوا حقّ الفقراء مالاً كان أو علماً . وقال إبراهيم النخعي :

السائل يريد الآخرة لكم يجيء، إلى باب أحدكم فيقول : أتبعثون إلى أهليكم شيئاً؟ روي أنه أهدى إلى رسول الله ﷺ عنقود عنب فجاء سائل فأعطاه العنقود فاشتراه أحد من الصحابة بدرهم و قدّمه إلى رسول الله ثانياً ثم عاد السائل فأعطاه العنقود فاشتراه الصحابي بدرهم و قدّمه إلى رسول الله فجاء السائل ثالثاً فقال ﷺ : ملاطفاً للسائل غير غضبان عليه أسألت أنت أم تاجر؟ فنزلت الآية .

[ و أمّا بنعمة ربك فحدث ] فإنّ تحديث العبد بنعمة الله شكر باللسان و تذكير للغير و أريد بالنعمة من النعم الموجودة والموعودة وقيل : المراد من النعمة القرآن و هو أعظم نعم الله فأمره ﷺ أن يقرئه و قيل : المراد النبوة أي أبلغ ما أرسلت به وقيل : يعني حدث بنعم الله عليك نفسك ولا تنس فضله عليك قديماً و حديثاً فيكون نعمه دائماً حاضراً ببالك و خاطرك ولا تغفل عن تذكّره

قال ﷺ : التحدث بالنعم شكر وتركه كفر . و أمّا الحديث

الآخر: «عليكم بكتمان النعم فإنّ كلّ ذي نعمة

محسود» يعني عن الحسود لا غير .

تمت السورة بعون الله

## سورة ألم نشرح

﴿مكية﴾

قال عليه السلام : من قرأها أُعطي من الأجر كما لقي محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَغْتَمًا ففَرَّجَ عَنْهُ .

وروى أصحابنا أنَّ الضحىَّ وألم نشرح سورة واحدة لتعلق إحداهما بالأخرى ولم يفصلا بينهما ببسم الله الرحمن الرحيم وجمعوا بينهما في الركعة الواحدة في الفريضة وكذلك القول في سورة ألم تر كيف ولا يلاف قريش والسياق يدلُّ على ذلك لأنَّه قال : « ألم يجدرك يتيمًا فأوى » إلى آخرها ، ثمَّ قال :



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الم نشرح لك صدرك (١) و وضعنا عنك وزرك (٢) الذي انقض  
ظهرك (٣) و رفعنا لك ذكرك (٤) فان مع العسر يسرا (٥) ان مع  
العسر يسرا (٦) فاذا فرغت فانصب (٧) و الي ربك فارغب (٨) .

الشرح بسط اللحم و نجره يقال : شرحت اللحم ، و منه شرح الصدر بنور  
إلهي و روح منه و شرح الكلام بسطه و إظهار ما يخفى من معانيه و في الحديث : «إذا دخل  
النور في القلب انشرح أي عاين القلب و ظهر له ما شكل على غيره و احتمل المكراه»  
و الاستفهام في الآية تقريرية و المعنى ألم نفتح صدرك و نوسّع قلبك بالنبوة و العلم  
حتى قمت بأداء الرسالة و صبرت على المكراه و اطمأنت إلى الإيمان فلم تضق به  
زرعاً فشرح الله صدره بأن ملأه علماً و حكمة و رزقه حفظ القرآن .

وقيل : المعنى ألم نشرح صدرك بأذهاب الشواغل التي تصدّ عن إدراك الحق ،  
عن ابن عباس قال : سئل النبي ﷺ أين شرح الصدر ؟ قال : نعم ، قالوا : و كيف  
ينشرح الصدر و هل لذلك علامة ؟ قال : نعم ، التجافي عن دار الغرور و الإجابة إلى  
دار الخلود و الإعداد للموت قبل نزول الموت . و هذا الشرح من الصدر في الأمور  
المعنوية و أما شرح الصدري الصوري فقد قيل : وقع مراراً ؛ مرة وهو ابن ست سنين  
لا يخرج مغمز الشيطان وهو الدم الأسود الذي به يميل الطبع و القلب إلى المعاصي  
و يعرض عن الطاعات و مرة عند ابتداء الوحي و مرة ليلة المعراج .

و قد نقل صاحب تفسير روح البيان المولى إسماعيل الحقي أنه ﷺ قال : ليلة  
أسري بي إلى السماء ألقني جبرئيل بصدري ، و شقّ صدري إلى سرتي ، و جاء ميكائيل  
بطست من ماء زمزم ، و غسل صدري و قلبي بعد أن شقته ، و ملؤوا قلبي من

الحكمة والإيمان و ختموا عليه من خاتم من نور .

[ و وضعنا عنك وزرك ] أي حططنا وأسقطنا عنك حملك الثقيل .

[ الذي أنقض ظهرك ] وأثقله حتى سمع له تقيض و صوت وهذا مثل معناه أنه لو كان جمل لسمع صوت ظهره ، وكما يسمع من الرجل الصوت من شدة ثقل الحمل وتأثير الثقل المفضي إلى انحراف بعض أجزاء الرجل عن محالها وحصول الصوت بذلك فيه وهذا معنى الانتقال مثل به حاله صلى الله عليه وآله بما كان به من أعباء النبوة التي تنقل الظهر من القيام بأمرها فسهل الله ذلك عليه حتى تيسر له و أزال عنه همومه وتهالكه على إسلام المعاندين من قومه وتلهفه ، والعرب تجعل الهم ثقلاً .

وقيل : المعنى و عصمناك من الذنوب و طهرناك من الأدناس والأوزار .

قال المرتضى قدس سره : إنما سميت الذنوب بالأوزار لأنها تثقل كاسمها و حاملها فكل شيء أثقل الإنسان و غمّه و كده صح أن يسمي و زراً فلا يمتنع أن يكون المراد من الوزر في الآية غمّه مما كان عليه من قومه وأنه وأصحابه كانوا مستضعفين في أيدي المشركين فأعلى الله كلمته وبسط يده فخاطبه بهذا الخطاب تذكيراً للنعمة ليقابله بالشكر .

فإن قيل : إن السورة مكّية و نزلت قبل أن يعلى الله كلمة الإسلام ولا

وجه لهذا القول .

فالجواب أنه لما بشره بأن يعلى دينه وينصره على أعدائه كان بذلك واضعاً ثقل غمّه فإنه صلى الله عليه وآله كان واثقاً بأن وعد الله حقّ و يجوز أيضاً أن يكون اللفظ و إن كان ماضياً فالمراد به الاستقبال كقوله (١) : « و نادى أصحاب الجنة أصحاب النار و نادوا يا مالك ليقض علينا ربك » .

[ ورفعنا لك ذكرك ] بعنوان النبوة وقرنا ذكرك بذكرنا و تذكرمعي في

الأذان والتشهد والخطبة ، ورفع ذكره في الدنيا والآخرة وجعل طاعته طاعته تعالى و صلى عليه هو وملائكته و أمر المؤمنين بالصلاة عليه و سمّاه رسول الله و لقبه

بألقاب عالية شريفة .

[ فإنّ مع العسريسراً ] كان المشركون يعيرون رسول الله والمؤمنين بالفقر والضيقة و كان المؤمنون في الشدة فوعده سبحانه بتيسير كلّ عسير له . و اللام للاستغراق و في كلمة « مع » إشعار بغاية سرعة مجي اليُسْر كأنه مقارن للعسر، وفي تعريف العُسر و تنكير اليسر إشارة إلى أنّ اليُسْر غالب على العسر على أنّه سبقت الرحمة الغضب والعسر قد يكون في الغالب جلاء لقلوب الأكارب و توسعة لاستعدادهم و مقامهم كما قيل : أشدّ الناس بلاءً الأَنْبياء ثمّ الأَوْلِياء ثمّ الأَمْثَل فالأَمْثَل .

[ إنّ مع العسر يسراً ] تكرير للتأكيد روي عن عطا عن ابن عباس قال : يقول الله : خلقت عسراً واحداً و خلقت يسرين فلن يغلب عسرٌ يسرين . قال الفرّاء : إنّ العرب تقول إذا ذكرت نكرةً ثمّ أعدتها مثلها صارتا اثنتين كقولك : « إذا كسبت درهماً فأنفق درهماً » فالثاني غير الأوّل و إذا أعدتها معرفةً فهي كقولك : « إذا اكتسبت درهماً فأنفق الدرهم » فالثاني هو الأوّل .

[ فاذا فرغت ] من التبليغ أو من المصالح اللازمة في أشغالك [ فانصب ] إلى ربّك في الدعاء و ارجب إليه في المسئلة يعطك ، و معنى انصب أي لا تشتغل بالراحة و ألزم نفسك النصب و التعب في العبادة .

وقيل : المعنى فاذا فرغت من الصلاة المكتوبة فانصب إلى ربّك في الدعاء و المسألة و هذا المعنى عن مجاهد والضحاك و قتادة و هو المروي عن أبي جعفر عليه السلام و قال الصادق عليه السلام : هو الدعاء في دبر الصلاة و أنت جالس .

وقيل : معناه إذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل عن ابن عباس و ابن

مسعود .

و قيل : فاذا فرغت من جهاد أعدائك فانصب بالعبادة لله .

و قيل : فاذا فرغت من أداء الرسالة فانصب لطلب الشفاعة .

و قيل : إذا صححت فاجعل صحّمتك و فراغك نصباً في العبادة .

و قيل : إذا فرغت من تلقّي الوحي فانصب في تبليغه . و ينبغي للمرء أن لا

يكون فارغاً مهملاً أو يشتغل بما لا ينفعه في دينه و دنياه لأنّه من سخافة العقل و استيلاء الغفلة و أن يكون في عمل نافع له فاذا فرغ من عمل خيراً تبعه بآخر حتّى لا يضيع عمره .

[ و إلى ربك فارغب ] أي فارفع حوائجك إلى ربك وحده ولا ترفعها إلى أحد من خلقه . و تقديم الجارّ يفيد الحصر .  
و قيل : المعنى تضرّع إليه راغباً في الجنّة و راهباً من النار . تمّت السورة بعون الله



## سورة التين

﴿ثمانى آيات مكية﴾

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والتين و الزيتون (١) و طور سينين (٢) و هذا البلد الامين (٣)  
لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم (٤) ثم رددناه اسفل سافلين (٥) الا  
الذين آمنوا و عملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون (٦) فما يكذبك  
بعد بالدين (٧) اليس الله باحكم الحاكمين (٨) .

أقسم الله سبحانه بالتين الذي يؤكل و الزيتون الذي يعصر منه الزيت عن  
ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة و قتادة وعطاء وهو الظاهر ، و هو فاكهة مخلصه  
من شائب التنقيص وجعل خلقته على مقدار اللقمة وهيئتها . روى أبو ذر أن النبي ﷺ  
قال لأصحابه : كلوا فلو قلت : إن فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذا لأن  
فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير و تنفع النقرس . وعن علي بن  
موسى الرضا عليه السلام قال : التين يزيل نكهة الفم و يطول الشعر و هو أمان من  
الفالج .

و قيل : لما عصى آدم ﷺ و فارقت ثيابه تستر بورق التين ولما نزل و كان  
مستترا بورق التين استوحش فطافت الطباء حوله فاستأنس بها فأطعمها بعض ورق  
التين فرزقها الله الجمال صورة و الملاحظة معنى و غير دمها مسكاً فلما تفرقت الطباء  
إلى مساكنها رأى غيرها عليها من الجمال ما أعجبه فلما كان الغد جاءت طباء آخر  
على الأول فأطعمها آدم من الورق فغير الله حالها من الجمال دون المسك و ذلك  
لأن الأولى جاءت إلى آدم لأجله لا لأجل الطمع والطائفة الأخرى جاءت إليه ظاهراً

و للطمع باطناً فلاجرم غير الظاهر دون الباطن .  
وفي كتاب أمثلة الحكم أن سائر الأشجار يخرج ثمرها في كمامها ويخرج كمامها  
أولاً ثم يخرج ثمارها و شجرة التين أول ما يبدو ثمرها بارزاً من غير كمام لأن  
آدم لم يستره إلا شجرة التين فقال الله : بعد ما سترت أخرج منك المعنى قبل الدعوى  
وسائر الأشجار يخرج منها الدعوى قبل المعنى . وفي خريدة العجائب : إذا نثر رماد  
خشب التين في البساتين هلك منه الدود و دخان التين يهرب منه البق و البعوض .  
و أما الزيتون فهو فاكهة و أدام و دواء لبعض الأمراض ولو لم يكن له سوى  
اختصاصه بدهن كثير المنافع مع حصوله في بقاع لادهن فيها كالجبال لكفى به فضلاً  
ونفعاً ، وشجرته هي الشجرة المباركة المشهورة في التنزيل .

قال معاذ بن جبل : سمعت النبي ﷺ يقول : نعم سواك الزيتون ، هو سواكي  
و سواك الأنبياء من قبلي ، و شجرة الزيتون يعمر ثلاثة آلاف سنة وهي تصبر عن الماء  
طويلاً كالنخل و إذا لقط ثمرتها جنب فسدت و ألفت حملها و انتثر ورقها و ينبغي  
أن تغرس في المدر لكثرة الغبار لأن الغبار كلما علا على زيتونها زاد دسمه ونضجه .  
و رماد ورقها تنفع العين كحلاً و يقوم مقام التوتيا . وفي الحديث عليكم بالزيت فانه  
يكشف المرّة و يذهب البلغم و يشد العصب و يمنع الغشي و يحسن الخلق و يطيب  
النفس و يذهب بالهم .

قال الفاضل السهيلي : إن التين في المنام رجل خير غني فمن ناله في المنام  
نال مالا و سعة و من أكله في المنام رزقه الله أرلاداً و من أخذ ورق الزيتون في المنام  
استمسك بالعروة الوثقى .

و بالجملة هذا أحد الأقوال في المقسم به على أن المراد من الآية هذا التين  
المأكول و الزيتون المعصور . و ثاني الأقوال أن المراد بالتين الجبل التي بني عليه  
دمشق و الزيتون الجبل الذي عليه بيت المقدس و قال عكرمة : و إنما سميابهما  
لأن التين و الزيتون ينبتان فيهما .

و قيل : التين مسجد دمشق و الزيتون بيت المقدس .

و قيل : التين مسجد نوح الذي بنى على الجوديّ و الزيتون بيت المقدس .

و قيل : التين مسجد الحرام و الزيتون المسجد الأقصى .

[ و طور سينين ] هو الجبل الذي ناجى عليه موسى عليه السلام ربّه . قال الماوردي :

ليس كل جبل يقال له «طور» : إلا أن يكون فيه الأشجار والثمار وإلا فهو جبل فقط .  
وسينين و سيناء علمان للموضع الذي هو فيه ، ومعنى سينين بالسرانية ذوالشجر أو  
حسن مبارك بلغة الحبشة .

وفي كشف الأسرار: أصل سينين سيناء بفتح السين و كسر ها ، وإنما قال ههنا  
سينين لأن تاج الآيات النون كما قال : <sup>(١)</sup> « سلام على إلياسين » وهو إلياس فخرج  
على تاج آيات السورة .

[ وهذا البلد الأمين ] وهو مكة شرّ فيها الله ، وأمانتها أنها تحفظ من دخلها جاهلية  
وإسلاماً من قتل وسبي كما يحفظ الأمين الأمانة . ويجوز أن يكون فعيل بمعنى مفعول  
لأنه مأمون الغوائل كما وصف بالأمن في قوله <sup>(٢)</sup> : « حرماً آمناً » ومعنى القسم بهذا  
الأشياء إبانة شرافتها و مظهر فيها من الخير و البركة بسكنى الأنبياء والصالحين  
ومهاجر إبراهيم ومولد عيسى و محلّ نداء موسى ومولد رسول الله وهدى للعالمين .

[ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ] هو جواب القسم يقال : قام الأمر اعتدل  
واستقام وقوّمته عدّته والتقويم تصيير الشيء على ما ينبغي أن يكون عليه في التأليف  
و التعديل و حسن الصورة ، قيل : إنّه في زمن يحيى بن أكرم خلاملك بزوجه في  
ليلة مقمرة فقال الملك لزوجه : إن لم تكوني أحسن من القمر فأنا كذا ، فأفتى  
الفقهاء بالحنث إلا يحيى بن أكرم وقال : لا يحنث ، فقالوا : خالفت شيوخك فقال :  
الفتوى بالعلم ولقد أفتى من هو أعلم منا وهو الله تعالى قال : « لقد خلقنا الإنسان  
في أحسن تقويم » فالإنسان أحسن الأشياء ولا شيء أحسن منه انتهى . وقد خصّ  
الإنسان من بين الحيوان من العقل والفهم والعلم وبحسب الصورة من انتصاب القامة

(١) الصافات : ١٣١ .

(٢) سورة العنكبوت : ٦٧ .

وحسن الشكل وهو مظهر الجلال والكمال .

[ ثم رددناه أسفل سافلين ] وأسفل سافلين حال من المفعول أي رددناه حال كونه أسفل سافلين أو صفة لمكان محذوف أي رددناه إلى مكان هو أسفل أمكنة السافلين و جعلناه من أهل النار الذي هو أقبح من كل قبيح لعدم جريانه على موجب ما خلقناه عليه من الصفات التي لو عمل بمقتضاها لكان في أعلى عليين ، وحوّل حاله من أحسن تقويم إلى أقبح تقويم صورةً ومعنى لأنّ مسخ الظاهر إنّما هو من مسخ الباطن، هذا أحد القولين في تفسير الآية والقول الثاني أنّه يردّ إلى أرذل العمر من الخوف والهرم و نقصان العقل . والسافلون هم الضعفاء و الزمنى والأطفال .

ثم استثنى فقال : [ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ] والاستثناء يؤيد معني الأول ومن قال بالقول الثاني قال : إنّ المؤمن لا يردّ إلى الخرف و إن عمر عمراً طويلاً وإذا بلغ المؤمن من الكبر ما يعجز معه من العمل كتب له من العمل ما كان حين يعمل في شبابه وقوته، والمراد من الذين آمنوا الذين أخلصوا العبادة لله وأضافوا إلى ذلك الأعمال الحسنة، وقرؤا القرآن فإنّ هؤلاء لا يردّون إلى النار. و عن ابن عباس من قرء القرآن لم يردّ إلى أرذل العمر والاستثناء على المعنى الأول استثناء متصل من ضمير « رددناه » فإنّه في معنى الجمع وعلى الثاني منقطع .

[ فلم أجر ] في دار الكرامة ولا يغيّر صورهم بل هم على أحسن تقويمهم باقون في الجنّة و دار الكرامة [ غير ممنون ] غير منقطع على طاعتهم وأعمالهم الصالحة روي عن النبي ﷺ أنّه قال : إنّ المؤمن إذا مات سعدا ملكان إلى السماء فيقولان إنّ عبدك فلان قدمات فائذن لنا حتّى نعبدك في السماء فيقول الله : إنّ سماواتي مملوءة بملائكتي ولكن اذهبا إلى قبره واكتبا حسناته إلى يوم القيامة .

[ فما يكذبك بعد بالدين ] بعد مبني على الضم لحذف المضاف إليه و نيته و الاستفهام مشعر بالتعجب أي شيء يكذبك أيها الإنسان بعد هذه الحجج والآيات بالجزاء و البعث و ينسبك إلى التكذيب بالبعث فإنّ من خلق الإنسان السويّ من الماء الطهين و جعل ظاهره و باطنه على أحسن تقويم إلى أن



استكمل واستوى ثم نكسه وحوّله من حال إلى حال كمالاً ونقصاناً بحيث يشاهد كل واحد في نفسه هذه التغييرات فأى شيء يضطرّه إلى إنكار الجزاء .

[ أليس الله بأحكم الحاكمين ] هذا تقرير للإنسان على الاعتراف بأنه أحكم الحاكمين أي أليس الذي بقدرته فعل وقد رهنه الأمور صنعاً وتديراً بأحكام الحاكمين حتى يجازي الصالح والطالح؟ فكيف يتصور عدم الحكم والجزاء والبعث للجزاء

وجريان العدل في حكمه بين المصدق والمكذب، بلى يا رب أنت أحكم

الحاكمين وأنا على ذلك من الشاهدين . ومن قرء

هذه الآية فليقل هذه الكلمات .

تمت السورة بعون الله



## سورة العلق

﴿ ( مكية ) ﴾

عن النبي من قرأها كأنها قرأ المفصل (١) كله. وعن أبي عبد الله عليه السلام قال : من قرأها في نومه أو في ليلته ثم مات في يومه أو في ليلته مات شهيداً وبعثه الله شهيداً وكان كمن ضرب بسيفه في سبيل الله مع رسول الله ﷺ .

( ١ ) المفصل من سورة محمد ( صلى الله عليه وآله وسلم ) إلى آخر القرآن .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اقرا باسم ربك الذى خلق (١) خلق الانسان من علق (٢) اقرأ وربك الاكرم (٣) الذى علم بالقلم (٤) علم الانسان ما لم يعلم (٥) كلا ان الانسان ليطغى (٦) ان رآه استغنى (٧) ان الى ربك الرجعى (٨) ارأيت الذى ينهى (٩) عبداً اذا صلى (١٠) ارأيت ان كان على الهدى (١١) او امر بالنعوى (١٢) ارأيت ان كذب و تولى (١٣) ألم يعلم بان الله يرى (١٤) كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية (١٥) ناصية كاذبة خاطئة (١٦) فليدع ناديه (١٧) سندع الزبانية (١٨) كلا لا تطعه واسجد واقترب (١٩) .

أمر من الله أمر نبيّه أن يقرء باسم ربّه و أن يدعوه بالأسماء الحسنى وفي تعظيم الاسم تعظيم المسمّى، لأنّ الاسم ذكر المسمّى بما يخصّه والباء زائدة والتقدير: اقرء اسم ربك .

وأكثر المفسّرين على أن هذه السورة أوّل ما نزل من القرآن الكريم وأوّل يوم نزل جبرئيل عليه صلى الله عليه وآله و هو قائم في حراء علّمه خمس آيات من أوّل هذه السورة وقيل : أوّل ما نزل من القرآن قوله<sup>(١)</sup> : « يا أيّها المدثر » وقيل : أوّل سورة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله فاتحة الكتاب .

و روى الحاكم أبو عبد الله الحافظ بإسناده عن عمرو بن شرحبيل أن رسول الله قال لخديجة : إنني إذا خلوت وحدي سمعت نداءً فقالت : ما يفعل الله بك إلا خيراً فوالله إنك لتؤدّي الأمانة وتصل الرحم وتصدق الحديث قالت خديجة : فانطلقنا إلى ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزّى وهو ابن عمّ خديجة فأخبره رسول الله بما رأى فقال له ورقة : إذن أناك فاثبت له حتى تسمع ما تقول ثم ائمني فأخبرني فلمّا خلا ناداه يا محمد قل : « بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين - حتى بلغ -

ولا الضالين. قل : لا إله إلا الله، فأتى ﷺ ورقة و ذكر له ذلك فقال له ورقة : ابشر  
ابشر فأنا أشهد أنك الذي بشر به ابن مريم و إنك علي مثل ناموس موسى وإنك  
نبي مرسل وإنك سوف تؤمر بالجهاد بعد يومك هذا ولئن أدر كني ذلك لأجاهدن  
معك . فلما توفي ورقة قال رسول الله : «لقد رأيت القس في الجنة عليه ثياب الحرير  
لأنه آمن بي وصدقني» يعني ورقة .

[ اقرأ باسم ربك ] أي ما يوحى إليك يا محمد وقوله : « علم الإنسان ما لم يعلم »  
يؤيد أن هذه السورة أول ما نزلت عليه . و أول ما ابتدأ به رسول الله ﷺ حين  
أراد الله به النبوة الرؤيا الصالحة كان لا يرى رؤياً إلا جاءت كفلق الصبح فلا يشك  
فيها أحد كما لا يشك في وضوح ضياء الصبح، وإنما ابتدأ ﷺ بالرؤيا لئلا يفجأه  
المملك الذي هو جبرئيل بالرسالة فلا تتحملها قوة البشرية لأنها لا تحتمل رؤية  
المملك وإن لم يكن على صورة الأصلية ولا على سماع صوته فكانت الرؤيا تأنيساً له  
وكانت مدت الرؤيا ستة أشهر وكان ﷺ في تلك المدة إذا خلا يسمع نداء يا محمد  
يا محمد ويرى نوراً يقظة و كان ﷺ يخشى أن يكون الذي يناديه تابعاً من الجن  
كما ينادي الكهنة وكان في جبل حراء غار و هو الجبل الذي نادى رسول الله بقوله :  
إلي يارسول الله لما قال له « ثبير » وهو على ظهره : اهبط عني يارسول الله فأنني أخاف  
أن تقتل على ظهري ، وكان ﷺ يتعبّد في ذلك الغار ليالي ثلاثاً و سبعمائة شهرراً و  
يتزوّد لذلك من الكعك<sup>(١)</sup> والزيت و أول من تعبّد فيه من قريش جدّه عبدالمطلب  
ثم تبعه سائر المتألهين وهم أبوامية بن المغيرة وورقة بن نوفل ابن عم خديجة وكان  
ورقة قد قرء الكتب و كتب الكتاب العبري وكان شيخاً كبيراً قديمي في أواخر عمره .  
ثم لما بلغ عليه ﷺ رأس الأربعين ودخلت ليلة سبع عشرة من رمضان جاءه الملك  
وهو في الغار كما قال الصرصري :

وأنت عليه أربعون فأشرق ✨ شمس النبوة منه في رمضان

قالت عائشة : جاءه الملك سحر يوم الاثنين فقال : اقرأ قال : ما أنا بقارىء

(١) الكمك خبز يعمل من الدقيق والحليب .

قال : فأخذني وضممني و عصرني ثم أرسلني . فعله ثلاث مرات ثم قال : « اقرء » إلى قوله : « ما لم يعلم » فخرج صلى الله عليه وآله وسلم من الغار حتى إذا كان في جانب من الجبل سمع صوتاً يقول : يا محمد أنت رسول الله وأنا جبرئيل ، ورجع إلى خديجة يرحف فؤاده فحدّثها بما جرى فقالت له : ابشر يا ابن عمّتي واثبت فوالذي نفسي بيده إنني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة ، ومكث ﷺ مدة لا يرى جبرئيل . وكانت وفاة ورقة بن نوفل مدة الفترة أي فترة الوحي بين « اقرء » و بين « يا أيّها المدثر » .

[باسم ربك] أي مبتدئاً باسمه أي « قل و اقرء بسم الله الرحمن الرحيم » [الذي خلق] نورك قبل الأشياء أو خلق جميع المخلوقات على مقتضى حكمته وأخرجهم من العدم إلى الوجود .

و في كتاب شمس المعارف : أوّل آية نزلت على وجه الأرض « بسم الله الرحمن الرحيم » يعني على آدم الصفيّ ﷺ فقال آدم : الآن علمت أن ذرّيتي لا تعذب بالنار مادامت عليها ثم أنزلت على إبراهيم في المنجنيق فأنجاه الله بها من النار ثم على موسى فقهر بها على فرعون و جنوده ثم على سليمان فقالت الملائكة : الآن وقد تمّ ملكك فهي آية الرحمة والأمان لرسله و أممهم ، ولما نزلت على رسول الله وذكرت في سورة النمل<sup>(١)</sup> « إنّه من سليمان » وإنّه بسم الله الرحمن الرحيم « كانت فتحاً عظيماً ، أمر رسول الله ﷺ فكتب على رؤوس السور و أوائل الرسائل والدفاتر و حلف ربّ العزّة بعزّته أن لا يسمّيه عبد مؤمن على شيء إلاّ بورك له فيه وكانت لقائلها حجاباً من النار و هي تسعة عشر حرفاً تدفع تسعة عشر زبانية .

وفي الحديث النبوي : لو وضعت السماوات والأرضون و ما فيهنّ و ما بينهنّ في كفة و البسملة في كفة لرجحت عليها . انتهى . وإنّما وصف نفسه بقوله : « الذي خلق » لأنّه تعالى لما ذكر الربّ وكانت العرب في الجاهليّة تسمّي الأصنام أرباباً أتى بالصفة التي لا شركة للأصنام فيها فقال : «الذي خلق» .

[ خلق الإنسان من علق ] و التخصيص لخلق الإنسان بالذكر من بين سائر المخلوقات لاستقلاله ببداية الصنع في خلقته أو تفخيم لشأنه ﷺ إذ هو أشرفهم و عليه نزل القرآن و هو أول المأمور بقراءته « من علق » و هو الدم الجامد بعد النطفة إذ المراد جنس بني آدم والمراد بيان أطوار الخلقة الإنسانية ، إنه تعالى خلق أصله من التراب أو الدم و هو في غاية من المهانة ثم بلغ به مبالغ الكمال مفرغاً في قالب الاعتدال حتى صار بشراً سوياً مهيباً للنطق و إدراك المعاني و انتقل من حال إلى حال حتى استكمل إلى أن بلغ درجة النبوة و الرسالة و أظهر قدرته باظهار ما بين حالتي الإنسان بدايةً و نهايةً من التباين و إيراد كلمة العلق بلفظ الجنس و الجمع ولم يقل : « علقة » لأن الإنسان في معنى الجمع لأن الألف واللام في الإنسان للاستغراق و مراعاة الفواصل .

ولما كان الإنسان أقوم الدلائل الدالة على قدرته و علمه تعالى وصف ذاته بذلك ، ولما كان أراد سبحانه أن يعترف المشركون بوحدانيته لوقال لهم : « اقرأ باسم ربك الذي لا شريك له » لأبوا أن يقبلوا منه ذلك فقدّم مقدّمة تلجئهم إلى الاعتراف فأمر رسوله أن يقول لهم : إنهم خلقوا من العلقة ولا يمكنهم إنكار ذلك ولا يمكنهم أن ( ينسبوا ) ذلك الفعل إلى الوثن لأنهم هم نحتوه فبهذا التدرّج إذا تأملوا عرفوا أنه تعالى هو المستحقّ للثناء دون الأوثان لأنّ الإلهية موقوفة على الخلقية و من لا يخلق شيئاً كيف يكون إلهاً مستحقاً للعبادة ؟ على أنّها هي مخلوقة .

[ اقرأ و ربك الأكرم ] أي افعّل ما أمرت به و كرّر الأمر بالقراءة قيل : لأنّه أمره في الأمر الأوّل بالقراءة لنفسه وفي الثاني بالقراءة للتبليغ فحينئذ ليس بتكرار و قيل : التكرار للتأكيد و تمهيداً لما يعقبه من قوله : « و ربك الأكرم » فانه كلام مستأنف و اردل زاحه عذره ﷺ : « ما أنا بقارى » حين أمره جبرئيل بالقراءة يريد ﷺ أن القراءة شأن من يكتب و يقرء و أنا أمي فقيل له : و ربك الذي أمرك بالقراءة مبتدئاً باسمه وهو الأكرم و الزائد الكرم على كل كريم .

[ الذي علّم بالقلم ] أي علّم ما علّم بواسطة القلم فكما علّم القارىء بواسطة الكتابة والقلم يعلمك بدونهما فوصف نفسه تعالى بخلق الإنسان من علق و بأنه الذي علّمه بالقلم، والمناسبة بين الأمرين أن " أوّل أحوال الإنسان كونه علقه وشيئاً خسيئاً وآخر أمره هو صيرورته عالماً و هو مقام شريف وليس هذا الكمال إلا من قدرته تعالى شأنه وتنبيهه على أن العلم أشرف الصفات ويبقى العلم بالخطّ و القلم و هو نعمة عظيمة ولولا القلم ما استقامت أمور الدين والدنيا .

قال كعب الأخبار : من وضع الكتاب آدم ﷺ قبل موته بثلاثمائة سنة كتب بالعربيّ والسريانيّ كتبها في الطين ثمّ طبخه فاستخرج إدريس ما كتب آدم و هذا هو الأصحّ و أمّا أوّل من كتب الرمل فإدريس عليه السلام و أوّل من كتب بالفارسية طهمورث ثالث ملوك الفرس و أوّل من اتخذ القرطاس يوسف عليه السلام .

قال السيوطي : أوّل ما خلق الله القلم قال له : اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة ، وأوّل ما كتب القلم : أنا التوّاب أتوب على من تاب .

[ علّم الإنسان ما لم يعلم ] بدل اشتمال من « علّم بالقلم » و تعيّن للمفعول أي علّمه به و بدونه من الأمور ما لم يكن يعلمه ولم يخطر بباله .

فان قلت : فاذا كان القلم والخطّ من المنن الإلهية فما باله ﷺ لم يكتب؟ فالجواب أن هذا الأمر مزيد فضل له لا نقيصة لو فرضنا أنه لم يكتب، وقد ورد في الحديث بخلافه أنه ﷺ كان يكتب ويعرف سبعين لغة ولو صحّ أنه لم يكتب ولم يقرء لأنه لو كتب لقرء القرآن من صحف الأولين ولعلّ المراد من أنه لم يكتب ولم يقرء أي ما تلمذ في الدرس والكتابة عندهم ستاذو كيف يحتاج إلى الكتابة و الدراسة من كان القلم الأعلى يخدمه و اللوح المحفوظ مصحفه بل القلم الأعلى الذي هو أوّل موجود يكون روح النبويّ فإنّ الله علّم القلوب بواسطة ما لم يعلم من العلوم التفصيلية .

[ كلاً إن الإنسان ليطغى ] ردع ومنع لمن كفر بنعمة الله وإن لم يذكر، أو معناه حقاً أن الإنسان يتجاوز حدّه و يستكبر على ربّه لأن رأى نفسه مستغنياً

بعشيرته وبماله ، قيل : نزلت في أبي جهل بن هشام من هنا إلى آخر السورة .

روي أن أبا جهل قال لرسول الله : أتزعم أن من استغنى طعاً؟ فاجعل لنا جبال مكة فضة و ذهباً اعلنا نأخذ منها فنطغى فندع ديننا و نتبع دينك ، فنزل جبرئيل فقال : إن شئت فعلنا ذلك ثم إن لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا بأصحاب المائة فكف رسول الله ﷺ عن الدعاء إبقاءً عليهم ورحمة ، وأول هذه السورة يدل على مدح العلم و آخرها على مذمة المال و كفى بذلك مرغباً في العلم و منقراً عن المال و الدنيا و كان ﷺ يقول : اللهم إنني أعوذ بك من غنى يطغى و فقر ينسى .

[ إن إلى ربك الرجعى ] الرجعى مصدر بمعنى الرجوع و الألف للتأنيث أي إن إلى مالك أمرك أيها الإنسان رجوع الكل بالموت و البعث لا إلى غيره فسترى عاقبة طغيانك .

[ أ رأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى ] الخطاب لكل من يتأتى منه الرؤية و الاستفهام للتعجب و الرؤية بصريّة و تنكير العبد للتفخيم ، روي أن أبا جهل قال في ملا من طغاة قريش : لئن رأيت محمداً يصلي لأطأن عنقه وهم أن يلقي على رأسه الشريف حجراً فرآه وهو في صلاة الظهر فجاءه ثم نكص على عقبه فقالوا : مالك؟ فقال : إن بيني وبينه لخنديقاً من نار و هو لا و أجنحة ، والمراد أجنحة الملائكة ، أبصر اللعين الأجنحة ولم يبصر أصحابها فقال ﷺ : و الذي نفسي بيده لودنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً . و كان أبو جهل يكنى بأبي الحكم لأنهم كانوا يزعمون أنه عالم ذو حكمة و ذلك في الجاهليّة ثم سمى أبا جهلاً في الإسلام .

و حاصل معنى الآية : أ رأيت من منع من الصلاة ما ذا يكون حاله عند الله و ما الذي يستحقّه من العذاب؟ فحذف لدلالة الكلام على المحذوف و الآية عامّة في كل من ينهى عن الصلاة و عن الخير .

ثم كرّر سبحانه لفظة التعجب تأكيداً فقال : [ أ رأيت إن كان على الهدى ] يعني العبد المهني عن الصلاة و هو محمد ﷺ [ أو أمر بالتقوى ] عن الشرك و أمر



بالإخلاص و التوحيد و مخافة الله كيف يكون حال من ينهيه عن هذه الأمور و يزجره عنها .

و روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه خرج في يوم عيد فرأى ناساً يصلّون فقال يا أيّها الناس قد شهدنا رسول الله صلى الله عليه وآله في مثل هذا اليوم فلم يكن أحد يصلي قبل العيد فقال رجل : يا أمير المؤمنين ألا تنهى أن يصلّوا قبل خروج الإمام ؟ فقال : لا أريد أن أنهى عبداً إذا صلّى ولكنّا نحدّثهم بما شهدنا من النبي صلى الله عليه وآله .

وقيل : في معنى قوله : « رأيت إن كان على الهدى » يرجع ضمير كان إلى الكافر تلهّفاً عليه فمعنى الآية أنه إذا كان و صار على الهدى و اشتغل بما ينفعه و يأمر بالتقوى أما كان ذلك خيراً له من الكفر بالله و النهي عن عبادة الله؟ كأنه سبحانه تلهّف على ذلك الكافر بأنّه كيف فوت على نفسه المراتب العالية و قنع بالدنيا و ارتكب الضلالة و اختارها على الهدى .

[ رأيت إن كذب و تولّى ] عن الإيمان و أعرض عن قبوله و الإصغاء إليه [ ألم يعلم بأنّ الله يرى ] جواب للشرط الثانية و التقدير رأيت الذي فعل التكذيب و الإعراض ما الذي يستحقّ بذلك من الله تعالى من العقاب، و الآية عظة لجميع الناس و تهديد لمن يمنع عن الخير و الطاعة، و الآية وإن نزلت في أبي جهل لكن كل من نهى عن طاعة الله فهو شريك أبي جهل في هذا الوعيد .

[ كلاً ] ردع للمناهي عن عبادة الله [ لئن لم تنته ] اللام موطئة للقسم أي والله لئن لم ينته عما هو عليه ولم ينزجر ولم يتب ولم يسلم قبل الموت [ لنسفعاً بالناصية ] أصله لسفن بالخفيفة للتأكيد و نظيره <sup>(١)</sup> « وليكونا من الصاغرين » كتب في المصحف بالألف على حكم الوقف فانتهى يوقف على هذه النون بالألف تشبيهاً لها بالتنوين . و السفع الجذب و الجرح الشديد أي لناخذن في الآخرة بناصره و لنسحبنا به إلى النار بمعنى لنامرن الزبانية ليأخذوا بناصره و يجروا به بالتحقير و الإهانة إلى النار و كانت العرب تأنف من جرّ الناصية ، و الاكتفاء بلام العهد عن الإضافة لظهور أنّ

المراد ناصية الناهي والمعرض، ولعلّ السبب في تخصيص السفع بالناصية لأنّ أباجهل اللعين كان شديد الاهتمام بترجيل الناصية وترتيبها وتطييبها وقد وقع السفع للعين يوم بدر في الدنيا قبل الآخرة .

روي أنّه لما نزلت سورة الرحمن قال النبي ﷺ : من يقرأها على رءساء قريش؟ فتثاقلوا فقام ابن مسعود . قال : أنا فأجلسه ﷺ ثمّ قال ﷺ : ثانياً من يقرأها عليهم؟ فلم يبق إلاّ ابن مسعود . ما كان يومئذ عليّ حاضرّاً ثمّ قال : من يقرأها عليهم؟ فقام ابن مسعود إلى أن أذن له و كان صلّى الله عليه وآله يبقي عليه ولا يأذنه لما كان يعلم من ضعفه وصغر جسّته ، ثمّ إنّه وصل إليهم فرآهم مجتمعين حول الكعبة فافتتح عبد الله قراءة السورة فقام أبو جهل فلطمه فشقّ أذنه وأدماها فانصرف ابن مسعود وعينه تدمع فلما رآه ﷺ رقّ قلبه وأطرق رأسه مغموماً فاذا جبرئيل جاء ضاحكاً مستبشراً فقال ﷺ : يا جبرئيل تضحك ويبكي ابن مسعود، فقال جبرئيل : سيعلم ، فلما ظفر المسلمون يوم بدر التمس ابن مسعود أن يكون له حظّ في الجهاد فقال ﷺ : لابن مسعود خذ رمحك والتمس في الجرحى من الكافرين فمن كان له رمق فاقتله فانك تنال ثواب المجاهدين فأخذ يطالع القتلى فاذا أبو جهل مصروع يخور فخاف عبد الله أن يكون به رمق فيؤذيه فوضع الرمح على منخره من بعيد فطعنه ثمّ لما عرف عجزه لم يقدر أن يصعد على صدره لضعفه وكان نحيفاً جداً فارتقى على صدر اللعين بحيلة فلما رآه أبو جهل قال له : يا رويي الغنم لقد ارتقيت مرتقى صعباً، فقال ابن مسعود : الإسلام يعلم ولا يعلم عليه ، فقال له أبو جهل : بلّغ صاحبك أنّه لم يكن أحدٌ أبغض إليّ منه في حال مماتي (روي أنّه ﷺ لما سمع ذلك قال : فرعوني أشدّ من فرعون موسى فانّه قال : آمنت ، وهو قد زاد عتواً ) ثمّ قال : يا ابن مسعود هاك سيفي واقطع به لأنّه أحدٌ وأقطع، فلما قطع رأسه لم يقدر على حمله فشقّ أذنه وجعل الخيط فيها وجعل يجرّه إلى رسول الله وجبرئيل كان حاضرّاً عند رسول الله يضحك ويقول : يا محمد أذن بأذن لكنّ الرأس ههنا مع الأذن مقطوح .

[ ناصية كاذبة خاطئة] بدل من الناصية وإنّما جاز إبدال النكرة من المعرفة

لأنّها موصوفة، ووصف الناصية بالكذب و الخطاء على الإسناد المجازي والمراد صاحبها و في الكلام مبالغة في الكذب و الخطاء كأنّه من شدّة كذبه و كثرة خطائه ظاهر في ناصيته .

[فليدع ناديه] من الدعوة يعني أهل ناديه ومجلسه ليعينوه . والنادي المجلس الذي يجتمعون و ينتدون فيه القوم . روي أنّ أبا جهل مرّ برسول الله و هو يصلي فقال : ألم نهك؟ فأغلظ له رسول الله فقال أبو جهل : أتهدّ دني وأنا أكثر أهل الوادي نادياً؟ ودار الندوة بمكّة ، فنزلت :

[سندع الزبانية] أي ملائكة العذاب قال ﷺ : لو دعا ناديه لأخذته الزبانية عياناً . وحذف الواو من غير قاعدة إلاّ لأنه اجتمعت المصاحف العثمانية في حذف الواو من « سندع » و لعلّ السبب فيه للمشاكلة مع « فليدع » و قال ابن خالويه : إنّ الأصل سندعو بالواو غير أنّ الواو ساكنة فاستثقلتها اللام الساكنة فسقطت الواو في المصحف من سندع و<sup>(١)</sup> « يدع الإنسان » و<sup>(٢)</sup> « يمح الله الباطل » و كذلك الياء من<sup>(٣)</sup> « واد النمل » و « إنّ الله لهاد الذين آمنوا<sup>(٤)</sup> » والزبانية في الأصل في كلام العرب الشرط كصرد جمع شرطة بضمّ الشين وهم أعوان الولاة سموا بذلك لأنّهم أعلموا وعرّفوا أنفسهم بعلامات يعرفون بها ، والأشراط العلائم و الواحد زبانية من الزبن كالضرب و هو الدفع لأنّهم يدفعون الكفار ويزبنونهم في جهنّم بدفع شديد و قيل : الواحد زبني . [ كلاً ] ردع بعد ردع للنهائي المذكور [ لاتطعه ] أي دُم على صلاتك ومعصاة ذلك النهائي الكاذب الخاطيء [ واسجد واقترّب ] و واظب سجدك غير مكترث به و تقربّ بذلك السجود إلى ربّك ، وفي الحديث : أقرب ما يكون العبد من ربّه إذا سجد فأكثرُوا من الدعاء في السجود .

روي أنّ إبراهيم الخليل عليه السلام أضاف يوماً مائتي مجوسي فلماً أكلوا قالوا :

- (١) سورة الاسراء : ١١
- (٢) > الشورى : ٢٤
- (٣) > النمل : ١٨
- (٤) > الحج : ٥٤

مرنا يا إبراهيم قال : إن لي إليكم حاجة فقالوا : ما حاجتك؟ قال : اسجدوا لربي سجدة واحدة فتشاوروا فيما بينهم فقالوا : إن هذا الرجل قد صنع معروفاً كثيراً فلو سجدنا لربه ثم رجعنا إلى آلهتنا لا يضرنا بشيء ، فسجدوا جميعاً فلمّا وضعوا رؤوسهم على الأرض ناجى إبراهيم ربه فقال : إنني جهدت جهدي حتى حملتهم على هذا ولا طاقة لي على غيره و إنّما التوفيق منك اللهم زين صدورهم بالإسلام ، فلمّا رفعوا رؤوسهم من السجود أسلموا .

وللسجدة أقسام : سجدة الصلاة وسجدة التلاوة مثل هذه الآية ، وسجدة السهو ، وسجدة التعظيم لجلال الله ، وسجدة التضرع إليه خوفاً وطمعاً ، وسجدة الشكر وسجدة المناجاة . وهذه - ماعدا الثلاثة الأولى - مستحبة صادرة عن الملائكة و الأنبياء والأولياء وقيل : إنه صلّى الله عليه وآله قرأ في سجدة اقرء : «أعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك»  
تمت السورة بعون الله



## سورة القدر

﴿مكية﴾

و قيل : مدنية .

عن النبي ﷺ مَنْ قَرَأَهَا أُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ كَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ وَأَحْيَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ وَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَنْ قَرَأَهَا فِي فَرِيضَةٍ مِنَ الْفَرَايِضِ نَادَى مُنَادِيًا يَا عَبْدَ اللَّهِ قَدْ غَفَرَ لَكَ مَا مَضَى فَاسْتَأْنَفِ الْعَمَلَ . وَعَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : مَنْ قَرَأَهَا بِجَهْرٍ كَانَ كَشَاهِرِ سَيْفِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَنْ قَرَأَهَا سِرًّا كَانَ كَالْمُتَشَحِّطِ بِدَمِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَنْ قَرَأَهَا عَشْرَ مَرَّاتٍ مَحَا اللَّهُ أَلْفَ ذَنْبٍ مِنْ ذُنُوبِهِ .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

انا انزلناه في ليلة القدر (١) وما ادريك ما ليلة القدر (٢) ليلة القدر خير من الف شهر (٣) تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر (٤) سلام هي حتى مطلع الفجر (٥) .

النون نون العظمة أو للدلالة على الذات والصفات والأسماء ، والضمير للقرآن لأن شهرته تقوم مقام تصريحه وذكره ، فكأنه حاضر في الأذهان وأُسند إنزاله إلى جنابه مع أن نزوله إنما يكون بواسطة جبرئيل على طريقة القصر بتقديم الفاعل المعنوي فاكتمى بذكر الأصل عن ذكر التبعية . ومعنى صيغة الماضي أننا حكمنا بإنزاله في ليلة القدر و قدرناه في الأزل .

فلو قيل : إن الإِنزال يستعمل في الدفعي و القرآن لم ينزل جملة واحدة بل أنزل مفترقاً في ثلاث وعشرين سنة .

جوابه أن المراد أن جبرئيل نزل به جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا وأملاه على السفرة أي الملائكة الكاتبات في تلك السماء ثم كان ينزل على النبي ﷺ منجماً على حسب الحاجة والمصالح و كان ابتداء تنزيله أيضاً في تلك الليلة .

وفيه إشارة إلى أن بيت العزة أشرف المقامات السماوية بعد اللوح المحفوظ لنزول القرآن منه إليه ولذلك قالوا بفضل السماء الدنيا الأولى على أخواتها لأنها مقر الوحي الإلهي و لشرف المكان بالمكين فالمكان الشريف يزداد شرفاً بالمكين الشريف، وفي التدرج تسهيل العمل به و الحفظ و تثبيت للفؤاد . و كلام الله المنزل قسماً : القرآن والخبر القدسي لأن جبرئيل كان ينزل بالسنة كما ينزل بالقرآن ومن هنا جاز رواية السنة بالمعنى لأن جبرئيل أدّاها بالمعنى ، ولم يجز القرآن

بالمعنى لأن جبرئيل أدّاه باللفظ ، و السرّ في ذلك التعبّد بلفظه و الإعجاز به و بخصوصيّاته فإنّه لا يقدر أحد أن يأتي بدله بما يشتمل عليه من الإعجاز لفظاً و من الأسرار معنيّ فكيف يقوم لفظ الغير و معناه مقام حرف القرآن و معناه .  
 فان قيل : ما السبب أن الملائكة بأسرهم صعقوا ليلة نزول القرآن من حضرة اللوح المحفوظ إلى حضرة بيت العزّة ؟ السبب أن تمجّداً و قرآنه عندهم من أشرط القيامة فنزوله دلّ على قيام الساعة فصعقوا هيبةً منه و إجلالاً لكلامه و حضرة وعده و وعيده .

[ في ليلة القدر ] و إنّما سمّيت بليلة القدر قيل : لأنّه أنزل فيها كتاب ذو قدرٍ إلى رسول ذي قدر لأجل أمّة ذي قدر على يد ملك ذي قدر أو لأنّ الله قدّر فيها بما يكون في السنة بأجمعها من الأمور ، و قيل : لأنّه من لم يكن ذا قدر إذا أحيها صار ذا قدر أو لأنّ للطاعات فيها قدراً عظيماً و ثواباً جزيلاً و قيل : سمّيت بذلك لتضييق فيها بالملائكة من قوله <sup>(١)</sup> : « ومن قدر عليه رزقه » .

ولعلّ الحكمة في إنزال القرآن ليلاً لأنّ أكثر الكرامات و نزول النفحات و الإسراء إلى السماوات كان في الليل ، و الليل من الجنة لأنّها محلّ الاستراحة ، و النهار من النار و الحركة و الحرارة و التعب و فيه سعي المعاش و تعب المشاغل ، و الليل حظّ الفراش و الوصال ، و عبادة الليل أفضل من عبادة النهار و قلب الإنسان أفرغ للعبادة ، و قد مرّ بيان ليلة القدر في سورة الدخان و عند الأكثر أنّها واقعة في العشر الأواخر من رمضان في أوتارها .

[ و ما أدراك ماليلة القدر ] أي و أيّ شيء أعلمك يا تمجّد ماهي و ما كنهها لأنّ قدرها و علوّها خارج عن دائرة دراية الخلق و هو تعظيم للوقت الذي أنزل فيه فمن بعض فضل ذلك الوقت أنّه يرتفع سؤال القبر عمّن مات فيها .

[ ليلة القدر ] عبادتها و قيامها [ خير من ألف شهر ] صيامها و قيامها ليس فيها ليلة القدر حتّى لا يلزم تفضيل الشيء على نفسه و « خير » في الآية للمتفضل أي أفضل

وأعظم قدراً من تلك المدة وهي ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر .  
وفي الحديث من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومن صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . ومعنى إيماناً واحتساباً أي بنية وعزيمة طيبة به نفسه غير كارهة له ولا مستثقل لصيامه ولا مستطيل لأيامه بل يغتم طول أيامه لعظم الثواب لكن قال بعض المحققين : المراد من قوله «غفر الله ما تقدم من ذنبه» الصغائر، وزاد بعضهم: وإذا لم يصادف صغيرة يخفف عن الكبائر والمراد من قوله: «وما تأخر» كماية عن حفظهم من ارتكاب الكبائر بعد ذلك أو أن تقع ذنوبهم مغفورة .

وقال بعض : إن ليلة القدر ليلة الآخرة من رمضان واستدل بقوله ﷺ :  
«إن الله تعالى في كل ليلة من شهر رمضان أعتق ألف ألف عتيق من النار عند الإفطار كلهم استوجبوا العذاب فاذا كان آخر ليلة من شهر رمضان أعتق الله في تلك الليلة بعدد من أعتق من أول الشهر إلى آخره واللييلة الأولى للصائمين كمن ولد له ذكر فهي ليلة شكر واللييلة الأخيرة ليلة الفراق كمن مات له ولد فهي ليلة صبر و فراق وفرق بين الشكر والصبر» وكان ﷺ ليلة الأخيرة من رمضان يكثّر من قوله : «اللهم إنك عفوٌ تحبّ العفو فاعف عني اللهم إنني أسألك العفو والعافية والمعافة في الدين والدنيا والآخرة» .

قال ابن عباس : إن الله يقدر في ليلة القدر من تلك السنة من مطر و رزق وإحياء وإماتة إلى غيرها من السنة الآتية فيسلمه إلى مدبرات الأمور من الملائكة فيدفع نسخة الأرزاق والنباتات و الأمطار إلى ميكائيل و نسخة الحروب و الرياح والزلازل والصواعق و الخسف إلى جبرئيل و نسخة الأعمال إلى إسرافيل و نسخة المصائب إلى ملك الموت .

فكم من فتى يمسي ويصبح آمناً ✨ وقد نسجت أ كفانه وهو لا يدري  
و كم من عروس زينوها لزوجها ✨ وقد قبضت أرواحهم ليلة القدر

وقيل : إنّه ﷺ ذكر رجلاً من بني إسرائيل اسمه شمسون لبس السلاح في



سبيل الله ألف شهر فتعجب المؤمنون منه وتقاشرت إليهم أعمالهم فأعطوا الليلة هي خير من مدة ذلك الغازي . وقيل : رأى النبي ﷺ أعمار الأمم كافة فاستقصر أعمار أمته فخاف أن لا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم في طول العمر فأعطاه الله ليلة القدر وجعل عبادتها خيراً من ألف شهر لم يكن فيها ليلة القدر . وقيل : كان ملك سليمان مدة خمسمائة شهر وملك ذي القرنين خمسمائة شهر فجعل العمل في هذه لمن أدر كها خيراً من ملكهما .

وروي عن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال حين عوتب في تسليمه الأمر لمعاوية: إن الله أرى نبيه ﷺ في المنام أن بني أمية ينزون على منبره نزو القردة فاعتم لذلك فأعطاه الله ليلة القدر وهي خير له ولذريته من ألف شهر وهي مدة ملك بني أمية وأعلمه أنهم يملكون أمر الناس هذا القدر من الزمان .

وقيل - والقول ضعيف - : إن فضلها كان لنزول القرآن وانقطعت فكانت مرة لكن الجمهور على أنها باقية آتية في كل سنة فضلاً من الله تعالى . قال بعض الأكابر من أهل الليل: من قرأ كل ليلة عشر آيات على تلك الليلة لم يحرم ثوابها وأقل صلاة ليلة القدر ركعتان وأوسطها مائة ركعة وأكثرها ألف ركعة .

[ تنزل الملائكة والروح فيها ] استيناف مبين ومقرر لماله فضلت على ألف شهر . و«تنزل» بخذف إحدى التائين ، وقد سبق معنى الروح في سورة النبأ وهو ملك عظيم لو التقم السماوات والأرضين كانت له لقمة واحدة وهو في المحشر يقف صفياً وتمام الخلق من الملائكة وغيرهم صفياً وله ألف رأس كل رأس أعظم من الدنيا وفي كل رأس ألف وجه وفي كل وجه ألف فم وفي كل فم ألف لسان يسبح الله بكل لسان ألف نوع من التسبيح والتحميد لكل لسان لغة لا تشبه الأخرى ، فإذا فتح أفواهه بالتسبيح خر كل ملائكة السماوات سجداً مخافة أن يحرقهم نور أفواهه وهو يسبح الله غدوة وعشيّة فينزل تلك الليلة فيستغفر للصائمين والصائمات من أمّة محمد ﷺ بتلك الأفواه كلها إلى طلوع الفجر .

وقيل : الروح طائفة من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا ليلة القدر كالزهّاد

الذين لاتراهم إلا يوم العيد . وقيل : المراد عيسى عليه السلام لأنه اسمه فان اسم عيسى الروح وينزل في مرافقة الملائكة ليطلع أمة محمد . وقيل : المراد من الروح جبرئيل وإنما خص بالذكر لشرافته في أمانة الوحي . وقيل : المراد بالروح الوحي كما قال (١) : « وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا » أي تنزل الملائكة ومعهم الوحي بتقدير الخيرات والأمر في تلك الليلة .

[ باذن ربهم ] متعلق بقوله : «تنزل» أي بأمره تعالى [ من كل أمر ] متعلق بقوله : « تنزل » أي من أجل كل أمر قدّر في تلك السنة [ سلام هي حتى مطلع الفجر ] سلام خبر قديم لإفادة الحصر مثل «تميمي أنا» أي ماهي إلا سلامة و كل ما ينزل في هذه الليلة لا يستطيع الشيطان فيه سوءاً و كلها خير ، و الليلة ليست نفس السلامة بل ظرف لها ومع ذلك وصفت بالسلامة للمبالغة في اشتغالها عليها أو المعنى ماهي إلا سلام لكثرة مايسلمون على المؤمنين فيها . وفي الحديث «ينزل جبرئيل ليلة القدر في كبكبة من الملائكة متضامة يصلون ويسلمون على كل عبد قائم أو قاعد يذكر الله حتى طلوع الفجر - أي حتى وقت طلوعه و المضاف مقدر- ثم يصعدون إلى السماء» .

قيل : علامة ليلة القدر أنها ليلة لا حارة ولا باردة و يطلع الشمس صبيحتها

لا شعاع لها لأن الملائكة تصعد إلى السماء فيمنع صعودها و

كثرتها انتشار شعاع الشمس .

تمت السورة بعون الله

## سورة البينة

﴿ قيل : مكية و قيل : مدنية ﴾

عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: لو يعلم الناس ما في «لم يكن» لعطّلوا الأهل والمال وتعلّموها، وقال رجل من خزاعة: ما فيها من الأجر يارسول الله؟ فقال: لا يقرءها منافق أبداً ولا يقرءها عبد في قلبه شك في الله وإنّ الملائكة المقرّبين ليقرؤونها منذ خلق السماوات والأرض لا يفترّون من قراءتها، وما من عبد يقرءها بليل إلا بعث الله ملائكة يحفظونه في دينه ودنياه ويدعون له بالمغفرة فإنّ من قرءها نهاراً أُعطي عليها من الثواب مثل ما أضاء عليها النهار و أظلم عليها الليل فقال رجل من قيس عيلان: زدنا يارسول الله من هذا الحديث فذاك أبي فقال ﷺ: تعلّموا « عمّ يتساءلون » و « ق والقرآن » وتعلّموا « والسماء ذات البروج » وتعلّموا « و السماء والطارق » فإنّكم لو تعلمون ما فيهنّ لعطّلتم ما أنتم فيه وتقرّ بتم بهنّ إلى الله وأنّ الله يغفر بهنّ كلّ ذنب إلا الشرك بالله، و اعلموا أنّ «تبارك الذي بيده الملك» يجادل عن صاحبها يوم القيامة وتستغفر له من الذنوب .

أبو بكر الحضرمي عن أبي جعفر عليه السلام قال : من قرأ سورة «لم يكن» كان بريئاً من الشرك و أدخل في دين محمد وبعثه الله مؤمناً وحاسبه الله حساباً يسيراً .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البيئنة (١) رسول من الله يتلوا صحفا مطهرة (٢) فيها كتب قيمة (٣) وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جائتهم البيئنة (٤) وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء و يقوموا الصلاة و يؤتوا الزكوة و ذلك دين القيمة (٥) ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها اولئك هم شر البرية (٦) ان الذين آمنوا و عملوا الصالحات اولئك هم خير البرية (٧) جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدًا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه (٨).

[ لم يكن ] الكفار من أهل الكتاب من اليهود والنصارى و « من » للتبيين لا للتبعض [و] من [المشركين] الذين هم عبدة الأوثان وهم الذين ليس لهم كتاب من العرب و غير العرب [ فنفكّين ] وزائلين و منفصلين عن كفرهم و شركهم [ حتى تأتيهم البيئنة ] اللفظ لفظ الاستقبال ومعناه المضىّ مثل قوله (١) : « ماتملوا الشياطين » أي ماتلت الشياطين، وحاصل المعنى أن الكفار والمشركين لم ينتهوا عن كفرهم و ضلالهم حتى أتاهم محمد فبيّن لهم ضلالهم عن الحق . و المراد من « البيئنة » النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من البيئنة فانّ البيئنة تمييز و يفرق الحقّ من الباطل و يجعل بينهما بوناً ، وقوله : « رسول من الله » بدل من البيئنة أو عطف بيان وتفسير لها وقيل : المعنى لم يكونوا متروكين و منفصلين من حجج الله حتى أتتهم البيئنة التي تقوم بها الحججة عليهم .

[ يتلو عليهم ] صفة أخرى للرسول ﷺ [ صحفاً ] الصحف جمع الصحيفة وهي

ظرف المكتوب [ مطهرة ] أي منزّهة من الباطل ولا يمسّها إلا الملائكة المطهّرون ونسبة التلاوة إلى الصحف عبارة عمّا فيها بعلاقة الحلول والمراد أنّه ﷺ يتلو عليهم القرآن لأنّ القرآن مصدّق لصفحة الأولين ومطابق لها في أصول الشرائع فأذا كان كذلك فإذ تلي عليهم القرآن تلي صحف الأولين فدعاهم ﷺ إلى التوحيد والإيمان . [ فيها كتب قيّمة ] صفة لصفح أي في تلك الصحف أمور مكتوبة مستقيمة ناطقة بالحقّ والصواب غير ذات عوج وقيل : المعنى : في سور القرآن كتب مستقيمة يشتمل على أنواع من العلوم كلّ نوع كتاب في فرائض الله وإنّ في القرآن مجمع ثمرة كتب الله المتقدّمة .

[ وما تفرّق الذين أوتوا الكتاب ] أي وما اختلف هؤلاء الكفّار من أهل الكتاب في أمر محمّد [ إلا من بعد ما جاءتهم البينة ] بعد ما جاءتهم البشارة في كتبهم وعلى السنة رسالهم فكانت الحجّة قائمة عليهم وقيل : المعنى و لم يزل أهل الكتاب مجتمعين في تصديق محمّد وينتظرونه حتّى بعثه الله فلمّا بعث تفرّقوا في أمره واختلفوا فأمن به بعض وكفر آخرون وإفرا دأهل الكتاب بعد الجمع بينهم وبين المشركين للدلالة على شناعة حالهم وأنهم لمّا تفرّقوا مع علمهم كان غيرهم أولى بذلك فخصّوا بالذكر لأنّ إنكار العالم أقبح من إنكار الجاهل مع أنّ المشركين قد تمتّ عليهم الحجّة وبلغهم هذا الأمر ممّن تقدّمهم من أهل العلم منهم .

[ وما أمروا إلا ليعبدوا الله ] جملة حاليّة مفيدة لغاية قبح ما فعلوا أي ما أمروا في كتبهم ولم يأمرهم إلا لأن يعبدوا الله وحده ولا يشركون بعبادته فهذا ممّا لا اختلاف فيه من قبل ولا من بعد ولا تبدّل فيه . و « اللّام » عندنا وعند المعتزلة لام الغرض لكنّ الغرض نفعه راجع إلينا وهو مستغن عن كلّ شيء ونفع .

[ مخلصين له الدين ] حال من فاعل في « ليعبدوا » أي جاعلين عبادتهم خالصة لله في الدين من غير تشريك ويكون لداعية واحدة وهو وجه الله .

[ حنفاء ] مائلين عن الشرك والأديان الباطلة مؤمنين بالرسول والملمّة الحنيفيّة الشريفة المستقيمة المائلة إلى الحقّ ، وأصله الميل ومن ذلك الأحنف المائل القدم

إلى جهة القدم الأخرى و قيل : أصله الاستقامة و إنّما قيل « المائل القدم » أحنف تقاؤلاً ، وبالجملة قوله : « حنفاء » تأكيد لقوله : « مخلصين » فإذا كان بمعنى الميل فمعناه مائلين عن جميع العقائد الفاسدة الزائفة إلى الإسلام وإذا كان بمعنى الاستقامة فالمعنى واضح ، قال ابن جبير : لا يسمّى أحد حنيفاً حتّى يحجّ و يختن لأنّ الله وصف إبراهيم عليه السلام بكونه حنيفاً و أنّه حجّ و ختن نفسه ، و قيل : الحنيفيّة الختان و تحريم البنات و الأخوات و الأمّهات و الخالات و إقامة المناسك و إقامة الصلاة و أداء الزكاة و أداء ما فرض عليه .

[ و يقيموا الصلاة و يؤتوا الزكاة و ذلك دين القيّمة ] فذكر سبحانه الصلاة التي هي العمدة في باب العبادات البدنيّة و الزكاة التي هي أساس العبادات الماليّة و « ذلك » إشارة إلى ما ذكر من عبادة الله بالإخلاص و إقامة الصلاة و إيتاء الزكاة « دين القيّمة » أي دين الملة المحكمّة و أضاف الدين إلى « القيّمة » و هي نعمته لا اختلاف اللفظين و قد حصل التغاير فإضافة الشيء إلى نعمته في كلام العرب كثير مثل قوله <sup>(١)</sup> : « والدار الآخرة » و في موضع آخر <sup>(٢)</sup> « و للدار الآخرة » و الدار هي الآخرة و عذاب الحريق و كذلك مسجد الجامع .

ولما كان بعض أهل الأديان بالغوا في باب الأعمال من غير إحكام أصولهم كاليهود والنصارى وبعض الرهبانيّة و المجوس و بعضهم حصلوا الأصول و أهملوا الفروع وهم المرجئة الذين يقولون : لا تضرّ المعصية مع الإيمان ، فالله خطأ الفريقين في هذه الآية و بين أنّه لا بدّ من العلم و العمل مع الإخلاص و ذلك المجموع كلّهُ هو الملة المستقيمة فكما أنّ مجموع الأعضاء بدن واحد كذلك هذا المجموع دين واحد .

[ إنّ الذين كفروا من أهل الكتاب و المشركين في نار جهنّم ] بيان إحالهم الأخرى و ذكر المشركين لئلا يتوهّم اختصاص الحكم بأهل الكتاب حسب اختصاص علم أهل الكتاب بشواهد النبوة في كتابهم [ خالدين فيها ] مؤبدين لأجل كفرهم

(١) سورة الانعام : ١٦٨ .

(٢) سورة الاعراف : ٣٢ .

والحكم للفريقين لينا في تفاوت عذابهم في الكيفية فإن جهنم دركات .  
 [ أولئك ] المذكورون [ هم شرّ البرية ] البرية جميع الخلق لأنّ الله  
 برأهم و أوجدهم بعد العدم أي هم شرّ الخليقة أعمالاً و تقديم ضمير الفصل لا فادة  
 الحصر كيف لاوهم شرّ من السرّاق لأنّهم سرقوا من كتاب الله نعت النبي ﷺ  
 و شرّ من قطاع الطريق لأنّهم قطعوا الدين الحقّ على الحقّ و شرّ من الجهال  
 الفسقة الأجلاف الذين يرتكبون المعاصي لأنّ الكفر مع العلم يكون كفر عناد  
 فيكون أقبح من كفر الجهال .

[ إنّ الذين آمنوا و عملوا الصالحات ] و معلوم أنّ كلّ مكلف ليس مكلفاً  
 بجميع الأعمال بل لكلّ منهم حظّ فحظّ الغنيّ الإعطاء و الإنفاق والحجّ وأمثاله و  
 حظّ الفقير القناعة والصبر وهكذا [ أولئك ] المنعوتون من الإيمان و الطاعة [ هم  
 خير البرية ] واستدلّ بالآية على أنّ البشر أفضل من الملك لظهور أنّ المراد بقوله  
 « إنّ الذين آمنوا » هو البشر . والبرية يشمل الملك والجنّ .

[ جزأوهم عند ربّهم ] بمقابلة إيمانهم و طاعاتهم دخول [ جنّات عدن ] قال  
 ابن مسعود : عدن بطنان الجنة و وسطها [ تجري من تحتها الأنهار ] و جريان أنهار  
 الجنة بغير أ حدود ، والألف و اللام في « الأنهار » للتعريف منصرفة إلى الأنهار  
 الأربعة المذكورة في القرآن فكما أنّ طاعة العبد كانت حاصلة و جارية مادام كان  
 حياً فكذلك الأنهار الأربعة جارية له إلى أبد الآباد و كذلك يقتضي معاملة الكريم  
 [ خالدین فيها أبداً ] متنعّمین بفنون النعم .

[ رضي الله عنهم ] استيناف مبين لما يتفضّل به عليهم وهو جنّة روح المؤمن  
 لأنّ رضی الربّ الذّمّن كلّّ نعمة لروح المؤمن [ ورضوا عنه ] حيث بلغوا من النعم  
 الغاية القصوى و أعطوا ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر [ ذلك  
 لمن خشي ربّه ] إشارة إلى المذكور من الجزاء والرضوان كما قال (١) : « و لمن خاف  
 مقام ربّه جنّتان » .

و روي في شواهد التنزيل للحاكم أبي القاسم الحسكاني قال : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ بالإسناد المرفوع إلى يزيد بن شراحيل الأنصاري كاتب عليّ أمير المؤمنين عليه السلام قال : سمعت عليّاً يقول : قبض رسول الله صلى الله عليه وآله و أنا مسنده إلى صدري فقال صلى الله عليه وآله : يا عليّ ألم تسمع قول الله تعالى : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية » هم شيعتك وموعدي وموعدكم الحوض إذا اجتمعت الأمم للحساب يدعون غرّاً محجّلين. وفيه عن مقاتل بن سليمان عن الضحّاك عن

ابن عباس في قوله « هم خير البرية » قال :

نزلت في عليّ وأهل بيته عليهم السلام .

تمت السورة بعون الله .





## سورة اذا زلزلت

﴿مدنية﴾

عن ابن عباس وقتادة وعن الضحاك وعطاء أنهما كيتة . من قرأها كأنما قرأ  
البقرة وأعطى من الأجر كمن قرأ ربع القرآن . المناسبة بين السورة المتقدمة و  
هذه السورة أنه تعالى لما قال : « جزأؤهم عند ربهم » فكان المكلف قال : ومتى  
يكون ذلك يارب ؟ فقال : « إذا زلزلت الأرض » لأنه لاسبيل إلى تعيين وقته لعدم  
المصلحة ولكن أبيضن علاماته .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إذا زلزلت الأرض زلزالها (١) وأخرجت الأرض أثقالها (٢) وقال  
الإنسان مالها (٣) يومئذ تحدث أخبارها (٤) بان ربك أوحى لها (٥) يومئذ  
يصدر الناس اثباتاً ليروا أعمالهم (٦) فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره (٧) ومن  
يعمل مثقال ذرة شراً يره (٨) .

[ إذ ] حرّكت [ الأرض ] تحريكاً عنيفاً شديداً لا غاية و راءه [ زلزالها ]  
الموعد به و الزلزال بالكسر مصدر وبالفتح اسم بمعنى المصدر، وفعال لا يوجد إلاّ  
في المضاعف [ وأخرجت الأرض أثقالها ] أي الثقلين أي و أخرجت موتاها المدفونة  
فيها تخرجها أحياء للجزاء ، وقيل : إخراجها من الكنوز ومعادنها فتلقمها على ظهرها  
ليراها أهل الموقف ويكون الفائدة أن يتحسروا العصاة وأهل الدنيا إذا نظروا إليها  
لأنهم عصوا الله فيها ثم تركوها لاتعني عنهم شيئاً ، وأيضاً فإنه تكوى بها جباههم و  
ظهورهم فحينئذ المراد من الأثقال الموتى و كنوز الأرض لكنّ الكنوز عند زلزال  
نفخة الأولى والأموات عند النفخة الثانية و في الخبر « تفيء الأرض أفلاذ كبدها  
أمثال الأسطوانة من الذهب والفضة فيجبيء القاتل فيقول : في هذا قتلت ويجبيء القاطع  
رحمه فيقول : في هذا قطعت رحمي ويجبيء السارق ويقول : في هذا قطعت يدي » . قيل :  
يمتلئ وجه الأرض ذهباً ، كأنّ الذهب يصيح : أما كنت تخرب دينك و دنياك لأجلي؟!  
[ وقال الإنسان مالها ] كلّ فرد من أفرادها لما يغشاهم من الأهوال « مالها »  
أي أي شيء ، للأرض زلزلت هذه الزلزلة الشديدة؟ استعظماً لما يشاهده من الأمر الهائل  
لكن المؤمن يقول بعد الإفاقة (١) « هذا ما وعد الرحمن و صدق المرسلون » و الكافر  
يقول : « يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا » .

[ يومئذ ] بدل من « إذا » [ تحدث أخبارها ] أي تخبر الأرض ذلك اليوم ما عمل عليها قال النبي : أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها تقول : عمل كذا و كذا يوم كذا و كذا فيجوز أن يكون الله أحدث الكلام فيها فتقدر على النطق و يجوز أن يظهر فيها ما يقوم مقام النطق فعبر عنه بالكلام كما يقال : عيناك تشهدان بسهرك .

روي أن أبا أمية صلى في المسجد الحرام المكتوبة ثم تقدم فجعل يصلي ههنا وههنا فلمّا فرغ قيل له : يا أبا أمية ما هذا الذي تصنع؟ قال : قرأت هذه الآية « يومئذ تحدث أخبارها » فأردت أن تشهد لي يوم القيامة. فطوبى لمن شهد له المكان بالذكر والتلاوة والصلاة ونحوها ، وويل لمن شهد عليه بالزنى والشرب والسرقة و المساوي وإن لله على الإنسان سبعة شهود: المكان كما قال : « يومئذ تحدث أخبارها » والزمان كما في الخبر « ينادي كل يوم: أنا يوم جديد، وأنا على ما تعمل في شهيد » واللسان كما قال (١) : « يوم تشهد عليهم ألسنتهم » و الأركان كما قال تعالى (٢) : « وتكلمنا أيديهم و تشهد أرجلهم » و الملكان كما قال (٣) : « وإن عليكم لحافظين » والديوان كما قال (٤) : « هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق » و الرحمن كما قال (٥) : « إذا كنا عليكم شهوداً » فكيف يكون حال العصي بعد ما شهد عليه هؤلاء الشهود و كان عليّ ﷺ إذا فرغ بيت المال صلى فيه ركعتين ويقول : لتشهدني إنني ملأتك بحق وفرغتك بحق .

[ بأن ربك أوحى لها ] أي تحدث الأرض أخبارها بسبب إحياء ربك لها وأمره إيّاها بالتحديث .

[ يومئذ يصدر الناس ] أي يوم إذ يقع ما ذكر « يصدر الناس » وهو قيامهم

(١) سورة النور : ٢٤ .

(٢) « يس : ٦٥ .

(٣) « الانفطار : ١٠ .

(٤) « الجاثية : ٢٨ .

(٥) « يونس : ٦١ .

ورجوعهم بعد الورد للبعث [ أشتاتاً ] أي متفرقين في النظام أي حالكونهم متفرقين مؤمنين وكافرين ومنافقين ومختلفة الزي: بيض الوجوه والثياب آمنين ينادي المنادي بين يديه: هذا ولي الله، وسود الوجوه حفاة عراة مع السلاسل والأغلال فزعين ينادي المنادي بين يديه: هذا عدو الله .

وعن ابن عباس أن جبرئيل جاء إلى النبي يوماً فقال: يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويقول: مالي أراك مغموماً حزيناً وهو أعلم به فقال صلى الله عليه وآله: يا جبرئيل قد طال فكري في أمر أمتي يوم القيامة قال: يا محمد في أمر أهل الكفر أم في أمر أهل الإيمان؟ قال: يا جبرئيل لا بل في أمر أهل الإيمان وأهل لا إله إلا الله قال: فأخذ بيده وأقامه على مقبرة بني سلمة فضرب بجناحه الأيمن على قبر ميّت فقال: قم يا ذن الله فقام رجل مبيض الوجه وهو يقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله الحمد لله رب العالمين ، فقال له جبرئيل: عد فعاد كما كان ثم ضرب بجناحه الأيسر على قبر ميّت فقال: قم يا ذن الله فخرج رجل مسود الوجه أزرق العين وهو يقول: واحسرتاه واسوأتاه ، فقال له: عد فعاد كما كان ثم قال جبرئيل: هكذا يبعثون يوم القيامة على ماما توا عليه .

**أقول:** و كان ذلك في أوائل الأمر حيث لم يتعيّن الوصي بعد للناس ولم يتعيّن ولاية أمير المؤمنين ظاهراً و إلاً فالأقرار بالولاية من شروط تحقق الإيمان و بدونها لا ينفع كما في الحديث القدسي: «ولو أن عبداً عبدني و صام عمر الدهر و قام و عبد حتى صار كالشنّ البالي و أتاني غير موال لعليّ بن أبي طالب أكبّه على منخريه في النار» .

[ ليروا أعمالهم ] أي جزاء أعمالهم عن ابن عباس و قيل: معنى الرؤية هنا المعرفة بالأعمال عند تلك الأحوال أو يروا صحائف أعمالهم فيقرؤون ما فيها<sup>(١)</sup> « لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها » و يجوز أن يكون للأعمال صور نورانية و ظلمانية فيكون الرؤية حقيقة .

[ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ] والمثقال مقدار الوزن ، و الذرة النملة الصغيرة أو ما يرى في شعاع الشمس من الهباء فمن يعمل مثقال ذرة من الخير يره ثوابه و جزاءه ومن يعمل وزن ذرة من الشر يره ما يستحق عليه من العقاب إذا كان مما لم يعفه الله ، فإن التائب مغفور عنه بإخلاف و قيل : معناه فمن يعمل مثقال ذرة خيراً وهو كافر يره ثوابه و أجره في الدنيا في نفسه و ولده و ماله حتى يخرج من الدنيا و ليس له عند الله خير و من يعمل مثقال ذرة شراً وهو مؤمن يره عقوبته في الدنيا في نفسه و أهله و ماله حتى يخرج من الدنيا و ليس له عند الله شر و عقوبة .

قال مقاتل : فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره يوم القيامة في كتابه يتفرح به و كذلك من الشر يره في كتابه فيسوؤه ذلك ، قال : و كان أحدهم يستقل أن يعطي اليسير و يقول : إنما نوجر على ما نعطي و نحن نحبه و ليس اليسير مما نحبه و كان يقول أحدهم : إنما و عد الله النار على الكبائر و يتها و نون بالصغائر فأنزل الله هذه الآية يرغبهم في القليل من الخير و يحذرهم من اليسير عن الشر قال ابن عباس : إنها أحكم آية في القرآن و سميت بالجامعة .

و عن أبي عثمان المازني عن أبي عبيدة قال : قدم صعصعة بن ناجية جد الفرزدق على رسول الله في وفد من بني تميم فقال : بأبي أنت و أمي يا رسول الله أوصني خيراً فقال : أو صيك بأمك و أبيك و دانيك قال : زدني قال صلى الله عليه وآله : احفظ ما بين لحييك و رجلحك الحديث .

وفي رواية أنه سمع «فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن

يعمل مثقال ذرة شراً يره» فقال : حسبني ما أبا لي

لا أسمع من القرآن غير هذا . تمت

السورة بعون الله

## سورة العاديات

﴿ قِيلَ مَكِّيَّةٌ ، وَ قِيلَ مَدْنِيَّةٌ ﴾

عن النبي ﷺ ومن قرأها أُعطي من الأجر بعدد من بات بالمزدلفة .  
و عن الصادق عليه السلام : ومن قرأها وأدمن قراءتها بعثه الله مع أمير المؤمنين يوم  
القيامة و كان من رفقاءه .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والعاديات ضبحاً (١) فالهويريات قدحاً (٢) فالمغيرات صبحاً (٣) فائرن  
به نقعاً (٤) فوسطن به جمعاً (٥) ان الانسان لربه لکنود (٦) وانه على ذلك  
لشہيد (٧) وانه لحب الخير لشديد (٨) افلا يعلم اذا بعثر ما فى القبور (٩)  
وحصل ما فى الصدور (١٠) ان ربهم بهم يومئذ لخبير (١١).

[ والعاديات ] جمع عادية وهي الجارية بسرعة من العدو و ياؤها مقلوبة عن  
الواو لكسرة ما قبلها أقسم سبحانه بخيل الغزاة التي تعدو نحو العدو [ ضبحاً ]  
مصدر منصوب إمّا بفعله المحذوف أي حال كونها تضبح ضبحاً وهو صوت أنفاسها عند  
عدوها وإمّا بالعاديات فإنّ العدو مستلزم للضح.

[ فالهويريات قدحاً ] الإبراء إخراج النار والقدح الضرب فإنّ الخيل تضربن  
بحوافهنّ وسنابكهنّ الحجارة فيخرجن منها ناراً يقال : قدح الزند فأورى وقدح  
فأصلد أي صوت ولم يور ، والمعنى توري النار من حوافرها إذا سارت في الأرض ذات  
الحجارة و انتصاب «قدحاً» كانتصاب ضبحاً أي تقدح قدحاً أو القادحات قدحاً .

[ فالمغيرات صبحاً ] فائرن به نقعاً [ عطف على الفعل الذي دلّ عليه اسم  
الفاعل إذ المعنى أقسم الله باللاتي عدون فأورين فأغررن فأئرن وهيّجن في ذلك نقعاً

أي غباراً من نقع الصوت إذا ارتفع فالغبار سمّي نقعاً لارتفاعه أو هو من النقع في الماء فكان صاحب الغبار خاض في الغبار كما يخوض الرجل في الماء ، وتخصيص الأثره بالصبح لأنه لا يظهر ثورانه بالليل كما أن الإبراء لا يظهر بالنهار والإغارة والأثره تقع غالباً في وقت الصباح و«أثرن» أصله أثورن فقلبت حر كة الواو إلى الثاء ما قبلها وقلبت الواو ألفاً فصار أثارن فحذفت الألف للقاء الساكنين فبقي أثرن . [ فوسطن بد جمعاً ] أي توسّطن في ذلك الوقت والباء للظرفيّة ، بذلك المكان أو بسبب العدو وسط الكنيبة وجمع العدو ، والفاآت للدلالة على ترتّب ما بعد كلّ منها على ما قبلها فإنّ توسّط الجمع مترتب على الأثره المترتبة على الإغارة المترتبة على الإبراء المترتب على عدوهنّ ، والمراد عدو خيل الغزاة في سبيل الله و الصحيح أن المراد كما قال عليّ عليه السلام : إنّها لا بل الحاجّ تعدون عرفة إلى المزدلفة ومن المزدلفة إلى منى ، وقال : من أين لهم الأفراس ! ولقد كان يوم بدر معنا فرسان فرس أبلق للمقداد وفرس للزبير .

[ إن الإنسان لربّه لکنود ] جواب القسم يقال : كند النعمة کنوداً كفر بها فالکنود بالضمّ كفران النعمة و بالفتح الكفور ، ومنه « كندة » بالكسر وهو لقب ثور بن عفر أبو حنيّ من اليمن لأنّه كند نعمة أبيه ففارقه ولحق بأخواله وقال الكلبيّ : الكنود بلساد كندة العاصي و بلسان. بني مالك البخيل و بلسان مضر و ربعة الكفور والمعنى إنّ الإنسان والمراد أكثر أفراده - لنعمة ربّه شديد الكفران فقوله : « لربّه » متعلّق بکنود قدّم عليه لا فإداة التخصيص و مراعاة الفواصل .

**النزول :** قيل : بعث النبيّ ﷺ سريةً إلى حبيّ من كنانة فاستعمل عليهم المنذر بن عمرو الأنصاريّ أحد النقباء فتأخّر رجوعهم فقال المنافقون : قتلوا جميعاً فأخبر الله عنها بقوله : « والعاديات ضبحاً » عن مقاتل .

وقيل : نزلت السورة لما بعث ﷺ عليّاً إلى ذات السلاسل فأوقع بهم وذلك بعد أن بعث عليهم مراراً غيره من الصحابة فرجع كلّ منهم إلى رسول الله وهو المرويّ عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث طويل .

وسميت هذه الغزوة ذات السلاسل لأنها سر منهم وقتل وسبي وشد أسراؤهم في الجبال كأنهم في السلاسل ، ولما نزلت السورة خرج النبي ﷺ إلى الناس فصلّى بهم الغداة وقرأ فيها «والعاديات» فلما فرغ من صلاته قال أصحابه : هذه السورة لم نعرفها فقال رسول الله ﷺ : نعم إن علياً عليه السلام ظفر بأعداء الله وبشرني جبرئيل بذلك في هذه الليلة فقدم علي عليه السلام بعد أيام وبالغنائم والأسارى .

[ وإنه على ذلك لشهيد ] الهاء تعود إلى الله أي إنه تعالى على كنود العبد لشهيد وقيل : الهاء تعود إلى الإنسان ، شاهد على نفسه يوم القيامة بكنوده وقيل في معنى الكنود أيضاً: هو الذي يعد المصائب وينسي النعم وروى أبو ثمامة عن النبي ﷺ أنه قال : أتدرون من الكنود؟ قالوا : الله أعلم ورسوله ، قال : «الكنود الذي يأكل وحده ويمنع رفته ويضرب عبده» وقيل: هو البخيل القليل الخير يقال : كان ثلاثة نفر من العرب في عصر واحد أحدهم آية في السخاء و هو حاتم الطائي والثاني آية في البخل وهو حباب ، ومن بخله أنه كان لا يوقد النار للخبز إلا إذا نام الناس فإذا انتبهوا أطفأ ناره لئلا ينتفع الناس بها ، والثالث آية في الطمع و هو أشعب بن جبير مولى مصعب بن الزبير بن العوام ومن طمعه أنه قرأ صبي في المكتب و هو حاضر: إن أبي يدعوك فقام ولبس نعليه فقال الصبي : أنا أقرأ درسي ، وكان إذا رأى إنساناً يحك عنقه يظن أنه ينتزع قميصه ليدفعه إليه ، وكان إذا رأى دخاناً ارتفع من دار ظن أن أهلها يأتي بطعام و كان إذا رأى عروساً تزف إلى موضع جعل يكنس باب داره لكي تدخل داره قال أشعب : ما رأيت أطمع مني إلا كلباً تبعني على مضغ العلك فرسخاً .

[ وإنه لحب الخير لشديد ] أي إن الإنسان لحب المال . وسمي المال خيراً جرياً على عاداتهم « لشديد » قوي مجد في طلبه وتحصيله متهاك عليه و هو لحب عبادة الله و الإنفق في سبيله ضعيف الهمة متعاس .

[ أفلا يعلم ] هذا الإنسان الذي وصفناه ويرتكب من القبائح في الدنيا أن الله يجازيه [ إذا بعثر ] وبعث وأخرج [ ما في القبور ] من الموتى ، وإيراد «ما» لكونهم



إذذاك بمعزل عن مرتبة العقلاء لأنهم في القبور لا علم لهم .  
 [ وحصل ما في الصدور ] و مُمَيِّز و بُيِّن ما فيها من الخير و الشرّ و ظهر ما  
 أخفته الصدور ليجازى على السرّ كما يجازى على العلانية ، وأصل التحصيل إخراج  
 المستور من المغمور فيه وأخذه منه كإخراج اللبّ من القشر و مثل البُرّ من التبن  
 والدهن من اللبن ، والإظهار من لوازم معناه فيكون المعنى : مميّز بين خيره و شرّه  
 قال ﷺ : يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ .  
 [ إن ربهم ] أي المبعوثين كُنِيَ عنهم بعد الإحياء الثاني بضمير العقلاء بناءً  
 على تفاوت الحالين [ بهم ] وبذواتهم وصفاتهم وأعمالهم بتفاصيلها [ يومئذ ] يوم بعثهم  
 [ لخبير ] أي عالم بالتفصيل علماً موجباً لجزائهم متصلاً الجزاء بذلك  
 اليوم وإلا فمطلق علمه يحيط بما كان وما يكون وقوله : « بهم » ،  
 ويومئذ « متعلقان بخبير ، قد ما عليه لمراعاة الفواصل .  
 تمت السورة بعون الله .



# سورة القارعة

﴿مكية﴾

من قرأها ثقّل الله ميزانه يوم القيامة وآمنه الله من فتنة الدجال أن يؤمن به  
ومن قيح جهنّم يوم القيامة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القارعة (١) ما القارعة (٢) وما ادراك ما القارعة (٣) يوم يكون الناس  
كالفراس المبعوث (٤) وتكون الجبال كالعن المنفوش (٥) فاما من ثقلت  
موازينه (٦) فهو في عيشة راضية (٧) واما من خفت موازينه (٨) فاما هو اوية (٩)  
وما ادراك ماهيه (١٠) نار حامية (١١) .

القرع هو الضرب الشديد بحيث يحصل منه صوت ثم سميت الحادثة العظيمة  
من حوادث الدهر « قارعة » والمراد بهاني الآية القيامة التي مبدؤها النفخة الاولى  
ومنتهاها فصل القضاء و هي تفرع القلوب بالفرع و تفرع أعداء الله بالعذاب و القارعة  
مبتدء و [ما القارعة] وما الاستفهامية خبر ، أي وأي شيء عجيب وعظيم في الفخامة !  
وقد وضع الظاهر موضع الضمير تأكيداً للتهويل .

[ وما ادراك ما القارعة ] ما في حيز الرفع على الابتداء « و ادراك » هو الخبر  
أي وأي شيء أعلمك ما شأن القارعة فإن عظم شأنها بحيث لا تكاد تناله دراية أحد .  
[ يوم يكون الناس ] أي هي يوم يكون الناس ويوم مرفوع المحلّ وخبر مبتدء  
محدوف مبني على الفتح لإضافته إلى الفعل و إن كان مضارعاً على ما هو رأي  
الكوفيين أو التقدير اذكر يوم الخ، والمبعوث المفرّق شبه الناس عند البعث بهذا  
الطائر الذي يتهافت في النار والسراج ، وقال أبو عبيدة : هو طير ينقرش ليس بذياب  
ولا بعوض لأنهم إذا بعثوا ماج بعضهم إلى بعض و الفراش إذا ثار لم يتجه إلى جهة

واحدة والمراد أنهم يفرعون عند البعث فيختلفون في المقاصد على جهات مختلفة و مثل قوله<sup>(١)</sup>: « كأنهم جراد منتشر » .

[ وتكون الجبال كالعهن المنفوش ] العهن الصوف المصنوع ألواناً والنفش نشر الصوف و الشعر و القطن و ذلك لألوان الجبال، شبه خفة الجبال و تلاشيها بعد رزانتها بالصوف المندوف في تفرق أجزائها وتلون ألوانها كما قال<sup>(٢)</sup>: « ومن الجبال جدد بيض وحممر مختلف ألوانها و غرابيب سود » .

[ فأما من ثقلت موازينه ] جمع الموزون وهو العمل الذي له خطر عند الله لأن الحق ثقيل و الباطل خفيف يعني يؤتى بالأعمال الصالحة على صور حسنة وبالأعمال السيئة على صور سيئة أي بصور جوهريّة مناسبة لها في الحسن و القبح فتوضع في الميزان فمن ترجحت مقادير حسناته [ فهو في عيشة راضية ] أي معيشة ذات رضى يرضاها صاحبها .

[ وأما من خفت موازينه ] بأن لم يكن له حسنات يعتد بها أو ترجحت سيئاته على حسناته، قال ابن مسعود : يحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار [ فأمة هاوية ] أي مأواه هاوية، هي من أسماء النار سميت بها لغاية عمقها و بُعد مهواها روي أن أهل النار يهوي منها سبعين خريفاً وعبّر عن المأوى بالأم لأن أهلها يأوون إليها كما يأوي الولد إلى أمه و أنها تحيط بهم إحاطة رحم الأم بالولد أو لأن الأم هي الأصل في الكافر و العاصي . و قيل : معنى « فامة هاوية » لأن العاصي يهوي إلى أمّ راسه في النار فأمّ راسه في جهنم لأنه يطرح فيها منكوساً وأمّ الرأس الدماغ .

[ وما أدراك ما هي ] فهي ضمير للهاوية والهاء للسكت و الاستراحة يريد إنك

لا تعلم تفصيلها وأنواع ما فيها من العذاب ولو كنت تعلمها في الجملة .

ثم قال : [ نارٌ حامية ] حارة شديدة الحرارة بحيث لا توصف .

تمت السورة بعون الله .

## سورة ألهاكم

مختلف فيها .

ومن قرأها لم يحاسبه الله بالنعيم الذي أنعم عليه في الدنيا وأعطى من الأجر  
كأنما قرء ألف آية .

شعيب العقرقوفي عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من قرأ سورة ألهاكم التكاثر في  
فريضة كتب له ثواب مائة شهيد و من قرأها في نافلته كان له ثواب خمسين شهيداً  
وصلّى معه في فريضة أربعون صفّاً من الملائكة .

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله : من قرأها عند النوم وقى فتنة القبر .

## بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الهیکم التکائر (١) حتی زرتم المقابر (٢) کلا سوف تعلمون (٣) ثم کلا سوف تعلمون (٤) کلا لو تعلمون علم الیقین (٥) لترون الجحیم (٦) ثم لترونها عن الیقین (٧) ثم لتسئلن یومئذ عن النعیم (٨) .

اللهو ما يشغل الإنسان عما يفیده و یعنیه أي شغلکم عن طاعة الله وعن ذکر الآخرة [ التکائر ] بالأموال والأولاد و التفاخر و التباهي بهما، وألها کم مما يتعلّق بالقلب کالتدکّر والعلم والفکر والعبرة و مما يتعلّق بالجوارح كأنواع الطاعات . والتکائر مکثرة اثنين مالا أوعداً بأن یقول کلّ منهما لصاحبه : أنا أكثر منك مالا وأعزّ نفراً كما أنه وقع بين بني عبدمناف و بني سهم . تفاخروا و تکاثروا فقال کلّ من الفریقین : نحن أكثر منکم سیّداً وأعظم نفراً فکثرهم بنو عبد مناف فقال بنو سهم : إنّ البغي أفنانا في الجاهلیة فعادونا بالأحیاء والأموات وذهبوا یعدّون قبور موتاهم هذا قبر فلان وهذا قبر فلان، فکثرهم بنو سهم وزادوا عن بني عبدمناف، والمعنی أنکم تکاثرتم بالأحیاء [ حتی زرتم المقابر ] أي حتی استوعبتم عددهم وصرتم إلى التفاخر والتکاثر بالقبور والأموات ، فعبّر عن انتقالهم إلى عدّ الموتی و ذکرهم بزيارة القبور . وقيل وجه آخر في تفسیر الآیة : ألها کم التکائر بالأموال والأولاد و الدنيا إلى أن متّم و قبرتم دضیعین أعمار کم فیکون زیارة القبور عبارة عن الموت .

[ کلا سوف تعلمون ] ردع عمّاهم علیه من الاشتغال بالدنيا أي ليس الأمر كما توهّمتم «سوف تعلمون» الخطاء فیما أنتم علیه إذا عاینتم أهوال القيامة والعلم بمعنی المعرفة ، ولا یغرّ نک کثرة من ترى حولک فإنّک تموت و حدک و تبعث و حدک و تحاسب و حدک .

[ ثمّ كلاً سوف تعلمون ] تأكيد لتكرير الردع والإذار وفي « ثمّ » دلالة على أنّ الإذار الثاني أبلغ من الأوّل كقولك للمنصوح: أقول لك ثمّ أقول لك : لاتفعل . أو الردع الأوّل عند الموت والاحتضار حين ما يبشّر به المحتضر من جنّة أو نار أو في القبر حين يسأل والثاني عند النشور حين ينادي المنادي: شقي فلان شقاوة لاسعادة بعدها، فعلى هذا لا تكرير في الآية لحصول التغيرات بينهما بتغير زمني العلمين فإنّه يلتقى في كلّ واحد من الزمانين نوعاً آخر من العذاب . وروى زرّ بن حبيش عن عليّ أمير المؤمنين: مازلنا نشكّ في عذاب القبر حتّى نزلت « ألها كم التكاثر » إلى قوله: « كلاً سوف تعلمون » يريد في القبر « ثمّ كلاً سوف تعلمون » بعد البعث . وقيل : إنّ المعنى « كلاً سوف تعلمون » إذا رأيتم دار الأبرار « ثمّ كلاً سوف تعلمون » إذا رأيتم دار الفجار .

[ كلاً لو تعلمون علم اليقين ] أي لو تعلمون الأمر علماً يقيناً لشغلكم ماتعملون من الاشتغال بالعزّ والتباهي وجواب « لو » محذوف للتحويل فإنّه إذا حذف الجواب يذهب الوهم كلّ مذهب أي لو علمتم علماً كاملاً يقينياً لما اشتغلتم ولفعلتم غير هذا ولكنكم ضلال جهلة، وعلم اليقين هو الذي لا يعتريه اضطراب الشكّ .

ثمّ استأنف سبحانه وعيداً آخر فقال : [ لترونّ الجحيم ] واللام موطئة للمقسم ومعناه لترونّها حين تبرز الجحيم في القيامة قبل دخولكم إليها [ ثمّ لترونّها عين اليقين ] أي محض اليقين بالمشاهدة إذا دخلتم فيها وعدّ بتمّ بها .

[ ثمّ لتسألنّ يومئذ عن النعيم ] قيل : السؤال عن النعيم شامل للكفار المتنعّمين في الدنيا غير شاكرين نعمته ومن لحق بهم في عدم الشكر من فسقة المؤمنين وقالوا : من كان ناهضاً بالشكر من المؤمنين فهو من ذلك بعيد وقيل : شاملة للكفار فقط إذ لم يشكروا ربّ النعيم وأشرّكوا به وعبدوا غيره فيسألون ثمّ يعدّ بون على ترك الشكر ، وقال الأثرون : إنّ المعنى لتسألنّ يا معاشر المكلفين عن النعيم وإنّ الله سائل كلّ ذي نعمة عمّا أنعم عليه .

والمراد من النعيم المأكل والمشرب وغيرهما من الملاذّ مطلقاً عن سعيد بن

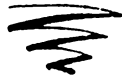
جبير . وقيل : المراد من النعيم الصحّة و الفراغ و يعضده ما رواه ابن عباس عن النبي ﷺ قال : نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحّة و الفراغ . وقيل : المراد الأمان و الصحّة عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام . وقيل : يسأل عن كل نعيم إلا ما خصّه الله وهو قوله : ثلاثة لا يسأل الله عنها العبد : خرقه يوارى بها عورته و كسرة يسدّ بها جوعته و بيت يكتنه من الحرّ و البرد . روي أنّ بعض الصحابة أضاف النبي ﷺ مع جماعة من أصحابه فوجدوا عنده تمرّاً و ماءً بارداً فأكلوا فلما خرجوا قال ﷺ : هذا من النعيم الذي تسألون عنه .

وقيل : المراد من النعيم وجود النبي ﷺ و أهل البيت روى العياشي بإسناده في حديث طويل قال : سألت أبو حنيفة أبا عبد الله عليه السلام عن هذه الآية فقال له : ما النعيم عندك يا نعمان؟ قال : القوت من الطعام و الماء البارد فقال عليه السلام : لئن أوقفك الله يوم القيامة حتّى يسألك عن كل أكلة أكلتها و شربة شربتها ليطولنّ و قوفك بين يديه قال : فما النعيم جعلت فداك؟ قال : نحن أهل البيت الذي أنعم الله بنا على العباد و بنا ائتملّفوا بعد أن كانوا مختلفين و بنا جعلهم أحبّاً بعد أن كانوا أعداء و بنا هداهم الله للإسلام و هي النعمة التي لا تنقطع و الله سألهم عنها و النعيم النبي ﷺ و عمرته . و هذه الرواية مقبولة عند العامة و الخاصة ، و في حديث : قال الرضا عليه السلام

النعمة في الآية حبّنا أهل البيت أتضيفون إلى الله

ما إذا أضيف إليكم تستحونه ؟

تمت السورة بعون الله .



## سورة العصر

﴿مكية﴾

من قرأها ختم الله له بالصبر وكان مع أصحاب الحق يوم القيامة .  
عن أبي عبد الله عليه السلام من قرأ السورة في نوافله بعثه الله يوم القيامة مشرقاً وجهه  
ضاحكاً سنه قريرةً عينه حتى يدخل الجنة .



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والعصر (١) ان الانسان لفي خسر (٢) الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات  
وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر (٣) .

أقسم سبحانه بصلاة العصر وهي الصلاة الوسطى لتوسطها بين الشفع الذي هو صلاة الظهر وبين الوتر الذي هو صلاة المغرب فحصل لها من القدر ما لم يكن لكل واحد من الطرفين كما في الحديث الذي يؤيد فضلها على سائر الصلوات ، قال ﷺ: من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله أي نقص، ومعنى الحديث أي ليكن من فوتها حذراً كما يحذر الانسان من ذهاب أهله وماله وقيل : المراد بالعصر في الآية عصر النبوة وفي قراءة ابن مسعود « والعصر إن الانسان لفي خسر ، وإنه فيه إلى آخر الدهر » وروي ذلك عن علي عليه السلام ، وقيل : أقسم سبحانه بالدهر لأن فيه عبرة لذوي الأبصار من جهة مرور الليل والنهار وتقدير الأودار وهو قول ابن عباس وجماعة . وقيل : المراد وقت العشي والآخر من النهار لما في ذلك من الدلالة على وحدانية الله بإدبار النهار وإقبال الليل كما أقسم بالفجر وبالضحى وهو الطرف الأول من النهار .

[ إن الانسان لفي خسر ] والألف واللام للاستغراق و الجنس بدلالة صحة الاستثناء وهذا جواب القسم والمعنى إنه لفي نقصان و خسارة لأنه ينقص عمره في كل يوم وهو رأس ماله فإذا ذهب رأس ماله ولم يكتسب به الطاعة يكون في غاية الخسران إذ لا خسران أعظم من ترك الطاعة واستحقاق العقاب الدائم والتنكير للتفخيم أي في خسران عظيم لا يعلم كنهه .

[ إلا الذين آمنوا ] أي المصدقين بتوحيد الله [ و عملوا الصالحات ] العاملين

بطاعة الله و المكتسبين من الخيرات الباقية فأولئك ربحوا ولم يخسروا حيث باعوا

الفاني الخسيس و اشتروا الباقي النفيس و استبدلوا الباقيات الصالحات بالغاديات  
الرابجات ، فيالها من صفقة رابحة فغير المستثنى خاسرٌ إِمَّا بالخلود إن كان كافراً و  
إِمَّا بالدخول في النار إن مات عاصياً و لم يغفر له و إِمَّا بفوات الدرجات العالية إن  
غفر له .

[ وتواصوا بالحق ] أي وصى بعضهم بعضاً بالتباعد الحق و اجتناب الباطل و  
قيل : المراد بالحق القرآن وقيل : هو أن يقولوا عندالموت المخلفين : « لاثموتن  
إلا وأنتم مسلمون » .

وفي الإكمال عن الصادق عليه السلام قال : « العصر » عصر خروج القائم « إن الإنسان  
لفي خسر » يعني أعداؤنا « إلا الذين آمنوا » يعني بآياتنا « و عملوا الصالحات »  
يعني بمواساة الإخوان « وتواصوا بالحق » يعني بالإمامة « و تواصوا بالصبر » يعني  
بالترة .

القمي عن الصادق عليه السلام قال : استثنى الله أهل صفوته من خلقه حيث قال :  
« إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا » يعني آمنوا بولاية علي عليه السلام « وتواصوا  
بالحق » يعني ذريّاتهم ومن خلفوا بالولاية وتواصوا بها وصبروا عليها .

[ وتواصوا بالصبر ] أي وصى بعضهم بعضاً بالصبر على تحمل المشاق في طاعة  
الله وبالصبر عن معاصي الله .

وقيل : « إن الإنسان » في الآية الكافر خاصة وهو أبو جهل

و الوليد بن المغيرة و إذا كان كذلك فالآية

أيضاً تشمل كل كافر . تمت

السورة بعون الله

## سورة الهمزة

﴿مكية﴾

قال ﷺ : من قرأها في فريضة من فرائضه نعت عنه الفقر وجلبت عليه الرزق وتدفع عنه ميتة السوء .

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ويل لكل همزة لمزة (١) الذي جمع مالا وعدده (٢) يحسب أن ماله  
أخذه (٣) كاللينبذ في الحطمة (٤) و ما ادراك ما الحطمة (٥) نار الله  
الموقدة (٦) التي تطلع على الأفئدة (٧) انها عليهم مؤصدة (٨) في عمد  
ممددة (٩) .

[ ويل ] مبتدء و ساغ الابتداء به مع كونه نكرة لأنه دعاء عليهم بالهلكة  
[ لكل ] مغتاب عياب تمام مفروق بين الأحاب بالنميمة ، والهمزة الذي يطعن في  
الوجه بالعيب واللمزة الطعان في الغيب وقيل : الهمزة المغتاب واللمزة الطعان عن  
سعيد بن جبير وقتادة . وقيل بالعكس و بناء فعلة يدل على الاعتياد ، ولا يقال ضحكة  
ولعنة إلا للمكثر المتعود ، وفي أدب الكاتب لابن قتيبة : فعلة بسكون العين من صفات  
المفعول وفعلة بفتح العين من صفات الفاعل ، يقال : رجل هزأة بسكون الزاي للذي  
يَهْزء به وهزأة بفتح الزاي لمن يهْزء بالناس .

و نزولها في الأخنس بن شريق أو في الوليد بن المغيرة فإن كلا منهما كان  
يغتاب رسول الله ﷺ و الأصح العموم لقوله تعالى : « لكل » ولم يقل : للهمزة و  
اللمزة ، وفي الحديث : المؤمن كيدس فطن حذرو قوافم تثبت لا يعجل عالم و رع ، والمنافق  
همزة لمزة حطمة كحاطب ليل لا يدري من أين يكتب و فيم أنفق .

[ الذي جمع مالاً وعدده ] بدلٌ من « كلٌّ » وصفه بجمع المال لأنّه جرى مجرى السبب للهمزة واللمزة من حيث إنّهُ أُعجب بنفسه ممّا جمع من المال وظنّ أنّ كثرة المال سبب لعزّة المرء فلذا استنقص غيره . وتنكير « مالاً » للتفخيم والتكثير الموافق لقوله : « وعدّده » أي أحصاه .

وقيل : معناه جعله عدّة له من نوائب الدهر فيكون من العدّة لامن العدد . [ يحسب أنّ ماله أخلده ] أي يظنّ أنّ ماله الذي جمعه يخلده في الدنيا و يمنعهُ من الموت فأخلده بمعنى يخلده وقوله : « يحسب » يدلّ على هذا المعنى المستقبل في أخلده و إنّما ظنّ ذلك مع أنّ الموت معلوم عند جميع الناس لأنّه يعمل عمل من يحسب له الخلود من تشييد البنين و إيثاره بالصخر و الشيد و جري الأناهار و غرس الأشجار فالحسبان ليس بحقيقي بل محمولٌ على التمثيل أو المعنى يحسب أنّ ماله يوصله إلى مقام الخلد .

[ كلاً ] ردع و منعٌ له عن ذلك الحسبان الباطل أو ردعٌ له عن الهمز واللمز [ لينبذنّ في الحطمة ] جواب قسم مقدّر أي و الله ليطرحنّ ذلك الذي يظنّ هذا الهمّاز اللّمّاز، ويؤيّده قراءة من قرء « لينبذان » على التنثية، في النار التي من شأنها أن يحطم ويكسر كلّ ما يلقي فيها كما أنّه كان من شأنه كسر أعراض الناس وفاقاً لأعمالهم .

[ و ما أدراك ما الحطمة ] تهويلٌ لأمرها ببيان أنّها ليست من الأمور التي تنالها عقول الخلق [ نار الله الموقدة ] أي هي نارٌ أوقدتها يد القُدرة و إضافة النار إليه تعالى لتفخيمها والدلالة على أنّها ليست كسائر النيران . في الحديث: أوقد عليها ألف سنة حتّى احمرت ثمّ ألف حتّى ابيضّت ثمّ ألف سنة حتّى اسودّت فهي سوداء مظلمة . قال عليّ عليه السلام : عجباً ممّن يعصي الله على وجه الأرض و النار تسعر من تحته .

[ التي تطلع على الأفتدة ] أي تعلو أو وسط القلوب و تغشاها فأنّ الفؤاد وسط القلب و متصل بالروح يعني إنّ تلك النار تحطم العظام و تأكل اللحوم فيدخل في أجواف أهل الشهوات والمعاصي و تصل إلى صدورهم و تستولي على أفئدتهم إلا أنّها

لا تحرقها بالكليّة إذلو احترقت لماتت أصحابها ثمّ إن الله يُعيد لحومهم و عظامهم مرّة أخرى و تخصيص الفؤاد بالذكر لما أنّه ألطف ما في الجسد و أشدّ تألماً بأدنى أذى يمسّه و لأنّه محلّ العقائد الفاسدة و النيّات الخبيثة و هي خزانة الجسد و أستر من كلّ عضو فإذا كانت النار استولت عليه فبأن تستولي على سائر الجسد أولى .

[ إنّها عليهم مؤصدة ] من أوصدت الباب و آصدته أي أطبقته أي إنّ تلك النار مطبقة أبوابها عليهم تأكيداً ليأسهم من الخروج و تيقنهم بحبس الأبد .  
[ في عمد ممدّة ] أي حالكونهم موثوقين في أعمدة ممدودة مثل المقاطر التي تقطر فيها اللصوص و أوتاد لشدّهم بها تفتح عليهم باب و لا يدخل لهم روح قال الكلبيّ :  
« في عمد » مثل السواري ممدودة مطوّلة مربوطين بها كالشطار خشبة فيها خروق يدخل فيها أرجل المجانيس .

قال الطبرسيّ في المجمع : روى العيّاشي بإسناده عن محمد بن النعمان الأحول عن عمران عن أبي جعفر عليه السلام قال : إنّ الكفّار و المشركين يعيرون أهل التوحيد في النار و يقولون : ما نرى توحيدكم أغنى عنكم شيئاً و نحن و أنتم سواء قال :  
فيأنف لهم الربّ فيقول للملائكة : اشفعوا فيشفعون لمن شاء الله ثمّ يقول للمنبيّين : اشفعوا فيشفعون لمن شاء الله ، ثمّ يقول للمؤمنين : اشفعوا فيشفعون لمن

شاء الله ، و يقول الله : أنا رحم الراحمين اخرجوا برحمتي

فيخرجون - أي أهل التوحيد - كما يخرج

الفرّاش قال : ثمّ قال أبو جعفر : أطبقت

على الكفّار و كان والله الخلود

للكفّار . تمت السورة

بعون الله

## سورة الفيل

﴿مكية﴾

في حديث أبيّ : من قرأها عافاه الله أيام حياته من المسخ والخسف .  
و عن الصادق عليه السلام قال : من قرأها في الفريضة شهد له يوم القيامة كل سهل  
و جبل و مدر بأنه كان من المصلين .

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل (١) الم يجعل كيدهم في تضليل (٢)  
و ارسل عليهم طيراً أبابيل (٣) ترميهم بحجارة من سجيل (٤) فجعلهم كعصف  
مأكول (٥) .

الرؤية علمية لأنّ النبي صلّى الله عليه وآله ولد عام الفيل ولم يرهم و الهمزة للتقرير  
و المراد بأصحاب الفيل أبرهة وقومه ، و بالفيل هو الفيل الأعظم و كنيته أبو العباس  
و نسبوا إليه لأنه كان مقدّمهم ، و المعنى ألم تعلم علماً متآخماً للمشاهدة و العيان  
باستماع الأخبار المتواترة بوقوع هذا الأمر العجيب ؟

و كان وقوع القصة عام مولد النبي صلّى الله عليه وآله في نصف المحرم و ولد صلّى الله عليه وآله في  
شهر ربيع الأوّل فبين الفيل ومولده الشريف خمس وخمسون أو ستون ليلة وهي  
سنة ستة آلاف و مائة و ثلاث و ستين من هبوط آدم عليه السلام على حكم التواريخ  
اليونانية المعتمدة عند المورخين ، و بين قصة الفيل و الهجرة الشريفة النبوية إلى  
المدينة ثلاث و خمسون سنة ، والمراد من بيان الآية تسليمة النبي صلّى الله عليه وآله بأنه سيجزي  
من ظلمه كما جزي من قصد الكعبة .

و مجمل القصة أنّ ملك حمير وهو ذوالنواس اليهودي و كان متصلاً في دينه

و هو صاحب الأخدود لما أحرق المؤمنون بنار الأخدود هرب رجل من المؤمنين إلى ملك الحبشة و هو يومئذ أصحمة بن نجر النجاشي و هو الذي أسلم في عهد رسول الله ﷺ و أخبر الرجل أصحمة ما فعله ذوالنواس اليهودي فقصد ملك الحبشة و هو أصحمة بن نجر النجاشي على قتال ذي نواس و كان النجاشي على دين النصرانية فبعث أصحمة سبعين ألفاً من الحبشة إلى اليمن وأمر عليهم أرباطاً و معه في جنده أبرهة بن الصباح الأثرم ( ومعنى « أبرهة » بلسان الحبشة الأبيض الوجه ) فركبوا البحر حتى نزلوا ساحلاً مماليكي أرض اليمن و هزم أرباط ذانواس و قتل ذونواس في المعركة أو ألقى نفسه في البحر و هلك و استقر أمر أرباط في أرض اليمن زماناً و أقام فيها سنين في سلطانه .

ثم نازعه أبرهة في أمر الحبشة و كان من أمراء الجند فتفرقت الحبشة فرقتين فرقة مع أرباط و فرقة مع أبرهة فكان الأمر على ذلك إلى أن سار أحدهما إلى الآخر فلما تقارب الفرقتان للقتال أرسل أبرهة إلى أرباط أنك لم تعزي الحبشة بعضها ببعض حتى تغنيها ؟ فبرز إلي و أبرز لك فأينما أصاب صاحبه انصرف إليه جنده فأرسل إليه أرباط أن قد أنصفت فأخرج فخرج إليه أبرهة و كنيته « أبو مكسوم » و كان رجلاً قصير الجسمان لحيماً ذا دين في النصرانية و خرج إليه أرباط و كان رجلاً طويلاً عظيماً و في يده حربة و خلف أبرهة غلام يقال له « عتودة » يمنع ظهره فرفع أرباط الحربة يضرب أبرهة يريد يا فوخه <sup>(١)</sup> فوقعته الحربة على جبهة أبرهة فشرجت حاجبه و أنفه و عينه و شفته فبذلك سمى أبرهة الأثرم و حمل عتودة على أرباط من خلف أبرهة فقتله فاتصل جند أرباط إلى أبرهة فاجتمعت عليه الحبشة في اليمن بلا منازع و كان ماصنع أبرهة من غير علم النجاشي فلما بلغه ذلك غضب غضباً شديداً فقال : عدا على أميري فقتله بغير أمري ثم حلف لا يدع أبرهة حتى يظأ بلاده و يحز ناصيته فلما بلغ هذا الخبر أبرهة حلق رأسه و ملأ جراباً تراباً من تراب اليمن ثم بعث إلى النجاشي مع هدايا جلييلة و كتب إليه أيها الملك إنما

(١) الموضع الذي يتحرك من مقدم رأس الطفل .

كان أرباط عبدك وأنا عبدك فاختلفنا في أمرك وكلُّ في طاعتك إلا أني كنت أقوى على أمر الحبشة وأضبط وأسوس منه وقد حلقت رأسي حين بلغني قسم الملك وبعثت إليك بجراب من تراب أرضي ليضعه الملك تحت قدميه فيبرّ قسمه في فلماً وصل كتاب أبرهة إلى النجاشيّ لأن وسكنت فورته ورضي عنه وكتب إليه أن اثبت على أرض اليمن حتى يأتيك أمري فأقام أبرهة باليمن .

ثم إنّه رأى أن الناس يتجهزون أيام الموسم إلى مكة لحجّ بيت الله الحرام فتحرك منه عرق النصرانية والحسد فبنى بصنعا كنيسة من رخام ملوّن ورضعها بالجواهر النفيسة وكان ينقل الحجارة الملوّنة النفيسة من قصر بلقيس صاحبة سليمان وجعل فيها صلباناً من الذهب والفضة ومنابر من عاج والآبنوس وسمّاها القلنس كحمير لارتفاع بنائها وعلوّها ومنها القلانيس لأنّها في أعلى الرأس .

وكتب أبرهة إلى النجاشيّ أيّها الملك إنني بنيت لك كنيسة لم يمن مثلها ملك قبلك ولست أرضى حتى أصرف إليها حاج العرب فلما تحدّث العرب بكتاب أبرهة وبقصده غضب رجل من بني كنانة حتى أتى إلى القلنس وكان حينئذ رئيس العرب في مكة عبدالمطلب وكان ذلك الكناني اسمه زهير بن بدر أتى إلى القلنس وأقام فيه يوهّم أنّه يعتكف فيه ويعبد فأقام فيه أياماً فلماً خلا فيها ليلة أحدث فيها وانهزم فانتشر هذا الخبر في الآفاق أن رجلاً من أهل مكة حدث في كنيسة الملك فتأثّر لذلك الأمر أبرهة وحلف أن يتوجّه إلى مكة ويخرب البيت حتى لا يحجّه أحد بعدها أبداً ويهدمها ، فخرج بالحبشة و اغتمّ النجاشيّ لفعل الكناني غاية و عزّاه أبرهة وقال : لانحزن نذسف أبنيتها ونبيح دماءها وأموالها فخرج أبرهة بجند كثير وجمّ غفير ومعه فيل أبيض اللون وهو فيل النجاشيّ بعثه إليه بسؤاله وكان فيلاً لم ير مثله جسماً وعظماً وكان ذلك الوقت يقاتلون بالفيل كما أنّه قيل : كان في مربط ملك الصين ألف فيل .

وكان دليل أبرهة في الطريق كبير ثقيف رجل يقال له «أبو رغال» مات في الطريق ورجم العرب قبره و صار قبره في الطريق كالجبل من كثرة رمي الحجر على قبره



وفي ذلك يقول جرير في الفرزدق :

إذا مات الفرزدق فارجموه ☆ كما ترمون قبر أبي رغال  
وكان أبو رغال عشيراً جائراً .

وبالجملة فلما وصل أبرهة بجيشه إلى مكة نزل خارج الحرم وبعث رجلاً من الحبشة يقال له : «الأسود» فساق ما كان من أموال أهل تهامة ونهبها وكان من الإبل المنهوبة مائتان لعبد المطّلب وبعث أبرهة حماطة الضميري و قال له : سل عن سيّد هذا البلد وشريفهم وائتوني به فأتاه عبد المطّلب فلما أتاه عبد المطّلب وكان أبرهة جالساً على سرير ولم يرد أن يجلس عبد المطّلب معه على سريره كراهة أن تراه الحبشة أن أحداً يجلس معه على سريره نزل أبرهة عن سريره وجلس على الأرض وجلس عبد المطّلب معه وقال أبرهة : سل حاجتك إن كان لك حاجة قال عبد المطّلب : ردّ إبلي فقال أبرهة لترجمانه : قل له : لم مانسألني حتى أعفو عن هدم البيت وإنّه لبيت عزّكم وشرفكم وما هذه الأباغر وما خطرها ؟ فقال عبد المطّلب : أنا ربّ الإبل وللمبيت ربّ يحفظه كما حفظه من تبّع و كسرى فغضب أبرهة وقال : ردّوا عليه بعرانه لينظر من يحفظ البيت منّي و قيل : ما استردّ عبد المطّلب إبله .  
وأخذ أهل مكة أموالهم وأمتعتهم واستنجدوا الجبال و خلت مكة منهم خوفاً من معرفة الجيش .

وبالجملة فجهرن أبرهة جيشه و قدّم الفيل الأعظم فكان كلّما وجهوه إلى الحرم برك ولم يبرح كما بركت القصواء في الحديدية حتى قال ﷺ : حبسها حابس الفيل . ومعنى برك الفيل سقوطه على الأرض لما جاءه الإلهام من الله فلزم موضعه ولم يتحرك .

وقيل : إنّ نفيل بن حبيب الخثعمي أخذ بأذن ذلك الفيل الأعظم وكان اسمه محمود فقال نفيل : ابرك محمود و ارجع راشداً من حيث جئت فانك في بلد الله الحرام ، ونفيل هذا هو قاتل أبرهة بأرض خثعم وهو جبل و أهله خثعميون .  
وأخذ عبد المطّلب بحلقة البيت ودعا و كلّما وجهوا الفيل إلى مكة يربض

فضربوه فلم يتحرك وإذا وجهوه إلى اليمن أو إلى غيره من الجهات هرول فأمر أبرهة أن يساق الفيل فثبت على أمره فبينما عبد المطلب يدعو التفت فإذا بطير فقال: إنها طير غريبة لانجدية ولاتهامية وإن لها لساناً، سوداء، صفر المناقير خضر الأعناق وعن عائشة كانت تلك الطير الأبابيل أشباه الخطاطيف و الوطاويط و لها خرطوم الطير وأكف الكلاب وأنيابها وقيل: هي عنقا، مغرب ، وقيل : إنها طير بين السماء ، وقيل : من طير السماء ، جاءت عشية ثم صبحتهم ، مع كل طائر حجر في منقاره و حجران في رجليه أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة وعن ابن عباس أنه رأى من تلك الأحجار عند أم هانئ، نحو قفيز مخطط بحمرة كالجدع . ثم أرسلت ريح فزادتها شدة فكان الحجر تقع على رأس كل واحد من الجيش فيخرج من أسفله و ينفذ من الفيل ومن بيضهم فيحرق الأرض وعلى كل حجر اسم من يقع عليه، قال عكرمة : كل من أصابته الحجارة جدرته ففرّوا وهلكوا في كل طريق ومنهل ولم تصب منهم أحداً إلا هلك .

ثم لما استبطأ عبد المطلب مجيء القوم إلى مكة ركب لينظر ما الخبر فوجدهم هلك منهم وفرّ الباقيون وقد بقي أثاثهم وأموالهم فاحتمل ماشاء الله من صفراء وبيضاء ثم أعلم أهل مكة بهلاك القوم فخرجوا وانتهبوا .

وبالجملة لم يبق منهم أحد وقيل : أخذ أبرهة داء أسقط أنامله وأعضائه ووصل إلى صنعاء وهو مثل فرخ وما مات حتى انصدح صدره فملك اليمن ابنه مكسوم و انفلت وزير أبرهة وطائر يتخلف فوقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما أتمها وقع عليه الحجر فخرّ ميتاً بين يديه انتهى .

فلو قيل : إننا شاهدنا و تحقق عندنا أن بعض الناس فعلوا مثل فعل أبرهة وما وقع عليهم سوء كما وقع لأبرهة مثل الحجّاج ومثل القرامطة .

فالجواب أنه لم تجر عادة الله على من يعاديه أن يأخذه سريعاً بل عادته أن يمهله لكن لا يمهل ، على أن مثل هذه الأمور خوارق العادات كان يقع في أيام الأمم السالفة، وأيضاً إن الاستيصال وما يقرب منه مرفوع عن هذه الأمة وإن كان اشتد غضبه

عليهم كما قيل في حقّ الحجّاج : إنّ عليه نصف عذاب العالم .  
 وقصة القرامطة مجملها أنّ أباسعيد كبير القرامطة (وهم طائفة ملاحدة ظهرُوا  
 بالكوفة سنة سبعين و مائتين يزعمون أنّ لاغسل من جنابة وحلّ الخمر و أنّه لا صوم  
 في السنة إلّا يومي النير و زوالمهرجان و يزيدون في أذانهم و أنّ محمد بن الحنفية رسول  
 الله و أنّ الحجّ و العمرة إلى بيت المقدس و افتتن بهم جماعة من الجهّال و أهل البراري  
 و قويت شوكتهم حتّى انقطع الحجّ من بغداد بسببه و سبب ولده أبي طاهر فإنّ ولده  
 أباطاهر بنى داراً بالكوفة و سمّاها دار الهجرة ) كثر فساده و استيلاؤه على المسلمين و قتله  
 إيّاهم و كثرت أتباعه و ذهب إليه جيش الخليفة المقتدر بالله السادس عشر من خلفاء بني  
 العبّاس غير مرّة و هو يهزمهم .

ثمّ إنّ المقتدر سيّر ركب الحجّ إلى مكّة فوافاهم أبو طاهر يوم التروية  
 فقتل الحجّاج بالمسجد الحرام و في جوف الكعبة قتلاً ذريعاً و ألقى القتلى في بئر زمزم  
 و ضرب الحجر بدبّوس<sup>(١)</sup> فكسره ثمّ اقتلعه و أخذه معه و قلع باب الكعبة و نزع  
 كسوتها و سققها و قسمه بين أصحابه و هدم قبة زمزم و ارتحل عن مكّة بعد أن أقام فيها  
 أحد عشر يوماً و معه الحجر الأسود و بقي عند القرامطة أكثر من عشرين سنة و كان  
 الناس يضعون أيديهم محلّه للتبرّك و دفع لهم خمسون ألف دينار فأبوا حتّى أُعيد  
 في موضعه في خلافة المطيع لأمر الله و هو الرابع و العشرون من خلفاء بني العبّاس  
 بعد اشتراكه منهم .

و بعد القرامطة في سنة ثلاث عشرة و أربعمائة قام رجل من الملاحدة و ضرب  
 الحجر ثلاث ضربات بدبّوس فتشقق وجه الحجر من تلك الضربات و تساقطت منه  
 شظيّات<sup>(٢)</sup> مثل الأظفار و خرج بكسره فُتات<sup>(٣)</sup> أسمر يضرب إلى الصفرة محبباً مثل  
 حبّ الخشخاش فجمع بنو شيبه ذلك الفتات و عجنوه بالمسك و حثوه في تلك

(١) عصا من خشب او جديد في رأسه شيء مثل الكرة .

(٢) فلقطة العود و العظم و نحوهما .

(٣) الكسارة و السقاطة من الشئ المفتوت .

الشفوق وطلوه بطلاء من ذلك. ولعنة الله على الظالمين .

[ ألم يجعل كيدهم في تضليل ] الهمزة للتقرير و ضلّ كيده إذا جعله ضائعاً وضلّ الماء في اللبن إذا غاب أي قد جعل سبحانه مكرهم في تخريب الكعبة في إبطال بأن أهلكتهم وجزاهم بعد إهلاكهم بمثل ما قصدوا حيث خرب كنيستهم لأنهم بعد إهلاك صاحب الفيل وقومه عزّت قريش وهابهم الناس كلهم ومزّقت الحبشة كلّ مزّقت وخرب تلك الكنيسة التي بناها أبرهة فلم يعمرها أحد وكثرت حولها السباع والوحوش ومردة الجنّ واستمرّت كذلك إلى زمن السفّاح العبّاسي أوّل خلفاء بني العبّاس فذكر له أمرها فبعث إليها عامله الذي باليمن فخرّبها وأخذ خشبها المرصّع بالذهب والآلات التي تساوي قناطير من الذهب وعفا رسمها .

[ وأرسل عليهم طيراً أبابيل ] وأبابيل أي جماعات متتابعة من الطير لأنها كانت أفواجاً فوجاً بعد فوج أو معنى أبابيل من ههنا وههنا جمع إبالة وهي الحزمة الكبيرة من الحطب شبّهت بها الجماعة من الطير في نظامها فأبابيل صفة للطير .

[ ترميهم بحجارة من سجيل ] صفة أخرى لطيراً أي ترمي الطير عليهم و تقدّفهم تلك الطير بأحجار صلبة شديدة ليست من جنس الحجارة وقد مرّ تفسير السجيل في سورة هود ، وقيل : معناه طين متحجّر معرّب « سنك گل » من هذين الجنسين وهما « سنج » الذي هو الحجر و « جيل » الذي هو الطين أو اشتقاقه من الإسجال وهو الإرسال فالمعنى من الحجارة المرسلّة .

[ فجعلهم كعصف ما كول ] كورق زرع وقع فيه الأكل وقد أكله الدود وسمّي ورق الزرع بالعصف لأنّ شأنه أن يقطع فتعصفه الرياح و تذهب به إلى هنا و هنا شبّههم في فنائهم به أو المعنى كورق ذرع قد أكل حبّه وبقي تبنيه في بقاء أجسادهم وذهب أرواحهم أو كتبن وورق زرع أكلته الدوابّ وألقته روثاً فيميس وتفرّقت أجزاءه شبّه تقطّع أوصالهم بتفرّق الروث و فيه تشويهاً لحالهم وهو أنّه لم يكتف بجعلهم أهون شيء في الزرع و هو التبني حتّى جعلهم رجيعاً و عبّر عن الرجيع بالما كول

مراعاة لحسن الأدب في الذكر استهجاناً لذكر الروث كما كُنِيَ بالأكل في قوله (١):  
« كانا يأكلان الطعام » مما يلزم الأكل من البول والتغوط ، ومن كان اعتماده بقوته  
وسطوته أهلكه الله بأضعف خلقه فانهم لما كان اعتمادهم على الفيل من حيث إنهم  
زعموا أنه أقوى خلق الله أهلهم بأضعف خلق من خلقه وهو الطير الذي حجم كل  
واحد منها لا يعادل عشرة مثاقيل شبيهة بالزرزور أوهي الزرزور يقال له بالفارسية  
« سار » وسمي زرزور لتزرزره .

ومابه قتلوا من الحجارة أصغر من الحمصة وأكبر من العدسة وكان هذا الأمر  
من أعظم المعجزات أظهره الله إماماً على طريق الإرهاص (٢) لنبوته نبينا ﷺ فإنه  
ﷺ ولد في ذلك العام .

وقال قوم من المعتزلة : إنه كان معجزة لنبي من الأنبياء وربما قالوا : هو  
خالد بن سنان لكن لانحتاج إلى هذه التكلفات بل يكون هذا الأمر تشریفاً وتعظيماً  
وحفظاً لديته تعالى على أنه حجة لائحة لظهور الحق وإبطال لأقوال الملاحدة و  
والفلاسفة المنكرين للآيات الخارقة فإن هذا الأمر لا يمكن أن يستند إلى الطبع  
كما نصبوا الصيحة والريح العقيم وغيرها مما أهلك الله تعالى به الأمم الماضية إلى ذلك  
إذ لا يمكنهم أن يروا في أسرار الطبيعة إرسال جماعات من الطير ومعها أحجار معدة  
لهلاك قوم معبّنين قاصدة إياهم دون غيرهم فترميهم بها فتهلكهم ولا يتعدى ذلك  
الأمر إلى غيرهم ولو واحداً .

وليس لأحد أن ينكر هذا الأمر لأن النبي ﷺ لما قرء هذه السورة على  
أهل مكة مع عنادهم وإنكارهم لم ينكروا هذا الأمر بل أقرّوا وكانوا قريبي العهد  
بأمر الفيل فلو لم يكن لذلك الأمر حقيقة لأنكروه و جحدوه بل أكثروا في هذا  
الأمر في أشعارهم وناديتهم فمن ذلك ما قاله ابن أبي الصلت :

إن آيات ربنا بيّنات ☆ ما يماري فيهن إلا الكفور

(١) سورة المائدة : ٧٨ .

(٢) هو ظهور امر من اعلام النبوة قبل بعث النبي .

حبس الفيل بالمغمّس حتّى ☆ ظلّ يحبو كأنّه معقور  
وقال عبد الله بن عمرو بن مخزوم :  
أنت الجليل ربّنا لم تدنس ☆ أنت حبست الفيل بالمغمّس  
من بعد ما همّ بشيء ملبس ☆ حبسته في هيئة المكر كس  
أي ا لمنكّس . تمّت

السورة بعون الله



## سورة لا يلاف

﴿مكية﴾

في حديث أبيّ : من قرأها أُعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من طاف بالبيت و اعتكف .

وروى العياشيّ عن الصادق عليه السلام يقول : لا تجمع بين سورتين في ركعة واحدة إلا الضحى وألم نشرح وألم تر كيف ولا يلاف .

وعن ابن عباس عن أحدهما عليه السلام قال : ألم تر كيف فعل ولا يلاف سورة واحدة .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لايلاف قريش (١) ايلافهم رحلة الشتاء والصيف (٢) فليعبدوا رب هذا البيت (٣) الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف (٤) .

أي فعلنا ذلك بأصحاب الفيل نعمة منّا على قريش مضافة إلى نعمتنا عليهم في رحلة الشتاء والصيف فكأنّه قال : نعمة إلى نعمة ، واللام متعلّق بقوله : «فليعبدوا» وذكر الفاء لما في الكلام من معنى الشرط وتقدير الكلام أن نعم الله عليهم غير محصورة فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لتألف قريش بمكة وتمكّنهم المقام بها أو المعنى لتألف قريش فانهم هابوا من أصحاب الفيل طمًا قصدها وهربوا منه فأهلكناهم لترجع قريش إلى مكة ويألفوا ويجتمعوا بها وتولّد محمد ﷺ فبعث إلى الناس بشيراً ونذيراً .

[إيلافهم] بدل من الأوّل و الايلاف الأوّل بمعنى الإلف اللازم لا المتعدّي ، لأن يألفوا هاتين الرحلتين ويجمعوا بينهما لتجارتهما ومعاشهم وذلك لأنّ الناس إذا تسامعوا بذلك الإهلاك ثبت لهم عزّ وشرف وتهيّبوا لهم زيادة فضل على غيرهم فلا يجترى، عليهم أحد وينتظم لهم الأمن في رحلتهم .

وكان لقريش رحلتان يرحلون في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام فيتمارون ويتّجرون آمنين وما كان بعد ذلك يتعرّض لهم أحد من العرب وذئابها و الناس بين متخطّف ومنهوب ولولا هاتان الرحلتان لم يمكنهم المقام بها لأنّها واد غير ذي زرع ولم يكونوا أهل زرع ولا ضرع وكان إذا أصاب واحداً منهم مخمصة خرج و عياله إلى موضع وضربوا على أنفسهم خباء حتّى يموتوا و كانوا على ذلك إلى أن جاء هاشم بن عبد مناف ﷺ و كان سيّد قومه فقام خطيباً فقال : إنكم أحدثتم



حدثاً تقلّون فيه وتذلّون وأنتم أهل حرم الله وأشرف ولد آدم ، قالوا : نحن لك تبع فليس عليك منّا خلاف فأمرنا بأمرك ، فجمع كلّ بني أب على الرحلتين في الشتاء إلى اليمن و في الصيف إلى الشام للتكسّب فما ربح الغنيّ يكون ليقسّم بينه و بين فقرائهم فاستداموا على هذا الأمر حتّى كان فقيرهم كغنيّهم فجاء الإسلام وهم على ذلك .

وقريش ولد النضر بن كنانة ومن لم يلبده فليس بقريش واختلف في تسميتهم بهذا الاسم قيل : سمّوا قريشاً لأنّهم لم يكونوا أهل زرع و وضع وكانوا يكتسبون . و القرش الكسب ، وقال ابن عباس : سمّوا «قريش» بالتصغير للتعظيم من القرش وهو دابة بحريّة عظيمة تعبت بالسفن ونقلبها وتكسرها ولا تطاق إلا بالنار ولا يقدر أحد عليها فشبّهوا بها لأنّها تأكل ولا تؤكل و تلعو ولا تعلق و و صفوا بالغلبة و عدم المغلوبية قال شاعرهم :

و قريش هي التي تسكن البحر \* بها سمّيت قريش قريشاً  
تأكل الغثّ والسمين ولا تتـ ————— رك فيه لذي الجناحين ريشاً  
هكذا في البلاد حتّى قريش \* يأكلون البلاد أكلأ كميثاً<sup>(١)</sup>  
ولهم آخر الزمان نبياً \* يكثر القتل فيهم و الخُموشا<sup>(٢)</sup>  
وقيل : سمّوا قريشاً لتجمّعهم من ههنا وههنا وضمّ بعضهم إلى بعض وتجمّعهم إلى الحرم أو لأنّ النضر بن كنانة اجتمع في ثوبه يوماً فقالوا : تقرّش نضر ، أو سمّيت بقريش بن يخلد بن غالب بن فهر ، و كان ابن يخلد صاحب غيرهم فكانوا يقولون : قدّمت غير قريش و خرجت غير قريش انتهى .

[ فليعبدوا ربّ هذا البيت الذي أطعمهم ] بسبب تينك الرحلتين اللتين تمكّنوا منهما أو بسبب دعوة إبراهيم يجبي إليه ثمرات كلّ شيء [ من جوع ] شديد كانوا فيه قبلهما إلى أن جمعهم على الغنى عمرو العلي<sup>(٣)</sup> على الرحلتين كما ذكر سابقاً

(٢) الخدش واللطم .

(١) اكلا سريما .

(٣) لقب هاشم .

[ و آمنهم من خوف ] عظيم و هو خوف أصحاب الفيل أو خوف التخطف في بلدهم من ذئاب العرب حيث هابوهم و فضّل على العرب بأمر .

قالت أمّ هانئ بنت أبي طالب : إن رسول الله ذكر فضل قریش بسبع خصال : النبوة فيهم ، والخلافة ، والحجابه ، والسقاية ، ونصروا على الفيل ، والسبقة في عبادة الله ، و نزلت فيهم سورة لم يذكر فيها أحد غيرهم « لا يلاف » ( وتسمية لا يلاف سورة يرد قول من قال وهم جماعة : بأن ألم تر كيف فعل ولا يلاف سورة واحدة ) وبالجملة فهذه الفضائل ثابتة لقریش بشرط إطاعة الله و رسوله قال شاعرهم :

- |                              |   |                           |
|------------------------------|---|---------------------------|
| ياذا الذي طلب السماحة والندی | ☆ | هلاّ مررت بآل عبد مناف    |
| لو أن مررت بهم تريد قراهم    | ☆ | منعوك من جهد و من إيجاف   |
| الرائشين و ليس يوجد رائش     | ☆ | و القائلين : هلمّ للأضياف |
| و الخالطين غنيهم بفقيرهم     | ☆ | حتّى يصير فقيرهم كالكافي  |
| و القائلين بكلّ وعد صادق     | ☆ | و رجال مكة مستنين عجاف    |
| سفرين سنهما له ولقومه :      | ☆ | سفر الشتاء و رحلة الأضياف |

تمت السورة بعون الله

## سورة أرأيت

﴿مكية﴾

وقيل : بعضها مكّية وبعضها مدنيّة ، وتسمى سورة الماعون .

من قرأها غفر الله له إن كان للزكاة مؤدياً .

عمرو بن ثابت عن أبي جعفر عليه السلام قال : من قرأها في فرائضه و نوافله قبل الله

صلاته و صيامه ولم يحاسبه بما كان منه في الدنيا .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ارأيت الذى يكذب بالدين (١) فذلك الذى يدع اليتيم (٢) ولا يحض على طعام المسكين (٣) فويل للمصلين (٤) الذينهم عن صلواتهم ساهون (٥) الذينهم يراون (٦) و يمنعون الماعون (٧) .

قال الكلبيّ: نزلت في العاص بن وائل السهميّ و قيل : نزلت في الوليد بن المغيرة و قيل : نزلت في أبي سفيان بن حرب كان ينحر في كلّ أسبوع جزورين فأتاه يتيماً و سأله شيئاً ففرعه بعصاه و قيل : المراد أبو جهل كان وصيّاً ليتيم فجاءه عرياناً يسأله من مال نفسه فدفعه دفعاً شنيعاً فأيس الصبيّ فقال له أكابر قريش : قل لمحمّد : يشفع لك و كان غرضهم الاستهزاء به و هو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ما كان يردّ محتاجاً فذهب معه إلى أبي جهل و قام أبو جهل و بذل المال لليتيم فعيّره قريش و قالوا : أصبوت ؟ فقال : لا والله ما صبوت ولكن رأيت عن يمينه وعن يساره حربة خفت إن لم أجهه يطعنها فيّ .

قوله تعالى : [ أرأيت ] أي هل عرفت يا محمد [ الذي يكذب بالدين ] فالذي للعهد أو للجنس فيكون عامّاً لكلّ من كان م كذباً بالدين و من شأنه أدية الضعيف و دفعه بعنف [ ولا يحض على طعام المسكين ] أي لا يحث أهله و غير هم على طعام مسكين و محتاج و يمنع المستحقّ ، وفي العدول من الإطعام إلى الطعام و إضافته إلى المسكين دلالة على أن للمساكين شركة و حقّاً في مال الأغنياء .

[ فويل ] الفاء لربط ما بعدها بشرط محذوف كأنّه قيل : إذا كان عدم المبالاة باليتيم من موجبات الذمّ و التوبيخ ، فويل و شدّة العذاب [ للمصلين ] الذين هم

عن صلاتهم ساهون [ السهو خطأ عن غفلة و ذلك ضربان: أحد هما أن لا يكون من الإنسان مولداته و دواعيه كمجنون سبباً إنساناً مثلاً والثاني أن يكون منه مولداته كمن شرب خمرأ ثم ظهر منه منكر لا عن قصد إلى فعله فالأول معفو عنه و الثاني مأخوذ به ، و من القسم الثاني ما ذم الله في الآية والمعنى في قوله : « عن صلاتهم » سهو ترك لها و قلّة التفات إليها وعدم المبالاة بها وذلك فعل الفسقة من المؤمنين .

قال أنس بن مالك : الحمد لله على أن لم يقل « في صلاتهم » وذلك أنه لو قال : « في صلاتهم » لكان المعنى أن السهو يعترى بهم وهم فيها إما بوسوسة الشيطان أو بحديث نفس و ذلك لا يكاد يخلو منه أحد و التخلص منه عسير .

قيل: ولما نزلت الآية قال ﷺ : هذه خير لكم من أن يعطى كل واحد منكم مثل جميع الدنيا .

و قيل في معنى « عن صلاتهم ساهون » إن المعنى و المراد هم الذين يؤخرون الصلاة عن أوقاتها عن ابن عباس و جماعة و روي ذلك مرفوعاً . و قيل : المراد المنافقون الذين لا يرجون لها ثواباً إن صلّوا ولا يخافون على تركها عقاباً فهم عنها غافلون حتى يذهب وقتها فإذا كانوا مع من يصلي صلّوا وإذا لم يكونوا معهم لم يصلّوا فكان صلاتهم رياءً لا إخلاصاً وهو قوله : [ الذين هم يراؤن ] فإن صلّوها صلّوها رياءً و إن فاتتهم لم يندموا و قيل : هم الذين لا يصلّونها لوقتها ولا يتمون ركوعها وسجودها قال أبو عبد الله عليه السلام : هو الترك لها والتواني عنها والمضييعين لها .

[ ويمنعون الماعون ] اختلف فيه قيل : هي الزكاة المفروضة عن علي عليه السلام و أبي عبد الله ، و قيل : المراد من الماعون ما يتعاروه الناس بينهم من الدلو والنفاس والقدر وما لا يمنع كالمالح و الماء وأمثاله . و روى أبو بصير عن أبي عبد الله عليه السلام هو القرض تقرضه و متاع البيت تعيره ومنه الزكاة ، قال : فقلت له : إن لنا جيراناً إذا أعرناهم متاعاً كسروه وأفسدوه فعلينا جناح أن نمنعهم؟ فقال : لا ليس حينئذ جناح أن تمنعهم

إذا كانوا كذلك وقيل : المعروف كله. والمعون من المعن وهو الشيء القليل وسميت  
الزكاة ماعوناً لأنه يؤخذ من المال ربع العشر وهو قليل من كثير .  
والفرق بين المرأئي والمنافق أن المنافق يبطن الكفر ويظهر الإيمان والمرأئي  
يظهر زيادة الخشوع وآثار الصلاح ليعتقد من يراه أنه من أهل  
الصلاح وحقيقة الرياء طلب ما في الدنيا بإظهار الدين .  
تمت السورة بعون الله



## سورة الكوثر

﴿مكية﴾

من قرأها سقاه الله من أنهار الجنة وأُعطى من الأجر بعدد كلِّ قربان قرأ به  
العباد في يوم العيد ويقرأون أهل الكتاب والمشركين .  
وقال ﷺ : ومن قرأها في فرائضه ونوافله سقي يوم القيامة من الكوثر .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

انا أعطيناك الكوثر (١) فصل لربك وانحر (٢) ان شانئك هو الابتر (٣).

السورة قيل : مكّية وقيل : مدنيّة .

نزلت السورة في العاص بن وائل السهميّ وذلك أنّه رأى رسول الله يخرج من المسجد فالتقيا عند باب بني سهم وتحدّثا وأُناس من صناديد قريش جلوس في المسجد فلمّا دخل العاص قالوا : من الذي كنت تتحدّث معه؟ قال ذلك الأبتري وكان قد توفّي قبل ذلك عبد الله بن رسول الله وهو من خديجة وكانوا يسمّون من ليس له ابن أبتري فسمّته قريش عند موت ابنه صلى الله عليه وآله أبتري ومبتور عن ابن عباس .

[إنّا] إنّ جار مجرى القسم في تأكيد الجملة [أعطيناك] بصيغة الماضي مع أنّ العطايا الأخرية وأكثر ما يكون في الدنيا لم يحصل بعد تحقيقاً أو وقوعها [الكوثر] أي الخير الكثير من العلم والعمل وفوعل من الكثرة كنوفل من النقل وجوهر من الجهر . قيل لأعرابيّة آب ابنها من السفر : بم آب ابنك؟ قالت : آب بكوثر، أي بالعدد الكثير من الخير .

وروي أنّه صلى الله عليه وآله قرأها فقال : أتدرون ما الكوثر إنّه نهر في الجنّة وعدنيه ربّي، فيه خير كثير أحلى من العسل وأشدّ بياضاً من اللبن وأبرد من الثلج وألين من الزبد حافظه الزبرجد وأوانيه الفضة عدد نجوم السماء لا يظمأ من شرب منه أبداً أوّل وارد به فقراء المهاجرين الدنس الثياب الشعث الرؤس الذين لا يزوّجون المنعمات ولا تفتح لهم أبواب السدد، ويموت أحدهم وحاجته تبتلج في صدورهم، لو أقسم على الله لأبرّه . وعن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال : الكوثر نهر في الجنّة أعطاه نبيّه عوضاً من ابنه . وقيل : الكوثر هو القرآن . وقيل : هو كثرة النسل والذريّة وقد ظهرت الكثرة في ولد فاطمة عليها السلام ولا تحصى عددهم واتّصل إلى يوم القيامة . و



قيل : هو الشفاعة عن الصادق عليه السلام . و اللفظ يحتمل للكلّ فإِنَّه قد أعطاه الله الخير الكثير .

[ فصلّ لربّك و انحر ] أمره سبحانه بالشكر على هذه النعمة العظيمة أي صلّ صلاة العيد لأنّها عقبها بالانحر أي و انحر هديك وأضحيتك . و قيل : معناه فصلّ لربّك صلاة الغداة المفروضة بجمع و انحر البدن بمنى ، و قيل معناه صلّ لربّك الصلاة المكتوبة و استقبل القبلة بنحرك ، و تقول العرب : منازلنا تتناحر أي هذا ينحر هذا و يستقبله ، قال أبو عبد الله عليه السلام : هو رفع يديك حذاء وجهك و روى عنه عبد الله سنان مثله . و عن جميل قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام : فصلّ لربّك و انحر؟ فقال بيده هكذا ، يعني استقبل ببدنه حذاء وجهه القبلة في افتتاح الصلاة .

وروي عن مقاتل بن حيان عن الأصبع بن نباتة عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : لما نزلت هذه السورة قال النبيّ لجبرئيل : ما هذه النخيرة التي أمرني الله بهاربي؟ قال : يأمرك إذا تحرّمت للصلاة أن ترفع يديك إذا كبّرت وإذا ركعت وإذا رفعت رأسك من الركوع و إذا سجدت فإنّه صلاتنا و صلاة الملائكة في السماوات السبع فإنّ لكلّ شيء زينة وإنّ زينة الصلاة أن ترفع يديك عند كلّ تكبيرة قال النبيّ صلى الله عليه وآله : رفع الأيدي من الاستكانة ، قلت : وما الاستكانة؟ قال : الاتقراء هذه الآية «فما استكانوا لربهم وما يتضرعون» .

[ إنّ شأنك هو الأبر ] شأن أي أبغضه أي مبغضك هو الأبر لبغضه لك و البر يستعمل في قطع الذنب ، ثمّ استعمل في قطع العقب والمعنى أنّ الذي لا عقب له ولا عاقبة ولا حسن ذكر هو الأبر و أمّا أنت فتبقى ذريّتك و حسن ذكرك و آثار فضلك إلى يوم القيامة كما قال سبحانه : <sup>(١)</sup> « ورفعنا لك ذكرك » و جعله صلى الله عليه وآله أباً للمؤمنين فهم أعقابهم إلى يوم القيامة و جعله خاتم الأنبياء و أعطاه القرآن

الذي عجزوا عن الإيتان بمثله إلى آخر الدهر على و جازة

ألفاظه و منافع العمل بمعانيه . تمّت

السورة بعون الله .

## سورة الكافرين

﴿ مكية وقيل : مدنية ﴾

في حديث أبيّ : ومن قرأ « قل يا أيها الكافرون » فكأنما قرأ ربع القرآن وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرىء من الشرك وتعافى من الفزع الأكبر .  
وعن جبير بن مطعم قال : قال لي رسول الله : أتحبّ يا جبير أن تكون إذا خرجت سفرًا من أمثل أصحابك هيئةً وأكثرتهم زادًا ؟ قلت : نعم ، قال : فاقرأ هذه السور الخمس : « قل يا أيها الكافرون » و « إذا جاء نصر الله » و « قل هو الله » و « الفلق » و « الناس » و افتتح قراءتك ببسم الله الرحمن الرحيم . قال جبير : و كنت غير كثير المال و كنت أخرج مع من شاء الله أن أخرج فأكون أكبرهم همّة و أكثرهم إذا زاداً حتى أرجع من سفري ذلك .

و عن فروة بن نوفل الأشجعيّ عن أبيه أنه أتى النبيّ ﷺ فقال : جئت يارسول الله لتعلمني شيئاً أقوله عند منامي قال ﷺ : إذا أخذت مضجعتك فاقرأ « قل يا أيها الكافرون » ثمّ نم على خاتمها فإنها براءة من الشرك .  
وعن شعيب الحداد عن الصادق عليه السلام قال كان أبي يقول : « قل يا أيها الكافرون » ربع القرآن وكان إذا فرغ منها قال : أعبد الله وحده ، أعبد الله وحده .  
و عن هشام بن سالم عن الصادق عليه السلام قال : إذا قلت : « لا أعبد ما تعبدون » فقل : ولكنني أعبد الله مخلصاً لديني ، فإذا فرغت منها فقل : ديني الإسلام ثلاث مرات .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قل يا أيها الكافرون (١) لا أعبد ما تعبدون (٢) ولا أنتم عابدون ما أعبد (٣) ولا أنا عابد ما عبدتم (٤) ولا أنتم عابدون ما أعبد (٥) لكم دينكم ولي دين (٦) .

النداء و الخطاب منه ﷺ لهم بهذا الوصف مع أنهم في محلّ عزّهم و شوكتهم إيدان بأنّه ﷺ محروس منهم وعلم من أعلام النبوة و الألف واللام للعهد وهم كفرة مخصوصة كالوليد بن المغيرة وأبي جهل والعاص بن وائل السهميّ وأميّة ابن خلف والأسود بن عبد يغوث والحارث بن قيس ونحوهم وذلك أنّهم قالوا الرسول الله ﷺ هلمّ فاتبع ديننا وتتبع دينك تعبد آلهتنا سنة ثمّ نعبد إلهك سنة فقال : معاذ الله أن أشرك بالله غيره فقالوا : استلم بعض آلهتنا نصدّقك و نعبد إلهك فنزل « قل يا أيّها الكافرون » فعدل رسول الله إلى المسجد الحرام و فيه الملام من قريش فقام على رؤوسهم ثمّ قرأ عليهم حتّى فرغ من السورة فأيسوا عند ذلك فشرعوا يؤذونه و أصحابه قال ابن عباس : وفيهم نزل قوله (١) : « قل أغير الله تأمر ونيّ أعبد أيّها الجاهلون » .

[ لا أعبد ما تعبدون ] أي لا أعبد فيما يستقبل ولا أفعل في المستقبل ما تطلبونه منّي من عبادة آلهتكم ، و«لا» لا تدخل غالباً إلاّ على مضارع في معنى الاستقبال كما أنّ «ما» لا تدخل إلاّ على مضارع في معنى الحال لكنّ الطبرسيّ فسّر الآية بمعنى الحال أي لا أعبد آلهتكم التي تعبدونها اليوم وفي هذه الحال .

[ ولا أنتم عابدون ما أعبد ] أي ولا أنتم فاعلون في المستقبل ما أطلب منكم من عبادة إلهي ، قال الطبرسيّ : المراد ما أنتم عابدون في الحال إلهي الذي أعبده اليوم .

[ ولا أنا عابد ما عبدتم ] أي و ما كنتُ عابداً فيما سلف ما عبدتموه من الأصنام في الجاهلية فكيف يُرجى مني في الإسلام .  
[ ولا أنتم عابدون ما أعبد ] أي و ما عبدتم في وقت من الأوقات ما أنا على عبادته و هو الله فليس في السورة تكرار .

و قيل : هاتان الجملتان لتفي العبادة حالاً كما في الأولين لتفيها استقبالاً كما فسره الطبرسي لهذا المعنى قال الزجاج : نفى الرسول بهذه السورة عبادة آلهم عن نفسه في الحال و في المستقبل و أعلمه الله بحال هؤلاء أنهم لا يؤمنون و لو قلنا بالتكرار فوجهه أن القرآن نزل بلغة العرب و من عادتهم التكرار في الكلام إذا كان الغرض الإفهام و التأكيد كما يقول المجيب : بلى بلى و يقول الممتنع : لا لا و مثله<sup>(١)</sup> « كلاً سوف تعلمون \* ثم كلاً سوف تعلمون » قال الشاعر :

نعق الغراب بين ليلي غدوة \* كم و كم و كم بفراق ليلي ينطق

[ لكم دينكم ولي دين ] والياء إسكانها وفتحها سائغان في قوله : « ولي » و ذكر في معنى الآية وجوه :

أحدها بحذف المضاف أي لكم جزاء دينكم ولي جزاء ديني فأقام المضاف إليه مقام المضاف .

و ثانيها أن المعنى لكم كفر كم ولي دين التوحيد و هذا إن كان ظاهره أباحة لكنّه و عيد و تهديد و مبالغة في الزجر كقوله<sup>(٢)</sup> : « اعملوا ما شئتم » .

وثالثها أن الدين الجزاء فالمعنى لكم جزاءكم ولي جزائي و حاصل المعنى أن دينكم الذي هو الإشراف مقصور لكم لا يتجاوزهُ إلى الحصول لي كما تطمعون فإن ذلك من المحال و إن ديني الذي هو التوحيد مقصور لي لأنّكم علقتموه بالمحال الذي هو عبادتي لأنّهم استلاموا إيّاها .

قيل : هو منسوخ بآية السيف .

تمت السورة

## سورة الفتح

مدنيّة في حديث أبيّ من قرأها فكأنّما شهد مع رسول الله فتح مكّة . وروى  
كرّم الله وجهه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من قرء سورة الفتح في نافلة أو فريضة نصره الله  
على أعدائه و جاء يوم القيامة و معه كتاب ينطق قد أخرج الله يوم القيامة من جوف  
قبره فيه أمان من حرّ جهنّم و من النار و من زفير جهنم، يسمعه بأذنيه فلا يمرّ على  
شيء يوم القيامة إلاّ بشّره و أخبره بكلّ خير حتّى يدخل الجنة.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إذا جاء نصر الله و الفتح (١) و رأيت الناس يدخلون في دين الله .  
أفواجاً (٢) فسبح بحمد ربك و استغفره انه كان تواباً (٣) .

إذا جاءك يا محمد إعانته تعالى و إظهاره إيتاك على أعدائك ، و السورة نزلت قبل فتح مكة كما عليه الأكثر فالإعلام بذلك قبل وقوعه من أعلام النبوة والمراد من « الفتح » فتح مكة و سمّي ذلك الفتح فتح الفتوح كما أن نفسها سميت أم القرى وقيل : نزلت السورة في أيام التشريق بمنى في حجة الوداع و عاش ﷺ بعده ثمانين يوماً .

[ ورأيت الناس ] أبصرتهم أو علمتهم يعني العرب أو الاستغراق العرفي و لعل المراد بالأمر بالاستغفار لمن سواه و إدخاله ﷺ في الأمر تغليب [ يدخلون في دين الله ] أي ملّة الإسلام التي لادين يضاف إليه تعالى غيرها لأن الدين عند الله الإسلام [ أفواجاً ] حال من فاعل « يدخلون » أي رأيتهم يدخلون فيه جماعات كثيرة كأهل مكة و الطائف و اليمن و هوازن و سائر قبائل العرب وكانوا قبل ذلك يدخلون فيه واحداً واحداً و اثنين اثنين .

روي أنه ﷺ لما فتح مكة أقبلت العرب بعضها على بعض و قالوا : إذا ظفر بأهل الحرم فلن يقاومه أحد فكانوا يدخلون في دين الإسلام أفواجاً من غير قتال و كانت تتابع وفود مثل بني زهرة و بني مرة و بني كلب و بني كنانة و بني هلال من الأكناف .

قال أبو عمرو و بن عبد البر : لم يمت رسول الله ﷺ و في العرب رجل كافر و دخل الكل في الإسلام و أمّا نصارى بني تغلب فما أسلموا في حياته ﷺ ولكن أعطوا الجزية .

و في عين المعاني المراد من « الناس » في الآية أهل اليمن قال صلى الله عليه وآله : الإيمان يمانى و الحكمة يمانية .

و عن جابر بن عبد الله أنه بكى ذات يوم فقيل له في ذلك فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : دخل الناس في دين الله أفواجا و سيخرجون أفواجا .

[ فسبح بحمد ربك و استغفره ] هذا أمر من الله بأن ينزّهه عمّا لا يليق به من صفة النقص وأن يستغفره لأنّ النعمة يقتضي الشكر و القيام بحقّها وتعظيم المنعم من لوازم العبوديّة فكأنّ قال : قد حدث أمر عجيب يقتضي الشكر والاستغفار وإن لم يكن ذنب فإنّ الاستغفار قد يكون عند ذكر المعصية و قد يكون على وجه التسبيح والانقطاع إلى الله ويمكن أن يكون الأمر بالاستغفار من باب « إياك أعني و اسمعي » أو المراد استغفره هضماً لنفسك و استغفارا لعملك و استعظاما لحقوق الله و تعجباً من هذا الأمر العظيم من الغلبة على الكفّار بأن تقول : سبحان الله كما ورد في الأذكار « و لكلّ أعجوبة سبحان الله » و قد اقترن الحمد بالتسبيح في القرآن في أغلب الموارد نحو (١) « وإن من شيء إلا يسبح بحمده » و حاصل المعنى : فاذكره مسبّحاً حامداً و زدي عبادته و الثناء في عبادته لزيادة إنعامه أو المراد من التسبيح مجاز عن الصلاة بعلاقة الجزئية ، روي أنه صلى الله عليه وآله لما فتح باب الكعبة صلّى صلاة الضحى أربعاً منها للشكر و أربعاً للضحى [ إنّه كان تواباً ] مبالغاً في قبول توبتهم .

قيل : لما نزلت السورة قرأها على أصحابه ففرحوا و استبشروا و سمعها العباس فبكى فقال صلى الله عليه وآله : ما يبكيك ياعم ؟ فقال : أظنّ أنه قد نعت إليك نفسك يا رسول الله فقال صلّى الله عليه و آله : إنّه كما تقول : فعاش بعدها سنتين أو سنة .

و اختلف في أنّهم من أيّ وجه علموا ذلك و ليس في ظاهره نعي فقيل : لأنّ التقدير فسبح بحمد ربك فإنك لا حق بالله و ذائق الموت لأنّ أمرك قدتمّ و كمل و كلّ ما كمل توقع زواله ، و بعده هذه السورة كان صلى الله عليه وآله كثيرًا ما يقول : سبحانك اللهمّ و بحمدك اللهمّ اغفر لي إنّك أنت التواب الرحيم .

قالت أمّ سلمة : بعد هذه كان رسول الله لا يقوم ولا يقعد ولا يجيء ولا يذهب إلا قال : سبحان الله و بحمده أستغفر الله و أتوب إليه .  
وقصة فتح مكة طويلة لا يسعها هذا المختصر و المفضل منها أنه لما فتحها و دخل مكة دخل صناديد قريش الكعبة وهم يظنون أن السيف لا يرفع عنهم فأتى رسول الله ﷺ ووقف قائماً على باب الكعبة فقال : لا إله إلا الله وحده ، أنجز وعده و نصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، ألا إن كلّ مال ودم يدعى هو تحت قدمي هاتين إلا سدانة الكعبة وسقاية الحاجّ فإنهما مردودتان إلى أهلهما ، ألا إن مكة محرّمة بتحريم الله لم تحلّ لأحد كان قبلي ولم تحلّ لي إلا ساعة من نهار وهي محرّمة إلى أن تقوم الساعة لا يقطع شجرها ولا ينفر صيدها ولا تحلّ لقطنها إلا لمنشد ثمّ قال ﷺ ألا لبئس جيران كنتم لقد كذبتم و طردتم و أخرجتم و أذيتهم ثمّ مارضيتهم حتى جئتموني في بلادي تقاتلونني فاذهبوا فأنتم الطلقاء ، فخرج القوم فكأنما أنشروا من القبور .

وكان يومئذ حول البيت ثلاثمائة و ستون صنماً .

قيل : فجعل ﷺ يطعنها بعود في يده و يقول : « جاء الحقّ و ذهب الباطل إن الباطل كان ذهوقاً » وقال ابن عباس : إن رسول الله ﷺ أبى أن يدخل البيت و فيه الآلهة فأمر بها فأخرجت من البيت و فيها صورة إبراهيم و إسماعيل و في أيديهما الأزلام فقال ﷺ : قاتلهم الله أما والله لقد

علموا أنّهم لم يستقسما بالأزلام قطّ . تمت

السورة بعون الله





## سورة تبت

﴿مكية﴾

قال ﷺ : من قرأها رجوت أن لا يجمع الله بينه و بين أبي لهب في دار واحدة  
قال : وإذا قرأنتم « تبت » فادعوا على أبي لهب ، فإنه كان من المكذبين بما جاء  
من عند الله .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تبت يدا أبي لهب و تب (١) ما أغنى عنه ماله و ما كسب (٢) سيصلى  
نارا ذات لهب (٣) و امرأته حمالة الحطب (٤) في جيدها حبل من مسد (٥).

١ انزول : سعد ﷺ ذات يوم الصفا فقال : يا صباحاه ! وكان هذا النداء عند  
العرب للاجتماع فاجتمعت إليه قريش فقالوا له : مالك؟ فقال : أرايتم لو أخبرتكم  
أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أما كنتم تصدقوني؟ قالوا : بلى قال : فإنني نذير  
لكم بين يدي عذاب شديد ، فقال أبو لهب : تباً لك لهذا دعوتنا جميعاً؟ فأنزل الله هذه  
السورة أوردتها البخاري في الصحيح .

المعنى : تبت و خسرت يداه لأن أكثر العمل باليد فلذا خص اليد  
بالذكر ، والمراد خسرت نفسه بالوقوع في النار ، تقول العرب : « و أيدي الرزايا  
بالذخائر مولع » .

و قيل : المعنى صفرت يداه عن كل خير ، قال الفرّاء : الأوّل دعاء و الثاني  
خبر فالمعنى أهلكه الله و قد أهلك . وفي قراءة عبدالله بن سلام و أبي « وقد تب » .

و أبو لهب ابن عبدالمطلب عمّ النبي ﷺ وكان شديد المناصبة للنبي ﷺ  
 و مع ذلك لم يقل «قل تبت يدا إخن» لئلا يكون مشافهاً لعمّه بالشتم و إن سمعه  
 عمّه ، لحرمة العمومة ، فأجاب الله عنه لأنّ للعمّ حرمة كحرمة الأب ، قال  
 طارق المحاربيّ : بينما أنا بسوق ذي المجاز إذاً بشابّ يقول : يا أيّها الناس  
 قولوا لا إله إلا الله تفلحوا وإذاً برجل خلفه يرميه بحجر قد آذى ساقيه و عرقوبيه  
 يقول : يا أيّها الناس إنّه كذاب فلا تصدّقوا فقلت : من هذا ؟ فقالوا : محمد يزعم  
 أنّه نبيّ و هذا عمّه أبو لهب يزعم أنّه كذاب ، و كأن اسمه عبدالعزّي و كنى  
 بهذا الكنية لحسنه و إشراق وجهه و كانت و جنتاه كأنهما تلتهبان و هذه التكنية  
 حيث ذكره الله بالكنية لاشتهاره بها لا للمتعظيم أو لكرهه ذكر اسمه القبيح ؛ إذ  
 فيه إضافة إلى الصنم أو للتعريض بكونه جهنمياً لأنّه [ سيصلى ناراً ذات لهب ]  
 يعني إنّ أبا لهب باعتبار معناه الإضافي يصلح أن يكون كناية عن حاله وهي كونه  
 جهنمياً لأنّ معناه باعتبار إضافته ملابس اللهب كما أنّ معنى «أبو الخير» و«أخو  
 الحرب» بذلك الاعتبار ملابس الخير و الحرب .

و قرىء أبو لهب بالواو كما قيل : عليّ بن أبو طالب مع أنّ القياس الياء  
 كيلا يتغيّر اللفظ فيشكل على السامع لأنّ الكنية بمنزلة العلم و الأعلام لا تتغيّر  
 في شيء من الأحوال و كان لبعض أمراء مكّة ابنان أحدهما عبدالله بالجرّ و الآخر  
 عبدالله بالفتح .

[ ما أغنى عنه ماله و ما كسب ] أي لم يغن عنه ماله حين حلّ به التبات ولا  
 دفع عنه عذاب الله و« ما » في قوله : « و ما كسب - » موصولة و الضمير العائد من الصلة  
 محذوف أي الذي كسبه و « ما » الأولى نافية و قيل : استفهاميّة أي أيّ إغناء أغنى  
 عنه أصل ماله و ما كسبه من الأرباح و النتائج ؟

و قد هلك أبو لهب بالعدسة بعد وقعة بدر بسبع ليال و العدسة بثرة يخرج  
 في البدن تشبه العدسة وهي من جنس الطاعون تقتل غالباً فاجتنبه أهله مخافة العدوى

و كانت قریش تتسقيها كالطاعون فبقي ثلاثاً حتى أنتن ثم استأجروا بعض السودان فاحتملوه ودفنوه . و في «إنسان العيون» أنه لم يحفر واله حفيرة ولكن أسندوه إلى حائط و قذفوا إليه الحجارة خلف الحائط حتى واروه و قيل : حفر واله حفرة ثم دفعوه يعود في حفرته و قذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه مخافة العدوى و القبر الذي يرجم خارج الشبيكة الآن ليس بقبر أبي لهب و إنما هو قبر رجلين من الملاحدة القرامطة لطخا الكعبة بالعدرة و ذلك في دولة بني العباس فإن الناس أصبحوا يوماً فوجدوا الكعبة ملطخة فرصدوا للفاعل فأمسكوهما بعد أيام فصلبا في ذلك الموضع فصارا يرجمان إلى الآن .

[ سيصلى ] في النشأة الآخرة و يدخل لا محالة [ ناراً ذات لهب ] عظيمة ذات اشتعال و توقد .

[ و امرأته ] عطف على الضمير في « سيصلى » يعني إن امرأته ستصلى وهي أم جميل بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان عمّة معاوية و اسمها العوراء و كانت تحمل حزمة من الشوك و الحسك فتنشرها بالليل في طريق رسول الله [ حاملة الحطب ] و قيل : إنها تحمل يوم القيامة حزمة حطب كالزقوم و الضريع و في جديدها سلاسل النار كما يعذب كل مجرم بما يناسب حاله من سنخ معصيته ، قال قتادة : إنها مع كثرة مالها كانت تحمل الحطب على ظهرها لشدة بخلها فعيّرت بالبخل و قيل : كانت تمشي بالنميمة و تفسد بين الناس و المراد من حمل الحطب أي توقد بينهم نائرة الفتنة و تحمل الحطب استعارة عن إيقاد نار الفتنة .

[ في جديدها جبل من مسد ] المسد ما يفتل من الجبال فتلاً شديداً من ليف كان أو جلد أو غيرهما والمعنى أن في عنقها جبلاً بما مسد من الجبال و إنما تحمل الحزمة من الشوك و تربطها في جديدها كما يفعل الحطّابون تخسيساً لحالها .

قال مرة الهمداني : كانت أم جميل تأتي كل يوم باله من حسك فتطرحها على طريق النبي و المؤمنین فبنميمة هي ذات ليلة حاملة حزمة أعيت فقعدت على

حجر لتستريح فجذبها الملك من خلفها فاختمت بحبلها حتى هلكت .  
 و في ينبوع الحياة أنها لما بلغها سورة تبت جاءت إلى أخيها أبي سفيان في  
 بيته وهي متحرقة غضبي فقالت له : ويحك يا أحسن ( أي يا شجاع ) أما تغضب  
 أن هجاني محمد ؟ فقال : سأكيفك إياه ثم أخذ سيفه و خرج ثم عاد سريعاً فقالت  
 له : هل قتلته ؟ فقال : يا أختي أيسر لك أن رأس أخيك في فم ثعبان ؟ قالت : لا  
 قال : و الله فقد كاد ذلك يكون الساعة . فإنه رأى ثعباناً لو قرب من النبي ﷺ  
 لألتقم رأسه .

و قيل في معنى الآية أنه يكون لها حبل في خشونة الليف و حرارة النار  
 و ثقل الحديد يجعل في عنقها زيادة في عذابها في جهنم بسبب فعلها في الدنيا . و قيل :  
 في عنقها سلسلة من حديد طولها سبعون ذراعاً تدخل من فيها و تخرج من دبرها و  
 تدار على عنقها في النار عن ابن عباس و عروة بن الزبير ، و سميت السلسلة « مسداً »  
 بمعنى أنه ممسودة أي مفتولة . و قيل : إنها كانت قلادة فاخرة ثمينة من جوهر  
 فقالت : لأنفقنها في عداوة محمد ﷺ فيكون هذا عذابها يوم القيامة في عنقها عن  
 سعيد بن المسيب .

و يروى عن أسماء بنت أبي بكر قالت لما نزلت هذه السورة أقبلت العوراء  
 و لها ولولة و في يدها فهر و هي تقول : « مذمماً أبيناً و دينه قلينا (١) ، و أمره  
 عصينا » و النبي جالس في المسجد و معه أبو بكر فلما رآها أبو بكر قال : يارسول-  
 الله قد أقبلت و أنا أخاف أن تراك ، قال ﷺ : إنها لن تراني و قرأ قرآناً فاعتصم  
 به كما قال سبحانه : « و إذا قرأت القرآن جعلنا بينك و بين الذين لا يؤمنون  
 بالآخرة حجاباً مستوراً (٢) » فوقف على أبي بكر و لم تر رسول الله فقالت : يا  
 أبا بكر إن صاحبك هجاني فقال : و رب البيت ما هجاك فولت .

ولو قال قائل : إن أبا لهب هل كان يلزمه الإيمان بعد هذه الآية وهل كان

(١) قلا الشيء ، ابغضه .

(٢) سورة الاسراء : ٤٥ .

يقدر على الإيمان بعد قوله تعالى : « سيصلى نازلاً ذات لهب » و لو آمن لكان فيه تكذيب خبير الله .

فالجواب نعم هو كان يلزمه الإيمان وكان مكلفاً به وإنما توعدّه الله هذا الوعيد بشرط أن لا يؤمن ، ألا ترى في قصة فرعون<sup>(١)</sup> « الآن وقد عصيت قبل » و في هذا دلالة على أنه لو تاب قبل وقت اليأس لكان يقبل منه و لهذا خصّ ردّ التوبة عليه بذلك الوقت . تمتّ السورة بعون الله



## سورة الإخلاص

﴿قيل : مكة و قيل : مدنية﴾

وتسمى بسورة النسبة وسميت سورة الإخلاص لأن من تمسك بما فيها إقراراً و اعتقاداً كان مؤمناً مخلصاً .

و من قرءها على سبيل التعظيم أخلصه الله من النار .

وفي الحديث أنه ﷺ يقول لسورتي قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد : « الملقشقتان » سميتا بذلك لأنهما يعريان من الشرك يقال : قشقتش المريض إذا برى، من علته و أفاق و منه قشقتش الهناء الجرب .

في حديث أبي بن كعب من قرأها فكأنما قرأ ثلث القرآن وأعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من آمن بالله وملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر .

و عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ : أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن ؟ قلت : يا رسول الله و من يطيق ذلك ؟ قال : اقرء و « قل هو الله أحد » .

و عن أنس عن النبي ﷺ قال : من قرأ « قل هو الله أحد » مرّة بورك عليه و من قرأها مرتين بورك عليه و على أهله فإن قرءها ثلاثاً بورك عليه و على أهله و جيرانه فإن قرأها اثنتي عشرة بني له اثنا عشر قصرأ في الجنة فإن قرأها مائة مرّة كفر عنه ذنوب خمس و عشرين سنة ما خلا الدماء و الأموال فإن قرأها أربع مائة كفر عنه ذنوب أربع مائة سنة فإن قرأها ألف مرّة لم يممت حتى يرى مكانه في الجنة .

و عن سهل بن سعد الساعدي قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فشكا إليه الفقر و ضيق المعاش فقال ﷺ له : إذا دخلت بيتك فسلم إن كان فيه أحد أولم يكن و اقرء « قل هو الله أحد » مرّة واحدة ففعل الرجل فأفاض الله عليه الرزق حتى أفاض على جيرانه .

وعن الصادق عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله صلى على سعد بن معاذ فلمّا صلى عليه قال : لقد رأيت من الملائكة سبعون ألف ملك و فيهم جبرئيل يصلون عليه فقلت : يا جبرئيل بم استحقّ سعد صلاتكم عليه؟ قال : بقراءة « قل هو الله » قاعداً وقائماً راكباً وما شيئاً ذاهباً وجائياً .

منصور بن حازم عن أبي عبد الله عليه السلام قال : من مضى به يوم واحد و صلى فيه الخمس من الصلوات ولم يقرء فيها بقل هو الله قيل له : يا عبد الله لست من المصلّين . إسحاق بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال : من مضت عليه جمعة ولم يقرء فيها بقل هو الله ثمّ مات مات على دين أبي لهب .

هارون بن خارجة عنه عليه السلام قال : من أصابه مرض أو شدّة فلم يقرء في مرضه أو شدّته بقل هو الله أحد ثمّ مات في مرضه أو في تلك الشدّة الذي نزلت به فهو من أهل النار .

أبو بكر الحضرمي عنه عليه السلام قال : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع أن يقرء في دبر الفريضة بقل هو الله أحد فإنّه من قرأها جمع له خير الدنيا والآخرة وغفر الله له ولوالديه وما ولدا .

عبد الله بن حجر قال : سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول : من قرء التوحيد إحدى عشر مرّة في دبر الفجر لم يتبعه في ذلك اليوم ذنب و أزعم أنف الشيطان . إبراهيم مهزم عن من سمع أبا الحسن عليه السلام يقول : من قدّم التوحيد بينه و بين كلّ جبار منعه الله منه فقرأها بين يديه و من خلفه و عن يمينه و عن شماله فاذا فعل ذلك رزقه خيره ومنعه شرّه و قال : إذا خفت امرأةً فاقراء مائة آية من القرآن حيث شئت ثمّ قل : اللهم اكشف عني البلاء ثلاث مرّات . و بحذف الأسانيد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من قرأ سورة التوحيد مائة مرّة حين يأخذ مضجعه غفر الله له ذنوب خمسين سنة .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قل هو الله أحد (١) الله الصمد (٢) لم يلد ولم يولد (٣) وله يكن له كفواً أحد (٤) .

«أحد» أصله وحد فقلبت الواو همزة ومثله أناة وأصله وناة. وأحد على ضربين: أحدهما أن يكون اسماً والآخر أن يكون صفة فالاسم نحو أحد وعشرون يريد به الواحد والصفة كقول النابغة :

كأنّ رحلي وقد زال النهار بنا ☆ بذني الجليل على مستأنس وحد  
والأحد اسم لمن لا يشار كه شيء في ذاته كما أنّ الواحد اسم لمن لا يشار كه  
شيء في صفاته يعني إنّ الأحد هو الذات وحدها من غير اعتبار كثرة فيها فأثبت له  
الأحديّة التي هي الغنى والفردية عن كلّ ما عداه وذلك من حيث عينه وذاته من  
غير اعتبار أمر آخر و الواحد هو الذات مع اعتبار كثرة الصفات و هي الحضرة  
الأسماوية ولذا قال <sup>(١)</sup>: « إنّ إلهكم لواحد» ولم يقل : لأحد لأنّ الواحدية من  
أسماء التقييد فبين الواحدية و بين الخلق ارتباط من حيث الإلهية والمألوهية  
بخلاف الأحديّة إذ لا يصحّ ارتباطها بشيء .

وبالجملة في سبب نزول السورة قيل : إنّ المشركين قالوا لرسول الله ﷺ :  
انسب لنا ربك فنزلت .

وقيل : أتى عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة أخو لبيد النبي ﷺ وقال عامر:  
إلى ما تدعوننا يا محمد فقال : إلى الله فقال : صفه لنا أمن ذهب هو أم من فضة أم من  
حديد أم من خشب فنزلت السورة . وهما اللذان هما بقتل النبي ﷺ فأرسل الله  
صاعقة على أربد فأهلكته وطعن عامر بغدة ولم تمهله الغدة أن يصل إلى أهله فأدر كه



الليل و هلك في بيت امرئة سلولية فقيل في الأمثال « غدة كغدة البعير و موت في بيت السلولي » و سلول يعيرون و ينسبون إلى المهانة و الصغار .  
 و روى محمد بن مسلم عن أبي عبد الله قال : إن اليهود سألو النبي ﷺ فقالوا :  
 انسب لنا ربك فمكث ثلاثاً لا يجيبهم ثم نزلت السورة .

و قيل : إن هذه السورة صارت سبب إسلام عبد الله بن سلام ذكره القاضي عبد الجبار في تفسيره أن عبد الله بن سلام انطلق إلى مكة عند رسول الله فقال له رسول الله ﷺ : أُنشدك بالله هل تجد في التوراة رسول الله؟ فقال عبد الله : انعت لنا ربك فنزلت السورة فقرأها النبي ﷺ فأسلم ولكن كان يكتُم ذلك إلى أن هاجر النبي ﷺ إلى المدينة فهناك أظهر إسلامه .

[ قل هو الله أحد ] الضمير للشأن كقولك : هو زيد منطلق و ارتفاعه بالابتداء و خبره الجملة أي شأن الأمر و القصّة أن الله أحد أو الضمير لما سئل عنه فالمعنى قل يا محمد : الذي سألتم عنه هو الله فهو مبتدئ و الله خبره و «أحد» بدل منه و إبدال النكرة من المعرفة عند العائد يجوز على ما ذهب إليه أبو عليّ و هو المختار عندنا أكثر .

« أحد » في الإلهية و الذات و القدم ، واحد لا يشركه في وجوب صفاته أحد فإنه يجب أن يكون موجوداً عالماً قادراً حياً لذاته لا لغيره و إلاّ لزم النقص فاختصّ بالواحدية من هذا الوجه إذ لا يشركه في هذا الأمر سواء فلا يستحقّ العبادة سواء فهذه الأحديّة و الواحدية ليس أحد متصفاً به ، و الأحد في الواحدية قطع النظر عن المعاني التي فسّرت أبلغ من معنى الواحد ألا ترى أنك لو قلت : فلان لا يقاومه واحد جاز أن يقاومه اثنان لكن لما قلت : لا يقاومه أحد لم يجز أن يقاومه اثنان و لا أكثر فهو أبلغ .

فالأحدية هي الغنى عن كل ما عداه من حيث عينه و ذاته من غير اعتبار أمر آخر ، و الواحد هو الذات مع اعتبار كثرة الصفات التي هي الحضرة الأسمائية ولذا قال : « إن إلهكم لواحد » و لم يقل : « لأحد » لأنّ الواحدية من أسماء التقويد ، و بينها و بين الخلق ارتباط من حيث الإلهية و المألوهية ، بخلاف

الأحدية . فمعرفة الذات في الحقيقة كما هو يختص به تعالى لاغير ، فقوله « هو الله أحد » ثلاثة ألفاظ كل واحد منها إشارة إلى مقام السائرين إلى الله .

فالمقام الأول مقام المقر بين وهم الذين نظر إلى ماهيات الأشياء وحقائقها من حيث هي هي ، فلا جرم ما رأوا شيئاً إلا ورأوا الله معه ، فالحق الثابت الباقي هو الذي لذاته يجب وجوده وأما ما عداه فمممكن ، إذا نظر إليه من حيث هو هو كان معدوماً . و كلمة «هو» وإن كانت للإشارة المطلقة مفتقرة في تعيين المراد بها إلى سبق الذكر إلا أن هؤلاء الطبقة يشيرون بهذه الكلمة به تعالى ولا يفتقرون في تلك الإشارة إلى ما يميز المراد بها من غيره لأن الافتقار إلى المميز إنما يحصل حيث وقع الإبهام بأن يتعد ما يصلح لأن يشار إليه لأنهم لا يشاهدون بعين عقولهم إلا هو . و اعلم أنه ليس المراد من هذا الكلام أنهم قائلون بوحدة الوجود ، هذا القول فاسد بل المراد أن نظرهم و وجهتهم من غيره تعالى مقطوع وأنهم منقطعون إليه ولا يعرفون غيره أبداً ، هو هو إله إلا هو . فهذه الكلمة كافية لحصول العرفان لهذه الطبقة يعني الأنبياء والأولياء المنصوصة عليهم بنص الله .

و المقام الثاني مقام أصحاب اليمين و هو دون المقام الأول وذلك لأنهم شاهدوا بعين عقولهم الحق موجوداً و شاهدوا الخلق أيضاً موجوداً بخصلة الكثرة في الموجودات ، فلا جرم لم تكن لفظة «هو» كافية في الإشارة إلى الحق بل لا بد هناك من مميّز به يتمييز الحق من الخلق . فهذه الطبقة مفتقرون إلى أن يفتقرن لفظة «إليه» بلفظ « هو » فقيل لأجلهم « هو الله » لأن لفظ « الله » اسم للموجود الذي يفتقر إليه ما عداه فتممييز به الذات المرادة عما عداه .

و المقام الثالث مقام أصحاب الشمال وهم الذين يجوزون أن يكون واجب الوجود أكثر من واحد ففقرن لفظة « الأحد » ردّ عليهم ، بل هو الله أحد ، انتهى .

قال الباقر عليه السلام : في معنى « قل هو الله أحد » أظهر يا محمد ما أنبأناك به بتأليف الحروف التي قرأناها عليك ليهتدي بها من ألقى السمع وهو شهيد ، هو اسم مكنيّ مشار إلى غائب فالهاء تنبيه عن معنى ثابت والواو إشارة إلى الغائب عن الحواس كما

أن «هذا» تنبيه وإشارة إلى الشاهد عند الحواس وذلك أن الكفار نبهوا على آلهتهم بحرف إشارة إلى المشاهد المدرك فقالوا : هذه آلهتنا المحسوسة بالأبصار فأشر أنت يا محمد إلى إلهك الذي تدعو إليه حتى نريه و ندركه ولا نأله<sup>(١)</sup> فيه فأنزل الله « قل هو الله أحد » إشارة إلى الغائب عن درك الأبصار و لمس الحواس تعالى عن ذلك بل هو مدرك الأبصار في شأن الأخرافية والواحدية الذي لا يشار كه في ذاته وصفاته أحد . وقال الباقر : حدثنني أبي عن أبيه عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : رأيت الخضر في المنام قبل بدر بليلة فقلت له : علمني شيئاً أنتصر به على الأعداء فقال : قل ياهو يا من لاهو إلا هو فلما أصبحت قصصت على رسول الله فقال عليه السلام : يا علي علمت الاسم الأعظم فكان على لساني يوم بدر .

قال أمير المؤمنين عليه السلام : الله معناه المعبود الذي يأله فيه الخلق ويؤول الخلق إليه ، المستور عن إدراك الأبصار ، المحجوب عن الأوهام والخطرات . وقال الباقر عليه السلام : الله معناه المعبود الذي أله فيه الخلق والهمزة مقلوبة من الواو أي وله فيه الخلق عن إدراك ما هيئته و الإحاطة بكيفيته ، تقول العرب : أله الرجل إذا تحير في الشيء ، فلم يحط به علماً وقد أثبت «قل» في المصحف والتزم في التلاوة مع أنه ليس من دأب المأمور بكلمة « قل » أن يتلفظ في مقام الإيتام إلا بالمقول لأن المأمور ليس المخاطب به فقط بل كل واحد ابتلي بما ابتلي به المأمور .

[ الله الصمد ] مبتدئ وخبر ، صمد ، إليه إذا قصده أي هو السيد المصمود إليه في الحوائج المستغني بذاته وغيره محتاج إليه قال الباقر عليه السلام : حدثنني أبي زين العابدين عن أبيه أنه قال : « الصمد » الذي انتهى سوده و الصمد الدائم الذي لم يزل ولا يزال ، والصمد الذي لا جوف له ، والصمد الذي لا يأكل ولا يشرب ، وقال الباقر : والصمد السيد المطاع الذي ليس فوقه أمر ولا ناه . وقال محمد بن الحنفية : الصمد القائم بنفسه الغني عن غيره . وقال غيره : الصمد المتعالي عن الكون والفساد والذي لا يوصف بالنظائر .

و عن الباقر عن أبيه عليه السلام أن أهل البصرة كتبوا إلى الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام يتسألونه عن الصمد فكتب : بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فلا تخوضوا في القرآن ولا تجادلوا فيه ولا تكلموا فيه بغير علم فقد سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : من قال في القرآن بغير علم فليتبوء مقعده من النار وإن الله فسّر الصمد فقال : [ لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ] لم يخرج منه شيء كثيف كالولد ولا سائر الأشياء الكثيفة التي تخرج من المخلوقين ولا شيء لطيف كالنفس ولا ينبعث منه البدوات كالسنة والخطرة والغم والنوم والبهجة والضحك والبكاء والخوف والرجاء والجوع والشبع فتعالى أن يتولد منه شيء لطيف أو كثيف ولم يتولد من شيء ولم يخرج من شيء كما تخرج الأشياء الكثيفة واللطيفة من عناصرها كالشيء من الشيء والدابة من الدابة بل هو الله الصمد الذي لا من شيء ولا في شيء ولا على شيء . وعن عبد خير قال : سأل رجل علياً عليه السلام عن تفسير هذه الآية فقال عليه السلام : هو الله أحد بلا تأويل عدد، صمد بلا تبعض بدد، لم يلد فيكون موروثاً هالكاً ولم يولد فيكون إلهاماً كماً ولم يكن له من خلقه كفؤ . وقيل : إنه سبحانه بين التوحيد بقوله : « الله أحد » وبين العدل بقوله : « الله الصمد » وبين ما يستحيل عليه من الوالد والولد بقوله : « لم يلد ولم يولد » وبين ما لا يجوز عليه من الصفات كالتخاذ الصاحبة وأنه ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض وأمثالها بنفي الكفوية فحصلت الوجدانية البحت .

تمت السورة بعون الله



## سورة الفلق

﴿ قيل : مكية و قيل : مدنية ﴾

في حديث أبيّ : ومن قرأ المعوذتين فكأنما قرأ جميع الكتب التي أنزلها الله تعالى على الأنبياء .

و عن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله أنزلت عليّ آيات لم تنزل مثلهنّ : المعوذتان . أورده مسلم في الصحيح .

و عنه عن النبيّ ﷺ يا عقبة ألا أعلمك سورتين هما أفضل القرآن - أو من أفضل القرآن - ؟ قلت : بلى ، فعلمني المعوذتين ثم قرأتها في صلاة الغداة وقال لي : اقرأهما كلما قمت ونمت .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قل أعوذ برب الفلق (١) من شر ما خلق (٢) ومن شر غاسق إذا وقب (٣)  
ومن شر النفاثات في العقد (٤) ومن شر حاسد إذا حسد (٥) .

يقال في المثل «هو أبين من فلق الصباح» و الفلق بمعنى المفلوق كالصمد بمعنى المصمود والفلق أيضاً الخلق لأنّ الممكنات بأسرها أعيان ثابتة في علم الله مستورة تحت ظلمة العدم فالله تعالى فلق تلك الظلمات بنور التكوين والايجاد فأظهر ما في علمه من الممكنونات فصارت مفلوقاً عنها . قيل : إذا طلع الصبح تتبدّل الثقلة بالخفة والغمّ بالسرور .

روي أنّ يوسف عليه السلام لما ألقى في الجبّ وجعت ركبتيه وجعاً شديداً فبات ليلة ساهراً فلمّا قرب طلوع الصبح نزل جبرئيل بأذن الله يأمره بأن يدعور به فقال: يا جبرئيل ادع أنت وأؤمن فدعا جبرئيل وأمن يوسف فكشف الله ما كان به من الضرّ فلمّا طاب وقت يوسف قال : يا جبرئيل و أنا أدعو أيضاً و تؤمّن أنت فسأل يوسف ربه أن ينكشف الضرّ عن جميع أهل البلاء في ذلك الوقت فلا جرم ما من مريض إلاّ ويجد نوع خفة في آخر الليل .

وقيل في الفلق : إنّه بيت في جهنّم إذا فتح صاح جميع أهل النار . في المعاني سئل الصادق عليه السلام عن الفلق قال : صدع في النار فيه سبعون ألف دار في كلّ دار سبعون ألف بيت في كلّ بيت سبعون ألف أسود في جوف كلّ أسود سبعون ألف حبرة سمّ لا بدّ لأهل النار أن يمرّوا عليها ، والحاصل أمر من الله لنبيّه والمراد جميع أمته .

[ قل ] يا محمد : أعتصم و أمتنع [ برب ] الصبح و خالقه [ من شرّ ما خلق ] من الجنّ و الإنس و سائر الحيوانات ، و إنّما سمّي الصبح فلماً لا انفلاق عموده بالضياء عن الظلام كما قيل : «فجر» لانفجاره بذهاب ظلامه و قيل : الفلق الموالي

كالنقرة في الصخرة لأنهم ينفلقون بالخر وج من أصلاب الآباء وأرحام الأمهات وقوله : « ما خلق » عام في جميع ما خلقه الله ممن يمكن أن يحصل منه الشر وإضافة الشر إليه لاختصاصه بعالم الخلق المؤسس على امتزاج المواد المتباينة وتفاعل كيفيةاتها المتضادة المستتبعة للكون و الفساد من شر حصول الشر مما خلق كالاستيمام من السم فتأمل . وأما عالم الأمر فهو خير محض منزّه عن شوائب الشر بالكليّة .

[ ومن شرّ غاسق إذا وقب ] أي من شرّ الليل إذا دخل بظلامه فيكون المراد من شرّ ما يحدث في الليل من الشرّ والمكروه . وإنما اختصّ الليل بالذكر لأنّ أغلب الفساد يقدم عليه في الليل .

ومعنى الغاسق كلّ هاجم عليه بضره كائناً من كان والوقب النقرة في الشيء، يجتمع فيها الماء و وقب إذا دخل في وقب الظلام . فالمعنى إذا دخل ظلامه في كلّ شيء و الحاصل أنّ الشرّ ينبعث في الليل أكثر من النهار و يخرج عفاريت الجنّ فيه وكذلك الهوامّ والموذيات . ونهى رسول الله عن السير في أوّل الليل وأمر بتغطية الأواني و إغلاق الأبواب و إيكاء الأبقية و ضمّ الصبيان و كلّ ذلك للحذر من الشرّ والبلاء .

وقيل : المراد بالغاسق القمر ووقوبه دخوله في الخسوف واسوداده . و قيل : وقوبه المحاق في آخر الشهر والمنجمون يعدّونه نحساً و لذلك لا تشتغل السحرة بالسحر المورث للتمريض إلا في المحاق . وروى عن عائشة أنّها قالت : أخذ رسول الله بيدي فأشار إلى القمر فقال : تعوذني بالله من شرّ هذا فإنه الغاسق إذا وقب ، وشرّ الذي يتقى ما يكون في الأبدان ويحدث آفات بسببه .

وقيل : الغاسق الثرياً ووقوبها سقوطها لأنها إذا سقطت كثرت الأمراض و الطواعين وإذا طلعت قلت .

[ ومن شرّ النفاثات في العقد ] النفث شبه النفخ يكون في الرقية ولا ريق معه ، وإذا كان معه ريق فهو التفل و العقد ما يعقده الساحر على وتر أو حبل أو شعر يقال لها : عزيمة كما يقال لها : «عقدة» والمعنى من شرّ النفوس أو النساء السواحر اللاتي يعقدن

عقداً في خيوط و ينفثن عليها و تعريفها إما للعهد أو إما للإيدان بشمول شرهن و تمحضهن فيه .

روي عن ابن عباس و عائشة أنه كان غلام من اليهود يخدم النبي ﷺ وكان عنده أسنان من مشطه ﷺ فأعطاها اليهود فسحروه ﷺ فيها ولذا ينبغي أن يقطع الظفر بعد التقليم و كذا الشعر إذا سقط من اللحية و الرأس نصفين لئلا يسحر به . وتولاه لبيد بن أعصم اليهودي و بناته و هن النقات فدفنها في بئر أريس أو بئر بني زريق تسمى ذروان فمرض النبي ﷺ قيل : إنه ﷺ لبث فيه ستة أشهر فنزل جبرئيل بالمعوذتين - بكسر الواو - وأخبره بموضع السحر و بمن سحره و بم سحره فأرسل علياً و عمراً فنزحوا ماء البئر فكأنه نقاعة الحناء ثم رفعوا الصخرة التي توضع في أسفل البئر فأخرجوا من تحتها الأسنان و معها و ترقد عقد فيه عشر عقدة مغرزة بالأبر فجاؤا بها النبي ﷺ فجعل يقرء المعوذتين عليها فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة و وجد حتى انحلت عقدة الأخيرة عند تمام السورتين فقام ﷺ كأنما أنشط من عقال و جعل جبرئيل يقول : بسم الله أرقيك و الله يشيفك من كل شيء يؤذيك من عين و حاسد ، فلذا جوؤا الاسترقاء بما كان من كلام الله و كلام رسوله لا بما كان مما لانفهمه من الهندية و العبرانية و السريانية فإنه لا يجوز العمل به . و الحق في المسألة عند الإمامية أن السحر لا يؤثر في النبي ، و أمره بالاستعاذة من سحرهن لا يدل على تأثير السحر فيه وإنما أمر بالتعوذ من السحرة لأنهم يفعلون أشياء من النفع و الضرر و عامة الناس يصدقونهم فيعظم بذلك الضرر في الدين و يوهمون أنهم يعلمون الغيب و لأجل هذا الضرر أمر ﷺ بالتعوذ من شر أفعالهم . و أما ما نقله المخالفون ليس بصحيح ، مجمع البحرين . قالت المعتزلة : و هذا لا يجوز لأن من وصف بأنه مسحور مدخل عقله و قد أبى الله ذلك في قوله : (١) و قال الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً « ولكن يمكن أن يكون اليهودي أو بناته - على ما روي - اجتهدوا في ذلك و لم يقدروا عليه و أطلع الله نبيه على ما فعلوه حتى



استخرج وكان ذلك دلالة على صدقه ، وكيف يكون الممرض من فعلهم ولو قدروا على ذلك لقتلوه وقتلوا كثيراً من المؤمنين مع شدة عداوتهم لهم .

وقال أبو مسلم : المراد بالنقث في العقد إبطال عزائم الرجال بالحيل مستعار من تلمين العقدة بنقث الريق ليستهل حملها ، والنقثات في الآية هي جنس النساء اللاتي شأنهن أن يغلبن على الرجال ويحوّ لنهم عن آرائهم بأنواع المكر والحيلة ولأجل استقرار حبّهن في قلوب الرجال يتصرّفن فيهم ويحوّ لنهم من رأي إلى رأي فأمر الله تعالى بالتعوّذ من شرهن . والسحر عند المعتزلة تخييل لا أصل له وعند بعض قالوا : تمريض وتأثير بما يتصل به كما يخرج من فم المتثائب ويؤثر في المقابل وقال بعض : سرعة الحركة ولطافة الفعل فيما خفي فهمه .

[ ومن شرّ حاسد إذا حسد ] قال النبي ﷺ : الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وأول ذنب عصي الله به في السماء حسد إبليس لآدم فأخرجه من الجنة فطرد و صار شيطاناً رجيماً و في الأرض قابيل لأخيه هابيل فقتله فأمر الله بالتعوّذ من شره ، والحسد الأسف على نعمة عند الغير أو تمنّي زوالها من الغير .

قال الزمخشري : عرف سبحانه بعض المستعاض منه ونكر بعضه مثل أن عرف « النفثات » لأن كل نفثاة شريرة ونكر « غاسق » لأن كل غاسق لا يكون فيه الشرّ إنّما يكون في بعض دون بعض وكذلك كل حاسد لا يضرّ وربّ حسد محمود وهو الحسد في الخيرات .

قيل : المراد أنّه تعالى أراد وأمر بالتعوّذ من شرّ نقث الحاسد ومن شرّ عينه فإنّه ربّما أصاب بهما .

وروى أنس أن النبي ﷺ قال : من رأى ما يعجبه فقال : الله الله ماشاء الله لاقوة إلا بالله لم يضره شيئاً . وقد جاء في الحديث أن العين حق .

قال الحسين بن الفضل : ذكر الله الشرور في هذه السورة ثمّ ختمها بالحسد ليعلم أنّه أخبث الطبائع .

و نسب بعض إلى عبد الله بن مسعود أنّ هاتين السورتين ليستامن القرآن و

تعويذتان للنبي وللؤمنين. قال صاحب عين المعاني : الصحيح أنهما من القرآن إلا أنهما لم تثبتا في مصحف ابن مسعود للأمن من نسيانهما لأنهما يجريان على لسان كل إنسان لأنه لم يقبل أنهما من القرآن . وقد قيل : إن مصحف عبد الله حذف منه أم الكتاب والمعوذتان ومصحف أبي بن كعب زيد فيه سورة القنوت وهي قوله : اللهم إنا نستعينك إلى قوله : من يعجزك ، ولكن مصحف زيد بن ثابت كان سليماً من ذلك فكان كل من مصحفي أبي وابن مسعود منسوخاً ومصحف زيد معمولاً به وكان صلى الله عليه وآله يعرض القرآن على جبرئيل في كل رمضان مرة واحدة فلما كان العام الذي قبض صلى الله عليه وآله فيه عرضه مرتين وكان قراءة زيد على ما قيل - من آخر الفرض .

قال عبد الله بن مسعود جميع سور القرآن مائة واثنى عشرة سورة . قال الفقيه في كتاب البستان : إنما قال : إنها مائة واثنى عشرة سورة لأنه كان لا يعد المعوذتين من القرآن وكان لا يكتبهما في مصحفه و يقول : إنهما منزلتان من السماء وهما من كلام رب العالمين ولكن النبي صلى الله عليه وآله كان يرقى ويتعوذ بهما فاشتبه على ابن مسعود أنهما من القرآن أو ليستامنه فلم يكتبهما في المصحف .

و قال مجاهد : جميع سور القرآن مائة و ثلاث عشرة سورة لأنه كان يعد الأفعال والتوبة سورة واحدة وقال زيد بن ثابت مائة وأربع عشرة سورة والمعوذتان سورتان من القرآن

تمت السورة بعون الله .



## سورة الناس

### ﴿مدنية﴾

الفضل بن يسار قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : إن رسول الله اشتكى ووجع وجعاً شديداً فأتاه جبرئيل وميكائيل عليهما السلام فقعده جبرئيل عند رأسه وميكائيل عند رجله فعوذ به جبرئيل بقل أعوذ برب الفلق وعوذ به ميكائيل بقل أعوذ برب الناس .

## بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

قل اعوذ برب الناس (١) ملك الناس (٢) إله الناس (٣) من شر الوسواس الخناس (٤) الذي يوسوس في صدور الناس (٥) من الجنه و الناس (٦) .  
 أي مالك أمورهم ومربّيهم بإفاضة ما يصلحهم و دفع ما يضرّهم [ملك الناس] عطف بيان لربّ الناس ، أي سيّدهم و القادر عليهم ، ولم يجز هنا إلا ملك و جاز في فاتحة الكتاب ملك و مالك و ذلك لأنّ صيغة «ملك» يدلّ على صفة من يشعر بالتدبّر و ليس كذلك مالك و ذلك لأنّه يجوز أن يقال : مالك الثوب و لا يجوز أن يقال : ملك الثوب ، فجرت اللفظة في فاتحة الكتاب على معنى الملك في يوم الجزاء و في هذه السورة «ملك» على تدبّر من يعقل التدبير فكان لفظ ملك هنا أولى و أحسن و المعنى ملك الناس كلّهم و مدبّرهم .

[ إله الناس ] أي ليس ملكه بمجرّد الاستيلاء عليهم و القيام بتدبير أمورهم كما هو قصارى أمر الملوك بل هو بطريق المعبوديّة اللازمه للألوهيّة المقتضية للإحياء و الإماتة و الإيجاد و الإعدام فإنّه يحقّ له الإلهيّة و لكم العبوديّة .  
 [ من شرّ الوسواس ] الوسوسة الصوت الخفيّ الذي لا يحسّ به فيحذر منه و الوسواس اسم بمعنى الوسوسة مثل الزلزال بمعنى الزلزلة و أمّا المصدر فبالكسر و الفرق بين المصدر و اسم المصدر هو أنّ الحدث إن اعتبر صدوره عن الفاعل و وقوعه على المفعول سمّي مصدرًا و إذا لم يعتبر بهذه الحيثيّة سمّي اسم المصدر و حقيقة الوسوسة معنى كإلام يكرّره الموسوس و يؤكّده عند من يلقيه إليه و المراد بالوسواس الشيطان لأنّه يدعو إلى المعصية بكلام خفيّ يفهمه الوليّ من غير أن يسمع صوته و وسوسة اللعين بالإغرار بسعة رحمة الله أو بتخييل أنّ له في عمره سعة و أنّ وقت

التوبة باق بعد و سمّي اللعين بفعله مبالغة كأنّه نفس الوسوسة لدوام و سوسته .  
و الإلقاء إمّا صحيح أو فاسد فالصحيح إلهي ربّاني متعلّق بالخير والمعارف  
أو ملكي روحانيّ وهو الباعث على الطاعة وما فيه صلاح ويسمّي إلهاماً من القسمين  
و الفاسد نفسانيّ وهو ما فيه حظّ النفس و يسمّي هاجساً ، أو شيطانيّ و يسمّي  
وسواساً .

و ينحصر ما يدعو الشيطان إليه ابن آدم في ستّ مراتب :

**الاولى** الشرك والكفر ومعاداة الله ورسوله، فإذا ظفر بذلك من ابن آدم بردأئنيته  
واستراح من تبعه معه **والثانية** البدعة وهي أحبّ إلى إبليس من المعصية لأنّ المعصية  
يتاب منها فيكون كالعدم والبدعة فالتوبة عنها غير ممكن وصعب ولا يمكن التدارك عنها  
فإذا عجز اللعين عن هاتين انتقل إلى **المرتبة الثالثة** وهي الكبائر على اختلاف أنواعها  
فإذا عجز عن ذلك انتقل إلى **المرتبة الرابعة** وهي الصغائر التي إذا اجتمعت  
أهلكت صاحبها كالنار الموقدة من الحطب الصغار فإذا عجز عن ذلك انتقل إلى  
**المرتبة الخامسة** وهي اشتغاله بالمباحات التي لا ثواب فيها ولا عقاب بل عقابها  
فوات الثواب فإذا عجز عن ذلك انتقل إلى **المرتبة السادسة** وهي أن يشغله بالعمل  
المفضول عمّا هو أفضل منه ليفوته ثواب العمل الفاضل فمن الشياطين شيطان الضوء  
و يقال له الولهان بفتح الحين و هو شيطان يولع الناس بكثرة استعمال الماء . قال صلى الله عليه وآله  
تعوّذوا بالله من وسوسة الضوء . و منهم شيطان يقال له «خزب» وهو الملبس على  
المصلي في صلاته و قراءته .

[ الخنّاس ] هو الشيطان ومن عادة الشيطان أن يتأخّر وينقبض إذا ذكر الله .

القمّيّ : الخنّاس اسم الشيطان الذي إذا غفل الإنسان عن ذكر ربّه وسوس إليه .

حكى أن بعض الأولياء سأل الله أن يريه كيف يأتي الشيطان ويوسوس فرأى

صورة الإنسان في صورة إنسان من بلّور وبين كتفيه خال أسود كالعش و الوكر فجاء

الخنّاس يتحسّس في جميع جوانبه وهو في صورة خنزير له خرطوم كخرطوم الفيل

فجاء بين الكتفين فأدخل خرطوميه قبل قلبه فوسوس إليه فذكر الله فخنس و رآه و لذلك سمّي بالخناس لأنّه ينكص على عقبيه مهما حصل نورالذكر في القلب . و لعلّ لهذا السرّ كان ﷺ يحتجم بين كتفيه ويأمر بذلك ووصاه جبرئيل بذلك لأنّه لتضعيف مادّة الشيطان و تضيق مرصده لأنّه يجري بوسوسته مجرى الدم في بني آدم و كذلك كان خاتم النبوة بين كتفيه إشارة إلى عصمته من وسوسته لقوله ﷺ « أعانني الله عليه ، وإنّ شيطاني قد أسلم » المراد أنّه عجز واستسلم قرينه و ما أسلم قرين آدم ﷺ فوسوس إليه .

و يجوز أن يدخل الشيطان في الأجسام وإن كان في الأصل من نار لكن ليس بمحرق لأنّه لمّا امتزج النار بالهواء صار تر كيبه مزاجاً مخصوصاً وهو جسم لطيف فيدخل و قال سبحانه : [ يوسوس في صدور الناس ] و الصدر هو ساحة القلب و بيته فمنه تدخل الواردات على القلب فالصدر بمنزلة الدهليز [ من الجنّة و الناس ] الجنّة جماعة الجنّ و « من » بيان للذي يوسوس على أنّه ضربان جنّيّ و إنسيّ كما قال (١) : « شياطين الإنس و الجنّ » و الموسوس إليه نوع واحد وهو الإنس لأنّه لم يرد دليل على أنّ الجنّيّ يوسوس في صدور الجنّيّ ، فكما أنّ شيطان الجنّ يوسوس تارةً و يخنس أخرى كذلك شيطان الإنس يلقي الأباطيل في صورة الناصح فإنّ زجره السامع يترك الوسوسة و يخنس و إن قبل السامع كلامه بالغ فيه .

و حاصل المعنى أنّه سبحانه أمر العبد أن يستعيذ من شرّ وسوسة الجنّ و الإنس أو أن يستعيذ من شرّ الجنّ و الإنس . و في هذا إشارة إلى أنّ الضرر يلحق من جهة هؤلاء و أنّهم قادرون على ذلك ولو لاه لما حسن الأمر بالاستعاذة منهم .

روى العياشي عن جعفر بن محمد قال : قال رسول الله : مامن مؤمن إلاّ و لقلبه في صدره أذنان أذن ينفث فيها الملك و أذن ينفث فيها الوسواس الخناس يؤيّد الله

المؤمن بالملك وهو قوله سبحانه (١) : « و أيدهم بروح منه » .  
 و في الحديث عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ إذا آوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه و قرأ قل هو الله أحد ، و سورة الفلق ، و سورة الناس فنفت فيهما ثم مسح بهما ما استطاع من جسده يبدء بهما رأسه و وجهه و ما أقبل من جسده . يصنع ذلك ثلاث مرات .

وكان ابن كثير إذا انتهى إلى آخر القرآن إلى قوله : « من الجنة والناس » قرأ سورة الفاتحة و خمس آيات من أول سورة البقرة على عدد الكوفي وهو إلى « و أولئك هم المفلحون » لأن هذا يسمي حال المرحل و معناه حل من قراءة آخر الختمة و ارتحل إلى ختمة أخرى إرغاماً للشيطان ، و صار العمل على هذا في أمصار المسلمين و كذلك قراءة سورة التوحيد بعد الختمة ثلاثاً .

قال البخاري : عند كل ختمة دعوة مستجابة و إذا ختم الرجل القرآن قبل الملك بين عينيه و يستحب الدعاء عند الختم مستقبل القبلة رافعاً يديه خاضعاً لله و يثني على الله قبل الدعاء و بعده و يصلي على النبي و يمسح وجهه بيديه بعد فراغه .  
 و عنه ﷺ أنه أمر علياً عليه السلام أن يدعو عند ختم القرآن بهذا الدعاء وهو « اللهم إني أسألك إخبارات المحبتين و إخلاص الموقنين و مرافقة الأبرار و استحقاق حقائق الإيمان و الغنيمة من كل بر و السلامة من كل إثم و وجوب رحمتك و عزائم مغفرتك و الفوز بالجنة و الخلاص من النار » .

وكان النبي ﷺ يقول : عند ختم القرآن « اللهم ارحمني بالقرآن العظيم و اجعله لي إماماً و نوراً و هدى و رحمة و ارزقني تلاوته آناً الليل و أطراف النهار و اجعله حجة لي يارب العالمين » .

و قد تم بعون الله كتاب « مقتنيات الدرر و ملتقطات الثمر » في تفسير كتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه في الشهر الذي أنزل في مثله القرآن من السنة السابعة بعد الثلاثين بعد الثلاثمائة بعد الألف .

فيقول العبد الفقير الملتقط المحتاج إلى ربه القدير الغني المغني فيتضرّع  
مستكيناً ذليلاً رافعاً يديه الخاطئة مستجدياً من أياديه الفاضلة وآلائه المتواصلة  
أن يمنّ عليّ هذا العبد الكالّ عليّ مولاه بالقبول فإذا تقبّلها ربّها بقبول حسن  
فأهدى ثواب هذه الدرّة الثمينة - التي خاض في طلبها البحار الزاخرة حتّى اقتناها  
كبارها و مرجانها و شطوطها و خلجانها - إلى روح حبيبه محمّد الذي بعثه من أطيب  
الأعراق وأعظم الجرائيم ، وابن عمّه عليّ الذي ضرب الخراطيم حتّى كانت الكلمة  
مجموعة والأصنام مرفوعة ، فجلّت الهدية ونعم المهدي له فقد عرض الطيب عليّ  
عطّاره . وإنّي أستشفع بكتابه العزيز وبالنبيّ والوصيّ في أن يجاوز  
عن ذنوبي العظيمة التي لا أعظم منها إلاّ عفوه فأسألك  
العفو و منّ عليّ بالقبول و الغفران  
إنّك أهل التقوى وأهل المغفرة .

نجز الجزء الثاني عشر من الكتاب ، و به ختامه  
و من الله التوفيق وله المنّة



## ختامه مسك

الحمد لله على نعمائه ولا تحصى ، وعلى آلائه ولا تعدّ ، والصلاة والسلام على نبيّه وآله إلى آخر الأمد .

ألقت مكتبتنا - من أوّل يوم أسست - رحلها حيث ألقى العلم و السؤدد و المجد رحالها ثمّ لم تتحوّل ، وهناك بيت آل العصمة الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً ، فجهدتُ جُهداً و أعملت و سعتها في تيسير الوصول إلى مأمولها و هو إحياء آثارهم و نشر أخبارهم ، فسلكننا و عر المشا كل و لم نخف قعرها ، وقد وُفقنا كثيراً و المنة لله .

وهذا كتاب « مقتنيات الدرر » نقدّمها بمجلداته الاثني عشر إلى المستضيئين بنور الثقلين و نرجو من الله تعالى أن يجعل أفئدة من الناس تهوي إليه و تستفيد منه . وقد أسلفنا في أوّل هذا الجزء - و الأجزاء التي قبلها - ذكراً من الذين وازرونا في مشروعنا هذا و حمل كلُّ عبءاً منه ، و نخصّ بالذكر منهم الجامع بين مراتب الفضل و التجارة تلميذ المؤلف المنقطع إليه الحاجّ ميرزا عبدالحسين « محسنين » حيث جعل نسخة الكتاب عرضة للطبع و سعى سعيه البليغ في نشره ، و التاجر الهميم الموفّق للخير الحاجّ محمود الكاشاني ، الذي جاد بنفقة طبع الكتاب ، فعلى الله الأجر إنّه وليّ ذلك .

**الشيخ محمد الاخوندي**

## مصوب الاغلاط الواقعة \*

| صفحة سطر | صحيح | صفحة سطر            | صحيح |
|----------|------|---------------------|------|
| ٩٦       | ١٤   | الأمثال بالنار      |      |
| ١٢١      | ١٧   | إن ذكر الخير كنتم   | ج ١  |
| ٢١٤      | ١٧   | والحاصل مما فهم     | ٩    |
| ١٥٦      | ١٤   | للمستمعين           | ١٣   |
| ١٧٩      | ٢٢   | فإن لله فيه قدرة    | ١٤   |
| ١٨٧      |      | آخر ولا تغفلوا عنه  | ١٠   |
| ١٩١      | ١    | فاعتبروا بها        | ١٢   |
| ١٩٩      | ٣    | تمام سطر زايد است   | ٦    |
| ٢٠٥      | ٢    | فإن لله تعالى علماً | ١٢   |
| »        | ٢٣   | الخشية لله          | ٣    |
| ٢٠٨      | ١٤   | إذ القوا المسلمين   | ١٥   |
| ٢١٢      | ١٦   | على الناس           | ١٨   |
| ٢٤٥      |      | آخر مادام حياً      | ٩    |
|          |      |                     | ١٨   |
|          |      |                     | ٢٧   |
|          |      |                     | ٤١   |
|          |      |                     | ٥٨   |
|          |      |                     | ٨١   |
|          |      |                     | »    |
|          |      |                     | ٨٦   |
|          |      |                     | ٨٧   |

\* - جد في استخراجها وأتعب نفسه تلميذ المؤلف الخسيس به الحاج ميرزا عبد الحسين « محسنين » فعلى الله أجره . المصحح .

تصويب الأخطاء

| صفحة سطر | صحيح                              | صفحة سطر                | صحيح                                                   |
|----------|-----------------------------------|-------------------------|--------------------------------------------------------|
| ٩٦ ١٩    | لما عصوا                          | ٢٧٧ ٣                   | نجا أول هذه الأمة                                      |
| ١٠٢ ١٩   | على يدك                           | ٢٧٨ ١                   | ليردّ ونكم                                             |
| ١٠٥ ٩    | وسوّاس الخلق                      | ٢٩٧ ١٣                  | والنصارى                                               |
| ١٢٤ ١٧   | من عمله                           | ٣٢٤ ٦                   | ولا تستئلون عما كانوا                                  |
| ١٢٦ ١    | الأأقلّ                           | ٣٣٣ ١٣                  | و إنّما فعله                                           |
| ١٢٧ ٩    | أجوركم                            |                         |                                                        |
| » ١٣     | وبعضهم كان يربط في ثواب<br>الفقير |                         |                                                        |
| ١٦٣ ٧    | هو الذي أنزل                      | ٣٠ ٩                    | ثياباً سابغة                                           |
| ١٧٥ ١٧   | وقد قامت                          |                         | (يعنى دروعاً واسعة)                                    |
| ١٥٦ ٥    | فأساقوا                           | » ٧                     | يضعون ألسنتهم                                          |
| ١٦٦ ٧    | وهو ما ذكره                       | ٣٤ ٦                    | فان منعوكم فاقتلوهم                                    |
| » ٢٠     | «بآيات الله ورسله» جزء آيه<br>نيس | ٤٢ ١                    | فمنهم من يسأل نعيم الدنيا<br>ولا يسأل نعيم الآخرة لانه |
| ١٧٢ ٢٠   | على وحدانيته                      | غير مؤمن بالبعث والنشور |                                                        |
| ١٧٣ ٤    | فان الشاهد                        | ٤٤ ٩                    | وان لا يجعل نفقته من كسب<br>الحرام                     |
| ١٧٣ ١٢   | والمعاقبة                         | ٤٨ ١٤                   | لأجلهم                                                 |
| ٢٠٥ ٥    | بوحدانيته                         | ٦١ ١٥                   | ابناً                                                  |
| ٢٤٠ ٢١   | وقف النبي ﷺ عليه وآله             | ٦٥ ١٢                   | كمجامعة الحائض                                         |
| ٢٤٥ ١٨   | إذا قصدته                         | ٧٧ ٣                    | تكلمة                                                  |

تصويب الأخطاء

| صفحة سطر   | صحيح                                | صفحة سطر     | صحيح                                            |
|------------|-------------------------------------|--------------|-------------------------------------------------|
| ٢٧٢ ٨      | سَلِّم وجوده لله                    | ٢٥٠ ١١       | إِلَّا بِحَبْلِ مِنْ اللَّهِ                    |
| ٢٧٨ ١٦     | وَحَدِّ الضَّمِيرِ                  | ٢٥١ ١٤       | حَتَّى يَدْعَ                                   |
| ٢٨١ ١٢     | لَا يَنْتَمِي                       | ٢٥٤ ٢٢       | قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ                 |
| ٢٨٣ ١٠     | فَأُرْشِدْكُمْ                      | ٢٨٥ ٥        | الْحُورِ بَعْدَ الْكُورِ                        |
| <u>ج ٤</u> |                                     | <u>ج ٣</u>   |                                                 |
| ١٣ ١٦      | وَالسَّارِقِ وَالسَّارِقَةِ         | ٣ ١١         | وَقَلْتُمْ مِنْ أَيْنَ                          |
| ١٦ ٣       | مَنْ فَعَلَ الظُّلْمَ بِالسَّرِقَةِ | ٦ ١٩         | مَتَشَمِّرًا                                    |
| » ١٤       | سَمَاعُونَ                          | ٩ ١٥         | وَلَاهُمْ يَحْزَنُونَ                           |
| » ١٥       | أَوْ تَيْتَمٌ                       | ١٢ ٢٣        | أَوَّلُ سَطْرِ بَعْدَ ذَاكَ « اللَّهُ » وَوَاوٍ |
| ١٨ ١٦      | لَمْ يَفْتَدِئْنَا                  | زَائِدٌ اسْت |                                                 |
| ٢٠ ١٨      | قَالَ الْقَاضِي                     | ١٨ ٩         | وَالْبَاقُونَ بِالتَّاءِ                        |
| ٥٧ ٦       | وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى       | ٢٤ ٢٢        | القَبْرِ رَوْضَةٌ                               |
| ٧٩ ١٨      | وَالْقِيَامَ لِعِبَادَتِهِ          | ٤٧ ١٣        | جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا                  |
| ٨٩ ٢١      | الْمُمَاتِلَةَ بِالْقِيَمَةِ        | ١٠٣ ١٣ و ١٢  | فِي الضِّيْعَةِ                                 |
| ٩٦ ١٣      | وَحِرْصَهُمُ الشَّدِيدِ             | ١١٣ ٣        | مِنَ الْحُورِ                                   |
| ١٠٠ ٦      | حَلِيمٍ « افْتِرَاضٌ                | » ١١         | عُورَاتِ النِّسَاءِ                             |
| ١٠١ ٨      | أَنْتَجَتْ النَّاقَةَ               | ١٦٠ ٨        | وَأَوْلَاهُمَا بَرِّبْنَا الْعَفْوُ             |
| » ١٢       | حَتَّى تَسِيَّبَ حَيْثُ             | ١٧٤ ٣        | وَلَا تَنْهَوُا                                 |
| » ١٦       | مِنْ مَالِهِ مَا يَشَاءُ            | ١٩٠ ١        | أَيَّ مُحَقَّقًا لِاخْتِلَافِ                   |
| » ١٧       | إِنَّ السَّائِبَةَ هِيَ الْمَاقَةُ  | ٢٠٣ ١٤       | بِعَزِيرِ                                       |
| ١٣٦ ٦      | الظَّاهِرِ الْمَكْشُوفِ             |              |                                                 |

تصويب الأخطاء

| صفحة سطر | صحيح                    | صفحة سطر    | صحيح             |
|----------|-------------------------|-------------|------------------|
| ٣٥٠ ١    | وكانوا يثورون إلى نوح   | ١٣٨ ٦       | ولا يستدلون لها  |
| » ٢      | فيحمل ويرمي به إلى بيته | ١٣٩ ٢١      | أطيب الناس خيراً |
| » ١٤     | واعبدوا الله            | ١٤٣ ١٩      | كالتفسير لقوله   |
| ٣٥١ ١٣   | وزادكم في الخلق بسطة    | ١٤٦ ١٣      | وأظنه وهما منه   |
| » ١٨     | مقدار ما تبلغه يد إنسان | ١٥١ ٥       | إلا أن انفتت منه |
| ٣٥٨ ٣    | قلوب القوم              | ١٥٧ ٤       | لا نكذب ونكون    |
| ٣٦٠ ٢٢   | فاكتمي أمرهم            | ١٥٩ ٥       | مار كبتك         |
| ج ٥      |                         | ١٨٨ ١٦      | وفي حديث أنه     |
| ٥٤ ٢٠    | ذكر عقبيه               | ٢٠٠ ٢٣      | إذ جاء ربه       |
| ٦٤ ١٣    | والمساء                 | ٢١٩ ٢٠      | الحبة اليابسة    |
| ٦٩ ١٨    | ولكأنني أنظر            | ٢٣٥ ١٩      | وإنما أنا منذر   |
| » ٢٣     | وكانوا يقولون           | ٢٣٦ ١٨      | لا إله إلا هو    |
| ٧١ ٢٠    | بالتخفيف                | ٢٣٩ ١٩ و ١٨ | فينبئهم          |
| ٧٣ ٤     | ذلكم خبر مبتداء         | ٢٥٤ ١       | عند البصريين     |
| ٧٤ ١٤    | انتسبوا                 | ٢٦٧ ١١      | ذوالرحة          |
| ٧٨ ١٧    | لقد قتلنا               | ٢٦٩ ١٤      | يزرعون لله       |
| ٨٠ ٢٣    | ذلكم إشارة              | ٢٧٧ ١٣      | أعلمتموه         |
| ١١٤ ١١   | بتارك الزكاة            | ٢٨٨ ١٦      | ولذا لا تزال     |
| ١٢٦ ٤    | واستعمله على            | ٣١٤ ٣       | منها] وقد        |
| ١٣٤ ٢١   | زيببتان                 | ٣٢٩ ١٤      | إذا داركوا       |
| ١٣٩ ٢٠   | والله على كل شيء        | ٣٣٦ ٢١      | بالدلائل ويخرجون |
|          |                         | ٣٤٢ ٣       | عن الرباء المبطل |

تصويب الأخطاء

| صفحة سطر | صحيح                  | صفحة سطر | صحيح                              |
|----------|-----------------------|----------|-----------------------------------|
| ٢٨٣ ١٢   | وأخلصت                | ١٤٤ ٢٢   | الإغطاء والخبون                   |
| ٣٠٧ ٨    | باطنهم على خلاف ذلك   | ١٥٦ ١٢   | فليقوموا وليعترفوا و<br>ليستغفروا |
| ٣١٦ ١    | فبلغت                 | ١٥٦ ١٦   | بالكلية                           |
| ٣٣٢ ٦    | تلك القرية            | ١٦٢ ٢١   | عذاباً أليماً                     |
| » ٧      | تغليظاً للمعقوبة      | ١٧٦ ٩    | والبوادي                          |
| ٣٤٠ ٢١   | وجاء أمر ربك          | ١٧٨ ١١   | ورضواعنه                          |
| ٣٤٢ ١٦   | قائلاً خالدين فيها    | ١٨٤ ٥    | الذين مردوا                       |
| ٣٤٧ ١٧   | في جسده درن           | ١٩٧ ١٨   | ثم ثبتته الله وقبل توبته          |
| ٣٤٨ ٢١   | الدعم و التمتع        | ٢٠٠ ٢٤   | بكليتهم إلى الجهاد                |
| ٣٥٠ ١١   | الاختلاف المذموم      | ٢٠٤ ٣    | يמתحنون بالجهاد                   |
| <b>ج</b> |                       | ٢٠٥ ٢    | عزيز عليه                         |
| ٥ ١٢     | اقتلوا يوسف           | ٢١٣ ١٦   | وأن لا يجعل                       |
| ١١ ١١    | وأولى من الجزع        | ٢١٩ ١٧   | إن هذه آيات                       |
| ١٢ ١٩    | منتبذاً               | ٢١٩ ٢٠   | وكلها دال على صحة القول           |
| ١٣ ٩     | راجعاً إلى الثمن      | ٢٢٠ ٢    | من يكفر بها في هذه الآية          |
| » ١٤     | فاشتراه قطفير أو ظفير | » ٢٠     | عملوا الصالحات يهديهم             |
| » ٢٢     | فاشتراه قطفير         | ٢٢١ ٩    | «إلى الجنة» جزء آية ليست          |
| ٢٧ ١٦    | ومن الأذلاء           | ٢٢٣ ١٣   | و ربما خرج من صلبهم               |
| ٢٩ ١٧    | رأيت اصل حيلة         | ١٦٠ ١٣   | فما سواه ملكه لأنه أجدّه          |
| ٣٦ ٥     | من نهر يابس           | ٢٦٥ ٨    | فإن رأى رأى دلائل معرفة           |
| ٤٥ ١     | بأن يوقفهم من البعد   |          |                                   |

تصويب الأخطاء

| صفحة سطر               | صحيح | صفحة سطر                | صحيح |
|------------------------|------|-------------------------|------|
| ١٨                     | ١٤٤  | ٦                       | ٤٦   |
| وأمطرنا عليهم          |      | من قال كانوا عالمين     |      |
| ١١                     | ٢٠٢  | ١١                      | ٥٨   |
| مذاهبهم الزائفة        |      | قال: هل علمتم           |      |
| ٩                      | ٢٠٣  | ٢٢                      | ٥٩   |
| فأذن الله لهم في السبب |      | وام يذكر أباه           |      |
| ١                      | ٢١١  | ٤                       | ٦٦   |
| مسجد الكوفة أفضل منه   |      | واشتاقت نفسه            |      |
| ١٤                     | ٢١٦  | ١٥                      | ٦٨   |
| ديكاً ورجلاه           |      | ولدار الآخرة خير        |      |
| ١٤                     | ٢٢٩  | ١٩                      | ٧٤   |
| فقال سبحانه            |      | يفصل الآيات             |      |
| ١٣                     | ٢٣٠  | ١٥                      | »    |
| علامة الجزم            |      | على الكيس: «ألفان» و    |      |
| ٥                      | ٢٤٠  | المراد الذي فيه «ألفان» |      |
| «والأرض» زائدة است     |      | لنخطفكم الجن            | ٤    |
| ٢١                     | »    | ٩                       | ٨٠   |
| تسبح له السماوات       |      | فالأطمينان قد حصل       | ٩٢   |
| ٢١                     | ٢٤٣  | ٢١                      | ٩٦   |
| بحسب الظاهر            |      | أكملها دائم             |      |
| ١٨                     | ٢٤٨  | ١٨                      | ٩٨   |
| إن الشجرة الملعونة     |      | يك «الله» زايد است      |      |
| ٥                      | ٢٤٩  | ١٤                      | ١٠٥  |
| الملعونة               |      | الإكافّة للناس          |      |
| ١٩                     | ٢٥٣  | ٢                       | ١٢٠  |
| وهذا أخس الأقسام       |      | ولولا الأذهار           |      |
| ٨                      | ٢٧٨  | ٥                       | »    |
| الدعاء والمسئلة        |      | و لتبتغوا المعاش        |      |
| ١٥                     | ٢٨٣  | ٤                       | ١٢٤  |
| فقالا: يامعاش قريش     |      | ليوم تشخص فيه           |      |
| ٦                      | ٢٨٦  | ٤                       | ١٢٥  |
| من قول تمليحنا وهو     |      | وسكنتم في مساكن         |      |
| ١٧                     | ٢٨٨  | ١٠                      | ١٣٦  |
| و كذلك بعثناهم         |      | وقيل منتن               |      |
| ٢٢                     | ٢٩٣  | ١٠                      | ١٣٧  |
| مكسلينا                |      | قسم من الجن             |      |
| ١٨                     | ٢٩٥  | ٩                       | ١٤٠  |
| قرأ بثلاثمائة سنين     |      | يقبل تلك الوسوسة        |      |
| ٢٣                     | ٣٠٢  | ١٩                      | ١٤٢  |
| وإن تعبت جمعه          |      | وبشروه                  |      |
| ٦                      | ٣٢٠  | ١٤                      | »    |
| لأبصر أعجب الأعاجيب    |      | ولا ذراً ولا برأ        |      |
| ١٩                     | ٣٢١  |                         |      |
| يجب عليه في الحكمة     |      |                         |      |

تصويب الأخطاء

| صفحة سطر | صحيح | صفحة سطر | صحيح                        |
|----------|------|----------|-----------------------------|
| ٢٠٦      | ١٥   | ٣٢٤      | ١ إلى ورود الجواب           |
| ٢٠٩      | ٤    | ٣٢٧      | ١١ كان يطبخ من كف-ر في      |
| ٢١٢      | ٦    |          | القدور                      |
| ٢١٩      | ٢٢   | ٣٣٥      | ١٥ منهم أهل حرورا من        |
| ٢٦٥      | ٦    |          | الخوارج                     |
| ٢٨٣      | ٢٤   |          | ج ٧                         |
| ٢٨٤      | ٣    | ١١       | ٣ قبل دينه زكاة ومقبولاً    |
| ٢٨٨      | ٤    | ٣١       | ١٥ قضي الأمر                |
| ٢٩٦      | ٤٩٣  | ٤٧       | ١٣ صباحاً ومساءً            |
| »        | ١٦   | ٦٣       | ٢١ كل من في السماوات        |
| »        | ٢٠   | ١٠٢      | ٥ فشرح الله نعمه            |
| ٣٠٣      | ١٤   | ١١٤      | ٦ استأنيتك                  |
| ٣١٦      | ١٤   | ١٢٧      | ١٤ إلى قوته إلا بمعصية الله |
| ٣٢١      | ١    | ١٣٠      | ١٩ وهو على كل شيء قدير      |
| ٣٢٦      | ٢٢   | ١٤٢      | ١٨ قوله وما خلقنا           |
| ٣٢٨      | ١٥   | ١٤٤      | ١ عبيدة                     |
| ٣٣١      | ١٦   | »        | ٣ نفى البنوة على الملائكة   |
| ٣٥٣      | ١٣   | ١٤٩      | ٧ لو كان فيهما              |
| ٣٥٤      | ٢٢   | ١٧٣      | ٨ مخلصين لنا في العبادة     |
| ٣٦٠      | ٢    | ٢٠٥      | ٣ فأمنت بك لما أثنى الله    |
| ٣٧٣      | ١٧   |          |                             |



تصويب الأخطاء

| صفحة سطر | صحيح | صفحة سطر | صحيح                        |
|----------|------|----------|-----------------------------|
|          |      |          | حج                          |
| ١٢٩      | ٥    | ١٢٩      | نفي عن نفسه الكفر           |
| ١٤٨      | ٥    | ١٤٨      | فأثنى الله عليهم بقوله      |
| ١٤٩      | ١٩   | ١٤٩      | يخالف إجماع أهل البيت       |
| ١٥١      | ١٧   | ١٥١      | و خفض العيش                 |
| ١٦٣      | ١٥   | ١٦٣      | والعاقبة للمتقين            |
| ١٦٧      | ٢    | ١٦٧      | فليعلمن الله الذين صدقوا    |
| ١٧٣      | ٢١   | ١٧٣      | إن تبتنعونا نحمل            |
| ١٧٥      | ١    | ١٧٥      | وما هو شر لكم               |
| ١٧٦      | ٢٠   | ١٧٦      | والحاصل إن تأخر عنكم        |
| ١٧٨      | ١٠   | ١٧٨      | وأطلب الله [إنه هو العزيز]  |
| ١٨٦      | ٧    | ١٨٦      | ثم بين ما يدل على إلهيته    |
| »        | ١٦   | »        | يكون توفيقاً                |
| ٢٠٨      | ١٠   | ٢٠٨      | يخرج الحي من الميت          |
|          |      |          | ويخرج الميت من الحي         |
| ٢٢١      | ١    | ٢٢١      | أي بل هل أنزلنا عليهم       |
| ٢٣٨      | ٢١   | ٢٣٨      | لأنشرك بالله شيئاً          |
| ٢٣٩      | ١٣   | ٢٣٩      | فوق أصواتهما                |
| ٢٤٦      | ٥    | ٢٤٦      | يدعوهم إلى تقليد آبائهم     |
| ٢٥١      | ٧    | ٢٥١      | من الكفر أو مقصد            |
| ٢٦٣      | ٣    | ٢٦٣      | و الآخر يزداد شقاؤه و       |
|          |      |          | كدورته                      |
| ٢٦٣      | ١٧   | ٢٦٣      | لهديناهم إلى الجنة          |
| ٣        | ١٨   | ٣        | فيما اقتضته الحكمة          |
| ٢٧       | ٨    | ٢٧       | لم قدر الخلق والابجاد       |
| ٢٩       | ٨    | ٢٩       | والذين إذا أنفقوا           |
| ٣٠       | ٦    | ٣٠       | ولا يتبخثرون                |
| »        | ٢٣   | »        | من منع من حق فقد قتر        |
| ٣١       | ١    | ٣١       | والملح وأنت تقدر على غيره   |
| »        | ٢    | »        | قيل فما القصد قال الخبو     |
| ٣٣       | ٢٣   | ٣٣       | يرجع إلى الله مرجعاً        |
| ٤٧       | ٢٣   | ٤٧       | والحذر المتيقظ              |
| ٥٧       | ٦    | ٥٧       | بالقلب الفاسد               |
| ٦٤       | ٢١   | ٦٤       | أخرجها الله من الصخرة       |
| ٨٠       | ١٣   | ٨٠       | وتأويله تبارك               |
| ٨٩       | ٣    | ٨٩       | جذام و غسان                 |
| ٩١       | ١٦   | ٩١       | أتى الهدد                   |
| ٩٢       | ٢٥   | ٩٢       | بهديّة                      |
| ٩٥       | ١٨   | ٩٥       | لاتقاومه                    |
| ١٠١      | ٦    | ١٠١      | لنبيته أي لنقلن             |
| »        | ٧    | »        | ما شهدنا مهلك أهله          |
| ١٠٣      | ٤    | ١٠٣      | وما كان لكم أن تنبتوا شجرها |
| ١٠٩      | ١٦   | ١٠٩      | في وعد الملوك و وعيدهم      |
| ١٢٣      | ٥    | ١٢٣      | «أو مریم» زايداست           |

تصويب الأخطاء

| صفحة سطر | صحیح | صفحة سطر                                    | صحیح |     |                                     |
|----------|------|---------------------------------------------|------|-----|-------------------------------------|
| ٢٦٩      | ٢٠   | وَأَمَّا أَصْحَابُ يَهُدُونَ                | ٤    | ١٢٧ | أَمْ مِنَ الشَّيْطَانِ              |
| ٢٧٠      | ٩    | وَالْوَاجِبُ مِنَ الْهَيْدِيِّ مَا يُؤَدِّي | ٦    | ١٥٦ | وَقَدْ فَسَّرُوا                    |
| ٢٩٤      | ٥    | وَفِي رِوَايَةٍ صَحِيحَةٌ بِحَذْفِ          | ٢    | ٢٤١ | إِنَّمَا عَلَيْهِمْ                 |
|          |      | الْأَسَانِيدِ                               | ٣    | ٢٥٨ | حِينَ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ          |
| ٢٩٧      | ١٣   | يَصْنَعُ بِنَاءً؟ فَقَالَ كَعْبٌ            | ١٦   | ٢٦٦ | فِي حَيْزِ الْإِمْكَانِ             |
| »        | ٢٠   | مِنْ هَذَا الْعَبْدِ الصَّالِحِ             | ١٧   | ٢٦٩ | لَمَّا قَدَرَ                       |
| ٣٠٤      | ٤    | آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ                | ١٥   | ٢٩٣ | فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ |
| »        | ١٨   | إِنَّهُمَا مُخْتَلِفَانِ                    | ٨    | ٣٠٤ | بِمَا تَعْمَلُونَ                   |
| ٣١١      | ١٥   | مِنَ الْبَكْرَةِ وَالْأَصِيلِ               | ١١   | ٣٠٦ | بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٍ           |
| ٣١٤      | ٣    | وَلَمْ تَقَارِبُوهُنَّ وَتَمَسُّوهُنَّ      | ٢٢   | ٣٠٨ | وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى             |
| ٣١٨      | ٤    | وَبَعَثْتُ أُمَّيَّيَ بِحَيْسٍ              | ١٢   | ٣٠٩ | يَعْمَلُهُ                          |
| ٣٢٣      | ٦    | وَكُتِبَتْ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ            | ج ١٠ |     |                                     |
| ٣٣٢      | ٢    | فَمَجْمَلُ تَفْسِيرِ الْآيَةِ               | ٢٠   | ٧   | وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ      |
|          |      | ج ٩                                         | ١٤   | ٢٣  | وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ            |
| ٣        | ٥    | فَلَا يِعَاجِلُهُمْ                         | ٩    | ٣٣  | مَنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ          |
| ٩        | ١٠   | مَنْ أَرْضَ الْيَمَنِ                       | ١٠   | ٤٨  | لِلنَّذِيرِ                         |
| ٤٢       | ١٩   | يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ            | ١٣   | ٤٩  | إِلَى الْاِقْتِدَاءِ                |
| ١١١      | ١٦   | لِاسْتِعَارَةِ الْيَمِينِ                   | ٧    | ١٠٤ | وَفَتْحِ الطَّاءِ                   |
| »        | ٢٠   | وَتَمَسَّكُوا بِعَهْدِهِمْ                  | ١١   | ١٠٧ | وَالْأَوْلِيَاءِ                    |
| ١١٦      | ٧    | كَحَالِكَ                                   | ٢    | ١٣٣ | فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ              |
| »        | ١٣   | مَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ                     | ١٤   | ١٤٠ | فَأَمَّا نَحْنُ                     |
| ١١٧      | ١    | فَلِيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ                  | ١٦   | ١٦٦ | وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا   |

تصويب الأخطاء

| صفحة سطر | صحيح | صفحة سطر              | صحيح |    |                   |
|----------|------|-----------------------|------|----|-------------------|
| ١٧٧      | ٣    | وبارداً               | ٢٣٦  | ١٢ | أن يطعمون         |
| ١٧٩      | ٣    | وإذ أسرّ النبي ﷺ      | ٢٣٦  | ١٩ | معايشهم           |
| ١٩٠      | ٥    | بيتها                 | ٢٧٧  | ٦  | من عمله           |
| ١٩٨      | ١٧   | «نسمع» افتاده         |      |    | ج ١١              |
| ٢٠٣      | ١٢   | أنشأكم وجعل لكم السمع | ١٤   | ٦  | لعلمه             |
| ٣٠٤      | ٤    | «قل» افتاده           | ٢٥   | ١  | بالسبق            |
| ٢٠٦      | ٥    | في المنهبط            | ٣٣   | ١١ | لجعلناه           |
| ٢١٣      | ٨    | كثير الاثم            | ٣٦   | ١٥ | بموجبه لعظمتموه   |
| ٢٢٢      | ١٣   | ما رأيت أحسن من هذا   | ٥٤   | ٩  | كلعب الصبيان      |
| ٢٢٢      | ٨    | شزراً                 | ٥٧   | ٢٢ | إن ذلك            |
| ٢٣٧      | ١١   | بعض الضوائع           | ٥٢   | ٦  | أن تخبرني         |
| ٢٣٨      | ٢٣   | «لا» زائد است         | ٦٠   | ٢٣ | نمرود             |
| ٢٤٣      | ٢    | وزمان أهل النار       | ٧٣   | ١٦ | ليحزن الذين آمنوا |
| »        | ٥    | فالويل للعاصي         | ٨٩   | ٦  | يضعه              |
| »        | ٦    | وقد تحذف الباء        | ١٠٤  | ٢٢ | ومعنى الخلق       |
| ٢٤٥      | ١٣   | ثم تلتقطهم            | ١٤١  | ٢٠ | إننا هدنا إليك    |
| »        | »    | زبانيتها              | ١٦٤  | ١٨ | فيوقفونه          |
| ٢٥٣      | ١٨   | مع كونه بشيراً        | ١٦٩  | ١٧ | بل نمهلهم         |
| ٢٥٤      | ٢١   | على الكفر والمعاصي    | ١٧١  | ٢٣ | من كان يؤمن       |
| ٢٥٥      | ١٩   | فقال الشاب            | ١٧٤  | ١٢ | «من سعتة» افتاده  |
| ٢٦١      | ١٧   | في سورة               | »    | ١٦ | «رسولاً» افتاده   |
| ٢٦٤      | ٩    | أوحى إليّ             |      |    |                   |

تصويب الأخطاء

| صفحة سطر                    | صحيح | صفحة سطر | صحيح                   |
|-----------------------------|------|----------|------------------------|
| ١٥                          | ١٠٦  | ١٥       | ٢٦٤ فسحّر عليهم        |
| ١٠                          | ١٠٧  | ٣        | ٢٧٩ تمثّل إليّ الملك   |
| ١٣                          | ١٣٩  | ٢٤       | ٢٨٢ امهال من أعلاه     |
| ٣                           | ١٤٩  | ٢٠       | ٢٨٤ طريق للسالكين      |
| ٢٠                          | ١٥٠  | ٥        | ٢٨٦ لفظ المشبّه به فيه |
| آخر رميت                    | ١٦٣  | ج ١٢     |                        |
| أحقّ للخطايا من الماء للنار | ٢٠   | ١٢       | ٨ بين أيديكم           |
| مُنفكّين                    | ١٢   | ٢        | ١٥ و يطيعه             |
| بلسان كندة                  | ١٦   | ١٢       | ٣٠ تقيض النكير والمنكر |
| فشرعوا                      | ١٢   | ٢٢       | ٣٦ حُذِف               |
| زهق                         | ١٤   | ١٦       | ٤٠ صواباً              |
| زهوقا                       | ١٥   | ١٢       | ٤٢ التقدير : وحال إذا  |
| و أرغم                      | ١٦   | ٤        | ٥٧ قالوا تلك           |
| يشفيك                       | ١٣   | ٢٠       | ١٠٥ لتعبرنّ            |



1